

فهرس

الجزء الثاني عشر

من كتاب صبح الأعشى للقلقشندي

صفحة

- القسم الثاني — مما يكتب من الولايات عن الأبواب السلطانية
ما يكتب لأرباب الوظائف بالممالك الشامية ،
- ٥ وعلى ضربين
- الضرب الأول — من لا تصدر عنه منهم تولية في عمل نيابته ... ٥
- » الثاني — من تصدر عنه التولية والعزل في عمل نيابته ،
- ٦ وعلى سبع نيات
- النيابة الأولى — نيابة دمشق ، ويعبر عنها بكفالة السلطنة بالشام ،
- ٧ ووظائفها على نوعين
- النوع الأول — ما هو بمحاضرة دمشق ، ويشمل ما يكتب به عن
- الأبواب السلطانية على أربعة أصناف ... ٨
- الصف الأول — أرباب السيوف ، وهم على طبقات ... ٨
- الطبقة الأولى — من يكتب له تقليد في قطع الثلثين ... ٨
- » الثانية — من يكتب له تقليد في قطع النصف ... ٢٤
- » الثالثة — من يكتب له مرسوم ، وعلى مرتبتين ... ٢٦
- المرتبة الأولى — من يكتب له في قطع النصف ... ٢٦
- » الثانية — من المراسيم التي تكتب بمحاضرة دمشق لأرباب
- السيوف ما يكتب في قطع الثلث ... ٣٣
- الصف الثاني — من الوظائف بدمشق الوظائف الدينية ، وجميع
- ما يكتب فيها تواقع ، وعلى مرتبتين ... ٣٨
- المرتبة الأولى — ما يكتب في قطع النصف الخ ... ٣٨
- » الثانية — ما يكتب في قطع الثلث الخ ... ٥٩
- الصف الثالث — تواقع أرباب الوظائف الديوانية ، وفيها مرتبتان
- المرتبة الأولى — ما يكتب في قطع النصف الخ ... ٨٦
- » الثانية — من يكتب له في قطع الثلث الخ ... ٩٩

صفحة

- الصفحة الرابع - وظائف المتصوفة ومشايخ الخواص ، وفيها مرتبان ١٠١
- المرتبة الأولى - ما يكتب في قطع الثلث الخ ١٠١
- » الثانية - من يكتب له في قطع العادة الخ ١٠٣
- النوع الثاني - من وظائف دمشق ما هو خارج عن حاضرتها ١٠٤
- الطبقة الأولى - ما يكتب به مرسوم في قطع النصف ١٠٦
- الصفحة الثاني - ممن هم خارج دمشق أمراء العرب ، ومم على طبقتين ١١٨
- الطبقة الأولى - من يكتب له منهم تقليد في قطع النصف ... ١١٨
- » الثانية - من يكتب له مرسوم شريف ، ومم على مرتبتين ... ١٢٤
- المرتبة الأولى - من يكتب له في قطع النصف ١٢٤
- » الثانية - من يكتب في قطع الثلث ١٣٥
- النيابة الثانية - من نيابات البلاد الشامية نيابة حلب ، ووظائفها التي يكتب بها من الأبواب السلطانية على نوعين ... ١٤٠
- النوع الأول - من مجازرة حلب ، ومم على أصناف ١٤٠
- الصفحة الأول - منهم أرباب السيوف ، ومم على طبقتين ... ١٤٠
- الطبقة الأولى - من يكتب له تقليد في قطع الثلثين ١٤٠
- » الثانية - من يكتب له في قطع الثلث ١٥١
- الصفحة الثاني - أرباب الوظائف الدينية بحلب ، ومم على طبقتين ١٥٥
- الطبقة الأولى - من يكتب له في قطع الثلث الخ ١٥٥
- » الثانية - من يكتب له في قطع العادة ١٦٠
- الصفحة الثالث - من أرباب الوظائف بحلب أرباب الوظائف الديوانية ، ومم على طبقتين ١٦٠
- الطبقة الأولى - من يكتب له في قطع الثلث ١٦٠
- » الثانية - من يكتب له في قطع العادة ١٦٧

صفحة

- النوع الثانى — من أرباب الوظائف بالملكة الحليسة من هو
 خارج عن حاضرتها، وم على أصناف ... ١٦٨ ...
- الصف الأول — أرباب السيوف ... ١٦٨ ...
- » الثانى — الوظائف الدينية ... ١٧٤ ...
- » الثالث — الوظائف الديوانية ... ١٧٥ ...
- النيابة الثالثة — نيابة طرابلس ، ووظائفها التى جرت المادة بالكتابة فيها
 من الأبواب السلطانية على نوعين ... ١٧٦ ...
- النوع الأول — ما هو بمحاضرة طرابلس، وم على ثلاثة أصناف ... ١٧٦ ...
- الصف الأول — أرباب السيوف، وم على طبقين ... ١٧٦ ...
- الطبقة الأولى — من يكتب له تقليد ... ١٧٦ ...
- » الثانية — من يكتب له مرسوم فى قطع الثلث ... ١٧٩ ...
- الصف الثانى — الوظائف الدينية ، وم على مرتبتين ... ١٨٢ ...
- المرتبة الأولى — من يكتب له فى قطع الثلث ... ١٨٢ ...
- » الثانية — من يكتب له فى قطع العادة ... ١٨٧ ...
- الصف الثالث — الوظائف الديوانية ، وم على مرتبتين .. ١٨٨ ...
- المرتبة الأولى — ما يكتب فى قطع الثلث ... ١٨٨ ...
- » الثانية — من يكتب له فى قطع العادة ... ١٩٤ ...
- النوع الثانى — ما هو خارج عن حاضرة طرابلس، وم على ثلاثة أصناف ... ١٩٥ ...
- الصف الأول — أرباب السيوف، وم على طبقين ... ١٩٥ ...
- الطبقة الأولى — الطلبة الخاناه ... ١٩٥ ...
- » الثانية — العشرات ... ١٩٧ ...
- الصف الثانى — الوظائف الدينية ... ١٩٨ ...
- » الثالث — أرباب الوظائف الديوانية ... ٢٠٠ ...

» الثاني — أرباب الوظائف الدينية ٢٠٤

الصف الأول - أرباب السوف، وفيه وثليقتان ٢٠٥

» الثانية — نيابة قلعة صغد ٢٠٨

» الثالث — أرباب الوظائف الدينية ٢١١

الصفحة الأولى - أرباب السيف ٢١٢

النواة السابعة - نواة الكرك، وأرباب الولايات فيما على أصناف ... ٢٢٠

» الثاني — أرباب الوظائف الدينية ٢٣٢

» الثالث — أرباب الوظائف الديوانية ٢٣٢

بالديار المصرية ما يكتب لأرباب الوظائف

القاعدة الأولى - مكة المشرفة، وبها وظيفتان ٢٢٣

» الثانية - قضاء مكة ٢٤٠

القاعدة الثانية — المدينة النبوية، وبها ثلاث وظائف ٢٤٢

صفحة

- الوظيفة الأولى — الإمارة ٢٤٢
- » الثانية — القضاء ٢٥٨
- » الثالثة — مشيخة الحرم الشريف ٢٦٠
- القاعدة الثالثة — البنيع ، وبها وظيفة واحدة وهى النيابة ٢٦٢
- القسم الرابع — مما يكتب من الولايات عن الأبواب السلطانية
بالديار المصرية ما يقع على سبيل التدور ٢٦٥
- الفصل الثالث — من الباب الرابع من المقالة الخامسة فيما يكتب من
الولايات عن تواب السلطنة، وفيه طرزان ٢٨٠
- الطرف الأول — فى مقدمات هذه الولايات، ويتعلق بها مقاصد ٢٨٠
- المقصد الأول — فى بيان من تصدر عنه الولايات من تواب السلطنة ٢٨٠
- » الثانى — فى بيان الولايات التى تصدر عن تواب السلطنة
بالممالك الشامية ٢٨١
- » الثالث — فى افتتاحات التواقيع والمراسم بتلك الولايات ٢٨٢
- » الرابع — فى بيان الألقاب، وفيه أصناف ٢٨٣
- الصف الأول — أرباب السيوف، ولألقابهم مراتب ٢٨٥
- » الثانى — أرباب الوظائف الديوانية، وفيهم مراتب ٢٨٧
- » الثالث — من أرباب الولايات بالممالك الشامية أرباب
الوظائف الدينية، وفيه مراتب ٢٩٠
- » الرابع — من أرباب الولايات بالممالك الشامية مشايخ الصوفية ٢٩٢
- » الخامس — من أرباب الولايات بالممالك الشامية أمراء العربان ٢٩٣
- » السادس — من أرباب الولايات بالممالك الشامية أرباب
الوظائف العادية ٢٩٣
- » السابع — من أرباب الولايات بالممالك الشامية زعماء
أهل النعمة ٢٩٤

منه

- المقصود الخامس - في بيان مقادير قطع الورق المستعمل فيما يكتب عن ثواب الممالك الشامية... ٢٩٤
- » السادس - في بيان ما يكتب في طرزة التواقيع... ٢٩٥
- » السابع - في بيان كيفية ترتيب هذه التواقيع... ٢٩٩
- الطرف الثاني - في نسخ التواقيع المكتوبة عن ثواب السلطنة بالممالك الشامية، وفيه ثلاث نيات... ٢٩٩
- النيابة الأولى - الشام، والتواقيع التي تكتب بها على نحة أصف... ٣٠٠
- الصف الأول - ما يكتب بوظائف أرباب السيوف، وهو على ضربين... ٣٠٠
- الضرب الأول - ما هو بمحاضرة دمشق، وهو على مراتب... ٣٠٠
- المرتبة الأولى - ما يفتح بالحمد لله... ٣٠٠
- » الثانية - ما يفتح بأما بعد حمد الله... ٣٠٤
- » الثالثة - ما يفتح برسم بالأمر العالي... ٣٠٦
- الضرب الثاني - ممن يكتب له عن نائب السلطنة بالشام أرباب السيوف من هو بأعمال دمشق، ومواضع على ثلاث مراتب... ٣١١
- المرتبة الأولى - ما يفتح بالحمد لله... ٣١١
- » الثانية - ما يفتح بأما بعد حمد الله... ٣١٧
- » الثالثة - ما يفتح برسم... ٣٢٥
- الصف الثاني - تواقيع أرباب الوظائف الدينية، وهو على ضربين... ٣٣٧
- الضرب الأول - ما يكتب لمن هو بمحاضرة دمشق، وهو على ثلاث مراتب... ٣٣٧
- المرتبة الأولى - ما يفتح بالحمد لله... ٣٣٧
- » الثانية - ما يفتح بأما بعد حمد الله... ٣٥٩
- » الثالثة - ما يفتح برسم بالأمر... ٣٧٢

| | |
|---|-----|
| صفحة | |
| الضرب الثاني — ما يكتب به لمن هو بأعمال دمشق، وهو على مرتبتين | ٣٧٧ |
| المرتبة الأولى — ما يفتح بأما بعد حمد الله | ٣٧٧ |
| » الثانية — ما يفتح برسم بالأمر | ٣٧٩ |
| الصف الثالث — ما يكتب لأرباب الوظائف الديوانية ، | |
| وهي على ضربين | ٣٨٣ |
| الضرب الأول — ما يكتب لمن يحاضرة دمشق منهم ، | |
| وهو على ثلاث مراتب | ٣٨٣ |
| المرتبة الأولى — ما يفتح بالحمد لله | ٣٨٣ |
| » الثانية — ما يفتح بأما بعد حمد الله | ٣٩٠ |
| » الثالثة — ما يفتح برسم بالأمر الشريف | ٣٩٣ |
| الضرب الثاني — ما هو خارج عن حاضرة دمشق ، وغالب ما يكتب | |
| فيها من التواقيع مفتوح برسم | ٤٠٤ |
| الصف الرابع — تواقيع مشايخ الخواص ، وهي على ضربين | ٤١٠ |
| الضرب الأول — ما هو بحاضرة دمشق ، وهي على ثلاث مراتب | ٤١٠ |
| المرتبة الأولى — ما يفتح بالحمد لله | ٤١٠ |
| » الثانية — ما يفتح بأما بعد حمد الله | ٤١٧ |
| » الثالثة — ما يفتح برسم بالأمر | ٤١٩ |
| الضرب الثاني — ما هو بأعمال دمشق ، وفيه مرتبة واحدة | |
| وهي الافتتاح برسم | ٤٢٠ |
| الصف الخامس — تواقيع العربان | ٤٢٢ |
| » السادس — تواقيع زعماء أهل النمة من اليهود والنصارى | ٤٢٤ |
| النيابة الثانية — نيابة حلب | ٤٢٨ |
| » الثالثة — نيابة طرابلس | ٤٥٠ |

صَبْحُ الْأَسَدِ

الجزء الثاني عشر

دار الكتب السلطانية

كتاب

صنعة الأسيجة

تأليف

الشيخ أبي العباس أحمد القلقشندي

الجزء الثاني عشر

حقوق إعادة طبعه محفوظة لدار الكتب السلطانية

طبع
بالمطبعة الأميرية بالقاهرة
سنة ١٣٦٦ هـ
١٩١٨ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلّى الله وسلّم على سيدنا محمد وآله ومحبيه

القسم الثانى

(مما يُكْتَب من الولايات عن الأبواب السلطانية - [ما يكتب لأ] رباب

الوظائف بالممالك الشامية)

وأعلم أنّ تَوَاب السلطنة فى التولية على ضريين :

الضربُ الأول

(مَنْ لا تصدر عنه منهم توليةٌ فى عمل نيابته)

وهم تَوَاب الديار المصرية : من النائب الكافل ، ونائب الإسكندرية ، ونائب الوجه البحرى ، ونائب الوجه القبلى ، فليس لأحد منهم تصرف فى ولاية ولا عزل لنايب ، ولا كاشيف ، ولا وإلى حرب . إنما النائب الكافل يكتب فى بعض الأمور على القصص ، والسلطان هو الذى يشار الكابة على الولايات بنفسه ، والنائب الكافل يكتب بالاعتقاد على ما يكتب عليه السلطان ، كما تقدمت الإشارة إليه فى موضعه .

الضرب الثاني

(من تصدر عنه التولية والعزل في عمل نيابته)

وهم تَوَابُ السلطنة بالمالك الشامية السبعة المقدم ذكرها : من النيابات الصغار،
والوظائف الديوانية، والوظائف الدينية، ووظائف مشايخ التصوف، والوظائف
العادية : كرياسة الطب ونحوها، ووظائف زعماء أهل النعمة : من رئاسة اليهود،
وبطريكة النصارى، وغير ذلك .

فأما النيابات الصغار التي في أعمال النيابات العظام : فما كانت نيابته إمرة
عشرة فأكثر يولي في التواب ؛ وربما ولي في السلطان . وما كانت نيابته إمرة
طلبهاته فأكثر : يولي في السلطان، وربما ولي في التواب . وما كانت نيابته
تقدمة ألف، فولايته مختصة بالسلطان دون التواب .

وأما الوظائف الديوانية، فما كان منها صغيرا ككتابة الدرج وما في معناها ،
فأكثر ما يوليها التواب . وما كان منها جليلا : ككتابة السر وما في معناها، ونظر
الجيش، ونظر المال ، فتوليته مختصة بالسلطان . وما كان منها متوسطا بين
الطرفين : ككتابة الدست ونحوها : ففي ديمق تارة يولي فيها السلطان، وتارة يولي
فيها التواب . وفيها دونها من النيابات غالب من يولي فيها التواب، وقد يولي فيها
السلطان .

وأما الوظائف الدينية، فما كان منها صغيرا : كالتدريس الصغار، والخطابات
بالجوامع الصغار، وأنظار المدارس والجوامع الصغار، ونحو ذلك، فإنه يولي فيها

النواب ولا يؤلى فيها السلطان إلا نادراً . وما كان منها جليلاً : كقضاء القضاة ، فإن توليته مختصة بالسلطان . وما كان منها متوسطاً بين الرتبين : كقضاء العسكر ، وإنشاء دار العدل ، والحسبة ، ووكالة بيت المال ، ومشيخة الشيوخ ، ونحو ذلك : فتارة يؤلى فيها السلطان ، وتارة يؤلى فيها النواب . إلا أن تولية السلطان فيها في النيابات الجكار كالشام أكثر ، وتولية النواب فيها فيما دون ذلك أكثر .

وأما مشيخة الخواص فقد يؤلى فيها السلطان ، وقد يؤلى فيها النواب : إلا أن تولية السلطان في مشيخة الشيوخ بالشام أكثر ، وتولية النواب في غير مشيخة الشيوخ يدمشق وفي غيرها من وظائف الصوفية في غير دمشق أكثر .

وأما الوظائف العادية : كرياسة الطب ونحوها ، ففى جميع النيابات توليتها من النواب أكثر ، وربما ولى فيها السلطان .

وأما وظائف زعماء أهل الذمة : كرياسة اليهود ، وبطركية النصارى ، فيستبد بها النواب دون السلطان : لزيادة حقارتها في الوظيفة والبعد عن حضرة السلطان .

وقد تقدم في الكلام على ترتيب الممالك بالبلاد الشامية أنه كان بها سبع ممالك عظام استقرت سبع نيابات :

النيابة الأولى

(نيابة دمشق وسبر عنها بكفالة السلطنة بالشام)

وظائفها على نوعين :

النوع الأول

(ما هو بمحاضرة دمشق ، ويشتمل ما يكتب به من وظائفها
عن الأبواب السلطانية على أربعة أصناف)

الصف الأول

(أرباب السيوف ، وهم على طبقات)

الطبقة الأولى

(من يكتب له تقليد في قطع التلحين بـ «الملك العالي» مع الدعاء
بـ «هز الأنصار» : وهو نائب السلطنة بها)

وهذه نسخة تقليد بكفالة السلطنة بالشام ، كتب به عن السلطان الملك العادل
«كُتِبَا» للأمير «سيف الدين غرلو العادل» من إنشاء الشيخ شهاب الدين
محمود الحلبي ، وهو :

الحمد لله الذي جعل لسيف دولتنا على عاتق الملك الأعزّ نجاحاً ، وأدخلكم كفاً
ملكيتنا من الأولياء من تناسب وصفاه آجتهاً في مصالح الإسلام وجهاداً ، وعدق
أمور عايانا بن أيقظ لها سيمه وجفته فامتلت عيونه بما وهب وسلب من نومه
وتوهم العدا رقاداً ، ورفق ألوية إحساننا على من زاد برفعه ظل عدله أنيساطاً على
الرعية وأمتداداً ، ووطد قواعد ممالكنا بن أجلنا الفكر في حسن اختياره انتقاءً
لمصالح الإسلام وأتقاداً ، وأدى لشكر نعم الله التي لا يؤدى شكر بعضها ولو أن
ما في الأرض من شجرة أقلام أو كان البحر مداداً .

نُحْمَدُ عَلَى نِعَمِهِ الَّتِي جَعَلَتْ عِزًّا نَمَّا عَلَى الْأَبَدِ مَحْصُورَهُ، وَمَقَاصِدَنَا عَلَى مَصَالِحِ
الْمُسْلِمِينَ مَحْصُورَهُ، وَأَرَاءَنَا تَفُوزُ زَعَامَةُ الْحَيَوشِ إِلَى مَنْ تُصْبِحُ فِرْقُ الْأَعْدَاءِ
بِفَرْقِهِ مَغْرُورَةً وَمَمَالِكُهُمْ بِمَهَابَتِهِ مَحْصُورَهُ .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة لا تزال تنشر دعوتها في الآفاق .
وَنُزْهِفُ لِإِقَامَتِهَا فِي مَمَالِكِنَا سَيْفًا يَصِلُ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِقَطْعِهِ وَيَقْطَعُ إِلَّا الْأَرْزَاقَ ،
وَنُزْهِبُ مِنْ أَلَمِهَا بِكُلِّ وَلِيٍّ لُرْعِيهِ فِي الْقُلُوبِ رَكْضَ وَرَايَتِهِ فِي الْجَوَانِحِ خَفَقَ
وَالْأَسِنَّةِ فِي الصُّدُورِ إِشْرَاقَ ؛ وَنُشْهَدُ أَنَّ عَمْدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ أَشْرَفُ مِنْ قَوْصِ حُكْمَا
فِي أَيَّامِهِ إِلَى مَنْ اعْتَمَدَ عَلَيْهِ ، وَأَرَأُفُ مِنْ اسْتَخْلَفَ عَلَى مَنْ بَعْدَ عَنْهُ مِنْ أُمَّتِهِ مَنْ
يَعْلَمُ أَنَّ صَلَاحَهُمْ فِي يَدَيْهِ ، وَالطُّفُفُ مِنْ عَدَقِ شَيْئًا مِنْ أُمُورِ أَهْلِ مِلَّتِهِ بَيْنَ أَعَانَةِ اللَّهِ
وَسَدَدِهِ فِي دَفْعِ عَدُوِّهِمْ وَصَلَاحِ مَا يَرْفَعُ مِنْ أَحْوَالِهِمْ إِلَيْهِ ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ الَّذِينَ وَلَّوْا عَلَى الْأُمَّةِ فَعَدَلُوا ، وَأَمَرُوا بِمَا جَلَّهَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنَ الرَّأْفَةِ وَالنَّعْمَةِ
وَالرَّحْمَةِ فَامْتَلَأُوا ، وَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ فِيمَا نَهَجَ لَهُمْ مِنْ طُرُقِ طَرِيقَتِهِ الْمُثَلَّى فَا مَالُوا عَنْ
ذَلِكَ وَلَا عَدَلُوا ؛ صَلَاةً لَا تَقْرُبُ شَمْسُهَا ، وَلَا يَعْزُبُ أَشْهُهَا ، وَلَا تُتَبَّرُ أَوْقَاتُ إِقَامَتِهَا
إِلَّا وَيُقَصَّرُ عَنْ يَوْمِهَا فِي الْكَثْرَةِ أَمْسُهَا ؛ وَسَلْمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وبعد ، فإن أول ما أعملنا إليه ركائب الآراء المؤيدة ، وصرقنا إليه أزمّة
نجايب الأفكار المسدّدة ؛ وأجلنا فيه طُرُقَ النظر الذي لا يُسْقَى فِي بُلُوغِ الْغَايَةِ غُبَارُهُ
وَلَا يُدْرِكُ ، وَأَجَلْنَا الْأَمْرَ فِيهِ عَلَى التَّائِيْدِ الَّذِي هُوَ عَمْدَتُنَا فِيمَا يُؤْخَذُ مِنْ تَوَاقِبِ
الْآرَاءِ وَمَا يُتْرَكُ ؛ وَقَدَّعْنَا فِيهِ مِهْمَ الْاِسْتِخَارَةِ الَّذِي يَتْلُوهُ التَّوْفِيقُ ، وَعَلِمْنَا أَنَّ الذِّ
أَسْبَابَ الْاِكْتِدَاءِ إِلَيْهِ سَلُوكُ طَرِيقِ النَّصِيحِ لِلرَّسُولِ وَالْإِسْلَامِ فَسَلَكْنَا إِلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ

الطريق ؛ وقصصنا النية فيه على مصالح الأمة التي هي فرض العين بل عين الفرض ، وأطلقنا الإرثياد فيه لتعين من رزقوله من عناهم الله بقوله : ﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَامَهُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾ . وتنبأنا له سيفا لم يزل في صدور الأعداء صدره وفي يد جبار السموات قائمه ، وأردنا لتقديم الجيوش فيه زعيما طالما ملّ ضوء الصبح مما يُغيّره وملّ سواد الليل مما يزيحه ؛ وقدمنا له من تشا في حجر ولائنا ، وغدّى بلبان ربنا وألائنا ؛ وشهد الوقائع بين يدينا ، وخبرنا من سيرته التهوّص في الرعايا بما كتب الله لهم من الرأفة والرحمة علينا - أمر نيابة سلطنتنا الشريفة بالممالك الشامية التي نابت فيها مهابتنا ، عن الإقامة فيها ، وجعلتها عنايتنا ، من أشرف ممالكنا التي نخضعها على البعد بدوام الملاحظة ونصفيها ؛ وهي واسطة عقد ممالكنا ، ومحط رحال طرقتنا إلى جهاد الأعداء وسالينا ، وهالة أهلة سرى القصد إلى لحظها في أديم الأرض مواقع سنابينا ؛ ومواطن القربات التي نصت الآثار الصحيحة عليها ، ومظان العبادات التي طالما نصت ركائب العباد إليها ؛ ومقام الأبدال الذين هم أهل دار المقامه ، ومستقر طائفة الذين لا يزالون ظاهرين على أعدائهم لا يضرمهم من خذلهم إلى يوم القيامة ؛ وفلك الثغور الذي تُشرق منه كواكب سعودها ، وتصرف من نونه إلى من جاورها من العدا خاطفات بروقها وقاصفات رعودها ؛ فكّم ذى جنود أمها قهلق وما ملك عوسلك إليها يجيوشه قزّت وتزلزلت قدمه حيث سلك ولحيشها البأس الذي وجود الأعداء به عدم ، والحذ الذي يعرفه أهل السباق و[ان] أنكرته أعناقهم « فما بالمهد من قدم » .

وأن نقوض [أمرها] إلى من ينشرها على الأمة لواء عدلنا ، ويُسَطِّفها بالرأفة والرحمة رداء فضلتنا ، ويُنحي بها سُسن الإحسان التي مبدأ أيامها غايته من سلف من قبلنا ؛

ويقيم منار الملك من بأسه على أرفع عمّاد ، ويُلمع الرعايا من عدله في أوّل مهاد ؛
ويكفّ أكث الظلم إلى ما يتجاسر إلى إعادة يده إليها عاد ومن عاد ، ويجرد إلى
العدا من خياله وخيله سرايا تطرد عن موارد جفونهم بقوائمها الرقاد ؛ وتستعيد
عوارى أرواحهم من مستودعات أجسادهم فهي بحكم العارية غير مستقرة
في الأجساد ، ويصون الرتب عن تطرق من يفسد أحوالها لعدم أهليته : فإنه ماسك
أحد في إيمان طرّق الفساد فساد ؛ ويعلم به أنا جردنا على العدا سيفاً يسبق إليهم
العدل ، ويزاحم على قبض نفوسهم الأجل ، وتحتل بتقليده الدول ، ويحقق بشكك
أنه لا حاكم بيننا وبينهم إلا السيف الذي إن جار فيهم فقد عدل .

ولذلك لما كان المجلس العالى الفلانى : هو الذى اختزنه لذلك على علم ، وقلدناه
أمور الممالك : لما فيه من حدة بأس وآية حلم ؛ ونجّمنا عوده فكان كياناً على الأولياء
فقطاً على العدا ، وبلونا أوصافه فعلما منه السداد الذى لا يضح به الندى في موضع
السيف ولا السيف في موضع الندى ، وعرضنا سداً على حسن اعتبارنا للاكفاء
فكان سميراً (وجمل ، فزى معروضا وراع مسددا) ؛ وهرزناه فكان سيفاً ينصل
حده انقلب إذ أعضل ، وأعطناه أمر الجيوش فلم يختلف أحد في أنه أفضل
من الأفضل .

فلذلك رُسم بالأمر الشريف - لازل يصطفي من الأولياء كل كفى كريم -
أن تفوض إليه نيابة السلطنة الشريفة بالممالك الشامية : تفويضاً يعلى قدره ، ويسط
في مصالح الملك والممالك أمره ؛ ويطلق في مصالح الدولة القاهرة سيفه وكلّسه ،
ويدبّر على الأولياء إحساناً الذى إذا جارى القيت أحجل دوائه ديمه ؛ ويرفع بالعدل

مَتَارِ دَوَامٍ مُلْكًا الَّذِي قَرَنَهُ اللَّهُ لِلْأُمَّةِ بِمُجُودِنَا، وَيُضِيفُ بِاسْتِرْفَاعِ الْأَدْعِيَةِ الصَّالِحَةِ
لِدَوْلَتِنَا مِنْ كُلِّ لِسَانٍ جُنُودَ اللَّيْلِ إِلَى جُنُودِنَا، وَيَنْظُرُ فِي أُمُورِ الْمَمَالِكِ الشَّامِيَةِ نَظَرًا
عَاقِبًا، وَيُعْمَلُ فِي سِدَادِ ثَنُورِهَا وَسِدَادِ أُمُورِهَا رَأْيًا ثَاقِبًا وَفِكْرًا ثَابِتًا، وَيَأْمُرُ الثَّوَابِ
مِنْ سَدِّ خَلَلِهَا بِمَا كِفَايَتُهُ أَذْرَى بِهِ مِنْهُمْ، وَيَنْبِذُهُمْ مِنْ مَصَالِحِهَا عَلَى مَا ظَهَرَ لِفِكَرِهِ
الْمُصِيبِ وَخَفِيَ عَنْهُمْ، وَيُلَاحِظُ أُمُورًا مَا بَعُدَ مِنَ الْبِلَادِ كُلِّهَا حَظَّتْهُ أُمُورًا مَادَنًا،
وَيَنْظُرُ فِي تَفَاصِيلِ أُمُورِهَا: فَإِنَّمَا وَإِنْ كَانَتْ عَلَى السِّدَادِ فَلَيْسَ بِهَا عَنْ حُسْنِ نَظَرِهِ
غَنَى، وَيَسْلُكُ بِالرَّعَايَا سُنَنَ إِنْصَافِهِ اتِّى وَكَلَّتْهُ مَعْرِفَتُنَا بِهِ إِلَيْهَا، وَيُجَرِّبُهُمْ عَلَى عَوَائِدِ
الْإِحْسَانِ الَّتِي كَانَتْ مِنْ خُلُقِهِ سَجِيَّةً وَزِدْنَاهُ تَحْرِيطًا عَلَيْهَا .

وهو يعلم أن الله تعالى قد أقامنا من الجهاد في أعدائه بسنته وفرضه ، وممكن
لنا في الأرض : لإقامة دعوته وإعلاء كلمته وتطهير أرضه ، وعَضَدْنَا بِنَايِدِهِ لِنُصْرَةِ
الإسلام ، وأَمَدْنَا مِنْ عُدَدِ نَصْرِهِ بِكُلِّ سَيْفٍ تَرَوَّعَ الْأَعْدَاءُ بِهِ الْبَقِطَةُ وَتَسْلُهُ
عَلَيْهِمُ الْأَحْلَامُ ، وَبَثَّ سَرَايَا جِيُوشِنَا بَرًّا وَبَحْرًا : فِيهِ إِمَّا سَوَارٍ فِي الْبَرِّ تَمَرُّ مَرًّا
السَّحَابِ أَوْ جَوَارٍ مُنْشَأَتٌ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ، وَيَتَعَاهَدُ أَحْوَالُ الْجِيُوشِ الشَّامِيَةِ
كُلَّ يَوْمٍ بِنَفْسِهِ ، وَيَعِدُّهُمْ فِي غَدِهِ بِإِعَادَةِ مَا أَعْتَبَرَهُ مِنْ عَرْضِهِمْ فِي أَمْسِهِ ، وَيُرَتِّبُ
أَمْرَ كُلِّ إِقْلِيمٍ وَحَالَهُ ، وَيَتَفَقَّدُ مَنْ يَبَاشِرُ بِالتَّحْقِيقِ تَقَدُّمَهُ إِلَى الْأَطْرَافِ وَأَرْحَافِهِ ،
وَيَأْمُرُهُمْ كُلَّ يَوْمٍ بِالنَّاهِبِ لِلْعَرَضِ الَّذِي يَبَاشِرُهُ غَدًا بَيْنَ يَدَيْنَا ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



وهذه نسخة تقليد بكفالة السلطنة بالشام ، كتب به للأمر « جمال الدين أفرش
الأشرف » في جمادى الأولى ، سنة إحدى عشرة وسبعائة ، من إنشاء الشيخ شهاب
الدين محمود الحلبي رحمه الله تعالى ، وهي :

الحمد لله الذى جعل الدين فى ايماننا الزاهرة زليفاً بجماله ، سامياً بتقديم من
إذا أرهف فى الدب عنه سيف عزمه غدت الجنة تحت ظلاله ، حالياً بتفويض
زعامة جيوشه إلى من لو فآخربه البدور تعجبت من نقصانها وكاله ، عالياً بإيالة
من تتولد معاني النصر والظفر بين الكاملين : من روية رأيه وأرتجاله ، راقياً على هام
الكفر بعزائم من لا يزال تُصبح مهابة العدا بطلائع خيله وتبنيهم بطوارق خياله ،
نامياً بإستاد الحكم فيه إلى من يقطع أنصافه بين المبطّل ورجائه ويصل العدل [منه]
بين المحق وبين آماله .

نحمد على نعمه التى أنامت الرعايا من معدلتنا فى أوطان مهاد ، وأدامت الدعاء
الصالح لأيماننا بإعلاء كلمتي العدل والجهاد ، وأقامت الإيالة فى أسنى ممالكنا بن هو
أجرى من القيوت ، وأجرأ من اللبوث ، فى مصالح البلاد والعباد .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة لا تزال الألسن لإقامتها مديمه ،
والضائر على إدامتها مقيمه ، والقلوب تقفد من كلمة إخلاصها وإخلاص كلمتها فى جيد
الإيمان تميمه ، والتوحيد يُظهر أنوارها فى الوجوه الوسيمه ، بأمرين مطالع
القلوب السليمه .

ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذى جبهه على خلق عظيم ، وجهه وإن تأخر عصره
من مقام النبوة فى أعلى رتب التقديم ، ومن على الأئمة بإرساله إليهم من أنفسهم
وأنه بالمؤمنين رؤى وف رحيم ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين دُعوا إلى طاعته
وأجابوا ، وحكموا بسنته وأصابوا ، وجاهدوا المعرضين عن ملته حتى رجعوا إلى الهدى
وأجابوا ؛ صلاة لا تنيب أنوارها ، ولا يُفارق وجوه أهلها وقلوبهم رؤاؤها
ولرواؤها ؛ وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد، فإنه لما أجزانا الله عليه من عوائد نصره، وأغرانا به من حصص الشرك وحصره، ومنحنا من بسطة ملك زينت بها أسرار البسيطة وأسرها، وهبنا من فوائح فتوح علت على وجوه الكفر مساعها وبدت على وجوه الإسلام ممرتها - لم نزل تؤدى شكر نعم الله بالإحسان إلى عباده، ونستريد منها بتفويض أمورهم إلى من يقوم في الذب عنهم مقام الجيش على أفرادهم؛ فلا تقدم على الرأفة بحلق الله أمرا، ولا تخاف في بسط المعدلة عليهم زيدا ولا عمرا؛ ولا تعدل بهم عن إذا ركب في موكب نيابتنا زانه وجمله، وإذا جلس على ساطع عدلنا زاده وكماله؛ وإذا رسم بأمرنا أصغت السيوف إلى مراسيمه، وإذا نظر بعين عنايتنا تقرا أهدى الشب إلى مباسيمه؛ وإذا رام في مصالح الإسلام أمرا قرب على رأيه بعيد، وإذا رمى في حماية الممالك عدوا سبق إلى مقاتله قبل السيوف وعيده؛ وإذا جرد جيشا إلى أعداء الإسلام جرت قبل اللقاء ذبول هزائمه، ورأت الفرار امتنع لها من صوارمها، وتلت مافي كائنها من سهام ضعفت عن الطيران قوى قوادمها .

ولما كان الجناح العالى الفلانى هو معنى هذه الفرائد، وسر هذه الأوصاف التى للشرك منها مصائب هى عند الإسلام فوائد، وفارس هذه الحلبة، التى أحرز [قصص] سبقها، وكف هذه الرتبة، التى أخذها دون الأكفاء بحققها؛ لاناخذها فى الحق لومة لائم، ولا يأخذ أمر الجهاد إلا بجمه «وما ليل المجد بنائم» يسرى إلى قلوب الأعداء رعبه وهو فى مكانه، وتؤدى مهايته فى نكاية الكفر فرض الجهاد قبل إمكانه؛ ويستعق العتل فى الرعايا بالإحسان إليهم، ويجمع بين إرهاب المعتدين وشدة الوطأة عليهم؛ ويقف فى أحكامه مع الشريعة التى أعلى الله تعالى منارها، ويستضىء بأحكامها التى هى لابصار النظار تميز أنوارها .

وكانت المملكة الشامية المحروسة من الممالك الإسلامية بمنزلة القوة في إيمان ،
والواسطة في العقد الثمين ، والإدراك في الصدور ، والإشراف في البُدُور ، وبها الأرض
المقتسة ، والحُصُونُ التي هي على نكاية الأعداء مؤسسه ؛ ولها الجيوش التي ألفت
في الجهاد السرى ، وأُنِفَتْ لسيوفها في الجُفُونِ الكرى ؛ ومَرَّتْ على مَقَاتِلِ العدا
أَسْتَهَا ، وَصُرِفَتْ في مَسَالِكِ الحربِ أَعْتَهَا ؛ وراعتْ مُلُوكَ أَهْلِ الكُفْرِ سُمْعَهُ
أمرائها ، وحاطَتْها أمدادُ النصر في حروبها من بين يديها ومن ورائها ؛ وفيها من الأئمة
العلماء الأعيان من يعدل دَمَ الشهداء مدادُ أعلامهم ، ومن الأتقياء الصالحين من
لا تطيش دون مقاتل أهل الكفر مواقع سبائهم - أقتضت آراؤنا الشريفة أن نمتنع
هذه الرتبة السنية بجمالها ، وأن نبلغ هذه الدرجة السرية بن حوى هذه الأوصاف
الفارقة غاية آمالها ؛ ليصبح بها لواء عدلنا ، صرْفُوعَ الذواب ، ومَنْبَلُ فضلنا ، مَدْخُوعَ
الشوائب ؛ وكلمة جهادنا ، نافذة في المشارق والمغارب ، وقبضة بأسنا ، أخذة من أعداء
الدين بالذرا والفوارب ، وطلعة كاتبنا مؤتمنة بن توفيق الطير أن فريقه إذا ما ألتقى
الجمعان أول غالب .

فلذلك رسم بالأمر الشريف - لازالت صوارمه للشرك قاصمه ، ومراسمه لمصالح
الدين والدنيا جامع - أن تفوض إليه تفويضا يرفع علمه ، ويمضي في مصالح
الإسلام سيقه وقامه ؛ وينشر في آفاق الممالك الشامية عدله ، ويسط على رعايا
تلك الأقاليم المحروسة فضله وظله ؛ فيطلع في أفق المواكب هالة أهله ، وطرار
حليتها ، وطلعة لوائها ، وواسطة عقود مقدمها وآرائها ؛ وزينة تسيرها وقوفها ،
وحلية طلائعها وصفوفها ؛ ويجلس في مواطن الجلوس صادقا بالحق في حكمة ،
أمرا بإدامة التأييد للعدو في أيام سلمه ؛ مُعْطِيا منصِبَ النيابة الشريفة حقه من
الجلالة ، موفيا رُتبتَها المنيفة بما يجب لها من أهبة المهابة وكفاعة الكِبَالَةِ ؛ ولا يزال

لمصالح الجيوش المنصورة ملاحظًا، وعلى إزاحة أعضائهم تحفظًا؛ وإلى حركات عُدُو
الإسلام وسكّانه مُتطلِّمًا، وإلى مايتعين من إبطال مكايده مفسرًا؛ ولِوِطْنِ أحوالهم
بحسن الإطلاع مُحققًا، ولِجَمْعِهِم بَيْنَ الاجْتِمَاعِ لِقائهم مُفرِّقًا؛ فلا يُضْمِرُونَ مَكِيدَةً
إِلَّا وَعَلِمَها عنده قبل ظهورها لِسِمِّهم، ولا يُسِرُّونَ غَايَةً إِلَّا وَرَأَيْنا خَيْلَهُ الْمُفِيْرَةَ
أَسْبَقُ منها إِلَيْهم .

وَلِيَكُنْ لِمَنارِ الشَّرْعِ الشَّرِيفِ مُعْلِيًا، وَلِأَقْدَارِ أَرْبابِهِ مُعْلِيًا؛ وَلِرُتَبِ الْعُلَمَاءِ رَافِعًا،
وَلِأَقْوَالمِ فِي الْأَحْكامِ الشَّرْعِيَّةِ سَامِعًا؛ وَلِئَوَى الْبُيُوتِ الْقَدِيمَةِ مُكْرِمًا، وَلِأَهْلِ الْوَرَعِ
وَالصَّلاحِ مُعْظَمًا؛ وَعَلَى يَدِ الظَّالِمِ ضَارِبًا، وَفِي آفْتَاءِ الْأَدْعِيَةِ الصَّالِحَةِ لِدَوْلَتِنَا الْقَاهِرَةِ
رَافِعًا؛ وَلِجِلِّ النَّظَرِ فِي عِمَارَةِ الْبِلادِ مُدِيمًا، وَبِحُسْنِ الْفِكْرِ فِي أُمُورِ الْأُمُوالِ مُعْمِلًا
رَأْيًا بِمَصالحها عَلِيًّا، وَلِحِجَاتِ الْبِرِّ بِجِلِّ الْعَناءِ وَالْإِمانَةِ عَامِرًا، وَعَنْ كُلِّ مَا لَا يَجِبُ
أَعْيادُهُ ناهيًا وَبِكُلِّ ما يَتَعَيَّنُ فَعْلُهُ أَمْرًا . وَفِي كَمالِ خِلالِهِ، وَأَدْوَاتِ جَمالِهِ، ما يُغْنِي عَنْ
الْوَصايا إِلَّا عَلَى سَبِيلِ الذِّكْرِ الَّتِي تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ، وَتَرْفَعُ الْمُتَّقِينَ، وَمِلأُكُها قُوى
اللهِ تَعالَى وَهى مِنْ خِصائصِ نَفْسِهِ الْكَرِيمَةِ، وَعَوائِدِ سِرِّهِ الْخَدِيثَةِ وَالْقَدِيمَةِ؛ وَاللهُ
تَعالَى يَسُدُّهُ فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ، وَيُؤَيِّدُهُ وَقَدْ فَعَلَ؛ إِنْ شاءَ اللهُ تَعالَى .



وهذه نسخة تقليد بكفالة السلطنة بالشام، كتب بها للأمر «سيف الدين تنكر
الناصرى» في ربيع الأول سنة أثنى عشرة وسبعائة، من إنشاء الشيخ شهاب الدين
محمود الحلبي، وهى :

الحمد لله مُقَوِّضِ أَسْنَى الْمالِكِ فِي أَيْمانِنا الزَّاهِرَةِ إِلَى مَنْ تَرْتَهو بِتَقْلِيدِهِ، وَمُسَيِّدِ
قَواعِدِ أَسْمَى الْأَقالِمِ فِي دَوْلَتِنَا الْقَاهِرَةِ بِمَنْ يعلو بِإِمانِهِ ما يُلْقَى إِلَيْهِ مَعاقِدُ مَقاليدِهِ؛

وَمُسَدِّدَ الآرَاءِ فِي تَصْرِيفِ أَعْنَةِ جِيوشِنا المنصورة بتقديم مَنْ تَقْدُمُ سَيُوفُهُ مِنْ
عُنُقِ كُلِّ مُتَوَجِّعٍ مِنَ الْعِيدِ فَلَاذَةً جَيِّدَةً ، وَتَأْشِيرَ لَوَاءِ الْعَدْلِ فِي رِجَالِنَا وَإِنْ بَسُّوْا
بِمَنْ تُنَلِّمُ كُلًّا مِنْهُمْ فِي مَهْدِ الْأَمْنِ وَالِدَّةِ يَدَ مَهَابَتِهِ وَتَهْمِيدِهِ ، وَمُعْلِي مَسَارِ الْجِهَادِ
فِي سَبِيلِهِ بَمَنْ إِذَا جَرَدَ سَيْفَهُ فِي وَعْيِ تَهَلُّتْ نَوَاجِدُ أَفْوَاهِ الْمَنَائَا الضَّوَاحِكِ بَيْنَ تَجْرِيرِهِ
وَتَجْرِيدِهِ .

نَحْمَدُهُ عَلَى نَيْصِهِ الَّتِي أَيْدَتْ آرَاءَنَا بِوَضْعِ كُلِّ شَيْءٍ فِي مُسْتَحَقِّهِ ، وَقَلَّدَتْ سَيْفَ
النَّصْرِ مِنْ أَوْلِيَانَا مَنْ يَأْخُذُهُ فِي مَصَالِحِ الْإِسْلَامِ بِحَقِّهِ ، وَجَدَّدَتْ آلَانَا لِمَنْ إِذَا جَارَتْ
الْحُنُوفُ سَيُوفُهُ إِلَى مَقَاتِلِ الْعِدَا فَاتَهَا وَفَاقَهَا بِمَزِيَّتِي كِفَايَتِهِ وَسَبْقِهِ .

وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً لَا تَزَالُ أَلَسْتَنَا تَرْفَعُ مَنَارَهَا ،
وَسَيُوفُنَا تَهْبِلُ مِنْ بَحْدِهَا قَبْلُ نَارِهَا ، وَأَرَاؤُنَا تَقْوُضُ مَصَالِحَ جُمَّلَتِهَا إِلَى مَنْ إِذَا رَجَعَتْ
لِنَصْرَةٍ أَتَاهَا وَإِذَا أَسْدَتْ مَعْلِلَةً أَنَارَهَا .

وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي أَيْدَى اللَّهُ بَنَصْرِهِ ، وَجَعَلَهُ سَابِقَ مَنْ تَقَدَّمَ
مِنَ الرُّسُلِ عَلَى عَصْرِهِ ، وَأَتَاهُ مِنَ الْفَضَائِلِ مَا يَفْضِيقُ النُّطْقُ عَنْ إِحْصَائِهِ وَمِنْ
الْمُعْجَزَاتِ مَا يَتَحَوَّلُ الْحَصَرُ دُونَ حَضْرِهِ ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ تَمَسَّكُوا
بِهِدَاهِ ، وَهَجَرُوا فِي طَاعَتِهِ مَنْ عَادَاهُ ، وَنَهَضُوا فِي رِضَا اللَّهِ تَعَالَى وَرِضَاهُ إِلَى مَقْلَانٍ
الْجِهَادِ وَإِنْ بَسُّدَ مَدَاهُ ؛ صَلَاةٌ يَشْفَعُهَا التَّسْلِيمُ ، وَبَيْتُنِي إِقَامَتَهَا عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ
أَجْرٌ عَظِيمٌ ؛ وَسَلَمٌ تَسْلِيًا كَثِيرًا .

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ أَوَّلَى مَا أَعْمَلْنَا فِي مَصَالِحِ الْفِكْرِ ، وَتَدَبَّرْنَا أَحْوَالَهُ بِكُلِّ رَأْيٍ يُسَدِّدُهُ
الْحُزْمُ الْمُرَوِّى وَيُؤَيِّدُهُ الْإِلْهَامُ الْمُبْتَكَّرُ ، وَقَدَّمْنَا فِيهِ الْاِسْتِخَارَةَ عَلَى مَا جَزَمَ الْيَقِينُ بِأَنَّ
الْخَيْرَ لِلْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ فِي أَعْمَادِهِ ، وَتَمَسَّكْنَا فِيهِ بِحَبْلِ التَّوْفِيقِ الَّذِي مَازَالَ تَتَكَفَّلُ

لنا في كُلِّ أمرٍ بِسَدَادِهِ وفي كُلِّ نَفيٍّ بِسَدَادِهِ - أمرُ الممالك الشامية التي هي وَاسِطَةُ عِقْدِ الممالك، وَجَمْعُ ما يُقْضَى إلى مواطنِ النُصر من المسالك؛ ومَرَكُزُ فَلكِ الأقاليم الذي تَنْتَظِمُ عليه بُرُوجُ نُفُورِها، وَنُقْطَةُ دائِرَةِ الحُصُون التي منها مَادَتُها وعليها مَدَارُ أُمُورِها؛ وَغَيْلُ لُيُوثِ الحرب التي كمِ أَنْشَبَتْ أَظْفَارَ اسْتِثْنائِها في طُرَةِ ظَفَرٍ، وَمَوَاطِنُ فُرُوسانِ الوَعَى التي كمِ اسْفَرَعنَ إِطْلاقِ أَعْتَبِها إلى غَايَاتِ النُصْر وَجِهَهُ سَفَرٌ؛ وَأَنْ تَرْتَادَ لِكِفَالَةِ أُمُورِها، وَكِفَايَةِ جُمُهورِها، وَحِمايَةِ مَعاقِلِها المُنُصَّوَةِ وَنُفُورِها؛ وَزَعَامَةُ جُيُوشِها، وَإِرْغامُ طَارِقِ أطرافِها من أعداءِ الدين وَنَلَّ عُرُوشِها، مَنْ جَرَدَهُ الدِّينُ فَكانَ سَبِيْقًا على أعدائِهِ، وَأَنْتَقاهُ حُسْنُ نَظَرِنا لِلسامِينِ فَكانَ التُوفِيقُ الإلهي مُتَوَلَّى جَبيلِ أَنْتِقاده وَأَنْتِقائِهِ؛ وَجَمْعُنا عَوْدَ أوصافِهِ فوجَدناه قَوِيًّا في دِينِهِ، مُتَمَكِّنًا في طاعنِهِ بِإِخلاصِ نَقِوَاهُ وَصِحَّةِ بَقِيَّتِهِ؛ مَتَقَطِّا لِمِصْالِحِ الإسلامِ والمُسلمينِ في حَالَتَي حَرَكَتِهِ وَسُكُونِهِ، آخِذًا عِنايَةَ الحَزْمِ بِئِسرِئِسرِهِ وَسِنايَةَ العَزْمِ بِمِئْنِ يَمِينِهِ؛ وَأَقِفًا مَعَ الحَقِّ لِدَلائِلِهِ، مَقْدَمًا مَشائِقَ الجِهادِ على سائِرِ ما رَبه وَلَدَائِهِ؛ ماضِيًا كَسِيفِهِ إِلَّا أَنَّهُ [لا] يالِفُ كَالسِيفِ الجُفُونِ، راضِيًا في رَاحَةِ الأَنحرَةِ بِمِنايِبِ الدُّنيا وَمِصاعِبِها فَلَا يَرعَى في مَوَاطِنِ الجِهادِ إِذا حَلَّها أَثْكَافُ المُوَيِّنا وَلَا رَوْضَ المُهْدُونِ؛ ما نَمَّا جِىَ الإسلامُ لا "جِىَ الوَقْى" يَضْرِبُ، يَفْرُقُ بَيْنَ أَسبابِ الحِياةِ و"يُؤَلِّفُ بَيْنَ أَشْئَاتِ المَوْتِ".

ولما كانَ فلانُ هو الذي تَشَوَّفُ هذه الرِّبَّةُ إلى أَنْ تَجْمَلَ بِهِ مَوَاطِنُها، وتَتَكَلَّمُ بِهِ مَرَاتِبُها، وتَنْتَظِمُ على دَسْتِهِ هالَةٌ أُمُراتِها كما تَنْتَظِمُ على هالَةِ بَدْرِ السَّما كَوَاطِبُها؛ إِذا طَلَعَ في أَفْقٍ مُوَكِّبُ أَغْشَتِ الأَعْداءِ جَلالَتِهِ، وَأَعَدَّتِ الأُولياءُ بِسائِلَتِهِ؛ وَسَرَّى إلى قُلُوبِ أَهلِ الكُفْرِ رُعبَهُ، وفَعَلَ فيهِم سائِلَهُ ما يَفْعَلُ مِنْ غَيرِهِ حَرْبُهُ؛ وَإِذا جَلَسَ على بَساطِ عَدْلٍ حَرَسَ الباطِلَ، وَأَنْجِزَ ما في دِئِمَةِ المَاطِلِ؛ وَتَكَلَّمَ الحَقُّ بِمِلْءِ فيه، وَتَبَرَّأَ الباطِلُ حَتَّى مَنَّ بَئِسرَهُ وَيُخَفِّيه؛ وَإِنْ نَظَرَ في مِصْالِحِ البلادِ أَعانَ القِيتَ على

رَبِّهَا بِرَفْقِهِ ، وَأَعَادَ رَوِّقَ عِمَارَتِهَا بِكَفِّ أَكْثَفِ الظُّلْمِ وَوَصُولِ كُلِّ ذِي حَقٍّ إِلَى حَقِّهِ - أَقْتَضَتْ آرَاؤُنَا الشَّرِيفَةَ أَنْ تَجْعَلَ فُنُونُ أَفْئَانِهِ بِمِثْنِ إِيَابَتِهِ دَانِيَةَ الْقُطُوفِ ، وَأَنْ نُصَبِّرَ جَنَّتَهَا تَحْتَ ظِلَالِ سَيْفِهِ : فَإِنْ «الْجَنَّةُ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ» .

فلذلك رُئِىَ بالأمر الشريف - لازالَ زَمَنُ عَصْرِهِ ، مُؤَرَّخًا بِالْفُتُوحِ ، وَسَيْفُ نَصْرِهِ ، عَلَى مَنْ كَفَرَ دَعْوَةَ نُوحٍ - أَنْ تَقُوضَ إِلَيْهِ نِيَابَةُ السُّلْطَنَةِ الشَّرِيفَةِ بِالشَّامِ الْمَحْرُوسِ : تَقْوِيضًا يُحْسِنُ بِهِ الْمُنَاسَبَ فِي تِلْكَ الْمَمَالِكِ عَنَّا ، وَيَنْشُرُ فِيهَا مِنَ الْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ مَا يُلْقَاهُ مِنَّا ؛ وَيُلْبِسُهَا مِنْ حُلِّ الْمَهَابَةِ مَا يُضَاعِفُ بِهِ أَمَنَ سِرِّيَّهَا ، وَتُصْبِحُ بِهِ السُّيُوفُ الْمَجْرُودَةُ أَحْفَظَ لَهَا مِنْ قُرْبِهَا ؛ وَيَطْلُعُ فِي أَفْقِ مَوَاقِبِهَا الْجَلِيلَةِ طُلُوعُ الشَّمْسِ الَّتِي يَمُومُ نَفْعُهَا ، وَيُعْشَى التَّوَاطُرَ لَمَعُهَا ؛ وَيَجْلِسُ فِي دَسْتِ نِيَابَتِنَا حَاكِمًا فِيهَا بِأَمْرِنَا ، جَازِمًا بِحُكْمِ الشَّرْعِ الشَّرِيفِ الَّذِي قَدْ عَلِمَ أَنَّهُ حِلْيَةُ سِرِّنَا وَجَهْرُنَا ؛ نَاشِرًا مِنْ مَهَابَةِ الْمُلْكِ مَا تَرْجَفُ لَهُ الْقُلُوبُ مِنَ الْعِدَاءِ ، وَتُصَبِّحُهُمْ بِهِ سَرَايَا رَعِيَّتِهِ عَلَى بَعْدِ الْمَدَى ؛ مُلْزِمًا مَنْ قَبْلَهُ مِنَ الْجِيُوشِ الْمَنْصُورَةِ بِمُضَاعَفَةِ إِعْدَادِ الْقُوَّةِ ، وَإِدَامَةِ التَّأْهِيبِ الَّذِي لَا تَبْرَحُ بِسُمْعَتِهِ يَلَادُ أَهْلَ الْكُفْرِ مَغْرُورَهُ ؛ مُطْعِمًا عَلَى أَحْوَالِ الْعِدَاءِ بِلُطْفِ مَقَاصِدِهِ ، وَنِكَايَةً مَكَايِدِهِ ، وَحُسْنَ مَصَادِرِهِ فِي التَّدْيِيرِ وَمَوَارِدِهِ ؛ فَلَا يَرْمُونَ أَحَرًا إِلَّا وَقَدْ سَبَقَهُمْ إِلَا نَقِصَ مَبْرَمِهِ ، وَلَا يَقْتَمُونَ رَجُلًا إِلَّا وَقَدْ أَحْرَمُوا بَوَثْبَاتِ إِقْدَامِهِ وَثَبَاتِ قَدَمِهِ . وَلَيُعْظَمُ مَنَازِلُ الشَّرْعِ الشَّرِيفِ بِتَكْرِيمِ حُكْمِهِ ، وَالْوُقُوفِ مَعَ أَحْكَامِهِ ؛ وَيَرْفَعُ أَقْدَارَ حَمَلَةِ الْعِلْمِ بِرَفْقِهِ أَسْرَارِهِمْ ، وَتَسْهِّلُ مَآرِجَهُمْ وَأَوْتَاطِرَهُمْ ؛ وَلَيُعَمِّمُ الرِّعَايَا بِعَدْلِهِ وَإِنْصَافِهِ ، وَيَسْتَرْفِعُ لَنَا أَدْعِيَةَ الْأَوْلِيَاءِ وَالْمُصْلَحَاءِ بِإِسْعَادِهِ وَإِسْعَافِهِ . وَفِي خِصَائِصِ أَوْصَافِهِ الْكَرِيمَةِ ، وَتَحْيَايَاهُ الَّتِي هِيَ لِمَصَالِحِ الْإِسْلَامِ مُسْتَدِيمَةٌ ؛ مَا يُغْنِي عَنْ تَسْلِيدِ فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يُؤَيِّدُهُ وَقَدْ فَعَلَ ، وَيَجْعَلُهُ مِنْ أَوْلِيَائِهِ الْمُتَّقِينَ وَقَدْ جَعَلَ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



وهذه نسخة تقليد بكفالة السلطنة بالشام، كتب به للأ مير «يلغا الكاملي» بعد نيابته بحلب وحمّاء، من إنشاء المقر الشهابي بن فضل الله، وهي :

الحمد لله مجرى الأقدار ، برقة الأقدار ، ومُثرى آمال من حسنت له في خدمتنا
الآثار ، بمواهب العطايا والإيثار ، ومُثرى غروريس نعم أولياتنا التي رعى عهدها عهاد
مُحب جودنا الغزار ؛ جاعل أصفياء مملكتنا الشريفة كُل حين في آزدباد ، ومانج
المخلصين في خدمتنا صرّيد الإسماعف والإسماعد ، وفتاح أبواب التأييد بسيوف أنصارنا
التي لا تجمّع في الأتعماد .

نحمده على مواهب نصيره ، ونشكره على إدراك المآرب من جوده الذي يعجز
لسان القلم عن حصّره ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تؤيد
قائلها في موافقه ، وتجمع له من خير الدنيا بين تآله وطآريره ؛ ونشهد أن محمدا عبده
ورسوله الذي هدّى الله به هذه الأمة من الضلال ، وقضّل به المجاهدين حيث
جعل الجنة تحت ما يسبّونهم من ظلال . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة
لا انفصام لعرّوتها ولا انفصال ، ولا انقضاء لأسبابها ولا زوال ؛ وسلم تسليما كثيرا .

أما بعد ، فإن أولى من أنتدب لحفظ ممالك الإسلام ، وأمين على صونها بمنزلة
الذي لا يسأى ولا يسام ، وأُسند إليه من أمور الرعايا بأجل الممالك ما يقضى بمنزلة
التكريم ، وأُعتمد على صيانتته وديانتته لمّا شهد الاختبار بأنه أهل للتقديم ؛ وجريت
الدول مخالصته ، ومُحقّق أهتامة الذي بلغه من العزّ غايته ؛ وأثنت على حسن سيرته
وسيرته سوايق خدمه ، وشكر أهتامة في المخالصة التي أعربت عن عزمه ؛ ففاق
أشباهاً وأنظارا ، وكفل المالك الشريفة الحليّة والجموية فايدها أعرانا وأنصارا ؛

وبسط فيها من العدل والإنصاف ما أعلی له شأنًا ورفَع له مقدارًا ، وسلك فيها مَسْلَكًا شَفَّ أَسْماءًا وشَرَّفَ أَبصارًا .

ولما كان المقرّ الكريم (إلى آخره) هو صاحب هذه المناقب ، وفارس هذه المقائِب ، ونير هذه الكواكب ، كم أبهج النفوس بمآله من عزيم مشكور ، وحزم مأثور ، ووَصِفَ بالجميل مَوْفُور .

فلذلك رسم بالأمر الشريف - لا زال لسيف أوليائه مُرْهِقًا ، ولا بِرَحْ لأخصائه مُسْعِدًا ومُسْعِفًا - أن تفوض إلى المشار إليه نيابة السلطنة الشريفة بالشام المحروس ، على أجل عوائد من تقتمه في ذلك وأكل قواعده . فليتناول هذا التقليد الشريف بيد لم يزل لها في الولاء الباع المديد الطويل ، ويتلق هذا الإحسان بالشكر الذي هو بدوام النعمة خير كِفيل ؛ ويضاعف ما هو عليه من اهتمام لم يزل منه مألُوفًا ، وأعتَرام إذا لاقى غيره مُهماً واحداً لاقى هو أُلُوفًا ؛ ويُعَيِّن النظر في مصالح هذه المملكة الشامية المحروسة ، ويعتمد من حُسن تديره ما تفسد رُبوعها بحسن ملاحظته حَامِرَةً مانوسة . وهو يعلم أن العدل من شيم دولتنا الشريفة ، وبجبة أيماننا التي هي على هام الجوزاء مُنِيفَةٌ ؛ فليسلك مَنَنه ، ويتبع فَرَضَه وسُنَنَه ؛ ويعلم أن عدل سَنَةِ خير من عبادة ستين سَنَةٍ ، ولينشر على الرعايا مَلَائِسَه الحَسَنَه ؛ ويعظم الشَّرْع الشريف وحُكَّامَه ؛ ويُعَيِّن الإقطاعات لمن يستحقها من الأيتام أو يوجب الاستحقاق إكْرَامَه ؛ والله تعالى يجعل السعد خلفه وأمامه ، ويؤيده تأييدًا يبلغه مُرَادَه من النصر ومَرَامَه ؛ إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة تقليد بكفالة السلطنة بالشام :

الحمد لله الذى طهر الشَّامَ وَقَدَّسَهُ ، وصَانَهُ وَحَرَّمَهُ ، وجعل لسلطاننا فيه قواعدَ
بالنصر مؤسَّسَهُ ، وأنوارا للهدى مقتبَسَهُ ، وكَفَّلَهُ بِنِ إِذَا صَفَّ لَهُ العدوُّ أَفْتَرَسَهُ ،
وَأَذَلَّهُ وَأَرْكَسَهُ ، وأَرْغَمَ مَعِطَسَهُ ، وَقَطَفَ بِسَيْفِهِ أَرْؤُسَهُ ، وَمَنْ يُعْطَى النَّصْرَ إِذَا أَمْتَطَى
قَرَسَهُ ، وَمَنْ كَرَّمَ اللَّهُ نَفْسَهُ ، وَكَثَّرَ أَنْسَهُ ، وَعَطَّرَ نَفْسَهُ ، وَمَنْ يُنْصَفُ الْمَظْلُومَ مِنْ ظَالِمِهِ
وَيَبْلُغُ السَّائِلَ مُلْتَمَسَهُ ، وَمَنْ لَيْسَ ثَوْبَ الْعَافِ وَالْتَقَى فَكَانَ خَيْرَ ثَوْبٍ لَيْسَهُ .

نحمده على أَصْلٍ جُودٍ غَرَّسَهُ ، وعَارِضٍ سَوْءٍ حَبَسَهُ ، ونشهد أن لا إله إلا الله
وحده لا شريك له شهادةً أزالَتِ الشِّرْكَ وَحَمَّتْ نَجَّسَهُ ، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله
الذى أنبأ الله من أصابعه عَيْنًا مُبِينِجَهُ ، وَأَخْضَرَ الْعُودَ الْيَابِسَ لِمَا لَمَسَهُ ، وَأَضْعَفَ
الْوَسَاوِسَ الْمُخْتَلَسَهُ ، وَأَتَرَعَ الْحَقَّ مِنْ بَحْسِهِ ، وحماه الله مِنَ الشَّيْطَانِ لِمَا وَلَدَ
فِي تَحْسَهُ ، وَنَوَّرَ الْقَلْبَ الَّذِي خِمْ عَلَيْهِ الضَّلَالُ وَطَمَسَهُ ، وَكَانَ الشِّرْكَ قَدْ أَتَبَتْ
فِي الْأَرْضِ فُطُوَاهُ دِينَهُ وَكَبَسَهُ ، ومجاهدَ دَرَسَهُ ، وجاء بالقرءان فُطُوِيْ لِمَنْ تَلَاهُ
وَدَرَسَهُ ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ : ﴿ وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُهُ ﴾ صلى الله
عليه وعلى آله وَحَبَّه مَا أَوْجَبَ اللَّهُ الْبَيْلَ فِي النَّهَارِ وَتَمَسَّهُ ، وَمَيَّزَ بِنِصْفِ الْعَدَدِ مِنْ
الثَّلَثِ سُدَّسَهُ ، وسلم تسليما كثيرا .

أما بعد ، فإن الشَّامَ هُوَ عَقْدُ النَّظَامِ ، وَأَجَلُ مَمَالِكِ الْإِسْلَامِ ، وَمَعْدِنُ النَّصْرِ
الَّذِي بَرُوقُهُ تُشَامُ ، وَمُسْتَقَرُّ الْبَرَكَاتِ الْوَسَامِ ، وَصَنْكَرُهُ أَفْضَلُ عَسْكَرٍ فِي حَسَنِ
الاعْتِرَاءِ وَالْإِعْتِرَامِ ، لَا يَرْهَبُونَ الْحِمَامَ ، وَيَخْضَوْنَ لِحُجِّ الْمُنُونِ بِالْحُسَامِ ، وَنِيَابَةُ
السلطنة الشريفة به من أَجَلِ النِّيَابَاتِ مَقْدَارًا ، وَأَكْرَمِيهَا أَتَارًا ، وَأَعَزَّهَا أَنْصَارًا ،

إذ هو تقيّ أو امرئ الشريفة المنظوية عليها أسرار البريد، ومن عنده تنفزع المهمات للقریب والبعيد، وعنه يصدر البريد، وإليه يرد بكل شاء جديد، ومنه يأتى إلى مسامعتنا الشريفة بما نريد، فلا يحل دار سعادتها إلا من هو منصور سعيد، ودورأي سيد، وحزم حديد، وقد آخرتنا لها بحمد الله كفاها المعيد.

ولما كان فلان هو الضاري على العدا، وألغيت المتوالي الندى، والهام الذى جرد سيف عزيمه أبدا فلا يرى مغمدا، وأصنف بحسن الصفات فساد سدى؛ قد تجملت الممالك بأرائه ورأياته، وثباته وثباته، ورويض تدبيره وطيب نبأته، وحسن اعتاده فى خدمة ملوكا الشريف ومهمات؛ إن ذكرت الموالاة الصادقة كان رأيي مستديها، وسأوى جيدها، والآوى إلى ظلها المديد وطيب مودعها؛ وإن ذكرت الشجاعة كان زعيم كائبها، ومظهر عجايبها، وليت مضاربها، ومجرد قواضيه، وفارس جنائها، ومطلب أطلابها ومُنَجِّح مطالبا، ومجلى غايبها - أقتضى حسن الرأي الشريف أن يُعقد عليه لواء الاحتشام، فى الشام؛ وأن يُخص بالبركات، المُنَظَّصة من الدرركات.

فلذلك رسم بالأمر الشريف أن تفوض إليه نيابة السلطنة الشريفة بالشام المحروس، على عادة من تقمه وقاعدته، وأن يكون داخلًا فى نيابته الشريفة ما هو مضاف إلى الشام المحروس: من ممالك وقلاع، ومدن وضياع، وتُتُور وموانى، وسواحل فى أقاص وأداني؛ تفويضا أَسَقَّتْ دُرَّه، وأشرق غُرَّه، وتليت آياته وسوره.

فليُهمَّ بالعدل أكتاف البلاد، وليُنظر بعين الرعاية والسداد؛ وليُنشر لواء الإنصاف، لتكون الأمة تحت ظله الضافي وإليه الحق مضاف. وليُنذر الأرزاق

من الأخلاف ، وليأمر بإقامة الحدود على شارب السلاف ، وعلى السارقين بالقطع من خلاف ؛ وليستترهف عزائم السائر المنصورة في القتال والجهاد ، وليأخذهم بحسن الاستعداد ، وليعرف للأمراء منازلهم : فإنهم أركان وأعضاء ، وأنصار وأتباع ، وأولياء توليت الشريعة الماحون للفساد ، ومن تجعل بهم الموارب وتتفطر بهم العدا الأكد ؛ والله الله في الشرع الشريف وإقامة مناره ، وتنفيذ كليمه أحكامه وإزالة أعذاره ؛ والتقوى فهي أفضل شعاره ، وقوة أبصاره ؛ والوصايا منه يشرى هلالاً إلى أن يتم في إبداره ، ويتكل بأنواره ، وهو غني عن إكثاره .
نفذ تقليدنا هذا باليمن ، وألبس من هذا التفويض الملبس الأثنى الثمين ؛ وأخبار البريد المنصور فلا تقطعها عنا ، فنه إلينا ترد أخبار البريد وإليه ترد المهمات منا ، والله تعالى يخوله كل يوم من إحساننا في الزيادة والحسن ؛ والخط الشريف أعلاه .

الطبقة الثانية

(من يكتب له تقليد شريف في قطع النصف بـ «المجلس العالي»)

وهو الوزير من أرباب السيوف ، وهو بالملكة الشامية

على حد الوزير بالديار المصرية)

وهذه نسخة مرسوم من ذلك :

الحمد لله مسدد مهام الاختيار ، ومسير الأولياء إلى منازل العلما مسير الأهلة إلى منازل الإبدار ، الذي جدد نعماً ، وعدد كرمًا ، وعلم مواقع الاضطرار ، إلى مواقع الأوزار ، فأرسل إليها من تستهل آراؤه ديمًا .

نحمده حمدا كثيرا ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له لم يتخذ صاحبا ولا وزيرا ؛ ونصل على سيدنا محمد الذي عمر الله به البلاد تميها ، وأحسن بالعدل

تقريباً ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين ظاهروه بالسيوف والأقلام كاتباً وأميراً ، صلاة لا ينقطع تَوَالِيها ، ولا تزال الآفاق تَتَنَاقَلها وتَسْتَهْدِيها .

وبعد ، فإنَّ أولى من عَظُم شأنه ، وَكُرُم مكانه ، وثبت إمكانه ، وأُنِيت في مَنَائِت الرماح قلْمه الذى هو ترجمانه ، وبُسِطَتْ في تشييد الممالك يَدُه وأُطْلِق لِسَانُه من كان علامة العلم ، وغداً بالنشاط في كِبَرِه قَبِي السَّن كَهْل الحِلْم ؛ الذى فاق جلالَةَ ونَسَباً ، وأَسْتَعْلَى هِمَّةً وأدباً ، وعُرِفَ بالديانة التى طار صَبْغُها فى الآفاق شرقاً ومغرباً ، والهيمَةُ التى سواء عليها أَحَلَّت قَلَمًا أم آتَتْضَتْ قُضْبًا .

ولما كُنْتُ أُمُّا المجلس القلانى - أدام الله تأييدَكَ ، وتَسْدِيدَكَ وتمهيدَكَ ، وَكَبَتْ حُسُودَكَ ، وضاعف صُعودَكَ - أَنْتَ الْمُنْعَى بهذه المآثر ، الْمُنْضَدَّة عَلَيْكَ هذه الجواهر ، الدالَّة على مناقبك هذه المفاخر ، الذى وَجَدْنَاكَ على الانتقاد تزيد استخلاصاً ، وتَعْدُو على السَّبْكِ خَلَاصًا .

فلذلك خرج الأمر الشريف أن تُوزَرَ ، ويُحْمَى مواردُ آرائِكَ تُسْتَغْزَرُ ، ويكونَ لك الحكم فى المملكة الشامية عموماً ، وَتَتَصَرَّفُ فى معاملاتها مجهولاً ومعلومًا ، على أَكُل قواعد الوزراء وأعمها ، وأَجْمَلها وأَعَمُّها ؛ متصرفًا فى الكثير والقليل ، والحقير والجليل ؛ تَعَزَل وتَوَلَّى مَنْ شِيت ، وَتَكْفَى وَتَسْتَكْفَى من آرْتَضَيْت . ونحن نُؤْصِيكَ بِالرَّقِي الذى هو أخلق ، والعدل الذى تُسْتَدِرُّ به حُبَّ الأموال وتُسْتَفْدَق ؛ وَالْحَقُّ فإن كل القضايا به تتعلق ، ويُمَيِّن السياسة فإن الرِّياسَةَ بها تكمل وتُعَدَّق ، وإِيَّاكَ والغرض الذى هو يَبْوَى بصاحبه ، وَيُرِيدُه فى عواقبه ؛ وَأَتَقِ الله الذى لا تتم الصالحات إلا بتقواه ، وأحذر أن تكون مع من ضلَّ سبيلَه وأَتَبع هواه ؛ والله تعالى يُجَيِّحُ رِجاءَكَ وَيُوسِّعُ مِنْهَجَكَ ، وَيُعَلِّي دَرَجَتَكَ ، وَيَقْتَنُك إِذا خَاصَمْتَ وَأَخْتَصَمْتَ مُجِيبَكَ ؛ إِنْ شاءَ الله تعالى .

الطبعة الثالثة

(من يُكْتَبُ له مرسومٌ شريف، وهي على مرتبتين)

المرتبة الأولى

(من يُكْتَبُ له في قطع النصف وهو نائب قلعة دمشق)

إن كان مقدم ألف كما كان أولاً، كتب له بـ «المجلس العالي» . أو طبعناه
كما هو الآن، كتب له بـ «السامى» بغيرياء . وبالجملة فإنه يكتب له مفتاحها
بـ «الحمد لله» .

وهذه نسخة مرسوم شريف بنبابة قلعة دمشق المحروسة، من إنشاء المقر الشهابي
ابن فضل الله رحمه الله، وهي :

الحمد لله مُشْرِفِ الْفَلَاحِ ، وَمُصَرِّفِ رَجَالِهَا فِي الْاِمْتِنَاعِ ، وَمُعَرِّفِ مِنْ جَادَلَهَا
أَنَّ الشَّمْسَ عَالِيَةَ الْاِرْتِفَاعِ .

نَحْمَدُهُ حَمْدًا يُسَنِّفُ الْاَسْمَاعِ ، وَيُشْرِفُ الْاِجْمَاعِ ، وَتُحَقِّقُ فِي صُغُودِهِ الْمَلَائِكَةُ
أُولَى أَجْنِحَةٍ مَتْنَى وَثَلَاثَ وَرُبَاعَ ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ
شَهَادَةً نَزَّجُوبَهَا لِمَا بَقِيَ مِنْ قِلَاعِ الْكُفْرِ الْاِفْتِلَاعِ ، وَأَسْتَعَادَةَ مَا قَرَّمَهُمْ مِنْ قُرَى
وَضَاعَ مِنْ ضِيَاعَ ، وَنَشْهَدُ أَنْ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي حَمَى بِهِ دِرَّةَ الْإِسْلَامِ
مِنَ الْاَرْتِضَاعِ ، وَصَانَ بِهِ حَوْزَةَ الْحَقِّ أَنْ تُضَاعَ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
صَلَاةً دَائِمَةً مَا أَسْبَلَ لِلَّيْلِ ذَيْلٌ وَأَمْتَدَ لِلشَّمْسِ شُعَاعَ ، وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وبعد ، فإنَّ الْمُحْصُونِ حَوَاضِرَ كَمَا لِلْسَّلَادِ ، وَحَوَاضِنَ تَضُمُّ بِقَايَاهَا ضَمَّ الْأُمَمَاتِ
لِلْأَوْلَادِ ، وَمَعَاقِلَ يُرْجَعُ إِلَيْهَا إِذَا نَابَتِ التَّوْبَةُ الشَّدَادَ ، وَمَعَاقِدَ يَتَصَمُّ مِنْ مَتْنِهَا
بِجِبَالٍ وَيَتَسَكُّ بِأَطْوَادٍ ؛ وَقَلْعَةً دِمَشْقَ الْمَحْرُوسَةِ هِيَ الَّتِي تَفْتَخِرُ بِقَايَا الْبِقَاعِ بِالْاِتِّصَالِ

بَسْبِهَا، وَالتَّمَسُّكُ فِي الشَّدَائِدِ بِذَلِيلِ حَسَبِهَا، لَا يُهْتَدَى فِي السَّلْمِ وَالْحَرْبِ إِلَّا بِمَنَارِهَا،
وَلَا يُقْتَدَى فِي التَّسْلِيمِ وَالْإِمْتِنَاعِ إِلَّا بِأَنَارِهَا، وَلَا يُسْتَقَى إِلَّا بِمَا يَفِيضُ عَلَى الشُّجْبِ
مِنْ فَيْضِ أَمْطَارِهَا؛ قَدْ تَرَجَّلَتْ لُبَّارُزٌ، وَتَقَدَّمَتْ لُتْنَاهُزٌ، وَدَلَّتْ بِقُوَاهَا فَا
أَحْتَجَبَتْ مِنْ مُجُوفِ الْجَبَلِ بِحِجَابٍ وَلَا أَحْتَجَزَتْ مِنَ الْغَمَامِ بِحَاجِزٍ؛ بَلْ أَلَقْتُ إِلَى
قَرَارِ الْمَاءِ جَمْلَهَا، وَاثْبَتْتُ فِي مَسْتَقْعِ الْمَوْتِ رَجُلَهَا؛ وَكَشَفْتُ لِلْحَرْبِ الْعَوَانَ
قِنَاعَهَا، وَأَشْعَلْتُ أَتِنَتَهَا مِنَ الذَّهَبِ شُعَاعَهَا، وَأَشْنَلْتُ أَفْنِيتَهَا الْبُرُوقَ أَنْ تُطَاوَلَ
بَاعَهَا، أَوْ تُحَاوَلَ أَرْتِفَاعُهَا؛ قَدْ جَاوَرَتْ قُبَّتُهَا الزَّرْقَاءُ أَخْتَهَا السَّمَاءَ، وَجَاوَزَتْ بُرُوجَهَا
مِنْطَقَةَ الْبُرُوجِ أَعْلَاءَ؛ وَهِيَ مَسْقِلُ الْإِسْلَامِ يَوْمَ قَرَعِهِمْ، وَأَمْرٌ قُلُوبِهِمْ أَعَاذَهَا
اللَّهُ مِنْ جَزَعِهِمْ؛ وَقَدْ نَزَلَ الْمَدُّ عَلَيْهَا وَتَأَزَّلَا زَمَانَا بِمُجُوعِهِ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ،
وَأَقْدَمُوا وَتَقَدَّمُوا وَهُمْ مُتَأَخَّرُونَ؛ وَطَاوَلُوهَا فَكَانَتْ حَمْرَةً عَلَيْهِمْ، وَنَكَالًا لِمَا
خَلَقَهُمْ وَمَا يَنْدِيهِمْ؛ وَثَبَّتَ اللَّهُ بِهَا أَفْدَامَ بَقِيَّةِ الْقَلَاعِ، وَقَوَّى بِعَزَائِمِهَا إِنْتِدَامَ فِيهَا
عَلَى الْإِمْتِنَاعِ؛ وَقَلْعَةُ الْجَبَلِ الْمَحْرُوسَةِ وَإِبَاهَا كَالْأَخْتَيْنِ، وَهِيَ لَهَا ثَانِيَةُ اثْنَيْنِ؛
وَكِلْتَاهُمَا لِكُرْسَى مُلْكِكَ الشَّرِيفِ مِثْلُ سَعِيدٍ، وَمَسَرَّةُ يَوْمِ صَفِيحِ الْأَفْلاكِ لَوْ تَرَامَى
إِلَيْهِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ .

فَلَمَّا رَسَمْنَا بِنَقْلِ مَنْ كَانَ فِي النِّيَابَةِ الشَّرِيفَةِ بِهَا فِي مَنَازِلِهَا مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ،
وَقَدَمْنَاهُ أَمَامَهَا كَمَا يَهْتَرِ فِي قَادِمَةِ الرِّيحِ السَّيَّانُ، وَأَتَّخَذْنَا مِنْ بُرُوقِ عَزَائِمِهِ لِبَعْضِ
تُفُورِهَا الضَّاحِكَةِ شَبَابًا، وَمِنْ هَمِيمِهِ الْمُتَّصِلَةِ الْمَدِيدِ بِهَا مَا تَمْتَدُّ مِنْهَا إِلَى سَمَائِهَا سَبَابًا -
أَقْصَى رَأْيَانَا الشَّرِيفُ أَنْ تُؤَوَّلَ فِي أَمْرِهَا الْمُهِمُّ، وَبَرَّهَا الَّذِي بِهِ مَصَالِحُ كَثِيرٍ مِنْ
مَمَالِكِ الشَّرِيفَةِ تَمَّ؛ وَخُلِّيَ مَشَارِقُهَا بَيْنَ تَضَاحِكِ الْبُرُوقِ سُيُوفُهُ فِي لَيْلِ كُلِّ نَقِيعٍ
مُدْلُجٍ، وَتَحْيَى حِمَاهَا بِرَجُلٍ تَمْتَعُ مَهَابَتُهُ حَتَّى عَنْ قَلْبِ الْأَسْنَةِ (٩) طَارِقِ الطَّيْفِ
أَنْ يُلِمَّ؛ وَهُوَ الَّذِي لَا تَرْتَعِزُ لَهُ دُرَا، وَلَا يُنَاخِ لِإِدَارَةِ سَيْلِهِ فِي دَرَا، وَلَا يَقْدُرُ مَعَهُ

الأسدُ أن يبيتَ حولَ غايِهِ مُصَحِّراً، ولا الطيرُ أن يُحَاقَّ إليه إلا ماصِحاً بِجَنَاحِهِ على الثرى، ولا أدبَحَتْ إليه زُمُرُ الكواكبِ إلا تَقَاعَسَتْ فلا تَسْتَطِيعُ السرى .

وكان فلانٌ هو حاميَ هذا الحيِّ، ومَانِعَ ما يَحُلُو في الثغور من مَوَارِدِ الآلى، وغَيُورَ الحيِّ فلا يَبْرُزُ له إلا من عَقَائِلِ المَاقِلِ قاصِراتُ الطرفِ كَالدَّمَى، وحَافِظَ ما اسْتَوْدِعَ من مَصُونٍ، واسْتَجِيعَ من حُصُونٍ، واستَجهرَ من مَوَارِدِ تَرْدُها من زَرَدِ الدروعِ عيونَ، وفَرَّقَ منها المجانيقَ سَحَابَ مُمِطَرَةٍ بالنونِ؛ فصَمَّ رأينا الشريفُ على اختياره لِيُوقِلَ صَهْوَةَ هذا الجِوَادِ، ويُوَفِّي ما يَجِبُ لهذه العَقِيلَةِ من مرَتَقٍ لحظٍ ومرَتَمٍ فُؤادٍ، ويبحث من الشخفِ بها عن أملٍ أملٍ أو مرادٍ مرادٍ، ويُعَجِّبَ من عقيلتها المصونة أن أبراجها تَبَرِّجَ وما لُئِمَاها إِنْعامٌ ولا لُسْعَادُها إِسعادُ .

فرسم بالأمر الشريف العالى المولى، السلطانى، الملكى، الفلانى - أعلاه الله وشرفه، وأدام فى الأرضِ وَمَنْ عَلَيْها تَصَرُّفَه - أن تَقُوضَ إليه النِياةُ بقَلَمَةِ دِمَشَقِ المحروسة : على عادة من تَقَدِّمه وَقَاعِدَتِهِ، ومُقَارَبَتِهِ ومُبَاعَدَتِهِ، وتَحْلِيهِ ومُساعدَتِهِ ؛ وكل ما جرت به العوائدُ فى رِجائِها ورجالِها، وما لها وما لها ؛ وهذه نِياةٌ شريفة، ومُحَاباةٌ مُطِيفَةٌ ؛ ونعمةٌ تُقَابِلُ برعايتها، وتُكْتَمُ نَوَائِجُها بِإِذَاعَتِها ؛ وتقوى الله حَلِيبَةً عَقِيقاً، وحَلَّةً أَقْفَها، وبِجَرَى الحَبْرَةِ إِجْلالاتُ فى طُرُقِها .

فليك بحفظها لَيْلاً ونهاراً، وتَقَدِّدِ أحوالِ مَنْ فيها سِراً وجَهَاراً؛ وتُجِ باها وغلقها مع الشمسِ، وتَصَفِّحْ ما بها من لَئِيسٍ، وتَبَيِّحْ أسبابها كما فى النفسِ؛ والتَّصَدَّى للملازمة الخدمة الشريفة فى أبوابنا العالِية بياها، والأخْذِ فى أدواتِ حِفْظِها بِجَماعِ أطرافِها دون التمسك بأهدابِها؛ والتَّجَسُّسِ على مَنْ يُلِمُّ فيها جَفَنُهُ بِكَرى وما أَثقله ناماً،

والإزام كُلِّ واحدٍ بما يلزمه من الوظائف في ليله ونهاره، وإدلاجِه وابتكارِه،
ومن عليه في هذا المعقل إشراف من شُرُفاته أو تُسُور على أسواره؛ وإظهار الرِّيح
والصَّيْتِ والشُّمعة بالاهتمام في كُلِّ ليلة زَفَافِ عُرُوسِها، وضَرْبِ الحَرَسِ لنواقيسِها،
والإعلانِ لصَبَاحِ الخيرِ لنا في صُبُحاتِها والدعاءِ الصَّالحِ في قَفْلِيسِها؛ وصيانة ما فيها من
حَوَاصِل، أو يصلُّ إليها من واصل؛ وما فيها من ذخائر، وما في خَزَائِنِها العاليةِ من
مَدَدِ البَحْرِ الرَّائِرِ؛ وما تشتملُ عليه دَارُ الضَرْبِ من أموالٍ تُضْرَبُ للهِباتِ بَرَمِينا،
وأموالِ الناسِ [التي] حُمِلَتْ إليها لِنُشْرِفِ قودِها باسمِنا؛ ونِزائِنِ السلاحِ المنصورةِ
وما يُسْتَكْتَرُ فيها من عدد، وما يُسْتَغْفَرُ من مَدَد، والمُجَانِيقُ التي تَخْطِرُ منها كُلُّ
خَطَّارَةٍ كَالْفَنِيْقِ، وتَصْعَدُ ومرماها إلى السماءِ كَأَنَّما تَحْطِفُهُ الطَّيْرُ أو تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ
في مكانٍ يَحْبِقُ؛ شائِلَةٌ عَقَارِ بِها، أَفَلَةٌ بِالْأَغْمَارِ كَوَاكِبُها، والحُدُوجُ والقِسِيُّ
والراياتِ وغير ذلك من سِلَاح، أو دُرُوع تَرُدُّ السَّهَامَ على أعقابِها وتَحْنِي قَامَاتِ
العَوَالِي وتُضَيِّقُ صُدُورَ الصَّفَاحِ . والبحريَّةُ وغيرهم من رجالِ هذه القلعة المحروسةِ
من نجومِ آفاقِها، وَغِيُومِ إرْعادِها وإِرْاقِها، وِدَمِها إذا أُسِبتِ المسالمةُ ذيوها وأُعوانِها
إذا تَمَرَّتِ الحربُ عن سَاقِها . وبقيةُ المُسْتَخْدَمِينَ وأربابِ الصنائعِ الذين هم عمارةُ
أوطانِها، وأمانةُ العنايةِ بها من سلطانِها؛ فكل ذلك منخورٌ لمنافعِ الإسلامِ،
وما رِيشُ السَّهْمِ لَأَنَّهُ في كل ساعة يَرْمِي ولا طَبِيعَ السَّيْفِ لَأَنَّهُ في كل بَارَقَةٍ يُسَامُ؛
فاحفظْ لأوقَاتِها تلكَ المَوَادَّ المذخورةَ، واحظْ هؤلاءَ الرجالَ فإنهم ظُهُرُ العساكرِ
المنصورةِ؛ وَخُذْ بقلوبِهم وَأَوْصِلْ إليهم حُقُوقَهم، وَأَجْمَعْ على طاعتِنا الشَّرِيفَةِ
مُتَفَرِّقَهم وَأَكْرِمْ فَرِيقَهم؛ ومنهم الممالِكُ السلطانيَّةُ وهم إخوانُكَ في ولانِنا، والذين
تَشْرِكُهم في آلانِنا، وبِالْبَغِ في حَفْظِ المَعْتَقِينَ في مُجُوبِنا، وَلِغِظِ المَعْتَقِينَ خلافا
في مَكُونِنا؛ وَنَحْنُ نُعِيذُها باللهِ أنْ تقول: تَقَعَّدُها بالترميمِ والإصلاحِ، وَلِكِنَّا نَأْمُرُكَ

أَنْ تَتَمَهَّدَهَا بِمَا تَتَمَهَّدُ مِنَ الزَّيْنِ الْمَلَّاحِ ؛ وَلَكَ مِنْ مَعَاضِلَةٍ مَنْ فِي ذَلِكَ الْإِهْلَامِ ،
مَنْ لَكَ بِرَأْيِهِ طَرِيقٌ مُسْتَقِيمٌ ؛ وَمَنْ تَرَايَعُهُ فِيمَا أَشْكَلَ عَلَيْكَ مِنَ الْأُمُورِ ، وَتَجِدُهُ
فِي طَاعَتِنَا الشَّرِيفَةِ نَوْرًا عَلَى نُورٍ ، وَاتَّبِعْ مَرَامِنَا الْمُطَاعَةَ فَهِيَ شِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّبُورِ ؛
وَالْوَصَايَا كَثِيرَةٌ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَجْعَلُكَ عَلَى بَصِيرَةٍ ، وَيَتَوَلَّاكَ بِمَا فِيهِ حُسْنُ السَّيْرِ ،
وَصَلَاحُ السَّرِيرَةِ ؛ وَالْإِعْتَادُ



وهذه نسخة مرسوم شريف بزيادة قلعة دِمَشْقَ المحروسة ، كُتِبَ بِهَا الْحُسَامُ
الدين «لأجين الإبراهيمي» من إنشاء الشريف شهاب الدين ، رحمه الله ، وهي :
الحمد لله الذي صَانَعَ الْحُصُونُ بِاتِّضَاءِ الْحُسَامِ ، وَزَانَ الْمُلُوكَ بِارْتِضَاءِ ذَوِي
الْيَقَظَةِ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ وَالْأَهْمَامِ ، وَأَبَانَ سَبِيلَ السَّعَادَةِ لِمَنْ أَحْسَنَ بِفِرَوضِ الطَّاعَةِ
وَأَجَمَلَ الْقِيَامِ .

نحمده على أن جعلَ تَمَنَّا لِأَصْفِيَانَا وَافِرَةَ الْأَقْسَامِ ، وَنَشْكُرُهُ عَلَى أَنْ أَقْبَلَ عَلَيْهِمْ
بَأُوجُهُ إِقْبَالِنَا الْوَسَامِ ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً لِعُقُودِ
إِخْلَاصِنَا أَنْتِظَامِ ، وَلِسَعُودِ اخْتِصَاصِنَا أَثْنَامِ ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ
الَّذِي مَنَحَهُ الْإِجْلَالَ وَالْإِعْظَامَ ، وَمَدَحَهُ بِالْإِفْضَالِ وَالْإِكْرَامِ ، وَرَبَّجْهُ بِمَزَايَا الْفَضْلِ
عَلَى جَمِيعِ الْأَثَامِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ بِدُورِ التَّمَامِ ، وَرَضِيَ عَنْ أَصْحَابِهِ
الَّذِينَ لَمْ يَصُدِّقُوا الْإِعْتِرَامَ ، صَلَاةً وَرِضْوَانًا لَهَا تَجْدِيدٌ وَمَزِيدٌ وَتَأْيِيدٌ وَدَوَامٌ ، وَسَلَامٌ
تَسْلِيماً كَثِيراً .

وبعد : فَإِنَّ آلَانَا لَا تَزَالُ تَحْتَسِرُّ الْأَكْفَاءَ ، وَآرَاءَنَا لَا تَبْرَحُ تَمْنَحُ ذَوِي الْمُنَاسِحَةِ
الْإِصْفَاءَ ، وَنِعْمَانَا تَدِيمُ لِلْمَلَائِسِ إِجْلَالَهَا عَلَى أَوْلَى الْخِدْمِ الْإِفَاضَةِ وَالْإِصْفَاءِ ، وَتَقْبَلُ
بُوعُودَ جُودِهَا لِمَنْ آدَامُ الْمُنَاسِحِ الْخَالِصَةِ الْإِكْفَاءِ .

ولما كان فلان هو الذى عُرِفَتْ له فى مهماتنا خِدمٌ سالفه ، وأُلِفَتْ منه همةٌ
عَلِيَّةٌ خَصَّتْهُ بِكُلِّ عَارِفِهِ ، وَخَوَّلَتْهُ نِعْمَةَ الْوَاكِفَةِ ، وأَهْلَتْهُ لاسْتِحْفاظِ الحِصُونِ
فِسادُهُ تَوْفُّرُ التَّوْفِيقِ وَسَاعَفَهُ ، وَقَلَّلَتْهُ فِي الْمَالِكِ فَسَارِيسَةُ حَمِيدَةٌ أَقْنَضَتْ لِمَوَاهِنِهَا
لَدَيْهِ الْمُضَاعَفَةَ - أَقْنَضَى حَسَنُ الرَّأْيِ الشَّرِيفُ أَنْ نَزَعَ عَمَلَهُ بِاعْتِزَالِ الْقِلَاعِ ، وَتَطْلَعَهُ
بِأَقْبَى سَعْدِهَا أَيْمَنُ إِطْلَاعِ ، وَتَنْدُبُهُ لَضَبْطِهَا فَيَحْسُنُ لَهُ فِيهَا الْإِسْتِقْرَارُ وَيُجَدُّ مِنْهَا لَهُ
الْإِسْتِدَاعُ .

فلذلك رسم بالأمر الشريف - لا زالت صدقاته تُحَقِّقُ الْإِطْلَاعَ ، وَهِيَائُهُ تُفِضُ
مَلَاسِمَهَا الَّتِي لَيْسَ لَهَا أَتْرَاعٌ - أَنْ يَسْتَقَرَّ فِي نِيَابَةِ قَلْعَةِ دِمَشْقَ ...

فليباشر النياحة بالقلمة المذكورة بآذِلًا الاجتهاد ، مُوَاصِلًا اللَّزْمَ وَالسَّدَادَ ، عَامِلًا
بِالْحَزْمِ فِي كُلِّ إِصْدَارٍ وَإِيرَادٍ ، كَافِلًا مِنْهَا بِحَسَنِ الْإِعْتَادِ ؛ حَافِظًا حَوَاصِلَهَا مِنْ
الضَّيَاعِ ، مَقْرَرًا أَحْوَالَهَا عَلَى أَجَلِ الْأَوْضَاعِ ؛ وَلِيَّائًا رِجَالَهَا بِالْإِكْتِلَافِ عَلَى الْخِدْمَةِ
وَالْاجْتِمَاعِ ، وَلِيُحَرِّضَهُمْ عَلَى الْمُبَادَرَةِ إِلَى الْمَرَاسِمِ وَالْإِسْرَاعِ ؛ وَلِيُطَالِعَ مِنْ أُمُورِهَا
بِمَا يَتَعَيَّنُ عَلَيْهِ لِأَبْوَابِنَا الْعَالِيَةِ فِيهِ الْمَطَالَعَةُ وَيَحِبُّ لِعُلُومِنَا الشَّرِيفَةِ عَلَيْهِ الْإِطْلَاعُ ،
وَلِيُرَاجِعَ كَافِلَ الْمَالِكِ الشَّامِيَةِ بِمَا جَعَلْنَا لِأَرَائِهِ فِيهِ الْإِرْجَاعَ ؛ وَلِيَكُنْ لَهُ إِلَى إِشَارَتِهِ
إِصْفَاءٌ وَاسْتِمَاعٌ ، وَإِلَى سَبِيلِ هَذِهِ أَفْتَاءٌ وَاتِّبَاعٌ ؛ وَلِيَقِفَ عِنْدَ مَا يَتَقَدَّمُ بِهِ إِلَيْهِ
فَبِذَلِكَ يَحْصِلُ لَهُ الرُّشْدُ وَالْإِسْتِفَاعُ ، وَاقِفُهُ تَعَالَى يَجْعَلُ عَلَيْهِ سَوَائِغَ نِعْمَتِنَا الَّتِي جَادَتْ
بِأَجْنَاسٍ وَأَنْوَاعٍ ؛ وَيَجُودُ فِي نُصْرَتِنَا حُسَامَهُ الَّذِي مِنْ بَاسِهِ الْأَعْدَاءُ تَرَهَّبُ وَتَزْتَرِعُ ،
وَيَدِيمُ لَهُ وَلِجَمِيعِ الْأَوْلِيَاءِ مِنْ صَدَقَاتِ دَوْلَتِنَا الشَّرِيفَةِ الْإِمْتَاعُ ؛ وَالْخَطُّ الشَّرِيفُ
أَعْلَاهُ ، حِجَّةٌ بِمَقْتَضَاهُ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

وهذه وصية نائب قلعة أوردها في "التعريف" :

وعليه يحفظ هذه القلعة التي زُفَّتْ إليه عقيلتها المنعة، وجليّت عليه سافرة ودُونَهَا
السماء بالسُّحُبِ مُنَعَّةً ؛ وسَلَّمتْ إليه مَقَاتِلُهَا ، وخواتيم الثَّرْيَا أَقْقال ، وأوقَدَتْ له
مَصَابِيحُهَا ، وفَتَائِلُ البروق لا تُسَبُّ لِقْقال . فليبدأ بمهارة ما دَعَتِ الحاجة إليه من
تَجْدِيدِ أبنيتها ، وتشييدِ أَقْبِيَّتِهَا ؛ وشَدِّ عَقُودِهَا ، وَعَدِّ مالا يَحْصى [في الذخائر] من
قُودِهَا ؛ [وتبنيه أَعْيُنُ رِجالِهَا والكواكِبُ قد هَمَّتْ بِرُقُودِهَا] ، والأخذ بقلوب من
فيها ، وَتَدَارِكُ بَقِيَّةَ دِمَائِهِمْ وتَلَافيها ؛ وَجَمْعِهِمْ على الطاعة ، وَبَذْرِ الإحسان فيهم
إِذَا عَرَفَ أَرْضاً تَرَكَوْفِهَا الزَّرَاعَةَ ، والتَّيَادِي لَهم : قُرْبُ رِجالٍ تَجْزِي عن عِدَّةِ سِنِينَ
في سَاعَةٍ ؛ وَتَحْصِيهِنَ هذا الحِصْنَ المنيع بما يُدْخِرُ في حَوَاصِلِهِ ، وَيُسْتَمَدُّ بِمِهَارَةِ الْبِلَادِ
المختصة به من وَاصِلِهِ ؛ وما يكون به من المِجَانِقِ التي لا تُرْفَى عَقَارِهَا ، ولا تُوقَى
منهَا أَقَارِبُهَا ؛ ولا تُرَدُّ لَهَا مَضَارِبُ ، ولا يُكْفَى من رُبَانِي زَبَانِيَّتِهَا كُلُّ ضَارِبٍ ؛
ولا يُحْطَى سَهْمُهَا ، ولا يَتَغْنَى بَيْنَ النَجُومِ نَجْمُهَا ؛ ولا يَعْرِفُ مَا في صُنْدُوقِهَا [المقل] ،
من البلاء المُرسَلِ ، ولا مَا في نَحْيِهَا المُشْمِرِ السَّاقِ من النشاط الذي لا يَكْسَلُ ؛
وغيرها من الرَايات التي في ضَرْبِهَا لا تُشَدُّ ، وَلِسَوَى خَيْرِهَا لا تُعْقَدُ ؛ وما يُرْمَى فيها
من السهام التي تُسْقُ قَلْبَ الصَّخْرِ ، وَتُبْكِي خَنْسَاءَ كُلِّ فَاقِدَةٍ على صَخْرٍ ؛ وَكَذَلِكَ قِسْيُ
اليد التي لا يَدَّ بِهَا ولا قَيْلٌ ، وَكَثَاثَةُ السَّهَامِ التي كَمَ أَصْبَحَ رَجُلٌ وَبِهِ مِنْهَا مِثْلُ
الْجَبَلِ ؛ وما يُصَانُ مِنَ الْبُيُوسِ ، وَيَعْدُ لِلنَّعِيمِ وَالْبُيُوسِ ؛ وما يَمُدُّ من السَّاتِرِ التي

(١) الذي في "التعريف" «وقناديل» .

(٢) الزيادة من "التعريف" (ص ٩٥) .

(٣) في "التعريف" «من البدد والمدد والبوس» .

هى أسوارُ الأسوار ، ولعاصم عقائل المعاقيل منها حلّ سوى كلِّ سوار ؛ وهى التى ثلاثُ كُتُها على مباسم الشُرُفات ، وتضربُ مجبها على أعالى العُرُفات ؛ وسوى هذا مما تنصم به شواخِ القلال ، ويَبْشُرُ به مقاعد القتال ؛ فكلُّ هذا حصّله وحصّنه ، وأحسبه وحسنه ؛ وأعدّ منه فى الأمنِ لأوقات الشدائد ، وأجر فيه على شأو من تقدّم وزدّ فى العوائد ؛ وهكذا ما يدنّحر من عدد أرباب الصنائع ، ومدد التحصين المعروف بكثرة التجاربِ فى الوقائع ، والأزواد والأقوات ، وما لا يزال يُفكرُ فى تحصيله لأجل بعض الأوقات ؛ وكُنْ من هذا مُستَكثراً ، وله على ما سواه مؤثراً ؛ حتى لا تزال رجالك مطمئنةً انخراطاً ، طيبة القلوب ماعليها إلا السُحب المواطِر ؛ وأعمل عبادة القلاع فى غلق أبواب هذه القلعة وفتحها ، وتفقّد متجدّات أحوالها فى مساء كلِّ ليلة وصُبحها وإقامة الحرس ، وإدامة السّس ، والحِذارُ من لعله يكون قد تَسَوَّرَ أو اختلس ، وتعرّف أخبارَ من جاورك من الأعداء حتى لا تزال على بصيره ، ولا تبحر تُعدّ لكلِّ أمرٍ مصيره ؛ وأقم نوبَ الحماة التى قد لا تجد فى بعض الأوقات سواه رسولاً ، ولا تجد غيره مغبراً ولا سواه مسئولاً ؛ وطالع أبوابنا العالية بالأخبار ، وسارع إلى ما يرد عليك منها من ابتداء وجواب ؛ وصبّ فكرك كلّ إليها وإلى ما تَضَمَّنهُ من الصواب .

المرتبة الثانية

(من المراسيم التى تكتب بمحاضرة دمشق لأرباب السيوف -

ما يكتب فى قطع الثلث ، وفيها وظيفتان)

الأولى — شتدّ الدواوين بدمشق . وصاحبها يتحدث فيما يتحدث فيه شاذ

الدواوين بالديار المصرية ، وقد تقدّم .

وهذه نسخة مرسوم شريف بشدّ النواوين يدمشق :

الحمد لله الذي أَرْهَفَ لمصالح دولتنا القاهرة من الأولياء ، سَيْقًا مَاضِيًا ، وَجَرَّدَ لمِهْمَاتِ خِدْمَتِنَا الشَّرِيفَةِ من الْأَصْفِيَاءِ ، عَضْبًا يَنْدُو الْمُلْكُ عَنْ تَصَرُّفِهِ الْجَبِيلِ رَاضِيًا ، وَجَدَّدَ السُّعُودَ فِي أَيَّامِنَا الزَّاهِرَةِ لِمَنْ لَا تَحْتَاجُ هِمْمُهُ فِي عِمَارَةِ الْبِلَادِ الْمُحْرَمَةِ مُتَقَاضِيًا .

نحمده عَلَى نِعَمِهِ الَّتِي تَسْتَفِرُّ الْحَامِدُ ، وَتَسْتَوْجِبُ الشُّكْرَ الْمُسْتَأْتَفَ عَلَى الْحَامِدِ ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً مُجَاهِدَةً لِأَعْدَائِنَا ، مُجَاهِدَةً لِإِعْلَائِنَا ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ عِمَادَ عِبَادِهِ وَرَسُولَهُ أَشْرَفَ الْأَنْبِيَاءِ قَدْرًا ، وَأَوْفَى فِي الرِّبَةِ مَكَانَةً وَإِنْ كَانَ آخِرُهُمْ عَصْرًا ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ نَهَضُوا بِمَا أُمِرُوا ، وَعَمَرُوا الدِّينَ قَبْلَ الدُّنْيَا فَلَمْ تَحْكَنِ الْأَيَّامُ مِنْ [قَض] مَا عَمَرُوا ؛ صَلَّاةً يَتَأَزَّجُ نَشْرُهَا ، وَيَبْلُغُ يَشْرُهَا ؛ وَسَلْمَ تَسْلِيًا كَثِيرًا .

وبعد ، فَإِنْ أَوَّلَى مِنْ عِلْقٍ بِهِ مِنْ مِهْمَاتِنَا الشَّرِيفَةِ أَعْمَهَا نَفْعًا ، وَأَحْسَنَهَا فِي عِمَارَةِ الْبِلَادِ وَقَعًا ، وَأَكْثَرَهَا لَخَزَائِنِ الْأَمْوَالِ تَحْصِيلًا وَجَمْعًا ؛ وَأَجْمَعَهَا لِمَصَالِحِ الْأَعْمَالِ ، وَأَضْبَطَهَا لِحَوَاصِلِ الْمَسَالِكِ الَّتِي إِذَا أَعَدَّ مِنْهَا جِبَالًا تَلَا عَلَيْهَا إِسَارُ الْإِفْثَاقِ : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ ﴾ مَنْ زَانَتْ عَزَمَتْه زَاهَتُهُ ، وَكَلَّتْ قُوَّتُهُ فِي الْحَقِّ خَبْرَتُهُ وَنِبَاهَتُهُ ؛ وَكَانَ مِنْ أَوْلِيَاءِ دَوْلَتِنَا الْمُتَعَدِّينَ لَشِدِّ أَرْكَانِهَا ، وَإِشَادَةِ بُيَانِنَا ؛ وَالنُّهْوضِ بِمَصَالِحِهَا الْمُتَنَوِّعَةِ ، وَتَشْرِكِهَا عَدْلُهَا الَّتِي تَقْنُو بِالْأَدْعِيَةِ الصَّالِحَةِ مَبْسُوطَةً وَبِالْأَنْتِيَةِ الْعَاطِرَةِ مُتَضَوِّعَةً .

ولما كَانَ فَلَانُ هُوَ الَّذِي أُشِيرَ إِلَى حَاسِنِهِ ، وَنُبِّهَ عَلَى إِبْرِزِ فَضْلِهِ الْمُظْهَرِ مِنْ مَعَادِنِهِ ؛ مَعَ صَرَامَةِ تُخَيِّفُ اللَّيْثُ ، وَزَاهَةِ تُعِينُ عَلَى عِمَارَةِ الْبِلَادِ الْفُيُوثِ ؛ وَخَبْرَةِ يَظَاهِرُ الْمَصَالِحَ الْخَفِيَّةَ وَفِيهِ ، وَبِإِبْرَازِ مَعَادِنِ الْأَمْوَالِ مِنْ وَجْهِهَا الْجَلِيلَةِ مَيْلَهُ ؛

ومعرفة نعم البلاد بين الرغبة والرهبة، وتجعل مثل ما يُودع فيها بالبركة والنماء مثل
حبة أبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة - أقتضت آراؤنا الشريعة أن ننبه
على حسن اعتنائنا بأمره ، وأعتادنا بما قدمه من أسباب إسنائه رتبته ورفعة قدره ؛
فلذلك رسم - زاد الله في علائه - أن يفوض إليه

فليباشر ذلك مظهرًا من مصالح الدولة القاهرة ما كان في تغيير كفايته مكنونًا ،
مبرزًا من تغيير الأموال وتغيير الأعمال ما يحقق به : من خصيب البلاد بمشيئة الله
تعالى ما كان مظنونًا ؛ مواليًا إلى الخزانة المعمورة من محول تديره ما يمسى به طائر
تصرفه ميمونا ، وسبب توقفه مامونا . وليكن النظر في عمارة البلاد هو المهم المقدم
لديه ، والأمر الذى يتعين توفرها هماه عليه ، فيجتهد في ذلك اجتادا يظهر أثره ،
ويجنى ثمره ، ويحمد ورده وصدرة ؛ ويتفرع عنه أنواع المصالح ، وتترتب عليه
أسباب الناجح ، ويملك ذلك بسط المعدلة التى هى خير للبلاد من أن تمطر أربعين
يوما ، وأعتاد الرقي الذى لا يضر معه البأس قوما ، ولا يحبب على فاعله مع الحزم
لوما ، ولا يطرد عن أذنه العدل في مهاد الدنة نوما ؛ ويصرف إلى استجلاب
الأموال وموالاتها همة ناهضة ، وعزيمة إلى ما قرب ونأى من المصالح راجية ،
وقوة بأسباب الحزم آخذة وعلى أعنية التدبير قابضة ؛ وفيما خبرناه من عزائم
المشكورة ، وسيرته التى ما برحت بين أولياء دولتنا القاهرة مشهورة ؛ ما يكتفى به
عن الوصايا المؤكدة ، ويوثق به فيما عدى به من الأمور المستددة ؛ لكن تقوى الله
تعالى أولى الوصايا وأوقسا ، وأحق ما نلت عليه تفاصيلها وجلها ؛ نلقدم تقوى الله
بين يديه ، ويعملها العمدة فيما اعتمد فيه عليه ؛ بعد انخط الشريف أعلاه الله
تعالى أعلاه .

الوظيفة الثانية - شدة المهام . وصاحبها يتحدثُ فيما يُطلبُ للأبواب السلطانية من المستعملات وغيرها . وقد ذكر في "التنقيف" أن عاداته أن يكون مقدم ألف .

وهذه نسخة توقيع بشدة المهام بدمشق ، وهي :

الحمد لله الذي شَدَّ عُرَا المصالح من الأولياء بكل ذي أيدٍ ، وكلَّ مَنْ هو في المهام أطلَّشَ بعمرو من زيد ، ومن له تدبيرٌ كَمَ أغنى باقتناصه لشوارد الأمور عن جباله صيد .

[وبعد] ^(١) فإن أحق من استُغْلِصَ لاستخلاص الأموال ، واختيرَ لصونها من الاحتال وحفظها من الاختلال ، وأهل قلبه وكتبه : هذا للتمثيل وهذا للامثال ، وقُوضَ إليه التصرف في الترغيب والترهيب ، والاجتهاد في التمييز والتحرير والتوفير إذ كلُّ مجتهدٍ مُصيب - من أشهر بأنه ذو حزم لا ينحى ، وعزيم عن المصالح لا ينحى ، وأحفظ بالاحوال التي منها نُكْرُ لن ينحى وشكرٌ لن ينحى ؛ وله نباهة يدرك بها كلَّ إيهام وكلَّ إيهام ، ويطلع [بها] على قَلَّتَاتِ السِنَةِ الأَقلام ، ويفهم بها مقاصد كُلِّ من هو من الحجة في كلِّ وادٍ يهيم ، ولا ينحى عليه جرائر الجرائد ولا يخازي المخازيم ؛ وفيه رحمة كَمَ أصبح بها وهو الأتني ، ولم يأت قساوة يكون بها هو المُنْبَت الذي لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى ؛ وكَمَ ماسَ الأمور ودبرها فأحسن فيها السياسة وأجمل التدبير ، واستخرج [الشيء الكثير] بالخويف اليسير ؛ حتى جمع حُسنَ تدبير واسترعا ، وصنع حسناً وأحسن صنعا .

(١) زدنا هذه اللفظة لزومها واستقامة الكلام بها . فذهب .

ولما كان فلان هو لهذا الأمر الجليل المسترعى، وأُتِمَّه في أول مدارج التنويه والتَّوِيلِ خَيْرُ مُسْتَدْعَى، وفيه من جميل الأوصاف ما يُرِضِي حَسْنَ الاقتراح وقد خَبَرَ أمورَ الكَتَبَةِ، وقد عَلِمَ من أحوالهم ما هو أُخْرَى لَمْ يَتَجَرَّبْهُ؛ وَعَرَفَ خَفَايا المعاملات معرفةً تامَّةً، وأحاطَ بِمِزْنِيَّاتِ الجهاتِ وكُلِّيَّاتِهَا بِحَاطَةِ خَاصَّةٍ وَعَامَّةٍ - أَقْتَضَى حُسْنَ الرَّأْيِ الْمُنِيفِ، أنْ رَسَمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لَا يَرَحُ يُسَدُّ عَصْدُ كُلِّ مُهْتَمٍّ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ بِأَيِّ كُلِّ عَزَمٍ، وَيَعْمَلُ لَهُ سُلْطَانًا لَا يَكُلُّ مَصْلَحَةً إِلَى حَرِيمِ ذِي حَرَمٍ - أَنْ يَفُوضَ إِلَيْهِ شَدَّ الْمَهْمَاتِ بِالشَّامِ الْمُحْرُوسِ .

فَلْيُضَيِّطِ الْأُمُورَ ضَبْطًا مُسْتَوْعِبًا، وَلْيَتَنَصَّبْ لَذَلِكَ آتِنَصَابًا مُتَرْتَّبًا؛ وَلْيَحْتَرِزْ مُنْقَدًا وَمُصَرِّفًا، وَمُسْرِعًا وَمُسْتَوْفِقًا؛ وَمَتَى ظَهَرَ حَقٌّ يَتِمُّكَ بِهِ تَسْكُ الْغَرِيمِ، وَلَا يُحَاطَبُ فِيهِ ذَا بَأْسٍ قَوِيٍّ وَلَا ذَا مَتَاجٍ إِلَى الْمَنْعِ وَالْبَدْعِ غَيْرِ قَوِيمٍ؛ وَمَا مِنْ جِهَةٍ إِلَّا وَلَهَا شَرْوُطٌ صَوَّبُ الصَّوَابِ، وَلَا يَتَمَدُّ عَلَى غَيْرِ الْحَقِّ مُتَجَاوِزٌ تَرْوِيجِ الْكَتَابِ؛ وَلَتَكُنِ الْجَوْلُ مُسِيرَةً، وَالْمُتَخَرِّجَاتُ مُتَوَفَّرَةً؛ وَجِهَاتُ الْخَاصِّ مُقَرَّرَةً، إِذِ الضَّمَانُ لَا يُنْتَظَرُ لَمْ نَظَرَةً إِلَى مَسِيرِهِ؛ فَإِنَّهُمْ سُوسُ الْمَعَامِلَاتِ، وَكَوَايِسُرُ الْجِهَاتِ؛ وَمِنْهُمْ يُحْفَظُ أَوْ يُضَاعَ، وَبِهِمْ يَتَرَفَّى أَوْ يَخْطُ الْإِرْتِفَاعُ؛ وَجِهَاتُ الْمُقْطَعِينَ الْوَاجِبُ لَهُ أَنْ يَجْعَلَ عَلَيْهَا وَاقِفَةً بَاقِيَةً، وَلَتُحْمَ لَمْ حَتَّى لَا يَتَطَاوَلَ إِلَى ذِرْوَتِهَا أَمْتَدَادُ الْأَيْدِي الْمُخْتَرِلةِ وَلَا خَطَا الْعُدُونِ الرَّاقِبَةِ؛ وَلْيَصْرِفْ وَجْهَهُ بِحِفْظِهِ إِلَى مُرَاقَبَةِ مَنْ فِي بَابِ الشَّدِّ مِنْ مُقَدِّمِينَ وَمَنْ رُسُلٍ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ، وَيُدْعُونَ الْإِجْلَ بِالْعَاجِلِ؛ وَيُخَيِّفُونَ الْعَامَّ وَالْخَاصَّ، وَكُلِّ مِنْهُمْ يَرُومُ الْفِتَاءَ وَهُوَ رَقَاصٌ .

هَذِهِ زُبْدَةٌ مِنَ الْوَصَايَا مُقْتَنَةً، وَعَزَمَاتٌ غَنِيَّةٌ عَنْ تَكْثِيرِ فِي الْقَوْلِ أَوْ تَوْسِعَةٍ .
وَاللَّهُ تَعَالَى يَكُونُ لَهُ وَيُعِينُهُ، بِمَنْهَ وَكَرَمِهِ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

الصنف الثاني

(من الوظائف بدمشق الوظائف الدينية ، وجميع ما يكتب
فيها توافيق ، وهي على مرتبتين)

المرتبة الأولى

(ما يكتب في قطع النصف بـ «المجلس العالي» مفتتحاً بـ «الحمد لله»)

وبذلك يكتب للقضاة الأربعة بمحاضرة دمشق .

وهذه نسخة توقيع بقضاء قضاة الشافعية بدمشق المحروسة ، كُتِبَ به لقاضي
القضاة «بهاء الدين أبي البقاء السبكي» وهي :

الحمد لله الذي أقر أحكام الشرع الشريف ، في أيامنا الزاهرة على أكمل القواعد ،
وأمر مدار الحكم المزيّف ، في دولتنا القاهرة على أجدل العوائد ، وأمضى فصل
القضاء في ممالكنا الشامية بيد إمام غيت فضائله عن الشواهد ، وأتمته الأئمة
لاقتباس القوائد ، وعُدّت أحكام الملة منه يُجَاهِر في الحق مجاهد ، مُسَدِّد في الدين
سهم اجتهد رعي به شاكّة الصواب عن أثبت يد وأشد ساعد .

نحمده على نعيمه التي حلت مناصب الدين في ممالكنا الشريفة بأكفائها ، وعلت
رتب العلم في دولتنا القاهرة باستقرار من جعته فضائله غاية اختيارها ونهاية
أصطفائها ، ودلت على اعتنائنا بتنفيذ أحكام من اتبعت سيرته الجميلة من سيد
في اتباعها وجهد في اقتنائها ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة
لا تزال أعلامنا بها تنصير ، وأيامنا على الجهاد لتكون كلمتها هي العليا تقتصر ،
وأقلامنا لتشرّد دعوتها في الآفاق تُسبب ولا تُوجر وتُطب ولا تُختصر ، ونشهد أن
محمد عبده ورسوله أشرف من قضت أمته بالحق فعدلت ، وتلقّت عنه أحكام ملته

فَقَافَتْ بِذَلِكَ الْأُمِّ وَقَضَلَتْ ، وَحَكَتْ بِمَا أَرَاهَا اللَّهُ مِنْ شِرْعِيهِ فَمَا مَالَتْ عَنْ سَنَنِهِ الْقَوِيمِ وَلَا عَدَلَتْ ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ اسْلَمُوا اللَّهُ فَسَلِمُوا ، وَعَمِلُوا فِي دِينِ اللَّهِ بِمَا عَلِمُوا ، وَبَذَلُوا النُّفُوسَ فِي طَاعَتِهِ فَمَا اسْتَكَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا أَلَمُوا ؛ صَلَاةٌ تُوَدَّى بِهَا مِنْ أَمْرِ اللَّهِ الْمُقَرَّضِ ، وَزُيْغُمُ بِإِقَامَتِهَا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ؛ وَسَلَّمُ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وبعد ، فإنَّ أَوْلَىَّ مَنْ سَقَلَ فِي رُتْبَةِ السَّيِّئَةِ ، وَوُطِدَتْ لَهُ بِمَضَرِّ الشَّامِ قَوَاعِدُ سِيرَتِهِ السَّرِيَّةِ ؛ وَأُطْلِقَتْ جَيَادُ الْبِرَاعَةِ فِي إِمْضَاءِ حُكْمِهِ فِي الْمَمْلُوكِينَ مَتَانِي أَعْيُنًا ، وَأُنْفَقَتْ صَعَادُ الْبِرَاعَةِ فِي إِعْلَاءِ بَهَائِهِ فِيمَا [السَّنَةِ] اسْتَبَاهَا ؛ وَأَرَدْنَا أَنْ نَرْدَهُ إِلَى أَعَزِّ الْمَالِكِ عَلَيْنَا لِنُقَرِّعَ عَيْنَهَا ، وَقَصَدْنَا أَنْ نُعِيدَهُ إِلَى رُتْبَتِهِ بِهَا لِنُوَفِّيَ بِاسْتِمَدَانِهِ دِينَهَا ؛ وَآخَرْنَا أَنْ نَجْعِدَ لَهُمُ الْوُظُفَةَ سَالِفَ عَهْدِهِ ، وَأَنْ نُزِيَهُ أَعْتَاءَنَا بِأَمْرِ مُتَّصِيهِ الَّذِي لَمْ يَلِهِ مِثْلُهُ مِنَ الْإِتْمَةِ مِنْ بَعْدِهِ ؛ وَعَلِمْنَا أَنَّ الدِّيارَ الْمَصْرِيَّةَ قَدْ اخْتَصَتْ بِفَضَائِلِهَا زَمَنًا طَوِيلًا ، وَأَنَّ الْبِلَادَ الشَّامِيَّةَ قَدْ أَلَيْتْ مِنْ أَحْكَامِهَا مَا لَمْ تُرَدِّ بِهِ بِدِيلًا - مِنْ ظَهَرَتْ فَضَائِلُهُ ظُهُورَ نَعْتِهِ ، وَتَهَادَتْ قَوَائِدُهُ رِنَاقَ الْآفَاقِ ؛ مِنْ عُلَمَاءِ زَمَانِهِ وَأُتَمَّةِ وَقْتِهِ ، وَعَلِمَتْ أَوْصَافُ الصُّدُورِ الْأَوْبِ مِنْ عِلْمِهِ وَوَرَعِهِ وَسَمْتِهِ ؛ وَنَشَرَتْ الْأَيَّامُ مِنْ عُلُومِهِ مَا لَمْ يَطُوبْ لَنْطَوِي إِلَيْهِ الْمَرَا حِل ، وَتَقَلَّتْ الْأَقْلَامُ مِنْ قُوَّتِهِ مَا يُرَوِّى تَبَرُّوِي بِهِ السَّمْعُ الظَّامِي وَيَخْصِبُّ بِهِ الْفِكْرُ الْمَالِحِل ؛ وَأَلْفَتِ الْأَقَالِمُ مِنْ حُكْمِهِ مَا غَدَّتْ بِهِ بَيْنَ مَسْرُورٍ بِإِشْرَافِهِ ، وَمُرُوجٍ بِفِرَافِهِ ، فَمِنْ أَفْضِيَةِ مُسْتَدِّهِ ، وَأَحْكَامٍ مُؤَيَّدَةٍ ؛ وَأَقْوَالٍ مُنْزَعَةٍ عَنِ الْهَوَى ، وَأَحْوَالٍ صَادِرَةٍ عَنْ زَهَادَةِ مُحْكَمَةِ الْقَوَاعِدِ وَزَاهَةِ مُجْتَمَعَةِ الْقُوَى ؛ وَإِصَابَةٍ دَالَّةٍ عَلَى مَا وَرَاءَهَا مِنْ عِلْمٍ وَوَرَعٍ ، وَإِجَابَةٍ فِي الْحَقِّ تَحِيًّا بِهَا السُّنُنُ وَتَحَوُّتُ الْبِدْعِ ، وَشِدَّةٍ فِي الدِّينِ تَصَدُّعُ فِي كُلِّ حُكْمٍ بِالْحَقِّ وَإِنْ صَدَعَ ، وَعَدْلٍ لَا يُسْبَلَانُ

جَانِبِهِ ، وَحَزَمَ لَا يُسْتَرْكَلُ صَاحِبُهُ ، وَلَا يُسْتَنْزَلُ رَأْيُكَ ؛ وَقُوَّةٌ فِي الْحَقِّ تَمْنَعُ الْمُبْطِلَ مِنَ الْإِقْدَامِ عَلَيْهِ ، وَلَيْزَ فِي اللَّهِ يُفْسِحُ لِلْحَقِّ جَمَالَ الْقَوْلِ بَيْنَ يَدَيْهِ ؛ وَجَالَسَ غَدَتَ بِالْعِلْمِ طَيِّبَةَ الْأَرْجِ ، وَقَضَائِلَ يُحَدِّثُ فِيهَا عَنْ مَوَازٍ فَكَّرَهُ عَنِ الْبَحْرِ وَلَا حَرَجَ ؛ وَبَدَائِعَ تُضْرَبُ إِلَى أَسْمَاعِهَا أَتْجَادُ الْإِثْلَ ، وَبَدَائِهِ تَهْرُمُ الْأَيَّامُ وَعُمُرُ شَبَابِهَا مُقْتَبِلٌ .

ولما كان المجلس العاشر - أدام الله نعمته - هو الذي وردَ على أبوابنا العالية ونورَ ولأبيه يسعى بين يديه ، وصدرَ الآن عنها وحلَّ آياتنا تَضْفُو عَلَيْهِ ؛ وَأَقَامَ فِي خِدْمَتِنَا الشَّرِيفَةِ مَعْدُودًا فِي أَكْرَمِ مَنْ بَهَا قَطَنَ ، وَعَادَ إِلَى الشَّامِ مَجْمُوعًا لَهُ بَيْنَ مُضَاعَفَةِ النِّعَمِ وَالْعَوْدِ إِلَى الْوَطَنِ . وَهُوَ الَّذِي تَخْتَالُ بِهِ الْمَنَاقِبُ ، وَتُخْتَارُ فَضْلُهُ الْعَوَاقِبُ ؛ وَيُسْتَرْقُ قَلْبُهُ بِالْفَتَاوَى إِشْرَاقَ النَّهَارِ ، وَتُقَدِّقُ مَنَافِعُهُ إِغْدَاقَ السُّحُبِ بِالْأَمْطَارِ ، وَتُحْدِقُ الطَّلِبَةَ بِهِ إِحْدَاقَ الْكَيَّامَةِ بِالنُّجُومِ وَالْمَالَاتِ بِالْأَنْفَارِ ؛ وَهُوَ شَافِي عَمَّا كُلُّ شَافِيٍّ ، وَدَوَاءُ أَلَمِ كُلِّ أَلْمِيٍّ ؛ طَالَمَا جَانَبَ جَنْبَهُ الْمُضَاجِعُ سَهَادًا ، وَقَطَعَ اللَّيْلَ ثُمَّ أَسْتَمَدَهُ لَمَدٌ فَتَاوِيهِ مِدَادًا ؛ وَجَمَعَ بَيْنَ الْمُتَّهِنِينَ نَظْرًا وَتَقْلِيدًا ، وَالْمُنْهَيْنِينَ مِنَ الْقَوْلَيْنِ قَدِيمًا وَجَدِيدًا ، وَسَلَكَ جَمِيعَ الطَّرِيقِ إِلَى مَذْهَبِ إِمَامِهِ ، وَمَلَكَ حِسَانَهَا فَاسْتَفَرَّ لَهُ كُلُّ وَجْهِ تَغَطَّى مِنْ أَوْرَاقِ الْكُتُبِ بِلَتَامِهِ ؛ وَأُفْتُتِحَتْ بِفَهْمِهِ لِلتَّصَانِيفِ أَبْوَابٌ شَفَلَتْ «الْقِفَالُ» أَقْفَالُهَا ، وَفُتِحَتْ [لَهُ] نَفَقَاتٌ مَا «لَا وَرَدِي» مِثَالُهَا ، وَمُنَحَّتْ حُلَلًا يَفْخَرُ «النَّزَالِي» إِذَا تُسِجَ عَلَى مِثَالِهِ سِرَابُهَا ، فَلَوْ أَدْرَكَ «الرَّافِعِي» لَشَرَحَ «الْوَجِيزَ» مِنْ لَفْظِهِ ، وَأَمَلَى أَحْكَامَ الْمَذَاهِبِ مِنْ حِفْظِهِ ؛ وَصَدَّرَ الْمَسَائِلَ بِأَقْوَالِهِ ، وَأَعَدَّ لِكُلِّ سُؤَالٍ وَارِدٍ حُجَّةً مِنْ بَحْثِهِ وَبُرْهَانًا مِنْ جِدَالِهِ ؛ فَلَهُ فِي الْعِلْمِ الْمُرْتَقَى الَّذِي لَا يُدْرِكُ ، وَالْمُنْتَهَى الَّذِي لَا يُنَازَعُ فِي تَقْرِيدِهِ وَلَا يُشْرَكُ ، وَالنَّاعِيَةُ الَّتِي أَحْرَزَهَا دُونَ غَيْرِهِ فَلَوْلَا الْمَشَقَّةُ لَمْ تُتْرَكْ ؛ وَهُوَ الَّذِي مَا زَالَ بِهَذِهِ الرِّتَبَةِ مِلْيًا ، وَبِمَا عَلِقَ بِذِمَّتِهِ مِنْ أَحْكَامِهَا

وَفِيَا، وَبِكُلِّ مَا يُرِضِي الْخَلِيقَةَ عَنْهُ مِنْ أحوالها قائما وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا، وَبِأَعْيَانِهَا مُسْتَقِيلًا مِنْ حِينَ مَتَّحَ اللَّهُ الْعِلْمَ نَاشِئًا وَأَتَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا . وَمَا يَرِجَ تَدْعُوهُ التَّقْوَىٰ فَيُجِيبُهَا، وَيَتْرَكَ مَا لَا يُرِيبُ نَفْسَهُ تَتْرِبُهَا عَمَّا يُرِيبُهَا، فَكَمْ بَحْرٌ بِالْبِلَادِ الشَّامِيَةِ مِنْ عِلْمِهِ عُبُونًا، وَغَرَسَ بِهَا مِنْ أَفْنَانِ فَضْلِهِ قُبُونًا ؛ وَكَانَ لَهَا خَيْرَ جَارٍ تَرَكَ لَهَا مَاسِوَاهَا ، وَأَكْرَمَ تَزِيلِ نَوَىٰ بِالْوَصُولِ إِلَيْهَا مَصْلَحَةَ دِينِهِ فَلَمْ يُضْغِجْ اللَّهُ لَهُ نَيْتَهُ الَّتِي نَوَاهَا ؛ وَأَلْفَ قَوَاعِدَ أَهْلِهَا وَعَوَائِدِهِمْ ، وَعَرَفَ بِحُسْنِ أَطْلَاعِهِ مَا جَبَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ غَائِبُهُمْ وَشَاهِدَهُمْ ؛ وَعَلَّوْهُ مِنَ النِّعَمِ الْمُقْبِلَةِ عَلَيْهِمْ ، وَأَقْتَدَوْا فِي مَحَبَّتِهِ بِالَّذِينَ تَبَوَّعُوا النَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ ؛ ثُمَّ قَدِمَ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَةِ وَمَا كَانَ قُدُومُهُ إِلَّا عَلَيْنَا، وَوَقَدَ إِلَيْهَا بِحُسْنِ مَوَدَّةٍ وَمَحَبَّةِ اللَّتَيْنِ مَا وَقَدَ بِهِمَا إِلَّا إِلَيْنَا ؛ فَرَأَيْنَا مِنْهُ إِمَامًا لَا يُحْكَمُ فِي تَوَلِيهِ الْحُكْمَ الْهَالِكِ، وَلَا يُنَوَّىٰ فِي تَقْلِيدِهِ الْقَضَاءُ غَيْرَ مَصْلَحَةِ الْمُسْلِمِينَ « وَلِكُلِّ أَمْرٍ مَا نَوَىٰ » ؛ وَهُوَ - بِمَجْدِ اللَّهِ - لَمْ يَزَلْ بِقَوَاعِدِ هَذَا الْمُنْتَصِبِ خَيْرًا، وَبِعَوَائِدِ هَذِهِ الرِّبَةِ بَصِيرًا ، وَبِإِجْرَائِهَا عَلَى أَكْلِ السَّنَنِ وَأَوْضَعِ السَّنَنِ جَدِيرًا ، وَبِإِمْبَاءِ حُكْمِ اللَّهِ الَّذِي يُحَقِّقُ إِيْمَادَ الْحَقِّ فِيهِ لِلْأُمَّةِ أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ ؛ مَعَ مَا تَكَلَّمَ بِهِ فُضَائِلُهُ مِنَ الْوُقُوفِ مَعَ الْحَقِّ الْمُتَيْنِ، وَالتَّحَلِّيِ بِالْوَرَعِ الْمُتَيْنِ ، وَالتَّخَلُّيِ لِلْعِبَادَةِ الَّتِي أَصْبَحَ مِنْ أَتَصَفَ بِهَا مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ .

فَلَذَلِكَ رَسَمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ الْأَشْرَفِ النَّاصِرِيِّ - لَا زَالَ عِلْمُ الْعِلْمِ فِي أَيَّامِهِ مَرْفُوعًا، وَالْمُجْهَلُ بِمَا خَصَّ اللَّهُ بِهِ ذُوْلُهُ مِنَ الْأُتَمَّةِ الْأَعْلَامِ مَدْفُوعًا - أَنَّ يَفُوضَ إِلَى الْمَشَارِ إِلَيْهِ قَضَاءُ الْقَضَاءِ الشَّافِعِيَّةِ، وَنَظَرُ الْأَوْقَافِ بِدِمَشْقِ الْمَحْرُوسَةِ وَأَعْمَالُهَا بِالْبِلَادِ الشَّامِيَةِ، وَمَا هُوَ مُضَافٌ إِلَى ذَلِكَ مِنَ الصَّدَقَاتِ وَالتَّدَارِييسِ وَالتَّصَدِيرِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، عَلَى عَادَةِ مَنْ تَقَدَّمَ فِي ذَلِكَ وَقَاعِدَتِهِ وَمَعْلُومِهِ .

فَلْيَقَابِلْ هَذَا التَّقْلِيدَ السَّعِيدَ بِيَدِ زَيْدٍ فِي الْحَقِّ تَمَكُّنُهَا ، وَعَلَى الْخَيْرِ تَمَرُّنُهَا ؛ وَفِي الْعَدْلِ أَنْيَسَاطُهَا ، وَفِي أَحْكَامِ اللَّهِ تَعَالَى بِحَسَنِ الْمَعَاذَةِ عَلَى الْحَقِّ قُوَّتُهَا وَأَحْيَاظُهَا ، وَتَمَيُّضُ عَلَى مَا أَلْفَ مِنْ سِيرَتِهِ الَّتِي زَانَ الْعِلْمُ أَوْصَافُهَا ، وَزَانَ الْوَرَعُ أَتْصَافُهَا ، وَحَلَّى الْعَدْلُ مَقَانِيرُهَا ، وَأَحْيَا النَّقْيُ مَا ثَرَا ؛ وَتَنَاقَلَتْ رِفَاقُ الْإِفْلَاقِ أَحْكَامُهَا ، وَأَسْتَصَحَبَتْ مِنْ هُدَايَا هُدَاهَا مَا تُخَفِّ بِهُ حُكُمُهَا ، وَفِيَا يُعَتَّ مِنْ مَحَاسِنِهِ مَا يُبْنِي عَنْ الْوَصَايَا الْمَجْدَدَةِ ، وَالْإِشَارَاتِ الْمُرَدَّدَةِ ؛ لَكِنْ الذِّكْرُ بِنَقْوَى اللَّهِ تَفْعُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَتَرْفَعُ الْمُتَّقِينَ ، وَتَجْمَعُ مَصَالِحَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ؛ فَلْيَجْعَلْنَاهَا خُلُقَهُ مَا اسْتَطَاعَ ، وَلْيَرَحُّكُمْ هُوَ الْحُكْمُ الْمُنْتَبِعُ وَأَمْرُهَا هُوَ الْأَمْرُ الْمُطَاعُ ؛ وَالْإِعْتَادُ رَابِعُ عَشَرَ الْمَحْرَمِ سَنَةِ خَمْسٍ وَسَبْعِينَ وَسَبْعِائَةٍ .

قُلْتُ : وَلَمْ أَقِفْ عَلَى تَفْوِيضٍ لِقَاضٍ مِنْ كِتَابَةِ مَنْ تَقَدَّمَ سِوَى تَفْوِيضٍ وَاحِدٍ ، مِنْ إِنْشَاءِ الْمُقَرَّرِ الشَّهَابِيِّ بْنِ فَضْلِ اللَّهِ ، كَتَبَهُ لِقَاضِي الْقَضَا « شَهَابُ الدِّينِ بْنِ الْمَجْدِ عَبْدِ اللَّهِ » بِالشَّامِ الْمَحْرُوسِ ، عَلَى مَذْهَبِ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ . وَهَذِهِ نَسْخَتُهُ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى التَّمَسُّكِ بِشَرَائِعِهِ ، وَالتَّنَفُّكِ بِذَرَائِعِهِ ، وَالتَّوَسُّلِ إِلَى اللَّهِ بِتَأْيِيدِ أَحْكَامِ شَارِعِهِ ، وَالتَّوَصُّلِ بِهِ إِلَى دِينٍ يُقَطَّعُ بِهِ مِنَ الْبَاطِلِ أَعْتَاقُ مَطَامِيهِ .

نَحْمَدُهُ حَمْدًا يَأْخُذُ مِنَ الْخَيْرِ بِجَمَائِعِهِ ، وَيُضَاهِي التَّحَامُّ فِي عَمَمِ مَنَافِعِهِ ، وَيُؤَيِّهِ السِّيفُ بِقَلَمِ الشَّرْعِ فِي قَهْرِ غَايِسِيهِ وَحِمَايَةِ طَائِعِهِ . وَنُشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً تَوَدَّى لِلْإِيمَانِ أَمَانَةً وَدَائِعِيَهُ ، وَتَهْدَى إِلَى صِيَابَةِ مَشَارِعِهِ ، وَتَقِيمُ مِنَ الْعُلَمَاءِ كُلِّ شَهَابٍ تُقِيمُ الْأَنْوَارُ بِلَوَائِعِهِ ، وَتُقِيمُ الْأَبْصَارُ بِبَدَائِعِهِ ، وَتَجُولُ الْقَتَاوَى فِي صَدْرِهِ الْفَسِيحِ وَتَجُولُ فِي شَوَارِعِهِ ، وَتُرْفِعُ مِنْهُمْ لِلْحُكْمِ الْعَزِيزِ كُلَّ قَلَمٍ يَدُلُّ الْمَسْهَمَ عَلَى مَوَاقِعِهِ ، وَيُبَيِّنُ الرِّجْحَ مِنْ مَقَانِلِ الْأَعْدَاءِ عَلَى مَوَاضِعِهِ ، وَيَسْرِي

غَمَامُهُ إِلَى الْأَعْدَاءِ بِصَوَاقِعِهِ وَإِلَى الْأَوْلِيَاءِ بِهَوَامِعِهِ ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدَهُ
وَرَسُولَهُ الَّذِي أَسْعَدَ الْأُمَّةَ بِطَالِعِهِ ، وَأَضْعَدَ الْأُمَّةَ فِي مَطَالِعِهِ ، وَأَسْعَفَ الْمُلَّةَ بِمَا
أَبْقَى اللَّهُ فِيهَا مِنْ حَسَنِ صَنَائِعِهِ وَبَيْنَ طَلَائِعِهِ ، وَمِنْ شَرِيعَتِهِ الَّتِي آمَنَ حَبْلِهَا الْمُدُودُ
مِنْ جَنْبِ قَاطِعِهِ ، وَكَفَى شَرَّ قَاطِعِهِ ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ صَلَاةَ [تَوَالِي
إِلَيْهِ تَوَالِي] الْعَذَبِ إِلَى مَتَابِعِهِ ؛ وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وبعد، فإن الله لما أقامنا لحماية شرعه الشريف أَنْ يُسَبَّحَ حِمَاهُ، أَوْ يُبَاحَ لِأَحَدٍ
مِنْ حُكَّامِهِ أَنْ يَرْكَبَ هَوَاهُ، أَوْ يَتَعَدَّى حُدُودَهُ فِي مَخْطَئِهِ أَوْ رِضَاهُ، أَوْ يُجَدِّثَ فِي أَمْرِهِ
مَا لَيْسَ مِنْهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ رَدًّا عَلَى سِوَاهُ - [جعلنا] نُجَدِّدُ عَلَى إِمَامَةِ مَنَارِهِ أَنْ يُطَمَّسَ ؛
وإِدَامَةِ مَبَازِرِهِ أَنْ يُقْلَعَ مَنَارُهَا أَوْ يُخَسَّ ؛ أَسْتَدَامَةً لَنَا بِسِ حُكَّامِهِ ، وَتَأْيِيدَ أَحْكَامِهِ ؛
لَأَنَّهُ سَحَابٌ أَبْوَاهُ يَبْعُ الرِّبْعَ زُبُوعَهَا ، وَمِشْكَاتُهُ أَنْوَارُ بُكَارِ الصَّبَاحِ لُمُوعَهَا ، وَأَفَاقُهُ
وَفَاقِي تَنْبِيهِ بِهِ الْأُمَّةَ ضُرُوعَهَا ، وَشَجَرَةُ مَبَارَكَةِ إِسْلَامِيَّةٍ زَكَتْ أَصُولُهَا وَنَمَتْ فُرُوعُهَا ؛
شُكْرًا لِلَّهِ عَلَى مَا خَصَّنَا بِهِ : مِنْ تَحْصِينِ مَمَالِكِ الْإِسْلَامِ ، وَتَحْسِينِ مَسَالِكِ دَارِ السَّلَامِ ؛
لِنَمْنَعِ الْحَيَّ أَنْ تُسَامَ ، وَبُرُوقَ الْفَنِّ أَنْ تُسَامَ ، وَوُجُوهَ الْفَتَوَى أَنْ تَتَرَنَّ إِلَّا بِشَامَةِ
الشَّامِ ؛ غِظَّةً بِأَنَّ اللَّهَ جَعَلَ لِلْإِسْلَامِ مِنْهَا مَا هُوَ خَيْرٌ وَأَقْبَى ، وَأَشْرَفُ وَأَنْقَى ، وَأَعْلَمُ
بَلَدٍ تَنْشَعِبُ بِالْمَذَاهِبِ طُرُقًا ، وَتَوَدُّ الْمَجَرَّةَ لَوْ وَقَفَتْ بِهَا عَلَى الشَّرِيعَةِ نَسْفًا . تَتَرَاخُمُ
فِي مَرْكَزِهَا الْأَعْلَامُ ، وَتَنْضَاقِرُ عَلَى الْجِهَادِ فِي اللَّهِ بِالْجِلْدِ وَالْجِدَالِ تَارَةً بِالسِّيُوفِ
وَتَارَةً بِالْأَقْلَامِ . وَدِمَشْقُ حَرَمِهَا اللَّهُ هِيَ أُمُّ ذَلِكَ الْإِقْلَامِ ، وَمِدَنُهُ الَّذِي يَجْتَوِي عَلَى
مَشَارِعِهَا حُتُوُ الْوَالِدَةِ عَلَى الْعَظِيمِ ، وَتَنْبِتُ بِهَا فَوَائِدُ لَا تَأْمَنُ مَعَهَا الْفَوَائِي حَتَّى
تَلِيْسَ «جَانِبُ الْعِقْدِ الْعَظِيمِ» ؛ وَهِيَ دَارُ الْعِلْمِ ، وَمَدَارُ الْحُكْمِ ، وَمَوْطِنُ عُلَمَاءِ تَتَعَاقَبِ

فيها كواكبهم ، وَتَتَأَوَّبُ سَحَابُهُمْ ، وَتَنَاهَى إِلَى حَكْمِهَا الْعَزِيزُ الشَّكْوَى ، وَتَفْصِلُ بِحَكْمِ حَاكِمِهَا الدَّعْوَى ، وَتَمْتَدُّ جَنَاحُ طَيْلَسَانِهِ عَلَى رَضْوَى ، وَتُحَلِّقُ الْبَرْقُ وَرَاءَ قَهْمِهِ وَلَا يَبْلُغُ غَايَتَهُ الْقُصْوَى ، وَيَطُولُ قَلَمُهُ عَلَى السَّيْفِ الْمُشْهَرِّ ، وَيُرْفَرِفُ سِجْلُهُ عَلَى الشَّرْعِ الْمُطَهَّرِ ، كَمْ حَلَّتْ فِي صُدُورِهِ صُدُورٌ ، وَكَمْ طَلَعَتْ مِنْهُمْ شُمُوسٌ وَبُدُورٌ ، وَكَمْ حُمِدَتْ مِنْهُمْ أُمُورٌ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ، كَمْ أَدَاءُ دَرَسَ بِهِمْ ذِكْرٌ ، وَكَمْ أَدَبَ نَفْسَ شِكْرِ ، كَمْ يَبِيحُ مَجْدٌ رَفِخَ ، وَجَدَّ لَمْلَمَةُ مَمَالِيهِ نَسَخَ ، كَمْ أَفْضِيَّةٌ لَمْ بِالْحَقِّ وَصَلَتْ ، وَفَضِيَّةٌ لَمْ تَلْقَ فَصَلَتْ ، وَمَهْنَةٌ مِنْ غَلَبِهِمُ الْآخِيقُ حَصَلَتْ ، كَمْ سِجْلٌ صَاحِبُ هَذَا الْمَنْصِبِ حَامِلٌ عَلَيْهِ الْمَنْشُورَ ، وَمَصْبَاحٌ دِيمِهِ الْحَافِلَةُ عَلَى مَتَرِ الدُّهُورِ ، بِشَرَفِ مُدْرِيسٍ عِلْمٌ يَطْلُعُ مِنْ مَحْرَابِهِ ، وَنَسَاكٌ حَلِمٌ يَبْدُو بَذَرُهُ التَّمَامُ خَلْفَ سَحَابِهِ ، وَتَحْلِسُ إِفَادَةٌ ، أَنْقَدَ عَلَيْهِ فِيهِ الْإِجْمَاعُ ، وَتَحْفِلُ سَادَةٌ ، كَانَ فِيهِمْ وَأَسِطَةُ عَقْدِ الْاجْتِمَاعِ .

[ولما] تَزَلَزَتْ قَدَمُ مَنَارِهِ ، وَأَتَهَكَ حِجَابُ صَمَائِرِهِ ، وَأَسْتَرَلَهُ الشَّيْطَانُ بِكَيْدِهِ الذَّنْبِ ، وَأَضَلَّهُ عَلَى عِلْمِهِ الْمُبِينِ ، وَسَبَقَ الْقَلَمُ الشَّرْعِيَّ ، بِمَا هُوَ كَاتِنٌ ، وَهَضَى الْحُكْمُ الْقَطْعِيَّ ، بِمَا هُوَ مِنْ تَصَرُّفِهِ بَاطِنٌ - تَرَدَّدَ الْإِخْتِيَارُ الشَّرِيفُ فِيمَنْ تُحَلِّي جِيدَهُ بِتَقْلِيدِهَا ، وَتُؤَهِّلُ بِرَأْعِهِ تَسْلِيمَ مَقَالِيدِهَا ، وَصَوَّبْنَا صَوَابَ النَّظَرِ فِيهَا مِصْرًا وَشَامًا ، وَأَسْتَشْرِفْنَا أَعْلَامًا ، وَتَيَقَّنَا لِأَقْوَى مَا يَكُونُ [لَهَا] قَوَامًا ، وَابْتَكَرْنَا أَنَّهُ لَا يَصْلُحُ إِلَّا مَنْ كَانَ لِحِلَّةِ الْمَحْدِ طَرَازًا ، وَبَزِيدُ الْعَمَلِ إِلَيْهِ آعْتَرَاءُ وَالْعِلْمِ بِهِ آعْتَرَاظًا ، إِلَى أَنْ أَجْمَعَ رَأْيُنَا الْعَالِي عَلَى أَنْ لَا يُنْكَرَ ذُو قَدَمٍ وَلَا قَدَمٌ وَلَا قَلَمٌ ، أَنَّهُ السَّابِقُ ، وَلَا يَحْدُدُ رَبُّ عِلْمٍ وَلَا عَمَلٌ وَلَا عِلْمٌ ، أَنَّهُ الْبَاسِقُ . وَلَا يُسَلِّكُ أَنَّ مِنْ فَوَائِدِهِ يُسَمِّدُ الْمَطْرُومَ تَوْقُدَ ذَهْنَهُ يُقَدِّحُ زِنَادَ الْبَارِقِ ، وَلَا يَرْتَابُ الْبَحْرُ أَنْ فَرَائِدِهِ مَا يُطَوِّقُ الْعُقَى وَيُسْنِفُ الْأَدُنَّ وَيُتَوَّجُ الْمَقَارِقَ ، وَلَا يَمَارِي فِي فَضْلِهِ الَّذِي لَوْ طُلِبَ لَهُ مِثْلٌ لَمْ يُصَبْ ، وَلَوْ أَدْعَى الْكَوْكَبُ السَّارَى أَنَّهُ لَهُ شَيْءٌ لَمَسَهُ النَّصَبُ ، أَوْ تَلَفَّتْ أَعْنَاقُ الْقَنَا إِلَى قَلَمِهِ لَا يَقْنَتَ أَنَهَا كُلُّ عَلَى الْقَضْبِ ،

وهو الذى أفنى عمره فى تحصيل العلم اشتغالا ، وجدّ فى الطلّب لصالح العمل وإن تَفَالَى ، وبقيَ فِيقَه قَومٌ ماجدٌ منهم مثله ماجد ، ولا جادتْ يدُ كَرِيمٍ منهم تمتد بما هو جائد ؛ ودرجَ أقرانه إلى الله وحلّ دونهم شرعا لا يردّ واردا ، وحلّفَ بعلومهم سَهْمًا فى الكفانة وإحدا .

وكان المجلس العالى - أدام الله تأييده - هو الذى تحتلّ به المناقب ، وتختار قضائُه المواقب ؛ وتُسِرُّ بقلبه الفتاوى إشراف النّهار ، وتُفِدُّ مِنافِئُه إغداق السُّحب بالأمطار ، وتُحْدِثُ به الطّلبة إحداق الحكّامة بالثمر والمالآت بالأفكار ؛ وهو شافى عى كُلِّ شافى ، ودواء ألم كُلِّ ألمى ؛ طالما جانبَ جنبُه المضاجع سُهادا ، وقطعَ الليلَ ثمّ استمده لمدد فتاويه مدادا ؛ وجمعَ بين المذهبين نظرا وتقليدا ، والمُذهِبَيْنِ من القولين قديما وجديدا ؛ وسلكَ جميعَ الطرق إلى مذهب إمامه ، وملكَ حسانها فأسفر له [كل] وجه تغطّى من أوراق الكتب بلثامه ؛ وأفتتحت [بفهمه] للتصانيف أبواب شغلت « القفال » أفعالها ، ونفّحت له نفحات ما « لأوردى » مثالها ، وسفحت ديم غزار يسقى « المزنى » سجالها ، ومنحت حلالا يَفْخَرُ « الفزالي » إذا تُسِجَ على منواله سراها .

فرسم بالأمر الشريف - لا زال يحدد ملايس فضله ، ويقلّد كلّ عملٍ لصالح أهله - أن يفوض إليه قضاءُ قضاء الشافعية بدمشق المحروسة وأعمالها وجُندِها وضواحيها ، وسائر الممالك الشامية المُضَافَةِ إليها والمنسوبة لها والمحسوبة فيها ؛ يؤلّى ذلك ولايةً صحيحة شرعية ؛ على عادة من تقدّمه وقاعدته المرحية ؛ مع ما هو مضاف إلى من كان قبله من تدريس المدارس ، تفويضا لا يُنافِسه فيه مُنافِسٌ ، ولا يحالسه فى درسه إلا من ارتضى من النجوم أن يحالس ؛ وأدّاه له أن يستتب عنه من

لا يَحْبُلُ عند الله ولا عِنْدَنَا بِاسْتِدْرَاجِهِ ، وَلَا يُدَاخِلُهُ ظَنٌّ فِي خَلَاصِ ذِمَّتِهِ بِإِيَابَتِهِ إِلَى
الله فِي نِيَابَتِهِ ؛ عَلَى أَنَّهُ يَتَفَقَّدُ أَعْمَالَهُمْ ، وَيَتَصَفَّحُ أَحْوَالَهُمْ : فَنَقَلَ إِلَيْهِ نِقَاتَهُ أَنَّهُ
عَلَى طَرِيقِ مُسْتَقِيمِ أَقْرَهُ ، وَإِلَّا صَرَفَهُ ثُمَّ لَا يَكُونُ لَهُ إِلَى عَمَلِهِ كَرْهُ ؛ وَهُوَ الْقَائِمُ بِحُجَّةِ
الْشَّرْعِ الشَّرِيفِ وَحُجَّةِ اللهِ عَلَيْهِ قَائِمُهُ ، وَعَلَيْهِ إِنْ قَصَرَ - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ - فِي أُمُورِهِ تَعَوَّدُ
الْأَلَايَةِ ؛ وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ مَا كُنَّا نَعْرِفُكَ عِيَانًا ، وَإِنَّمَا وُصِفَتْ لَنَا حَتَّى كَأَنَّا تَرَاكَ وَسَمِعْتَهُمَا
نَحْنُ عَلَيْهِ حَتَّى كَأَنَّكَ تَرَانَا ؛ فَشِدَّةٌ لِمَنْ شِدَّةٌ لَكَ شُكْرُهُمْ أَرْكَانًا ، وَأَعْلَى ذِكْرُهُمْ لِمَجْدِكَ
بِنَايَا ، وَجَعَلَ لَكَ قَدْرَهُمُ الْجَمِيلُ مِنَّا سُلْطَانًا ؛ وَأَقِمْ بِحُسْنِ سُلُوكِكَ عَلَى مَا قَالُوا فِيكَ
بُرْهَانًا ؛ وَأَعْرِفْ لَهُمْ حَقَّ مَعْرِفَتِهِمْ وَجَاوِزِهِمْ عَنْ حُسْنِ ظَنِّهِمْ بِالْحَسَنَاتِ إِحْسَانًا .

وَنَحْنُ نُوَصِّيكُ بِوَصَايَا تَشْهَدُ لَنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْكَ بِبَلَاغِهَا ، وَيَعْتَرِضُ مِنْهَا
فِي الْخُلُوقِ نَجْمًا : فَأَيُّ الزُّجَالِ يَقْدِرُ عَلَى مَسَاغِهَا ؛ فَإِنْ قُرَّتْ بِهَا كَانَ لَنَا وَلَكَ فِي الْأَجْرِ
أَشْرَاكَ ، وَإِنْ أَضَعَتْ حَقُوقَهَا فَاللهُ يَعْلَمُ أَنَّا أَعْرَجْنَا هَذِهِ الْأَمَانَةَ مِنْ عُنُقِنَا وَقَلَدْنَاكَ ،
وَاللهُ وَمَلَائِكَتُهُ بَيْنَا وَبَيْنَكَ شُهُودٌ عَلَى مَا أُولِيَاكَ وَمَا وَلَّيْنَاكَ ؛ فَعَلَيْكَ بِتَقْوَى اللهِ
فِي السِّرِّ وَالْإِعْلَانِ ، وَالْعَمَلِ بِمَا تَعَلَّمَهُ سَوَاءٌ رَضِيَ فُلَانٌ أَوْ سَخِطَ فُلَانٌ ؛ وَالْإِتِّهَاءُ
إِلَى مَا يَقْتَضِيهِ عُمُومُ الْمَصَالِحِ ، وَإِمْضَاءُ كُلِّ أَمْرٍ عَلَى مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ رَسُولُهُ صَلَّى اللهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَ عَلَيْهِ السَّلَفُ الصَّالِحُ ؛ وَإِنَامَةُ حُدُودِ اللهِ وَلَا تَتَعَدَّ حُدُودَهُ ، وَقِفْ
الْبِدْعَ لِإِظْهَارِ الْحَقِّ لَا لِإِثَارَةِ فِتْنَةٍ مَقْصُودَةٍ ؛ فَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْكَرْتَهُ أَنْتَ وَأَنْتَ لَكَ
مِنَ الْأُئِمَّةِ الْعُلَمَاءِ عَلَى مَنْ تَقَدَّمَكَ مِنْ تَسَرُّعِهِ فِي مِثْلِ ذَلِكَ ، وَتَهْلُعُهُ إِلَى مَطَالِبِ
سَقَطِ دُونِهَا فِي مَهَاوِي الْمَهَالِكِ ؛ فَلْيَاكَ إِلَيْكَ أَنْ تَنْبَغَ فِي هَذَا التَّحْوِيلِ سُبُلُهُ ، أَوْ «تَتَه»
عَنْ خُلُقِي وَتَأَنَّى مِثْلَهُ» .

والصدقات الحكيمة على مادة المساكين، وجادة الشاكرين؛ ففرقتها على أهلها، وأجمع لك الحسنات عند الله بتبديد شملها؛ ولا تبق منها بقية تبقى معرضة لأكلها، فلو أراد وأقفوها - رحمهم الله - أنها تبقى مخزونة، لماسمحوا ببطلها؛ وبقية الأوقاف شارب في أمورها، وشارك الواقفين - رحمهم الله - في أجورها؛ وخُص الأسارى - أحسن الله خلاصهم - بما يصل به إحسانك إليهم، ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم .

والأيتام - جبرهم الله - : منهم الطفل والمميز والمراهق ومن لم يملك رشدَه، أو من يحتاج أن يبلغ في جواز التصرف أشده؛ وكل هؤلاء فيهم من لا يعلم من يضره من ينفعه، ولكن الله يعرفه وفي أعماله يرقعه؛ فاجتهد أن تكون فيهم أبا برا، وأن تتخذ فيهم عند الله أبرا، وأن تامل في بيتك بمثل ما علمتهم إذا أقلت إلى الدار الأخرى، وأحفظ أموالهم أن تنهكها بجرة المال، وترجع في قراضها إلى ما ينجف برءوس الأموال؛ ومثل أعمالك [المعروضة] على الله في صفاتها المعروضة، وأحذر من المعاملة لهم إلا بشأيدة ظاهرة ورهن مقبوضه .

والجهات الدينية هي بضاعة حفظك، ووداعة لحظك، فلا تول كل جهة إلا من هو جامع لشرطها، قائم بموازين قسطها .

والشهود هم شهداء الحق، وأمناء الخلق؛ وعلى شهادتهم تُبنى الأحكام، فإياك والبناء على غير أساس ثابت فإنه سريع الانهدام؛ ومنهم من يشهد في قيمة المثل ويتعين أن يكون من أهل البلد الأمثل، لأنه لا يعرف القيمة إلا من هو ذو سعة ممول؛ ومنهم من أذن له في العقود فامنع منهم من تسهل بسبب من الأسباب، وما تمهل إشفافا لا اختلاط الأنسال والأنساب؛ يقبل التعريف بما يخلو من الموانع

الشرعية مَنْ كَانَ، وَلَا يُحْسِنُ فِي تَرْوِيحِهِ يُسَكِّإِنْسَاكَ بِمَعْرُوفٍ وَلَا يُسْرِحُ نَسِيرِيًا
بِإِحْسَانٍ؛ وَهَؤُلَاءِ مَقَاسِدُهُمْ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُحْصَى، وَالبلاءُ بِهِمْ أَكْبَرُ مِنْ أَنْ يُسْتَقْصَرَ
أَوْ يُسْتَقْصَى؛ فَاعْتَبِرْ أَحْوَالَهُمْ أَعْبَارًا جَلِيًّا، وَفَكِّرْ فِي أَسْتِدْرَاكِ فَايُطِهِمْ فِكْرًا مَلِيًّا؛
وَمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنَ الْعِلْمِ وَالْدِّينِ مَا يُوَسِّعُ لَهُ الْمُشْتَبَهَاتِ، فَإِيَّاكَ وَرَكَهَ قُرْبُ مُعْتَقِدٍ أَنَّهُ
يَطَأُ وَطْأَ حَلَالًا وَقَدْ أَوْقَعَهُ هَذَا وَمِثْلُهُ فِي وَطْءِ الشُّبُهَاتِ؛ وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْمَدُ إِلَى
التَّحْلِيلِ، وَيَرْتَكِبُ مِنْهُ مَحْدُورًا غَيْرَ قَلِيلٍ؛ وَهُوَ بَيْنَهُ نِكَاحُ الْمُتَمَعَةِ الَّتِي كَانَ آخِرُ
الْأَمْرَيْنِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّهْيُ عَنْهُ، وَقَامَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرُ
أَبْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مُحَذَّرًا مِنْهُ؛ فَاحْجِمِ هَذِهِ الْمَادَّةَ الرَّدِيَّةَ الَّتِي تَوَلَّمُ عُضْوَا
فِيَسْرَى إِلَى سَائِرِ الْأَعْضَاءِ أَلْمَهَا، وَيَسْقَى فِي كَثِيرٍ مِنَ الدَّرَارِيِّ الْمَوْلُودَةِ مِنْ هَذِهِ الْأَنْكَمَةِ
الْفَاسِدَةِ تَلْمَهَا.

وَالرَّسُلُ وَالْوُكَلَاءُ يَجْلِسُ الْحُكْمَ الْعَزِيزُونَ يَأْمُرُكَ فِي الصَّدَقَاتِ، وَمَا نَزَلَ فِي أُمُورٍ
مَا يَرِيدُونَ بِهَا تَقْلِيدَ حُكْمِكَ بَلْ مَا يَقْضُونَ بِهِ الْأَوْقَاتِ؛ فَلَا تَدْعَ مَنْ تَرِيدُ مِنْهُمْ
إِلَّا كُلَّ مَشْكُورٍ الطَّرِيقِ، مَشْهُورٍ الْقِصَّةِ بَيْنَ الْخَصُومِ بِطَلَبِ التَّوْفِيقِ.

وَالْمَكَائِبُ هِيَ سَهَامُكَ النَّافِثَةُ، وَأَحْكَامُكَ الْمُؤَاخَذَةُ؛ فَسَدِّدْ مَرَامِيهَا، وَلَا
تُرْدِفْهَا مَاعِرِضَ عَلَيْكَ مِنَ الْأَحْكَامِ حَتَّى لَا يَسْرَعَ الدَّخُولُ فِيهَا؛ وَالْمَخَاضُ هِيَ مَحَلُّ
التَّقْوَى، فَاجْتَهِدْ فِيهَا أَجْتِهَادًا لَا تَدْرُمُهُ وَلَا تُثَقِّ.

وَأَمَّا قَضَايَا الْمُتَحَاكِينَ إِلَيْكَ فِي شَكَوِيهِمْ، وَالْمُتَحَاكِينَ فِي دَعَاوِيهِمْ، فَانْتَهِمْ
خَيْرًا، وَلَمْ نَأْقِدْ بِصَبْرٍ؛ فَإِذَا آتَاكَ لَتَكْشِفَ بِحُكْمِهِمْ لَأَوَاعِمُ، فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ
وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ؛ وَقَدْ قَهَّكَ اللَّهُ فِي دِينِهِ، وَأَوْرَدَكَ مِنْ مَوَارِدِ يَقِينِهِ، مَا جَمَلَهُ لَكَ

تُورًا، وجَلَّاه لك سُفُورًا ؛ وأَقَامَه عليك سُورًا، وَعَلَمَكَ مالم تَكُنْ تعلمُ منه أُمُورًا، فإن أَشْكَلَ عليك أَمْرٌ فَرُدَّهُ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإِجْمَاعِ أَصْحَابِهِ فإن لم تَجِدْ فَعِنْدَكَ مِنَ الْعُلَمَاءِ مَنْ يَجْعَلُ الْأَمْرَ بَيْنَهُمْ سُورَى ؛ ولَا مِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَمْرَيْنَ الْخَطَّابَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَتَبْتُ كِتَبَهُ إِلَى بَعْضِ الْقَضَاةِ، فَأَعْمَلُ بِمَقْتَضَاهُ، وَأَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ آرَضَاكَ لِحَقِّهِ فاعْمَلْ عَلَى رِضَاهُ .

والأئمة العلماء هم إخوانك في الدين ، وأعاونك على رَدِّعِ الْمُبْتَدِعِينَ، وَلِسَانُكَ فِي الْحَفْلِ وَجَنَاحُكَ إِذَا جَلَسُوا ذَاتَ الشِّمَالِ وَذَاتَ الْيَمِينِ ؛ فَتَرْتَمِ مَنْازِلَهُمُ الَّتِي أَحْلَاهُمْ اللَّهُ فِي شُرَفَاتِهَا ، وَيَوْمَهُمْ رَفِيعَ غُرُفَاتِهَا ، وَتَأَلَّفَ خَوَاطِرَهُمْ فَإِنَّكَ تَنْظُرُ إِلَى كَثِيرٍ مِنَ الْأُمُورِ فِي صَفَاءٍ مُصَافَاتِهَا .

وَمِنْ نُسِبَ إِلَى خِرْقَةِ الْفَقْرِ وَأَهْلِ الصَّلَاحِ هُمُ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ الْمُقَرَّبُونَ ، وَأَحِبَّاءُ الْأُفْرُيُونِ ، فَظَمَّ حَيَاتِهِمْ، وَجَانِبَ عَابَاتِهِمْ، فَمَا مِنْهُمْ وَإِنْ اخْتَلَفَتْ أَحْوَالُهُمْ إِلَّا مِنْ هُوَ عَلَى هُدًى مُبِينٍ، وَأَحْرِصْ أَنْ تَكُونَ لِمَنْ حَبَا يَلَا قُلُوبَهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ يَنْظُرُ إِلَى قَوْمٍ مِنْ قُلُوبِ قَوْمٍ آخَرِينَ .

وَأَتَّصِبُ لِلدَّرُوسِ الَّتِي تَقَدَّمَتْ بِهَا عَلَى وَافِدِ الطَّلَبَةِ فَإِنَّ الْكِرَمَ لَا يَحِقُّهُ الْاِتِّقَاسُ، وَالْمَصْبَاحُ لَا يُفْنِي مُقْلَهُ كَثْرَةُ الْاِتِّقَاسِ، وَالنَّهْمُ لَا يَنْقُصُهُ تَوَالِي الْمَطَرِ وَلَا يَزِيدُهُ طَوْلُ الْاِحْتِسَابِ، وَالْبَحْرُ لَا يَتَغَيَّرُ عَنْ حَالِهِ وَهُوَ لَا يَخْلُوعُ عَنِ الْوَرَادِ فِي عَدَدِ الْاِتِّقَاسِ .

وَالْوَصَايَا كَثِيرَةٌ وَإِنَّمَا هَذِهِ نُبْدَةٌ جَامِعَةٍ، وَبَارِقَةٌ لَامِعَةٍ ؛ وَمِنْكَ يُسْتَفَادُ بِسَاطُ الْقَوْلِ، وَانْبَسَاطُ الطَّوْلِ؛ وَلِهَذَا يُكْتَفَى بِمَا فِيكَ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَكْفِيكَ، وَيُجْصِي حِسَابَ أَعْمَالِكَ الصَّالِحَةِ لِيُوفِكَ ؛ حَتَّى تَجِدَ فَلَا تَخْطُفُ بِكَ السَّيْرُ، وَتُسْتَعِدَّ لِيُخْتَمَ لَكَ بِجَانَةِ الْخَيْرِ، وَالْاِتِّعَادُ عَلَى الْاِخْطَاءِ الشَّرِيفُ .



قلت : وهذه نسخة توقيع بقضاء ، أنشأه يَدِشَقَ للقاضي «شرف الدين مسعود»

وهي :

الحمد لله الذي شَدَّ أحكام الشرع الشريف وزَادَ حُكْمَهُ في أيامنا شَرَفًا ، وَرَفَعَ
مَنَارَ الْعِلْمِ عَلَى كُلِّ مَنَارٍ وَبَوَّأَ أَهْلَهُ مِنْ جَنَاتٍ إِحْسَانًا غُرَفًا ؛ وَأَبَاحَ دَمَ مَنْ أَلْحَدَ فِيهِ
عِتَادًا أَوْجَهَ إِلَيْهِ طَعْنًا ، وَأَوْجَبَ الْإِقْبَادَ إِلَيْهِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ
الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾ ؛ وَاهْتَمَّ
الصَّوَابُ فِي اخْتِيَارِ مَنْ لَمْ يَزَلْ لِهَذِهِ الرِّتَبَةِ مُعَدًّا وَمِنْ رَجَالِهَا مُعَدُّودًا ، وَصَرَفَ وَجْهَهُ
إِقْبَالًا لَنَا إِلَى مَنْ أَرْضَيْنَاهُ لِلْسَّامِعِينَ حَاكِمًا فَاصِحٍ بِنَظَرِنَا مَسْعُودًا .

نَحْمَدُهُ حَمْدَ مَنْ أَعْنَى بِالْقِيَامِ بِشَرَائِعِ الْإِسْلَامِ وَتَعْظِيمِ شَعَائِرِهِ ، وَنَفَصَحَ لِلرُّعْبَةِ
فِيمَنْ وَلَّاهُ عَلَيْهِمْ وَأَعْطَى مَنَصِبَ الشَّرْعِ حَقَّهُ بِتَقْدِيمِ أَكْبَارِهِ . وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً يُقْضَى لِمُصَاحِبِهَا بِالنَّجَاةِ مِنَ النَّارِ ، وَيُسَجَّلُ لِقَائِهَا بِالثَّبُوتِ
فِي دِيْوَانِ الْأَبْرَارِ ؛ وَأَنْ عَمَّا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي شَرَطَ الْإِيمَانَ بِالرَّضَا بِحُكْمِهِ
وَأَوْجَبَ طَاعَتَهُ أَمْرًا وَنَهْيًا وَاسْتِجَابَةً وَتَحَكُّمًا ، فَقَالَ تَعَالَى : ﴿ فَلَا رِبَّكَ لَا يُؤْمِنُونَ
حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا
تَسْلِيمًا ﴾ . صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ نَحْنُ بِسِرِّهِمْ مُهْتَدُونَ ، وَبِأَنَارِهِمْ
مُقْتَدُونَ ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الْفَرُ الْكَرَامِ الَّذِينَ قَضَوْا بِالْحَقِّ وَبِهِ كَانُوا يَتَدَلُّونَ ؛ صَلَاةٌ
لَا يَخْتَلِفُ فِي قَضَائِهَا أَتَّانَ ، وَلَا يَتَنَازَعُ فِي قَبُولِهَا خَصْمَانِ ؛ وَسَلَامٌ تَسْلِيًا كَثِيرًا .

وبعد ، فلما كانت مرتبة الشرع الشريف هي أعلى المراتب ، وَمَنْصِبُ حُكْمِهِ
في الِوَرَى أَرْفَعُ الْمَنَاصِبِ ؛ إِلَيْهِ تَنْتَهِي الْخَاصَمَاتُ فَيُفْصَلُهَا ثُمَّ لَا تَعُدُّوهُ ، وَيَحْكُمُ فِيهِ عَلَى

الخصم فُذِعْنُ لِحُكْمِهِ ثُمَّ لَا يَسْنُوهُ ؛ بَلْ يَتَفَرَّقُ الْخَصْمَانِ وَكُلٌّ مِنْهُمَا بِمَا قُضِيَ لَهُ وَعَلَيْهِ رَاضٍ ، وَيَقُولُ الْمُتَمَرِّدُ الْخَائِرُ لِحَاكِمِهِ : قَدْ رَضِيتُ بِحُكْمِكَ فَاقْضِ فِي مَا أَنْتَ قَاضٍ ؛ وَنَاهِيكَ بِرَبِّيَّةِ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ الْمُتَصَدِّقُ لِلْقِيَامِ بِوَاجِبِهَا ، وَالْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ - رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ - عَافِظِينَ عَلَى أَدَاءِ رَوَاتِبِهَا ؛ ثُمَّ اخْتَصَّ بِهَا الْعُلَمَاءُ الَّذِينَ هُمْ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ مِنَ الْخَلِيقَةِ ، وَأَسْتَأْثَرُوا بِهَا دُونَ غَيْرِهِمْ مِنْ سَائِرِ النَّاسِ فَهَمُ أَهْلُهَا عَلَى الْحَقِيقَةِ ؛ إِذْ لَا يُؤْهَلُ لِهَذِهِ الرَّبِّيَّةِ إِلَّا مَنْ أَرْتَقَى إِلَى دَرَجَاتِ الْكَمَالِ ، وَأَتَمَّصَفَ بِأَحْسَنِ الْأَوْصَافِ وَأَحْتَوَى عَلَى أَتَمِّسِ الْخِصَالِ ؛ وَتَضَلَّعَ مِنَ الْعِلْمِ الشَّرِيفِ بِمَا يَرْوِيهِ ، وَفَاقَ فِي الْعَقْلِ وَالْقَلْبِ بِمَا يَحْكُمُهُ وَيَرْوِيهِ .

ولما كان المجلس الفلاني : هُوَ عَيْنَ هَذِهِ الْقِلَادَةِ وَوَاسِطَةَ عَقْدِهَا ؛ وَقُطْبَ دَائِرَتِهَا وَمِلَاكَ حُلَّتِهَا وَعَقْدِهَا ؛ إِذْ هُوَ «شُرَيْحُ» الزَّمانِ ذِكْرًا ، وَ«أَبُو حَايِدٍ» سِيرَةً وَ«أَبُو الطَّيِّبِ» شُجْرًا ؛ لِاجْتِمَاعِ أَلْبَسَتُهُ أَيَّامُنَا الزَّاهِرَةَ مِنَ الْحُكْمِ ثَوْبًا جَدِيدًا ، وَأَفَاضَ عَلَيْهِ إِتْمَامُنَا نَحْلَةً نَعْقِبُهَا - إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى - مَزِيدًا .

فلذلك رسم بالأمر الشريف - لازالت الشريعة المطهرة بمناصرتها في أعزِّ صَوَانٍ ، وَحُكَاةٍ بِمَعَاذَتِهِ فِي أَعْلَى دَرَجَةٍ وَأَرْفَعِ مَكَانٍ - أَنْ يَفُوضَ إِلَيْهِ إلخ

فليأشِرْ هَذِهِ الْوِظَافَةُ مَبَاشَرَةً مِثْلَهُ لِمَنْ لَهَا ، وَلْيَعْمَلْ بِمَا يَعْلَمُهُ مِنْ أَحْكَامِهَا فَهُوَ آيُنَ بِجَدَّتِهَا وَانْخِيسِرُ بِمَسَالِكِ وَغَيْرِهَا وَسَبِيلِهَا ؛ فَهُوَ الْحَاكِمُ الَّذِي لَا يُسَاوِي ، وَالْإِمَامُ الَّذِي يَقْتَدِي بِهِ فِي الْأَحْكَامِ وَالْفَتَاوَى ؛ فَمَلِّهِ بِالثَّانِي فِي الْأَحْكَامِ ، وَالتَّثْبِيتِ فِيمَا يَصْدُرُ عَنْهُ مِنَ الْقَضِ وَالْإِبْرَامِ ؛ وَلْيَنْظُرْ فِي الْأَمْرِ قَبْلَ الْحُكْمِ الْمَرَّةَ ثُمَّ الْأُخْرَى ، وَيُكْرِّرِ النَّظَرَ فِي ذَلِكَ وَلَوْ أَقَامَ شَهْرًا ؛ وَيُرَاجِعْ أَهْلَ الْعِلْمِ فِيمَا وَقَفَ عَلَيْهِ وَيُسَاوِرْهُمْ فَمَا نَدِمَ مِنْ اسْتِشَارٍ ، وَيُقَدِّمَ اسْتِخَارَةَ اللَّهِ تَعَالَى فِي سَائِرِ أُمُورِهِ فَمَا خَابَ مِنْ اسْتِخَارٍ ؛ وَلْيَسُدِّرْ

مع الحق كيف دار ، وبتبع الصواب أتى توجهه ويقتضى أثره حيث سار ، وإذا ظهر له الحق قضى به ولو على أنه وأبيه ، وأعز أصدقائه وأخص ذويه ؛ غير متفرق في فصل القضاء بين القوى والضعيف ، والوضيع والشريف ؛ ولا تميز في تنفيذ الحكم بين الغني والفقير ، والسوقة والأمير ؛ وليسوين الخصوم حتى في تقسيم النظر إليهم ، كما في موقف الحكم وسماع الدعوى ورد الأجوبة فيما لم عليهم ، وليس تخلف من الثواب من حسنت لديه سيرته ، وحسنت عنده طريقته ؛ ويوصى كلأ منهم بما نوصيه به ويأليخ في تأكيد وصيته ، ويستحضر السر في قوله صلى الله عليه وسلم : « أَلَا كُلُّكُمْ رَايَ وَكَلِمَ مَسْئُولٌ عَنْ رَيْبَتِهِ » . ولئمين النظر في أمر الشهود الذين تترتب على شهادتهم أمور الدنيا والفروج والأموال ، ويتفقد أمرهم في كل وقت ولا يغفل عنهم في حال من الأحوال ؛ ويحملهم من الطرائق على أحسن وجهها ، وأحقهم بإمعان النظر شهود القيمة والمآثر ، الذين يقطع بقولهم في أملاك الأيتام والأوقاف مما تنفر عنه القلوب وتنبو عنه الضمائر .

والوكلاء والمتصرفون فهم قوم فصل عنهم الشرف بأعوه ، وأستحفظوا الود فلم يرعوا حقه وأضاعوه ؛ فهم آفة أبواب القضاء بلا نزاع ، كيف وهم الضباغ الضارية والذئاب الجياع . وما تحت نظره من أوقاف المدارس والأسرى والصدقات ، وغيرها مما يقصد به واقفوه وجه البر وسبل القربات ؛ يحسن النظر في وجوه مصارفها ، مع حفظ أحوالها الذي هو أغيا مراد واقفها .

وأهل العلم أبناء جنبه الذين فيهم نسا ومنهم نجم ، وجنده الذين يقصدونه بالفتاوى فيما قضى وحكم ؛ فليوقر لهم الإحسان ، ويصنع معهم من المعروف ما يبقى ذكره على ممر الأزمان ؛ ومثله لا يحتاج إلى كثرة الوصايا ، وثوقا بما عنده من العلم

بِالْأَحْكَامِ وَالْمَعْرِفَةِ بِالْقَضَايَا ؛ لَكِنْ عَلَيْهِ بِتَقْوَى اللَّهِ وَمِرَاقِبَتِهِ يَكُنْ لَهُ مِمَّا يَتَّبِعُهُ
ظَهْرًا ، وَيَسْتَرْشِدُهُ فِي سَائِرِ أُمُورِهِ يَجْعَلُ لَهُ مِنْ لَدُنْهُ هَادِيًا وَنَصِيرًا ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى
يَبْلُغُ وَأَتَقَى أَمَلَهُ مِنْ كَرَمِنَا مَرَامًا ، وَيُوَطِّئُ لَهُ الْمِهَادَ بِلَدٍ حَسَنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا .
إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



وهذه نسخة توقيع بقضاء قضاة المالكية بالشام ، من إنشاء الشيخ شهاب الدين
محمود الحلبي تَقَمَّده الله برحمته ، وهي :

الحمد لله جاعل المذاهب الشرعية في أيامنا الشريفة زاهيةً بآرائها بركاتها الأربعة ،
مستقرة على النظام الذي غدت به قواعد الحجّة محكمة ومواقع الرحمة متيسرة ، فإذا خلا
رُكْنٌ مِنْ مُبَاشَرَةٍ أَقْبَنَّا مِنْ تَكُونِ الْقُلُوبِ عَلَى أَوْلَوِيَّتِهِ جُمُعَتِهِ ، وَأَنْتَقِينَا لَهُ مِنَ الْأَقْيَاءِ
مَنْ تَقْدُّو بِهِ الْأُمَّةُ حَيْثُ كَانَتْ مُتَتِّعَةٍ ، وَأَسْتَدْعِينَا إِلَيْهِ مَنْ تَعْدُو الْأَدْعِيَةَ الصَّالِحَةَ
لَنَا بِتَفْوِضِ الْحُكْمِ إِلَيْهِ مُرْتَفَعَةٍ ؛ الَّذِي خَصَّ مِنْهَبَ « إِمَامِ دَارِ الْهَجْرَةِ »
بِكُلِّ إِمَامٍ هَجَرَ فِي التَّبَحُّرِ فِيهِ دَوَاعِيَ السُّكُونِ وَبَوَاعِثِ الدَّعَى ، وَجَمَلَ مَنْصَبَ حُكْمِهِ
بِمَنْ كُلِّ بَعْلُومِ الدِّينِ نَحَرُهُ فَإِذَا حُكِمَ غَدَتِ الْأَقْضِيَةُ لِحُكْمِهِ مُنْفَذَةً وَإِذَا قَضِيَ أُخْجَتِ
الْأَحْكَامُ لِأَقْضِيَتِهِ مُتَّبِعَةً .

نحمده على نِعَمِهِ الَّتِي جَعَلَتْ مِنْهُمْ الشَّرْعَ الشَّرِيفَ لَتَيْنَا كَالْأَسْتِفْهَامِ الَّذِي لَهُ
صَدْرُ الْكَلَامِ ، وَبِمَثَابَةِ النَّبِيِّ الْمَقْدَمَةِ حَتَّى [عَلَى] تَكْبِيرَةِ الْإِحْرَامِ ؛ وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ
إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً أَثْبَتَ الْإِخْلَاصَ حُكْمًا ، وَأَحْكَمَ الْإِيمَانَ عِلْمًا ،
وَأَتَقَى الْيَقِينَ عَلَى صَفَحَاتِ الْوُجُوهِ وَالْوُجُودِ وَتَمَتَّعَ الْمَشْرِقَ وَأَسْمَتَهَا ؛ وَنَشْهَدُ أَنْ مُحَمَّدًا
عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ فِي الْإِقْرَارِ بِقَضَائِهِ ، وَأَرْسَلَهُ (بِالْهَدْيِ

وَيَنْ الْحَقَّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ)؛ وَخَصَّهُ بِالْكَتَابِ الَّذِي أَخْرَسَ الْآثِمَ عَنْ مُجَارَاتِهِ
فَلَوْ (أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ)؛ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ تَمَسَّكُوا بِسُنَّتِهِ وَسُنَّتِهِ، وَأَوْصَحُوا شَرْعَهُ الشَّرِيفَ لِمَنْ تَلَقَّاهُ
بَعْدَهُمْ مِنْ أُمَّةٍ أَمْتُهُ؛ صَلَاةٌ لَا تَزَالُ بِقَاعُ الْإِيمَانِ لِأَحْكَامِهَا مِنْبَتُهُ، وَأَنْوَاءُ الْإِيقَانِ
لَأَوَامِهَا مُقْلَتُهُ^(١)؛ وَسَلَمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وبعد ، فإنه لما كانت الأحكام الشرعية تتوقف على ملاحظة قضاء قضائياتها
في غالب الأمور، وتستند إلى مراجعة أصول حكامها في أكثر مصالح الجمهور ،
لم يكن بد من مراعاة أصولها التي إنما تنوب الفروع عنها، وتدبر أحوال أحكام
حكامها التي تنشأ أقضية التواب منها؛ ولذلك لما أصبح منصب قضاء القضاة على
مذهب الإمام «مالك بن أنس» رضى الله عنه بالشام المحروس لضعف مباشره
المتمد ، في حكم الحالى، وتعطل بعجزه المشتد، مما ألف به قديم حال حكمه
الحالى؛ وتماذى ذلك إلى أن ترقى الناس منه إلى درجة اليقين؛ وتناهى الحكم فيه
إلى أن يعين أن يرتاد من يتعين لمثله من الأئمة المتقين؛ لئلا يخلو هذا المذهب من
قاضى قضاء يقيم مناره ، ويديم أنواره ، ويرفع شعاعه ، ويحيى ما عرايا من آثاره ،
ويؤمن كمال أفعه أن يعاود سراره ؛ وكان المجلس السامى ، القاضوى ، الفخرى ،
هو الذى لا يعدوه الأرتياد، ولا يفقه دونه الأتقاء والأقتاد، ولا تتجاوز الإصابة
في الاجتهاد : لما عليه من علم جعله مخطوبا للناس ، وعمل تركه مقلوبا للراتب
التي لا تدعى لكل طالب ؛ وثقى أعاده مرتبياً لكل أنقى لا يصلح له كل شارق ،
وورج فتح له أبواب التلقى بالاستدعاء وإن لم تفتح لكل طارق ؛ وقد هجر الكرا
في تحصيل مذهب «إمام دار الهجرة» إلى أن وصل إلى ما وصل ، وأتفق مدة

(١) الأوام شدة الطش ومقلته مهلكة .

عُمره في آفتاء فوائده إلى أن حصل من القُرّة بها على ما حصل ، فسارت فتاويه في الآفاق ، وامتّ بركات قوائده التي أنفقها على الطلبة فزكت على الإنفاق - أقتضت آراؤنا الشريفة أن نُنتقِ نَحْرَ هذا المنصب الجليل بفَخْرِهِ ، وأن نُخصّ هذا المذهب النبيل بذنره ؛ وأن نُحَلِّ جَيْدَهُ بمن قَدَلنا إلى وشام الوسام ما كان من حُسن شَنِبِ العلم مُحْتَصَاً بِفَخْرِهِ .

فرسم بالأمر الشريف - لا زال لأحكام الشرع مقيماً ، وللنظر الشريف في عموم مصالح الإسلام وخصوصها مُدِيمَا ؛ أن يفوض إليه لما تَقَدَّمَ من تَصْنِئَةٍ لذلك ، وتَبَيَّنَ من أَنَّهُ لحكم الأولوية بهذه الرتبة في مذهب الإمام مالك مالك .

فَلَيْلِ هذه الوظيفة حَارِكًا بما أراه الله من مَنَهِهِ ، مُرَاعِيًا في مباشرتها حقَّ الله في الحكم بين عباده وحقَّ مَنَصبِهِ ؛ مجتهدًا فيما تَبَرَّأَ به الذمّة من الوقوف مع حكم الله في حَالَتِي رضاه وغيضِهِ ، وأَقِفًا في صِفَةِ الْقَضَاءِ على ما نُصِّ فيه من شروطه وأَوْضَحَ من قواعده وشُرِّحَ من أَدَبِهِ ؛ مُمَضِيًا حقوقَ رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يقتضيه رَأْيُ إِمَامِهِ ، مُتَوَجِّيًا الحُكْمَ بنصوصه المجمع عليها من أُمَّةٍ منهجه في قَضِ كُلِّ أَمْرٍ وإِبْرَامِهِ ؛ جَارِيًا في ذلك على قواعد أحكام هذا المذهب الذي كان مُشْرِقًا في ذلك الْأَفُقِ بِجَمَالِهِ وَزَيْنِهِ ، وَأَقِفًا في ذلك جميعه مع رضا الله تعالى فَإِنَّهُ في كُلِّ مَا يَأْتِي وَيَذَرُ بَعْنِيهِ ؛ والله تعالى يَسْتَدِدُّ في قوله وعمله ، وَيَلْفَنُ من رضاه نِهَايَةَ سُوْلِهِ وَغَايَةَ أَمَلِهِ ؛ بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ ! إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى .



وهذه نسخة توقيع بقضاء قضاء الحنابلة ، كُتِبَ بها للقاضي علاء الدين
«منجى التنوخي» وهي :

الحمد لله الذي رفع بلاء الدين قضاء قضائه، وأوضح الهدى في القيام في توليتهم بمقرضاته، وأعلى منار الشرع بما أوقفهم عليه من أحكامه ووقفهم له من مرضاته .

نحمده حمدا نستعيد من بركاته، ونستعيد به أن نفضل في ضوء مشكاته، ونستعين عليه ربّ كل حكم يمدنا قلبه بسكونه وقلبه بحركاته، ويثبت من جميل محضه لدينا ما يرفع من شكاته؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة يستودع إخلاصها في قلوب تقائه، وتفوض أحكامها إلى يقائه، ويحيى سرحها من أبطال الحلال والحلال بكل مشتاق إلى ملاقاته؛ ونشهد أن محمدا عبده ورسوله أفضل من حكم بما أنزل الله من آياته، وجاهد في الله برأيه وآياته، وشرع من الدين ما ينجي المتمسك به من غوآياته؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين أقام شرعه منهم بركاته، وجعل حكمهم دائم النفوذ أبدا بأقلام علمائه ومسيوف حماته؛ وسلم تسليما كثيرا .

وبعد، فنصيب الحكم الذي به تفصل الأمور، وتفرج له الصدور؛ وتستند أقلام حكمائه سهاما، وتفيض غماما؛ وتعلم منه الأسود زئيرا، وبطول السيف صليلا والريح صريرا؛ وتنصب بين يدي حكمائه الأقدام، وتنصف على أحكامه الخصاص^(١)؛ وتكس الرأس لميئته أطرافا، وتغض المقل فتأثير جفونا ولا تغلب أحدا؛ ويحري بتصرفه قلم القضاء، ويحاري مرهقه البروق فتقرّ له بالمضاء؛ وقد شيد الله مبانيه في ممالك الشريعة مضرا وشاما على أربعة أركان، وجمع في قضائه الأئمة الأربعة لتكمل بهم فصول الزمان؛ ومنهّب الإمام أبي عبد الله «أحمد بن حنبل» رضي الله عنه هو بالسنة النبوية الطراز المذهب، وطريقة

السلف الصالح في كُلِّ مذهب؛ وقد تَجَنَّبَ من سَلَف من علمائه التَّأْوِيلَ في كثير،
وَوَقَّفَ مع الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَكُلِّ منهما هو المصباح المنيّر.

وكانت دِمَشْقُ المحروسةُ هي مَدَارُ قُطُوبِهِمْ، وَمَطْلَعُ شُجُورِهِمْ وَنُجُومِهِمْ وَشُهُبِهِمْ؛
وَأَهْلُهَا كَثِيرًا مَا يَحْتَاجُونَ إِلَى حَاكِمِ هَذَا الْمَذْهَبِ فِي غَالِبِ عَقْدِ كُلِّ بَيْعٍ وَإِيجَارٍ،
وَمُزَارَعَةٍ فِي غِلَالٍ وَسُقَاةٍ فِي ثِمَارٍ، وَمُصَالِحَةٍ فِي جَوَائِجِ سَمَاوِيَّةٍ لَا ضَرَرَ فِيهَا
وَلَا ضَرَارَ، وَتَرْوِجِ كُلِّ مَمْلُوكٍ أَذِنَ لَهُ سَيِّدُهُ بِخُزَةِ كَرَمِهِ، وَأَشْرَاطِ فِي عَقْدِ بَانَ
تَكُونُ الْأَمْرَاءُ فِي بِلَدِهَا مُقِيمَةً؛ وَفَسَخَ إِنْ غَابَ زَوْجُهَا وَلَمْ يَتْرَكْ لَهَا نَفَقَةً وَلَا
أَطْلَقَ سَرَاحَهَا، وَبَيَعَ أَوْقَافَ دَائِرَةٍ لَا يَحْدُ أَرْبَابُ الْوَقْفِ نَفْعًا بِهَا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ
إِصْلَاحَهَا.

فلما أَسْتَثَرَهُ بَيْنَ كَانٍ قَدْ تَكَلَّمَ هَذَا الْمَنْصِبُ الشَّرِيفُ بِشَرَفِهِ، وَتَجَلَّ مِنْهُ
بَقِيَّةُ سَلَفِهِ؛ حَصَلَ الْفِكْرُ الشَّرِيفُ فِيمَنْ تَقْلُدُهُ هَذِهِ الْأَمَانَةُ فِي عُرْقِهِ، وَنَبْئُهُ هَذَا
الْمَنْصِبِ بَطْلُوْعٌ هَلَالُهُ فِي أَفْقِهِ؛ إِلَى أَنْ تَرْجِعَ فِي آرَائِنَا الْعَالِيَةِ الْمُرَّجَّحِ الْمُرْجَى، وَتَعَيَّنَ
وَاحِدًا لِمَا أَتَيْنَا النَّاسَ بِالتَّقْضَاءِ كَانَ الْمُتَجَيِّبُ ابْنُ الْمُتَجَيِّ؛ طَالَمَا تَفَرَّزَتْ لَهُ الْقَتَاوَى
بِالْأَقْلَامِ، وَالتَّفَتَّ بِهِ حَلَقَةُ إِمَامٍ، وَخَافَ فِي حَلَبِ الْعِلْمِ مِنْ مُضَايَقَةِ اللَّيَالِي فَمَا نَامَ
— أَقْنَضَى حُسْنَ الرَّأْيِ الشَّرِيفِ أَنْ يَفُوضَ إِلَيْهِ قَضَاءَ التَّقْضَاءِ بِالشَّامِ المحروسةِ دَلَى
مَذْهَبِ الْإِمَامِ الرَّايَةِ «أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ» الشَّيْبَانِيَّ؛ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فَلْيَحْكَمْ فِي ذَلِكَ بِمَا أَرَادَ اللَّهُ مِنْ عَلَيْهِ، وَأَتَاهُ مِنْ حُكْمِهِ؛ وَبَيَّنَّ لَهُ مِنْ سُبُلِ
الْهُدَى، وَعَيْنَهُ لَبْصِيرَتُهُ مِنْ سُنَنِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّتِي مَنْ حَادَّ عَنْهَا فَقَدْ جَارَ
وَأَعْتَدَى؛ وَلْيَنْظُرْ فِي أُمُورِ مَذْهَبِهِ وَيَعْمَلْ بِكُلِّ مَا صَحَّ ثَلَاثَةً عَنْ إِمَامِهِ، وَأَصْحَابِهِ
مَنْ كَانَ مِنْهُمْ فِي زَمَانِهِ وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْ أَبَائِهِ؛ وَقَدْ كَانَ — رَحِمَهُ اللَّهُ — إِمَامًا حَقًّا

نَهَضَ وَقَدْ قَعَدَ النَّاسُ تِلْكَ الْمَدَّةَ ، وَقَامَ تَوْبَةَ الْحَنَّةِ وَقَامَ «سَيِّدُ تَيْم» ^(١) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
تَوْبَةَ الرَّذَّةِ ، وَلَمْ تَهَبْ بِهِ زَعَايُحُ «الْمَرْيِي» وَقَدْ هَبَّتْ مَرِيَسَا ، وَلَا «أَبْنُ أَبِي دُوَادٍ»
وَقَدْ جَمَعَ كُلُّ ذُوْدٍ وَسَاقَ لَهُ مِنْ كُلِّ قُطْرِ عِيَسَا ؛ وَلَا نَكَتْ عَهْدَ مَاقِدَمٍ إِلَيْهِ «الْمَامُونُ»
فِي وَصِيَّةِ أَخِيهِ مِنَ الْمَوَاتِقِ ، وَلَا رَوَّعَ صَوْتُ «الْمَعْتَصِم» وَقَدْ صَبَّ عَلَيْهِ عَذَابُهُ
وَلَا سَيْفُ «الْوَاتِق» ؛ فَلْيُقَفِّ عَلَى أَثَرِهِ ، وَلْيُقَفِّ بِمُسْنَدِهِ عَلَى مَذْهَبِهِ كُلِّهِ أَوْ أَكْثَرِهِ ؛
وَلْيَقْصُ بِمُقَرَّدَاتِهِ وَمَا آخَرَاهُ أَهْمَاهُ الْأَخْيَارُ ، وَلْيَقْلُدْهُمْ إِذَا لَمْ يَخْتَلَفْ عَلَيْهِ الْأَخْبَارُ ؛
وَلْيَحْتَرِزْ لِدِينِهِ فِي بَيْعِ مَا دَثَرَ مِنَ الْأَوْقَافِ وَصَرَفَ تَمَنَّهُ فِي مِثْلِهِ ، وَالْاِسْتِدْبَالُ بِمَا فِيهِ
الْمَصْلَحَةُ لِأَهْلِهِ ؛ وَالْفَسْخُ عَلَى مَنْ غَابَ مَدَّةً يَسُوغُ فِي مِثْلِهَا الْفَسْخُ وَتَرَكَ زَوْجَةً
لَمْ يَتْرَكْ لَهَا نَفَقَةً ، وَخَلَاَهَا وَهِيَ مَعَ بَقَائِهَا فِي زَوْجِيَّتِهِ كَالْمُعَلَّقَةِ ، وَإِطْلَاقُ سَرَاحِهَا
لِتَرْوِجَ بَعْدَ ثُبُوتِ الْفَسْخِ بِشُرُوطِهِ الَّتِي يَبْقَى حُكْمُهَا بِهِ حَكْمُ الْمَطْلُوقَةِ ؛ وَفِيمَا يَمْنَعُ مُضَارَّةَ
الْجَارِ ، وَمَا تَفَرَّقَ عَلَى قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ» . وَأَمَّا وَقِفُ
الْإِنْسَانِ عَلَى نَفْسِهِ وَإِنْ رَأَى سِوَى أَهْلِ مَذْهَبِهِ ، وَطَلَعَتْ بِهِ أَهْلَةُ عُلَمَاءَ لَوْلَاهُمْ
لِمَا جَلَّ الزَّمَانُ جُنْحُ غَيْبِهِ . وَكَذَلِكَ الْجَوَاحِشُ الَّتِي يَغْتَفُّ بِهَا عَنِ الضَّعْفَاءِ وَإِنْ كَانَ
لَا يَرَى بِهَا الْإِزْهَامَ ، وَلَا تَجَرَّى إِلَّا تَجَرَّى الْمَصَالِحَةُ دَلِيلُ الْاِكْتِرَامِ . وَكَذَلِكَ الْمُعَامَلَةُ الَّتِي
لَوْلَا الرُّخْصَةُ عَنْهُمْ فِيهَا لَمَّا أَكَلَ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا الْحَرَامَ الْمُحْضَ ، وَلَا أَخَذَ قِسْمَ
الْفَلَاحِ وَالْمُعْدَلِ هُوَ الَّذِي يَزْرَعُ الْبَذْرَ وَيَحْرُثُ الْأَرْضَ ؛ وَغَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ [مَحْظُوطُ]
بِمُقَرَّدَاتِهِ الَّتِي هِيَ لِلرَّفَقِ جَامِعَةٌ ، وَلِلرَّأْيَا فِي أَكْثَرِ مَعَانِيهِمْ وَأَسْبَابِهِمْ نَافِعَةٌ ، وَإِذَا
أَسْتَمْتَقَتِ الْأَصُولُ كَانَتْ الْفُرُوعُ لَهَا تَابِعَةٌ ؛ وَانْخَطَّ الشَّرِيفُ أَعْلَاهُ ، إِنْ شَاءَ
اللَّهُ تَعَالَى .

(١) سيد تيم هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه .

المرتبة الثانية^(١)

(من تواقع الوظائف الدينية بدمشق ، ما يكتب في قطع الثلث مفتحا

بـ« الحمد لله » إن عَلت رُتَبَةُ الْمُتَوَلَّى أَوْ بـ«أما بعد حمد الله »

إن انحطت رُتَبَتُهُ عن ذلك بـ«المجلس السامى» وفيها وظائف

الوظيفة الأولى — قَضَاءُ الْعَسْكَر . وبها أربعة قضاء من المناهب الأربعة ،

كما بالديار المصرية .

الوظيفة الثانية — إِقْنَاءُ دار العدل بدمشق . وبها أربعة : من كل مذهب

واحد ، كما بالديار المصرية .

الوظيفة الثالثة — الحسبة .

وهذه نسخة توقيع بالحسبة الشريفة :

الحمد لله مُجِدِّ النِّعَمِ فِي دَوْلَتِنَا الشَّرِيفَةِ لِمَنْ صَفَتْ عَلَيْهِ مَلَائِكُهَا ، وَمُضَاعِفِ
الْمِنَنِ فِي آيَاتِنَا الزَّاهِرَةِ لِمَنْ سَمَتْ بِهِ نَفَائِسُهَا ، وَمَوْلَى الْآلَاءِ لِمَنْ بَسَقَ غَرَسُهَا لَدَيْهِ
فَزَهَتْ بِجَمَالِهَا تَمَرَاتُهَا وَزَكَتْ مَقَارِسُهَا .

نحمده عَلَى نِعَمِهِ الَّتِي تُؤْنَسُ بِالشُّكْرِ أَوَّائِسُهَا ، وَتُؤَمِّسُ عَلَى التَّقْوَى جَبَالِيسُهَا ؛
وَنَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً آسْتَضَاءَ بَنُورِ الْإِيمَانِ قَائِسُهَا ،
وَأَجْتَنَّى تَمَرِ الْهَدْيِ غَارِسُهَا ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَشْرَفُ مَنْ أَتَرَقَتْ بِهِ
مَعَالِمُ التَّوْحِيدِ فَعَمَرَ دَارِيسُهَا ، وَأَشْرَقَ دَائِمُهَا ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ
قُلُوبُهُمْ مَشَاهِدُ الذِّكْرِ وَالْأَسْتِثْمِ مَدَارِسُهَا ؛ وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وبعد ، فإنَّ أَوَّلَى مَنْ أُمِضِيَ لَهُ مَا كَانَ بِهِ أَمْرٌ وَرُسِمَ ، وَجُدِّدَ لَهُ مِنَ الْمَنَاصِبِ الدِّينِيَّةِ مَا عُرِفَ بِهِ مِنْ قَبْلُ وَوُصِمَ ، وَأُثْبِتَ لَتَرْقِيهِ مَا حُتِمَ لَهُ بِهِ مِنَ الْمَرَاتِبِ السَّنِيَّةِ بِمَقْتَضَى الْأَسْتِحْقَاقِ وَحُكْمِ - مِنْ رَقَّتْ أَوَامِرُنَا لَهُ حُلَّةٌ مَنَصِبٍ يَجِدُّهَا الْإِحْسَانُ ، وَأَمَرَتْ لَهُ مَرَامُنَا بِوُظُفَةِ تَوْكِّدِ عَوَارِفِنَا الْحَسَانَ ، وَأَثَلَتْ [لَهُ] نَعْمَانَا مَنَصِبًا أَعَدَّ لَهُ مِنْ كَيْلِ الْأَهْلِيَّةِ أَكْمَلَ مَا يُعَدُّ لِنَاكَ الْإِنْسَانُ .

ولما كان فلان هو الذي تحلَّى من إِحْسَانِنَا بما يَأْمَنُ [معه] سعيد رتبته [من] الْعَطْلِ ، وَأَتَّسَمَ مِنْ رِنَانِ وَأَمْتِنَانِنَا بما هو في حُكْمِ الْمُسْتَقَرِّ لَهُ وَإِنْ أَوَّلَى بِهِ الدَّهْرُ وَمَطْلُ - أَقْتَضَى إِحْسَانُنَا أَنْ يُجَدِّدَ لَهُ مَوَاقِعَ النَّعْمِ ، وَتُسَيِّدَ مِنْ رَجَائِهِ مَوَاضِعَ مَا شَبَّهَ مِنَ الْبِرِّ وَالْكَرَمِ ، وَتُرَى مِنْ عَدَقِ بِنَا رَجَاءَ أَمَلِهِ أَتْنَا تَتَعَاهَدُ سُفْيَا أَمَالِ الْأَوْلِيَاءِ وَالْخَلَمِ .

فلذلك رسم ... - لازلزله شاملاً ، وبذره في أفق الإحسان كاملاً - أن يفوض إليه نظر الحسبة ويستمر في ذلك على حكم التوقيع الشريف الذي بيده : لما سبق من اختياره لذلك وأصطفائه ، وأدخاره لهذا المنصب من كفاة أعيانه وأعيان أكفائه ؛ ولما تحلَّى [به] من رياسة زاته عقودها ، وتكلم له من أصالة ضفت عليه خبرها وسمت به برودها ؛ وتجل به من نزاهة أشرفت في أفق صعودها إلى الرتبة الجليلة صعودها ، وأتصف به من كمال معرفة مجزت له به من مطالب المناصب وعودها .

فليأثر ذلك معطياً هذه الوظيفة من حسن النظر حقها ، محققاً بجمل تصرفه تقسّم أولوياته وسبقها ؛ وليكن لأمر الأقوات ملاحظاً ، وعلى منع ذوى الغدر من الاحتكار المضيق على الضعفاء محافظاً ؛ وعلى الغش في الأقوات مؤدباً ؛ ولإجراء الموازين على حكم القسط مرتباً ؛ ولين يرفع الأسعار لغير سبب رادعاً ، ولين لا يزعج الكلام من المطففين بالتأديب وأزما ؛ ولقيم الأشياء محمراً ، ولقانون الجودة

في المَزْرُوعِ والمَوْزُونِ مُقَرَّرًا ؛ وَلِذَلِكَ الْهَيْئَاتِ بِلِزُومِ شَرَايِطِ الْمَرْوَةِ اخْتِذَا ، وَعَلَى تَرْكِ
الْجَمْعِ وَالْجَمَاعَاتِ لِعَامَةِ النَّاسِ مُوَاخِذَا ؛ وَلِتَقْوَى اللَّهُ تَعَالَى فِي كُلِّ أَمْرٍ مُقَدِّمًا ، وَبِمَا
يُخَلِّصُهُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لِكُلِّ مَا تَقَعُ بِهِ الْمَعَامَلَاتُ بَيْنَ النَّاسِ مُقَوِّمًا ؛ وَفِي خَصَائِصِ
نَفْسِهِ مَا يُبَيِّنُهُ عَنْ تَأْكِيدِ الْوَصَايَا ، وَتَكَرُّارِ الْحَثِّ عَلَى تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى الَّتِي هِيَ أَشْرَفُ
الْمَزَايَا ؛ فَلْيَجْعَلْهَا شِعَارَ نَفْسِهِ ، وَيَحْيَ أَنْسِهِ ، وَمُسَدِّدَ أَحْوَالِهِ الَّتِي تَقْطُرُهَا مَرِيئَةُ يَوْمِهِ
عَلَى أَمْسِهِ ؛ وَالْخَطَّ الشَّرِيفَ أَعْلَاهُ اللَّهُ تَعَالَى أَعْلَاهُ ، حُجَّةً بِمُقْتَضَاهُ .



وهذه نسخة توقيع بنظر الحِسْبَةِ الشَّرِيفَةِ ، مِنْ إِنْشَاءِ الْمَقَرِّ الشَّهَابِيِّ بْنِ فَضْلِ اللَّهِ ،
مُضَافًا إِلَى نَظَرِ أَوْقَافِ الْمُلُوكِ ، وَهِيَ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ مُبِيحٍ مِنْ أَحْسَبَ ، وَجُيِبَ الْمُنِيبِ فِيمَا آكَسَبَ .

نَحْمَدُ حَمْدًا رَسَدَ الْأَدَبِ صَرْبِ الطَّرَبِ ، (؟) وَنُشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ
لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً ظَاهِرَةً الْحَسْبِ ، طَاهِرَةً النِّسْبِ ؛ وَنُشْهَدُ أَنْ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ
وَرَسُولُهُ أَفْضَلُ مَنْ آتَدَى وَأَتَدَبَ ، وَأَدَبَ أُمَّتُهُ فَأَحْسَنَ الْأَدَبِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ صَلَاةً يُكْتَمُ أَجْرُهَا فَيَكْتَسِبُ ، وَيَسْتَمُ بِهَا كُلَّ صَلَاحٍ [وَيَفْتَنُ بِهَا
كُلَّ فَلَاحٍ] ، وَسَلَّمٌ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وبعد ، فَإِنَّ الْحِسْبَةَ الشَّرِيفَةَ هِيَ قَانُونُ جَوَادِ الْأَوْضَاعِ ، وَمَضْمُونُ مَوَادِّ
الْإِجْمَاعِ ، تَجْمَعُ إِلَى الشَّرِيعَةِ الشَّرِيفَةِ سِيَاسَةَ يُرْهَبُ بِهَا ، وَيُرْهَفُ حُلَاهَا ؛ وَتَحْتَضِي
الرَّغَايَا سَطَوَاتٍ مُبَاشِرَهَا ، وَتَتَحَيَّ عَمَّا تُصَبُّ سِيُولُ بَوَادِرِهَا ، وَأَصْحَابُهَا الْآلَةَ الَّتِي
هِيَ أُخْتُ السَّيْفِ فِي التَّأْتِيرِ ، وَلِكُلِّ مَنِهَا سَطَوَةٌ تُخَافُ لِأَفْرَقِ بَيْنَهُمَا إِلَّا مَا بَيْنَ

التَّائِبَاتِ والتَّائِدِ كِبَرٌ، وَلَهُ التَّصَرُّفُ الْمُطْلَقُ، وَالتَّعَرُّفُ الَّذِي يَفْتَحُ مِنَ الْحَوَائِثِ عَلَى أَرْبَابِهَا كُلِّ بَابٍ مُفْتَقٍ، وَلِرُكُوبِهِ فِي الْمَدِينَةِ زِينَةٌ يُحَسِّرُهَا النَّاسُ حُشْيًا، وَرَهْبَةً يَفْدُو بِهَا كُلُّ أَمِينٍ لِنَاشِئِهِ مُصْلِحًا، وَإِلَيْهِ الرُّجُوعُ فِي كُلِّ تَقْوِيمٍ، وَهُوَ الْمَرْجُوعُ فِي كُلِّ أَمْرٍ عَظِيمٍ، وَهِيَ بِدَمَشَقٍ - حَرَّمَهَا اللَّهُ تَعَالَى - مِنْ أَجْلِ الْمَنَاصِبِ الَّتِي تَتَعَلَّقُ [عَنِ] إِلَيْهَا بِيَدِ مُتَوَلِّيِّهَا وَتُؤْمَلُ مَنَازِلُ الْبُدُورِ، وَإِنْ رَبَّهَا تَرْجِعُ إِلَى تَصْرِيفِهِ أَزِمَةَ الْأُمُورِ، وَيَنْتَجِعُ سَحَابَهُ الْهَاطِلُ عَمَامَةُ الْجُمْهُورِ، وَنَحْيًا بِهِ مُنْتَهَى عُمْرِيَّةٍ لَوْلَاهَا لَصَافَتْ رِحَابُ الْمَعَامِلَاتِ، وَضَاعَتْ بِالْفِشِّ الْمَعَاشِ الْمُنْتَخِلَاتِ، وَظَهَرَ الْغَيْبُ فِي ظَالِمِ مَا بُشِّرَ وَيُبَاعُ، وَانْتَشَرَ التَّطْفِيفُ [الَّذِي] يُزِيلُ رَاجِحَةَ الْمِيزَانِ وَتَوَازُعَ الزُّرْعِ، وَلَكِنْ نَابَ بِحُسْنِ تَدْوِيرِهِ عَنِ الْغَمَامِ، وَنَظَرَ فِي الدَّقِيقِ وَالْجَلِيلِ لِمَخَاصِ الْعَالَمِ، طَالَمَا انْحَطَّ بِهِ سِرٌّ غَلَّا أَنْ يَقُومَ، وَوُجِدَ مِنَ الْأَقْوَاتِ صِنْفٌ لَا يُوجَدُ وَلَوْ بُدِّلَ مِنَ الشَّمْسِ دِينَارٌ وَالبَدْرِ دِرْهَمٌ.

وَكَانَ الْمَجْلِسُ السَّامِعِ، الْقَضَائِي، الْأَجَلِّي، الْكَبِيرِي، الصَّدْرِي، الرَّئِيسِي، الْعَالَمِي، الْكَافِلِي، الْفَاضِلِي، الْأَوْحَدِي، الْأَمِيرِي، الْمَاجِدِي، الْأَصِيلِي، الْعِمَادِي، بِمَجْدِ الْإِسْلَامِ، شَرَفِ الرُّؤَسَاءِ، بَهَاءِ الْأَنْامِ، جَمَالِ الصُّدُورِ، نَخْرِ الْأَعْيَانِ، خَالِصَةِ الدُّوَلَةِ، صَفْوَةِ الْمُلُوكِ وَالسُّلَاطِينِ: أَدَامَ اللَّهُ عُلُوهُ، هُوَ الَّذِي رَبَّنَا السِّيَادَةَ عَلَى وِسَادِهَا، وَلَبَنَتِ السَّعَادَةَ إِلَى مُرَادِهَا، وَبَنَتِ الْعَلِيَاءَ قَوَاعِدَهَا عَلَى عِمَادِهَا، وَكَتَبَتِ الْمَرَاتِبَ أَعْقَافَهَا مُتَشَوِّفَةً إِلَى حُسْنِ اعْتِنَادِهَا، وَبَافَرَتِ الْجَمَاعِ الْمَعْمُورَ خُصُوصًا وَالْأَوَاقِفَ الشَّامِيَّةَ عُمُومًا فَعَمَّرَهَا، وَكَثَّرَ أَعْدَادَهَا وَأَتَمَّى مِنْ بَرَكَاتِ نَظَرِهِ مَتَحَصِّلَاتِهَا وَعَمَّرَهَا، وَشَدِيدٌ فِي كُلِّ مِنْهَا مَوَاطِنَ عِبَادَةٍ، وَمُلْتَقَى حَلِيقَةٍ وَمَدَارَ سُبْحَةٍ وَمَقَرَّشَ سُبْحَادَةٍ، وَأَبَى اللَّهُ أَنْ يُقَاسَ بِهِ أَحَدٌ وَالْجَمَاعُ الْفَارُوقُ وَلِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَتُهَا، فَلَا وَجِبَ لَهُ جَمِيلٌ نَظَرْنَا أَنْ نُضَاعَفَ لَهُ الْأَجْرُ فِي كُلِّ عَمَلٍ إِلَيْهِ يَتَسَبَّبُ، وَزَيَادَتُهُ

في رِزْقِهِ سَعَةً : من حَيْثُ يَحْتَسِبُ ومن حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ؛ فَرَأَيْنَا أَنَّهُ أَحَقُّ أَنْ يُقْلَدَ من أمورِ الحِسْبَةِ الشَّرِيفَةِ حُكْمُهَا الْمُصَرَّفُ ، وَحَكْمُهَا الْمُعْرَفُ ، وَيُقَامُ فِيهَا بِهَدْيٍ من تَقَدُّمِهِ في تَقْرِيرِ أُمُورِهَا على أَثَبَّتِ القَوَاعِدِ ، وَتَهْدِيرِ مَصَالِحِهَا على أَجْمَلَ مَا جَرَتْ بِهِ العَوَائِدُ ؛ وَيُطَهَّرُ أَقْوَاتُهَا من الدَّنَسِ فيما يَحْضُرُ على المَوَائِدِ ، وإِخَافَةُ الْأَعْنَاقِ من مُضَارِبِهِ الَّتِي تَقْطَعُ مَا غَفَا السَّيْفُ عَنْهُ من مَنَاطِيقِ القَلَائِدِ .

فَرَسِمَ بالأمرِ الشَّرِيفِ العَالِي - لَا زَالَتْ بِمَرَّاسِمِهِ تُتْلَى كُلُّ رُبْعَةٍ ، وَتُؤَدَّى الدُّنَايا بِمَنْ يَقُومُ بِالْحِسْبَةِ - أَنْ يَفُوضَ إِلَيْهِ النَّظَرُ على الحِسْبَةِ الشَّرِيفَةِ بِدَمَشَقٍ وَمَا مَعَهَا من المَالِكِ الشَّامِيَةِ المِضَافَةِ إِلَيْهَا ، بِالْمَعْلُومِ الْمُسْتَقَرِّ ، الشَّاهِدِ بِهِ الدِّيَوَانُ الْمَعْمُورُ إِلَى آخِرِ وَرَقَتِ : مُضَافًا إِلَى مَا هُوَ بِيَدِهِ : من نَظَرِ الْأَوْقَافِ الْمَبْرُورَةِ بِالنَّشَامِ ، وَأَوْقَافِ الْمُلُوكِ . خَلَا نَظَرُ الْجَامِعِ الْمَعْمُورِ إِلَى آخِرِ وَرَقَتِ بِحُكْمِ إِفْرَادِهِ لِمَنْ عَيْنُ لَهُ ، تَقْوِيضًا يَضُمُّهُ إِلَى رَبَائِبِ كَتِفِهِ ، وَيَعُمُّهُ بِمَوَاقِبِ شَرَفِهِ ، وَيُجِلُّهُ فِي أَعْلَى غُرْفِهِ ، وَيُجِلِّيهِ بِمَا يَحْسُدُ الدُّرَّ مَارِئِي مِنْ صَدَفِهِ .

فَأَتَى اللَّهَ فِي أَحْوَالِكَ ، وَأَتَيْتِ مِنْ يَجْمَعُ عَلَيْهِ مِنَ التَّوَابِ فِي أَعْمَالِكَ ، وَأَمَرَ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ ، فَبِنَاكَ الْمُنْكَرَ لَا يُعْرِفُ وَالْمَعْرُوفَ مِنْكَ لَا يُنْكَرُ ؛ وَأَعْتَبَرَ أَحْوَالَ أَرْبَابِ الْمَعَاشِ أَعْيَارًا يُصْلِحُ لِلنَّاسِ أَقْوَاتَهُمْ ، وَيُرْغِدُ أَوْقَاتَهُمْ ؛ وَلَا تَدْعُ صَاحِبَ سِلْعَةٍ يَتَعَدَّى إِلَى غَيْرِ مَا أَحَلَّهُ اللَّهُ لَهُ مِنَ الْمَكَايِبِ ، وَلَا صَاحِبَ مَعِيشَةٍ [يَقْدُمُ] عَلَى تَحْمُلِ خَلْفٍ فِي الْمَاكِيلِ وَالْمَشَارِبِ ؛ وَأَقْصِدِ التَّسْوِيَةَ بِالْحَقِّ فَإِنَّهُ سَوَاءٌ فِيهِ الْبَائِعُ وَالْمُشْتَرِي ، وَلَا فَرْقَ بَيْنَ الرَّخِيسِ وَالثَّمِينِ ؛ وَأَقِمْ الْمَوَازِينَ بِالْقِسْطِ حَتَّى لَا تَمْكُنَ كِفَاتُهَا أَنْ تَحْمِلَ وَلَا تَحْمَلَ ، وَلَا يَسْتَطِيعَ قَلْبُهَا أَنْ يَمِيلَ مَعَ مَنْ يَتَوَلَّى ، وَلَا يَقْدِرُ لِسَانُهَا أَنْ يَكْفُمَ الشَّهَادَةَ بِالْحَقِّ وَإِنْ كَانَ مُتَقَالًا جَبَّةً مِنْ نَحْدَيْكَ ، وَأَجْعَلْ لَكَ عَلَى

أَهْلَ الْمَبَايِعَاتِ حَفَظَةً لِنَظْلِ أَعْمَالِهِمْ لَكَ تُنْصَحَ . وَتَقَعِدَ الْأَسْوَاقَ مِمَّا يَتَوَلَّدُ فِيهَا
 مِنَ الْمَفَاسِدِ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ رُبَّمَا بَاحَثٌ فِي الْأَسْوَاقِ وَفَرَّخٌ . وَأَرَبَابُ الصَّنَائِعِ فِيهِمْ مِنْ
 يُدْلِسُ ، وَفُتَاهُ الْمَكَايِبِ مِنْهُمْ مَنْ لِعَرِضِهِ يُدْنِسُ ، وَالْقُصَاصُ عَلَيْهِمْ يَتَعَمَّدُ الْكُذِبَ
 فِي قِصَصِهِ ، وَأَهْلُ النَّجَامَةِ كَمْ مِنْهُمْ مَنْ لِعِبِّ مَرَّةٍ بِعَقْلِ امْرَأَةٍ وَأَمَاتَ رَجُلًا
 بِخُصِيصَةٍ ، وَآخِرُونَ مَنْ تَفَضَّلُ بِهِمُ الْعُقُولُ ، وَتَظَلُّ حَاثِرَةٌ فِيهِمُ الْقُيُوتُ ، وَكثِيرٌ مِنْ
 سَوَى هَؤُلَاءِ يَلْكَ مَبْسُوطَةٌ عَلَيْهِمْ ، وَأَحْكَامُكَ مُحِيطَةٌ بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ وَبَيْنَ يَدَيْهِمْ ،
 فَتَقُومُ مِنْهُمْ مَنْ مَالٌ ، وَقَدْ مَالَكَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِيمَا رَأَاهُ مِنَ الْمَعَاقِبَةِ تَارَةً بِلَهْنِكَ الْحَسَدِ
 وَتَارَةً بِإِفْسَادِ الْمَالِ ؛ فَرُبَّمَا أَطْفَى النَّفْسُ وَالْمَصْبَاحُ فَرُبَّمَا قَطَبَ (١١)
 وَثُمَّ مِنْ لَا يَسْتَقِيمُ حَتَّى يُؤَدَّبَ ، وَمَنْ لَا يَلُمُّ عَلَى شَعَثٍ وَأَيُّ الرِّجَالِ الْمُهَذَّبِ ؛ وَفِيكَ
 مِنَ الْأَعْلِيَةِ نُورٌ بَاهِرٌ ، وَكَوْكَبٌ زَاهِرٌ ؛ فَلَا حَاجَةَ إِلَيَّ أَنْ تُنَلِّقَ الْوَصَايَا أَقْلَامَهَا أَيُّهَا
 يَكْفُلُكَ ، وَلَا تَنْهَكَ عَلَى زِينَةِ الْعَفَافِ فِيهَا وَهُوَ حُلُوكُكَ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يُوفِّقُ آعْتَادَكَ ،
 وَيُوفِّرُ مِنَ التَّقْوَى زَادَكَ ؛ وَالْأَعْتَادُ عَلَى الْخَطِّ الشَّرِيفِ أَعْلَاهُ اللَّهُ تَعَالَى أَعْلَاهُ ، حِجَّةٌ
 بِمُقْتَضَاهُ . إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

الوظيفة الرابعة — وكالة بيت المال العموم .

وهذه نسخة توقيع بوكالة بيت المال ، من إنشاء القاضي تاج الدين الباربنباري ،
 للقاضي نجم الدين أبي الطيب .

الحمد لله الذي جعل الطيِّبات للطَّيِّبِينَ ، وَهَدَىٰ بِالنَّجْمِ الْمُنِيرِ السَّبِيلَ الْمُبِينِ ، وَعَدَّقَ
 بِأُتَمَّةِ الدِّينِ مَصَالِحَ الْمُسْلِمِينَ ، وَأَتَانَا بِتَقْوِيضِنَا إِلَيْهِ ، وَتَوَكَّلْنَا عَلَيْهِ ، شَرَفًا فِي الشَّانِ وَقُوَّةً
 فِي الْيَقِينِ .

نحمده على أَنَّ أَعَانَ بغيره وهو خير مُعين ، وَنَشْكُرُهُ على أَنَّ بَصَرَنَا في الإِرادات ،
بِالْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ ، وَنَصَرَنَا في الْوَلَايَاتِ ، بِالْقَوِيَّةِ الْأَمِينِ ، وَنَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً أَنْوَرَهَا في الْقَلْبِ مُشْرِقَةً عَلَى الصَّفَحَاتِ وَالْحَيَيْنِ ،
وَأَذْكَارَهَا عَلَى اللِّسَانِ جَعَلَتْ الْإِنْسَانَ مِنْ صَالِحِ الْمُؤْمِنِينَ ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا
عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ هَادِي الْمُهْتَدِينَ ، وَمَوْصِيَّ شُرْعةِ الْإِحْسَانِ لِلْحَسَنِينَ ، وَ« أَبُو الطَّيِّبِ »
و « أَبُو الْقَاسِمِ » كُنِّيَّ بِأَوْلَادِهِ الْمُطَهَّرِينَ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَهَجَبِهِ الَّذِينَ مِنْهُمْ
مَنْ كَانَ مِنَ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ ، وَمِنْهُمْ مَنْ كَانَ مَهِيئًا لِلْكَفَرِيِّينَ ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَرَوَّجَ
بِأَتَقِيَّ الرَّسُولِ وَلَمْ يَتَّقِ ذَلِكَ لغيره في سَائِلِ السَّنِينَ ، وَمِنْهُمْ مَنْ كَانَ الْخَيْرِ مِلَّةً
يَدِيهِ : فَشَمُولُ الْبَرَكَةِ بِشِمَالِهِ وَذُو الْفَقَارِ فِي الْيَمِينِ ؛ وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وبعد ، فَأَكْرَمُ التَّفْوِيضِ مَا صَادَفَ حَقًّا ، وَأَبْرَكَ الْوَلَايَاتِ مَا وَجَدَ قَدْرًا مُعْلًى ،
وَأَحْسَنَ الْإِحْسَانِ مَا أَصْبَحَ بِهِ الْحَالُ مُحْلًى ، وَأَسْنَى الْأَنْثِيمِ مَا أَشْرَقَ فِي مَطْلَعِهِ وَتَجَلَّى ،
وَأَحَقُّ [الْوَلَاةِ] بِإِعْلَاءِ مَنْصِبِهِ مَنْ أَقْبَلَتْ عَلَيْهِ وَجْوهُ الْإِقْبَالِ حِينَ تَوَلَّى ؛ وَأَوَّلَى
[الْوَلَايَاتِ] بِإِحْمَالِ النَّظَرِ وَإِعْمَانِهِ ، فِي تَشْيِيدِ شَانِهِ ، وَتَمْكِينِ مَكَاتِهِ وَمَكَانِهِ ، وَحِفْظِ
حَوَازَتِهِ مِنْ سَائِرِ أَرْكَانِهِ - وَكَأَلَةُ بَيْتِ الْمَالِ الْمَعْمُورِ الَّتِي بِهَا تُصَانَ الْأَرْضُ الْمُقْبِيسَةُ ،
وَمِنْهَا تُسْتَبْصَرُ الْآرَاءُ الرَّئِيسَةُ ؛ وَبِهَا يُؤْمَنُ الْأَسْتِيلَاءُ عَلَى الْحَالِ وَالْأَيْنِيَّةُ مِنْ كُلِّ جَائِرٍ ،
وَبِهَا تُرَادُّ قِيمُ الْمِيعَاتِ مِمَّا هُوَ لِيَّتِ الْمَالِ مَا يَنْبَغِي عَامِرٍ وَدَائِرٍ ؛ وَإِلَى مُتَوَلِّيَاتِهَا تَأْتِي
الرَّغَبَاتُ مَنْ يَتَنَاجَى أَرْضًا ، وَبِهِ تُنْخَضِ الْمَصَالِحُ وَتُخْضَى ، وَبِهِ يَظْهَرُ التَّمْيِيزُ فِي الثَّمَنِ
الْأَرْضِيِّ ؛ وَهِيَ فِي الشَّامِ نَفِيسَةُ الْمِقْدَارِ ، كَرِيمَةُ الْآثَارِ ؛ مَرْضِيَّةٌ بِالرَّيْحِ فِي كُلِّ أَرْضٍ
يَنْسُوُ الْمَصَالِحَ فِي كُلِّ بِنَاءٍ دَائِرَةٌ بِالنَّجْحِ فِي كُلِّ دَارٍ ؛ فَلَا يَسِيمُ بَرَقَهَا ، وَتُوجُّ قَرْفُهَا ،
وَيُوقِيهَا حَقُّهَا ، إِلَّا مَنْ لَهُ عِلْمٌ وَتَبَصُّرَةٌ ، وَعِرْفَانٌ أَوْصَحَّ الطَّرِيقَ وَأَظْهَرَ ، وَحُسْنُ
رَأْيٍ فِيهَا آثَرُهُ وَأَثَرُهُ ، وَصَدَارَةٌ وَرَدَ بِهَا مِنْهَلُ الْكَرَامِ الْبَرَّةِ .

وكان فلان هو ذو السؤدد العريق ، والباسق في الدوح الوديق ، والمتنصب إلى
أعز فريق ، والطبيب أصلاً وقرعاً على التحقيق ، والإمام في علومه التي أصلت
التفريع ووصلت التفريق ، والموفق فيما يأتي ويذر والله ولي التوفيق ؛ قد أشرق
بدمشق بحمى نورا ، وأبتسم البرق الشامي به سرورا ، وتصدر بحافليها فشرح صدورا ،
وأبتى له سؤودا وجعل مكارم الأخلاق عليه سورا ؛ تلقى بحضرة المسائل تلقى منه
ولياً مرشدا ، وتذكر لديه المباحث فتجد على ذهنه المتوقد هدى ، وإذا اضطرب
قول مشكل سكن ببأبائه وهذا ؛ إن تأول أصاب في تأويله ، وإن نظر في مصلحة
كان رأيه في السداد موافقا لقليله ، وقد استخرنا الله تعالى - وهو نعم الوكيل -
في توكيله .

فلذلك رسم بالأمر الشريف أن يفوض إليه

فَلَيْتَ هذا المنصبَ المنصبَ وبَلَّ بركته من بابه ، وليُخيم في فسيح رحابه ، وليُنم
بجنتيه في جنابه ؛ وليُحرر ما يباع من أملاك بيت المال بشروطه ولوازمه المسطورية
في كتابه ، وليردع من استولى على أرض باغتصابه ، فليس لعريق ظالم حق : وهو
إما بناءً بإنسانه وإما غراساً بإنسانه ؛ وما يرجع إلى بيت المال المعمور من أرض
وعقار ، وروضات ذات غراس وأنهار ، وقرى وما يضاف إلى ذلك من آثار ؛ فليُحرر
جموعه ، وليُسلك في ذلك الطريقة المشروعة . وليُشفق إشفاق المتقين الماهدين
لما لهم ، وليتصح لنا وللسامعين فهو ويكل بيت ما لهم . ومن مات ولا وارث له من
عصبية أو كلاله ، فإن لبيت المال أرضه وداره وماله .

وقد وكلنا إليك هذا التقليد وقلدناك هذه الوكالة ، ووآلدك - رحمه الله - كانت
مفوضة إليه قديما فلذلك أحينا بك تلك الأصالة .

وَأَتَمَّ - أَعَزَّكَ اللهُ - أَنَّ الْوَصَايَا إِن طَالَتْ فَقَدْ طَابَ سَبْحُهَا ، وَإِنْ أَوْجَزَتْ
فَقَدْ كَفَى لِمَحُهَا وَمَحُهَا ، وَعَلَى الْأَمْرَيْنِ فَقَدْ أَنْارَهَا هُنَا بِالتَّوْفِيقِ صُبْحُهَا ، وَحَسَنَ
بِالتَّصْدِيقِ شَرْحُهَا ، وَأَطْرَبَ مِنْ حَمَامٍ أَقْلَامُهَا صَدْحُهَا ، وَالتَّقْوَى فِيهِ أَوَّلُهَا
وَأَخِيرُهَا وَخَتْمُهَا وَفَتْحُهَا ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَسْتَقِي بِكَ كُلَّ قَضِيَّةٍ [ذَوَى] صَبِيحُهَا^(١) ، وَالْخَيْرُ
يَكُونُ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى .



وهذه نسخة توقيع شريف بوكالة بَيْتِ الْمَالِ بِالشَّامِ أَيْضًا :

الْحَمْدُ لِلَّهِ كَافِي مَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ ، وَنُحْسِنُ مَالٍ مَنْ فَوَّضَ أَمْرَهُ إِلَيْهِ ، وَنُجَلِّ مَالٍ مَنْ
قَدَّمَ رَجَاءَنَا عِنْدَ الْمِجْرَةِ إِلَى أَبْوَابِنَا بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَمُقَرَّبِينَ مِنْ أَسْهَرِ فِي أَسْتِطَارِ عَوَارِفِنَا
بِكُلِّ الْأَدْوَاتِ نَاطِرِيهِ .

نُحَمِّدُهُ عَلَى نِعَمِهِ الَّتِي جَعَلَتْ سَعْيَ مَنْ أَمَّنَ كَرَمَنَا ، مَشْكُورًا ، وَسَعَدَ مَنْ قَصَدَ حَرَمَنَا ،
مَشْهُورًا ، وَإِقْبَالَ مَنْ أَقْبَلَ إِلَى أَبْوَابِنَا الْعَالِيَةِ مُحَقَّقًا يَتَقَلَّبُ فِي نِعْمَتِنَا مَحْبُورًا ، وَيَتَقَلَّبُ
إِلَى أَهْلِهِ مَشْرُورًا ، وَنُشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً نَتَضَدُّ فِيهَا
بِالْإِخْلَاصِ وَنَتَخَصِّمُ ، وَنَتَمَسَّكُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ بِعُرْوَتِهَا ، الَّتِي لَا تَنْقُصُ ، وَنُؤَكِّدُ فِي إِقَامَةِ
دُعْوَتِنَا ، سُبُوفَنَا الَّتِي لَا تَزَالُ هِيَ وَأَعْنَاقُ جَاهِلِيَّتِنَا نَتَخَصِّمُ ، وَنُشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ
الَّذِي أَضَاءَتْ شَرِيعَتُهُ ، فَلَمْ تَخَفْ عَلَى ذِي نَفَرٍ ، وَأَنَارَتْ مَلْتَهُ ، فَأَبْصَرَهَا الْقَلْبُ قَبْلَ
الْبَصَرِ ، وَعَمَّتْ دَعْوَتُهُ ، فَاسْتَوَى فِي وَجُوبِ إِجَابَتِهَا الْبَشَرُ ، وَأَخْتَصَّتْ أُمَّتُهُ ، بِهَلَاءِ
يُبْصِرُونَ مِنْ فِي طَرَفِهِ عَمَى وَيُظْهِرُونَ حَقَّ مَنْ فِي بَاغِهِ قِصَرُ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى
آلِهِ الَّذِينَ عَمِلُوا بِمَا عَلَّمُوا ، وَعَدَلُوا فِيهَا حَكَمُوا ، وَحَفِظُوا بِالْحَقِّ بِيُوتَ أَمْوَالِ الْأُمَّةِ

(١) القضاة الرطبة من النبات وذوى يس والصبح في الأصل خروج المقنود من كاهه .

فَأَسْرَكَ أَهْلَ الْمَلَّةِ فِيمَا غَنَمُوا؛ صَلَاةً تَوَكَّلَ الْإِخْلَاصُ بِإِقَامَتِهَا، وَتَكْفُلُ الْإِيمَانُ بِإِدَامَتِهَا؛ وَسَلَّمُ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وبعد : فإنَّ أَمَّ مَاصِرْفَ إِلَيْهِ الْهِمَمَ ، وَأَعَمَّ مَا نَوَجِبَ فِي اخْتِيَارِ الْأَكْفَاءِ لَهُ بَرَاءَةَ الدِّمِّ ، وَأَخْصَّ مَا اعْتَدْنَا الْاِسْتِخَارَةَ فِيهِ دَلِيلًا ، وَأَحَقَّ مَا أَقْنَأْنَا عَنَّا فِيهِ مِنْ أَعْيَانِ الْأُمَّةِ وَبَيِّنًا ، لَا يَدَعُ حَقًّا لِلْأُمَّةِ مَا وَجَدَ إِلَيْهِ سَبِيلًا - أَمْرٌ يَلْتَمِ مال المسلمين الذي هو مَادَّةُ جِهَادِهِمْ ، وَجَادَةُ جِلَادِهِمْ ؛ وَسَبَبُ اسْتِطَاعَتِهِمْ ، وَطَرِيقُ إِخْلَاصِهِمْ فِي طَاعَتِهِمْ ، وَسِدَادُ تَقْوِيهِمْ ، وَصَلَاحُ جُمُوهَرِهِمْ ، وَجَمَاعُ مَانِيهِ إِثْقَانُ أَحْوَالِهِمْ وَاسْتِثْقَارُ أُمُورِهِمْ ؛ وَمَنْ أَكَّدَ مَصَالِحِهَا وَأَهْمَهَا ، وَأَخْصَّ قَوَاعِدَ وَأَعْمَهَا ، وَأَكْمَلَ أَسْبَابَ وَفُورِهَا وَأَعْمَهَا ؛ الْوَكَاةُ الَّتِي تَصُونُ حَقُوقَهُ أَنْ تُضَاعَ ، وَتَمْنَعُ خَوَاصَّهُ أَنْ تُنْسَاعَ ، وَتُحَسِّنَ عَنِ الْأُمَّةِ فِي حِفْظِ أَمْوَالِهَا الْمَنَاقِبَ ، وَتَتَوَلَّى لِكُلِّ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِيهَا فَرِضَ اللَّهِ لِمِ الدَّعْوَى وَالْجَوَابِ ؛ وَلِذَلِكَ لَمْ تَزَلْ تَتَخَيَّرُهَا مِنْ ذَخَائِرِ الْعُلَمَاءِ مِنْ زَانِ الْوَرَعِ سَبَّاحِيَّاهُ ، وَكَلَّ الْعِلْمِ مَزَايَاهُ ؛ وَأَتَمَقَدَّ الْإِجْمَاعُ عَلَى كِتَابِهِ ، وَقُصِّرَتْ الْأَطْلَاعُ عَنِ التَّحَلِّيِ بِجَمَالِ عِلْمِهِ : وَهَلْ يَبْأَرِي مَنْ كَانَ عِلْمُهُ مِنْ جَمَالِهِ .

ولما كان المجلس السامع ، الشَّيْخِي ، الْفَلَاحِي ، هو الذي ظهرت فضائلُهُ وعلومُهُ ، ودَلَّ عَلَى بُلُوغِ الْغَايَةِ مَنْطُوقِ نَتِيجَةِ وَمَقْهُومِهِ ؛ وَحَلَّى عِلْمَهُ بِالْوَرَعِ الَّذِي هُوَ كِمَالُ الدِّينِ عَلَى الْحَقِيقَةِ ، وَسَلَكَ طَرِيقَةَ أَبِيهِ فِي التَّفَرُّدِ بِالْفَضَائِلِ فَكَانَ بِحَكْمِ الْإِرْثِ مِنْ غَيْرِ خِلَافٍ صَاحِبَ تِلْكَ الطَّرِيقَةِ ؛ مَعَ نَسَبٍ لِنَسِيبِ مَامَرِّ حَلَالِهِ ، وَتَقِيٍّ مَا وَرِثَهُ مِنْ أَبِيهِ عَنْ كَلَالِهِ ؛ وَثَبَاتٍ فِي ثُبُوتِ الْحَقِّ لَاسْتِغْفَرَهُ الْأَعْرَاضُ ، وَأَنَاءَةً فِي قَبُولِ الْحَكْمِ لَا تُحِيلُ جَوَاهِرَهُ الْأَعْرَاضُ ؛ وَوُقُوفٍ مَعَ الْحَقِّ لَا يُبْعِدُهُ إِلَى مَا [لَا] يَحِبُّ ، وَبَسْطِيَّةٍ فِي الْعِلْمِ بِهَا يَقْبَلُ مَا يَقْبَلُ وَيَتَجَنَّبُ مَا يَتَجَنَّبُ ؛ وَتَحْقِيقِي تَجْرِي الدَّعَاوَى الشَّرْعِيَّةُ عَلَى حُجَّتِهِ ، وَإِنْصَافٍ لَا يَضُرُّ خَصَمَهُ مَعَهُ كَوْنُهُ الْخَنَّ مِنْهُ بِحُجَّتِهِ ؛ مَعَ وَقَادَةِ إِلَى

أبوابا العالية تَقَاضَتْ له كَرَمًا جَلَمَ ، وَفَضْلًا الذی خَصَّ وِعْمَ - أَقْتَضَتْ آرَاؤُنَا الشَّرِيفَةَ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى وَطَنِهِ مَشْهُولًا بِالنِّعَمِ ، مَخْصُوصًا مِنْ هَذِهِ الرِّبَّةِ بِالْغَايَةِ الَّتِي يَكْبُودُونَهَا جَوَادُ الْمِهْمِ ؛ مَنْصُوصًا عَلَى رِقْعَةٍ قَدَرَهُ الَّتِي جَاءَتْ هَذِهِ الْوُظُفِيَّةَ عَلَى قَدَرٍ مُدَاوِمًا [لشكر أبوابنا] عَلَى اخْتِيَارِهِ لَهَا بَعْدَ إِمْعَانِ الْاِخْتِيَارِ وَإِنْعَامِ النَّظَرِ .

فَرَسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ أَنْ تُفَوَّضَ إِلَيْهِ وَكَالَةُ بَيْتِ الْمَسَالِ الْمَعْمُورِ بِالشَّامِ الْمَحْرُوسِ .

فَلْيَرْقَ هَذِهِ الرِّبَّةَ الَّتِي هِيَ مِنْ أَجَلِّ مَا يُرْتَقَى ، وَيَتَّقَ هَذِهِ الْوَكَالََةَ الَّتِي مَدَّارُ أَمْرِهَا عَلَى الثَّقَى ، وَهُوَ خَيْرُ مَا يُتَّقَى ، وَيُشَارُ هَذِهِ الْوُظُفِيَّةَ الَّتِي مَنَاطُ حُكْمِهَا فِي الْوَرَى الذِّي لَا تَسْتَحِفُّ صَاحِبَهُ الْأَهْوَاءُ وَلَا تَسْتَفِزُّ الرُّقُبَا ؛ وَلِيَنْهَضَ بِأَعْبَائِهَا مُسْتَقِلًّا بِمَصَالِحِهَا ؛ مُتَصَدِّبًا لِمَجَالِسِ حُكْمِهَا الْعَزِيزِ لِتَحْرِيرِ حُقُوقِ بَيْتِ الْمَسَالِ وَتَحْقِيقِهَا ، مُتَقَبِّيًا مَا يَرِدُ مِنْ أَمْرِ الدَّعَاوَى الشَّرْعِيَّةِ الَّتِي يُبْتُ مِثْلُهَا فِي وَجْهِهِ بِطَرَفِهَا ، مُتَقَبِّيًا عَنْ دَوَائِفِ مَا يَنْبُتُ لَهُ وَعَلَيْهِ ، مُحِيسِّنًا عَنْ بَيْتِ الْمَسَالِ الْوَكَالََةَ فِيمَا جَرَّهُ الْإِرْثُ الشَّرْعِيُّ إِلَيْهِ ؛ مُسْتَظْهِرًا فِي الْمَعَاقِدَةِ بِمَا جَرَتْ بِهِ الْعَادَةُ مِنْ وَجْهِهِ الْاِحْتِرَازَ ، مُجَانِبًا جَانِبَ الْحَيْفِ فِي الْأَخْذِ وَالْعَطَاءِ بِأَبْوَابِ الرُّخَصِ وَأَسْبَابِ الْجَوَازِ ؛ مُتَنَبِّيًا فِي تَشْدِيدِهِ عَنْ طَرِيقِ الظُّلْمِ الذِّي مِنْ تَحَلٍّ بِهِ كَانَ عَاطِلًا ، سَالِكًا فِي أُمُورِهِ جَادَّةَ الْعَدْلِ فَإِنَّهُ سَيَّانٌ مَنْ تَرَكَ حَقَّهُ وَآخَذَ بَاطِلًا ؛ مُجْتَنِبًا فِي تَحْقِيقِ مَا وَصَّ مِنَ الْحَقُوقِ الشَّرْعِيَّةِ وَكُنْ ، مُتَبَعًا مَا غَالَتْ الْأَيَّامُ فِي إِخْفَائِهِ فَإِنَّ الْحَقَّ لَا يَضِيعُ بِقَدَمِ الْمَهْدِ وَلَا يَنْطَلُ بِطُولِ الزَّمَنِ .

وَفِي أَوْصَافِهِ الْحَسَنَةِ ، وَبِحَيَايَاهِ الَّتِي غَدَّتْ بِهَا أَقْلَامُ أَيَّامِنَا لِسَنَةِ ، وَعُلُومِهِ الَّتِي أَنْشَرَتْ إِلَيْهَا أَفْكَارَهُ وَالْعُمُونَ وَسَنَةَ ، مَا يُبْنِي عَنْ وَصَايَا يُطْلَقُ عَنْهَا الْبَرَاءَةُ فِي تَحْدِيدِهَا ، أَوْ قَضَايَا يُنْطَلَقُ لِسَانُ الْبَرَاءَةِ فِي تَوْكِيدِهَا ؛ مَلَا كُنْهَا قَهْوَى اللَّهِ وَهِيَ نَجِيَّةٌ نَفْسِهِ ،

وَنَجِيَّةُ أَنَسِهِ ، وَحِلْيَةُ خِلَالِهِ الْمَعْرُوفَةُ فِي يَوْمِهِ وَأَمْسِهِ ؛ فَلْيَقْدِّمْنَاهَا فِي كُلِّ أَمْرٍ ، وَهَيْفٌ عِنْدَ رِضَا اللَّهِ فِيهَا لِارِضَا زَيْدٍ وَلَا عَمْرٍو ؛ وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ :

[الوظيفة الخامسة - الخطابة^(١)] .

وهذه نسخة توقيع بالخطابة بالجامع الأمويّ ، كُتِبَ بِهَا لِزَيْنِ الدِّينِ الْفَارُوقِ ، مِنْ إِنْشَاءِ الشَّيْخِ شَهَابِ الدِّينِ مُحَمَّدٍ الْحَلِّيّ :

الحمد لله رافع الدين أوتوا العلم درجات ، وجاعل أَرْجَاءِ الْمَنَارِ بِفَضَائِلِ أَيْمَةِ الْأُمَّةِ أَرْجَاتٍ ، وَشَارِحِ الصُّدُورِ بِذِكْرِهِ بَعْدَ أَنْ كَانَتْ مِنْ قَبْلِ الْمَوَاعِظِ حَرَجَاتٍ ؛ الَّذِي زَانَ الدِّينَ مِنَ الْعُلَمَاءِ بِمَنْ سُلِّمَتْ لَهُ فِيهِ الْإِمَامَةُ ، وَصَانَ الْعِلْمَ مِنَ الْأَيْمَةِ الْمُتَّقِينَ بِمَنْ أَحْبَبَ لَهُ جَائِجُ الْفَضْلِ يُصَرِّفُ كَيْفَ شَاءَ زِمَامَهُ ؛ وَوَعْدُ ذُرَّةِ الْمُنِيرِ الْكَرِيمِ لِمَنْ يَحْفَظُ فِي هِدَايَةِ الْأُمَّةِ حَقَّهُ وَيَرْعَى فِي الْبِدَايَةِ بِنَفْسِهِ ذِمَامَهُ ، وَوَعْدًا صَدَرَ مِنَ الْمَحْرَابِ الْمُنِيرِ لِمَنْ إِذَا أَمَّ الْأُمَّةَ أَرَتْهُ خَشْيَةُ اللَّهِ أَنَّ وَجْهَ اللَّهِ الْكَرِيمِ أَمَامَهُ .

تَحْمَدُهُ عَلَى مَا مَنَحَنَا مِنْ صَوْنِ صَهَوَاتِ الْمَنَارِ إِلَّا عَنْ فُرْسَانِهَا ، وَحِفْظِ دَرَجَاتِ الْعِلْمِ إِلَّا عَمَّنْ يَنْظُرُ بِإِنْسَانِ السُّنَّةِ وَيُنْطِقُ بِلِسَانِهَا . وَنَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً لَا تَزَالُ أَقْوَاهُ الْمُحَارِبِ ، تُثَبِّتُ طُرُوسَهَا ، وَأَنْوَاءُ الْمَنَارِ ، تُثَبِّتُ غُرُوسَهَا ، وَاللِّسَنَةُ الْإِخْلَاصُ تُثَبِّتُ عَلَى الْمَسَامِعِ مِنْ مُجْهِفِ الضَّمَائِرِ دُرُوسَهَا . وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ الَّذِي شَرَّفَتِ الْمَنَارُ أَوَّلًا بِرُفْقِهِ إِلَيْهَا ، وَآخِرًا بِذِكْرِ أَسْمِهِ الْكَرِيمِ عَلَيْهَا ؛ فَهِيَ الرَّبِيبَةُ الَّتِي يَزِيدُ تَبَصُّرَةً عَلَى مَرِّ الدُّهُورِ بَقَاؤُهَا ، وَالدرَجَةُ الَّتِي يَطُولُ إِلَّا عَلَى وَرَثَةِ عَلَيْهِ أَرْتَقَاؤُهَا ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ ذَكَرَهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ فَذَكَرُوها ،

(١) أضفنا هذه الزيادة لأختصاص الكلام لها .

(٢) أى ذلّ واقاد بعد صموية .

وَبَصَّرَهُمْ بِآلَاءِ اللَّهِ فَشَكَرُوهَا ؛ وَعَرَّفَهُمْ بِمَوَاقِعِ وَحْدَانِيَّتِهِ فَاذَلُّوا بُسُتَهُ وَأَسَنَّتِهِ الَّذِينَ
أَنْكَرُوهَا ، صِلَاةً لَا تَبْرُحُ لَهَا الْأَرْضُ مَسْجِدًا ، وَلَا يَزَالُ ذِكْرُهَا مُفِيرًا فِي الْآفَاقِ
وَمُنْجِدًا ؛ وَسَلَّمَتْ سَلِيمًا كَثِيرًا .

وبعد ، فإنه لما كانت الخطابة من أشهر شعار الإسلام ، وأظهر شعار ملة سيدنا
محمد عليه أفضل الصلاة والسلام ، شرعها الله تعالى لإذكار خلقه بنعمه ، وتحذير عباده
من قبحه ، وإعلام بريته بما أعد لمن أطاعه في دار كرامته من أنواع كرمه ، وجعلها
من وظائف الأمة العاتمة ، ومن قواعد ورثة النبوة التامة ؛ يقف المتلبس بها موقف
الإبلاغ عن الله لعباده ، ويقوم الناهض بقرضها مقام المؤدى عن رسول الله -
صلى الله عليه وسلم - إلى أمته عرب مراد الله ورسوله دون مراده ، وقيمها
في فروض الكفايات على سنن سبيله ^(١) ، ويستزل بها مواد الرحمة إذا ضل الغيث
على الأرض بوبله ؛ وكان المسجد الجامع يلتمش المحروسة هو الذى سارت بذكره
الأمثال ، وقيل هذا من أفراد الدهر التى وضعت على غير مثال ؛ قد تعين أن ترتاد
له بحكم خلوه من الأئمة من هو مثله فرد الآفاق ، وواحد العصر عند الإطلاق ؛
وإمام طاب زمانه غير متافع عن ذلك ، وعلامة أئمة أوانه الذى يضى بنور
قناويه ليل الشك الحالك ؛ وناصر السنة الذى تدب علومه عنها ، وحوى ذخائر
الفضائل التى تنبى على كثرة إيقافه على الطلبة منها ؛ وشيخ الدنيا الذى يقدر على
فضله بالختامر ، ورحلة الإفطار الذى غدت نسبته إلى أنواع العلوم زاكية
الأحساب طاهرة الأواصر ، وزاهد الوقت الذى زان العلم بالعمل ، وناسك الدهر
الذى صان الورع بامتداد الفضائل وقصر الأمل ؛ والعابد الذى أصبح حجة

الْعَارِفِ وَقُدُورَةِ السَّالِكِ ، وَالصَّادِعُ بِالْحَقِّ الَّذِي لَا يُبَالِي مَنْ أَغْضَبَ إِذَا رَضِيَ اللَّهُ
وَرَسُولُهُ بِذَلِكَ .

ولما كان فلان هو الذي خَطَبَتْهُ هَذِهِ الْخُطَابَةُ عَنْهُ لَمْ يَلْ تَسَامَى وَلَا تَسَامَ ،
وَعَيْتَهُ لِهَذِهِ الْإِمَامَةِ فَضَائِلُهُ الَّتِي حَسَنَتْ بِهَا وَجُوهُ الْعِلْمِ الْوَسَامُ ، حَتَّى كَانَتْهَا فِي فَمِ
الزَّمَنِ أَيْتَسَامَ ؛ وَالْقَى إِلَيْهِ مَقَالِيدَهَا كَجَلَّةِ الَّذِي صَدَّ عَنْهَا الْخُطَابُ ، وَسَدَّ دُونَهَا أَبْوَابَ
الْخُطَابِ ، وَقِيلَ : هَذَا الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ أَوَّلَى بِهَذَا الْمِنْبَرِ وَآخِرَى بِهَذَا الْمِحْرَابِ -
أَقْبَضَتْ آرَأُونَا الشَّرِيفَةَ أَنَّ مُحَلَّى أَعْطَافِ هَذَا الْمِنْبَرِ بِفَضْلِهِ الَّذِي يُعِيدُ عَوْدَهُ رِطْبِيًا ،
وَيُضْمَخُ طِيبًا مِنْهُ مَاضٍ خَطِيئًا ؛ وَأَنْ نَصَدَّرَ بِهَذَا الْمِحْرَابِ مَنْ نَعْلَمُ أَنَّهُ لَدَى الْأُمَّةِ
مُنَاجٍ لِرَبِّهِ ، وَاقِفٌ بَيْنَ يَدَيِ مَنْ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ .

فلذلك رُسم ... - لا زال يُوَلَّى الرَّتَبَ الْحَسَنَ ، وَيَجْرَى بِمَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ مِنْ
الْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ - أَنْ تَفُوزَ إِلَيْهِ الْخُطَابَةُ وَالْإِمَامَةُ بِجَامِعِ دِمَشْقِ الْمَحْرُوسِ عَلَى
عَادَةٍ مِنْ تَقَدُّمِهِ .

فَلْيَرَقْ هَذِهِ الرُّتْبَةَ الَّتِي أَعْطَاهُ اللَّهُ ذُرْوَتَهَا ، وَأَعْطَاهُ الْفَضْلُ صَهْوَتَهَا ؛ وَعَيْنُهُ تَفَرَّدُهُ
بِالْفَضَائِلِ لِإِذْكَارِ الْأُمَّةِ عَلَيْهَا ، وَرَجَّحَهُ لَهَا أَنْفَادُ الْإِجْمَاعِ عَلَى تَفْضِيلِهِ حَتَّى كَادَتْ
الشُّوْقُ أَنْ تَسْعَى إِلَيْهِ لَوْ لَمْ يَسْعَ إِلَيْهَا ؛ حَتَّى تَحْتَالَ مِنْهُ بِأَيَّامٍ لَا تَعْدُو مَوَاعِظُهُ حَبَاتِ
الْقُلُوبِ ، لِأَنَّهُا تَخْرُجُ مِنْ مِثْلِهَا ، وَلَا تَدْعُ خُطْبَهُ أَثَرًا لِلذُّنُوبِ ، لِأَنَّهُا تُؤَكِّلُ مَاءَ الْعُيُونِ
بَغْسِلِهَا ، وَلَا تُتْبِعُ نَهَائِحَهُ لِلدُّنْيَا عِنْدَ الْمُغْتَرِّبِهَا قَدْرًا ؛ لِأَنَّهُا تَبْصُرُهُ بِخَدَائِعِهَا ، وَلَا تَتْرَكَ
بَلَاغَتَهُ لِلْقَصْرِ عَنِ التَّوْبَةِ عُدْرًا ؛ فَإِنَّهَا تُحَذِّرُهُ مِنْ سُرْعَةِ زَوَالِ الْحَيَاةِ وَأَنْقِطَاعِهَا ؛ وَلَا
تَجْعَلُ فَوَائِدَهُ لِنَوَى التَّجَدُّدِ وَالْبَاسِ أَلْفَاءًا إِلَى أَهْلِ وَلَا وَلَدٍ لِأَنَّهُا تُبَشِّرُهُ بِمَا أَعَدَّ اللَّهُ

لَمْ نَخْرِجْ فِي سَبِيلِهِ ، وَلَا تُمَكِّنْ زَوَاجِرُهُ مَنْ نَشَرَ الظُّلْمَ أَنَّ يُمَدَّ إِلَيْهِ يَدًا لَأَنَّهُا تُخْرِجُهُ بِمَا
فِي الْإِقْدَامِ عَلَى ذَلِكَ مِنْ إِغْضَابِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ .

فَلْيُطْلَ - مع قَصْرِ الْخُطْبَةِ - لِلظَّالِمِ جِمَالُ زَجَرِهِ ، وَلْيُطَبِّ قَلْبَ الْعَالِمِ الْعَامِلِ
بوصف ما أَعَدَّ اللَّهُ لَهُ مِنْ أَجْرِهِ ؛ وَلْيَجْعَلْ خُطْبَهُ كُلَّ وَقْتٍ مَقْصُودَةً عَلَى حُكْمِهِ ،
مَقْصُودَةً فِي وُضُوحِ الْمَقَاصِدِ مِنْ يَنْهَضُ بِسُرْعَةٍ إِدْرَاكُهُ أَوْ يَقَعُدُ بِهِ بَطْءُ فَهْمِهِ ؛
يُغَيِّرُ الْكَلَامَ مَادَلَّ بَيِّنَاتُهُ وَإِنْ قَلَّ ، وَإِذَا كَانَ قَصْرُ خُطْبَةِ الرَّجُلِ وَطُولُ صَلَاتِهِ
مَثْنَةً مِنْ فِقْهِهِ فَآ قَصَرَ مَنْ حَافِظَ عَلَى حُكْمِ السُّنَّةِ فِيهِمَا وَلَا أَخْلَ .



[وهذه] نسخة توقيع بالخطابة بالجامع الأموي ، كُتِبَ بِهِ لِلْقَاضِي «تَقَى الدِّينِ
السَّيْكِي» .

الحمد لله الذي جعل دَرَجَاتِ الْعُلَمَاءِ آخِذَةً فِي مَزِيدِ الرُّقَى ، وَخَصَّ بِرَفِيعِ
الدرجات مِنَ الْأُئِمَّةِ الْأَعْلَامِ كُلَّ تَقَى ، وَالْقَى مَقَالِيدَ الْإِمَامَةِ لِمَنْ يَصُونُ نَفْسَهُ النَّفِيسَةَ
بِالْوَرَعِ وَبِقَى ، وَأَعَادَ إِلَى مَعَارِجِ الْجَلَالِ ، مَنْ لَمْ يَزَلْ يَخْتَارُ حَمِيدَ الْجَلَالِ ، وَيَتَّقِي ،
وَأَسَدَلَ جِلْبَابَ السُّؤْدِدِ عَلَى مَنْ أَعَدَّ لِلصَّلَاةِ وَالصَّلَاتِ مِنْ قَلْبِهِ وَتَوْبِهِ كُلَّ
طَاهِرٍ تَقَى .

نَحْمَدُهُ عَلَى أَنْ أَعْلَى عِلْمِ الشَّرْعِ الشَّرِيفِ وَأَقَامَهُ ، وَجَعَلَ كَلِمَةَ التَّقْوَى بَاقِيَةً فِي أَهْلِ
الْعِلْمِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً عَدَلَ قَيْدُ^(١)
الْفَضْلِ بِالشُّكْرِ وَأَدَامَهُ ، وَأَيَّدَ النِّعْمَةَ بِمَزِيدِ الْحَمْدِ فَلَا غَرْوَانَ جَمَعَ بَيْنَ الْإِمَامَةِ

(١) فِي الْأَصْلِ «شَهَادَةُ عَدَلَ نَيْتِ الْقَيْدِ الْخ» وَضُبُّ عَلَى لَفْظَةِ «فِيهَا» .

وَالْإِيمَانَهُ ، وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي أَعْلَى اللَّهُ بِهِ عَقِيدَةَ مُرْتَلِّ الْأَذَانِ
وَمُسْتَدْرِجِ الْأَقَامَةِ ، وَأَعْلَى بِرُكْنِهِ قِيَمَةَ مَنْ تَمَسَّكَ بِسَبِيلِ الْمُهْدَى وَلَا تَزَمَ طَرِيقَ
الْإِسْتِقَامَةِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الَّذِينَ عَقَدُوا عَهْدَ هَذَا الدِّينِ وَحَفِظُوا نِظَامَهُ ،
وَعَلَى أَصْحَابِهِ الَّذِينَ مَامَ مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ أَقْتَدَى بِطَرِيقِهِ فَاهْتَدَى إِلَى طَرِيقِ الْكِرَامَةِ ، صَلَاةُ
لَا تَزَالُ بَرَكَاتُهَا تُؤَيِّدُ عَقْدَ الْيَقِينِ وَتُدِيمُ ذِمَامَهُ ، وَسَلَامٌ تَسْلِيًا كَثِيرًا .

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ مِنْ شَيْمٍ دَوَّلَتِنَا الشَّرِيفَةِ أَنْ تَرْفَعَ كُلَّ عَالِي الْمِقْدَارِ مَكَانًا عَلِيًّا ،
وَتَجْعَلَ لَهُ مِنْ أَسْمِهِ وَصِفَتِهِ قَوْلًا مَسْمُوعًا وَفِعْلًا مَرْضِيًّا ، وَتُوَطِّدَ لَهُ رُتَبَ الْمَعَالِي
وَتَزِيدَ قُدْرَهُ فِيهَا رُقِيًّا ، وَتَكْشُوهُمْ مِنْ جِلْبَابِ السُّؤْدُودِ مِطْرَقًا مَبَارَكًا وَطِبَاءً ، وَتُطْلِقَ
لِسَانَ إِمَامِهِ بِالْمَوَاعِظِ أَلَى إِذَا تَعَقَّلَهَا أُولُو الْأَلْبَابِ خَرُوا لَطَاعَةِ رَبِّهِمْ مُجِدًّا وَبُكْيًا .

وَلَمَّا كَانَ الْمَجْلِسُ الْعَالِيُّ هُوَ الَّذِي أَعَزَّ أَحْكَامَ الشَّرِيعَةِ الشَّرِيفَةِ وَشَادَهَا ،
وَأَبْدَى مِنْ أَلْفَاظِهِ الْمُبَارَكَةِ الرَّبَّانِيَّةِ وَأَعَادَهَا ، وَأَذَاعَ فِيهَا أَسْرَارَ الْيَقِينِ
وَزَادَهَا ، وَأَصْلَحَ فُسَادَهَا ، وَقَوَّمَ مُنَادَهَا ، وَكَيْفَ لَا وَقَدْ جَمَعَ مِنَ الْعُلُومِ أَشْأَانًا ،
وَأَحْيَا مِنْ مَعَالِمِ التَّقَى رُفَاتًا ، وَأَوْصَحَ مِنْ صِفَاتِ الْعُلَمَاءِ الْعَامِلِينَ بِهَدْيِهِ وَتَمَيَّنَتْ هَذَانَا
وَسَيَّمَانَا ، فَلِذَلِكَ خَرَجَ الْأَمْرُ الشَّرِيفُ الصَّالِحِي الْعَاهِدِي



قُلْتُ : وَهَذِهِ نَسْخَةُ تَوْقِيعِ بَحْطَابَتِهِ أَيْضًا ، أَثْنَاةٌ لِلشَّيْخِ « شِهَابِ الدِّينِ
أَبْنِ حَارِثِي » :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْلَعَ شِهَابَ الْفَضَائِلِ فِي سَمَاءِ مَعَالِيهَا ، وَزَيَّنَ صَمَوَاتِ الْمُنَازِلِ بِمِنْ
قَرَّتْ عِيُونُهَا مِنْ وَلَآئَتِهِ الْمُبَارَكَةِ بِنَوَالِيهَا ، وَجَمَّلَ أَعْوَادَهَا بِأَجَلِّ حَبِيرٍ لَوْ تَسْتَطِيعُ فَوْقَ

قدرتها لَسَعَتْ إِلَيْهِ وَفَارَقَتْ - نَحْرًا لِلْعَادَةِ - مَبَانِيهَا، وَشَرَفَ دَرَجَهَا بِأَكْلِ عَالِمِ
مَاوَضَعَ بِأَسَافِلِهَا قَدَمًا إِلَّا وَحَسَدَتْهَا عَلَى السَّبْقِ إِلَى مَسِّ قَدَمِهِ أَعَالِيهَا .

نحمده على أَنْ خَصَّ مَصَافِقَ الْخَطِيَاءِ مِنْ فَضْلِ اللَّسَنِ بِالْبَإِيعِ الْمِيدِ، وَقَصَرَ الْجَامِعِ
الْأُمَوِيِّ عَلَى أَنْ يَبْلُغَ خَطِيبُ يَسِيبُ فِي تَطَلُّبِ مِثْلِهِ الْوَلِيدَ، وَأَقْرَدَ فَرِيدَ النَّهْرِ بِاعْتِبَارِ
الْاِسْتِحْقَاقِ بُرْقَى دَرَجِ مِثْرِهِ السَّعِيدِ . وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ
شَهَادَةً تَحْقِيقُ عَلَى مَوَازِيحِ الصُّفُوفِ أَعْلَامُهَا ، وَتَتَوَفَّرُ مِنْ تَذْكِيرِ آلاءِ اللَّهِ تَعَالَى
أَفْصَامُهَا ، وَلَا تُقْصَرُ عَنْ تَبْلِغِ الْمَوَاعِظِ حَبَاتِ الْقُلُوبِ أَفْهَامُهَا ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا
مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَفْضَلُ نَبِيِّ نَبِّهِ الْقُلُوبِ الْغَافِلَةِ مِنْ سُبَاتِنَا، وَأَيُّظُ الْخَوَاطِرِ النَّائِمَةِ
مِنْ سُبَاتِنَا ، وَأَحْيَا رَيْمَ الْأَفْتِدَةِ بِقَوَارِعِ الْمَوَاعِظِ بَعْدَ مَمَاتِهَا ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ
وَتَحِيَّهِ الَّذِينَ عَلَا مَقَامُهُمْ ، فَفَاتَتْ أَعْقَابُهُمُ الرُّؤُوسُ ، وَرُفِعَتْ فِي الْجَامِعِ رُتَبُهُمْ ،
فَكَانَتْ مِثْلُهُمْ مِثْلُ مَنْزِلَةِ الرَّئِيسِ مِنَ الْمَرْعُوسِ ؛ صَلَاةً لَا تَزَالُ الْأَرْضُ لَهَا مَسْجِدًا ،
وَلَا يَبْرَحُ مُفْتَرَقُ الْمَنَازِرِ بِاخْتِرَاقِ الْآفَاقِ لِاجْتِمَاعِهَا مَوْرِدًا .

وبعد ، فَإِنَّ أَوَّلَى مَا صُرِفَتِ الْعَنَاءُ إِلَيْهِ ، وَوَقَعَ الْاِقْتِصَارُ مِنْ أَهَمِّ الْمُهْمَّاتِ عَلَيْهِ -
أَمْرُ الْمَسَاجِدِ الَّتِي أَقِيمَ بِهَا لِلدِّينِ الْحَنِيفِ رَحْمَتُهُ ، وَبُيُوتِ الْعِبَادَاتِ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى
أَنْ تُرْفَعَ وَيُذَكَّرَ فِيهَا أَسْمُهُ ؛ لَا سِيَّمَا الْجَوَامِعِ الَّتِي هِيَ مِنْهَا بِمِثْلَةِ الْمُلُوكِ مِنَ الرَّعِيَّةِ ،
وَأَمَائِلِ الْأَعْيَانِ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ الْبَرِيَّةِ ؛ وَمَنْ أَعْظَمَهَا خَطَرًا ، وَأَبْيَنُهَا فِي الْحَاسَنِ أَثَرًا ،
وَأَسِيرُهَا فِي الْآفَاقِ النَّائِيَةِ خَبَرًا ؛ بَعْدَ الْمَسَاجِدِ الثَّلَاثَةِ الَّتِي تُسَدُّ الرِّجَالَ إِلَيْهَا ، وَيُسَوَّلُ
فِي قَصْدِ الزِّيَارَةِ عَلَيْهَا - جَامِعُ دِمَشْقَ الَّذِي رَسَتْ فِي الْعَصْرِ قَوَاعِدُهُ ، وَقَامَتْ عَلَى مَرِّ
الْأَيَّامِ شَوَاهِدُهُ ، وَقَاوَمَ الْجَمَّ النَّفِيرَ مِنَ الْجَوَامِعِ وَاحِدُهُ ؛ وَلَمْ تَزَلِ الْمُلُوكُ تُصْرِفُ الْعَنَاءَ
إِلَى إِقَامَةِ شِعَائِرِ وَطَائِفِهِ ، وَتَقْتَصِرُ مِنْ أَهْلِ كُلِّ فَنٍّ عَلَى رُئِيسِ ذَلِكَ الْفَنِّ وَعَارِفِهِ ؛

فَا سَفَرَتْ بِهِ وَظِيفَةً إِلَّا أَخَارُوا لَهَا الْأَعْلَى وَالْأَرْفَعُ ، وَلَا وَقَعَ التَّرَدُّدُ فِيهَا بَيْنَ
اثْنَيْنِ إِلَّا تَقَبَّلُوا مِنْهَا الْأَعْلَمَ وَالْأَوْرَعَ ، خُصُوصًا وَظِيفَةُ الْخُطَابَةِ الَّتِي كَانَ النَّبِيُّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْقِيَامِ بِهَا مُتَصَدِّيًا ، وَعَلِمَ الْخُلَفَاءُ مَقَامَ شَرَفِهَا بَعْدُ فَبَاشَرُوهَا
بِأَنْفُسِهِمْ تَأْسِيًا .

وَلَمَّا كَانَ الْمَجْلِسُ الْعَالِي ، الْقَاضِيُّ ، الشَّيْخُ ، الْكَبِيرُ ، الْعَالِمُ ، الْقَاضِيُ ،
الْأَوْحَدِيُّ ، الْأَكْبَلِيُّ ، الرَّئِيسِيُّ ، الْمُقَوِّمِيُّ ، الْبَلِيغِيُّ ، الْفَرِيدِيُّ ، الْمُفِيدِيُّ ،
الْجَيِّدِيُّ ، الْقُدُّوسِيُّ ، الْحُجِّيُّ ، الْمُحَقِّقِيُّ ، الْوَرَعِيُّ ، الْخَلَّاشِيُّ ، النَّاسِكِيُّ ، الْإِمَامِيُّ ،
الْعَلَّامِيُّ ، الْأَيْمَلِيُّ ، الْعَرِيقِيُّ ، الْأَصِيلِيُّ ، الْخَارِكِيُّ ، الْخَطِيبِيُّ ، الشَّهَابِيُّ : بِحَالِ
الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ ، شَرَفَ الْعُلَمَاءِ الْعَامِلِينَ ، أَوْحَدَ الْمُفَضَّلَاءِ الْمُفِيدِينَ ، قُدْوَةَ الْبُلَغَاءِ
الْمُجْتَهِدِينَ ، حُجَّةَ الْأُمَّةِ ، عَمْدَةَ الْمُحَدِّثِينَ ، نَفَرِ الْمُدَرِّسِينَ ، مُفْقِي الْمُسْلِمِينَ ، مُعِزَّ السَّنَةِ ،
قَامِعَ الْبِدْعَةِ ، مُؤَيِّدَ الْمِلَّةِ ، شَمْسَ الشَّرِيعَةِ ، حُجَّةَ الْمُتَكَلِّمِينَ ، لِسَانَ الْمُنَاطِرِينَ ،
بَرَّةَ الدَّوْلَةِ ، خَطِيبُ الْخُطَبَاءِ ، مُدَكِّرُ الْقُلُوبِ ، مُبَشِّرُ الْخَوَاطِرِ ، قُدْوَةُ الْمُلُوكِ
وَالسَّلَاطِينِ ، وَلِيُّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ « أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ » آدَامَ اللَّهِ تَعَالَى نِعْمَتَهُ : هُوَ
الَّذِي خَطَبَتْهُ هَذِهِ الْخُطَابَةُ لِنَفْسِهَا ، وَعَلِمَتْ أَنَّهُ الْكَفُّ الْكَامِلُ فَنَسِيَتْ بِهِ فِي يَوْمِهَا
مَا كَانَ مِنْ مَصَافِحِ الْخُطَبَاءِ فِي أَمْسِهَا ؛ إِذْ هُوَ الْإِمَامُ ، الَّذِي لَا تُسَامَى عُلُومُهُ وَلَا تُسَامَ ،
وَالْعَلَّامَةُ الَّتِي لَا تُدْرِكُ مَدَارِكُهُ وَلَا تُرَامُ ؛ وَالْخَبَرُ الَّذِي تُعَقَّدُ عَلَيْهِ فَضْلُهُ الْخَنَاصِرُ ،
وَالْعَالِمُ الَّذِي يَعْتَرِفُ بِالْقُصُورِ عَنْ جُرَارَةِ جَيَادِهِ الْمُنَاطِرِ ؛ وَالْخَافِظُ الَّذِي قَامَ عَلَيْهِ
زَمَانُهُ بِلَا مُنَازِعٍ ، وَعَلَّامَةُ أُمَّةٍ أَوَّانِهِ مِنْ غَيْرِ مُدَافِعٍ ؛ وَنَاصِرُ السَّنَةِ الَّذِي يَذُبُّ بِعُلُومِهِ
عَنْهَا ، وَجَامِعُ أَشْتَاتِ الْفُنُونِ الَّتِي يَقْتَنِسُ أَمَائِلُ الْعُلَمَاءِ مِنْهَا ، وَزَاهِدُ الْوَقْتِ الَّذِي
زَانَ الْعِلْمَ بِالْعَمَلِ ، وَنَاسِكُ الدَّهْرِ الَّذِي قَصَرَ عَنْ مَبْلَغِ مَدَاهِ الْأَمَلِ ؛ وَرُحْلَةُ الْأَقْفَارِ
الَّذِي تُسَدُّ إِلَيْهِ الرِّجَالُ ، وَعَالِمُ الْأَفَاقِ الَّذِي لَمْ يَسْمَعْ الدَّهْرُ لَهُ بِمِثَالٍ - أَفْتَضَى

حسن رأى الشريف أن نرفع من المنابر على درجتها ، وقطع يرايه من
دلائل الإلباس الملبسة داحص مجبها ، وقدمه على غيره من رام إبرام الباطل
فنفذ ، وحاول رفع نفسه بغير أداة الرفع لنفخ .

فلذلك رسم بالأمر الشريف العالى ، المولى ، السلطان ، الملك ، المنصور ،
المعزى - لازل يرتفع لأهل العلم راسا ، ويحقق لذوى الجهل من بلوغ المراتب
السنية ياسا - أن يفوض إلى المجلس العالى المشار إليه خطابة الجامع المذكور
بافتقاده ، على أتم القواعد وأكملها ، وأحسن العوائد وأجملها .

فليرق منبره الذى عاقب فيه راحته الطالع أعزّل غيره الغارب ، ولينبؤا ذروة
سنامه الأرفع من غير شريك له ولا حاجب ؛ ولتقصده بمواعظه حبات القلوب ،
ويرشق شباب قراطيسها المانة فإنها الغرض المطلوب ؛ وليأت من زواجر وعظه
بما ينهب مذهب الأمثال السائرة ، ويرسلها من صميم قلبه العامر فإن الوعظ
لا يظهر أثره إلا من القلوب العامرة ؛ ويقابل كل قوم من التذكير بما يناسب
أحوالهم على أكل سنن ، ويخص كلاً من أزمان السنة بما يوافق ذلك الزمن ؛
والوصايا كثيرة وإنما تهذب العلم بغنى عنها ، وتأديب الشريعة يكفى مع القدر
اليسير منها ؛ وتقوى الله تعالى ملاك الأمور وعنده منها القدر الكافى ، والحاصل
الوافى ؛ والله تعالى يرقبه إلى أرفع الدرى ، ويرفع على الجوزاء مجلسه العالى : « وإنا لنرجو
فوق ذلك مظهرا » .



الوظيفة السادسة - التّدرّيس الجارّ يَمْشَقُ المحروسة .

وهذه نسخة تَوْقِيع بتّدرّيس المدرسة الرّيحانيّة ، كُتِبَ به لقاضى القضاة «عماد الدين الطّرسوسى» الحنّفى، عوضا عن جلال الدّين الرّازى . كُتِبَ بسؤال بعض كتّاب الإنشاء، وهى :

الحمد لله الذى جعل عماد الدّين عليا ، وأحكم مبادئ من حَكَم فلم يُدْعَ عَصِيّا ،
وَقَفَى فى سَائِقِ قَضَائِهِ لِمُضَاءِ قَضَائِهِ أَنْ لَا يُبْقَى عَتِيّا .

نحمده على ما وهب به من أوقات الذّكر بركة وعشيا ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تُنَبِّه بالعلم بوحداً نبيّه من كان غيّا ، وتُكَيِّدُ لِمَقَاتِلِ سيوف العلماء من كان غويّا ، ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذى كان عند ربّه رَضِيّا ، وعلى ذبّه عمّا شرّع من الدين مرَضِيّا ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة لا يزال فضل قديمها مثل حديثها مرويا ، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد، فلما كانت رُبُّ العلم هى التى يُتَنَافَسُ عليها ، ويُتَطاوَلُ إلى التَّنَقُّلِ إليها ، ويُختارُ منها ما كُتِبَ ب مباشرة المتقدّم ملايس الجلال ، وأنّ له أن ينتقل إليه البدر بعد الهلال ، وكانت المدرسة الرّيحانيّة بمحروسة دِمَشَقُ هى رِيحانة المجالس ، وروضة العلم الرّازكية المَخَارِسْ ؛ وبحر القَوَائِدِ الذى يُخْرِجُ القرائد ، ومسرّح العلماء الذى قد آن أن يظفر به منهم من الألف زائد .

ولما تَوَقَّى من آلت إليه ، وعالت مسألتها إلا عليه ؛ وكان ممن قد ولي الأحكام استقلالا ، وكان لبصر الدنيا جلّا وللدّين جلالا ؛ لم تكن إلا لمن يُنسَى به ذلك

الدَّاهِبُ ، و ينسب إليه عِلْمٌ مِنْهُ كَلَهُ وَإِنْ كَانَ لَا يَاقْتَصِرُهُ عَلَى بَعْضِ الْمَذَاهِبِ ،
و يَعْرِفُ مَنْ هُوَ وَإِنْ لَمْ يُصَرِّحْ بِاسْمِهِ ، و يَعْرِفُ مَنْ هُوَ وَإِنْ لَمْ يُذَكِّرْ بَعْلَاهُ قَدْرَهُ الْعَلِيَّ
و عَلَيْهِ ؛ وَلَا يُخْتَرَى أَنَّهُ خَلَفَ « أَبَا حَنِيفَةَ » فِيمَنْ خَلَفَ ، وَحَصَلَ عَلَى امْتِلٍ مَا حَصَلَ
عَلَيْهِ الْقَاضِي « أَبُو يُوسُفَ » وَذَهَبَ ذَلِكَ فِي السَّلَفِ الْأَوَّلِ مَعَ مَنْ سَلَفَ ؛ وَاعْلَمْ
بِمَدَالِهِ أَنَّ « مُحَمَّدَ بْنَ الْحَسَنِ » لَيْسَ مِنْ أَقْرَانِ أَبِي الْحَسَنِ ، وَأَنَّ « زُفَرَ » لَمْ يُرْزَقْ
طِيبَ أَنْفَاسِهِ فِي بَرَاعَةِ اللَّسَنِ ؛ وَأَنَّ « الطَّحَاوِيَّ » مَا طَعَا بِهِ « قَلْبٌ إِلَى الْحِسَانِ
طُرُوبِ » وَ « الْقَاضِي خَانَ » لَدَيْهِ مِنَ الْأَنْبُوبِ ؛ وَتَلَقَّبَ « شَمْسُ الْأُتَمَةِ » لَمَّا طَلَعَ
عِلْمُهُ أَنَّهُ قَدْ حَانَ مِنْ تَمَسُّسِ التَّهَارِ غُرُوبِ ، وَ « الرَّازِيَّ » لَمَّا جَاءَ تَبَيُّنُ أَنَّهُ يَرْوِزُهُ
عَنْ عِلْمِ الْجُيُوبِ ، وَ « الْمَرْغِيْنَانِيَّ » مُسٍّ وَلَمْ يُرْغَنَ لَهُ فِي مَطْلُوبِ ؛ وَ « التَّلَاجِيَّ » مَا بَرَدَ
لَطَائِلُ غُلَّةِ ، وَ « الْخَبَازِيَّ » لَمْ يُوجَدْ عِنْدَهُ لَطْعَامُ فَضْلِهِ ، وَ « الْهَنْدَوَانِيَّ » مَا أَجْدَى
فِي جِلَادِ الْجِدَالِ وَلَا هَزَنَ نَصْلِهِ ؛ وَلَمْ يَزَلْ يُنْشَارُ إِلَيْهِ وَالتَّقْلِيدُ الشَّرِيفُ لَهُ بِالْحُكْمِ
الْمُطْلَقِ بِمَا تَضَمَّنَتْهُ مِنْ مَحَاسِنِ أَوْصَافِهِ شَاهِدٌ ، وَدَسْتُ الْحُكْمَ عَلَى عُلَى كَيَوَانَ شَائِدٍ ؛
وَمَدَارِسُ الْعِلْمِ تُبِيرُ مِنْ حُبِّهِ ، مَا حُنِيتَ عَلَيْهِ مِنْ مَحَارِبِهَا الْأَضَالِعِ ، وَبِمَجَالِسِ الْقَضَاءِ
تُظْهِرُ بَهْرَتَهُ ، مَا لَمْ يَكُنْ تُكَادِي إِلَيْهِ الْمَوَاضِعُ .

وكان الجناح الكريم ، العالى ، القضاى ، الأجل ، الإمامى ، الصدرى ، العالمى ،
العالمى ، العلماى ، الكاملى ، الفاضلى ، الأوحدى ، المفيدى ، الورعى ، الحاكى ،
العمادى ؛ ضياء الإسلام ، شرف الأنام ، صدر الشام ، أمير الإمام ، سيد العلماء
والحكام ، رئيس الأصحاب ، معز السنة ، مؤيد الملة ، جلال الأئمة ، حاكم الملوك
والسلطين ، خالصة أمير المؤمنين ، أبو الحسن على بن الطرسوسى الحنفى ، قاضى

(١) كذا فى الأصل ولعله من زيادة قلم النسخ . (٢) يرويه يسهه ويخبره . يريد
يسأله عن علم الجيوب الفلكية . (٣) من أرغن له فى كذا . أطاعه فيه .

القضاء بالشام - نشر ملاءة منده، وحلّ بجالوسه للحكم طرق النّهار إضاعةً مُقَضِّضَةً وتوسيع مُدَّهِهِ، طالباً مأسَ الرِّعَاةِ بِحُكْمِهِ، وسادَ نُظْرَامَهُ في معرفة العلوم الشرعيّة بعلمه وحكمه؛ وسارَ مِثْلَ فَضْلِهِ في الأقطار وضوءُ الشّمسِ مرَدُّ شُعَاعِهِ، فطالَ إلى السّماء وقصُرَ الأفقُ المُنْتَدَى على طولِ بَاعِهِ، وقاضَ فيضَ النّامِ وما آكَلَ البَحْرُ بِكَيْلِهِ ولا صارَ مِثْلَ صَاعِهِ؛ وعُرِضَتْ عليه هذه المدرسة التي لم يكن لغيره أن يُجِيَّ رِيحَاتِهَا، ولا أن تُؤَدِيَ إلى يَدِ سِوَاهُ فَيُودِعَ أَمَاتِهَا؛ فَأَتَرَهَا على أَنَّهُ ترك المدرسة المُقَدِّمَةَ المُتَقَدِّمَ له دَرُسُهَا، المُعْظَمَ به في كُلِّ حِينٍ غَرَسُهَا؛ لِيُوسِّعَ بِهَا على الطّالِبِ مَنَهِبَهُ، ويَفْرُغَ لَهَا سَاعَةً من أوقاته المُتَنَبِّهَةِ، ويَهَبَ [لَهَا] من حَقِّه الذي هو في يده ما لو شاء ما وَهَبَهُ .

فُرِسَ بالأمر الشريف - لا زَالَ يُقَرَّبُ الآمادُ، وَيُرْضَى القَوْمُ وَأَقْضَاهُمْ على وَأَتَبَتْهُمْ طُودًا العاد - أن يفوض إليه تدريسُ المدرسة الرِّيحَانِيَةِ المِئِنَةِ أَعْلَاهُ، على عادة من تَقَدَّمَ وقَاعِدَتِهِ إلى آخِرِ وَت؛ بِحُكْمِ تَرْكِهُ لِلْقَدِيمَةِ لِهَيْبٍ عليه رَوْحُهَا وتَهَبٍ له السَّعَادَةُ رِيحُهَا؛ ولَهَا من البُشْرَى بعلمِهِ ما تَمَيَّسُ به رِيحَانَتُهُ رِيحُهَا سُرُورًا، وَتَمَيَّدَ وقد أَكُنْتُ جَبَلًا من العِلْمِ وقُورًا؛ وتَمَتَّدَ وقد نالَتْ في مِسْكَةِ اللَّيْلِ عِيْرًا، وفي أَلْحَوَانِيَةِ الصَّبَاحِ كَافُورًا؛ وما نُويِّصِي مِثْلَهُ - أَجَلَ اللهُ قَدْرَهُ - بوصية إلا وهو بِعَالِمُهَا، وَلِبْقَانُهَا من حِفْظِهِ وَيَعْلُمُهَا؛ ومن فَضْلِ قَضَائِهِ تُؤَخِّدُ الآدَابَ، وتُفَنِّدُ سِهَامُ الآرَاءِ والآرَابِ . وَتَقْوِي اللهُ بِهَا بَاطِنُهُ مَعْمُورٌ، وَكُلُّ أَحَدٍ بِهَا مَأْمُورٌ؛ وما نَذَرُهُ بِهَا إلا على سَبِيلِ التَّبَرُّكِ بِذِكْرِهَا، وَالتَّمَسُّكِ بِأَمْرِهَا . والفُقَهَاءُ والمُتَفَقِّهَةُ هم جُنْدُهُ، وَبِهِمْ يُمَيِّدُ جِئْدُهُ، [فليجعلهم له في المشكلات عُدَّةً، وليصرف في] الإحسان إليهم جُهِدُهُ؛ والله تعالى يُعِينُهُ على مَا وَدَّى، وَيُعِينُهُ لِكُلِّ عِلْيَاءٍ لا يَصْلُحُ أَنْ يَحْلُمَهَا إِلَّا عَالِي . وسَيُؤَلِّقُ كُلَّ وَأَقِفٍ عليه العملُ به بعد انْخِلَاطِ الشَّرِيفِ أَعْلَاهُ .



الوظيفة السابعة — التصادير بدمشق المحروسة .

وهذه نسخة توقيع أنشأته لقاضى القضاة «بدر الدين محمد» ابن قاضى القضاة بهاء الدين أبى البقاء، وولده جلال الدين محمد، بإعادة تصديرين كانا باسمهما، بالجامع الأموى بدمشق : أحدهما أنقل إليهما عن سلفيهما، والثانى بترول، ونرجع عنهما عند استيلاء «تم» نائب الشام على الشام فى سنة اثنتين وثمانمائة، ثم أعيد إليهما فى شوال من السنة المذكورة، فى قطع الثلث، وهى :

الحمد لله الذى جعل بدر الدين فى أيامنا الزاهرة متواصل ربى الكمال ، مريدنا فى فلك المعالى بأكرم مساج بين بهاء وجمال ، مُنْزَها عن شوائب التقص فى جميع حالاته : فلما مُرْتَقِب الظهور فى سرياره ، أو مُتَمِّمٌ بالشام فى إيداره ، أو آخِذٌ فى الأزدياد وهو هلال .

نحمده على أن أفر الحقوق فى أهلها ، وأترع من الأيدى الناصبة ما أقتطعته الأيام الجائرة بجهلها ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تعنى قائلها من شوائب التكدير، وتصور مُتَحَلِّها من عوارض الإصدار إذا ورد أصفى مناهل التصدير، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله أفضل نبي أنفتحت أمته آثاره وأتبعته سننه، وأكرم رسول دنا إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أئمة الحق وأعلام الهدى، ومُحَمِّد الدين وكُفَاة الردى؛ صلاة بيقى على مدى الأيام حُكْمُها، ولا يندرس على ممر الليالى رُسْمُها؛ وسلم تسليما كثيرا .

وبعد، فإن أولى من رُعيَتْ له الحقوق القديته، وحُفِظَتْ له مساعيه الكريمة، وُحِلَّتْ عليه النعم التى حق لها أن تكون بأهلها مُقيمه ؛ من كرم أصلا وطالب

قَرَأَ ، وَزَكَامَتَبَا وَعَدَبَ نَبَا ، وَوَقَعَ الإِجْمَاعُ عَلَى فَضْلِهِ التَّوَاتُرَ فَأُعِدَّ الْحُكْمُ
بِنَفْضِهِ قَطْعًا ، وَمِنْ إِذَا تَكَلَّمَ فَأَقْبَضَ بِفَضْلِهِ تَرَالَّاتِي ، وَإِذَا قُدِرَ قُدْرَهُ اتَّحَطَّتْ عَنْ
بُلُوغِ غَايَتِهِ الْعَالِي ، وَإِذَا طَلَعَ بَدْرُهُ الْمُضِيءُ مِنْ أَفْقِ جُلْسِهِ الْمُرُوثِ عَنْ أَبِيهِ وَأَعْتَمَاهُ
قَالَ : لَيْتَ أَشْيَاخِي شَهِدُوا هَذَا الْمَجْلِسَ الْعَالِي ، وَمَنْ إِذَا جَلَسَ بِمَجْلَقَتِهِ الْبَيْتِ غَشِيَتْهُ
مِنْ الْحَيَةِ جَلَالَهُ ، وَإِذَا أَطَافَتْ بِهِ هَالَةُ الطَّلِيَةِ وَالْمُسْتَفِيدِينَ قِيلَ : مَا أَحْسَنَ هَذَا الْبَدْرَ
فِي هَذِهِ الْهَالَةِ ! ، وَمَنْ تَبَيَّنَ طَلَبَتْهُ عَلَى أَكْبَارِ الْعُلَمَاءِ بِالْإِتْمَاءِ إِلَيْهِ ، وَتَسْمَخُ نُفُوسُ
تَلَامِذِهِ عَلَى غَيْرِهِ مِنَ الْمُتَصَدِّقِينَ بِالْجُلُوسِ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَمَنْ إِذَا أَقَامَ بِمِصْرَ طَلَعَ بِالشَّامِ
بَدْرُهُ ، وَلَوْ أَقَامَ بِالشَّامِ بَقِيَ بِمِصْرَ عَلَى الدَّوَامِ ذِكْرُهُ .

وكان المجلس العالي ، القاضوي ، الكبير ، العالي ، العالبي ، الأفضلي ،
الأشكلي ، الأوحدي ، البليغي ، الفريدي ، المييدي ، النيجيدي ، القدوي ،
الحجبي ، المحقق ، الإمامي ، الأصل ، البدي ، جمال الإسلام والمسلمين ، شرف
العلماء العاملين ، أَوَحَدُ الْفُضَّلَاءِ الْمُقِيدِينَ ، قُدْوَةُ الْبُلْغَاءِ ، حُجَّةُ الْأَدَبِ ، عُمْدَةُ
الْمُحَدِّثِينَ ، نَخْرُ الْمُدْرَسِينَ ، مُفْنِي الْفِرْقِ ، أَوَحَدُ الْأَعْمَةِ ، زَيْنُ الْأُمَّةِ ، خَالِصَةُ الْمُلُوكِ
وَالسُّلَاطِينِ ، وَلِيٌّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ، مُحَمَّدُ بْنُ الْمَجْلِسِ الْعَالِي ، الْقَاضِي ،
الْكَبِيرِ ، الْمُرْجُوحِ ، الْبَهَائِي ، أَبِي الْبَقَاءِ الشَّافِعِي ، السُّبْكِي ، ضَاعَفَ اللَّهُ تَعَالَى
نِعْمَتَهُ : هُوَ مِنْ أَعْيَانِ الزَّمَانِ ، وَالْمُحَدِّثُ بِفَضْلِهِ عَلَى مَرَّ اللَّيَالِي وَلَيْسَ الْخَبْرُ كَالْيَمَانِ ؛
مَأْوَى مَنْصِبًا مِنَ الْمَنَاصِبِ الدِّينِيَةِ إِلَّا كَانَ لَهُ أَهْلًا ، وَلَا أَرَادَ الْإِنْصِرَافَ مِنْ
مَجْلِسِ عِلْمٍ إِلَّا قَالَ لَهُ مَهْلًا ، وَلَا أَسْتَبْدِلَ بِهِ فِي وَظِيفَةٍ إِلَّا نُسِبَ مُسْتَبْدَلُهُ إِلَى
الْحَيْفِ ، وَلَا صُرِفَ عَنْ وَلَايَةِ إِلَّا قَالَ أَسْتَحْقَاقُهُ : كَيْفَ سَاغَ ذَلِكَ لِمُعَاظِمِهِ
فَكَيْفَ وَكَيْفَ .

وكان ولده المجلس السامى، القضاى، الكبرى، العالمى، الفاضلى، الكاملى،
البارى، الأصلى، العريقى، الجلالى، ضياء الإسلام، نحر الأنام، زين الصدور،
جمال الأعيان، نجل الأفاضل، سليل العلماء، صفوة الملوك والسلاطين، خالصة
أمير المؤمنين، أبو محمد بلغ الله تعالى فيه [عارفيه] غاية الأمل، وأقر به
عين الزمان كما أقر به عين أبيه وقد قل؛ قد أرفع لسان العلم وربى في حجره، ونشأ
في بيتيه ودرج من وكّره؛ وكل له مؤدّد الطرقيّين : أباً وأماً، وحصل على شرف
المحتدين : خالاً وعمّاً لم يقع عليه بصّر متبصر إلا قال : نعم الولد، ولا تأمله صحيح
النظر إلا قال : هذا الشبل من ذاك الأسد؛ ولا رعى والده إلى غايه إلا أدركها،
ولا أحاط به منطفة طلبية إلا مزها بالبحث وحركها؛ ولا أقتفى أثر أبيه وجده
في مهج فضيل إلا قال قائله : أكرم بها من دُرّيه ما أبركها ! .

وأثقف أن نرج عنها ما كان باسمهما من وظيفتي التصدير بالجامع الأموى
المعمور بذكر الله تعالى يدمشق المحروسة : المتنبلة إحداهما إليهما عن سلفيهما
الصالح قديماً، والصارّة الأخرى إليهما بطريق شرعى معتبر وضماً وثابت حكام -
أقتضى حسن الرأى الشريف أن يحفظ لهما سالف الخدمه، ويرعى لهما قديم الولاء
فالعبرة في التقديم عند الملوك بالقدمه .

فلذلك رسم بالأمر الشريف - لا زال لدوى البيوت حافظاً، وعلى الإحسان
لأهل العلم الشريف على عمر الزمان محافظاً - أن يعاد ذلك إليهما، ويؤلى مزيد
الإحسان عليهما؛ فليتلقيا ذلك بالقبول، ويسطّيا بالقول ألسنتهما فمن شمله إنعامنا
الشريف حق له أن يقول ويطول؛ ويملاك أمرهما التقوى فهي خير زاد، والوصايا

وإن كَثُرَتْ فَمِنْهُمَا تَوَخَّدَ وَمِنْهُمَا تُسْتَفَادُ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يُعْرِضُ لَهَا هَذَا الِاسْتِقْرَارَ عَيْنًا، وَيُبْهِجُ خَوَاطِرُهَا بِهَذِهِ الْوِلَايَةِ إِيَّاهَا مِنْ وَجَدَ صَدَّاهُ فَقَالَ : (هَذِهِ بِصَاعَتَنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا) . وَالاعْتِدَادُ فِي ذَلِكَ عَلَى الْخَطِّ الشَّرِيفِ أَعْلَاهُ اللَّهُ تَعَالَى أَعْلَاهُ ، مُجِبَّةٌ بِمُقْتَضَاهَا ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

الوظيفة الثامنة — النَّظَرُ .

وهذه نسخة تَوْفِيقٍ بِنَظَرِ الْبَيَّارِشْتَانِ التُّورِيِّ ، كُتِبَ بِهَا لِمَنْ لَقِبَهُ « شَهَابُ الدِّينِ » وَهِيَ :

رُسِمَ ... — لَا زَالَ يُطْلِعُ فِي سَمَاءِ الْمُنَاصِبِ السَّيِّئَةِ مِنْ ذَوِي الْأَصَالَةِ وَالْكَفَايَةِ شُهَابًا ، وَيُوزَعُ الْمُسْتَحَقِّينَ بِحِمَاةِ الْإِرْشَادِ إِذْ اخْتَارَ لَهُمْ مِنْ أَهْلِ النَّهْضَةِ مَنْ ارْتَدَى الْعَنَافُ جِلْبَابًا ، وَيُودِعُ صَحَائِفَ الْأَيَّامِ ذِكْرَهُ الْجَمِيلَ حِينَ أَحْيَا قُرْبَاتِ الْمُلُوكِ السَّالِفِينَ بِاتِّخَاذِ مَنْ يُحَدِّدُ لَهُمْ بِحُسْنِ الْمُبَاشَرَةِ تَوَابًا — أَنْ يُحْمَلَ « مَجْلِسُ الْأَمِيرِ » فَلَنْ : أَعَزَّهُ اللَّهُ تَعَالَى فِيهَا هُوَ بِيَدِهِ مِنْ نَظَرِ الْبَيَّارِشْتَانِ التُّورِيِّ يَدْمَشْقَ الْمَحْرُوسَةِ ، عَلَى حُكْمِ التَّوْفِيقِ الْكَرِيمِ وَالْوِلَايَةِ الشَّرْعِيَّةِ الَّتِي بِيَدِهِ ، وَاسْتِقْرَارِهِ فِي ذَلِكَ بِمُقْتَضَاهَا اسْتِقْرَارًا يَسْطُو فِي هَذَا الْمُنْصَبِ يَدَهُ وَلِسَانَهُ ، وَيُظْهِرُ شَهَابَ صَدْلِهِ الَّذِي يُحْرِقُ مِنَ الْجَوْرِ شَيْطَانَهُ ؛ وَيُبْرِزُ مِنْ مُبَاشَرَتِهِ مَا عُرِفَ جَوْهَرُهُ بِحُسْنِ الْإِتْقَانِ وَإِبْرَارِهِ بِحُسْنِ الْاِئْتِقَادِ ، وَمِنْ تَأْيِيدِهِ مَا تَبَلَّغَ بِهِ الْإِنْفُسُ الْمُرَادُ بِأَوْسَعِ مَرَادٍ ؛ وَيُسَدِّدُ مِنْ تَعْيِيدِهِ مَا يُتَّبَعُ تَمِيزُ الْوَقْفِ وَتَقْيِيدِهِ .

فَلْيُبَاشِرْ ذَلِكَ عَلَى عَادَةِ مُبَاشَرَتِهِ الْحَسَنَةِ ، وَلْيَسْلُكْ فِيهَا مَاعِيَدَ مَنْ طَرِيقَتِهِ الْمُسْتَحْسَنَةِ ؛ مُحْصَلًا مِنَ الْفُرْدَاتِ مَا يَصْرِفُهَا لِمُسْتَحَقِّهَا وَقْتَ الْحَاجَةِ إِلَيْهَا ، مُتَابِرًا

على حُسن مُعالجة المُضُرور الذى لا تَقْدِرُ بِهِ من العَجْزِ عليها ؛ مُواصِلًا فِعلَ الخَيْرِ
 بِاستمرارِ صدقاتِ الواقِفِ لِيُشارِكَه فى الأجرِ والثواب ، مُستَجِيبًا لَهُ من الدعاء ولنا
 بِمُشارَكته فى الأمرِ بالعمَلِ بسُنَّته إلى يَوْمِ المآبِ ، ضابطًا أُمُوالَ هذه الجمِعة بِتَحْزِيرِ
 الأُصُولِ والمُطلقِ والحِسابِ والحُسَابِ ؛ مُتَقَدِّمًا إلى الخُدَّامِ والقَوَمَةِ بِحَسَنِ الخِدْمَةِ
 لِلعَاجِزِ والضعيفِ ، مُؤَكِّدًا عليهم فى أَخْذِهِم بِالْقَوْلِ اللّينِ دُونَ الكلامِ العَنِيفِ ؛
 مُلْزِمًا لَهُم بِعُودَةِ الخِدْمَةِ لَيْلًا وَنَهَارًا ، مُؤَاخِذًا لَهُم بِمَا يُجِلُّونَ بِهِ من ذلك إِهْمَالًا
 وَإِفْصَارًا ؛ مُتَقَدِّمًا إلى أَرْبابِ وَطَائِفِ المُعَالَجَةِ بِبَذْلِ النِّصِيحَةِ ، وَامْتِدْرَاكِ الأَدْوَاءِ
 المُسْقِمَةِ بِإِتْقَانِ الأَدْوِيَةِ الصَّحِيحَةِ ؛ وَلِيَتَقَدَّدَ الأَحْوالُ بِنَفْسِهِ : لِيَعْلَمَ أَهْلُ المَكَانِ
 أَنَّ وَرَاءَهُم من يَعالِجُهُم على التَّقْصِيرِ ، وَلِيَبْذُلَ فى ذلك جُودَهُ فَإِنَّ الاجْتِهَادَ القَلِيلَ
 يُؤَثِّرُ الخَيْرَ الكَثِيرَ . وَالوَصَايَا كَثِيرَةٌ وَعِنْدَهُ مِنَ التَّأْدِيبِ بِالْعِلْمِ وَحُسْنِ المُبَاشَرَةِ مَا يَنبَغِيهِ
 كِفَايَتُهُ ، وَفى أَخْلَاقِهِ من جَمِيلِ المَآثِرِ وَمَا حَازَهُ فى البِدَايَةِ مَا يَنْفَعُهُ فى النِّهَايَةِ ؛ وَلِئِنْ
 تَقَوَّى اللهُ عَزَّ وَجَلَّ هِى السَّبَبُ الأَقْوَى ، وَالْمَعْلُومُ الذى مَن وَرَدَهُ يَرَوِي ؛ فَلْيَجْمَعْهُمَا
 لَهُ دَخِيرَةٌ لِّيَوْمِ المَعَادِ ، وَمَعْقِلًا عِنْدَ المَطْطُوبِ الشَّدَادِ ، وَاللهُ تَعَالَى يُبَلِّغُهُ مِنَ التَّوْفِيقِ
 الأَمَلِ والمُرَادِ ؛ بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ ! ، وَالاعْتِيَادَ إِنَّ شَاءَ اللهُ تَعَالَى .

الصنف الثالث

(من تواقع أرباب الوظائف بماضرة دِمَشقَ - تَواقِعُ أَرَبابِ
الوظائف الدِّيوانِيَّةِ ، وفيها مرتبتان)

المرتبة الأولى

(ما يكتب في قطع النصف بـ «المجلس العالي» وهي على ضربين)

الضرب الأول^(١)

(تواقع الوزارة بالملكة الشامية على ما استقر عليه الحال)

فقد ذكر في " التعريف " أنه يكتب بالشام للصاحب [عز] الدين أبي يعلى
«حمزة بن القلانسي» رحمه الله بـ «الجناب العالي» بجلالة قدره ، وساجدة خدمه ،
وعناية من كتب له بذلك . لكنه لم يبين مقدار قطع الورق لذلك . ولا يخفى أنه
كتب به في قطع الثلاثين ، على القاعدة في أنه يكتب للجناب في قطع الثلاثين . وقد ذكر
بعد ذلك أن الذي استقر عليه الحال أنه يكتب للوزير بالشام «المجلس العالي»
بالدعاء ، كما كتب للصاحب أمين الدين أمين الملك .

[وفيه وظائف :

الوظيفة الأولى — ولاية تدير الممالك الشامية]^(٢) .

وهذه نسخة توقيع للصاحب « أمين الملك » المذكور بتدير الممالك الشامية
والخواص الشريفة والأوقاف المبرورة ، من إنشاء الصلاح الصفدي ، وهي :

(١) لم يذكر الثاني .

(٢) ياض بالأصل والتصحيح من " التعريف " (ص ٧٥) .

(٣) زدنا ما بين القوسين لأقتضاء المقام وتيمم الكلام .

الحمد لله الذى جعل وَلِيَّ أَيْمَانِنَا الزَّاهِرَةَ، أَيْمَانًا، وَأَحَلَّهُ مِنْ صَمَائِرِنَا الطَّاهِرَةِ، مَكَانًا
أَيْمًا تَوَجَّهَ وَجْهَهُ مَيْكِنًا، وَخَصَّصَهُ بِالْإِخْلَاصِ لِدَوْلَتِنَا الْقَاهِرَةِ، فَهُوَ يَقِينًا يَقِينًا، وَعَصْدُ
بِتَدْيِيرِهِ تَمَالِكًا الشَّرِيفَةَ فَكَانَ عَلَى نَيْلِ الْأَمَلِ الذِّى لَا يَمِينُ يَمِينًا، وَزَيْنٌ بِهِ آفَاقُ
الْمَعَالِي فَمَا دَبَّ أَمْرٌ إِلَّا كَانَ فِكْرُهُ فِيهِ صَحِيحًا مُبِينًا، وَجَمَلٌ بِهِ الرَّبُّ الْفَاحِشَةُ فَكَمْ قَلْدٌ
جِدَدًا عَقْدًا نَفِيسًا وَرَصَّعَ تَاجُهَا دُرًّا ثَمِينًا، وَأَعَانَهُ عَلَى مَا يَتَوَلَّاهُ فَهُوَ الْأَسَدُ الْأَسَدُ
الذِّى اتَّخَذَ الْأَقْلَامَ عَرِيْنًا .

نَحْمَدُهُ عَلَى نِعَمِهِ الَّتِي خَصَّنَا بِوَلِيِّ تَجَمَّلَ بِهِ الدُّوَلُ، وَتَفَنَّى الْمَالِكُ بِتَدْيِيرِهِ عَنِ
الْأَنْصَارِ وَالْخَوَلِ، وَنَحْمَدُ أَيْمَانَنَا الشَّرِيفَةَ [عَلَيْهِ] أَيَّامٌ مِنْ مَضَى مِنَ الدُّوَلِ الْأَوَّلِ .
وَنَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً تَسْتَمِطِرُ بِهَا صَوْبُ الصُّوَابِ،
وَنَزَقُلُ مِنْهَا فِي ثَوْبِ الثَّوَابِ، وَنَعْتَدُّ بِرَهَا وَاصِلًا لِيَوْمِ الْفَصْلِ وَالْمَأْكَبِ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ عَمْدًا
عَيْدَهُ الصَّادِقِ الْأَمِينِ، وَرَسُولُهُ الذِّى لَمْ يَكُنْ عَلَى الْغَيْبِ بَضِينِ، وَحَدِيدُهُ الذِّى فَضَّلَ
الْمَلَائِكَةَ الْمُفَرَّيْنِ، وَنَجَّيَهُ الذِّى أَسْرَى بِهِ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى
حُجَّةً عَلَى الْمُلْحِدِينَ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ صَحَّبُوا وَزَرُّوا، وَأَيْلُوا
حِزْبَهُ وَنَصَرُوا، وَعَدَلُوا فِيمَا نَهَوْا وَأَمَرُوا، صَلَاةً تَكُونُ لِمَنْ هَدَى إِذَا حُشِرُوا،
وَنُضَوِّعُ لِمَنْ عَرَفَهُمْ فِي الْعُرْفِ وَطَطِيبَ نَفْسَهُمْ إِذَا تُنِيرُوا؛ وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا
إِلَى يَوْمِ الدِّينِ .

وَبَعْدُ، فَإِنَّ أَشْرَفَ الْكَوَاكِبِ أَبْعَدُهَا دَارًا، وَأَجْلَهَا مَرَى وَأَقْلَبُهَا سِرَارًا،
وَأَعْلَاهَا مَنَارًا؛ وَأَطْيَبَ الْجَنَّاتِ جَنَابًا مَا طَابَ أَرْجَا وَبِمَارًا، وَبُخَّرَ خَلَالَهُ كُلُّ نَهْرٍ
« يَرُوعُ حَصَاهُ حَالِيَةِ الْعَذَارَى »، وَرَتَّبَتْ مَعَاطِفَ غُصُونِهِ سُلَالُفَ النَّسِيمِ فَتَرَاهَا
سُكَارَى، وَمَدَّتْ ظِلَالَ الْغُصُونِ فَتَخَالُ أَنَّهَا عَلَى وَجَنَاتِ الْأَنْهَارِ تَدْبُ عِدَارًا .

وكانت يمشي المحروسة لها هذه الصفات ، وعلى صفاتها تهب سمات هذه السمات ، لم يتصف غيرها بهذه الصفه ، ولا اتفق أولوا الأنياب إلا على تحاسنها المختلفه ؛ فهي البقعة التي يطرب لأوصاف جمالها الجماد ، والبلد الذي دعب بعض المفسرين إلى أنها إرم ذات العماد ؛ وهي في الدنيا أتمودج الجنة التي وعد المتقون ، ومثال النعيم للذين عند ربهم يرزقون ؛ وهي زهرة ملكنا ، ودرة سلجنا ؛ وقد خلت هذه المدة من راعي تدبيرها ويحي حوزتها ومحاشيها من التدمير وبلا خرائتها خيرا يحلى ، إذا ملأنا ساحتها خيلا ورجلا - تدين أن تقتدب لها من جريئها بعدا وقربا ، وهز زناها متفقا وسلطانها عضبا ، وخيائنا في خزائن فكرنا فكان أشرف ما يدخر وأعز ما ينجي ؛ كم نهى في الأيام وأمر ، وكم شد أزرنا لما وزر ، وكم غيبت به أيامنا عن الشمس وليلتنا عن القمر ، وكم رفعا راية مجد تقاها عرابة فضله بين الظفر ، وكم علا ذرا رب عز على الكواكب النابضة فضلا عن يتنقل في المباشرات من البشر ، وكم كانت الأموال جمادى وأعادها ربيعا غرد به طائر الإقبال وصفر .

و [لما] كان [صاحب أمين الملك ^(١)] هو معنى هذه الإشارة ، وتشمس هذه الحالة وبدر هذه الدارة ؛ نزل من العلياء في الصميم ، ونفونا بأقلامه التي هي ثمر الرأج كما تفرقت بقوسها نعيم ؛ وحفظت الأموال في دقائره التي يوشحها فأوتت إلى الكهف والرقم ، وقال لسان قلبه : (اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم) وعقم الزمان أن يحيى بمثله « إن الزمان مثله لعميم » وتشبه به أنوام فبانوا وبأدوا ، وقام منهم عباد العباد فلما قام عبد الله كدوا - أردنا أن تنال الشام فضله كما نالته مصر فا تساهم فيه سواهما ، ولا يقول لسان الملك لغيره :

حلت بهذا حلة ثم حلة * بهذا قطاب الواديين كلامها

فلذلك رسم بالأمر الشريف أن يفوض إليه تدبير الممالك الشريفة، ونظر الخواص الشريفة والأوقاف المبرورة على عادة من تقدمه في ذلك .

فلتلق هذه الولاية بالعزيز الذي نعمه، والحزم الذي شاهدناه ونشهده، والتدبير الذي يعترف الصواب له ولا يمحده؛ حتى يثمر الأموال في أوراق الحساب، وتزيد ثمرها وتنفق الأموال في البحار وتنفق الفطر من السحاب؛ مع رفيق يكون في شدته، ولين يزيد مضاء حدته، وعقل يصون مهلة مدته؛ والسئل يعمر، والعذر يدمر، ولا يثمر؛ بحيث إن الحقوق تصل إلى أربابها، والمعاليم تطلع بدور يديرها كاملة كل هلال على أحمائها، والرؤوم لا تزداد على الطافة في بابها، والزرايا يمتحن عمر العدل في أيامه متشايها، وإذا أنعمنا على بعض أوليانا يجعل فلا يكدر وردها بأن توتر، وإذا استدعيا لأبوانا بهم فليكن الإسراع إليه ينجل البرق الملتقي في السحاب المسخر؛ فما أردناك إلا لأنك سهم نخرج من مكانه، وشهم لا ينهي إلى الباطل عيانه وعيانه؛ فاشكر هذه النعمة على ما منحها، وشفي الاستماع بمدائحها؛ متحققا أن في النقل، بلوغ العز والامل، وأنه لو كان في شرف المأوى بلوغ متى «لم تبرج الشمس يوما دارة الحمل»؛ فاستصحب الفرح والجلد، بدل التفكير والجلد .

الوظيفة الثانية — كتابة السر بالشام .

ويعبر عنها بصحابة ديوان الإنشاء الشريف بدمشق . وشأنه هناك شأن كاتب السر بالأبواب السلطانية .

وهذه نسخة توقيع بصحابة ديوان الإنشاء بالشام، كُتِبَ بها لفتح الدين بن الشهيد، من إنشاء القاضي ناصر الدين بن النشائي، في مُستهل ذي القعدة سنة أربع وستين وسبعمائة، وهي :

الحمد لله يُجْزِلُ الْمَنَ وَالْمَنَعَ ، وَمُرْسِلُ سَحَابِ الْعَطَاءِ السَّمْعَ ، وَمُعِيلُ فِكْرِنَا الشَّرِيفِ
فِي اخْتِطَابِ مَنْ أَوْرَى زَيْدَ الْخَيْرِ بِالْقَدَحِ ، وَمُنْقِلُ السَّرَّينَ الْأَفَاضِلَ مِنْ صَدْرِ إِلَى
صَدْرِ يَحْمِيْ بِصَوْنِهِ السَّرْحَ ، وَيُغْنِيْ مَشْهُورُ الْقَاطِطِ عَنْ الشَّرْحِ ؛ وَبُجْجِلُ بِنَاءِ الدِّينِ ،
بِمَا سَكَنَ بِهِ مِنْ صَمِيمِ الْفَضْلِ الْمُيِّنِ ، وَمَا اقْتَرَنَ بِأَبْوَابِهِ مِنْ حَرَكَةِ الْفَتْحِ .

نَحْمَدُهُ عَلَى نِعَمِ عَاطِرَةِ النَّفْحِ ، وَنَشْكُرُهُ عَلَى مِثْنِ عَالِيَةِ السَّمْعِ . وَنَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ
إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةٌ تُجْبَى قَائِلُهَا مِنْ حَرِّ الْجَحِيمِ وَيَقْبِيهِ شَرُّ شَرِّ ذَلِكَ
الْفَنَعِ ، وَتُخْطَبُ بِهَا أَلْسِنَةُ الْأَقْلَامِ عَلَى مَنَارِ الْأَنْبِيلِ قُنُوتُ عِنْدَهَا مِنْ مُطَرِبَاتِ
الْوَرَقِ عَلَى غُصُونِ الْأُورَاقِ هَدِيلُ الصَّدْحِ . وَنَشْهَدُ أَنَّ عَمْدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ الَّذِي بَلَغَ
الرَّسَالَةَ وَأَدَّى الْأَمَانَةَ وَعَامَلَ الْأُمَّةَ بِالنُّصْحِ ، وَأَزَالَ عَنْهُمْ التَّرَحُّ وَأَمِنَهُ اللَّهُ عَلَى أَسْرَارِ
وَحْيِهِ فَكَانَ أَشْرَفَ أَمِينٍ خَصَّه اللَّهُ فِي مُحْكَمِ آيَاتِهِ بِالْمَدْحِ ، وَجَعَلَهُ أَعْظَمَ مِنْ أَمْرِ
بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَى عَنِ الْمُنْكَرِ فَلَمْ تَأْخُذْهُ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لِأَيِّمْ مِّنْ لِّحَا وَمَنْ لَمْ يَلْعَ بِحُصْنِ اللَّهِ
عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَهْلِ الْوَفَاءِ وَالصَّفَاءِ وَالصَّفَاحِ وَالصَّفْحِ ، وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِي اللَّهِ
حَقَّ جِهَادِهِ بِالنَّفْسِ وَالْمَالِ وَالْكَدِّ وَالْكَدْحِ ؛ وَرَفَعُوا أَعْلَامَهُمُ الْمُظَلَّةَ ، وَنَصَبُوا
أَقْلَامَهُمُ الْمُدَلَّةَ ، فَكَمْ لَمْ فِي الْمُشْرِكِينَ مِنْ حِرَاجٍ لَا تَعْرِفُ الْجُرْحَ ؛ وَذَادُوا عَنْ حَوَازِ
الدِّينِ ، بِإِرَاقَةِ دَمِ الْكُفَّارِ الْمُتَمَرِّدِينَ ، غَسَنَ مِنْهُمْ الدُّبَّ وَالذَّبْحَ ؛ وَكَانُوا قُرْسَانَ
الْكَلَامِ ، وَأَسْوَدَ الْإِقْدَامِ ، الَّذِينَ طَالَمَا خَسَاتْ بِهِمْ كِلَابُ الشَّرِّ فَلَمْ يُطِيقِ النَّبْعَ ؛
صَلَاةٌ دَائِمَةٌ بَاقِيَةُ الصَّرْحِ ، مَا اقْتَرَنَ النَّظْرُ بِاللَّحْ ، وَمَا هَظَلَ السَّحَابُ بِالسَّحْ ، وَسَلَّمْ
تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وبعد ، فَإِنَّ أَوَّلَى مَنْ خَطَبَتِ الْمُنَاصِبَ الْعَلِيَّةَ ، حَمَاسَتَهُ الْجَلِيلَةَ الْجَلِيلَةَ ، وَرَغِبَتِ
الْمَرَاتِبَ الَّتِي هِيَ بِالْخَيْرِ حَرَّيْهِ ، فِي جَمِيلِ حَالَتِهِ الَّتِي هِيَ بِعُقُودِ الْمَفَاحِرِ حَلِيَّةَ ، وَصَحَبَتِ

سَحَابُ الإِقْبَالِ الْوَابِلِ، دُيُولُ فَضَائِلِهِ الْفَاضِلِ، وَكَتَسَبَ الْعُلُومَ الْفَرِيعَةَ وَالْأَصْلِيَّةَ،
 مِنْ جَمَائِعِ فُنُونِهِ الَّتِي تُعْرَبُ عَنْ أَنْوَاعِ الْفَوَائِدِ الْجُمْلِيَّةِ وَالْتَفْصِيلِ - مِنْ شَهَدَتِ الْمَفَاتِحُ
 بَأَنَّهُ لَمْ يَزَلِ الشَّهِيدَ لَهَا وَأَبْنَى الشَّهِيدِ، وَحَدَّثَتِ الْمَآثِرَ الَّتِي هُوَ الشَّهِيدُ بِهَا فَا عَلَيْهَا
 فِي جَمِيلِ الْأَدْوَاتِ مِنْ مَزِيدٍ؛ وَلَتَسِيدَتِ مَبَانِي مَعَالِيهِ الَّتِي أَقْتَرْنَ بِأَبْ خَيْرِهَا مِنْهُ
 بِالْفَتْحِ الْمُسِينِ، وَتَمَهَّدَتِ مَعَانِي أَمَالِيهِ بِالتَّخِيلِ اللَّطِيفِ وَاللَّفْظِ الْمَتِينِ؛ وَتَعَدَّدَتِ
 أَوصَافُ شَيْئِهِ فِيهِ لِحَاسِنِ النَّهْرِ تَرِيدٌ وَتَرِينٌ، وَغَدَا مِنْ الْكَاتِبِينَ الْكَرَامِ وَالْكَرَامِ
 الْكَاتِبِينَ؛ الَّذِينَ تَضَحُّ بِأَطْلَاعِهِمْ مَرَاصِدُ الْمَقَاصِدِ وَتَبِينُ . طَالَمَا أَسْقَى عَقْدُ نَظْمِهِ
 الْمَتِينِ، وَبَسَقَ غُصْنُ قَلْبِهِ الْمُشْعِرُ بِالذِّينِ، وَأَضَافَ إِلَى آدَبِ الْكُتَّابِ حِلْيَةَ الْعُلَمَاءِ،
 الْمُتَّقِينَ، وَأَرْتَقَبَ أَعْمَالُ الْجَمِيلِ الَّتِي أَسْتَوْجِبُ بِهَا حُسْنَ التَّرَقُّى إِلَى أَعْلَى دَرَجَاتِ
 الْمُتَّقِينَ، وَقَدْ أَجَادَ الطُّرُوسُ جَوَاهِرَ أَلْفَاظِهِ الَّتِي تَفُوقُ الْجَوْهَرَ عَنْ بَقِيَّةٍ؛ فِيهِ
 بُشَارُ خَطِّهِ مَصُوعَةٌ أَبْهَجَ صِبَاغِهِ، وَفِي طَرِيقِ الْإِنشَاءِ سَالِكَةٌ نَهْجَ الْبَلَاغَةِ، وَكَذَا
 بِحَارِ الْفَضَائِلِ وَارِدَةٌ مَنَاهِلُهَا الْمَسَافَةُ؛ كَمْ أَعْرَبَ كَلِمُهُ الطَّيِّبِ، عَنْ سَمْعِ تَحَابُّبِ الصَّوَابِ
 الصَّيِّبِ؛ وَكَمْ أَغْنَى فِي الْمُهَيَّمَاتِ بُكْتُهُ، عَنْ جَيْشِ الْكَاتِبِ وَقُضِيهِ؛ وَكَمْ هَزَأَتْ
 صَحَائِفُهُ بِالصَّفَاحِ، وَكَمْ أَغْنَتْ رَاشِقَاتُ فِكْرِهِ النَّابِتَةَ الْعِلْمَ عَنْ سَهْوِ السَّهْمِ الرَّائِحِ؛ وَكَمْ
 تَنَسَّجَتْ أَفْلَامُهُ الْبَيْضُ الْفِعَالِ هِيَ وَنَمُرُ الرِّيحِ فَكَانَ نَصْرُهَا اللَّامِ، وَكَمْ تَعَارَضَ تَنْشُرُ
 وَصْفِهِ وَشَدَا الطَّيِّبِ فَالْتَقَى الزَّمَانُ شَاءَهُ هُوَ الْفَاتِحِ، وَكَمْ أَشْتَمَلَ عَلَى أَنْوَاعٍ مِنَ النَّفَاسَةِ
 فَاسْتَوْجَبَ مِمَّا مَاتَ يَقْضَى لَهُ بِأَجْزَلِ الْمُنَى وَالْمَنَاجِحِ .

وَلَمَّا كَانَ الْمَجْلَسُ الْعَالِي، الْقَاضِي، الْأَجَلِّي، الْكَافِي، الْعَالِي، الْفَاضِلِي،
 الْكَامِلِي، الْأَوْحَدِي، الْأَيْمَرِي، الرَّبِّي، الْبَلْفِي، الْمُفِيدِي، الْمُجِيدِي، الْأَصِيلِي،
 الْعَرِيقِي، الْعَابِدِي، الرَّاهِدِي، الْمُؤْتَمِنِي، الْفَتَحِي، بِجَمَالِ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ، وَتِلْكَ

أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، مُحَمَّدُ بْنُ الشَّهِيدِ ؛ أَدَامَ اللَّهُ نِعْمَتَهُ : هُوَ الَّذِي أَعْرَبَ الْقَلَمَ عَنْ صِفَاتِهِ ، وَأَطْرَبَ السَّمَاعَ مَا أَذَاهُ الْبِرَّاعُ عَنْ أَذَوَاتِهِ ؛ وَرَامَ الْبِنَانُ أَنْ يَسْتَوْعِبَ بَيَانَ شُكْرِهِ فَلَمْ يَذْكُرْ شَاوِغَايَاتِهِ ، وَتَسَارَعَتْ بِدَائِعِ الْبِدَائِهِ مِنْ أَفْكَارِهِ فَسَابَقَتْ جَرَيَانَ يَرَاعِهِ فِي أَبْيَاتِهِ ؛ وَرَاقَتْ أَمَالِيهِ ، لِتَأْقِلِي أَفْغَاطِهِ وَمَعَانِيهِ ، فَشَكَرَ السَّمْعُ وَالْفَهْمُ بِهَا هَبَاتِ هَبَاتِهِ ؛ فَأَدَابُهُ مَشْهُورُهُ ، وَعُلُومُهُ مَذْكُورُهُ ؛ وَتَعَلَّمَهُ بِمَذَاهِبِ الصُّوفِيَةِ أَرَنَاضَتْ بِهِ نَفْسُهُ الْخَيْرَةَ الْخَيْرَةَ ، وَإِخْلَاصُهُ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى حَسُنَتْ بِهِ مِنْهُ السَّيْرَةُ وَالسَّيْرَةُ ؛ وَصِيَانَتُهُ لِلْأَسْرَارِ الشَّرِيفَةِ اسْتَحَقَّ بِهَا إِسْنَادُ أَحْمَرِهَا إِلَيْهِ ، وَإِدْنَاعُ غَوَامِضِهَا لَدَيْهِ ، وَالتَّعْوِيلُ فِي حِفْظِهَا وَفِي لَفْظِهَا لِلْفِظْهَا عَلَيْهِ - أَقْنَضِي حَسَنُ الرَّأْيِ الشَّرِيفُ أَنَّ نَجَّتِيهِ لِمَا نَحْنَفْنَا مِنْهُ مِنْ ذَلِكَ ، وَنَحْصُهُ بِصَحَابَةِ دِيَوَانِ الْإِنْسَاءِ الشَّرِيفِ فِي أَجَلٍ هَالِكٍ ، وَتَجَعَلَ قَدَمَهُ ثَابِتَةً الرُّسُوحِ ، وَالصُّبُوحِ فِي مَشِيخَةِ الشُّبُوحِ ، لَيْسَلُكَ فِيهَا أَحْسَنُ الْمَسَالِكِ .

فلذلك رسم بالأمر الشريف ^(١) الأشرَفُ ، النَّاصِرِيُّ - لَا زَالَ لِأَبْوَابِهِ الشَّرِيفَةِ فَحَقَّ فِي الْخَيْرِ يَفْدُمُهُ النَّصْرُ ، وَلَسَعَاهُ مَنَحٌ مَا يَعْرِفُ مَدَدُ أَمْدَادِهِ الْقَصْرُ - أَنَّ تَفَوُّضَ إِلَيْهِ صَحَابَةِ دِيَوَانِ الْإِنْسَاءِ الشَّرِيفِ ، وَمَشِيخَةُ الشُّبُوحِ بِالشَّامِ الْمَحْرُوسِ ، عَلَى عَادَةٍ مِنْ تَقَدَّمَهِ وَقَاعِدَتِهِ وَمَعْلُومِهِ الشَّاهِدِ بِهِ الدِّيَوَانُ الْمَعْمُورُ إِلَى آخِرِ وَقْتِ .

فَلْيَأْشِرْ ذَلِكَ بِوَافِرِ عَفَافِهِ ، وَوَافِي لِنَصَافِهِ ؛ وَمَشْهُورِ أَمَاتِهِ ، وَمَشْكُورِ صَيَاتِهِ ؛ كَاتِمًا لِلْأَسْرَارِ ، كَاتِبًا لِلْبَسَائِرِ ، لِيَكُونَ مِنَ الْأَبْرَارِ ؛ عَالِمًا مَصَالِحِ الْأَنَامِ بِإِرْشَادِ رَأْيِهِ وَصَوَائِهِ ضَائِعًا أَحْوَالِ دِيَوَانِهِ ، مُتَحَرِّيًا فِي كَثِيرِ الْأُمُورِ وَقَلِيلِهَا : فَإِنَّ الْحِكَابَ يَظْهَرُ مِنْ عُنْوَانِهِ ؛ مُحَرَّرًا لِمَا يُمَلِّي مُعْتَبَرًا لِمَا يَكْتُبُ ، مُجَلِّيًا لِلطَّلَآتِ الْكَرِيمَةِ بِفِكْرِهِ الْمُنْتَسِرِّعِ

(١) يياض بالأمل ولله "العالم" .

وتصوره الأرتب ، حَافِظًا أَزِمَةً ما يصدر من مِثَال وما يَرِدُ في المِهْمَات الشَّرِيفَةِ
فهو أَدْرَى وأَدْرَبُ بما عَلَى ذَٰلِكَ يَتَرَبَّبُ ، مُحَافِظًا كِمَادَتِهِ عَلَى دِينِهِ ، لَا زِمًا لَصَدَقِ
يَقِينِهِ ؛ حَافِظًا لِأَهْلِ الْخَيْرِ جَنَاحَهُ ، مَا نَحَا لَهُمْ نَجَاحَهُ ؛ مُعَامِلًا لِلْفُقَرَاءِ بِكَرَمِ نَفْسِ اللَّهِ
غَنِيَهُ ، مُلَاحِظًا لِأَحْوَالِهِم بِالْقَوْلِ وَالْفِعْلِ وَالْعَمَلِ وَالنَّيِّ ، مُحْتَرِمًا لِكَبِيرِهِمْ ، حَانِيًا عَلَى
صَغِيرِهِمْ ؛ مُفَكِّرًا فِيمَا يَعُودُ نَفْعُهُ عَلَيْهِمْ ، رَاكِبًا فِي الْبَاطِنِ وَالظَّاهِرِ إِلَيْهِمْ ؛ مُعْنِيًا لَهُمْ
بِالْإِسْتِغَاثَةِ بِالْعِبَادَةِ ، مُسَلِّكًا لَهُمُ الطَّرِيقَ إِلَى اللَّهِ فَإِنَّهَا الطَّرِيقُ الْجَادَةُ ؛ مُسْتَجِلًّا
لِدَعْوَاتِهِمُ الصَّالِحَةِ ، مُسْتَفِيدًا مِنْ مَنَاجِرِ بَرَكَاتِهِمْ الرَّايِحَةِ . وَالْوَصَايَا كَثِيرَةٌ وَمِنْ نُورِ
إِفَادَتِهِ تُقْتَسَمُ ، وَمِنْ مَثْمُورِ مَادَّتِهِ تُنْتَمَسُ ؛ وَمِلَاكُهَا التَّقْوَى وَهِيَ أَوَّلُ كُلِّ أَمْرٍ
وآخِرُهُ ، وَبِلَازِمَتِهَا تَمُّ لَهُ مَفَايِهُهُ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يَحْرُسُهُ فِي السَّرِّ وَالنَّجْوَى ، وَيُظْهِرُ
بَارشَادَهُ لِعَامَانِي وَالْبَيَانِ كُلِّ نَجْوَى ؛ بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ ! إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



وهذه نسخة توقيع بكتابة السِّرِّ بِالشَّامِ ، كُتِبَ بِهِ لِلْقَاضِي « شَرَفِ الدِّينِ
عَبْدِ الْوَهَّابِ » بِنِ فَضْلِ اللَّهِ ، عِنْدَ مَا رُسِمَ بِنَقْلِهِ مِنَ الْقَاهِرَةِ إِلَى دِمَشْقَ ،
فِي ذِي الْحِجَّةِ سَنَةِ إِحْدَى عَشْرَةٍ وَسَبْعِمِائَةٍ ، مِنْ إِثْنَاءِ الشَّيْخِ شَهَابِ الدِّينِ « مُحَمَّدِ
الْحَلَبِيِّ » وَهِيَ :

الحمد لله الذي خَصَّ دَوْلَتَنَا الشَّرِيفَةَ بِرِعَايَةِ الدِّعْمِ ، وَحَفِظَ مَا أَسْلَفَ الْأَوَّلِيَاءُ
مِنَ الطَّاعَاتِ وَالْخِدْمِ ، وَإِدَامَةِ مَا أَسَدَّتْهُ إِلَى خَدَمِ آيَاتِنَا الزَّاهِرَةِ مِنَ الْأَلَاءِ وَالنِّعَمِ ،
وِإِفَاقَةِ حُلِيِّ أَعْيَانِهَا ، الَّتِي هِيَ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ شَرَفِ بَوْلَانِهَا ، مِنْ حُرِّ النَّعْمِ ؛ وَأَبْقَى
عَوَارِقَهَا عَلَى مَنْ لَمْ يَزَلْ مَعْرُوفًا فِي صَوْنِ أَسْرَارِهَا بِسَعَةِ الصَّدْرِ وَفِي تَذْيِيرِ مَصَالِحِهَا
بِصَحَّةِ الرَّأْيِ وَفِي تَنْفِيزِ مَرَامِهَا بِطَاعَةِ اللِّسَانِ وَالْقَلَمِ .

نَحْمَدُ عَلَى نِعَمِهِ الَّتِي مَا اسْتَهَلْتُ عَلَى وَلِيِّي فَأَقْلَعْتُ عَنْهُ عَمَامُهَا ، وَلَا اسْتَوْتُ بِيَدِ صَبِيٍّ
فَانْتَرَعَ مِنْ يَدِهِ حَيْثُ تَصَرَّفَ زِمَامُهَا ، وَنَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ
بِشَهَادَةِ لَا تَزَالُ نَعْتَصِمُ بِحَبْلِهَا الْمُتَيْنِ ، وَنَتَلَقَّى عَرَابَهُ إِخْلَاصًا رَأْيَهُ فَضْلُهَا بِالْيَمِينِ ؛
وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَكْرَمَ مَبْعُوثٍ إِلَى الْأَثَمِ ، بِالْإِحْسَانِ وَالْكَرَمِ ؛ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ كَرَّمْتَ أَنْسَابَهُمْ ، وَأَضَاءَتْ لَهُمْ وُجُوهُهُمْ وَأَحْسَبُهُمْ ؛
فَرَقَلُوا فِي حُلِيِّ مَا اكْتَسَبُوهُ مِنْ سُنَّتِهِ ، وَاكْتَسَبُوهُ مِنْ سُنَّتِهِ ، فَحَسَنَ مِنْهَا اكْتِسَابُهُمْ
وَاكْتِسَابُهُمْ ؛ صَلَاةَ لَا تَزَالُ لَهَا الْأَرْضُ مَسْجِدًا ، وَلَا يَبْرَحُ ذِكْرُهَا مُغِيرًا فِي الْأَفَاقِ
وَمُتَّجِدًا ؛ وَسَلَامٌ تَسْلِيًا كَثِيرًا .

وبعد ، فَإِنَّ أَوَّلَى مِنْ خَوَلَّتْهُ مَكَارِمُنَا الْإِقَامَةَ حَيْثُ يَهْوَى مِنْ وَطَنِهِ ، وَبَوَّاهُ نِعْمَنَا
الْجَمْعَ بَيْنَ دِيَارِ بَرٍّ وَبَيْنَ مَا فَارَقَهُ مِنْ سَكَنِهِ ؛ وَمَلَكَتْهُ عَوَاطِفُنَا ، زِمَامَ النَّصْرِ
حَيْثُ أَمَكُنْ مِنْ خِدْمَتِنَا الشَّرِيفَةِ ، وَعَرَقَتْهُ عَوَارِفُنَا ، أَنَّ مَكَاتِنَهُ عِنْدَنَا عَلَى حَالِهَا حَيْثُ
أَدَّى مَا عُدِّقَ بِهِ مِنْ وَطَنِهِ - مَنْ لَمْ يَزَلْ قَلْبُهُ لِسَانَ مَرَّاسِمِنَا ، وَعَيْنَانِ مَا تُعْجِرُهُ
فِي الْأَفَاقِ مِنْ سَوَاقِ مَكَارِمِنَا ، وَتَرْجَمَانِ أَوَامِرِنَا ، وَخَطِيبِ آيَاتِنَا الَّتِي غَدَّتْ بِهَا
أَعْطَافُ التَّقَالِيدِ مِنْ جُمْلَةِ مَتَابِرِنَا .

وَلَمَّا كَانَ الْمَجْلِسُ الْعَالِي : هُوَ الَّذِي لَمْ يَبْرَحْ صَدْرُهُ خِزَانَةَ أَمْرَانَا ، وَفِكَرُهُ كَنَانَةً
إِعْلَانِنَا فِي الْمَصَالِحِ وَإِسْرَارِنَا ، وَخَاطِرُهُ مِرْآةَ آرَائِنَا ، وَبَرَاغُهُ مِشْكَاتُ مَا يُشْرِقُ : مِنْ أَنْوَارِ
تَدْرِيسِنَا ، أَوْ يَبْقَى : مِنْ أَنْوَاءِ الْآيَاتِ ؛ يَنْطِقُ قَلْبُهُ فِي الْأَقَالِيمِ عَنْ أَلْسِنَةِ أَوَامِرِنَا الْمُطَاعَةِ ،
وَيَنْفَعِدُ كَلِمُهُ عَنْ مَرَّاسِمِنَا فِي دِيَوَانِ الْإِنْشَاءِ بِمَا تُقَالِلُهُ أَقْلَامُ الْجَمَاعَةِ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ ؛
وَكَانَتْ يَسْتَهْ قَدْ عُلَتْ فِي خِدْمَتِنَا إِلَى أَنَّ رَأْيَانَا تَوْفِيرَ خَاطِرِهِ عَلَى الْبَرَكَاتِ ، عَنْ كَثِيرٍ
مِمَّا يَنْتَبِعُ رِكَابَتَنَا الشَّرِيفَ مِنْ لَوَازِمِ الْحَرَكَاتِ ؛ وَأَنْ نَعْفِيَهُ مِمَّا يُلْزِمُ الْإِقَامَةَ بِأَوَابِنَا

الشريفة من كثرة المثل بين يدينا، وأن تقتصر به على أخف الوظيفتين إذ لا فرق في رتبة السريين ما يصدر عنا أو ما يريد إلينا .

فرسم بالأمر الشريف، العالى، المولى، السلطان، الملك، الفلانى، الفلانى، أن يكون فلان صاحب ديوان الإنشاء الشريف بالشام المحروس، بمعلومه الشاهد له به الديوان المعمور بالأبواب العالية، عوضاً عن أخيه المجلس السامى، القضائى، المحبوى «يحيى بن فضل الله» ويستمر أخوه القاضى «يحيى الدين» المذكور مع جملة الكتّاب بديوان الإنشاء الشريف بالشام المحروس، بالمعلوم الشاهد به الديوان المعمور .

فليأشر هذه الرتبة التى تألفت به قواعدها وعن تقريره وتحريره أخذ كل من كان بأوضاعها وأوضاعها عليها، فإنه لم يخرج عن أخيه شئ وصل إليه، ولا فوض له إلا ما هو بحكم عموم الأولوية والأولية في يديه، وأما ما يتعلق بذلك من وصايا تبسط، وقواعد تُشرط، فإنها منه استفادها من رفقها، وعنه ارتوى بها ورواها من تعلمها، ونحن نعلم من ذلك ما لا يحتاج إلى أن يزداد فيه يقيناً، ولا أن يزيد به ذكره معرفة ومكيناً، والاعتداد

قلت : ومن غريب ما وقع : أنه كتب للقر الشهابى بن فضل الله بكتابة السر بالشام، حين وليها بعد انفصاله من الديار المصرية توقيع مفتتح بـ «أما بعد حمد الله» من إنشاء المولى «تاج الدين بن الباربارى» وكأنه إنما كتب بذلك عند تغير السلطان الملك الناصر «محمد بن قلاوون» عليه، على ما هو مذكور فى الكلام على كتّاب السر فى مقدمة الكتّاب .

وهذه نسخة تَوْفِيع بِكَابَةِ السَّرْبَاشَامِ الْخُرُوسِ :

أَمَّا بَعْدَ سَمِّهِ اللَّهِ مُقَلِّ الشُّهْبِ فِي أَحَبِّ مَطَالِهَا ، وَمُعَلِّي الْأَقْدَارِ بِتَصْرِيفِ
الْأَقْدَارِ وَرَافِعِهَا ، وَمُبْهِجِ الثُّغُوسِ بِمَعَادِهَا إِلَى أَوْطَانِهَا وَمَوَاضِعِهَا ، وَمُغْضِي مَشِيتِهِ
فِي خَلِيقَتِهِ بِالْخَيْرَةِ فِيمَا يُشَاءُ لَطَائِلِهَا ، وَالشَّهَادَةِ لَهُ بِالْوَحْدَانِيَّةِ الْآخِذَةِ مِنَ الْقُلُوبِ
بِجَمَاعِهَا ، وَالصَّلَاةِ عَلَى سَيِّدِنَا عَمِّهِ الَّذِي بَصَّرَ الْأُمَّةَ بِهَدْيِهَا وَمَنَافِعِهَا ، وَصَانَ شِرْعَتَهُ
الشَّرِيفَةَ تَلَوُ الْمَلِكِ بِسَنَخِ شَرَائِعِهَا ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ اسْتَوْدَعُوا أَسْرَارَ الْمَلِكِ
لِحَقِيقَتِهَا نَفِيسٍ وَدَائِمِهَا - فَإِنَّ مَمَالِكَنَا الشَّرِيفَةَ هِيَ سَوَاءٌ لَدُنَّا فِي التَّعْظِيمِ ، وَأَوْلِيَاءُ
دَوْلَتِنَا الشَّرِيفَةِ يَنْتَقِلُونَ فِيهَا فِي مَنَازِلِ التَّكْرِيمِ ؛ وَعِنْدَنَا مِنْ « فَضْلِ اللَّهِ » رِئَايَةٌ لِلْعَمِيدِ
الْقَدِيمِ ، وَتَأْكِيدٌ لَأَسْبَابِ الْقَدِيمِ ؛ فَلَا غَضَاضَةَ لِمَنْ تَقَلَّنَاهُ مِنْ أَبْوَابِنَا إِلَيْهَا ، وَلَا وَهْنَ
يَقْرَأُ عَلَى عُشُلِ الْمَرَاتِبِ وَيَعْتَرِبُهَا ؛ حَيْثُ صَدَقْنَا دَائِمَهُ ، وَنُفُورُ إِقْوَانِنَا بِاسْمِهِ ،
وَمَرَامِنَا لِمُسَاعَدَةِ الْأَقْدَارِ فِي الْأَيَّامِ حَاكِمِهِ ؛ وَ« الشَّهَابُ » لَوْ لَمْ يُسِرْ فِي سَمَائِهِ ، لَمَّا
أَهْتَدَى الْبَاطِلُونَ بِضِيَائِهِ ؛ وَالذَّرَّةُ لَوْ مَكَثَتْ فِي صَدْفِهَا ، لَمَّا حَظِيَّتْ فِي الْعُقُودِ
بَشَرَفِهَا .

وكان المجلس المالي، القضاة، الشمازي، قد أقام في خدمتنا الشريفة بالأبواب
العالية حافظاً للأسرار، قائماً بما يُحِبُّ وَتُحِبُّ وَتُخَارُ ؛ ثُمَّ لَمَّا أَخَذَ حَظَّهُ مِنَ الْقُرْبِ مِنْ
أَيْدِنَا الشَّرِيفَةِ : رَأَيْنَا أَنَّ عَوْدَهُ إِلَى أَوْطَانِهِ ، وَأَدْلِهِ مِنْ تَمَامِ إِيْمَانِهِ ؛ وَأَنَّ مَرْجِعَهُ
إِلَى مَحَلِّهِ ، مِنْ نَعْمِ اللَّهِ عَلَيْهِ وَفَضْلِهِ ؛ وَمَا سَارَ إِلَّا وَالْإِقْبَالُ يُزَوِّدُهُ ، وَالْاِسْتِقْبَالُ بِهِ
وَأَهْلُ يَدِهِ يُسَعِدُهُ وَيُضْعِدُهُ .

فلذلك رُسمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ أَنْ يُنْقَلَ إِلَى كِتَابَةِ الْإِنْسَاءِ الشَّرِيفِ بِدَمَشَقِ
الْمَحْزُوسَةِ ، وَأَنْ يَكُونَ مُتَحَدِّثًا عَنْ وَالِدِهِ ، عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ بِالْديَارِ الْمَصْرِيَّةِ ، وَلِيُقَرَّرَ لَهُ
مِنَ الْمَعْلُومِ كُنْهًا وَكُنْهًا .

فَلْيَسِرْ إِلَى دَارِ كَرَامَتِهِ ، وَلْيَسْتَقِرَّ فِي مَوْطِنِ إِقَامَتِهِ ، قَرِيرَ الْعَيْنِ ، مَمْلُوءَ الْبَدَنِ ،
مَسْرُورًا بِرَفْعِ الْحَلِّ فِي الْمَمْلَكَتَيْنِ ؛ وَلْيَكُنْ لَوَالِدِهِ - أَعَزَّهُ اللَّهُ تَعَالَى - عَضُدًا ،
وَلْيُصْبِحْ لَهُ فِي مَهْمَاتِنَا الشَّرِيفَةِ سَاعِدًا وَبَدَا ، وَلْيُضِجْ بِهِ الْيَوْمَ بَرًّا لِيَجِدَ رِضَا اللَّهِ
غَدًا ؛ فَإِنَّ وَالِدَهُ بَرَكَةُ الْمَالِكِ ، وَلَهُ قَدِيمُ هِجْرَةٍ ، وَسَالِفُ خِدْمَةٍ ، وَحُسْنُ طَوِيلَةٍ ،
فَتَحْنُ نَزَاهُ لَذَلِكَ ، وَالْمِهْمَاتُ الشَّرِيفَةُ يَتَلَقَّاهَا بِنَفْسِهِ ، وَلْيُصْدِرْ فُصُولَ الْمَطَالَعَةِ
مُدْبِجَةً عَلَى عَادَتِهِ فِي تَدْرِيجِ طَرَسِهِ ؛ وَلْيَسْتَعِزَّ بِاللَّهِ فَهُوَ وَلِيُّ الْإِعَانَةِ ، وَلْيَعْتَمِدْ
عَلَى الرَّفْقِ فِي أَمْرِهِ فَمَا كَانَ الرَّفْقُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ ؛ وَمَا بَعْدُ عَنَّا ، مَنْ كَانَ بَعِيدًا
بِالصُّورَةِ قَرِيبًا بِالْمَعْنَى ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَزِيدُهُ مِنَّا مَنًّا ؛ وَانْخَطِ الشَّرِيفُ أَعْلَاهُ مُجَّةً فِيهِ ؛
إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

الوظيفة الثالثة - نَظَرُ الْجِيُوشِ بِالشَّامِ .

وَشَأْنُ صَاحِبِهَا كِتَابَةُ الْمُرَبَّاتِ الَّتِي تُنشَأُ مِنَ الشَّامِ ، وَتَزِيلُ الْمُنَاشِيرَ الشَّرِيفَةَ الَّتِي
تُصَدَّرُ إِلَيْهِ .

وهذه نسخة توقيع شريف من ذلك ، كُتِبَ بِهِ «لَمُؤْنَى بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ» مِنْ
إِنْشَاءِ السَّيِّدِ الشَّرِيفِ شَهَابِ الدِّينِ ، وَهِيَ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ إِحْسَانَنَا عَائِدًا بِصَلَاتِهِ ، وَفَضْلَنَا يَجْمَعُ شَمْلَ الْإِعْمَادِ بَعْدَ
شَتَاتِهِ ، وَعَوَاطِفُنَا تُثَبِّهُ جَفْنَ الْإِقْبَالِ مِنْ إِغْفَائِهِ وَسِتَانِهِ .

نَحْمَدُهُ عَلَى أَنْ نَصَرَنَا جَيْشَ الْإِسْلَامِ فِي أَرْجَاءِ مُلْكِنَا الشَّرِيفِ وَجِهَاتِهِ ، وَجَعَلَ
الْبَرَكَةَ وَالْيَمْنَ بِأَمْرِنَا فِي حَالَتِي مَحْوِهِ وَإِثْبَاتِهِ ؛ وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ
شَهَادَةً زَادَتْ فِي جِرَاءِ الْمُخْلِصِ وَحْسَنَاتِهِ ، وَأَصْحَتْ نُورًا يَسْعَى بَيْنَ يَدَيْهِ إِلَى رَحْمَةِ رَبِّهِ
وَالِى جَنَانَتِهِ ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي أَظْهَرَ اللَّهُ بِهِ وَاصِحَ آيَاتِهِ ،

وَأَصْبَحَ النَّشْرَ عَاقِبًا مِنْ نَشْرِ رَايَاتِهِ ؛ وَحَا الْفَتْرَةَ بَهْدِهِ وَسَرَّ سَرَائِرَ أَوْلِيَّائِهِ وَأَكْمَدَ قُلُوبَ عِدَائِهِ ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ مَا تَأْرَجُ النَّسِيمُ فِي هَبَاتِهِ ، وَأُبْهِجَ الْعَطَاءَ بِجَزِيلِ هَبَاتِهِ ؛ وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا .

وبعدُ ، فَإِنَّ مِنَ النِّعَمِ مَا إِذَا عَادَتْ أَقْرَبُ التُّيُونِ ، وَحَقَّقَتِ الْأَمَالَ وَالظُّنُونِ ؛ وَرَفَعَتِ الْأَفْئِدَارَ وَإِنْ لَمْ يَزَلْ رَفِيعًا مَحَلًّا ، وَجَمَعَتِ الْمَسَارَ الْمُنْتَدَّ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ظِلْمًا ؛ وَعَمَرَتْ رُبُوعَ الْإِحْسَانِ ، وَعَمَّرَتْ بِمَنَائِحِهَا الْحِسَانَ ؛ كَهَذِهِ النِّعْمَةِ الَّتِي تَلَقَّتِ الْإِقْبَالَ مِنْ حَافِلِ عَمَامِهِ ، وَجَمَعَتْ تَمَثُّلَ التَّقْدِيمِ مَشْفُوعًا بِإِكْرَامِهِ ؛ وَأَعَادَتْ سَمَاءَ التَّكْرِيمِ هَادِيَةً بِقَطْعِهَا ، مُشْرِقَةً الْأَرْجَاءَ بِنُورِ رَبِّهَا ؛ وَسَفَرَتْ بِدُورِهَا بَيْنَ هَوَاوَلَى بَاجْتِلَائِهَا ، وَتَبَيَّنَتْ رُبُّهَا لِمَنْ هُوَ جَدِيرٌ بِاعْتِلَائِهَا ؛ وَحَقِيقٌ أَنَّ تَعُودَ الْمَوَاهِبُ بَعْدَ قَرَّتِهَا ، وَأَنْ تُقْبَلَ عَلَيْهِ وَجُوهُ الْمَنَاجِحِ بَعْدَ لَقَّتِهَا ؛ لِتُصْبِحَ كَوَاكِبُ الْإِسْمَاعِدِ كَانَتْهَا مَا أَفَلَّتْ ، وَعَطَايَا التَّخْوِيلِ كَانَتْهَا مَا انْتَقَلَتْ ؛ وَيُعُودُ عَلَيْهِ الْيَوْمُ كَأَنَّهُ ، وَيَرْجِعُ أَفْقُ الْعَوَارِفِ الْجَسَامِ مُشْرِقًا بِبَدْرِ الْاجْتِبَاءِ وَشَمْسِهِ .

وَلَمَّا كَانَ فَلَانٌ هُوَ الَّذِي حَسُنَتْ فِيهِ الْخِدْمَةُ الشَّرِيفَةُ آمَنَارُهُ ، وَمُجِدَّ إِيرَادُهُ فِي الْمُهَيَّمَاتِ الشَّرِيفَةِ وَإِصْدَارُهُ ؛ وَشَكَرَهُ شَامُهُ وَمِصْرُهُ ، وَسَمَا فِي كُلِّ جِهَةٍ حَلَّهَا مَحَلُّهُ وَقَدَّرُهُ ؛ وَتَحَقَّقَتْ مِنْهُ رَأْسَةُ قَضَتْ لَهُ بِإِبْدَاءِ النِّعَمِ وَإِعَادَتِهَا ، وَأَنْ تَجْرِيَ لَهُ الدُّوَلَةُ مِنَ الْإِكْرَامِ عَلَى أَجْمَلِ عَادَتِهَا ؛ وَأَنْ تُرْعَى لَهُ حُقُوقُ الْفَهْمَا حَدِيثًا وَقَدِيمًا ، وَتُنَشَّرَ عَلَيْهِ ظِلَالُ الْفَضْلِ حَتَّى لَا يَفْقِدَ مِنْهَا عَلَى طُولِ الْمَدَى تَكْرِيمًا .

فَلَذَلِكَ رُئِيسُ الْأَمْرِ الشَّرِيفِ ... لَا زَالَ ... أَنْ يَسْتَقَرَّ ... تَجْدِيدًا لِلْمَلَأِيسِ سَعْنَدِهِ ، وَتَأْكِيدًا لِقَوَاعِدِ تَجِدِهِ ، وَتَرْدِيدًا لِلْفَضْلِ الَّذِي حَلَا مَهْلُ وَرِيدِهِ ؛ وَرِعَايَةً لِخِدْمَتِهِ الَّتِي أَكْبَتْ عَلَيْهَا السِّيُوفُ وَالْأَفْلَامُ ، وَشَكَرَتْ تَأْثِيرَهَا جُنُودَنَا - نَصَرَهَا اللَّهُ

تعالى - بِمِصْرَ الشَّامِ ، وَلَمَّا لَهُ مِنْ حُسْنِ سَمِيَّةٍ زَادَهُ وَقَارُهُ ، وَأَصْلُ صَالِحٍ طَابَتْ مِنْهُ سِمَاؤُهُ .

فَلْيَسْتَقَرَّ فِي هَذِهِ الْوُظُفَةِ الْمُبَارَكَةِ : عَالِمًا أَنْ لِسَانَ الْقَلَمِ أَمْسَكَ عَنْ الْوَصَايَا لِأَنَّهُ خَبَرَ هَذِهِ الْوُظُفَةَ فَرَعًا وَأَصْلًا ، وَأَلْفَتْ مِنْهُ نَاطِرًا عَلَا قَدْرًا وَكُرَّمُ مَحْتَدًا وَقَصْلًا ، وَهُوَ بِحَمْدِ اللَّهِ أَدْرَى بِسُلُوكِ مَنِاجِيهَا الْقَوِيمِ ، وَأَذْرَبُ بِاِقْتِفاءِ سَنَنِهَا الْمُسْتَقِيمِ ، وَالْخَيْرُ يَكُونُ ، وَالْإِعْتِدَادُ فِي ذَلِكَ عَلَى الْخَطِّ الشَّرِيفِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى أَعْلَاهُ ، حُجَّةٌ بِمُقْتَضَاهُ .

المرتبة الثانية

(من مراتب أرباب التواقيع الديوانية بدمشق - من يكتب له

في قطع التلك بـ «المجلس السامي» بالياء مفتتحا بـ «الجمد لله» إن علت
رؤيته وإلا بـ «أما بعد» ، وتشمعل على وظائف)

منها - نظر الخزانة العالیه ، وشأنها هناك نظیر الخزانة الکبریٰ بالدار المصرية في القديم ، ونظیر خزانة الخالص الآن .

وهذه نسخة توقع بنظر الخزانة العالیه :

أما بعد حمد الله على نعمه التي خَصَّتْ الْمَنَاصِبَ السَّنِيَّةَ فِي أَيْمَانِ الزَّاهِرَةِ بِكُلِّ كُفٍّ كَرِيمٍ ، وَجَعَلَتْ عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ مِنْ أَوْلِيَاءَ دَوَّلَتِنَا الْقَاهِرَةِ كُلَّ حَفِيفٍ عَلِيمٍ ، وَأَقَاضَتْ ظِلَّ إِنْعَامِنَا عَلَى مَنْ إِذَا أُنِيمَ النَّظَرُ فِي حَقِّ ذَوِي الْيُوتِ الْقَدِيمَةِ كَانَ أَحَقَّ بِالْقَدِيمِ ، وَالصَّلَاةِ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ أَفْضَلَ مِنْ حَبَاهُ بِفَضْلِهِ الْعَمِيمِ ، وَاجْتَبَاهُ لِهِدَايَةِ خَلْقِهِ إِلَى السَّنَنِ الْقَوِيمِ ، وَجَعَلَ سَلَامَةَ الصَّلَاةِ الْمَقْبُولَةِ مِنَ النَقْصِ مَقْرُونَةً بِالصَّلَاةِ عَلَيْهِ وَالتَّسْلِيمِ - فَإِنَّ أَوَّلِيَّ مِنْ رَجَحِهِ نِلْجَمَتِنَا الْإِخْتِيَارِ ، وَقَدَّمَهُ فِي دَوَّلَتِنَا الْإِخْتِبَارِ ،

وَأَخْلَصَهُ حَسَنُ نَظَرِنَا الشَّرِيفِ رُتْبَةً أُنْبِئَهُ مِنْ قَبْلُ ، وَأَعْدَقَ لَهُ مَحَابُّ رُبْنَا صَوَّبَ إِحْسَانٍ فَلَمْ يُصْبِهِ طُلُّ بَلٍّ وَبَلٍّ - مِنْ حُمدِ سِيرِهِ وَسِيرِهِ ، وَشُكْرِ فِي طَاعَتِنَا وَرَدَهُ وَصَدْرُهُ ؛ وَزَانَ الْأَصَالَةَ بِالنَّبَاهَةِ ، وَالرَّأْسَةَ بِالْوَجَاهَةِ ، وَالْمَعْرِفَةَ بِالنَّزَاهَةِ ؛ وَجَمَعَ بَيْنَ الصَّلَفِ وَالْإِطْلَاعِ ، وَالتَّضَلُّعِ مِنَ الْعِفَّةِ وَالْإِضْطِلَاعِ ، وَالصِّفَاتِ الَّتِي لَوْ تَحَيَّرَهَا لِنَفْسِهِ لَمْ يَزِدْهَا عَلَى مَا فِيهِ مِنْ كَرَمِ الطَّبَاعِ .

وَمَا كَانَ نَظَرُ الْخِزَانَةِ الْعَالِيَةِ بِمَشَقِّ الْحِرُوسَةِ رُتْبَةً لَا يَرْتَقِي إِلَيْهَا مِنَ الْأَكْفَاءِ إِلَّا مَنْ وَفَى ، وَلَا يُقَدَّمُ لَهَا مِنَ الْأَوْلِيَاءِ إِلَّا مَنْ تَعَيَّنَ مِنْ رُؤَسَاءِ الْعَصْرِ وَفُضِّلَ الزَّمَنُ ؛ وَكَانَ فُلَانٌ هُوَ الَّذِي عَيْنُهُ لَهَا أَرْتِيَادُ الْأَكْفَاءِ ، وَأَصْطَفَى هُوَ مِنْ أَهْلِ الصَّفَاءِ ، وَتَقَدَّمَ مَنْ وَصَفَ بِحَاسِنِهِ مَا لَا يَرُوقُ تَمَامُ بَدَنِهِ وَظُهُورُهُ بِالنَّقْصِ وَالْإِخْفَاءِ .

فَلَذَلِكَ رَسَمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ أَنْ يَفُوضَ إِلَيْهِ نَظَرُ الْخِزَانَةِ الْمَذْكُورَةِ .

فَلْيَأْمُرْ ذَلِكَ بِمَابْرَةٍ مِنْ يَحَقِّقُ فِي كِفَايَتِهِ وَفَضِيلَتِهِ التَّأْمِيلَ ، وَيُظْهِرُ حَسَنَ نَظَرِهِ الَّذِي هُوَ كَالنَّهَارِ لَا يَحْتَاجُ إِلَى دَلِيلٍ ؛ وَلْيَجْرِ عَلَى حِمْلِ عَادَتِهِ فِي النَّهْوِ فِي خِدْمَتِنَا بِالسَّنَةِ وَالْفَرَضِ ، وَيُضَاعِفِ أَجْتِهَادَهُ الَّذِي بِمَثَلِهِ جُعِلَ مَنْ اخْتِيرَ عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ ؛ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ هَذِهِ الرُّتْبَةَ مَالُ الْأَمْوَالِ ، وَذَخَائِرُ الْإِسْلَامِ الَّتِي هِيَ مَادَّةُ الْجُيُوشِ وَمَوَارِدُ الْإِقْفَالِ ؛ فَلْيُعْمَلْ فِي مَصَالِحِهَا فِكْرَهُ وَدَأْبَهُ ، وَإِذَا كَانَ حَسَنُ نَظَرِنَا الشَّرِيفِ قَدْ جَمَعَهُ الْمُؤْتَمَنَ عَلَيْهِا : (فَلْيُؤَدِّ الْأَيْدِيَ أَوْثَمِينَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ) . وَفِي سِيرَتِهِ الَّتِي عُرِفَتْ ، وَصِفَاتِهِ الَّتِي إِنْ وَصِفَتْ قَدْ أَنْصَفَتْ ؛ مَا يُبْنِي عَنْ تَفْصِيلِ الْوَصَايَا وَجُمْلَتِهَا ، وَإِعَادَةِ مَزَايَا التَّكَايِدِ : قَوْلُهَا وَعَمَلُهَا ؛ لَكِنْ مَلَكَهَا الصِّيَانَةُ الَّتِي هُوَ بِهَا مُوصُوفٌ ، وَالتَّقْوَى الَّتِي هُوَ بِهَا مَعْرُوفٌ ؛ وَالْإِعْتِدَادُ عَلَى الْخَطِّ الشَّرِيفِ أَغْلَاهُ .

ومنها - صحابة ديوان النظر، وصحابة ديوان الجيش ونحو ذلك من الوظائف الديوانية بدمشق .

قلت : هذا إن كتب من الابواب الشرفية السلطانية ، وإلا فالغالب كتابة ذلك عن نائب السلطنة بدمشق .

الصنف الرابع

(من الوظائف بدمشق وظائف المتصوفة ومشايخ الحواريق ،
وفيها مراتب)

المرتبة الأولى

(ما يكتب في قطع الثلث بـ «المجلس السامي» بالباء، مفتحا بـ «الحمد لله» .
وبذلك يكتب لشيخ الشيوخ بالشام ، وهو شيخ الخانقاه
الصلاحية، المعماة بالشميصاتية)

وهذه نسخة توقيع بذلك ، وهي :

الحمد لله الذي اختار لعمارة بيوته أولياء يحبونهم ويحبهم ، وأصفياء حَفَّهُم بِرَحْمَتِهِ
فاجتهدوا في طاعته فازداد قُرْبَهُمْ ، وأتقياء زهدوا في الدنيا وابذلوا القاني بالباقي
وطُكَبَ فِي مَوْرِدِ الصَّفَاءِ شَرِبَهُمْ .

نحمده حمد من جعل حب الله دَنَارَهُ ، وملابس التقوى شَعَارَهُ ، ونشكره والشكر
لمزيد النعم أَمَارَهُ ، وللقلوب الدائرة عِمَارَهُ ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك
له شهادة مخلص في التوحيد ، يتبَّأُ بِهَا جَنَانُ الْخُلْدِ وَيَحْطِصُّ مِنْ سَمَاعِ قَوْلِ جَهَنَّمَ :

هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي أَمَرْنَا بِهِ إِلَى حَضْرَةِ
أُنْسِيهِ ، وَحَظِيرَةِ قُدْسِهِ ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ مِنْهُمْ مَنْ سَبَقَ الْأُمَّةَ
بَنِيهِ وَقَرَى صَدْرُهُ ، وَمِنْهُمْ مَنْ دَلَّتْ وَاقِعَةُ سَارِيَةِ عَلَى عُلُوشَانِهِ وَرِفْعَةِ قَدْرِهِ ؛
صَلَاةً لَا تَزَالُ الْأَرْضُ لَهَا مُسْجِدًا ، وَلَا يَبْرَحُ ذِكْرُهَا مُغَيَّرًا فِي الْأَفَاقِ وَمُنْجِدًا ؛ وَسَلَامٌ
تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وبعد ، فَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ يُعْمَلُ بِاتِّقَادِهِ ، وَأَجْدَرُ مَنْ يُخَصَّ بِالتَّكْرِيمِ ؛ مَنْ كَانَ
قُدْرُهُ فِي الْأَوْلِيَاءِ عَظِيمًا ، وَذِكْرُهُ فِي الْأَفَاقِ بَيْنَ أَهْلِ الْمَعْرِفَةِ قَدِيمًا ؛ وَتَجَرُّدُهُ عَنِ
الدُّنْيَا مَشْهُورًا ، وَسَعْيُهُ عَلَى قَدَمِ الطَّاعَةِ مَشْكُورًا ؛ وَشُهُودُهُ لِمَقَامِ الْكَمَالِ مُسْتَجَلِيًا ،
وَأَسْتَجْلَاؤُهُ لِمَوَادِّ الْأُنْسِ مُسْتَمْلِيًا ؛ فَهُوَ فِي هَذِهِ الطَّائِفَةِ الْحَلِيلَةُ سِرُّ الْمِقْدَارِ ، مَعْرُوفُ
الْصِفَةِ فِي حَلِيَةِ الْأَوْلِيَاءِ وَمَنَاقِبِ الْأَبْرَارِ ، وَالْمُتَقَدِّمُ مِنَ الْإِمَامَةِ فِي جَمْعِ الْأَخْيَارِ .

وَمَا كَانَ الْمَجْلِسُ السَّامِيُّ ، الشَّيْخِيُّ ، الْكَبِيرِيُّ ، الْعَالِمِيُّ ، الْعَامِلِيُّ ، الْأَوْحَدِيُّ ،
الزَّاهِدِيُّ ، الْوَرَعِيُّ ، الْأَصِيلِيُّ ، الْفَلَانِيُّ ؛ جَلَّالَ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ ، وَشَرَفَ الصُّلَحَاءِ
فِي الْعَالَمِينَ ، شَيْخُ الشُّيُوخِ ، قُدْوَةُ السَّالِكِينَ ، مُعْتَقِدُ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ ، أَعَادَ اللَّهُ
تَعَالَى مِنْ بَرَكَاتِهِ : هُوَ الْمَقْصُودُ مِنْ هَذِهِ الْعِبَارَةِ ، وَالْمُلْحُوظُ بِهَذِهِ الْإِشَارَةِ - أَقْتَضَى
حَسَنَ الرَّأْيِ الشَّرِيفِ أَنَّ يُخَصَّ فِي الدُّنْيَا بِالْعَظِيمِ ، وَيُمَيَّزُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ بِالتَّكْرِيمِ .

فَلَنَدُلَّكُمْ رُبَّمَا بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لَا زَالَ لَهُ مِنْ جُنُودِ الدَّلِيلِ جَيْشٌ لَا يَطِيشُ
سِهَامَهُ ، وَمِنْ قُرْمَانِ الْحَارِبِ مَدَدٌ لَا تَزِلُّ فِي مُلَاقَاةِ الرِّجَالِ أَقْدَامُهُ - أَنْ يَسْتَقَرَّ
فِي كَذَا .

فَلْيَقَابِلْ هَذِهِ النِّعْمَةَ بِالسُّرُورِ ، وَلْيَتَأَمَّلْ هَذِهِ الْفَضِيلَةَ بِحَمْدِ اللَّهِ الشُّكُورِ ؛ وَلْيَوَاطِبْ
عَلَى وَظِيفَةِ الدَّعَاءِ بِدَوَامِ أَيْمَانِ الزَّاهِرَةِ ، وَلْيَسْتَمِطِ بِحَزِيلِ الْفَضْلِ مِنْ مَحَابِبِ جُودِنَا

الماطره؛ وليُسَظَّ يده في عمل المصالح، وليستمر على السعي الحسن والعمل الصالح؛ فإن هذه البقعة مأوى القادم والقاطن، وتسمو على أمثالها من المواطن؛ وليكن لأسرارهم موقراً، ولأقواتهم المعينة على الطاعة ميسراً؛ والله تعالى يجعل خلواته معموره، وأفعاله مبروره؛ والأعتاد في ذلك على الخط الشريف .

قلت : هذا إن وليها شيخ من مشايخ الصوفية، على عادة الخوأنق . وقد يلينها كاتب السر بالشام، فيكتب تقليده بكتابة السر في قطع النصف «بالمجلس العالي» على عادة كتاب السر، ويشارف تقليده إلى بعض الألفاظ الجامعة بين المقامين، ويضاف إلى ألقاب كتابة السر بعض ألقاب الصوفية المناسبة لهذا المقام . على أنه ربما كتب بولاياتها عن نائب السلطنة بالشام لكتاب السر أو غيره .

المرتبة الثانية

(من يكتب له في قطع العادة مفتتحاً بـ «رسم»)

وهذه نسخة توقيع من ذلك، وهي :

رسم بالأمر الشريف - لا زالت أوامره تُحل القربات عملها، ومراسمه تُسند الرتب الدينية لمن إذا خصوا بمواقفها كانوا أحق بها وأهلها - أنت يرتب فلان في كذا : إذ هو أوّل من خص بمواظن العبادة، ونص بترقيته الأشرار على التحل باقاصه الإفاده؛ ووقر كده على اجتلاء وجوه المعارف من أفق المراقبه، وجمع خاطره لاجتناء نعمة الأنس من أفتان الطاعات النابتة في رياض المحاسبه؛ مع تمسكه بعلم الشرعة الذي [خلص] معرفته من الشوائب، وأحيا الدجى من آفتال شيبية

فَلَّامِهِ إِلَى أَنْ تَسِيَّبَ مِنْهُ النَّوَائِبُ ؛ وَتَفْعَ مَتَعَّةً إِلَى كُلِّ طَالِبٍ فَضْلٌ وَمُلْتَمَسٌ ،
وَدِينٌ بَاهِرٌ مِنْ مَصْبَاحِ مَشْكَاتِ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ لِكُلِّ بَاغِي نُورٍ وَمُقْتَسِ .

فَلْيَسْتَقَرَّ شَيْخًا بِالْمَكَانِ الْفُلَانِي : لِنَعْمَرِ أَرْجَاؤَهُ بِتَهْجِدِهِ ، وَنُشْرِقَ خَلَوَاتُهُ بِتَعْبِيدِهِ ؛
وَتَعْدُبُ مَوَارِدُهُ بِأَوْرَادِهِ ، وَنُظْلِعَ جَمَالِيهِ بِجُيُومِ مَعْرِفَتِهِ الْبَارِغَةِ مِنْ أَفْقٍ لِإِرَادِهِ ؛ [وَلْتَعْدُو
هَذِهِ الْبُقْعَةُ رَوْضَةً أَفْكَارٍ ، وَقَيْلَةً أَذْكَارٍ ؛ وَمَرَاقِي دَعَوَاتٍ ، وَمَرَافِعُ بَرَكَاتٍ ،
تُسْتَزَلُّ بَيْنَ صَلَوَاتٍ مَقْبُولَةٍ وَخَلَوَاتٍ ؛ وَلِيَتَنَاقَبَ الْمَعْلُومُ الْمُسْتَقَرُّ لَهُ تَرْفِيهَا لِيَسْرَ ،
وَتُنْزِلَهَا لِفِكْرِهِ ؛ وَإِعَانَةً عَلَى الْإِقْطَاعِ بِهَذِهِ الْبُقْعَةِ الَّتِي تَتَّصِلُ بِهِ أَسْبَابُ السَّعَادَةِ
فِي أَرْجَانِهَا ، وَتُحْصِيصًا لَهَا مِنْهُ بِإِمَامٍ تُقَى لَوْ كَانَ لِبُقْعَةٍ أَنْ يَجْنِي بِرَكَتِهِ لَكَانَ مُنْتَهَى
رَجَائِهَا ؛ وَلِيَرْتَقِ مِنَ الْأَذْمِيَةِ الصَّالِحَةِ لِأَيَّامِنَا الْمُبَارَكَةِ مَا لَا تَزَالُ مَوَاطِنُ الْقَبُولِ لِنَفَحَاتِهِ
الْمُتَرَقِّبَةِ مُتَلَقِّيهِ ، وَمَا لَا تَبْرَحُ النُّفُوسُ لِحَشِيَّتِهِ الْمُسَامِعَةِ مُتَوَقِّيهِ ؛ وَالْإِعْتِدَادُ عَلَى الْخَطِّ
الشَّرِيفِ أَهْلَاهُ ، حِجَّةٌ بِمُقْتَضَاهُ .

قُلْتُ : هَذَا إِنْ كُتِبَ عَنِ الْأَبْوَابِ السُّلْطَانِيَةِ . وَإِلَّا فَالْغَالِبُ كِتَابَةُ ذَلِكَ عَنِ
نَائِبِ السُّلْطَانَةِ بِالشَّامِ .

النوع الثاني

(مِنْ وَظَائِفِ دِمَشْقَ مَا هُوَ خَارِجٌ عَنْ حَاضِرَتِهَا)

وَقَدْ تَهْتَمُّ فِي الْمَقَالَةِ الثَّانِيَةِ : ارْتِ لِدِمَشْقَ أَرْبَعُ صَفَقَاتٍ ، وَهِيَ : الْغَرْبِيَّةُ ،
وَالشَّرْقِيَّةُ ، وَالْقِبْلِيَّةُ ، وَالشَّيْأَلِيَّةُ .

فَأَمَّا الصَّفَقَةُ الْغَرْبِيَّةُ : وَهِيَ الْمَعْبَرُ عَنْهَا بِالسَّاحِلِيَّةِ وَالْحَبْلِيَّةِ ، عَلَى مَا تَهْتَمُّ فِيهَا ، ففِيهَا
مِنْ وَظَائِفِ أَرْبَابِ السُّيُوفِ عِدَّةٌ وَظَائِفٌ ، وَتَوَلَّى فِيهَا الْأَبْوَابُ السُّلْطَانِيَّةُ .

منها - نيابة القدس . وقد تقدم أنها كانت في الزمن المتقدم ولاية صغيرة يليها جنيدى ، ثم استقرت نيابة طبلخاناه ، في سنة سبع وسبعين وسبعائة ، وأن العادة جرت أن يُضاف إليها نظار الحرمين : حرم الخليل عليه السلام ، وحرم القدس . والذي يكتب له مرسوم في قطع الثلث بـ «السائح» بالياء .

ومنها - نيابة قلعة الصبيبة . وقد تقدم أنها من أجل القلاع وأمنعها ، وأنه كان يليها نائب مُقرّد من أجناد الحلقة أو مُقدمها عن نائب دِمَشَق ، ثم أُضيفت إلى والى بانياس . ثم استقرت في سنة أربع عشرة وثمانمائة في الدولة الناصرية « فرج » نيابة .

ومنها - نيابة قلعة عجلون . وقد تقدم أنها على صغرِها حصن حصين ، مبنية على جبل عوف ، بناها أسامة بن مُقَيّد ، أحد أمراء السلطان صلاح الدين « يوسف ابن أيوب » في سلطنة العادل أبي بكر ، وأنه كان مكانها راهب اسمه عجلون ، فُسِّمَتْ به . ثم استقرت في الدولة الناصرية « فرج » في سنة أربع عشرة وثمانمائة إمارة طبلخاناه .

وقد تقدم أول هذا القسم ما يكتب للتقدمين ، وما يكتب للطبلخاناه ، وما يكتب للعشرات .

أما أرباب الوظائف الدينية .

فنها - مشيخة الخلقاء الصلاحية بالقدس . وتوقيعها يكتب في قطع الثلث مفتتحاً بـ «الحمد لله» .

(١) في تقويم البلدان ص ٢٢٨ أن جبل عوف كان أهلُه عصاة فبنى عليهم أسامة حصن عجلون وهو مستقل حصين مشرف على النور .

ومنها - خطابة القُدس ، وتوقيعها كذلك .

ومنها - مشيخة حرم الخليل ، وتوقيعها في العادة يكتب مفتتحا بـ «رُسْم» .
وأما الصَّفقة القِبْلِيَّة ، فالتي يوثق بها من الأبواب السلطانية نيابته صرَّخَد .
وقد تقدم في الكلام على ترتيب المملكة الشَّامِيَّة أنه قد يجعل فيها من يقرب من
رُتَب السُّلطنة ، وحينئذ : فإن وليها مُقَدَّم ألف ، كان مرسومه في قطع النصف
بـ «المجلس العالي» . وإن وليها أمير طبلخاناه ، كان مرسومه في قطع النصف أيضا ،
بـ «السامى» بالياء .

وأما الصَّفقة الشَّرْقِيَّة فالنيابات بها على طَبَقَتَيْن :

الطبقة الأولى

(ما يُكْتَب به مرسوم شريف في قطع النصف ، وهو ما يليه مُقَدَّم ألف
أو طبلخاناه ، وفيها نيابات)

النيابة الأولى - نيابة حصص .

وقد تقدم أنها كانت نيابة جليلة ، كان يليها في الدولة الناصرية «محمد بن قلاوون»
مُقَدَّم ألف ، وأنه ذكر في «التتيف» أنها صارت الآن طبلخاناه . وحينئذ :
فإن كان بها مُقَدَّم ألف ، كان مرسومه في قطع النصف بـ «المجلس العالي» . وإن
كان طبلخاناه ، كان مرسومه في قطع الثلث بـ «المجلس السامى» بالياء .

وهذه نسخة مرسوم شريف بِنِيا بة السلطنة بِمَحْص :

الحمد لله مُقَدِّر كلِّ أجل إلى حين ، ومُقرِّر أمور الممالك في عباد الصالحين ؛ الذى
جعل بنا أوليائنا من الرأسمين ، وحَفِظ ما أَسْرَعَتَا من أمور عباد بولايته الناصحين .

نحمده على اختياره لا يصل إليه قدح القادحين ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تكون بها في غمرات الحروب على السوايح ساجدين ؛ ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله أكرم المائحين ، وأعظم الفاتحين ، وأشرف من ولى الأعمال الكفافة الوفاة المكافين ؛ صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه صلاة لا تزال فيها الحفظة على أعمالنا ثماسين ومصابحين ، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإن مراسمتنا الشريفة وإن تأخر وقتها إلى أجل معدود ، وأمد ممدود ؛ ومضت أيام وليال ولها باب مسدود ، وعمل سببه غير مشدود - فلما كالتيف يتلاهى ثم إذا صمم لا يرجع ، وكالغمام تتقاذى مدد مدته ثم يجود فلا يقلع ؛ ولم نزل منذ فوض الله أمور بلاده إلينا ، وصرف أمور جمهور عباده بيدنا ، نرى أن نحي غاباتها بأشد الأسود ، ونزى غاباتها بن هو لأمر ما يسود ؛ ونحوط جنباتها بمن لا يستريح حرمه إلا الوفود ، ونحط ركائب رعاياها منه على من هو المقصود ؛ وننصب إلى ما يترجح من مصالحهم لدينا ، ونستدب لمن يترجى الحسنى إذا عرضت متجددات أمورهم علينا ؛ وإذا انفرد بحكم لا يظن إلا أنه بسمع من أذنيننا ، ومرأى من عينيننا ؛ لأن ثواب الممالك الشريفة فروع عدلنا الشريف ونحن أصلها ، وأسباب إحساننا بأوامرنا المطاعة قطعها ووصلها .

وكانت حصص المحروسة من أكبر الممالك القديمة ، والمحدث العظيمة ؛ تترقق الأقاليم في مدنها ، وتمتد عساكرها فتعد حماة حماة من جندها ؛ وهي من الشام المحروس في مائتي مائة ، وبحر عواليه وبحرى سوايقه وتجمع كتابه ؛ طالما كان بها الحرب يمحلا ، وطالما سابت بها الرجال آجالا ؛ وكان لنا بها في الحرب يومان عوضنا الله أذاهما بما حفظت المعارك ، وضافت الأرض بدماء القتلى ففاض إلّا

السَّاءَ مَا أَلْتَقَى^(١) بِالشَّقِيقِ مِنْ [تِلْكَ الْمَسَالِكِ] ، وَأَتَّصَلْتُ بِالْبَرِّ وَالْبَحْرِ مِنْ جَانِبَيْهَا ،
وَأَتَّصَفْتُ بِأَنِّهَا مَهَبُ الرِّيحِ ، وَمَرْكَزُ الرِّيحِ ، لِمَا يَهْبُ لَنَا مِنْ بُشْرَى النَّصْرِ وَيَحْفِقُ
مِنْ عَصَائِبِنَا الْمَنْصُورَةِ عَلَيْهَا .

فَلَمَّا تَطَاوَلَ الْأَمَدُ عَلَى خُلُوقِهَا مِمَّنْ يَتُوبُ عَنِ السُّلْطَنَةِ الشَّرِيفَةِ فِي أَحْكَامِهَا ،
وَيَتُوبُ إِلَى تَسْخِيدِ مَرَامِي سِيَاهِهَا ؛ لَمْ تَزَلْ آرَافُنَا الْعَالِيَةُ تَجُولُ فِيمَنْ يَصْلُحُ أَنْ
يَقْدِمَ قَدَمَهُ إِلَى رَتَبَتِهَا الْعَالِيَةِ ، وَيُجَرِّدَ مِنْهَا عَزَائِمَ الْمَشْرِفَةِ ؛ وَيَجْمَعُ بِهَا عَلَى طَاعَتِنَا
الشَّرِيفَةِ مَنْ فِيهَا مِنَ الْعَسَاكِرِ الْمَنْصُورَةِ ، وَالْقَبَائِلِ الْمَشْهُورَةِ ، وَالطَّوَائِفِ الْمَذْكُورَةِ ،
وَيَسُطُّ سِيَاطَ الْعَدْلِ فِي كَافَّةِ جُنُودِهَا وَرِعَايَاهَا فَإِنَّهَا بِهِؤُلَاءِ مَحْرُوسَةٌ وَبِهِؤُلَاءِ
مَعْمُورَةٌ - قَرَأْنَا أَنَّ أَوَّلَى مَنْ حَكَّمَ فِي عَاصِمِهَا وَالْمُطْعِمِ ، وَأَتَّخَذَ لِسُورِيَا السُّورَ الْمُنْبَعِ ؛
مَنْ هُوَ الْمَوْتُوقُ بِمَا أَمَضَّتِ السُّيُوفُ مِنْ هِمِّهِ ، وَأَرْضَتِ التَّجَارِبُ مِنْ سَوَائِقِ
خِدْمِهِ ؛ وَطَارَتْ شُمْعَةُ شُكْرِهِ فِي الْآفَاقِ ، وَطَلَبَتْ أَشْيَتُهُ بِغَايَتِهَا بِمَا يُعْرِفُ مِنَ
الطَّرِبِ لِإِسْحَاقِ ؛ وَكَانَ قَدْ تَقَدَّمَتْ لَهُ فِي عَيْنَتَابِ ، نِيَابَةُ كَمْ أَصَابَهُ فِيهَا رَجُلٌ بِالْعَيْنِ^(٢)
ثُمَّ إِنَّهُ مِنَ الْعَيْنِ تَابَ ؛ وَقَامَ بَيْنَ أَيْدِي كِفَلَاءِ مَمَالِكِ الشَّرِيفَةِ حَاجِبًا ، وَفَهُمْ مِنْ
أَحْكَامِهِمُ الَّتِي تَلَقَّوْهَا مِنَّا مَا أَصْبَحَ لَهَا صَاحِبًا ؛ فَا لِنِّيَابَةِ إِحْكَامِ أَحْكَامِ إِلَّا وَهُوَ
بِهِ عَالِمٌ ، وَلَا تَوَلِيَةَ حُكْمِ إِلَّا وَقَدْ اسْتَحَقَّهَا لِقُرْبِ مَا بَيْنَ الْحَاجِبِ وَالْحَاكِمِ .

وَكَانَ فَلَانٌ هُوَ الْمُرْتَضَى لِلْبَيْتِ هَذِهِ الْمَقَانِرِ ، وَالْمُنْتَظَرُ الَّذِي كَمْ تَرَكَ الْأَوَّلُ فِيهِ
لَا يَحِرُ - فَاقْتَضَتْ مَرَّاسِمُهَا الْمُطَاعَةُ أَنْ يُرَازَ جَيْدُهُ بِهَذَا التَّقْلِيدِ ، وَيُلْقَى إِلَيْهِ الْمَقَالِيدُ ؛
وَيُمَدِّدُ هَذِهِ الرِّتَبَةَ لَتَلْقِيَهُ ، وَتَخْفَضَ عَنْقُ هَذِهِ الْمَرْتَبَةِ لَتَرَقِّيَهُ ؛ وَتَحْوِلَ إِلَيْهِ هَذِهِ النِّعْمَةُ

(١) يياض بالأصل .

(٢) هو إسحاق بن إبراهيم الموصل مثنى الخلفاء المشهور .

التي أَلَحَّتْ قَدْرَهُ بِالْأَكْفَاءِ ، وَأَهْلَتْ هِمَمَهُ لِلْكَفَاءِ ؛ وَشَرَفَتْ مَكَانَهُ بِمَا أَجْمَعَتْ
عليه أَرَاؤُنَا الشَّرِيفَةُ لَهُ مِنَ الْأَصْطَفَاءِ ، وَأَحْسَنْتَ بِهِ الظَّنَّ لَمَّا رَأَتْ نَيْتَهُ الْجَبِيلَةَ
مُمَثِّلَةً مِنْ خَاطِرِهِ فِي مِرْآةِ الصَّفَاءِ .

فُرْسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لَا زَالَ مَرْفُوعًا بِهِ كُلُّ عِلْمٍ ، مَمْنُونًا بِهِ حَيُّ كُلِّ حَرَمٍ -
أَنْ تُفَوِّضَ إِلَيْهِ نِيَابَةُ السُّلْطَنَةِ الشَّرِيفَةِ بِمُحَصَّ الْمَحْرُوسَةِ وَأَعْمَالِهَا ؛ وَجُنْدُهَا وَعُمَلُهَا ،
وَعَسَاكِرُهَا وَعَشَائِرُهَا ؛ وَعَامِرُهَا وَغَامِرُهَا ، وَأَوَّلُهَا وَآخِرُهَا ؛ وَدَانِيَا ، وَقَاصِيَا ؛ وَكُلَّ
مَا فِي حُدُودِهَا الْأَرْبَعِ ، وَدَاخِلِي فِي جِهَاتِهَا الْمُتَمَتِّعِ ؛ عَلَى أَكْمَلِ مَا جَرَتْ بِهِ عَوَائِدُ مَنْ
تَقَدَّمَ ، وَاسْتَقَرَّتْ عَلَيْهِ الْقَوَاعِدُ الْمُتَقَدِّمَةُ .

فَاتَّقِ اللَّهَ فِي أُمُورِكَ ، وَاجْعَلِ الشَّرْعَ الشَّرِيفَ مِشْكَاتَةَ نُورِكَ ، وَعَظْمَ حُكْمَانِهِ ،
وَنَفْذَ أَحْكَامِهِ ، فَهُمْ أَمْنٌ سُرُوكَ . وَأَعْدِلْ فَهُوَ قَرَارُ خَوَاطِرِ جُمْهُورِكَ ، وَتَبْقِظْ
لِسَدَادِ سِدَادِ نُفُورِكَ ، وَأَرْفُقْ لِتَطْلُقَ بِهِ نُطْقُ نِطَاقِ شُكُورِكَ . وَأَقِمِ الْحُدُودَ فَإِنَّهَا
زِيَادَةٌ فِي أَجُورِكَ . وَأَمَّا الْعَسَاكِرُ الْمَنْصُورَةُ ، فَحَمِّلْ بِهِمْ فِي خِدْمَتِنَا الشَّرِيفَةِ مَوَائِكَ ،
وَكُلَّ بَزَائِمِهِمْ مَضَارِبَكَ ؛ وَلَا تَسْتَخْدِمْ مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ يَسُرُّكَ أَنْ تَرَاهُ فِي يَوْمِ الْعَرْضِ ،
وَتَعْقِدَ هَوَادِي جِيَادِهِ السَّمَاءَ بِالْأَرْضِ ؛ وَأَحْمِ أَطْرَافَ بِلَادِكَ مِنْ عَادِيَةِ الرِّجَالِ ،
وَأَحْفَظْ جَانِبَيْهَا مِنْ تَحْطِيفِ النَّارَاتِ فَسِرْقَابُهَا [لَا يَدْفَعُهُ] غَيْرُ احْتِيَالٍ ؛ وَأَهْمُ بِالْجِهَادِ
تَحْتَ صَنَاجِقِنَا الْمَنْصُورَةِ لِأَعْدَاءِ اللَّهِ تَعَالَى أَجْمَعُوا ، وَضَرَسُوهُمْ بِأَنْيَابِ أَسْنَانِكَ فَإِنَّ
صَاحِبَ الْعَصَا وَهِيَ تَتَلَقَّفُ مَا صَنَعُوا ؛ وَعَمَّرَ بِلَادَهَا بِمَلَاحِظَتِكَ الْجَبِيلِ ، وَتَمَّ أُمُورَهَا
فَهِيَ قِيَامُ الْجُنُودِ وَهُمْ إِلَى الثِّقَةِ فِي النَّصْرِ الْوَسِيلَةُ ؛ وَسَارِعْ إِلَى مَا تَرَدُّ بِهِ مَرَامِنَا
الشَّرِيفَةُ عَلَيْكَ لِتَهْدِيكَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ، وَتُعْجِلَ الْبَرِيدَ فَإِنَّكَ تَعْلَمُ بِهِ مَا لَسْتَ بِعَلِيمٍ ؛

وَبَقِيَ الصَّوَابُ لِحَاجَةِ إِلَيْهَا لَمَّا تَعَرَفَهُ مِنْ قَدِيمٍ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَمْتَلِكُ بِكُلِّ خَلْقٍ كَرِيمٍ ؛
وَالْخَطُّ الشَّرِيفُ أَعْلَاهُ

النِّبَاةُ الثَّانِيَّةُ — نِيَابَةُ الرَّجَبَةِ .

وهذه نسخةٌ بِنَايَتِهَا :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَمَدَّنَا بِتَضَرُّعِهِ ، وَشَمِلَ بِجُودِ سُلْطَانَتِهِ أَهْلَ عَصْرِهِ ؛ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودِ أَوَّلَمَا
مُتَّصِلٍ بِأَوَّلِ عِرَاقِهِ وَأَخْرَجَهَا بِأَخْرِ مِصْرِهِ ، وَفَرَّقَ بَيْنَهُمَا الْأَعْدَاءَ فِي حَوَاصِلِ الطَّيْرِينِ
حِضْنِهِ وَخَصْرِهِ .

تَحْمَدُهُ حَمْدًا يَقُومُ بِشُكْرِهِ ، وَيَحَافِظُهُ عَلَى حُسْنِ ذِكْرِهِ ، وَيُسْتَعَاذُ بِهِ إِلَّا مِمَّا يُدْمِرُ
عَلَى الْعِدَا مِنْ عَوَاقِبِ مَكْرِهِ ؛ وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً تُرْغِمُ
مَنْ جَادَلَهُ بِكُفْرِهِ ، وَتُزَكِّيهِ بَيْنَ كُلِّ نَآبِ سَيْفٍ وَطُفْرَةٍ ؛ وَنَشْهَدُ أَنْ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ
وَرَسُولُهُ أَرْسَلَهُ مُقِيمًا لِأَمْرِهِ ، وَمُؤَيِّدًا فِي الْجِهَادِ لِأَعْمَالِ بَيْضِهِ وَنُومَرِهِ ، صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ حَمَلَةَ سِرِّهِ ، وَقَلَّةَ هَدْيِهِ بِأَسْرِهِ ؛ صَلَاةً بَاقِيَةً فِي الْوُجُودِ بَقَاءَ
دَهْرِهِ ، رَاقِيَةً أَرْتَقَاءَ زُهْرِهِ .

وَبَعْدُ ، فَإِنَّ الْغُفُورَ بَسَدَادِهَا ، وَالْجُحُورَ بِأَمْدَادِهَا ، وَالنُّحُورَ لَا تَحْمِلُ بِأَحْسَنَ مِنْ
حَلِيَّةِ نِجَادِهَا ؛ وَالْمَالِكُ الْحَرُوسَةَ لَا تُحْرَسُ إِلَّا بِشُيْبِ خُرْصَانِهَا ، وَلَا تُسْقَى بِأَنْفَعِ
مِمَّا يُطِيلُهُ مِنَ الدَّمَاءِ مُحِبُّ قُرْسَانِهَا ؛ وَالْقُرَاتُ لَا تُنْجَى مَوَارِدُهَا إِلَّا بِأَمْشَالِ سِيُوفِهَا
الْقَوَاضِبِ ، وَلَا تَنْجُو مَخَاضُهَا إِلَّا بِدِمِّ خَاضِبِ ، وَالْحَصُونُ لَا يَرْضَى بِهَا كُلُّ مَنَجْنِقٍ
غُضْبَانٍ إِلَّا بِوَسَالِ مُغَاضِبِ ، وَالْقَلَاعُ لَا تَسْطَلِعُ عِيُونُ دِيَادِهَا إِلَّا لِمَنْ مَاءُ الْكَرَى .

في جُفُونِهِ نَاصِبٌ ، وَالْمَعَالِ لَا تَسْمَعُ بِقَاتِلِهَا إِلَّا مَنْ هُوَ عَلَى خِطْبَتِهَا مُوَاطِبٌ ؛
وَكَانَتْ الرَّحْبَةُ - حَرَسَهَا اللَّهُ تَعَالَى - هِيَ أَوْسَعُ مَكَانٍ رَحَابًا ، وَأَذْنَى إِلَى مَطَرٍ سَحَابًا ؛
وَأَوْتَقَى مَا أَعْلَقَ عَلَى الْبِلَادِ بَابًا ، وَأَقْرَبَ مَا سَمِعَ حُرَامُهَا فِي السَّمَاءِ دُعَاءَ مُجَابَا ؛
قَدْ مُلِئَتْ سَمَائُهَا حَرَسًا شَدِيدًا وَشُبُهًا ، وَمَدَّتْ كَوَاكِبَ الدُّلُ وَاسْتَقَتْ مِنَ الْغَامِ
قُلُوبًا ؛ وَعَدَّتْ مَا وَرَاءَ الْحَجَرَةِ فُعِمَّتْ دُونَهَا الْمَسَالِكُ ، وَحُصِبَتْ لِلْمَلِكِ وَنُسِبَتْ إِلَى
مَالِكٍ ؛ وَمَالِكٌ - لَا أَعْنِي إِلَّا أَبْنَ طُوقٍ - خَازِنُهَا ، وَمَقَرُّ أَمْنٍ وَفِي غَابِ الْأُسْدِ
مَسَاكِنُهَا ؛ قَدْ وَقَفَتْ لِبَقْدَادَ فِي قِمِّ الْمِضْبِقِ ، وَهَمَّتْ بِلَادُ الْعِدَا أَنْ تَحْوِضَ الْفُرَاتِ
إِلَيْهَا فَقَالَتْ : مَالِكٌ إِلَى طَرِيقٍ ؛ قَدْ أَفْتَرِ فِي وَجْهِهِ الْمَسَاكِرِ الْمَنْصُورَةِ تَفَرُّهَا الضَّاحِكُ ،
وَرَدَّ قَرْنِ الشَّمْسِ فَرْعُهَا الْمُتَنَاسِكُ .

فَلَمَّا أَتَاهُ حُسَامُهَا الْمُسْلُولُ ، وَأَقْلَعَ عَمَامُهَا وَكُلُّ هَدْبٍ بِالْبَكَاءِ عَلَيْهِ مَبْثُولُ -
أَقْبَضُنِي رَأْيَا الشَّرِيفُ أَنْ نَجْتَدَ لَعْرُوسَهَا زَفَانًا ، وَلِيُوتِيَهَا أَفْوَانًا ؛ وَلِيُسَوِّفَهَا جِلَاءً ،
وَلِيُسْقِوَهَا إِعْلَاءً ؛ وَنُؤَلِّيَهَا لِمَنْ تَكُونُ هِمَّتُهُ فِيهَا جَدِيدَةُ الشَّبَابِ ، أَكِيدَةُ الْأَسْبَابِ ؛
لِيَكُونَ أَدْعَى لِمَصَالِحِهَا ، وَأَرْغَى لِمُنَاجِحِهَا ؛ وَأَوْعَى لِمَا يَجْمَعُهُ سَمْعُهُ مِنْ مَصَالِحِهَا ،
وَأُسْمَى فِي حَيَاةِ تَمَاسِيهَا وَمَصَابِيحِهَا ؛ وَكَانَ فَلَانٌ هُوَ أَصْلَبَ مَنْ فِي كَنَانِنَا الشَّرِيفَةِ
عُودًا ، وَالْجَزَّ وَعُودًا ؛ وَأَصْدَقُ رُعُودًا ، وَأَيْمَنُ إِذَا طَلَعَ نَجْمُهُ فِي أَفْقٍ سَعُودًا .

فَرَسَمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ أَنْ تَقْوِضَ إِلَيْهِ نِيَابَةُ الرَّحْبَةِ الْخُرُوسَةِ ، عَلَى عَادَةٍ مِنْ تَقَدَّمَ
وَقَاعِدَتِهِ [فَلْيَتَوَلَّى ذَلِكَ] مَقْدَمًا تَقْوَى اللَّهُ وَالْعَمَلُ بِمَا شَرَعَ ، وَاتِّبَاعَ مَرَامِنَا الشَّرِيفَةِ
فِيئَلَّهُ مَنْ أَتَّبَعَ ، وَحِمَايَةَ أَطْرَافِهَا ، مِنْ كُلِّ طَارِقٍ إِلَّا طَارِقًا يَطْرُقُ بَحِيرَ ، وَصِيَانَةَ أَكْنَافِهَا ،
مِنْ كُلِّ عِصَابَةٍ مُخْلِقَةٍ إِلَى جَوْهَا كَالطَّيْرِ ؛ وَحِفْظَهَا مِنْ عَادِيَةِ كُلِّ أَفَّاكٍ وَسَفَّاكٍ ، وَبَادِيَةِ
أَعْرَابٍ وَأَتْرَاكٍ ؛ وَكُلِّ فَارَسٍ قَرَسٍ وَرَاكِبٍ بَعِيرٍ ، وَكُلِّ وَقْفَةٍ مُحَاصِرٍ وَحَقْفَةٍ مُغِيرٍ ؛

وَجَانِيَّ بَرٍّ وَبَجِيٍّ : فِي أَحَدِهِمَا الْمَسَالِكُ تَعَمَّى وَالْآخَرُ لَا يَبْصُرُ ، وَصَاحِبِي سَرٍّ وَجَهَرٍ : هَذَا تَحْصِيٌّ لَهُ عَاقِبَةُ كَلَامٍ وَهَذَا مُعَاقِبَةُ كَلَامٍ .

وَلِيَحْطُفَ مِنَ الْأَخْبَارِ مَا تَلَمَّحَ لَدَيْنَا بِوَارِقِهِ ، وَيَتَقَطَّفَ مِنَ الْأَهْوَالِ ثَمَرَاتِهَا وَلَا يَدَّعِ كُلٌّ مَا تَجَمَّعَ حَدَائِقُهُ ، وَلِيَجْعَلَ لَهُ مِنَ الْمُنَاصِحِينَ طَلَانِعَ مَا مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ هُوَ فِي آتِيهَا مِنَ الْأَخْبَارِ أَبُو الْفَارَاتِ ، وَمَنْ إِذَا أَلْجَسَهُ الْخَوْفُ كَانَ لَهُ فِي تَلَجِّ الْبُرُوقِ إِشَارَاتٌ ؛ وَلِيَتَّخِذَ مِنَ الْكَشَافَةِ مَنْ يَسْبِقُ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْهِ طَرْفُهُ ، وَمَنْ انْخِلَالَةٍ مِنْ لَا يَرْتَدُّ عَنْ وَفْدِ الرَّمَاكِ طَرْفُهُ ؛ وَمَنِ الْقَصَادُ مَنْ لَا يَطْوِي عَنْهُ خَبْرًا ، وَمَنِ الدَّيَادِبِ مَنْ يُبِيرُهُ وَقَدْ أَنْ تَمَارَ الْعِيُونُ نَظَرًا ؛ وَلِيَحْفَظَ التُّجَّارُ فِي مَذَاهِبِهِمْ غُدُوءًا وَرَوَّاحًا ، وَمَسَاءً وَصَبَاحًا ، وَلِيَسْتَوْصِ بِهِمْ خَيْرًا فَإِنَّهُمْ طَالَمَا أَزْدَادَتْ بِهِمْ صُدُورُ الْخِزَانِ عَلَى أَمْتِلَانِهَا أَتِيسَارَاحًا ، وَلِيَأْخُذَ مِنْهُمْ مَا لَيْبَتْ الْمَالِ فَكَمْ وَجَدُوا بِعَطَانِهِ أَرْبَاحًا ، وَلِيُوصَلَ إِلَى أَرْبَابِ الْقَرَارَاتِ مَا لَمْ مِنْ مُقَرَّرٍ مَعْلُومٍ ، وَلِيُعْطِيَهُمْ مَا تَصَدَّقْنَا بِهِ عَلَيْهِمْ وَهُوَ مَشْكُورٌ وَإِلَّا أَعْطَاهُمْ وَهُوَ مَذْمُومٌ ، وَلِيُعْمَرَ الْبِلَادَ بِتَوَطُّينِ أَهْلِ الْقُرَى ، وَإِنَامَتِهَا بِالْعَدْلِ مَلَانَةً الْجُفُونِ مِنَ الْكُرَى ؛ وَلِيَكُنْ لِلْفَرَاتِ مَتَقِفًا لئَلَّا يَطْفَأَ بِهَا النَّيَّارُ ، وَيَطْلُبَ بِمَدَى الْمُخَمَّرِ عَلَى سَكْرِهَا مِنَ السُّكْرِ الْخُمَارُ ؛ وَهَوَى عَلَى سَدِّهَا قَبْلَ أَنْ لَا يَقْدِرَ عَلَى مُقَاوَاةِ الْبَحَارِ ؛ وَيَتَقَدَّرَ مَبَانِيهَا فَإِنَّهَا مِنْ أَسْنَى مَا تَنْفَقُهُ الْأَبْصَارُ ، وَلِيَعْلَقَ زُرُوعُهَا لَتَكُونَ : ﴿ كَتَلِ زَرْعٍ أَخْرَجَ شَطَاؤُهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَظْلَمَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزَّعَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ﴾ وَلِيَعِفَّ فَإِنَّ الْعَفَافَ هُوَ الْغِنَى ، وَلِيُؤْمَنَ مِنْ يَلِيهِ فَإِنَّ الْأَمَانَ هُوَ الْمُنَى ؛ وَلِيُقَرَّ مَا اسْتَقَرَّ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ مِنْ صَلَاحٍ أَكْثَدَتْ أَوَاسِيهِ ، وَاصْبَحَ كُلٌّ مِنْ أَهْلِ الْحَانِينِ لَا يَهْرُ مِنْ أَخِيهِ ، وَلَا يَرْحُصُ لِأَحَدٍ فَيَا يَقْضُهُ لَا فِي عَاجِلِ أَمْرٍ وَلَا فِي تَرَاخِيهِ ؛ حَتَّى إِذَا كَشَفَتِ الْحَرْبُ عَنْ سَاقِهَا ، وَشَدَّتْ عَقْدَ نِطَاقِهَا ؛ فَلْيَكُنْ بِحَسَبِ مَرَّاسِمِنَا الشَّرِيفَةِ أَعْبَادُهُ فِي شَنْ كُلِّ غَارِهِ ، وَسَنْ كُلِّ مَاضٍ

مُرْهِقًا غِرَارَهُ ، وَجَوْسَ خَلَالِ دِيَارِ الْعِدَا وَأَخْطَافَ كُلِّ قَرَمٍ مِنْ دَارِهِ ، وَالْمُحْرِقَاتِ
الَّتِي لَا تُحْرِقُ نَبَاتًا حَتَّى تَنْسِبَ فِي ضُلُوعِهِمْ ، وَالْعِبَارَةِ فَهِيَ الزَّلَازِلُ الَّتِي تَنْسَاقُ مِنْهَا
مَبَانِي رُبُوعِهِمْ ، وَمُؤَالَاةُ الْبُعُوثِ : فَإِنَّ كُلَّ بَيْتٍ يَتَكْفَلُ بِسِتَاتِ جُمُوعِهِمْ ، وَالْعَمَلِ
بِكُلِّ مَا تَرَدُّ بِهِ مَرَامُ الْعَالِيَةِ ، وَالْمُؤَاصَلَةُ بِكُتُبِهِ الَّتِي تَرْفُضُ مَا سِوَى أَخْبَارِهَا
الْمُتَوَالِيَةِ ، وَإِرْسَالُ كُلِّ بَرِيدٍ وَحَامٍ مُخَلَّقٍ بِهِمَا : إِمَّا رِيحٌ ظَاهِرَةٌ وَإِمَّا رِيحٌ عَادِيَةٌ ،
وَاللهُ تَعَالَى يَقْرِبُ لَهُ الْغَايَاتِ الْمُنَادِيَةَ بِمَنْتِهِ وَكِرَمِهِ ! .

النِيبَةُ الثَّلَاثَةُ - نِيَابَةُ مِصْرَافٍ .

وهذه نسخة مرسومٍ يَنْبَأُ بِهَا :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَرَفَ مِمَالِكَنَا الشَّرِيفَةَ فِي الْمَمَالِكِ ، وَشَرَّفَ بِنَا كُلَّ حَضَنٍ
لَا تَمْرُضُ لَهُ الْحَجَرَةُ فِي الْمَسَالِكِ ، وَعَرَّفَ بِالْقَرِيبَةِ فِي خِدْمَةِ أَيْوَابِنَا الْعَالِيَةِ إِلَى أَيْنَ
يَقْبَى السَّالِكُ .

نَحْمَدُ عَلَى نِعَمِهِ الَّتِي نَعْتَدُّ بِهَا الْحَمْدَ مِنْ ذَلِكَ ، وَنَرْغِبُ أَنْ تَلْقَى اللَّهَ عَلَى أَدَاءِ الْأَمَانَةِ
فِيهَا كَذَلِكَ ؛ وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ فِيمَا هُوَ مَالِكٌ ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ
عِزَّهُ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي أَضَاءَ بِهِ كُلَّ حَالٍ حَالِكٍ ، وَانْجَمَى بِهِ مِنْ مَهَاوِي الْمَمَالِكِ ،
وَجَمَعَ بِهِ مِنَ الْأُمَّةِ مَا وَهَى وَغَى كَالْعَقْدِ الْمُتَهَالِكِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَتَحَنَّنَ
صَلَاةً يَجِدُ بِهَا قَائِلُهَا فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ كُلَّ هَنَاءٍ هُنَاكَ ؛ وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وَبَعْدُ ، فَإِنَّ النِّظَرَ فِي أُمُورِ الْمَمَالِكِ هُوَ أَقْوَلُ مَا يَهْتَمُّهُ الْمَلِكُ ، وَأَوَّلُ مَا يَتَقَدَّمُ إِلَيْهِ
مَنْ سَلَكَ ؛ وَمَمْلَكَةُ بَيْتِ الدَّعْوَةِ هِيَ مَنْ أَجَلَ مَا تَقَرَّرَتْ بِهِ مِمَالِكُ الشَّرِيفَةِ ،
وَامْتَدَّتْ بِهِ فِي الْأَمَّاكِينِ الْمُخَيِّفَةِ ؛ وَأُرْسِلَتْ مِنْ قِلَاعِهَا مِنْ يَتَقَلِّعُ الْعِدَا بِوُثُوبِهِ ،
وَيُسَاقِ السَّهْمَ إِلَى مَطْلُوبِهِ ؛ وَيَتَعَبَّدُ بِمُؤَالَاتِنَا الَّتِي وَرَثَهَا عَنْ سَلَفِهِ فِي طَاعَةِ أَيْمَتِهِمْ ،

وَعَلِمُوا بِهَا أَنَّ الدَّوْلَةَ الْعُلُوِيَّةَ مَا انْقَضَتْ حَتَّى أَنْتَقِلْتَ إِلَيْنَا الْوِلَايَةَ عَلَى شِعْيَتِهِمْ ؛
وَأَنَّ الْمُلْكَ الْإِسْمَاعِيلِيَّ فِينَا قَدْ انْخَصَرَ مِيرَاثُهُ ، وَأَنَّ كُلَّ مَنْ مَاتَ مِنَ الْخُلَفَاءِ الْفَاطِمِيِّينَ
- رَحِمَهُمُ اللَّهُ - نَحْنُ وَرَثَتُهُ ؛ فَهَمَّ بِهَذَا يَذْكُرُونَ نَفْسَهُمْ فِي الطَّاعَةِ الشَّرِيفَةِ الَّتِي يَرَوْنَهَا
فَرَضًا عَلَيْهِمْ ، وَيَلْفُونَ بِنَا أَعْلَى مَرَاتِبِ الْإِيمَانِ : لِأَنَّهُمْ إِذَا رَأَوْا مُنْكَرًا أَرَاؤُهُ
بَيْنَهُمْ ؛ كَمْ هَجَمُوا عَلَى عَدُوٍّ مِنْ أَعْدَاءِ اللَّهِ هَجْمَةً طَيفَ ! ، وَكَمْ اسْتَطَالُوا بِسِكِّينٍ
لَا يَتَطَاوَلُ إِلَى مِبَارَأَتِهَا مَسِيفَ ! ، وَكَمْ أَوْقَدُوا لَهُمْ بَارِقَةً عَزِمَ فُقِيلَ : هَذِهِ سِمَابَةٌ
صِيفَ ! ، وَلَمْ وَرَدُوا بِالْذَّمِّ خَدًّا غَدًّا يَنَادِي : يَا كِرَامَ الْوَرْدِ ضَيْفَ ! . وَكَانَتْ
مُضْيَافَ - حَرَسَهَا اللَّهُ تَعَالَى - هِيَ كُرْسِيٌّ هَذِهِ الْمَمْلَكَةُ ، وَقَلَمُهَا هِيَ الَّتِي بِذَوَاتِهَا
الْجُوزَاءُ مُتَمَسِّكَةٌ ، وَأَقْضَتْ مَرَاتِبُنَا الْمُطَاعَةَ قَوْلَ النَّائِبِ بِهَا إِلَى مَا رَسَمْنَا بِهِ الْآنَ ،
نَخْلَتْ مِمَّنْ يَتَرَقَّى فِيهَا إِلَى أَعَزِّ مَكَانٍ ، وَاحْتَاجَتْ إِلَى مَنْ تَقْنَى بِهِ عَمَّا يُقَالُ : مِنْ
أَعْقَالٍ رُخٍّ وَتَجَرُّدٍ سَنَانٍ .

فَحَصَلَ الْفِكْرُ الشَّرِيفُ فِيمَنْ تَقَلَّدَهُ هَذِهِ النِّيَابَةُ ، وَيَتَقَلَّدُ أَمْرَ هَذِهِ الْعِصَابَةِ ؛
وَيَتَصَرَّفُ فِي أُمُورِهَا بِمُقْتَضَى مَا تَرِدُ بِهِ مَرَاتِبُنَا الْمُطَاعَةَ ، وَيُعْلَمُ أَنَّهُ مِنْ شِعْيَتِنَا :
لِأَنَّهُ دَاعِيَانَا فِي هَذِهِ الْجَمَاعَةِ ؛ فَرَأَيْنَا أَنَّ أَحَقَّ [النَّاسِ بِهَا] مِنْ قَدَمِهِ وَلَأَوُّهُ ، وَعَظَمَتِهِ
أَتَمُّاؤُهُ ؛ وَنَبَّهَ عَلَيْهِ أَهْيَآمُ هِمَمِهِ الَّتِي لَا تُشَابِهُهَا الْكَوَاكِبُ فِي سَيْرِهَا ، وَعَزَائِمُهُ الَّتِي
طَالَمَا كَانَ بِهَا فِي خِدْمَتِنَا الشَّرِيفَةِ «يَظَلُّ بِمَوَاقِفٍ وَيُحْيِي بِغَيْرِهَا» ؛ وَلَمْ تَزَلْ بِهِ مَسَاعِيهِ
حَتَّى وَصَلَ إِلَى الْمَزِيدِ ، وَأَسْرَعَ لَهُ الشَّيْبُ فِي طَاعَتِنَا الشَّرِيفَةِ : لِأَنَّهُ فِي كُلِّ وَقْتٍ
[كَانَ] يَسْمَعُ قَعْقَعَةَ بِلَامِ الْبَرِيدِ ؛ وَكَانَ فَلَانٌ هُوَ الَّذِي أَشَارَ إِلَيْهِ الْقَوْلُ بِوَصْفِهِ ،
وَدَلَّ عَلَيْهِ تَنَاقُؤُهُ بِعَرَفِهِ .

فَرَسَمَ أَنْ تَقْوَضَ إِلَيْهِ النِّيَابَةُ بِمِصْيَافٍ وَأَعْمَالِهَا ، عَلَى عَادَةٍ مِنْ تَقَدُّمِهِ وَقَاعِدَتِهِ .
فَلَقَدِمَ تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى فِيمَا وَرَثَتِهِ ، وَلَيَنْشُرَ جَنَاحَ عَدْلِنَا الشَّرِيفِ عَلَى مَنْ يَلِيهِ ، وَلَيَعْمَلَ

بِالأحكام الشرعية في كل ما يقضي به ، ونسلك في أهلها أَوْحَحَ المَرِاشِد ، ونبين
 لهم أَنَّهُ يدعوهم إلى سبيل الرشاد إلا ما أَدعاه راشد ؛ ولِيُوصَلَ إلى المجاهدين
 أَرْزَاقَهُم التي هي أَمَانُ نفوسهم ، ونِمَارُ مَادَتِي القَطَافِ من رُءُوسِهِمْ . وأهل
 من مات أو يموت منهم على طاعتنا الشريفة فكُنْ عليهم مَتَّعَظًا ، وَمَنْ طلب
 منك الإِنصَافَ فَكُنْ لَهُ مُنصِفًا ؛ وَأَفْعَلْ معهم أَحْسَنَ الأَسْوَةِ ، وَقُلْ لَهُمْ عَنَّا : إِنَّ
 الصَّدَقَاتِ الشَّرِيفَةِ قَدْ اسْتَجَابَتْ لَكُمْ يَا أَهْلَ الدَّعْوَةِ ؛ وَخُذْ بِقُلُوبِهِمْ ، لِتَزَادَ مِنْ
 حُبِّهِمْ ، وَقُلْ لِلْمُجَاهِدِينَ : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ
 عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ . وَالْأَمْوَالُ فَضْنُهَا مِنَ الضَّيَاعِ ؛ وَعِمَارَةُ الْبِلَادِ عَلَيْكَ بِهَا فَإِنَّ الْقَلْعَةَ
 لَا تَكُونُ إِلَّا بِالْمَدِينَةِ وَالْمَدِينَةُ لَا تَكُونُ إِلَّا بِالضَّيَاعِ ؛ وَأَمْتِثَالُ مَرَامِسِنَا الشَّرِيفَةِ وَكُلُّ
 مَا يُرْسَمُ بِهِ سَارِعٌ إِلَى اعْتِمَادِهِ ، وَطَائِفَةُ الْمُجَاهِدِينَ لَا تَدْعُ مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ هُوَ مُعْتَدٍ
 لِحُجَاهِهِمْ ؛ وَالْكَثْمَانُ الْكَثْمَانُ ! فَهَذَا سُأَلُ الْمُطَالِبِ ، وَتَذَكُّرُ الْمَارِبِ ؛ وَعَلَيْكَ بِقَمْعِ
 الْمُفْسِدِينَ ، وَرَدِّعِ الْمُعْتَدِينَ ، وَإِقَامَةِ الْحُنُودِ : فَإِنَّ بِهَا أَقَامَ اللَّهُ هَذَا الدِّينَ ؛ وَنَحْنُ
 نَفْتِنِي بِمَا فِيكَ مِنَ الْمَعْرِفَةِ ، وَبِمَا أَنْتَ عَلَيْهِ - بِحَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى - مِنْ كَيْلِ كُلِّ
 صَفَةٍ ، عَنْ اسْتِعْيَابِ الْوَصَايَا الَّتِي لَمْ تَبْرَحْ سَجَايَاكَ بِهَا مُتَّصِفَهُ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَزِيدُكَ
 مِنْ كُلِّ نَوْعٍ أَشْرَفَهُ ؛ وَالْخَطُّ الشَّرِيفُ أَعْلَاهُ



وَأَمَّا الصَّفَقَةُ الشَّامِيَّةُ ، فَالَّذِي يُوَلِّي بِهَذِهِ الصَّفَقَةَ عَنْ الْأَبْوَابِ السُّلْطَانِيَّةِ ،
 نِيَابَةُ بَعْلَبِكَ فَقَطْ . وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي الْكَلَامِ عَلَى تَرْتِيبِ الْمَمْلُوكَةِ الشَّامِيَّةِ أَنَّهَا كَانَتْ
 أَوَّلًا أَمْرَةً عَشْرَةَ ، ثُمَّ صَارَتْ طَبْلَخَانًا ، وَأَنْ نَائِبَ الشَّامِ يُوَلِّي بِهَا ، وَرَبْمَا وَلِيَتْ
 مِنَ الْأَبْوَابِ الشَّرِيفَةِ السُّلْطَانِيَّةِ . وَحِينَئِذٍ فَيَكُونُ مَرْمُومُ نَائِبِهَا فِي قَطْعِ الثَّلَاثِ
 بِ«الْمَجْلِسِ السَّامِيِّ» بِالْبَاءِ .

وهذه نسخة مرسوم نبأ به بعلبك :

أما بعد حمد الله على أمل حقق مثاه ، وصدق غناه ، وفرق عليه محب اعتنايه
أورق به عوده وطاب جناه ؛ والصلاة والسلام على نبيه سيدنا محمد الذي كل بناه ،
وعلى آله وصحبه ما شيد معقل نغار مبناه - فإن من أعظم مدن الشام القديمه ، ودور
الملك التي ذهب من يحلها من الملوك وبقيت آثاره مقيمه ، مدينة بعلبك وهي التي
تحصن الإسلام بقلعتها ، وتحصل الرعب في قلوب الأعداء [بمعناها] بنيت على عهد
سليمان بن داود عليهما السلام وأتقن بناؤها ، وهالت أسوارها حتى نُسب إلى صنعة
الحن بناؤها ؛ ودعيت السماء عمدها ، فطالت شرفها حتى كادت تُخضخض في بحل
السحاب بدها ؛ وجمعت تحاسن في سواها لا تُوجد ، وتقر بملكها من الملوك :
نارة سعيدا ونارة أجد ؛ وما خلت من علماء عظيمي الشأن ، وصلاح يلمهم
الجبيلان : سيس ولبنان ؛ وهي باب دمشق المفتوح ، ومحاب الأنواء المسفوح
بالسفوح ؛ وباب البروق التي آلت أنها بأسرارها لا تبوح ، ومآب السفارة التي تفدو
محملة أوقار ركائبها وتروح ؛ ولها العين المسئلة الرواتب ، والجلال الراسية الوقار
لمفريقها الشائب ، العالية الذرى ... من قطع السحاب ؛ و[لما] كان من فيها الآن
ممن لا تستغني الدولة القاهرة عن قره ، ولا تستغني أحدا معه في تجرده سيفه
المشهور من قره ، أجلا الرأي في كفيه لعروسها ، ومما نل لمركر تأود غروسها ،
فلم يحد أدري بأحوالها ، وأدرب بما يؤلف على الطاعة قلوب رجالها ، كن استقر به
فيها مع أبيه الماضي - رحمه الله - الوطن [ونالا منه الوطر] ، وممرت [عليهم فيه]

(١) يباض بالأمل والتصحيح من المقام .

(٢) » » ولله : التي كانت مظنة من الخ .

سنون وأيام هفت بها دای قصر؛ ولا غنى [عنه] مع ماله من ولايات صحب فيها الناس وفارقهم على وجه جميل، ورافقهم ثم أنصرف وأنصرفوا عنه وما دمه في النازلين تزيل؛ وكان فلان هو المتوقد الشهاب، المتوقل في تلك المضارب؛ المشكور قولاً وديناً، المشهور بوضع كل شيء في موضعه شدةً ولينا .

فلذلك رسم ... - لا زال إحسانه أحمد وأختياره مقدماً - أن يرتب في نيابة بعلبك على عادة من تقدمه وقاعدته، مبتدئاً حسن النظر في الأمور العامة، لا يدع ظلامه، ولا يدع سالك طريق إلى سلامه، ولا يعد سماعاً إلا لسمع شكر لا ملامه؛ وليتصرف في المظالم نظراً ينجي به سدفها، وليشكر العشير توطياً يوطأ به هدفها؛ وليلاحظ الأمور الديوانية بما ينمى به أموالها، ويندى بسحابه المتدفق أحوالها . والأوقاف فليشارك وإقيها في إحسانهم، وليجرح حسنتها على ما كانت عليه في زمانهم؛ وليكن لها نعم الكفيل في دوام المحافظة وليتقّد ما فيها من الحواصل والزردخانة مما يذخر لوقت، ويؤخر لفرط الشغف به لالمقته . ومن أهم ما يحتفظ به قلوب الرجال، وعبرة الأسوار فإنها للفرسان المقاتلة مجال، وعليها تنصب المجانيق وتخطف الأجال . وأما الشريعة المطهرة : فإن من تعدى غرق أو أوشك أن يغرق، وأتباع أوامرها : وإلا فقيم يعدب من يعدب ويحرق من يحرق؛ وتقوى الله تعالى هي الوصية الجامعة، والتذكرة التي ترتد بها الأبصار خاشعة، وليفهم هذه الوصايا ولا يخرج شيئاً منها من قلبه، وليتبين معانيها ليكون بها على بينة من ربه؛ والله تعالى يكشف عنه غطاء حجبته، ويرعه عما يأخذه ويؤاخذه من نيسه؛ إن شاء الله تعالى .

الصف الثاني^(١)

(ممن [هم] خارج دمشق : ممن يؤتى عن الأبواب السلطانية -
أمرأء العربان ، وهم على طبقتين :)

الطبقة الأولى

(من يُكْتَبُ له منهم تقليدٌ في قَطْع النِّصْف بـ«المجلس العالي» وهو أمير آل
فَضْل خاصَّة : سواءً كان مستقلاً بالإمارة أو شريكاً لغيره فيها)

وقد تقدّم في الكلام على ترتيب الملكة الشامية قفلاً عن «مسالك الأبصار»
أنّ ديارهم من حصص ، إلى قلعة جعبر ، إلى الرّجّة ، آخذين على شِقْرِ القُرات وأطراف
المِراق .



وهذه نسخةٌ تقليديّةٌ بإمرة آل فَضْل : كُتِبَ به للا مير شجاع الدين « فضل بن
عيسى » عوضاً عن أخيه مُهنّا ، عند ما خرج أخوه المذكور مع قرا سقر الأفرم
ومن معهما من المتسحجين ، وأقام [هو] بأطراف البلاد ولم يُقارِق الخُدَمة ، في شهور
سنة آتت عَشْرَة وَسَبْعِيّاتِه ، من إنشاء الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي ، وهو :

الحمد لله الذي مَنَحَ آل فَضْل في أيماننا الزاهرة بحسنِ الطاعة فضلاً ، وقَدَّمَ عليهم
بقديم الإخلاص في الولاء من أنفُسِهِم مُتَّجَاعاً يَجْمَعُ لهم على الخُدَمة أُلْفَةً وَيَنْظِمُ لهم
على المخالصة شَمْلًا ؛ وَحَفِظَ عليهم من إعزازِ مكان بيتهم لَدَيْنَا مكانةً لَا تَنْقُصُ
لها الأَيامُ حُكْمًا وَلَا تَنْقُصُ لها الحوادثُ ظِلًّا .

(١) لم يتقدّم تقسيمه الى أصناف ولعل مراده أن ما تقدّم من التولية في الصفقات صف أول وهذا

نحمده على نعمه التي تملأت برئنا، الحضر والبُدو، وألهمت بسُكْرنا، ألسنة العجم
في الشدو والعرب في الحدو، وأعلمت في الجهاد بين ديننا من البعلات ما يُأري
بالنص والعتق الصافات في الخبي والمُدو، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده
لا شريك له شهادة تدرأ بها الأمور العظام، وتُقلد يُمنها ما لهم من مصالح الإسلام لمن
يُحري بتديره على أحسن نظام، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله المبعوث من أعلى
ذوائب العرب وأشرفها، المرجو الشفاعة العظمى يوم طول عَرْض الأُمم وهول
موفيقها، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين كُرم بالوفاء أنسابهم، وأضاعت
بتقوى الله وجوههم وأحسابهم، صلاة لا تزال الألسن تُقيم نداءها، والأقلام تُرقم
رداءها، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد، فإن أولى من أجتته الطاعة مرة إخلاصه، ورَفَعته المخلصه إلى أُنس
رُب تقرّبه وأختصاصه، وألف بمبادرته إلى الخدمة الشريفة قلوب القبايل وجمع
شملها، وقلده حسن الوفاء من أمر قومه وإمرتهم ما يُستشهد فيه بقول الله تعالى :
(وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا) - من ارتقى إلى أُنس رُب دنياه يحفظ دينه ، ودل
تمسكه بإيمانه على حجة إيمانه وقوة يقينه ، ولا حظته عيون السعادة فكان في حزب
الله الغالب وهو حزبنا ، وقابلته وجوه الإقبال فأرته أن المغنوّ من فاته تقرّبنا
وقربنا ، ورأى إحساننا إليه بين لم يطرفها الجحود ، ولم يطرفها إعراض السُعود ،
فسلك جادة الوفاء وهي من أبن الطرُق طريقا ، وأقننى في الطاعة والولاء بمن قال
فيهم بمثل قوله : (وَحَسَنَ أَوْلَئِكَ رَفِيقًا) .

ولما كان المجلس العالى ... هو الذى حاز من معادة الدنيا والآخرة بحسن الطاعة
ما حاز، وفاز من برنا وشكرنا بحيل المبادرة إلى الخدمة بما فاز، وعلم مواقع إحساننا

إِلَيْهِ فَعَمِلَ عَلَى اسْتِدَامَةِ وَلِيِّهَا ، وَأَسْرَادَةَ فَضْلِهَا ، وَالْأَرْثَوَاءَ مِنْ مَعْرِفِهَا الَّذِي بَاءَ بِالْخُرْمَانِ [منه] مِنْ تَخَرُّجٍ عَنْ ظِلِّهَا ، مَعَ مَا أَضَافَ إِلَى ذَلِكَ : مِنْ تَجَاعَةٍ تَبَيَّتْ مِنْهَا أَعْدَاءُ الدِّينِ عَلَى وَجَلٍ ، وَمَهَابَةٍ تُسْرِى إِلَى قُلُوبٍ مِنْ بَعْدٍ مِنْ أَهْلِ الْكُفْرِ سُرَى مَا قُرْبَ مِنَ الْأَجَلِ - أَقْتَضَتْ آرَاؤُنَا الشَّرِيفَةَ أَنْ نَمُدَّ عَلَى أَطْرَافِ الْمَسَالِكِ الْمَحْرُوسَةِ مِنْهُ سُورًا مَصْفُوعًا بِصِفَاحِهِ ، مُشْرِفًا بِأَسْنَةِ رِمَاحِهِ .

فَرُمُ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ الْعَالِي - لَا زَالَ يَقْلُدُ وَلِيَّهُ فَضْلًا ، وَيَمْلَأُ مِمَّا لَكَ إِحْسَانًا وَعَدْلًا - أَنْ يَفُوضَ إِلَيْهِ كَيْتٌ وَكَيْتٌ : لِمَا تَهْتَمُّ مِنْ أَسْبَابِ تَقْدِيمِهِ ، وَأُوِّىَ إِلَيْهِ مِنْ عَيْنَاتِنَا بِهَذَا الْبَيْتِ الَّذِي هُوَ سِرُّ حَدِيثِهِ وَقَدِيمِهِ ، وَلِيَامِنَا بِأَوْلَوِيَّتِهِ الَّتِي قَطَّبَهَا الشَّجَاعَةُ ، وَقَلَّكَهَا الطَّاعَةُ ؛ وَمَادَّتْهَا الدِّيَانَةُ وَالتَّقَى ، وَجَادَّتْهَا الْأَمَانَةُ الَّتِي لَا تَسْتَرِيهَا الْأَهْوَاءُ وَلَا تَسْتَفِزُّهَا الرُّقَى .

وَلِيَكُنْ لِأَخْبَارِ الْعَدُوِّ مُطَالِعًا ، وَلِنَجْوَى حَرَكَاتِهِمْ وَسَكَنَاتِهِمْ عَلَى الْبُعْدِ سَامِعًا ، وَلِدِيَارِهِمْ كُلِّ وَقْتٍ مُصْبِحًا حَتَّى يَظْنُوهُ مِنْ كُلِّ تَنْبِيَةٍ عَلَيْهِمْ طَالِعًا ؛ وَلِيُدِمَّ النَّاهِبُ حَتَّى لَا تَهْوِيَهُ مِنَ الْعَدُوِّ غَارَةٌ وَلَا غِرَّةٌ ، وَلِيُزِمَّ أَصْحَابَهُ بِالتَّيَقُّظِ لِإِدَامَةِ الْجِهَادِ الَّذِي جَرَّبَ الْأَعْدَاءُ [منه] مَوَاقِعَ سِيُوفِهِمْ غَيْرَ مَرَّةٍ ؛ وَقَدْ خَبَرْنَا مِنْ تَجَاعَتِهِ وَإِقْدَامِهِ ، وَسِيَاسَتِهِ فِي تَقْضِ كُلِّ أَمْرٍ وَإِبْرَامِهِ ؛ مَا يُغْنِي عَنْ الْوَصَايَا الَّتِي مَلَكَهَا تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى وَهِيَ مِنْ تَجَايَاهِ الَّتِي وُصِفَتْ ، وَخَصَائِصِهِ الَّتِي أُلْفِتْ وَعُرِفَتْ ؛ فَلْيَجْمَلْهَا مِرْآةَ ذِكْرِهِ ، وَفَاتِحَةَ فِكْرِهِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يُؤَيِّدُهُ فِي سِرِّهِ وَجَهْرِهِ ؛ بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ ! : إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



وهذه نسخة مرسومة شريفة بإمرة آل فضل ، كُتِبَ بِهَا لِلْأَمِيرِ حُصَامِ الدِّينِ «مُهَنَّأَ بْنِ عَيْسَى» مِنْ إِنْشَاءِ الشَّيْخِ شَهَابِ الدِّينِ عَمُودِ الْحَلِطِيِّ ، وَهِيَ :

الحمد لله الذى أَرْهَفَ حُسَامَ الدِّينِ فى طَاعَتِنَا بَيْدٍ مِنْ يُمْنِ مَضَارِبِهِ بِيَدَيْهِ ،
وَأَعَادَ أَمْرَ الْقَبَائِلِ وَإِمْرَتَهُمْ إِلَى مَنْ لَا يَصْلُحُ أَمْرُ الْعَرَبِ إِلَّا عَلَيْهِ ، وَحَفِظَ رُبَّةَ
آلِ عِيسَى بِاسْتِقْرَارِهَا لِمَنْ لَا يَزَالُ الْوَفَاءُ وَالشُّجَاعَةُ وَالطَّاعَةُ فِي سَائِرِ الْأَحْوَالِ مَنْسُوبَاتٍ
إِلَيْهِ ، وَجَعَلَ حُسْنَ الْعُقْبَى بَعَاثِنَا لِمَنْ لَمْ يَنْتَظِرْ الْعُدُوَّ إِلَى أَطْرَافِ الْبِلَادِ الْمَحْرُوسَةِ
إِلَّا وَرَدَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِتَصَرُّفِنَا وَتَجَاعَتِهِ عَلَى عَقِيهِ .

نَحْمَدُهُ عَلَى نِعَمِهِ الَّتِي مَا زَالَتْ مُسْتَحَقَّةً لِمَنْ لَمْ يَزَلِ الْمَقْدَمَ فِي صَهْبِنَا ، الْمَعُولَ عَلَيْهِ
فِي أُمُورِ الْإِسْلَامِ وَأُمُورِنَا ، الْمُعَيَّنَ فِيهَا تَطَوُّى عَلَيْهِ أَثْنَاءُ سَرَائِرِنَا وَمَطَاوِي صُدُورِنَا ،
وَنَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةٌ تُوجِبُ عَلَى قَائِلِهَا حُسْنَ التَّمَسُّكِ
بِأَسْبَابِهَا ، وَتَقْتَضِي لِلْخَلِصِ فِيهَا بَذْلَ النُّفُوسِ وَالنَّفَائِسِ فِي الْمَحَافِظَةِ عَلَى مَصَالِحِ أَرْبَابِهَا ،
وَتَكُونُ لِلْحَافِظِ عَلَيْهَا ذَخِيرَةً يَوْمَ نَتَقَدَّمُ النُّفُوسَ بِطَاعَتِهَا وَإِيمَانِهَا وَأَنْسَابِهَا ، وَنَشْهَدُ
أَنَّ مَجْدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْمُبْعُوثُ مِنْ أَشْرَفِ ذَوَاتِبِ الْعَرَبِ أَصْلًا وَفِرْعًا ، الْمَفْرُوضَةُ
طَاعَتُهُ عَلَى سَائِرِ الْأَتَمِّ دِينًا وَشَرْعًا ، الْمَخْصُوصُ بِالْأَيْمَةِ الَّذِينَ بَشُّوا دَعْوَتَهُ فِي الْآفَاقِ
عَلَى سَعْيِهَا وَلَمْ يَضِيقُوا لِحِمَاةِ اللَّهِ وَأَعْدَائِهِ ذَرْعًا ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
الَّذِينَ حَازُوا بِصُحْبَتِهِ الرُّتَبَ الْفَاحِرَةَ ، وَحَصَّلُوا بِطَاعَةِ اللَّهِ وَطَاعَتِهِ عَلَى سَعَادَةِ الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ ، وَعَلِمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ فَلَمْ يُزَجِّحْهُمْ عَنْ ظِلِّهَا الرُّكُونُ إِلَى
الدُّنْيَا السَّاحِرَةِ ، صَلَاةً تَقْطَعُ الْقَلَوَاتِ رَكَائِبُهَا ، وَتَسِيرُ بِسَالِكِي طُرُقِ النِّجَاةِ نَجَائِهَا ،
وَتَنْتَصِرُ بِإِقَامَتِهَا كَاتِبُ الْإِسْلَامِ وَمَوَاكِبُهَا ، وَسَلَّمٌ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنْ أَوَّلَى مِنْ تَلَقَّاهُ رُبَّتُهُ ، الَّتِي تَوْهَمُ إِعْرَاضَهَا بِإِيْمَنٍ وَجْهَ الرِّضَا ،
وَأَسْتَقْبَلَتْهُ مَكَاتَتُهُ ، الَّتِي تَحْيِلُ صُدُودَهَا بِأَحْسَنِ مَوَاقِعِ الْقَبُولِ الَّتِي تَقْضِمُنْتَ الْأَعْتِدَادَ
مِنَ الْحَسَنَاتِ بِكُلِّ مَا سَلَفَ وَالْإِعْضَاءَ مِنَ الْمَقَوَّاتِ عَمَّا مَضَى ، وَآتَتْ إِلَيْهِ أَمْرُهُ

التي خَافَتِ الْعَطْلَ منه وهي به حَالِهِ، وعَادَتْ مِثْلَهُ إِلَى مَا أَلْفَسَتْ لَدِينَا : مِنْ
مَكَانَةٍ مَكِينَةٍ وَعَرَفَتْهُ عِنْدَنَا : مِنْ رُتْبَةٍ عَلَيْهِ - مِنْ أَمْنٍ تَشْمُسُ سَعَادَتِهِ فِي أَيْمَانٍ مِنَ
الْعُرُوبِ وَالزَّوَالِ ، وَوَقَّعَتْ أَسْبَابُ نَعِيمِهِ بَأْنَ لَا يُرَوِّعَ مَرِيرُهَا فِي تَوَلُّنَا بِالْإِنْقَاضِ
وَلَا ظِلَالُهَا بِالْإِنْقِلَابِ ؛ وَأَعْتَنَتْهُ سِوَابُ طَاعَتِهِ الْمُحْفُوظَةُ لَدِينَا عَنْ تَوَسُّطِ الْوَسَائِلِ ،
وَأَحْتَجَّتْ لَهُ مَوَاقِعَ خِدْمَتِهِ الَّتِي لَا تُجْحَدُ مَوَاقِفُهَا فِي نِكَايَةِ الْأَعْدَاءِ وَلَا تُشْكِرُ شُهُرُهَا
فِي الْقِبَالِ ؛ وَكَفَلَ لَهُ حُسْنُ رَأْيِنَا فِيهِ بِمَا حَقَّقَ مَطَالِبَهُ ، وَأَحْمَدُ عَوَاقِبِهِ ، وَحَفِظَ
لَهُ وَعَلَيْهِ مَكَانَتَهُ وَمَرَاتِبَهُ ؛ فَاتَّوَهَّمُوا الْأَعْدَاءُ أَنَّ بَرْقَهُ ، خَبَا حَتَّى لَمَعَ ، وَلَا ظَنُّوا أَنَّ
وَدَقَّهُ ، أَقْلَعَ حَتَّى هَمَى وَهَمَعَ ، وَلَا تَحَلَّلُوا أَنَّ حُسَامَهُ تَبَا ، حَتَّى أَرْهَقَتْهُ عَنَابُنَا خَيْثُمَا
حَلَّ مِنْ أَوْصَالِهِمُ قَطْعٌ ؛ وَكَيْفَ يُضَاعُ مِثْلُهُ ؟ وَهُوَ مِنْ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ الَّتِي لَا تَنْزِلُ
الْأَهْوَاءُ وَلَا تَرْفَعُ الْأَطْوَاعُ مُتَوَنِّهَا ، وَلَا تَسْتَقِرُّ^(١) (؟) الْأَعْدَاءُ عِنْدَ جِهَادِهَا وَأَجْتِهَادِهَا
فِي مَصَالِحِ الْإِسْلَامِ حَسْبِهَا وَدِينِهَا .

ولما كان المجلس العالی ... هو الذي لا يَحُولُ أَعْتِقَادُنَا فِي وِلَايَتِهِ ، وَلَا يُزُولُ اعْتِمَادُنَا
عَلَى نَفَاقِهِ فِي مَصَالِحِنَا وَمَضَائِهِ ؛ وَلَا يَتَغَيَّرُ وَثُوقُنَا بِهِ عَمَّا فِي خَوَاطِرِنَا مِنْ كَمَالِ دِينِهِ
وَصِحَّةِ يَقِينِهِ ، وَأَنَّهُ مَارِفَعَتٌ بَيْنَ يَدَيْنَا رَايَةُ جِهَادٍ إِلَّا تَلَقَّاهَا عَرَابَةٌ عَزَمِهِ بِجَمِينِهِ ؛ فَهُوَ
الْوَلِيُّ الَّذِي حُسِّنَتْ عَلَيْهِ آثَارُ نَعِيمِنَا ، وَالصَّبِيُّ الَّذِي تَنَسَّأَ فِي خِدْمَةِ أَسْلَافِنَا وَنَسَّأَ
بَنُوهُ فِي خِدْمَتِنَا ، وَالتَّقِيُّ الَّذِي يَأْبَى دِينُهُ إِلَّا حَفِظَ جَانِبَ اللَّهِ فِي الْجِهَادِ بَيْنَ يَدَيْ
عِزِّمَتِنَا وَأَمَامِ هِمَمِنَا - أَقْفَضَتْ آرَائُنَا الشَّرِيفَةَ أَنْ نُصَرِّحَ لَهُ مِنَ الْإِحْسَانِ بِمَا هُوَ
فِي مَكُونِ سِرَارِنَا ، وَمَضْمُونِ ضَمَائِرِنَا ؛ وَنُظَلِّلَ بَأْنَ رُتْبَتِهِ عِنْدَنَا بِمَكَانٍ لَاسْتَطَاوُلَ
إِلَيْهِ يَدُ الْحَوَادِثِ ، وَنُثَبِّتَ أَنَّ أَعْظَمَ أَسْبَابِ التَّقَدُّمِ مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ عَنَابِنَا وَأَمْتِنَانَا
أَكْرَمُ بَوَاعِثِ .

(١) لَهُ "لَا تَسْتَقِلُّ" .

فلذلك رُسم أن يعاد إلى الإمرة على أمراء آل فضل ، ومشايخهم ومقدمهم ،
وسائر عربانهم ، ومن هو مضاف لهم ومنسوب إليهم ، على عادته وقاعدته .

فليجبر في ذلك على عادته التي لا مزيد على كمالها ، ولا محيد عن مبدئها في مصالح
الإسلام ومآلها ؛ أخذًا للجهاد أهبته من جمع الكلمة واتحادها ، واتخاذ القوة
وإعدادها ، وتضافر الهمة التي ما زال الظفر من مواذها والنصر من أمدادها ؛
وإلزام أمراء العربان بتكيل أصحابهم ، وحفظ مراكزهم التي لا تسد أبوابها إلا بهم ؛
والتيقظ لمكاييد عدوهم ، والتنبيه لكشف أحوالهم في رواحهم وعدوهم ؛ وحفظ
الأطراف التي هم سورها من أن تسورها مكاييد العدا ، وتحطف من يتطرق إلى
التفور من قبل أن يرفع إلى أفقها طرقة أو يمد على البعد إلى جهتها المصونة يدا ؛
وليثبت في الأعداء من مكاييد مهاتيه ما يمنعهم القرار ، ويحسن لهم القرار ، ويحول
بينهم وبين الكرى لاشتراك أسم النوم وحد سيفه في مسمى القرار .

وأما ما يتعلق بهذه الرتبة من وصايا قد ألفت من خلاله ، وعرفت من كماله ،
فهو أن يجتديها ، وفارس يجتديها ، وجهينة أخبارها ، وحلبة غايتها ومضارها ، فيفعل
في ذلك كله ما شكر من سيرته ، ويحيد من إعلانه وسيرته ؛ وقد جملنا في ذلك وغيره
من مصالح أسرته أمره من أمرنا : فيعتمد فيه ما يرضى الله تعالى ورسوله ، ويسلخ
به من جهاد الأعداء أملة وسولة ؛ والله الموفق بمنه وكرمه ! والاعتماد

الطبقة الثانية

(من عرب الشام - من يكتب له مرسومٌ شريفٌ)

وهم على مرتبتين :

المرتبة الأولى - من يكتب له في قطع النصف، وهم ثلاثة :

الأول - أمير آل عليّ، ورتبته « السامي » بآلاء . وقد تقدم أن منازلهم مرجح دِمَشْقَ وَغَوَطَهَا، بين إخوانهم آلِ فَضْلٍ وَبَنِي عَمَّهم آلِ مِرَاءٍ، ومنتهاهم إلى الحَوْفِ والجلبانة، إلى السكة، إلى تيماء، إلى البرادع . وأنه ذكر في «التعريف» : أنهم إنما نزلوا غُوطَةَ دِمَشْقَ حيث صارت الإمرة إلى مُهَنَّا بن عيسى .

وهذه نسخة مرسوم شريف بإمرة آل عليّ ، كُتِبَ به للأمير عزّ الدين « جاز » بعد وفاة والده محمد بن أبي بكر ، من إنشاء المقر الشهابيّ بن فضل الله ، وهي :

الحمد لله الذي أجمع بنا كلَّ وَسِيلَةٍ ، وأحسن بنا الخلفَ عَنْ قَضَى في طاعتنا الشريفة سَبِيلَهُ ، وَمَضَى وَخَلَى وَلَدَهُ رَسِيلَهُ ، وأمسك به دَمْعَةُ السُّيُوفِ في خُدُودِهَا الأَمْسِيلَهُ ، وَأَمَضَى به كلَّ سَيْفٍ لَا يَرُدُّ مَضَاءَ مَضَارِهِ بِحِيلِهِ ، وَأَرْضَى بِتَقْلِيدِهِ كلَّ عُنْقٍ وَجَمَلٍ كلَّ بِحِيلِهِ .

نحمده على كلِّ نعمة جزيلة ، وموهبة جميلة ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تُرْشِدُ من اتخذ فيها نُجُومَ الأَسِنَّةِ دَلِيلَهُ ، وتجعل أعداءَ الله بِعِزِّ الدِّينِ ذَلِيلَةً ؛ وأنَّ هذا عبده ورسوله الذي أكرم قَبِيلَهُ ، وشرف به كلَّ قَبِيلَةٍ ، وأظهر به العَرَبَ على العَجَمِ وأنحد من نارهم كلَّ قَبِيلَةٍ ؛ صَلَّى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاةً بكلِّ خيرٍ كَفِيلَةٍ ، وسلم تسليماً كثيراً .

وبعدُ، فإنَّ دولتنا الشريفة لما خَفَقَ على المَشْرِقِ والمَغْرِبِ جَنَاحُهَا، وشَلَّ البَنُو والحَضَرُ سِمَاحُهَا؛ ودَخَلَ في طَاعَتِهَا الشَّرِيفَةُ كُلُّ رَاحِلٍ ومُقيمٍ في الأقطارِ، وكلُّ سَاكِنِ خِيَمَةٍ وجِدَارٍ - تَرَعَى النِّمَّ بإِقَائِهَا في أَهْلِهَا، وإِقَائِهَا في عَمَلِهَا، مع ما تَقَدَّم من رِعايةٍ تُوجِبُ التَّقْدِيمَ، وتُودِعُ بِهَا الصَّنَائِعُ في بَيْتِ قَدِيمٍ؛ وتُزَيِّنُ بِهَا المَوَازِبُ إذا تَعَارَضَتْ بِجَاهِلِهَا، وتَعَارَفَتْ شُعُوبُهَا وَقَبَائِلُهَا؛ وَأَسْتَوَلَتْ جِيَادُهَا على الأُمَمِ وقد سَبَقَتْ أَصَابِلُهَا، وَتَدَاعَتْ قُرُسَانُهَا وقد أَشْتَبَتْ مَنَاسِبُهَا وَمَنَاصِبُهَا وَمَنَاصِلُهَا؛ وَكَانَتْ قِبَائِلُ العُرَبِ أَلِ مَنْ تَعْمَهُمْ دَعَاؤُنَا الشَّرِيفَ، وَتَضَمُّهُمْ طَاعَتُنَا الَّتِي هِيَ لَهُمْ أَكْمَلُ وَطِيقَةٍ؛ وَلَهُمُ النُّجْدَةُ في كُلِّ يَادِيَةٍ وَحَضَرٍ، وإِقَامِيَّةٍ وَسَقَرٍ، وَشَايِمٍ وَجِجَارٍ، وَإِنْجَادٍ وَإِنْجَازٍ؛ وَلَمْ يَزَلْ (لَا عَلَى) فِيهِمْ أَعْلَى مَكَانَةٍ، وَمَا مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ تَوَسَّدَ سَيْفَهُ وَأَقْرَضَ حِصَانَهُ؛ وَهُمْ مِنْ دِمَشْقِ المَحْرُوسَةِ رَدِيفُ أُسُورِهَا، وَفَرِيدُ سُورِهَا؛ وَالنَّازِلُونَ مِنْ أَرْضِهَا فِي أَقْرَبِ مَكَانٍ، وَالنَّازِحُونَ وَلَهُمْ إِلَى الدَّارِ بِهَا أَقْطَارُ وَأَوْطَانُ؛ قَدْ أَحْسَنُوا حَوْلَ الْبِلَادِ الشَّامِيَةِ مَقَامَهُمْ، وَأَسْتَفَنُوا عَنِ المِقَارَعَةِ عَلَى الضِّيْقَانِ لِمَا نَصَبُوا بِقَارَعَةِ الطَّرِيقِ خِيَامَهُمْ؛ وَبَاهُوا كُلَّ قَبِيلَةٍ بِقَوْمِ كَاثَرِ النُّجُومِ عَدِيدِهِمْ، وَأَوْقَدُوا لَهُمْ فِي الْفَجَاءِ نَارًا إِذَا هَمَّى القَطَرُ شَبْتَهَا عَيْبُهُمْ؛ وَهُمْ مِنْ آلِ فَضْلِ حَيْثُ كَانَ عَلَيْهَا، وَحَدِيثُهُ فِي المَسَامِعِ حُلِيِّهَا؛ فَلَمَّا آتَتْهُمُ الإِمْرَةُ إِلَى الأَمِيرِ المَرْحُومِ شَمْسِ الدِّينِ، مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ رَحِمَهُ اللهُ - جَمَعَهُمْ عَلَى دَوْلَتِنَا القَاهِرَةِ، وَأَقَامَ فِيهِمْ يَتْنِي بِطَاعَتِنَا الشَّرِيفَةِ رِضَا اللهِ وَالدَّارِ الآخِرَةِ؛ ثُمَّ أَمَدَهُ اللهُ مِنْ وَلَدِهِ بِنِ الْوَلِيِّ إِلَيْهِ هَمَّةً، وَأَمَضَى بِهِ عَزَمَهُ، وَفَقَّذَ بِهِ حُكْمَهُ، وَنَقَلَ قِسْمَهُ.

وَكَانَ الَّذِي يَحْتَمِلُ ثَوْنَهُ مَشَقَّاتِ أُمُورِهِمْ، وَيَتَلَقَّى شَكَاوَى أَمْرِهِمْ وَمَأْمُورِهِمْ؛ وَيُرَدُّ إِلَى أِبْوَابِنَا الْعَالِيَةِ مَسْتَمْطِرًا لَهُمْ حَجَائِبَ رِغْمَتِنَا الَّتِي أَخْصَبَ بِهَا مَرَادَهُمْ،

وسارُوا في الآفاقِ ومن جَدَّوَاهَا رَاحِلَتُهُمْ وَزَأْنُهُمْ ، وَتَفَرَّدَ بِمَا جَمَعَهُ مِنْ أَيْوَتِهِ وَإِبَانَتِهِ ، وَرَكَزَ فِي كُلِّ أَرْضٍ مُنَاحَ مَطِيَّةٍ وَمَرَسَى خِيَابَتِهِ ، وَضَاهَى فِي الْمُهَاجَرَةِ إِلَى أَبْوَابِنَا الشَّرِيفَةِ التَّجُومَ فِي السُّرَى ، وَحَافِظَ عَلَى مَرَاضِينَا الشَّرِيفَةِ فَا أَثَقَلَ مِنْ نَارِ الْحَرْبِ إِلَّا إِلَى نَارِ الْقِرَى ؛ وَوَرَدَ عَلَيْهِ مَرُؤُونَا الشَّرِيفُ فَكَانَ أَسْرَعَ مِنَ السَّهْمِ فِي مَضَاهِهِ . كَمْ لَهُ مِنْ مَنَاقِبَ لَا يُنْطَلِ عَلَيْهَا ذَهَبُ الْأَصِيلِ تَمْوِيهَا ؛ وَكَمْ تَقَلَّ مِنْ كُؤُورٍ إِلَى سَرَجٍ وَمِنْ سَرَجٍ إِلَى كُؤُورٍ فَتَمَتَّيَ الْهِلَالُ أَنْ يَكُونَ لَهَا شَيْبَةً ؛ كَمْ أَجْمَلَ فِي قَوْمِهِ سِيرَةً ؛ وَكَمْ جَمَلَ سِرِّرَةً ؛ كَمْ أَفْخَرَهَا أَمَلًا ؛ كَمْ أَحْسَنَ عَمَلًا ؛ كَمْ سَدَّ خَلَالًا ؛ كَمْ جَمَعَ فِي مِهْمَاتِنَا الشَّرِيفَةِ كُلِّ مَنْ أَمْتَطَى فِرْسًا وَرَكِبَ جَمَلًا ؛ كَمْ صَفُوفَ بِهِ تَقَدَّمَتْ ، وَسَيُوفَ أَقْدَمَتْ ، وَخُوفَ حَامَيْتُ الْجَمَامَ بِهَا عَلَى الْأَعْدَاءِ تَرَمَّتْ !! .

وَكَانَ الْمَجْلِسُ السَّامِيُّ الْأَمِيرِيُّ ، الْأَجَلِيُّ ، الْكَبِيرِيُّ ، الْمُجَاهِدِيُّ ، الْمُؤَيَّدِيُّ ، الْعُضَيْدِيُّ ، النَّصِيرِيُّ ، الْأَوْحِدِيُّ ، الْمُقَدِّمِيُّ ، الذَّخِيرِيُّ ، الظُّهَيْرِيُّ ، الْأَصِيلِيُّ :
مَجْدُ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ ، شَرَفُ الْأُمَرَاءِ فِي الْعَالَمِينَ ؛ هُمَامُ الدَّوْلَةِ ، حُصَامُ الْمِلَّةِ ؛ رُكْنُ الْقَبَائِلِ ، دُخْرُ الْعَشَائِرِ ؛ نُصْرَةُ الْأُمَرَاءِ وَالْمُجَاهِدِينَ ، عِصْدُ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينَ
« جَزَاءُ بِنِ مُحَمَّدٍ » أَدَامَ اللَّهُ نِعْمَتَهُ - : هُوَ الْمُرَادُ بِمَا تَقَدَّمَ ، وَالْأَحَقُّ بِأَنْ يَتَقَدَّمَ ، وَالَّذِي لَوْ أَنَّ الصَّبَاحَ صَوَارِمٌ وَالظَّلَامَ جَحَافِلٌ لَتَقَدَّمَ ؛ فَلَمَّا مَاتَ وَالِدُهُ وَرَحِمَهُ اللَّهُ نَحَا إِلَى أَبْوَابِنَا الْعَالِيَةِ ، وَنُورُ وَلَايَتِهِ يَسْعَى بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَوَقَفَ بِهَا : وَصَدَقَاتُنَا الشَّرِيفَةُ تُرْفِقُ عَلَيْهِ ؛ فَرَأَيْنَا أَنَّهُ بَقِيَّةُ قَوْمِهِ الَّذِينَ سَلَفُوا ، وَخَلَفَ آبَائِهِ الَّذِينَ عَنْ زَجَرِ الْخَلِيلِ مَاعَزَفُوا ؛ وَكَبِيرُهُمُ الَّذِي يَسْتَرِفُ لَهُ وَالِدُهُمْ وَوَلِيدُهُمْ ، وَأَمِيرُهُمُ الَّذِي بِهِ تُرْعَى عُيُودُهُمْ ؛ وَتَجَرَّتْهُمْ الَّتِي تَلْتَفَتْ عَلَيْهِ مِنْ أَسَابِهِمْ فُرُوعُهَا ، وَفَرِيدُهُمُ الَّذِي تَجْتَمِعُ عَلَيْهِ مِنْ جَحَافِلِهِمْ جُمُوعُهَا .

فرسم بالأمر الشريف أنت تفوض إليه إمرة آل علي : تامة عامة ، كاملة شاملة ؛ يتصرف في أمورهم ، وأمرهم ومأثورهم ؛ قرباً وبعداً ، وغوراً ونجداً ؛ وطمعنا وإقامه ، وعراقاً وتهامة ، وفي كل حفير وجليل ، وفي كل صاحب رغاء ونفء وصيرير وصليل ؛ على أكل عوائد أمراء كل قبيله ، وفي كل أمورهم الكثيرة والقليلة .

ونحن نأمرك بتقوى الله فيها صلاح كل فريق ، وإصلاح كل رفيق ، ونجاح كل سالك في طريق . والحكم : فليكن بما يوافق الشرع الشريف . والحقوق : فغلبها على وجه الحق من القوى والضعيف . والرفق بمن وليته من هذا الجمل الفقير ، والجمع الكثير ، وإلزام قومك بما يلزمهم من طاعتنا الشريفة التي هي من القروض اللازمة عليهم ، والقيام في مهماتنا الشريفة التي تبرز بها مراسمتنا المطاعة إليك وإليهم ؛ وحفظ أطراف البلاد والدب عن الرعايا من كل طارق يطرقهم إلا بخير ، والمسارة إلى ما يرسم لهم به ما دامت الأسفار في عصاها سير ؛ والإفراج لعريك لا تسمع به إلا لمن له حقيقة وجود ، وله في الخدمة الشريفة أثر موجود ، ومنهم : فلا يكون إلا إذا توجه منهم ، أو توانت عزائمهم وقل نفعهم ، والمهابة : فأنشرها كسمنتك في الآفاق ، ودع بوارق سيوفها نسام بالشام وديمها تراق بالعراق ؛ وخيول التقدم : فارتد منها كل سائق وساقية تحف دونهما الرياح ، ويحسدها الطير إذا طارا بنير جناح ؛ ولا تحذ دوننا لك بطانة ولا وليجه ، ولا تقطع عنا أخبارك البهجه ؛ ولتعرف قومه له حقه ، ويوقوه من التعظيم مستحقه ؛ فإنه أميرهم وأمره من أمرنا المطاع ، فمن نازع فقد خالف النص والإجماع ، والله تعالى يوقفه ما استطاع ، بمنه وكرمه ! وانخط الشريف

[الثاني - أمير آي فضل ^(١)] .

وهذه نسخة مرسوم شريف بالتقدمة على عربى آل فضل وآل على ، كتب به
للأمير نقر الدين « عثمان بن هبة » وهو :

الحمد لله الذى خص من وإلى هذه الدولة بالتقدمة والفخر ، ورمى من عاداها
بالمذلة والقهر ، ومد فى عمر أيامها حتى يستنفد الدهر ، وحتى توصف أيامها -
وإن قصرت - بالمساز : كل شهر يمر منها كالعام واليوم كالشهر .

نحمده على ما منحنا : من تأييد وظفر ، وطوى دعوة من عاندنا بعد النشر ، ونشهد
أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة إن دخلت شواهدا تحت الإحصاء
فلا تدخل قوائمها تحت الحصر ، وأن عمدا عبده ورسوله الذى جعل الله به الهداية
فى المبدأ والشفاعة فى المعاد يوم الحشر ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة تسعد
بعد الشقاء وتجبر بعد الكسر .

وبعد ، فإن الله سبحانه وتعالى لما مكن لنا فى الأرض ، وجعل بيدنا البسط
والقبض ، وأرانا كيف نصنع الجليل ونجعل الصنع ، وكيف نجبر قلب من جعل
فى أيماننا جبره بعد الصدد ، وكيف نصبح أنعم نوى الأقدار فى سماء مملكتنا
نيرة المطالع ، وكيف نلقى الخير فى عراضها من رامة إذا كان على الخير فى غير أيماننا
مانع ، وكيف نحلل التقدمة فىمن إذا عقل فى حللها قيل : هذا هو أحق بها ممن
كان ، وهذا الذى ما يرحب التقدمة فى بيته فى صدر الزمان ، وهذا الذى إذا ذكر
آل فضل وآل على كانت له مرتبة الشرف ولا غرو أن تكون مرتبة الشرف

لَعْنَان، وَأَنَا لَا نُمِطِي صَهْوَةَ الْعِزِّ إِلَّا لِأَهْلِهَا، وَلَا نَنْسُخُ الْآيَةَ لِمَنْ تَقَدَّمَ فِي التَّقْدِيمَةِ إِلَّا بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا؛ وَلَا نُسَلِّمُ رَأْيَتَهَا، إِلَّا لِمَنْ تُعْقَدُ عَلَيْهِ الْخِطَابُ، وَلَا يَنْسَمُ ذُرْوَتَهَا، إِلَّا مَنْ هُوَ أَحَقُّ بِهَا وَأَهْلُهَا فِي الْأَوَّلِ وَالْآخِرِ.

ولما كان المجلس السامى، الأميرى، نغر الدين، عثمان بن مانع بن هبة : هو المراد بهذا القول الحسن، والممدوح بحمد هذا الممدح الذى يسر السر والعن، والحقيق من الإحسان بكلمة والخير إن؛ والخصيص من سوائف الخدم بما والمفضل على سائر النظراء ولو قيس بمن - أقتضى حسن الرأي الشريف، أن رسم بالأمر الشريف - لا زال ذو القدر فى أيامه يرتفع، وذو الفضل فى دولته لا يعز عليه مطلب ولا يتمتع، وذو الأصالة التى يجمع له فيها من النعم ما لا يلقى له فى غيرها ولا يتمتع - أن تفوض إليه التقدمة على العريان بالشام المحروس، وهم من أتى ذكره، على ما استقر عليه الحال فى ترتيبهم؛ وأن منازل الداروم؛ بعلاً وقرباً، حضراً وبدواً، عامراً وغامراً، رانحاً وغادياً، من الرستن إلى الملوحة. والعرب: آل فضل وأل على حيث ساروا نزلوا منزلة المذكور، أو بمنزلة الأمير شمس الدين محمد بن أبى بكر، والخدمة واحدة، والكلمة على اتحاق المصالح متعاضده.

فليكن للقوى جسد روجها لا بل روح جسدها، ومجموع القبائل أوجد عدها إذا صح الأول من عدها؛ وقطب فلكها الذى على تديره مدارها، وعلى تقريره أقصاؤها؛ وعلى تقديره تعويلها، وإلى نسبة إمارته بحملتها وتفصيلها؛ وليجمعهم على الطاعة فإن الطاعة ملاك الأمر للأمر، وأُس الخير للبادى والحاضر؛ ولعلم أن لكل منهم رقابة تعرف، وعليه أصالة بها يعرف؛ ومنزلة يرثها الولد عن الوالد، ومنشئة ترجع من ذلك اليت إلى ذلك الواحد، فليحفظ لهم الأنساب، وليرع لم

الأنساب، وإذا أمرُوا بأمرٍ من مَهَامِ الدَّوْلَةِ يتلَو عليهم : ﴿ اَدْخُلُوا الْبَابَ ﴾ .
والإلزام له ولهم مَخَاوِصُ تحفظ ، وَمَقَاوِزُ تُحْفَظُ ، وَمَطَارِحُ لَا تُتَلَقَّظُ ، وَمَشَاتٍ
وَمَصَافٍ ، وَنَفَاضُ وَمَصَارِفُ ؛ وَمَرَايِعُ ، وَمَرَاتِعُ ؛ وَدُنُوقُ وَأَقْتِرَابُ ، وَتَوَطَّنُ
وَأَقْتِرَابُ ؛ وَإِعَارَةٌ وَنَيْضُ ، وَبَرَقٌ وَوَيْضُ .

فَلْيُرَتَّبْ ذَلِكَ أَجَلَ تَرْتِيبٍ ، وَلْيَسَلَّكَ فِيهِ خَيْرَ مَذْهَبٍ وَتَهْدِيبٍ ، وَلْيَدْعُ الْعَادِي ،
وَلْيَلَا حِطَّ الرَّايِجِ وَالْعَادِي ، وَلْيُؤَمِّنْ ذَلِكَ الْجَانِبَ فَأَمَّا تَطْلُبُ أَيْتَانَهُ الْمُحْدَوِ
وَالْحَادِي ؛ وَعَلَيْهِم عِدَادُ مَقَرَّرٍ ، وَقَانُونٌ مُحَرَّرٌ ؛ وَلْيَكُنْ عَلَى يَدِ شَاذِهِ شَاذًا ، وَلْيَسَبِّ
تَأْسِيسِهِمْ مَاذَا ، وَيَسْلَمْ أَنَّهُ وَإِنْ كَانَ قَدْ أَغْمَضَ مِنْ جُفُونِهِ فِيهَا مَضًى ، وَأَعْرَضَ
عَنْهُ فِي الزَّمَنِ الْأَوَّلِ الَّذِي أَهْضَى ؛ وَقَدَّمَ عَلَيْهِ مِنْ كَانَ دُونَهُ ، فَقَدْ رَدَّ اللَّهُ لَهُ أَبْكَارَ
الْأَمْرِ وَعَوْنَهُ ؛ فَلَا يَجْعَلُ لِقَائِلٍ عَلَيْهِ طَرِيقًا ، وَلَا يَدْخُلُ فِي أَمْرٍ يُقَالُ عَنْهُ فِيهِ :
كَانَ غَيْرَهُ بِهِ حَقِيقًا ، بَلْ يَفُوقُ مَنْ تَقَدَّمَ فِي الْخِدْمَةِ وَالْهِمَّةِ ، وَالصَّرَامَةِ وَالْعَزْمَةِ ،
وَاللَّهُ يُوزِعُهُ شُكْرَ هَذِهِ النِّعْمَةِ ؛ وَالْخَطَّ الشَّرِيفَ :

الثالث — أمير آل مرءاء ، ورتبته « السامي » بالياء .

وقد تقدم أن منازلهم حورانٌ . وعن « مسالك الأبيصار » أن ديارهم بين بلاد
الجيسور والجلولان ، إلى الزرقاء ، إلى آخر بصرى . ومشرقًا إلى حرة كشت ، على
القرب من مكة المشرقة ، زادها الله شرفا .

وهذه نسخة مرسوم شريف بإمرة آل مرءاء ، كتب بها للأمر بدور الدين
« شعلی بن عمر » وهي :

الحمد لله الذي زينَ آفاقَ المعالي بالبدنر ، ورفعَ بآيائنا الشريفة خيولَ وليٍّ أحمى
بين القبائل جليل القدر ، وتمتعَ من أخلص في خدم دولتنا الشريفة مزيد الكرم

فأصبح بإخلاصه شديد الأزر؛ وأجزل بره لأصائل العرب العرباء فوفر لهم الأقسام،
وأصبح ظلال كرمه على من يرمى الجار ويحفظ الدمام .

نحمده على نعم هطل سبحانه ، ومنى فتحت بالمسار أبوابها ؛ ونشهد أن لا إله
إلا الله وحده لا شريك له شهادة تُقرب صاحبها يوم الفرع الأكبر، من المحل
الآمن، وتورده نهر الكوثر، الذى مأؤه غير آسن؛ ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله
الذى بعثه الله من أشرف القبائل ، وأوضح بنور رسالته الدلائل ؛ فأخذ الله به
هذه الأئمة من ضلالتهم، وبوأها من قصور الحنان أعلى غرورها وأشرف ظلالها ؛
صلّى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين أوتوا مناجى الإيمان ، وشيدوا قواعد الدين
إلى أن علت كلشته فى كل مكان، [فكان] عصرهم أجمل عصر وقرنهم خير أوان ؛
وسلم قسليا كثيرا .

وبعد ، فإن أولى من أدتينا من بساط الأمطفاة محله ، وأرشف من سحاب
معروفنا طله فوبله ؛ وتأل من عواطفنا منزلة القرب على بُعد الدار، وحكم له حسن
نظيرنا الشريف بتوالى غرير كرمنا المندوار .^(١)

ولما كان المجلس الفلانى : هو المشار إليه بهذا التعت الحسن ، والموصوف
بالشجاعة فى السر والعلن - رسم بالأمر الشريف - لا زال بدؤه، ساطع الأنوار،
وبره، هامع القطار، وخيره يشمل الأولياء يجزىل الإيثار وجميل الآثار - أن يستقر
المشار إليه فى كيت وكيت : لأنه البطل الشديد ، والفارس الصنيد ؛ وليث
الحرب المذكور، ومن هو عندنا بعين العناية منظور .

(١) لم يذكر خبرا لأن ولله سقط من قلم الناصح والأصل « من كرم أصلا ومحتدا ، وسل سيف عزيمته

حتى خضعت له رقاب المدا » أو نحو ذلك .

وَلْيَتَّقِ مِنْ صَدَقَاتِنَا الشَّرِيفَةِ بِمَا يُؤْمَلُ وَيَعْدُ ، وَلْيَتَحَقَّقْ قُرْبَهُ مِنْ مَقَامِنَا
الشَّرِيفِ وَالْعَوْدُ أَحْمَدُ ؛ وَلْيَتَّقِ هَذَا الْإِحْسَانَ بِقَابِ مُنْتَرِحٍ ، وَأَمَلِ مُتَفِيعٍ ؛
وَلْيَجْتَهِدْ فِي أَمْرِ عُرْبَانِهِ الَّذِينَ فِي الْبِلَادِ ، فَإِنَّا جَعَلْنَا عَلَيْهِ فِي أُمُورِهِمُ الْإِعْتَادَ ،
وَقَدْ أَقْنَاهُ أَمِيرًا عَلَى عَرَبِ آلِ مِرَاءٍ ؛ فَلْيَشْمَرْ عَنْ سَاعِدِ الْأَجْتِهَادِ فِي مَصَالِحِ دَوْلَتِنَا
الشَّرِيفَةِ بِغَيْرِ زُورٍ وَلَا مِرَاءٍ ؛ وَلْيَقْمَعْ الْمُفْسِدَ مِنْ عُرْبَانِهِ وَيَقَابِلْهُ بِالنَّكَالِ ، وَالصَّالِحُ
الْخَيْرُ مِنْهُمْ يُمَزَّلُ لَهُ النَّوَالُ ، وَالْوَصَايَا كَثِيرَةٌ وَلَيْسَ لَهُ لَهَا قَوْلٌ ؛ وَالْخَطُّ الشَّرِيفُ أَعْلَاهُ
حُجَّةٌ فِيهِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



وهذه نسخة مرسوم شريف بنصف إمرة آل مِرَاء ، كُتِبَ بِهِ لِقَنَاءَ بْنِ بَجَادِ ،
فِي الْعَشْرِ الْأَخْرَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ . مِنْ إِنْشَاءِ الْمُقَرَّرِ
الشَّهَابِيِّ بْنِ فَضْلِ اللَّهِ ، وَهِيَ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَسْتَعِذُّ لِنَصْرِنَا كُلِّ سَيْفٍ وَقَنَاءٍ ، وَكُلِّ سُرْعَةٍ وَأَنَاءٍ ، وَكُلِّ مُتَّقِفٍ
تُسَلَّى جَنَائِزُهُ وَيَعْدُبُ جَنَائِهِ ، وَكُلِّ مَاضٍ لَا يَعُوقُهُ عَنْ مَقَاصِدِهِ الصَّالِحَةِ يَعُوقُ
وَهُوَ عَبْدُ مَنَاءٍ .

نَحْمَدُهُ حَمْدَ مَنْ أَغْنَاهُ ، وَنُشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً يَسْتَعِذُّ
مِنْ قَبْلِهَا فَالِقُ الصَّبَاحِ سَنَاءً ، وَيُقَلِّقُ مِنْهَا مِنْ قَبْضَةِ السَّيْفِ عُنَاءً ؛ وَنُشْهَدُ أَنَّ عَمْدًا
عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ الَّذِي [بَوَاهُ مَنَازِلُ الشَّرَفِ] وَبَنَاءَهُ ، وَأَحْلَاهُ مِنَ الْعَرَبِ فِي مَكَانٍ يَخْضَعُ
لَهُ رَأْسُ كُلِّ جَبَّارٍ وَيَخْشَعُ بَصَرُهُ وَتَسْتَمِعُ لِمَا يُوحَى أَذْنَاهُ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ
وَوَحَّيْهِ صَلَاةً تَخْصُمُهُمْ مِنْ كُلِّ شَرَفٍ بِأَسْمَاءِ وَأَسْنَاءِ ، وَسَلَامٍ تَسْلِيًا .

وبعدُ، فإن لكل ناكلة قراراً، ولكل هاجرة مزاراً، ولكل معصم سواراً لا يليق إلا بزنده، ولكل عتيق دُرّاً لا يصلح إلا لعقده، ولكل سيف طال مجوّه في غمده أنسللاً، ولكل قنّاء لم تُعتقل مُدّة اعتقالاً؛ وكانت إمرة آلِ مرّاء قد بُنيت من البيت الأحمديّ بأوثق أوتادها، ووصلت منه في الرّفة إلى نجادها؛ ولم تزل تنتقل في آفاقها بدورهم الطّالعه، وتُضيء عليها من صفائحهم بروقهم الألاميه؛ وتحوّل فيها من سوابقهم السّحب الهاميه، وتُثقي في حروبها عزائمهم إذا وقعت الواقعة؛ وتقدّمت للجلس السامى، الأميرى، الفلانيّ، بركاننا الشريف مُحبّة حديد فيها السرى، وخدّمة أوقدت له نار القرى؛ وهاجر إلينا في وقت دُلّ على وفائه، وسير إلى قصدنا اللّيل وله النجم يحيط المقل باغفائه؛ وأقطع إلينا بأمله، ولازم من عهدنا الشريف صالح عمّله؛ وأستحقّ تّجليل فيعنا الشرفه وإن تأخرت لأجل موقوت، وأمل نجاحه لا يقوت .

فلما أن أن تُفادّ عليه ثيابها، ويُضاف إليه ثوابها؛ ويُصرف في قومه أمره، ويُشرّف بينهم قدره؛ ويُعرف من لم يعرف المسك أنه عندنا ذكوه؛ ومن جهل البرّ: أنه على ما يُحمد عليه شكره، ومن أنكر أن شيئاً أصعب من الموت: أنه في مجال الموت صبره، ومن خالف فيما هو أمضى من القضاء: أنه في البيعة صدره، ومن ادّعى أنه لا تعصيه البيض والسمر: أنها مُتفقته وبتره؛ وزال من هذا البيت العريق الطود وهو ثابت، وتزع منه السّنان لولاً أنه في قتانه ثابت؛ و[لولا] لهاجت هذه القبيلة إلى من يُقبل على نباتها، ويُقبل بها: تارة يُجئ في نجدها وأخرى يحول في جولايتها - رسم بالأمر الشريف أن يُقلد من إمرة آلِ مرّاء ما كان الأمير «ثابت» ابن عساف» رحمه الله يتقلده إلى آخر وقت، ويُرفع فيها إلى كلّ مُسامّة وتُمتّ به ليكل ما تقص من الثّمام وضّعه، ويعلم أنه خلق إليه حتى أتى دون نصف البدر

فَاخْتِطَفَ النَّصَفَ وَذَلِكَ النَّصَفُ هُوَ نِصْفُهُ ؛ لِيَكُونَ لَهُمُ إِحْدَى الْيَدَيْنِ ، وَأُخْرَى تَقَعُ لِسَيْفِ بَحْدَيْنِ .

وَتَقْوَى اللَّهِ أَزْكَى مَا أَشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ عُودُهَا ، وَأَتَخَيَّتْ لَهُ زَيْدُهَا ؛ فَلْيَتَّخِذْهَا لَهُ ذُرْوَةً يَهْتَدِي بِهَا أَتَى سَلَكٌ مِنَ الْفَجَاجِ ، وَأَقْتَحَمَ مِنْ حَلَكِ الْعَجَاجِ . وَعَلَيْهِ بِحَسَنِ الصُّبْحَةِ لِرَفِيقِهِ ، وَيُمْنِ الْقَبُولِ عَلَى فَرِيقِهِ ، وَإِقَامَةِ الْحُدُودِ عَلَى مَا شَرَعَ اللَّهُ مِنْ دِينِهِ الْقَوِيمِ ، وَإِدَامَةِ التَّيَقُّظِ [لِلثَّأْرِ] الْمُنِيمِ ؛ وَإِنْزَالِ عَرَبِهِ وَمَنْ يَنْزِلُ عَلَيْهِ أَوْ يَنْزِلُ عَلَيْهِمْ فِي مَنَازِلِهِمْ .

وَلِيَجْمَعَ قَوْمَهُ عَلَى طَاعَتِنَا الشَّرِيفَةِ كُلِّ الْجَمْعِ ، وَبِقَابِلِ مَا تَرُدُّ بِهِ مَرَأِسَتِنَا الْمُطَاعَةَ عَلَيْهِ بِمَا أَوْجَبَ اللَّهُ لَهَا مِنَ الطَّاعَةِ وَالسَّمْعِ ؛ وَلِيَأْخُذَ لِلْجِهَادِ أَهْلِيَّتَهُ ، وَيَسْجُلَ إِلَيْهِ هَبَّتَهُ ، وَلِيَقِفَ مِنْ وَرَاءِ الْبِلَادِ الثَّامِيَةِ الْمُحْرُوسَةِ دَرِيَّةً لِأَسْوَارِهَا الْمُنِيَمَةِ ، وَنِطَاقًا عَلَى مَعَاقِلِهَا الرَّفِيعَةِ ؛ وَسَدًّا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهَا وَخَلْفِهَا لِبَابِ كُلِّ ذَرِيعَةٍ ، وَخَنْدَقًا يَحُوطُ بِلَادَهَا الْوَسِيمَةَ ، وَهَجَابًا يَمْنَعُ فِيهَا مَنْ تَعَدَّى الْحَقَّ وَخَاضَ الشَّرِيعَةَ ؛ وَلَا يُفَارِقِ الْبِلَادَ حَتَّى يُعْبَسَ فِي وَجْهِهَا السَّحَابُ ، وَلَا يَعُودَ حَتَّى تُؤْذَنَ زُرُوعُهَا الْمَخِيْمَةُ بِذَهَابِ ؛ وَالكَرْمُ هُوَ فِيهِ سَجَايَا ، وَالْعَزْمُ مَا بَرِحَ لَوْشَانُ (١) أَسْنَتُهُ بِكُلِّ قَنَاطَةِ لِحَايَا ، وَالْحَزْمُ بِيَدِهِ الْمَرَاوِيَّةِ مِنْ آلِ مِرَاءٍ يَظْهَرُ لَهُ الْخَفَايَا ، وَالشَّجَاعَةُ هُوَ فِي رُبَاهَا الْمُنِيرَةُ «ابْنُ جَلَّ وَطَّلَاعُ الثَّنَائِيَا» ؛ وَمَا رَضَعَ الْمُرْمِلُ كَأَفَاوِيقِ الْوَقَاقِ ، وَلَا وَضَعَ شَيْئًا فِي مَوْضِعِهِ تَحْدَارَةُ الرِّفَاقِ ؛ فَلْيَكُنْ لِرَفِيقِهِ أَكْثَرُ مُسَاعَدَةٍ مِنَ الْأَخِيهِ ، وَأَكْبَرُ مُعَاضَدَةٍ مِنَ الْمِصْرَاعِ لِقَسِيمِهِ وَالْجَفْنِ بِلَحْفَتِهِ وَالشَّيْءِ لِمَا يُؤَاقِبُهُ . هَذَا يَجِبُ وَيَتَعَيَّنُ وَلَيْسَ يَجْمَعُهُمَا فَرْدٌ طَاعَهُ ، وَلَا يَلْزَمُهُمَا شَيْءٌ وَاحِدٌ أَسْتَطَاعَهُ ؛ فَكَيْفَ هُوَ [و] رَفِيقُهُ الْإِنْسَانِي أَعْتَازُوهَا وَمَنَّا لِمَنْزِلَتِنَا ، وَهِيَ قَرْطَانِ مَعْتَقَانِ : لَيْسْنَا إِبْنَاؤُوهَا وَبَيْدَتَا لِمَنْزِلَتِنَا .

(١) يريد لِحَاءَ بِالْمَنْزِلَةِ فَاضْطَرَّ لِقَلْبِ مَرَاةِ السَّحَابِ .

وليصَلِّ من الخليل كلَّ سابقة تليق أن تَهْدِمَ إلينا، وسامِعة في كلِّ مَهْمِه حين
يَقْدُم علينا . والشرع الشريف يكون إليه مأبِك، وعليه عَفْوُكَ وَعِقَابُكَ؛ وبمقتضاه
عَقْدُ كلِّ نِكَاح لا يصح إلا على وَجْهِه المَرْضَى وإلا فهو سِفَاح، والميراثُ على حُكْمِهِ
لمن جَرَّه إليه وإلا فهو ظُلْمٌ صُراح، وبقية ما نوصيه به إذا آتته منه إلى هذه النُبْدَة
فما عليه في سواها جُنَاح . وسبيلُ كلِّ واقِف على تَقْلِيدنا هذا أن يُنِيبَ إلى نُصُوصِهِ،
ويُؤَوِّبَ إلى عُموهِ وخُصُوصِهِ؛ والحَدَر من الخُرُوج عنه بقَوْلٍ أو عَمَلٍ، فالسيفُ
أَسْبَقُ من العَدَلِّ، والله تعالى يُتَعَه بِما وهبه من العزِّ الثَقَل، والمُحَاسِن التي هي
يَدُ المِسامع والأَفْواء والمُثَقِّل، والخط الشريف أعلاه

المرتبة الثانية

(من أرباب المراسيم من العرب - من يُكْتَبُ له في قَطْعِ الثُلث بـ«السَّامِي»
بغيرياء، مفتتحا بـ«أما بعد» وهم ثلاثة أيضا)

الأول - أمراء بني مَهْدِيٍّ، وهي مقسومة بين أربعة . ورتبة كلِّ منهم
«مجلس الأمير» .

وقد تَقَدَّمَ أن منازلهم البَلقاء، إلى مائر، إلى الصوان، إلى عَمِّ أَغْرَ .

وهذه نسخة مَرَسُومٍ شَرِيفٍ بُرِّعَ بِإِمْرَةِ بني مَهْدِيٍّ، وهي :

أما بعد حمد الله على نِعَمِهِ التي حَقَّقَتْ في كَرَمِنا المآرب، وأَجْرَلَتْ من آلائِهِ
المَوَاهِب، وقرَّبَتْ لمن رَجَّانا بإخلاص الطاعة ما يَأْتِي عليه من المَطَالِبِ؛ والصَّلَاةِ
والسَّلَامِ على سيدنا محمد المبعوث من أَشْرَفِ ذَوَاتِبِ لُؤَيٍّ بنِ غَالِب، المخصوص
باللواء الذي لا يَضْحَى من أَوَى إلى ظِلِّهِ والْحَوْض الذي لا ظَمَأَ بعدَ وُرُودِهِ

لشَارِب ، وعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ قَارَؤُوا مِنْ مَحَبَّتِهِ وَطَاعَتِهِ بِأَسْمَى الْمَرَاتِبِ وَأَسْنَى الْمَنَاقِبِ - فَإِنَّ أَوَّلَى مَنْ رَفَعَتْ رِعَايَتُنَا قَدْرَهُ ، وَأَظْلَمَتْ عِنَايَتُنَا فِي أَفْقَى السَّمَاءَةِ بَذَرَهُ ، وَحَقَّقَتْ آلَاؤُنَا سُؤْلَهُ ، وَبَلَّغَتْهُ صِدَقَاتُنَا مَرَامَهُ وَمَأْمُولَهُ - مِنْ أَحْكَمِ فِي طَاعَتِنَا أَسْبَابَ وَلَايَتِهِ ، وَأَتَقَنَ فِي خِدْمَتِنَا أَنْتِسَابَ بَعِيدِهِ وَأَتَمَّاهُ بِ؛ وَتَقَرَّبَ إِلَيْنَا بِإِخْلَاصِهِ فِي اجْتِهَادِهِ ، وَمَتَّ بِمَا يُرْضِينَا مِنْ أَحْقَائِهِ بِأُمُورِ جِهَادِهِ؛ مَعَ مَا تَمَيَّزَ بِهِ مِنْ أَسْبَابِ تَنَقُّاضِ كَرَمِنَا فِي تَقْدِيمِهِ ، وَتَقْتَضِي إِبْرَارِهِ عَلَى مَا أَلْفَ أَوْلِيَاءُ الطَّاعَةِ مِنْ حَدِيثِ إِحْسَانِنَا وَقَدِيمِهِ .

ولما كانَ فُلَانٌ هُوَ الَّذِي أَخْتَصَّ بِهِذِهِ الْمَقَاصِدَ ، وَغُنِيَ بِمَا ذَكَرَ مِنَ الْمَصَادِرِ وَالْمَوَارِدِ - رُسِمَ أَنْ يُرْتَّبَ فِي رُبْعِ أَمْرَةٍ نَبِيِّ مَهْدِيٍّ .

فَلْيُرْتَّبَ فِيهَا رُسْمٌ لَهُ بِهِ مِنْ ذَلِكَ قَائِمًا مِنْ وَظَائِفِهَا بِمَا يَجِبُ ، عَالِمًا مِنْ مَصَالِحِهَا بِمَا يَأْتِي وَمَا يَتَجَنَّبُ ، وَاقِفًا لِاعْتِمَادِ مَا يَرِيدُ عَلَيْهِ مِنَ الْمَرَامِمْ وَقُوفًا لِمُنْتَظَرِ الْمُتَرَقِّبِ ، مُلْزَمًا عَرَبِيَهُ مِنَ الْخِلْمِ بِمَا يُؤَكِّدُ طَاعَتَهُمْ ، وَمِنْ إِعْدَادِ الْأَهْبَةِ بِمَا يُضَاعَفُ أَسْطِطَاعَتَهُمْ ، وَمِنْ الْحَافِظَةِ عَلَى أَسْبَابِ الْجِهَادِ بِمَا يَجْعَلُ فِي رِضَا اللَّهِ تَعَالَى وَرِضَانَا قُوَّتَهُمْ وَتَعْجَاعَتَهُمْ ؛ وَلِيُقَدِّمَ تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَيَجْعَلَ تَوْفِيقَهُ الْعُمْدَةَ فِيهَا اعْتَمَدَ فِيهِ عَلَيْهِ ؛ وَانْتَحَبَ يَكُونُ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



وهذه نسخة مرسوم شريف برُجِعَ أَمْرَةُ نَبِيِّ مَهْدِيٍّ أَيْضًا :

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ عَلَى نِعَمِهِ الَّتِي جَدَّدَتْ لِمَنْ أَخْلَصَ فِي الطَّاعَةِ رُتَبَ السُّعُودِ ، وَرَفَعَتْ مَنْ نَهَضَ فِي الْخِلْمِ الشَّرِيفَةِ حَقَّ التَّنَهُّوْسِ إِلَى مَنَاصِبِ الْجُدُودِ ؛ وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الْمُخْصُوصِ بِإِلَوهِ الْحَمْدِ الْمَعْقُودِ ، وَظَلِّ الشَّفَاعَةِ الْمَتَّوْدِ ،

والخوَضُ الذي لا يَنْضُبُ على كثرة الورد ؛ وعلى آله وصحبه الذين وقوا بالمهود ،
وبَدَتْ سِمَاهُمْ في وجوههم من أثر السجود - فَإِنَّ أَوَّلِيَّ مَنْ أَجَلَى وَجْهَهُ النِّعَمُ ،
وَأَجْتَنَى ثَمَرَهُ مَا غَرَسَ مِنْ الْخَلَمِ ، وَأَرْزَقَى إِلَى مَا أَنْتَبَهَ بِهِ عَلَيْهِ مِنَ التَّقَدُّمِ الذي أَقَامَهُ
السَّعْدُ لِمُسْتَحَقِّهِ عَلَى أَثْبَتِ قَدَمٍ - مَنْ نَشَأَ فِي طَاعَتِنَا الشَّرِيفَةِ يَدِينُ بَوَلَايَا ،
وَيَتَقَلَّبُ فِي خَيْرِ نِعْمِهَا وَأَلَايَا ، وَيَتَعَبَّدُ بِمَا يُؤْهِلُ لَهُ مِنْ خِدْمَتِهَا ، وَيَبَادِرُ إِلَى
مَائِنَتِهَا لَهُ مِنَ الْمَهَامِّ الشَّرِيفَةِ بَيْنَ يَدَيِ مَرَايَسِنَا أَوْ تَحْتَ عَلَايَا .

ولَمَّا كَانَ فَلَانٌ هُوَ الذي ذُكِرَتْ طَاعَتُهُ ، وَشُكِرَتْ خِدْمَتُهُ وَتَبَجَّعَتُهُ - رُسم ...
أَنْ يَرْتَبَ فِي رُبْعِ أَمْرَةٍ بَنَى مَهْدِيٍّ ، عَلَى عَادَةٍ مِنْ تَقَدُّمِهِ وَقَاعِدَتِهِ .

فَلْيَرْتَبْ فِي ذَلِكَ ، قَائِمًا بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِ مِنْ وُظَائِفِهَا الْمَعْرُوفَةِ الْمَالُوفَةِ ، وَخِدْمَتِهَا
الَّتِي هِيَ عَلَى مَا تَبَرُّزُ بِهِ أَوَامِرُنَا الْجَارِيَةُ مَوْقُوفَةٌ ؛ وَلَكِنْ هُوَ وَعَرَبُهُ بِصَدَدٍ مَا يُؤْمَرُونَ
بِهِ : مِنْ خِدْمَةٍ يَبَادِرُونَ إِلَيْهَا ، وَطَاعَةٍ يُتَابِرُونَ عَلَيْهَا ، وَتَاهِبٍ لِلْجِهَادِ ، حَيْثُ سَرَتْ
الْجِيُوشُ الْمَنْصُورَةُ لَمْ يَبْقَ لَهَا عَائِقٌ عَنِ التَّوَجُّهِ بَيْنَ يَدَيْهَا ؛ وَسِيَاسَةٍ تَأْخُذُهُمْ مِنَ
الطَّرَائِقِ الْحَمِيدَةِ بِسُلُوكِ مَا يَجِبُ ، وَيَعْرِفُ بِهَا سُلُوكَ مَا يَسْلُكُ وَاجْتِنَابَ مَا يَحْتَنِبُ ؛
وَالْخَيْرُ يَكُونُ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

الثَّانِي - مَقْدَمُ زُبَيْدٍ . وَمَنَازِلُ بَعْضِهِم بِالْمَرْجِ وَغُوطَةِ دِمَشْقَ ، وَبَعْضُهُمْ
بَصْرَحَدَ ، وَحَوْرَانَ .



وهذه نسخةُ مَرْسُومٍ شَرِيفٍ بِتَقْدِيمَةِ عَرَبِ زُبَيْدٍ ، وَهِيَ :

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ الذي أَنْقَى بَنَا لِنَعْمٍ تَأْيِيدًا . وَأَحْسَنَ الْعَاقِبَةِ لِأَحْسَنِ عَاقِبَةٍ آدَامَ
لَمْ فِيهَا تَحْلِيلًا ، وَأَحْيَا بِهِ مِنْهُمْ حَيًّا نَكْتُبُ لِأَمِيرِهِمْ وَأَمْرَتِهِمْ فِي كُلِّ حِينٍ تَقْلِيدًا ،

وَقَالَ مِنْهُمْ نَوْفَلًا فَلَا تَزَالُ نَجِدُهُمْ مَلَائِسَ الْفَخَّارِ بِذِكْرِ أَسْمِهِ تَجْدِيدًا ، وَرَعَى بَنَاءُ ابْنَاءِ
بَيْتٍ تَنَاسَقُوا ابْنَاءَ وَجُدُودًا ، وَتَبَاشَرُوا بَوْلَدٍ لِمَا خَلَفَ وَالِدُهُ بَابُ ابْنِ سَعِيدٍ
لَا يَكُونُ إِلَّا سَعِيدًا ، وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ الَّذِي أَهْلَكَ بِسَيْفِهِ كُلَّ غَاشِمٍ ،
وَأَنْجَلَ بِسَيْفِهِ كُلَّ غَمَامٍ لَوْجَةِ الرِّيَاضِ وَأَاشَمَ ، وَأَمْسَعَدَ بِسَيْفِهِ نَوْفَلًا وَعَبْدَ شَمْسٍ
بَأَخَوْتِهِمَا لَهَاثِمَ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ خُلَاصَةِ الْعَرَبِ ، صَلَاةً لَا يُعَدُّ ضَرْبًا
لَهَا الضَّرْبُ ، وَسَلَامًا تَسْلِيًا كَثِيرًا .

وبعد ، فَإِنَّ الْمَسَاكِرَ الْمَنْصُورَةَ الْإِسْلَامِيَّةَ : مِنْهُمْ حَاضِرَةٌ أَهْلُ جِدَارٍ ، وَبَادِيَةٌ
فِي قَقَارٍ ، وَقَوْمٌ هُمُ الْمُدُنُّ الْمُحْدَنَةُ وَقَوْمٌ عَلَيْهَا أُسُورٌ ، وَهَمُ صِنْفَانِ : صِنْفٌ لَا تَمَلُّ
السُّيُوفَ عَوَاقِبُهُمْ ، وَصِنْفٌ سَيُوفُهُمْ تُحْبَسُ بِهَا مَنَاطِقُهُمْ ، وَالْعَرَبُ أَكْرَمُ [أَهْلُ]
الْبَوَادِي ، وَأَعْظَمُ قَبَائِلَهُمْ تَضَرُّعًا كَالْبَرْقِ مُبَارَاةً لِلشَّجَبِ الْفَوَادِي ، قَدْ نَصَبُوا بِقَارَعَةِ
الطَّرِيقِ خِيَامَهُمْ ، وَسَرَّحُوا مَعَ أُسْرَابِ الظُّبَاءِ سَوَاقِمَهُمْ ، وَوَقَفُوا دُونَ الْمَالِكِ الْمَحْرُوسَةِ
كَتَائِبَ مَصْفُوفَةٍ ، وَمَوَازِبَ بِمَا تُعْرِفُ بِهِ الْعَرَبُ مِنَ الشَّجَاعَةِ مَوْصُوفَةٍ ، وَزُبَيْدٍ
مِنْ أَنْفَرِهَا قَبِيلَةٍ ، وَأَكْثَرِهَا فَوَارِسَ : [فَأَمَّا أَحْسَابُهَا] فَكَرِيمَةٌ وَأَمَّا وَجُوهُهَا فَجَمِيلَةٌ ؛
شَامِيَةٌ أَعْرَقَتْ أَنْسَابًا فِي يَمِينِهَا ، وَأَتَهَمَتْ بِسَطْوَةِ أَسَدِيَّتِهَا مَا تَفْتَحُ فِي الْحِجْرَةِ مِنْ سَوَسِنِهَا ،
فَمَا يَبِيْتُ بَطْلٌ مِنْهُمْ عَلَى دِمْنٍ ، وَلَا يُعْرِفُ فَارِسٌ إِلَّا إِذَا تَمَلَّى فِي الْخَلِيطَيْنِ مِنْ شَامٍ
وَمِنْ يَمِينٍ ؛ كَمْ فِيهِمْ بِمَوَاقِعِ الطَّعَانِ قَطَنٌ ذُو كَيْسٍ ، وَكَمْ صَبَغَ مِنْهُمْ بِالْذَّمِّ رَايَةً حَرَاءَ
يَمِينِيٍّ لَا يُنْسَبُ إِلَى قَيْسٍ ؛ كَمْ كَرَّبَ عَلَى مَعْدِيكَرَبٍ مِنْهُمْ قَارِسٌ ، وَنُسِبَ إِلَى زُبَيْدٍ
وَهُوَ خَشِنُ الْمَلَابِسِ ؛ مِنْهُمْ صَاحِبُ الصَّمْصَمَةِ بَقِيٍّ مِثْلُهَا السَّيْفُ فَرْدًا ، وَكَمْ قَتَلَ مِنْ
أَقْرَانِهِ الشُّجْعَانَ مِنْ أَيْحَ صَالِحٍ وَبَوَّاهٍ فِي الْعَجَاجِ بِيَدَيْهِ لَحْدًا ؛ وَمِنْ نَجُومِهِمُ الزُّوَاهِرُ
السُّرَاهُ ، وَغِيومِهِمُ الْأَكْبَرُ السُّرَاهُ ، مَنْ لَمْ يَزَلْ حَوْلَ دِمَشْقَ وَمَا يَلِيهَا مِنْ حَوْرَانٍ ،
مَنَارَةَ مَنَازِلِ وَأَوْطَانَ ؛ حَامُوا عَنْ جَنَابِهَا الْمَصُونِ ، وَحَامُوا حَوْلَ غُوطَتِهَا تَسْبِيًا بِجَاهِهَا

على الفُصُون ؛ وماتلوا بسيوفهم أنهارها ، ورماحهم حَوْلَ دَوَحَاتِ الأيْكِ أَشْجَارَهَا ؛
وَأَسْتَلَمُوا بِمِثْلِ عُذْرَانِهَا دُرُوعًا ، وَحَكَّوْا بِمَا أَطْلُوهَا مِنْ دِمَاءِ الْأَعْدَاءِ شَقَاقِقَ رَوْضِهَا ،
وَبِمَا جَرُّوا مِنْ حُلَلِهِمُ الْمُسَهَّمَةَ سِيْلًا ؛ وَلَمْ يَزَلْ لَهُمْ مِنَ الْبَيْتِ التَّوْقِيْلُ مَنْ يَجْمَعُ جَمَاعَتَهُمْ ،
وَيَضُمُّ تَحْتَ رَايَةِ الدَّوْلَةِ الشَّرِيفَةِ طَاعَتَهُمْ ؛ يُخْلَفُ أَبْنُ مِنْهُمْ لِأَبِيهِ أَوْ أَخٌ لِأَخِيهِ ،
وَيَنْظُمُ كُلُّ قَرَفَدٍ مَعَ مَنْ يَنْاسِبُهُ وَيُنَاضِفُ كُلُّ كَوَكَبٍ إِلَى مَنْ يُؤَاحِيهِ .

وكان مجلس الأمير الأجل ، فلان بن فلان الزبيدي - أدام الله عزه - هوقية
من سلف من آبائه ، وعرف مثل الأسد القسورة ببابائه ؛ وأتخصر فيه من استحقاق
هذه الرتبة ميراث أبيه ، وأستفرق جميع ما كان من أمر قومه وإمرتهم يليه .

فرسم بالأمر الشريف - زاده الله تعالى شرفا ، وذخره لكل سالف خلفا -
أن يرتب في إمرة قومه من زبيد النازلين بظاهر دمشق وبلاد حوران المحروس ،
على عادة أبيه المستمرة ، وقاعدته المستمرة ؛ إلى آخر وقت ، من غير تنقيص له عن
تجيم سعده في سمة ولا سمت ؛ تقديمه تشمل جميعهم ممن أعرق وأشام ، وأتجد
وأثمهم ؛ لا يخرج أحد منهم عن حكمه ، ولا ينفرد عن قسمه ؛ لا ممن هوى جدار ،
ولا ممن هو مصحور في قفار ؛ يمشي على ما كان عليه أبوه ، ويقوم فيهم مقامه الذي
كان عليه هو وأولوه .

ونحن نوصيك بتقوى الله تعالى ، واتباع حكم الشريعة الشريفة ما أقنت على
بلد أو أزمعت أن تحالا ، وجمع قومك على الطاعة قواما ورُكباناً ورجالا ؛ واتباع
أوامرها الشريفة وأمر نوابنا الذين هم بإزائهم ، وما أعتاز من قبلك إلا لما مالوا
إليه في أعتائهم ؛ والتأهب أنت وقومك لما رسم به في ليل أو نهار ، وحماية حمى
أتم حوله في صحراء مصحرة أو من وراء جدار ؛ والمطالعة بمن يتقبل من أصحابك

بالوفاء ، والوصايا كثيرة ومثلك أيسر ما قال له أمرتوكفاه ، والله تعالى يوفقك لما
يرضاه ، ويؤثرُك في كلِّ أمرٍ للعمل بمقتضاه ، وسبيل كلِّ واقفٍ عليه العمل به
بعد الخط الشريف شرفه الله تعالى وأعلاه أعلاه ؛ إن شاء الله تعالى .

النيابة الثانية

(من نيابات البلاد الشامية - نيابة حلب . ووظائفها التي يكتبها

من الأبواب السلطانية على نوصين)

النوع الأول

(من بمَحَاضِرَةِ حَلَب ، وهم على أصناف)

الصنف الأول

(منهم أرباب السُيُوف ، وهم على طبقتين)

الطبقة الأولى

(من يُكْتَب له تقليدٌ ، وهو نائب السلطنة بها ؛

وتقليده في قطع الثنتين بـ«الجناب الكريم»)

وهذه نسخة تقليد شريف بِنِيَابَةِ السلطنة بحَلَب ، كُتِب به للامير استدمر ،
من إنشاء الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي ، وهي :

الحمد لله حافظ نُفُور الإسلام في أيامنا الزاهرة ، بمن يفتُر عن شَنبِ النصر سيفه ،
وناظِم نِطاق الحُصُون في دَوْلَتِنَا القاهرة ، على همم من لم يزل ينزُو عدو الدين قبل
مُطْلُوع طَلَائِمِهِ طَبَقَهُ ، وتأشِر لواءِ العَدَل في أسنى ممالكنا بيد من لا يؤمن في الحق قُوَّتُهُ

وَلَا يُرْهَبُ فِي الْحُكْمِ حِفْظُهُ، وَمَذْنَرُ [أَجْر] الرِّبَاطِ فِي سَيْلِهِ لِمَنْ لَمْ يَبْتَ لَيْلَةً إِلَّا وَالتَّائِيدُ
زَيْلُهُ وَالنَّصْرُ سَمِيرُهُ وَالظَّفَرُ صَبْفُهُ، الَّذِي جَعَلَ الْجِهَادَ فِي أَطْرَافِ الْمَالِكِ الْحُرُوسَةَ
سُورًا لِعَوَاصِمِهَا، وَالصَّمَادَ فِي مَقَاتِلِ أَعْدَاءِ الدِّينِ تَجَنُّا فِي صُدُورِهَا وَخَجَى فِي غَلَاصِمِهَا،
وَالسُّيُوفَ الْحِدَادَ تُرْعَى بِمِشَارِكَتِهَا لِأَنَّهُمْ مِنْ بُلَيْتٍ مِنْهُ أَجْسَادُ أَهْلِ الْكُفْرِ بِقَاسِمِهَا،
وَرُمِيَتْ مِنْهُ أَعْمَارُهُمْ بِقَاسِمِهَا، وَأَرْهَفَ لِهَذَا الْأَمْرِ مِنْ أَوْلِيَائِنَا سَيْفًا نَحْمِلُ الشُّبُهَاءَ
بِجَوَاهِرِ فِرْنِيدِهِ، وَتَتَوَقَّعُ الْأَعْدَاءُ مَوَاقِعَ فَكَاكِتِهِ قَبْلَ تَأْتِي بَرْقِهِ مِنْ حُصْبِ غَيْدِهِ؛
وَيَعْرِفُ أَهْلُ الْكُفْرِ مَضَارِبَهُ الَّتِي لَا تَطِيقُ مَقَاتِلُهُمْ جَحْدَهَا، وَتَفُزُّ عَصَبُ الضَّلَالِ
فَرَقًا مِنْ مَهَابَتِهِ الَّتِي طَالَمَا أَغَارَتْ عَلَى جِيُوشِهِمُ الْمُتَعَدَّةَ وَحْدَهَا .

نَحْمَدُهُ عَلَى نِعَمِهِ الَّتِي جَعَلَتْ النَّصْرَ لِأَجْيَادِ مَالِكَا عُقُودَا؛ وَالْكَفْرَ لَهَبِ صَوَارِمِنَا
وَقُودَا، وَالتَّائِيدَ مِنْ نَتَائِجِ سُيُوفِنَا الَّتِي تَأْنِفُ أَنْ تَرَى فِي مَضَاجِعِ الْعُمُودِ رُقُودَا؛
وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً تُعْلِي مَنَارَ الْهُدَى، وَتُطْفِئُ أَنْوَارَ
الْعِدَا، وَتُخْلِي أَجْسَادَ أَهْلِ الْكُفْرِ مِنْ قُوَى أَرْوَاحِهِمْ فَتَغْدُو كِدْيَارِهِمُ الَّتِي لَا يُجِيبُ
فِيهَا إِلَّا الصَّدَى؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي أَعْلَى بِنَاءُ الْإِيمَانِ بِتَأْذِينِهِ،
وَأَيْدِنَا فِي الدُّبِّ عَنْ مِلَّتِهِ، بِكُلِّ وَلِيٍّ يَتَلَقَّى رَايَةَ النَّصْرِ بِبَيْتِهِ، وَأَعَانَنَا عَلَى مَصَالِحِ
أُمَّتِهِ، بِكُلِّ سَيْفٍ تَتَأَلَّقَى نَارُ الْأَجَلِ مِنْ زَنْدِهِ وَيَتَرَقُّقُ مَاءُ الْحَيَاةِ مِنْ مَعِينِهِ؛ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ وَسَمَتْ أَسْتَنْتَهُمْ مِنْ وَجْهِ الْكُفْرِ أَغْفَالًا، وَكَانَتْ سَيُوفُهُمْ
لِمَعَارِلِ أَهْلِ الشُّرْكِ مَفَاتِيحَ فَلَمَّا فَتَحَتْ غَدَّتْ لَهَا أَقْفَالًا؛ فَهُمْ مَنْ فَازَ بِزِيَةِ السَّبْقِ
إِلَى تَصْدِيقِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ كَانَ الشَّيْطَانُ يُنْكِبُ عَنْ طَرِيقِهِ؛ وَمِنْهُمْ مَنْ أَمَرَ بِإِعْمَادِ
سَيْفِ الْإِنتِصَارِ لَدَمِهِ عَنْ مَرْيَقِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ حَازَ رُتْبَةَ أَخْتَانِهِ وَصِرْهَ دُونِ أَسْرَتِهِ
الْكَرَامِ وَفَرِيقِهِ؛ صَلَاةَ دَائِمَةِ الْخُلُودِ، مُسْتَمِرَّةَ الْإِقَامَةِ فِي التَّهَانِمِ وَالتَّجُودِ؛ وَسَلَمًا
تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وبعد، فلربّ أولى من حُلِيَتِ التّقاليدُ بِلاَلِي أوصافه، ومِلِكِ الأقاليمِ بمواقع
مهابته وإنصافه؛ ورِيست قلوبُ العدا بطُروقِ خياله قبل خيله، وخاف الكُفْرُ
كلّ شيءٍ أشبه ظُباه من توقّد شمس نهاره أو حكي أسنّته من تألّق نجوم ليّله؛
ومدّ على الممالك من عزّ مانه سورٌ مصفّحٌ يصفّحُه، مُشرفٌ بأمنّة رماحه؛ ساميةٌ
على منطقة الجوزاء منطقة بروجه، نائيةٌ على أمانِ العدا مسافة رفته فلا يقدر أملُ
بائعٍ على أزيقاته ولا رجاء طائعٍ على ولوجه. من تمهّدت بسناد تدبيره الدول، وشهدت
بسير محاسنه السير الأول؛ وتوطّدت الممالك على أسنّته فحققت أن أعلى الممالك
ما بُني على الأسل، وسارت في الآفاق سمعته فكانت أسرى من الأحلام وأسبق
من الأوهام وأسير من المثل؛ وصابت الثغور صواريخه فلم يَمِمْ بَرَقها إلا أسيرٌ
أو كبير، أو من إذا رجع إليها بصره أقلب إليه البصر خاسئاً وهو حسير؛ وزانت
الأقاليم مبدلته فلا ظلم يفتى ظلامه، ولا جور يُجنى المأثم، ولا حقّ تُدحض
محجته ولا باطل يعلو كلامه؛ فالبلاد حيث حلّ بدله معموره، وبإياله معموره،
وسيوف ذوي الأقاليم وأقلامهم بأوامره في مصالِح البلاد والعباد منبهةٌ ومأمورة.

ولما كان الجناحُ العالى هو الذى عاتق الملك الأعزّ نِجاده، والليث الذى لم يرزل
في سبيل الله إغارته وإتجاده؛ والكنى الذى كمّ له في جهاد أعداء الله من موقف
صديقٍ يضلّ فيه الوهم وترّّل فيه القدم، والهلم الذى إن أنكرت أعناقُ العدا مواقع
سيوفه «فما بالهتد من قدم»؛ والمقدام الذى لا تُسكّر مشاهدته في إرغام الكُفْر ولا
تُكفّر، والزعيم الذى حمت مهابته السواحل تخاف البحر؛ وهو العدو الأزرق، من
بأسه الأحمر، على نبي الأضر؛ والمقّم الذى كمّ ضاقت بسرّاي شيعته الفجّاج؛ ! وكَم
أشرفت نجوم أسنّته من أفق النصر في ظلم العجاج؛ ! وكَم حَمى العذب الفرات على
البعد بسيفه وهي مجاورة للملح الأجّاج؛ ! مع سطوة أنامت الرعايا في مهد أمنها،

ورأفة عَمَرَتِ البرايا بِعَاطِفَةٍ إِقْبَالِهَا وَيُمْنِهَا ، وَرَفِقَ تَكَفُّلَ لَسَهْلِ الْبِلَادِ وَحَزَنِهَا بِإِعَانَةِ
مُزْنِهَا ؛ وَتَجَاعَةً أَعْلَتِ الْجِيوشَ الَّتِي قَبْلَهُ فَغَدَّتْ أَحَادُهَا أُلُوفًا ، وَفَتَكَاتٍ عَوَدَتِ
الطَّيْرُ الشَّيْعَ مِنْ وَقَائِعِهِ فَبَاتَتْ عَلَى رَايَاتِهِ عُكُوفًا ، وَمَعْدَلَةٍ عَمَّتْ مَنْ فِي إِيَالَتِهِ فَأُضْحَى
الضَّعِيفُ فِي الْحَقِّ قَوِيًّا عِنْدَهُ وَالْقَوِيُّ فِي الْبَاطِلِ ضَعِيفًا .

وكانت البلاد الحليّة المحروسة هي المملكة التي لا تجارى شهاؤها في حليّة نخار ،
والرتبة التي لا يؤهل لها من خواص الأولياء الأعزّة إلا من استخرنا الله تعالى
في تقليد جيد مفاخره بلا لي كفايتها نخار ، فهي سور المالك الذي لا تسوره
الخطوب ، وأتم الثغور التي ما يرح يسفر بأثسامها عن شب النصر وجه الزمن
القطوب ؛ وموطن الرّباط الذي كل يوم وليلة [فيه] خير من الدنيا وما فيها ،
وعقيلة الأقاليم التي تم أنجى قلوب الملوك الأكابر صُدودها وأسر عيون العظام
الأكاسرة تجافها ؛ بل هي عقد دُرّه حصونه ، وروض سيوف الكفا جداوله
ورماح الحماة غصونه ؛ وحي لم تزل عيون عنايتنا بهون الله تحفه وأيدى تأييدنا
بقوة الله تصونه - أقتضت آراؤنا الشريفة أن نزهف بحايتها هذا السيف الذي
تسابق الأجل مضاربه ، وتبطل الحيل تجاربه ، ويتقدّم خبر عزائمه خبرها فلا
يُدري : هل ربح الجَنُوبُ أُسْرَى وأسرع أم جنائبه ؛ وتبث مهايته أمام سراياه إلى
العداء سرايا رعب تقلّ جمعهم ، وتسبق إلى التّحرّز من بأسه بصرهم وسمّهم ؛
وتسفر بكل أفق عن تحتها مغيره ، أو كتيبة تجعلها لمعالي النصر الكامنة مثيره .

فلذلك رُم بالأمر الشريف العالی - لا زالت أوامره مبسوطة في البسيطة ،
ومالكه محوطة بمهايته الشاملة ومعدلته المحيطة - أن تفوض إليه نيابة السلطنة
الشريفة بالمملكة الحليّة : تفويضًا يوثقها من عيون العدا بآيات عزائمه ، ويوثقها

أَجْتَنَّبَ تَمَرُ الْمُنَى وَالْأَمْنَى مِنْ وَدَقِ صَوَارِمِهِ ، وَبَنَظِمَ دَرَارِيَّ الْإِسْنَةِ مِنْ أَجْيَادِ
حُصُونِهَا فِي مَكَانِ الْقَلَائِدِ ، وَيَجْعَلُ كَيْدَ أَعْدَائِهَا لَخَوْفِهِ أَضْعَفَ مِنَ الْوُلْدَانِ وَأَنْجِبَ
مِنَ الْوَلَائِدِ ؛ وَيُجَرِّدُ إِلَى مُجَاوِرِيهَا مِنْ هِمَّتِهِ طَلَائِعَ تَحَصُّرِهِمْ فِي الْقَضَاءِ الْمُنْتَسِعِ ، وَتُسَدُّ
عَلَيْهِمْ مَجَالِ الْأَرْضِ الْفَسِيحَةِ فَيَقْدُومُ لَهُمْ حَرْبُهَا الْحَزَنُ الشَّامِلُ وَسَهْلُهَا السَّهْلُ الْمُتَنَجِّعُ .

فَلْيَتَقَلَّدْ هَذِهِ الرِّبَّةَ الَّتِي يَمِثِّلُهَا تَرْهَى الْأَجْيَادِ ، وَبَتَقَلِّدُهَا يَنْظَرُ حَسَنُ الْاِئْتِقَاءِ
لِجَوَاهِرِ الْأَوَّلِيَاءِ وَالْاِئْتِقَادِ ، وَبَتَقْوِيضِهَا إِلَى مِثْلِهِ يُعْلَمُ حَسَنُ الْاِئْتِقَادِ لِمَصَالِحِ الْبِلَادِ
وَالْعِبَادِ ؛ وَلِيَزِدَّ جِيوشُهَا الْمَنْصُورَةَ إِزْهَابًا لَعَدُوِّهِمْ ، وَإِزْهَابًا لَصَوَارِمِ الْجِهَادِ فِي رَوَاجِهِمْ
وَعُدُوِّهِمْ ، وَإِدَامَةً لِلتَّغْيِيرِ الَّذِي حَبَّهَ اللَّهُ إِلَيْهِمْ ، وَقُوَّةً عَلَى مُجَاوِرِيهِمْ مِنْ أَهْلِ التَّفَاقُقِ
الَّذِينَ يَحْسِبُونَ كُلَّ صَبِيحَةٍ عَلَيْهِمْ ؛ فَلَهُمْ فُرْسَانُ الْجِلَادِ الَّذِينَ أَلْفَوْا الْوَقَائِعَ ، وَأَشْوَارُ
الْقُرَاتِ الَّذِينَ عُرِفُوا فِي الذُّبِّ عَنْ مِلَّتِهِمْ بِحِفْظِ الشَّرَائِعِ ، وَكَشَافَةِ الْكُرْبِ الَّذِينَ
لَا يَزَالُ لَهُمْ فِي سَائِرِ بِلَادِ الْعِدَا مِرَايَا وَعَلَى جَمِيعِ مَطَالِعِ دِيَارِ الْكُفْرِ طَلَائِعُ ؛ وَهُمْ
بِتَقَدُّمَتِهِ تَضَاعَفَ شَجَاعَتُهُمْ ، وَتَزِيدُ أَسَيْطَاعَتُهُمْ وَطَاعَتُهُمْ ؛ وَلِيَأْخُذْهُمْ بِمَضَاعِفِ
الْأَهْبِ وَإِدَامَةِ السُّمَى فِي حِفْظِ الْبِلَادِ وَالذُّبِّ ، وَالتَّشْبِهُ بِأَسُودِ الْغَابَاتِ الَّتِي هَرَمَهَا
فِي الْمَسْلُوبِ لَا السَّلْبِ ؛ وَلَهُمْ بِكَشْفِ أَحْوَالِ عَدُوِّ الْإِسْلَامِ لِيَبْرَحَ أَمْنًا عَلَى الْأَطْرَافِ ^(١)
مِنْ حَيْفِهِمْ ، مَتَقَيِّظًا لِمَكَائِدِهِمْ فِي رِحْلَتَيْ شَتَائِهِمْ وَصَيْفِهِمْ ؛ مُفَاجِئًا لَهُمْ فِي كُلِّ مَنَزِلٍ
بَسْبِيزٍ يَرُوعُ سِرْبَهُمْ ، وَيُكَدِّرُ شَرِبَهُمْ ؛ وَيَجْعَلُ رُوحَ كُلِّ مِنْهُمْ مِنْ خَوْفِ قُدُومِهِ
نَافِرَةً عَنِ الْجَسَدِ ، وَيَسْلُبُهُمْ بِتَوَقُّعِ مُفَاجِئَاتِهِ الْقَرَارَ « وَلَا قَرَارَ عَلَى زَائِرٍ مِنَ الْأَسَدِ » ،
وَلَا تَزَالُ قُصَادُهُ بِأَسْرَارِ قُلُوبِ الْأَعْدَاءِ مُتَاجِيهِ [وَلَا يَبْرَحُ لَهُ مِنْ أَعْيَانِ عِيُونِهِ ^(٢)
بَيْنَ الْعِدَا فَرْقَةٌ نَاجِيهِ] وَلِيَحْتَمِلَ بِتَدْرِيجِ الْحَمَامِ الَّتِي هِيَ رُسُلُ أَعْيَتِهِ ،

(١) مراده ليبقى على الدوام أماناً إلا أن هذه المادة لا تؤدي هذا المعنى إلا بسبق النفي . تأمل .

(٢) الزيادة عما يأتي قرئاً ليستقيم الكلام .

وإقامة الديارب الذين إذا دعوا همهمة بالنسبة النيران لبثهم النسبة استتبه ؛ وليست
قلوب أعدائه بوجل لقائه قبل الأجل ، وليرد في الحزم على ابن مزيد الذي
لم يرفى الأمن إلا في درج مضاعفة « لا يأمن الدهر أن يدعى على عجل » ؛
وليجعل أحوال الفلاح المحروسة دائما برأى منه ومسعم ، ويسدنها من ملاحظته
باحتيال لا يدع لشائيم برقها وحول أموالها [مطمعا] فقد استكمل حسن النظر
في مصالحها أجمع ؛ وليقيم منار الشريع الشريف بمعاذة حكامه ، والاعتقاد إلى
أحكامه ، والوقوف مع قضيته وإبرامه :

فليجعل حكم الشريعة المطهرة أمامه وإمامه ، وليقيم أمر الله فيمن آتاه الشريع
إلى حكمه بخاذب زمامه ؛ وليعظم حمة العلم الذي أعلى الله مناره ، وأفاض على
الأمم أنواره ، وحفظ بهم على الملة سنة نبيهم صلى الله عليه وسلم وآثاره ؛ وليكن
لأقدارهم رافعا ، ولضارهم دافعا ؛ ولأوقافهم بجبل الاحتفال عامرا ، وفي مصالحهم
بتحلية الأحوال آمرا ؛ ولينشر لواء العدل الذي أمر الله بنشره ، ويشفعه بالإحسان
الذي هو مألوف من سبحانه ومعروف من طلاقة بشيره ؛ ويمد على الرعايا ظل رافقه
الذي يضيئ في النعم لباسهم ، ويديم الفهم بالرعاية وأستئناسهم ؛ ويقيم حكم سياسته
على من لم يستقيم ، ويقف مع رضا الله تعالى في كل أمر ؛ فإذا رحم الله فليرحم
وإذا أنتم فليرحم الله لا يتنعم ؛ وليعتن بعمارة البلاد ببسط العدل الذي ما أحسن به
ملك إلا صانه ، والرفق الذي لم يكن في شيء إلا زانه ، وتوحي الحق الذي من جعله
نصب عييه وفقه الله له وأعانه . وكذلك أمر الأموال : فإنها ذخيرة الملك وعناؤه ،
ومادة الجيش الذي إذا صرفت إلى مصالحهم هممه لم يفتش عليه أقطاعه ولا

(١) يشير إلى بيت من قصيدة لمسلم بن الوليد يمدح بها يزيد بن مزيد التيجاني وهو :

تراه في الأمن في درج مضاعفة * لا يأمن الدهر أن يدعى على عجل

نَقَادُهُ ؛ وَجَمِيعُ الْوَصَايَا قَدْ أَلْفَنَّا مِنْ سِيرَتِهِ فِيهَا قَوْقُ مَا تَقْتَرِحُ ، وَخَبَرْنَا مِنْ مَقَاصِدِهِ فِيهَا مَا يَقُولُ لِلسَّانِ قَلَمُهَا : قَدْ عَرَفْتُ مَا أَوْمَأَتْ إِلَيْهِ مِنْ مَقَاصِدِكَ فَاسْتَرَحَ ؛ وَمِلَاكُهَا تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى وَرِضَانَا ، وَهُوَ الْمَأْلُوفُ مِنْ عَدْلِهِ وَإِنْصَافِهِ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يُدَيِّمُهَا بِتَأْيِيدِهِ وَقَدْ فَعَلَ ، وَيَجْعَلُهُ مِنْ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ وَأَعْلَامِ الْمُسْلِمِينَ وَقَدْ جَعَلَ ؛ بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ ، وَالْإِعْتِمَادُ إِنَّ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



وهذه نسخة تهليلة شريف بزيادة حَلَبَ أيضا ، كُتِبَ بِهَا عَنْ السُّلْطَانِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ «مُحَمَّدِ بْنِ قَلَاوُونَ» لِلْأَمِيرِ شَمْسِ الدِّينِ «قِرَاسُتُقَر» بِإِعَادَتِهِ إِلَيْهَا . مِنْ إِنْشَاءِ الشَّيْخِ شِهَابِ الدِّينِ مُحَمَّدِ الْحَلَبِيِّ ، وَهِيَ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الْعَوَاصِمَ بِإِقَامَةِ قَوْضِ الْجِهَادِ فِي أَيَّامِنَا الشَّرِيفَةِ مُعْتَصِمَةً ، وَالتُّغُورَ بِمَا تَفْتَرَعُهُ مِنْ شَنْبِ النَّصْرِ فِي دَوْلَتِنَا الْقَاهِرَةِ مُبْتَسِمَةً ، وَالصُّوَارِمَ الْمُرْهَفَةَ فِي أَطْرَافِ الْمَمَالِكِ بِأَيْدِي أَوْلِيَانَا لِأَرْوَاجِ مَنْ قَرَّبَ أَوْ بَعُدَ عَنْهَا مِنَ الْأَعْدَاءِ مُقْتَسِمَةً ، وَالْحُصُونِ الْمُصَفَّحَةَ بِصِقَاحِنَا بِأَعْلَامِ النَّصْرِ مُعَلِّمَةً وَبَسِيَا الظُّفَرِ مُنْسِمَةً ؛ مُعَلِّي قَدِيرٍ مِنْ أَحْسَنِ فِي مَصَالِحِ الْإِسْلَامِ عَمَلًا ، وَرَافِعِ ذِكْرٍ مَنْ يَسْطُرُ إِلَى عِزِّ طَاعَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَطَاعَتِنَا أَمَلًا ، وَبُحْدِ سَعْدٍ مَنْ تَلْبَسَ الْأَقْلَامُ مِنْ أَوْصَافِهِ أَنْفَرِ الْحُلُلِ إِذَا خَلَعَتْ مِنَ الْحَمَامِدِ عَلَى أَوْصَافِهِ حُلَلًا ، وَمُقَوِّضِ زَعَامَةِ الْجَبُوشِ بِمَوَاطِنِ الرِّبَاطِ فِي سَبِيلِهِ إِلَى مَنْ إِذَا قَلَّتْ مَقَاتِلُ الْعَدَا سَيُوفُ الْخِلَادِ كَانَتْ عِزَّائِمُهُ مِنَ السِّيُوفِ الْمُرْهَفَةِ بَدَلًا .

نَحْمَدُهُ عَلَى نِعَمِهِ الَّتِي جَعَلَتْ طَاعَتَنَا مِنْ آ كَدِ أَسْبَابِ الْعُلُوِّ ، وَخِدْمَتَنَا مِنْ أَنْجِجِ أَبْوَابِ الرِّقْعَةِ بِحَسَبِ الْمُبَالَغَةِ فِي الْخِدْمَةِ وَالنُّفُوِّ ، وَنِعْمَنَا شَامِلَةً لِلْأَوْلِيَاءِ بِمَا يُرْبِي عَلَى

طَوَائِجِ الْأَمَالِ فِي الْبُغْدِ وَالْدُّنُو؛ وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً
تُنْتَزَلُ بِهَا مَوَادُّ النَّصْرِ وَالظَّفَرِ، وَتُسَجَّزَلُ بِهَا ذَخَائِرُ التَّايِيدِ الَّتِي كَمْ أَسْفَرُ عَنْهَا وَجْهٌ
سَقَرٌ، وَتُرَهَّفُ بِهَا سَيُوفُ الْجِهَادِ الَّتِي كَمْ آلَفَتْ مِنْ آمَنٍ وَكَفَّتْ مِنْ كَفَرٍ، وَنَشْهَدُ
أَنْ عِمْدًا جَدَهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي أَنْزَلَ سِكِّينَتَهُ عَلَيْهِ، وَزُوِيَتْ لَهُ الْأَرْضُ فَرَأَى مِنْهَا
مَا يَبْلُغُ مُلْكُ أُمَّتِهِ إِلَيْهِ، وَغُرِضَتْ عَلَيْهِ كُنُوزُ الدُّنْيَا فَأَعْرَضَ عَمَّا وُضِعَ مِنْ مَقَالِيدِهَا
بِيَدَيْهِ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَنَهَضُوا بِمَا أَمَرُوا بِهِ
مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ وَطَاعَةِ أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ؛ صَلَاةً دَائِمَةً الظَّلَالِ، أَمَنَةً
تَسْمُكُ دَوَامِهَا مِنَ الزَّوَالِ؛ وَسَلَامًا تَسْلِيًا كَثِيرًا .

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنْ أَوَّلَى مِنْ طُوقَتْ أَجَادُ الْمَالِكِ بِفَرَائِدِ أَوْصَافِهِ، وَفُوقَتْ إِلَى مَقَاتِلِ
الْعِدَا سِهَامُ مَهَاجِهِ الَّتِي تَحُولُ مِنْهُمْ بَيْنَ كُلِّ قَلْبٍ وَشِعَافِهِ؛ وَخُصِّصَتْ بِهِ أُمُّ الثُّغُورِ الَّتِي
دَرَّ لَهَا حَلَبُهَا، وَسَدَّتْ عَلَيْهَا أَقْيَاءَ النَّصْرِ الْمَمْدُودَةِ ذَوَائِلَهَا وَقُضْبُهَا، وَأَهْدَى أَرْجَ التَّبْلُجِ
افْتَرَارُهَا وَشَبَّهَا - مَنْ يَقُومُ مَهَابَتَهُ مَقَامَ الْأَلُوفِ، وَتَجْتَنِّي سُمُّعَتُهُ مِنْ ذَوَائِلِ الْعَزَائِمِ تَمَرُ
النَّصْرِ الْمَأْلُوفِ؛ وَيَسْبِقُ خِيَالَهُ سَرَايَا خِيَلِهِ الَّتِي هِيَ أَمْرَى مِنْ هُوجِ الرِّيَاحِ إِلَى هَزَمِ
الْجُجُوجِ وَتَفْرِيقِ الصُّفُوفِ، وَتَنْظِمُ أَسِنَّةَ رِمَاحِهِ فِي الْوَعَى قُلُوبَ الْعِدَا نَفْثَ السُّطُورِ
وَيَتَرَصِّفُهَا حُرُوفَ رُءُوسِهِمْ تَرَا حُرُوفَ؛ وَتُحِيطُ بِنِطَاقِ الْمَالِكِ الْمُتَطَرِّقَةِ صَوَارِمِهِ إِحَاطَةً
الْأَسْوَارِ بِالْحُصُونِ، وَالتَّمَائِلِ بِالْفُصُونِ، وَالْمَالَاتِ بِالْأَنْفَارِ، وَالْجَوَائِحِ بِالْأَشْرَارِ؛
وَلَا تَبِيدُ مَلُوكُ الْعِدَا مِنْهُ إِلَّا عَلَى وَجَلٍ، وَلَا يُرَى فِي الْأَمْنِ إِلَّا فِي دِرْجٍ مُضَاعَفَةٍ
«لَا يَأْمَنُ الدَّهْرُ أَنْ يُدْعَى عَلَى نَجَلٍ»؛ وَلَا يَخْفَى عَنِ الْمَلْعِنَةِ مَا يَضْمُرُ الْأَعْدَاءُ مِنْ
الْحَرَكَاتِ قَبْلَ إِنْظَارِهَا، وَلَا يَبْعُدُ عَلَى عَزَمَاتِهِ مَا هِيَ مَلِيَّةٌ بِهِ مِنْ بَدَارِهَا أَعْدَاءُ الدِّينِ

بَنَارِهَا ؛ وَإِذَا جَلَسَ لَقَشَرَ الْمَعْلَمَةَ تَبَرُّاً الظُّلَمَ مِنْ فِكْرِ ^(١) [الْبُغْيِ وَالْجَوْرِ عَلَى إِنْسَانٍ ،
وَشَفَعَ مَا تَصَدَّقَ لَهُ مِنْ ذَلِكَ بِمَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ مِنَ الْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ .

وَمَا كَانَ الْجَنَابُ الْعَالِي الْفُلَانِي هُوَ الَّذِي مُلِثَتْ قُلُوبُ الْعِدَا بُرْعِيهِ ، وَأَنْفَلَتْ
قُلُوبُ الرِّعَايَا عَلَى حُبِّهِ ؛ وَتَهَلَّلَتْ وَجُوهُ الْمُتَى فِي سِلْمِهِ وَأَسْتَهَلَّتْ مَحَبُّ الْمَنَايَا فِي حَرِّهِ ،
وَجَمَعَ بَيْنَ حِدَّةِ الْبَأْسِ وَلُطْفِ الثَّقَى فَكَانَ هُوَ الْكَيِّ الَّذِي شَفَعَ الشَّجَاعَةَ بِالْخُضُوعِ
لِرَبِّهِ ؛ وَحَاطَ مَاوِيَّهُ مِنَ الْأَقَالِمِ بِسُورِي بَأْسِهِ وَعَدَّلَهُ فَبَاتَ كُلُّ أَحَدٍ وَادِعًا فِي مِهَادِهِ
أَمَنًا فِي سِرِّهِ ؛ وَأَغَارَتْ سَرَايَا مَهَابَتِهِ قَبْلَ طُلُوعِ طَلَانِيهِ فَاصْبَحَ كُلُّ مِنَ الْعِدَا أَسِيرَ
الدُّعْرِ قَبْلَ إِسْكَاحِهِ - قَتِيلَ الْخَوْفِ قَبْلَ ضَرْبِهِ ؛ مَعَ أَحْتِفَالِ بَهَارَةِ الْيَلَدِ ، أَعَانَ
السُّحْبَ عَلَى رَيْيَا ، وَأَشْتَمَالَ عَلَى مَصَالِحِ الْعِبَادِ ، قَامَ فِي تَيْسِيرِ أَرْزَاقِهِمْ مَقَامَ وَتَمْنَى الْغَنَامِ
وَوَلَّيَا ، وَتَقَيَّظَ لِمَصَالِحِ الثُّغُورِ أَنَامَ عَنْهَا عِيُونَ الْخُطُوبِ ، وَإِشْرَاقِ فِي أَفْقِ الْمَوَازِبِ
كَمَا وَجَّهَ الدِّينَ نُورَ الْإِشْرَاقِ وَوَجَّهَ الْكُفْرَ ظِلَامَ الْقُطُوبِ .

وَكَانَتِ الْمَمْلَكَةُ الْحَلِيَّةَ عَقِيلَةَ الْمَسَاقِلِ ، وَعِصْمَةَ الْعَوَاصِمِ ، وَوَاسِطَةَ عُقُودِ
الْمَمَالِكِ ، وَسِلْكَ فَرَائِدِ النُّصْرِ الَّتِي كَمَ أَضَاعَتُهَا إِلَى الْكُفْرِ وَجُوهُ الْمَسَالِكِ ، لَا تُدْرِكُ
فِي مِضْبَارِ الْفَخَّارِ شَبَاهُهَا ، وَلَا تُرَى إِلَّا كَمَا تُرَى النُّجُومُ فِي عِيُونِ الْعِدَا حَصْبَاؤُهَا ؛
وَلَهَا مِنَ الْحُصُونِ الْمُصُونَةِ كُلِّ قَلْعَةٍ يَتَهَيَّبُ الطَّيْفُ سُلُوكَ عِقَابِهَا ، وَيَتَقَاصِرُ لُوحُ
الْجَوِّ عَنْ مَنَالِ عِقَابِهَا ؛ فَهِيَ عَزِيزَةٌ الْمَنَالِ ، إِلَّا عَلَى كَرِيمِ كَفَافَتِهِ ، بَعِيدَةٌ بِجَمَالِ الْآمَالِ ،
إِلَّا عَلَى مَا أَلْفَتْ مِنْ إِيَالَةِ كِفَافَتِهِ ؛ سَامِيَةٌ الْأَفْقِ إِلَّا عَلَى شَمْسِهِ ، نَائِيَةٌ الطَّرْفِ
إِلَّا عَلَى مَا عَرَفَتْ مِنْ سُلُوكِهِ فِي أَمْسِهِ ، ظَامِيَةٌ الْغُرُوسِ الَّتِي أَشْنَأَهَا فِي مَصَالِحِهَا
إِلَى مَا أَعْتَادَتْهُ مِنْ سُقْيَا غَرْمِهِ - أَقْتَضَتْ آرَؤُنَا الشَّرِيفَةَ أَنْ تَزِيدَ بِهَا إِشْرَاقًا بِشَمْسٍ

جَلَالِهِ ، وَأَعْتَلَاءَ بَسِيفِهِ الذى رِيَاضُ الْحَنَّةِ تَحْتَ ظِلَالِهِ ؛ وَأَنْ تُعِيدَ أَمْرَهَا إِلَى مَنْ طَالَمَا حَسَنَ عَدْلُهُ بُقْعَتَهَا ، وَحَصَّنَ بِأَسْهُ قَلْعَتَهَا ؛ وَأَطَارَتْ مَهَابَتُهُ سَمْعَتَهَا ، وَأَطَالَتْ سِيرَتُهُ سُكُونَ رَعَايَاهَا فِي مِهَادِ الْأَمْنِ وَحِجَّتَهَا ؛ وَأَعَادَ وُجُودَهُ أَحْوَالَ مُجَاوِرِيهَا مِنَ الْعِدَا إِلَى الْعَدَمِ ، وَأَبَادَ سَيْفَهُ أَرْوَاحَ مُعَانِدِيهَا : فَلَوْ أَنْكَرْتَهُ أَعْنَاقُهُمْ لَمْ يَكُنْ بِالْمُهْدِ مِنْ قَدَمٍ .

فذلِكَ رُسْمٌ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لَا زَالَتْ شَمْسُ عَدْلِهِ ، مُشْرِقَةً فِي الْوُجُودِ ، وَغَيْثُ فَضْلِهِ ، مُسْتَهْلٌ الْجُودِ فِي التَّهَائِمِ وَالتَّجُودِ - أَنْ تَفُوضَ إِلَيْهِ تَفْوِضًا يُجَدِّدُ آرْتِفَاعَهَا ، وَيُعَمِّرُ وَهَادَهَا وَبِقَاعَهَا ، وَيُؤَيِّدُ أَنْدِفَاعَ مَضَارِّهَا وَأَنْتِفَاعَهَا ، وَيُعِيدُ الْإِشْرَاقَ إِلَى مَطَالِعِهَا ، وَالْأُمُورَ إِلَى مَوَاقِعِهَا مِنْ سَدَادِ التَّنْذِيرِ وَمَوَاضِعِهَا ؛ وَالْإِقْدَامَ إِلَى جُبُوشِهَا وَأَبْطَالِهَا [وَالشَّجَاعَةَ إِلَى حِمَاتِهَا وَرَجَالِهَا] .

فَلْيَطْلُعْ فِي أَفْقِ مَوَازِيهَا طُلُوعَ نَعْتِهِ الْكَرِيمِ ، وَيُخَيِّزْ فِي جَوَانِبِهَا مَا أَلْفَنَتْهُ مِنْ مَوَارِدِ عَدْلِهِ الذى فَارَقَهَا غَمَامُهُ وَأَثَرُ سَيْلِهِ مُقِيمٌ ؛ وَيُعَاوِذُ مَصَالِحَ تِلْكَ الْمَمْلَكَةِ الَّتِي لَا تَصْلُحُ أُمُورُهَا إِلَّا عَلَيْهِ ، وَيُرَاجِعُ عِصْمَةَ تِلْكَ الْعَقِيلَةِ الَّتِي لَا تَطْمَحُ أَبْصَارُ عَوَاصِمِهَا إِلَّا إِلَيْهِ ، وَيُلْقِي فِي قُلُوبِ مُجَاوِرِيهَا ذَلِكَ الرَّعْبَ الذى نَعَى إِلَى كُلِّ مِنْهُمْ نَفْسَهُ وَأَسْلَاهُ عَمَّا فِي يَدَيْهِ ؛ وَيُنْبِثُ تِلْكَ الْمَهَابَةَ الَّتِي جَعَلَتْ مَتَابَا الْعِدَا بِرَاحَتِهِ يَأْمُرُهَا فِيهِمْ وَيَنْهَاهَا ، وَيُنْشَرِّفُ الرِّعَايَا تِلْكَ الْمَعْدِلَةَ الَّتِي هِيَ كَالشَّمْسِ : لَا تَبْتَغِي بِمَا صَعَتَتْ مِثْلَهُ عَنْدهُمْ وَلَا جَاهًا ؛ وَلَتَكُنْ أَحْوَالُ عَدُوِّ الْإِسْلَامِ بِمَرَأَى مِنْهُ عَلَى عَادَتِهِ وَمُسْمَعٌ ، وَيَكْفُفُ أَطَاعَ الْكُفَّارِ عَلَى قَاعِدَتِهِ فَلَا يَحْدُثُ لَهُمْ إِلَى شَيْءٍ بَرَقَ الثُّغُورُ مَطْمَحٌ وَلَا فِي الْعِلْمِ بَسْنَاهَا مَطْمَحٌ ؛ وَلَيْكُنْ مِنْ أَرْصَادِهِ ، نَهَارُ عَدُوِّ الدِّينِ وَلَيْلُهُ ، وَمِنْ أَمْدَادِهِ ، مَجَازُ الْجِهَادِ وَحَقِيقَتُهُ فَلَا يَرِجُ سَيْتَهُمْ خِيَالَهُ إِذَا لَمْ تُصَبِّحْهُمْ خَيْلُهُ ؛ وَلَا يَرِجُ لَهُ مِنْ أَعْيَانِ عِيُونِهِ

بين العدا فرقة ناجية ، وطائفة بأسرار قلوب القوم مناجية ، لتكون له مقائلهم على طول الأبد بآيديه ، وتقدو منازلهم خاوية بين سراياه الرائحة والغاية . ولتعاخذ أحوال الجيوش بإدامة عرضها ، وإقامة واجبات القوة وفرضها ، وإطالة صيت السمعة المشهورة لكتائبها في طول بلاد العدا وعرضها ، وإزاحة أعدائها للركوب ، وإزالة عوائق آرتيادها للوثوب ، وإعداد العدد التي لها من أيديهم طلوع [في] مقاتل أعدائهم غروب . ولتفقد أحوال الحصون المصونة بسداد ثغورها ، وسداد أمورها ، وإزاحة أعدار رجالها ، وإرهاق همم حمايتها التي تضيق على آمال العدا سعة مجالها ، وتؤثر ذخائرها ، وتعمير بواطنها وظواهرها ، وتحصين مسالكها التي يرهب الخيال المتولى إلى العيون سلوك مخارجها .

ويُعلم منار الشرع الشريف بتشييد مناره وإحكامه ، وتنفيذه لقضايأ قضائيه وأحكام حكمائه ؛ والوقوف في كل أمر مع تقضيه في ذلك وإبرامه ، ورفع أقدار حملة العلم على ما القوه من الرقعة والسمو في أيامه . ولكُن وطأة بأسه على أهل الفساد مُشتدّه ، وأوامره مُتقدّمة بوضع الأشياء في مواضعها : فلا توضع الحدة موضع الأناة ولا الأناة موضع الحدة . وليراع عهود المودعين مهما استقاموا ، ويجمع عليهم إن يكفوا أنامل بأسه التي هم في قبضتها رحلوا أو أقاموا ؛ ولتخبر أنسنة النيران بسببها على اليفاع [والأكلام] من قدم لمكيدة أو طمن بمطار الحماق . وجميع ما يتعلق بهذه المرتبة السنية من قواعد ظلى سالف تديره يُنسب ، ومن سوابق تقريره وتقريره يُحسب ؛ فهو ابن بجلتها ، وفارس بجلتها ؛ ومؤثّل قواعدها ، ومؤثّر ما حُمد من أمتداد عضدها إلى مصالح الإسلام وساعدها ؛ فليفعل في ذلك ما يشكره الله والإسلام عليه ، ويُثبت الحجّة عند الله تعالى في إلقاء المقاليد إليه ؛ وملاك

الوصايا تقوى الله وهي نجيّة نفسه، ونكرة ما آجئني في أيام الحياة من غرسه ،
وشر العدل والإحسان فيما تظهر مزيّة يومه الجميل على أسسه ؛ والله تعالى يعمل
نعمه دائماً الاستقبال ، وتسمه آمنة من القروب والزوال ؛ والاعتقاد ... : .

الطبقة الثانية

(من يكتب له في قطع الثلث بـ«المجلس السامي» وفيها وظائف)

الوظيفة الأولى

(نيابة القلعة بها)

وهذه نسخة مرسوم شريف بنبابة قلعة حلب :

الحمد لله مولي قدر من تحلي بالأمانة والصون ، ورافع مكانة من كان فيما عرّض
من العوارض نعم العون ؛ ومؤهل من أرشدنا إليه للاجتماع حسن الاخبار ، ومبلغ
الإيثار من شكرت عنه محامد الآثار .

نحمد حمد الشاكرين ، ونشكره شكر الحامدين ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده
لا شريك له شهادة مختلص في اعتقاده ، مبراً من افتراء كل جاحد وإلحاد ؛ ونشهد
أن محمداً عبده ورسوله الذي أرسله بالحق بشيراً ونذيراً ، وأيده سلطاناً منه وطهر [به]
الأرض من دنس الضلال تطهيراً ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة لا يزال علم
العلم بها منشوراً ، وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد ، فإن العناية بالحصون تُوجب أن لا يُختار لها إلا من هو مولى يحفظها ؛
مؤقر [لها] من حسن اللب غاية حَظّها ؛ حسن المراجعة ، مبرأ من دنس الاختلال

السَّاقِلَةُ ، ذَوْ قَلْبٍ [قَوِيٌّ] وَقَالِبٌ ، وَعَزِمَ مازال لمهمات الأمور أَمْجَحَ مُغَالِبٍ ؛ إِذْ هُوَ
لِلرَّايِطِينَ بِهَا أَوْثَقُ حَرِيْزٍ حَرِيْزٌ ، وَأَصْوَنُ حِجَابٍ لِمُبَارَزَةِ ذَوِي التَّبَرِيْزِ ؛ [قَصَبٌ بِهِ] مُسْتَوْرًا
عَوَارُهَا ، كَاتِمَةٌ لِأَسْرَارِهَا أَسْوَارُهَا ؛ تَخَاطَبَ مُنَازِلِهَا مِنْ جَنَابَتِهَا بِأَبْلَغِ لِسَانٍ ، وَتُسَافَهُ
مُلَاجِيَهَا مِنْ أَتَقَةٍ أَنْفِهَا إِلَّا أَنَّهُ بِأَعْلَى مَكَانٍ .

ولما كانت القلعة الفلانية بهذه المترلة الرفيعة ، والمكانة التي كل مكانة بالنسبة
والإضافة إلى علو مكانها المكانة الوضعية - آخَرْنَا لَهَا وَأَبْتَنَيْنَا ، وَأَسْتَوْعَيْنَا بِالتَّاهِيلِ
لِنَابِتِهَا وَلَمْ تَرَكَ فِي أَسْتِعَانَا وَلَا أَبْقَيْنَا ؛ فَلَمْ تَجِدْ لَوْلَايَتِهَا كُفًّا إِلَّا مِنْ نُظُمَتِ عُقُودُ
هَذَا التَّقْلِيدِ لَتَقْلِيدِهِ ، وَرُتِلَتْ سُورُ هَذِهِ الْحَامِدِ بِمُبْدِئِ لِسَانِ تَقْرِيطِهِ وَمُعِيدِهِ ؛ إِذْ هُوَ
أَوْثَقُ مِنْ يُلْقَى إِلَيْهِ إِقْلِيدُهَا ، وَأَكْفَأُ مِنْ يُجَبِّزُ بِهِ مَوْعُودُهَا ؛ إِذْ كَانَ الْمَكِينِ ،
وَالثَّغَةِ الْمُتَحَلِّي إِذْ كَانَ التَّحَلِّي مِمَّا يَزِينُ الْعَاطِلَ الْمَشِينِ ؛ إِنْ ذُكِرَ الرَّأْيُ فَهُوَ الْمُتَصِفُ
بِسَدِيدِهِ ، أَوِ الْعَزَمُ فَهُوَ الْمَوْسُومُ بِسَدِيدِهِ ؛ أَوِ التَّثَبُّتُ فَهُوَ مِنْ صِفَةِ تَجَاعَتِهِ ، أَوْ حُسْنُ
الْمُظَافَرَةِ فَهُوَ الْبَازِلُ فِيهَا جُهْدٌ أَسْتَطَاعَهُ .

ولما كانت هذه المتاقب متاقبه ، وهذه المذاهب مذاهبه ؛ رُسم بالأمر الشريف
العالى - زاده الله مضاءً ونفاذاً ، وَأَسْتَحْوَاءً وَأَسْتَحْوَاذًا - أَنْ تَفُوضَ نِيَابَةَ السُّلْطَنَةِ
بِالْقَلْعَةِ الْفُلَانِيَّةِ وَمَا هُوَ مَنْسُوبٌ إِلَيْهَا مِنْ رُبُضٍ وَنَوَاحٍ ، وَقُرَى وَضَوَاحٍ ، لِلجَلِيسِ
السَّائِي فُلَانٍ .

فَلْيَرَقْ إِلَى رُتَبَتِهَا الْتَيْنِيفِ قَدَرُهَا ، الْمُهَمِّ سِرُّهَا وَجَهْرُهَا ؛ وَلَيْكُنْ مِنْ أَمْرِ مَصَالِحِهَا
عَلَى بَصِيرَةٍ ، وَمِنْ تَقَقُّدِ أَحْوَالِهَا عَلَى قِطْعَةٍ مَازَالَتْ مِنْهُ مَحَبُّورَةٌ ؛ وَلْيَأْخُذْ مُحَرِّزُهَا
مِنَ الْجُنُودِ وَغَيْرِهِم بِالْمُلَازِمَةِ لِمَا عُنِدَ بِهِ مِنَ الْوِظَائِفِ ، وَيَتَقَدَّمَ إِلَى وَالِيهَا مَعَ
طَوَائِفِهَا أَوَّلَ طَائِفٍ ؛ وَلْيَتَقَقَّدْ حَوَاصِلَهَا مِنَ الدُّخَانِ ، وَوَصَائِلَهَا مِنَ التَّبَذِيرِ بَيْنَ

يرتبه على حفظها من الأخبار؛ ومهما عَرَضَ يُسْرِعُ بالمطالعة بأمره، والإعلام
بِنَقْمه وَضَرّه .

هذه نُبذة كافية للوقوف بكفايته، والعلم بسديد كفايته ؛ والله تعالى يحسن له
الإعانة، ويميز له الصيانة ؛ والخط الشريف أعلاه ... :

الوظيفة الثانية

(شدُّ الدواوين بحلب)

وهذه نسخة توقيع شدِّ الدواوين بحلب :

الحمد لله الذى أرهف فى خِدمَةِ دولَّتِنَا كُلِّ سَيْفٍ يُرَى النُّصْرُ بِتَقْلِيدِهِ ، وَيُرَى
نَبَأُ الْفَتْحِ عَنْ تَجَرُّبَتِهِ فى مَصَالِحِ الْإِسْلَامِ وَتَجَرُّبِهِ ، وَيُرَى حَدَّهُ إِذَا قَابَلَهُ عَدُوُّ الدِّينِ
مِنْ قُلُوبٍ قَلْبِهِ وَمَوَارِدٍ وَرِيدِهِ .

نحمده على نِعْمَةِ السَّابِقَةِ حَمْدٍ مَتَعَرِّضٍ لِمَزِيدِهِ ، وَنُشْكِرُهُ عَلَى مَنِّهِ السَّائِفَةِ شُكْرَ مُسْتَنزِلِ
مَوَادِّ تَأْيِيدِهِ ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً مَقَرَّةً بِتَوْحِيدِهِ ، مُسَرَّةً
مِثْلَ مَا يُظْهَرُ مِنَ الْخُضُوعِ لِكِبَرِيَاءِ تَقْدِيرِهِ وَتَعَجُّبِهِ ، مُصَرَّةً عَلَى جِهَادٍ مِنَ الْحَدِّ
فِي آيَاتِهِ بِنَفْسِهِ وَجُودِهِ ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَشْرَفُ مَنْ دَعَتْ دَعْوَتُهُ
الْأُمَمَ إِلَى الْإِعْتِرَافِ بِخَالِقِهَا بَعْدَ جُحُودِهِ ، وَأَنْجَزُ لَأَمَّتِهِ مِنَ الْإِسْتِيلَاءِ عَلَى الْكُفْرِ سَابِقِ
وُجُودِهِ ، وَأَمَالَ بِهِ عَمُودَ الشَّرِكِ فَأَهْوَى إِلَى الصَّعِيدِ بَعْدَ صُعُودِهِ ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى
آلِهِ وَحُضْبِهِ الَّذِينَ مَا مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ يَبْذُلُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ وَطَاعَتِهِ نِهَائَةً تَجْهُودِهِ ، وَأَطْفَاءً نَارَ
الْكُفْرِ بَعْدَ وَقُودِهَا بِإِقَادِ لَهَبِ الْجِهَادِ بَعْدَ جُحُودِهِ ؛ صَلَاةً تَقْتَرِنُ بِرُكُوعِ الْقَرَضِ
وَتُجْبِوهُ ، وَتُقَامُّ أَرْكَانُهَا فِي أَغْوَارِ الْوُجُودِ وَتُجْبِوهُ ؛ وَسَلَامٌ تَسْلِيًا كَثِيرًا .

وبعد ، فإن أولى ما أجبنا في مصالحه النظر ، وأعملنا في إرتياد الاستكفاء له بوارد الفكر ؛ وأختارنا له من الأولياء من كان معدودا من خواصنا ، محبوا بمزيد تقربنا ومزية اختصاصنا ، أمر الأموال الديوانية بالملكة الحليّة وتفويض شدّ دواوينها المعصورة إلى من تُصاعفها رتبته المكيّنة ، وزاھته المتيّنة ؛ ويده التي هي بكلّ العفة مبسوطه ، وخبرته التي يمثلها يحسن أن تكون مصالح الدولة القاهرة منوطه ؛ ومزيتته التي تكف عن الأموال الأطلع العادية ، ومهابته التي تكفي الأولياء من ضبط الأعمال بما يروى الآمال الصادية ؛ لأنها موادّ الثغور التي ما برحت عن شنب النصر مقترّ ، وأمداد الجيوش التي جعل الله لها أبداً على أعدائه الكره ؛ ورياض الجهاد التي تُجتنى منها ثمرات الظفر الفضة ، وكنوز الملك التي يُنفق منها في سبيل الله القناطير المقتطّرة من الذهب والفضة .

ولما كان فلان هو الذي آخترناه لذلك على علم ، وربّحناه لما أجمع فيه من سرعة بقطعة وأناة حلم ؛ ونديناه في مهماتنا الشريفة فكان في كلّ موطن منها سيفا مرهفا ، وآخترناه فكان في كلّ ما عدّناه به بين القوى والضعيف منصف ؛ وعلمنا من معرفته ما يستثير الأموال من مكائنها ، ومن زواھته ما يظهر أشتات (٩) المصالح من معانيها ، ومن معدّلاته ما يمتّع الرعايا بأجتناء ثمر المني من إحسان دولتنا القاهرة وأجتلاء محاسنها - أقتضت آراؤنا الشريفة أن نحلّي جيد تلك الرتبة بقوود صفاته الحسنة ، وأن ننبّه على حسن هممه التي ما برحت تسرى إلى مصالح الدولة القاهرة والعيون وسنه .

فلذلك رسم أن يفوض إليه ذلك تفويضا يسسط في مصالح الأموال لسانه ويده ، ويقصر على مضاعفة أرباح الأعمال يومه الحاضر وغده ، ويحسن بسد الخلل

وَتَتَّبِعُ الْإِهْمَالَ مُصَدَّرَهُ الْجَمِيلَ وَمَوْرَدَهُ ؛ وَيَجْعَلُ [لَهُ] فِي مَصَالِحِهَا الْعَقْدَ وَالْحَلَّ ،
وَالْتَصَرُّفَ النَّافِذَ فِي كُلِّ مَادَّةٍ مِنَ الْأَمْوَالِ الدِّيَوَانِيَةِ وَجَلَّ .

فَلْيُشَارِ ذَلِكَ بِهَيْمَةٍ عَلِيمًا فِي الْحَقِّ مَوَاقِعَ سَيْفِهَا ، وَأَمَّا عَلَى الرِّعَايَا بِمَا أَنْصَفَتْ بِهِ
مِنَ الْعَدْلِ وَالْمَعْرِفَةِ مِنْ مَوَاقِعَ حَقِّهَا ، وَأَيَقُظَتِ الْعَيُونَ الطَّاعِمَةَ لِسُلُوكِ مَا [لَا] يَحِبُّ بِأَلَمٍ
تَرَى تَغْيِيلَهُ مِنْ رَوَائِعِ طَيْفِهَا ؛ وَلْيُثَمَّرِ الْأَمْوَالُ بِالْجَمْعِ فِي تَحْصِيلِهَا بَيْنَ الرِّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ ،
وَيَجْعَلْ مَا يَسْتَخْرِجُ مِنْهَا بَرَكَاتِ الْعِفَّةِ وَالرَّقَى : ﴿ كَتَلِ حَبَّةَ أَنْثَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ
سُبُلَةٍ مِائَةً حَبَّةً ﴾ . وَلْيَعْفَ أَثَرُ الْحَمَايَاتِ وَرَسَمِهَا ، وَيُزَلَّ بِالْكَلْبَةِ عَنْ تِلْكَ الْمَمَالِكِ الْحَسَنَةِ
وَسَمِهَا الْقَبِيحِ وَأَسَمِهَا ؛ وَلْيَكُنْ مُهِمُّ التَّغَوُّرِ هُوَ الْمُهِمُّ الْمَقْدَمَ لَدَيْهِ ، وَالنَّظَرُ فِي كُلِّ
الْفَلَاحِ الْمَحْرُوسَةِ هُوَ الْفَرَضُ الْمُتَعَيَّنُ أَذَاهُ عَلَيْهِ ، فَيَحْمَلُ إِلَيْهَا مِنَ الْأَمْوَالِ وَالنِّلَالِ
مَا يُمْرُ حَوَاصِلُهَا الْمُصُونَةِ ، وَيَكُنِّي رِجَالَهَا الْفِكَرَ فِي الْمُثُونَةِ ، وَيَضَاعِفُ ذَخَائِرَهَا
الَّتِي تُعَدُّ مِنْ أَسْبَابِ تَحْصِينِهَا ، وَيُضَبِّحُ بِهِ حُلَّ عَامِهَا الْوَاحِدِ كِفَايَةً مَا يَسْتَقْبَلُهُ مِنْ
مَوَالِدِ الْحَوْلِ مِنْ سِنِينِهَا ؛ وَمَاعِدَا ذَلِكَ مِنَ الْوَصَايَا فَقَدْ أَقْبَيْنَا إِلَى سَمْعِهِ مَا [عَلَيْهِ]
يَعْتَمِدُ ، وَعَرَفْنَاهُ أَنَّ تَقْوَى اللَّهِ أَوْفَى مَا بِهِ يَسْتَنْدُ ، وَإِلَيْهِ يَسْتَعِذُّ ، بَعْدَ الْخَطِّ الشَّرِيفِ :

الصنف الثاني

(من أرباب الوظائف بحلب - أرباب الوظائف الدينية)

وهم على طبقتين أيضا :

الطبقة الأولى

(من يُكْتَبُ لَهُ فِي قَاطِعِ التَّلْتِ بـ «السَّامِي» بِالْيَاءِ ، وَنَشْمَلُ عَلَى وَظَائِفِ)

منها - قَضَاءُ الْقَضَاةِ . وَبِهَا أَرْبَعَةُ قَضَاةٍ : مِنْ كُلِّ مَذْهَبٍ قَاضٍ ، كَمَا فِي الدِّيَارِ
الْمِصْرِيَةِ وَالشَّامِ . وَالشَّافِعِيُّ مِنْهُمْ هُوَ الْوَلِيُّ بِالْبِلَادِ كَمَا فِي مِصْرَ وَالشَّامِ .

وهذه نسخة توقيع بقضاء قضاة الشافعية :

الحمد لله الذى رفع منار الشريعة الشريفة وأقامه ، ونور به كل ظلام وأزال به كل ظلامه ، وجعله صراطاً سويّاً للإسلام والسلامه ، الذى جعل القضاء علماً ، بهم يبتدئ ، ونصبهم حكماً ، براشدهم يفتاد ويقتدى ، وأخذ بهم الحق من الباطل حتى لا يُبتل في قضية ولا يُبتدئ في الصلاة على سيدنا محمد الذى أوحى الله به الطريق ، وأبدى به بين الحلال والحرام التفريق ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة تستكمل لرغبات قائلها بالتحقيق .

وبعد ، فإن أحق ما وجهت إليه المصنف إلى تصريفه وجهها مسيراً ، وقربت إلى يد الاقتطاف من شجرته المباركة غصناً مثمراً ، وسهلت في الاختيار له والأصطفاء لخطا ما زال للفكر في مصالح الأمة مسيراً - الشريعة الشريفة التى حرس الله به حومة الدين وحى جانبه ، وحفظ به أقوال الهدى عن المجادلين من المبتدئين وأطرافه من المجاذبه ، وكانت حراسته معذوقة باختيار الأئمة الأعلام ، وموقوفة على كل من يطاعن البدع عند الاستفتاء برماج الخط وليست رماح الخط غير الأعلام ، ومصرفة إلى كل منصف في قضاياها حتى لو ترافعت إليه الليالي لأنصفها من الأيام .

ولما كان فلاً هو مدلول هذه العبارة ، ومسمى هذه المشارة ، ومسمى هذه الإشارة ، وقد حل من المسادح في محل صعب المرتقى على متوقله ، وطلع من منازل مسعودها في بروج بعيدة الأوج إلا على سير بلده وتنقله ، وطالب حكم فاحكم ، وفصل فصل ، ورويع فارجع وعدل فعدل ، وشهدت مراتبه الشريفة بأنه خير من تولها ميراً وأستحقاقاً ، وأجل من كادت ترهبه مطالع النجوم إشراقاً وإشراقاً ، وكانت حلب المحروسة مركز دائرة لآيامه ، وسلك جوهر تصريفه الذى

(١) في الأصل «وصلت» ولم فهم له معنى يناسب .

طلبا تقلدت أحسن المقود بنظامه ؛ وقد أفتخرت به أفتخار السماء بسمسها ،
والروضة بقرسها ؛ والأفهام بإذراك حسها ، والأيام بما عملته من خير في يومها
وأسلفته في أمسها ؛ وقد أشاقت إلى قربة شوق النفس إلى تردد النفس ، والليلة
إلى طلوع النجم أولا فإلى إضاءة القبس .

فذلك خرج الأمر الشريف بأن يحدد له هذا التوقيع بالحكم والقضاء ، بالملكة
الحكيمة وأعمالها وبلادها ، على عادته .

فليستخر الله تعالى وليستصحب من الأحكام ما همته مليّة باستصحابه ،
ويستوعب من أمورها ما توضح المصالح باستيعابه ؛ ويقم بها منار العدل والإحسان ،
ويتهض بتدبير ما أقعده منها زمانه الزمان . وعنده من الوصايا المباركة ، ما يستغني به
عن المساهمة فيها والمشاركة ؛ لكن الذكوى النافعة عند مثله نافعه ، فإن لم يكن
شعاع هلال فبارقه ؛ وليتق الله ما استطاع ، ويحسّن عن أموال اليتامى الدفاع ،
ويحرّس موجود من غاب غيبة يجب حفظ ماله فيها شرعا ، ويقطع سبب من رام
لأسباب الحق قطعا ، ولا يراع لحائث حرمة فإن حرمت الحائثين لا ترعى ؛ وينظر
في الأوقاف نظرا يحرسها ويصونها ، ويحث عنها بحثا يظهر به كينها ؛ والله تعالى
يسنده في أحكامه بمنه وكرمه ! .

قلت : وعلى ذلك تكتب توابع بقية القضاء بها من المذاهب الثلاثة الباقية .

ومنها - وكالة بيت المال المعمور .

وهذه نسمة توقيع من ذلك ، كتب بها لمن لقبه « كمال الدين » وهى :

الحمد لله الذى جعل كمال الدين موجودا ، فى اقتران العلم بالعمل ، وصلاح بيت
المال معمورا ، فى استناده إلى من ليس له غير رضا الله تعالى وبراءة الذمة أمله ،

وَأَرْقَاءَ رُتَبِ الْمُتَّقِينَ مَقْصُورًا عَلَى مَنْ بَارِقَاءٍ مِثْلِهِ مِنْ أَيْمَةِ الْأُمَّةِ تُزَيُّهُ مَنَاصِبُ
النُّوَلِ، وَالْأَكْتِفَاءَ بِالْعُلَمَاءِ مَحْصُورًا فِي الْآرَاءِ الْمَعْصُومَةِ بِتَوْفِيقِ اللَّهِ مِنَ الْخَلَلِ .

نَحْمَدُهُ عَلَى نِعَمِهِ الَّتِي جَعَلَتْ مِنْهُمْ مَصَالِحَ الْإِسْلَامِ، مُقَدِّمًا لَدُنْيَا، وَأَخْتِصَاصَ
الْمَرَاتِبِ الدِّينِيَةِ بِالْأَيْمَةِ الْأَعْلَامِ، مُحِبًّا إِلَيْنَا، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ
لَهُ شَهَادَةٌ رَفَعَ الْجِهَادَ عِلْمَهَا، وَأَمَضَى الْأَجْتَهَادَ كَلِمَهَا؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ
الَّذِي أَشْرَقَتْ سَمَاءُ مِلَّةِهِ، مِنْ عِلْمَاءِ أُمَّتِهِ، بِأَضْوَاءِ الْأَهْلَةِ، وَنَطَقَتْ أَحْكَامُ شَرْعِهِ،
عَلَى أَلْسِنَةِ حَمَلَةِ سُنَّتِهِ، بِأَوْضَاعِ الْأَدِلَّةِ، وَبَزَغَتْ شَمْسُ هِدَايَتِهِ فِي تَهَامِجِ الْوُجُودِ وَنُجُودِهِ
فَانْطَوَتْ بِهَا ظُلُمُ الْأَهْوَاءِ الْمُضِلَّةِ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ نَصَحُوا اللَّهَ
وَلِرَسُولِهِ، وَاتَّبَعُوا رِضَاهُ عَلَى أَنْفُسِهِمْ فَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مُرَادٌ سِوَى مُرَادِهِ وَلَا سَوْلٌ غَيْرَ
سُؤْلِهِ؛ وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وَبَعْدُ، فَإِنَّ أَوَّلِيَّ مَنْ تَلَقَّاهُ كُرْمَنَا بَوَجْهِ إِقْبَالِهِ، وَأَخْتَارَتْ لَهُ الْأَوْثَانُ مِنَ الرُّتَبِ
مَا صَدَّه الْإِنْجَمَالُ فِي الطَّلِبِ عَنْ تَعَلُّقِهِ بِبَالِهِ؛ وَرَأَى إِحْسَانُنَا مَكَانَهُ مِنَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ
فَسَدَّقَ بِهِ مِنْ مَصَالِحِ الْمُسْلِمِينَ مَا لَمْ يَتْرُكْهُ أَوَّلًا إِلَّا مُوَافَقَةً لَهُ لَا رَغْبَةً عَنْ خِيَالِهِ،
وَرَعَى رُبَّنَا وَفَادَتَهُ فَاقْتَضَى إِعَادَتَهُ مِنْ مَنَاصِبِهِ إِلَى مَا لَمْ يَزَلْ مُشْرِقَ الْأَفُقِ بِكَالِ طَلْعَتِهِ
وَطَلْعَةِ كَمَالِهِ - مَنْ ظَهَرَتْ لَوَائِمُ فَوَائِدِهِ، وَبَهَرَتْ بِدَائِعِ فَرَائِدِهِ؛ وَتَدَقَّقَتْ بِحَارِ
فَضَائِلِهِ، وَتَأَلَّفَتْ أَشْعَةُ دَلَالَتِهِ؛ وَتَوَعَّتْ فُنُونُهُ: فَهُوَ فِي كُلِّ عِلْمٍ أَبْنُ بَحْتِهِ، وَفَارَسُ
تَجَدُّدِهِ، وَحَامِلُ رَأْيَتِهِ، وَجَوَادُ مَضَاهِهِ الَّذِي يَهْفُ جِيَادُ الْأَفْكَارِ دُونَ غَايَتِهِ .

وَلَمَّا كَانَ فَلَانٌ هُوَ هَذَا الْبَحْرَ الَّذِي أُشِيرَ إِلَى تَدَقُّقِهِ، وَالْبَذَرُ الَّذِي أُوْحِيَ إِلَى كَمَالِ
مَا تَأَلَّقَ بِهِ مِنْ أَفْقِهِ؛ وَكَانَتْ وَكَالَتِ بَيْتَ الْمَالِ الْمَعْمُورَ بِحَلَبِ الْمَحْرُوسَةِ مِنَ الْمَنَاصِبِ
الَّتِي لَا يَتَمَيَّنُّ لَهَا إِلَّا مَنْ تَعَقَّدَ الْخِطَاصَ عَلَيْهِ، وَتُسَارُ بِبَنَانِ الْأَخْصِيَاصِ إِلَيْهِ، وَيُقَطَّعُ

يجمل نُهوضه فيما يُوضَع من المصالح الإسلامية بيّنه ؛ وله في مباشرتها سوابق ،
وَأَثَارُ [إِنْ] لَمْ تَصِفْهَا أَلْسِنَةُ الْأَقْلَامِ أَوْحَتْ بِهَا تِلْكَ الْأَحْوَالُ الْخَالِيَةُ وَهِيَ نَوَاطِقُ -
اقتضتْ آرَاؤُنَا الشَّرِيفَةُ إِنْصَامَ النَّظَرِ فِي الْإِنْصَامِ عَلَيْهِ بِمَكَانِ أَلْفِهِ ، وَمَنْصِبِ رَفَعِ
مَا أَسْلَفَهُ فِيهِ مِنْ جَمِيلِ السَّيَرَةِ قَدَرَهُ عِنْدَنَا وَأَزَلَّاهُ .

فرسم بالأمر الشريف - لا زال بآبه ثَمَالُ الْأَمَالِ ، وَأَفْقُ السَّعْدِ الَّذِي لَوْ أَمَّهُ الْبَدْرُ
لَمَّا فَارَقَ رُتَبَ الْكَمَالِ - أَنْ يَفُوضَ إِلَيْهِ كَذَا : لَمَّا ذَكَرَ مِنْ أَسْبَابِ عَيْتِهِ ، وَقَضَائِلِ
تَرْيُنَتْ بِهِ كَمَا زَيَّنَتْهُ ؛ وَوَفَادَةِ تَقَاضَتْ لَهُ نُزُلُ الْكَرَامَةِ ، وَاقْتَضَتْ لَهُ مَوَادِّ الْإِحْسَانِ
وَمَوَارِدَهُ فِي السَّرَى وَالْإِقَامَةِ .

فَلَيْلِ هَذِهِ الرِّبَةِ الَّتِي عَلَى مِثْلِهِ مِنَ الْأَيِّمَةِ مَدَارُ أَمْرِهَا ، وَبِمِثْلِ قُوَّتِهِ فِي مَصَالِحِهَا
يَتَضَاعَفُ دَرُؤُهَا وَتَرَادِفُ احْتِلَابِ دَرَّهَا ؛ مُرَاعِيًا حَقُوقَ الْأُمَّةِ فِيمَا جَزَهُ
الْإِثْرُ الشَّرْعِيَّ إِلَيْهِمْ ، مُتَنَاقِشًا عَنِ الْمُسْلِمِينَ فِيمَا قَصَرَهُ مِنْهُنَّ الْمُنْهَبُ مِنَ الْحَقُوقِ
الْمَسَالِيَةِ عَلَيْهِمْ ؛ وَأَقْبًا بِالْحَقِّ فِيمَا يَثْبُتُ بِطَرِيقِهِ الْمُعْتَبَرِ ، تَابِعًا لِحُكْمِ اللَّهِ فِيمَا يَخْتَلِفُ
سَبِيلُهُ [و] فِيمَا يَحْزَرُ بِالْعِيَانِ أَوْ يُحَقِّقُ بِالْخَبَرِ ؛ مُحَافِظًا عَلَى مَا يَسْئَلُ إِلَى بَيْتِ الْمَالِ بِطُغْفِ
تَدْقِيقِهِ ، وَحُسْنِ تَحْقِيقِهِ ، وَقَبُولِ الدَّافِعِ بِوَجْهِهِ وَدَفْعِهِ بِطَرِيقِهِ ؛ وَلَا يَمْنَعُ الْحَقُّ
إِذَا ثَبِتَ بِشَرْطِهِ الَّتِي أَعْذَرَهَا ، وَلَا يَنْفَعُ الْوَاجِبُ إِذَا تَعَيَّنَ بِأَسْبَابِهِ الَّتِي يَتَقَضَاهَا
الشَّرْعُ الشَّرِيفُ وَيَقْتَضِيهَا ؛ وَهُوَ الْوَكِيلُ عَنِ الْأُمَّةِ فِيمَا لَمْ وَعَلَيْهِمْ ، وَمَتَوًى
الْمَدَافَعَةِ عَنْهُمْ فِيمَا يُهْرُ الشَّرْعُ فِي يَدَيْهِمْ ؛ فَلْيُؤَدِّ عَنْهُمْ أَمَانَةَ دِينِهِ ، وَيُخْتَصِّمَ لَمْ فِيمَا
وَضَعْنَاهُ مِنْ أَمْرِ هَذِهِ الْوَكَاةِ الشَّرِيفَةِ يَمِينِهِ ؛ وَمِلَاكُ هَذَا الْأَمْرِ الْوَقُوفُ مَعَ الْحَقِّ
الْجَلِيِّ ، وَالْتِمَسُّكَ بِالْقَوَى الَّتِي تَظْهَرُ بِهَا قُوَّةُ الْأَمِينِ وَأَمَانَةُ الْقَوَى ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يُوَفِّقُهُ
وَيُسَدِّدُهُ .

قلتُ : وفي معنى ما تقدم من قَطْع الورق والألقاب الحسبة ، ونظر الأوقاف
الِكِبَار، وخطابة الجوامع الجليلة ، وِكِبَارُ التَّدَارِيس ، وما يجري مجرى ذلك : إذا
كُتِبَ به من الأبواب السلطانية . وإلا فالغالب كتابة ذلك بجمعه عن نائب
السلطنة بها .

الطبقة الثانية

(من يكتب له في قَطْع العادة « بالسامى » بغيرياء ، أو « بمجلس القاضى »)
قال في «التتقيف» : وهم مَن عَدَا القضاء الأربعة من [أرباب] الوظائف الدينية .
فيدخلُ في ذلك قَضَاءُ الْمَسْكِر ، وإثناء دار الْعَدْل ، وما يجري مجرى ذلك ، حيثُ
كُتِبَ من الأبواب السلطانية .

الصنف الثالث

(من أرباب الوظائف بِحَلَب - أرباب الوظائف الديوانية ،
وهم على طبقتين)

الطبقة الأولى

(من يكتب له في قطع الثالث بـ «السامى» بالياء . وتشتمل على وظائف)
منها - كتابة السر . ويسمى عنها في ديوان الإنشاء بالأبواب السلطانية - بصاحب
ديوان المكاتبات ، ورُبَّمَا قِيلَ : صاحبُ ديوان الرسائل . قال في «التتقيف» :
ورُبَّمَا كُتِبَ له في قَطْع النِّصَف .

وهذه نسخة توقيع شريف من ذلك، وهى :

الحمد لله الذى زان الدولة القاهرة، بمن تفدوا أسرارها من أمانته فى قرار
مكين، وحلى أيمانها الزاهرة، بمن تبدوا مراسمها من بلاغته فى عقد ثمين، ومجمل
الكتب السائرة، بمن إذا وشتها براعته وبراعته قيل : هذا هو السحر البيانى إن لم
يكن سحر مبین .

نحمده على نعمه التى خصت الأسرار الشريفة بمن لم يرنا عن كلاله، ونصبت
فى ترقى مناصب التفضيد على من يستحقها بأصالة الرأي وقدم الأصله، ونشهد
أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة رقم الإخلاص طروسها، وسقى الإيمان
غروسها، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذى آتاه جوامع الكلم، ولوامع الهدى
والحكم، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين كتب فى قلوبهم الإيمان، وكتب
بهم أهل الطفيان، صلاة يسقئها التسليم، ويتبعها التظيم، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد، فإن أولى الرتب بارتياح من تقدم على أولوياته الخناصر، ويعتمد على
أصاليه التى ما برحت فى الاتصال والاتصاف بها ثابتة الأواصر، ويعتمد فى أمانته
التي تأوى بها الأسرار إلى «صحفة أعيان الرجال أنصداعها» ويعتمد بفضائله التى يقل
فى كثير من الأكفأ أجباؤها، ويعول فيها على بلاغته، التى أعطت كل مقام حقه
من الإطناب والإيجاز، ويرجع فيها إلى بليته، التى جرت بها سوابق المعالى إلى غاية
الحقيقة فى مضمار المجاز - وثبتة هى خزانة صرنا، وكأنة تبتنا وأمرنا، فلا يتعين
لبوضها إلا من ومن، ولا يعين لتلقيها وترقيها إلا أفراد قل أن يكثر مثلهم فى زمن،
ولا يحسن أن تكون إلا فى بيت عربى فى أسابها، وثيق فى تمكين عرا أسابها،
علم بقواعدها التى إذا أشبهت طرق أدبها كان أدنى بها .

ولما كان فلان هو الذي ذُكرت أسباب تسميته لهذه الرتبة وتعيينه ، وتُفتح أبواب أولويته بتلّقي راية هذا المنصب بيمينه ؛ مع أدوات كلّت مقارنّه ، وصفات بجلّت مآثره ؛ وكناية ، إذا جادت أنوارها أرض طرس أخذت زُنُفُرها ، وإذا حادثت أنوارها وجه سماء ودّت الدراري لو حكّت أحرفها ؛ وبلاغة ، إن أطرت بوصف أغارت الفرائد ، وأغارت دُرّها القلائد ، وأتت من رقة المعاني بما هو أحسن من دُمُوج التصاني في حدود الخرائد ؛ وإن أغرت بدو أمانت على مقاتله السيوف ، ودلّت على مكانه الخُوف ؛ وديانة ، رفعت عند الله وعندنا إلى المكان الأسنى ، وصيانته ، جمعت له من آلائنا وأعنائنا بين الزيادة والحسن ؛ وأمانته ، أغتته بموهب وصفها الأعلى عن التّعرض إلى العريض الأذنى ، وبراعة ، اعتصده بها براعه في بلوغ المقاصد اعتصاده الرّقص بالمشي .

فلذلك رُسم بالأمر الشريف أن يفوّض إليه كذا فليُشر بتلّقي هذا الإحسان ، بيد الاستحقاق ، ولتلق عقود هذا الامتنان ، الذي طالما قلّد نحره الأعناق ؛ وليُباشر ذلك مباشرة بشرّ خبرها وبسرّ خبرها ، ويسنّف الاجتماع تأثيرها وأثرها ؛ وليسلّك فيها من السداد ما يؤكّد حمده ، ومن حسن الاعتماد ما يؤيّد سعده ؛ والوصايا كثيرة وهو بها خير عليم ، حازم منها أوفر الأجزاء وأوفى التقسيم ؛ وملاكها تقوى الله فليجعلها حمده ، وليتخذها في كلّ الأمور ذخيره ؛ والله تعالى يضاعف له من لدنّا إحسانا ، ويرفع له قدرنا وشانا ؛ والاعتماد في ذلك على الخطّ الشريف أعلاه الله تعالى أعلاه .

ومنها - نظر الملكة الحليّة القائم مقام الوزير .



وهذه نسخة توقيع من ذلك : كُتِبَ به لعبد الدين « سعيد بن ريان » بالعود إليها ، وهى :

الحمد لله رافع قدر من جعل عليه أعتادا ، ومجدد سعد من غدا فى كل ما يصدق به من قواعد النظر الحسن عمادا ، ومسنى حمد من تكفل له جميل التصرف أن لا تبعد الأيام عليه مرادا ، ومجزل مواد النعم لمن إذا استعطر قلبه فى المصالح هى فافتن أفنانا وأنبغ تقيرا وأثمر سدادا ، وإذا أيقظ نظره فى ملاحظة الأعمال استجلى وجوه المصالح انتقاء لما خفى منها وأتقانا .

نحمده على نعمه التى لا تزال النعم بها مجددة ، والقواعد موطدة ، والكرم معاة ؛ والآية التى جعل لها الشكر أزديانا على الأبد وأزديادا ؛ ومنتهى التى لا يقوم بها ولا باداء قرضها الحمد ولو أن ما فى الأرض من شجرة أفلام أو كان البحر مئادا ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة لا تألو همنا أجتهدا فى إعلاء منارها وجهادها ، ولا تكبو جياذ عزائنا ، دون أن تسكنها من الجاحدين قلوبا وتجرى بها من المنكرين السنة وتقلدنا من المشركين أجيادا ، ولا تقبوا صوارمنا ، حتى نخذ لها من ويريد كل معانيد موريدا ومن فم كل ناكث أعنادا ؛ ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذى أنشأ الله به إليه فبلغ فى الارتقاء مبعثا سدادا ، وأنزل عليه أشرف كتبه بيانا وأعجزها آية وأوضحها إرشادا ، وبسته إلى الأحمر والأسود فسمعد من سعد به إيمانا وشقي به عنادا ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين لم يألوا فى طاعة الله وطاعته مهادا ، صلاة لا تستطيع لها البهور نقادا ، ولا تملها الانتماع بقدادا وتردادا ؛ وسلم تسليما كثيرا .

وبعد، فإن أولي من سمّا به منصبه الذي عُرف به قديماً، وزُيِّت به رتبته، التي لم يزل فيها لاقتناء الشكر مُستديماً ؛ وتحلّت به وظيفته، التي لم يرخ يلبس بها ثوب التناء قشياً ويحزُّ بها رداء السعد رقيقاً، وتفاضت له عوارفنا معارفه التي لم يزل عقدها في جِدِّ المراتب السنية نظماً ؛ وتطلّع إليه مكانه فكانه بدم هجرته لم يرخ فيه وإن بعد عنه مقيماً - من لم يزل قلبه بصرفه في أسنى ممالك الشرفية كاشمه سعيها، وطرف نظره فيما يليه من المناصب السنية يُريه من المصالح ما كان غائباً ويُدني إليه من أسباب التدبير ما كان بعيداً؛ فما أعمل في مصالح الدولة القاهرة قلباً إلا وأقبلت نحوه وجوه الأموال سافره ، ولا لحظ في مهمات وظائفها أمراً إلا وطاودته أسباب التثمين النافره ، ولا أعرض قلبه بنطقه وفكره إلا وغدت الثلاثة على كلّ ما فيه عماراً ما يفوض إليه من الأعمال متضافره ؛ وذلك لما أجمع فيه من عفة نفسه وكِمال معرفته وطهارته براحه ، وأنصف به من حسن اضطلاعِه وجيَل اطلاعه ، وجيَلت عليه طباعه من نزاهة زانت خبرته ومن يُنقل مشكورا عن طباعه .

ولما كان فلان هو الذي حنت إليه رتبته وتلقّت إليه منصبه ودعته وظيفته النفيسة إلى نفسها ، وأعتذرت بإقبالها إليه في يومها عن نُسوزها عنه في أمسيها ، وأشتاقت إلى التعلّق بفضائله التي لم تزل تُزهِى بما ألقته منها على نظراتها من جنينها - أقتضت آراؤنا الشريفة أن نجعل لها عادتها ونُجدد له من الإحسان بمباشرتها السعيدة إعادته، ونُعيد إليه بمباشرة نظره الجليل مسرته التي ألقها وسعادته .

فلذلك رسم ... - لا زال برّه لعماد الدين رافعا، وأمره بالإحسان شافعا - أن يفوض إليه نظر المملكة الحليّة على عادة من تَقدمه .

فليأشتر هذه المملكة التي هي من أشهر ممالك شمع ، وأمينها بقعه ؛ وأحسنها بلادا ، وأخصبها رباً ووهاداً ، وأكثرها حصوناً شواقي ، وقلاعاً [سواي] سوامق ، وثقوراً لا تسيم ما أقرمتها البروق الخواقي ؛ مباشرة تزيد مصالحها على ما عرفته ، وترى من خبرته فوق ما ألقته ؛ وتدل على ما فيه من كفاءة هذبها التجارب ، وهذبها الأنوار الثواقب ، وصرقتها الأفكار المطلمة على الطوالع من المغارب ، ومستدها إلى الأغراض الجسيلة الخلو من الأغراض ، ووقفها على جواهر الصواب عدم اعتراض النظر إلى الأغراض ؛ وأراها التوفيق ما تأتي من وجوه التدبير وما تدر ، وعرقها المعرفة الاحتراس من مخالفة الصواب فما تزال من ذلك على حذر ، وقصحت لها الدربة أبواب التثمير فاحظت أمراً من الأمور الديوانية إلا وبدت البدر ؛ ولكن النعم المصونة المقدم لديه ، والنظر في مصالح القلاع المحروسة هو الفرض المنصوص عليه ؛ فليضاعف ذخائرها ، ويتفقد موارد أمورها ومصادرهما ؛ وفي معرفته بقواعد هذه الوظيفة ما يغني عن الوصايا ، لكن ملاكها حموى الله ، فليجعلها يحيى نفسه ، وسير أُنسِه ؛ وانلخط الشريف



ومنها - نظر الجيش بها .

وهذه نسخة توقيع بنظر الجيش بالمملكة الحليّة ، وهي :

الحمد لله الذي جعل أفق السعادة بطلوع شمسه مُنيرا ، وأقرني رتب العلياء من يندو ناظرها بحسن نظره قريبا ، وحلّى مقارِق المناصب السيّة بصدر إذا تسالّى

اللسان في وصفه كان بنان البيان إليه مُشيرًا ، واختار لأمصاري ممالك الشريفة من إذا قُوِّضَ إليه نظرها كان ينسبته إلى الإنصار حَقِيقًا به وجديرًا .

نحمده وهو المحمود ، ونشكره شكرًا مُشرق السُعود ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة عذبة الورود ، ونشهد أن محمدًا عبده ورسوله الذي أَمَحَّتْ به شيوخُ من الإسلام منشورة البُتود ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ما أورد عود ، وأولج نهار السيف في ليل العُمود ؛ وسلم تسليمًا كثيرًا .

وبعد ، فإن الله تعالى لما خَصَّ كُلَّ مملكةٍ من ممالك الشريفة بكثرة الجيوش والأُنصار ، وجعل جيوشنا وعساكرنا تكثرُ عددَ النجوم في كلِّ مِصرٍ من الأُنصار ؛ وكانت المملكةُ الشريفةُ الحليَّةُ هي ركنٌ من أركان الإسلام شديد ، وذُرٌّ مادعاهم داجٍ إلا ولِباءُ منهم عددٌ عديد - وجب أن يُختارَ للنظر عليها من الأكفاء من سماء في الرأسة أصله وزكا قرعُه ، فاستحقَّ بما فيه من المعرفة تمييز قدره ورفعُه ؛ وفأقَّ في فضل السَّيادة أبناء جنسِه ، وأشرقَ أفلاكُ المَعالي بطلوع شمسه ؛ وأقرَّ [بنظاره] نظَرَ الجيوش المنصورة ، وسارت الأُمثلةُ بما اتَّفَقَ عليه [فيه] من حُسْنِ خِبرةٍ وخيرِه ؛ وكان فلان هو الذي طلع في أفقِ هذا الثناء شمسًا مُنيرَه ، واختبر بالكفاية والدَّرايةِ وأخيرَ لهذا المنصبِ على بصيرةٍ ؛ وهو الذي له من جميلِ المباشرةِ في المناصبِ السَّنيةِ ما هو كالشمس لا يَمُحُّ ؛ والذي أحسنَ النَّظَرَ في الأوقافِ المبرورةِ حتَّى تَمَّيَّ كُلُّ منصبٍ جليل أن يكونَ عليه وقفا ؛ وهو الذي حَوَّى من الفضائل ما لا يُوجدُ له نظيرٌ ولا شبيه ، والذي سما إلى رتبة من المَعالي رَيعَةً وكان ذا الجسدِ النَبِيهِ والأيِّبِ التَّيِّبِ .

فلذلك رُسم ... - لا زال يُقر الناظر بجوده ، ويُحسن النظر في أمر جيوشه وجنوده - أن يفوض إليه كذا: علماً بأنه أحقّ بذلك وأولى، وأنّ كفايته لا يُستثنى فيها بالاً ولا بلولاً؛ وأنّ السداد مقترنٌ بحسن تصرّيفه، وملمه قد أغنى عن تعليمه بمواقع التّسديد وتوقيفه .

فلبما شر ذلك بصنرٍ مُنشرح، وأمِل مُنفسح؛ عاملاً بالسنة من تقوى الله تعالى والقرض، علماً بأننا عند وصولنا إلى البلاد نأمر بعرض الجيوش : فليعمل على ما يبيّض وجهه يوم العرض؛ وليلزِم عدّة من المباشرين بعمل ما يلزمهم من التّفريع والتّأصيل، والتّجريد والتّزِيل ، وتحرير الأمثلة والمقابلة عليها، وسُلوِك الطريق المُستقيم التي لا يتطرّق الدّم إليها؛ والملاحظة لأُمور الجيوش المنصورة في قليل الإقطاعات وكثيرها، وجليلها وحقيها؛ بحيث يكون علمه محيطاً بذلك إحاطة اللّيل، ويشترط على من يتبعن تزيّله ما أستطاع من قوّة ومن رباط الخيل؛ ويقابل الأمور المضطربة بالإضراب، ويسلك أحسن المسالك في سيره وسيرته : فلننا فوضنا إليه الجيوش المنصورة من جُند المملكة الحليّة ومن أهل المدينة ومن حوّلهم من الأعراب . والوصايا كثيرة وإن كثرت فعلمها عنده، وقد ضرب له منها مثلاً فليكن على سياسته فيما لم يُذكر في العدة؛ وأهمّ الأمور أن يتمسك من خَشية الله بالسبب الأقوى، ويعمل تقوى الله عمادته في كلّ الأمور : فإن خير الزاد التقوى؛ والخط الشريّف أعلاه حجة فيه .

الطبقة الثانية

من يكتب له من أهل المملكة الحليّة في قطع العادة مفتتحاً بـ «رسم» إمّا مع «مجلس القاضي» أو مع «القاضي الأجل» ككُتاب الدّرج ومن في رُتبهم، إن كُتب

لأحد منهم من الأبواب السلطانية . وإلا فالغالب استبدادُ نائب السلطنة بها بالكتابة في ذلك . فإن كُتب شيءٌ منها من الأبواب السلطانية ، فليُمش فيه على نحو ما تقدم في الديار المصرية والمملكة الشامية التي قاعدتها دمشق .

النوع الثاني

(من أرباب الوظائف بالمملكة الحليية - من هو خارج
عن حاضرتها ، وهم على أصناف)

الصنف الأول

(أرباب السيف ، وهم غالبٌ من يكتب لهم عن الأبواب السلطانية)
وقد تقدم أنَّ العادة جاريةٌ بتسمية ما يكتب لمن دون أرباب النيابات العظام : من دمشق ، وحلب ، وطرابلس ، وحماة ، وصدد ، وغزة ، والكرك - مراسيم . وأنَّ التقاليد مخصصةٌ بالتأواب العظام المقدم ذكرهم . ولا يخفى أنَّ النيابات الداخلة في المملكة الحليية : مما هوت تحت أمر نائب السلطنة بحلب أكثر من كل سائر الممالك الشامية .

وبالجُملة فأمرهم لا يخرج عن ثلاثة أضرب : إما مُقدم ألف ، كاتب اليعة ، ونائب قلعة الروم المعبر عنها في ديوان الإنشاء بقلعة المسلمين ، ونائب ملطية ، ونائب طرسوس ، ونائب البُلسين ، ونائب البهسني ، ونائب آياس المعبر عنها بالفتوحات الجاهانية . وإما طليخاناه ، كاتب جعفر ، ونائب درندة ونحوهما . وإما أمير عشرة ، كاتب عين تاب ، ونائب الراوندان ، ونائب كركر ، ونائب بفراس ، ونائب الشغروبكاس ، ونائب الدربساك ، ونائب سرفندكار ، ومن في معانهم .

وقد تقدم في الكلام على المكاتبات نقلاً عن "التتيف" : أن هؤلاء النواب تختلف أحوالهم في الارتفاع والاختطاط : فتارة تكون عادة تلك النيابة أمير طبلخاناه ، ثم يرقى فيها عشرةً وبالعكس . وقد تكون عادتُها طبلخاناه فيستقر بها مقدم ألف وبالعكس . والضابط في ذلك أن من يكتب له المرسوم : إن كان مقدم ألف ، كتب مرسومه في قطع النصف بـ «السلمى» بالياء . وإن كان طبلخاناه ، كتب له مرسومه في قطع النصف أيضاً بـ «السلمى» بالياء . وإن كان أمير عشرة كتب مرسومه في قطع الثلث . فأما ما يكتب في قطع النصف ، فإنه يفتح بـ «الحمد لله» سواء كان صاحبه مقدم ألف أو أمير طبلخاناه .



وهذه نسخة مرسوم شريف بناية آياس ، وهي المعبر عنها بالفتوحات الجاهانية ، يستضاء بها في ذلك ، وهي :

الحمد لله الذي جعل من أولياء دولتنا الشريفة كل سيف لا تنبو مضارب ، وأسطنى لبوادر الفتوحات من أنصارنا من محمد آراؤه وتجارب ، وألمنا حسن الاختيار لمن تؤمن في المحافظة مآربه ، وتصدب في المخالطة مشارب ، وحقق آمالنا في مضاعفة الفتح التي أغنى الرعب فيها عما تدافعه سيوف الإسلام وتجارب .

نحمد حمداً يضاعف لنا في التأييد تمكيناً ، ونشكره شكراً يستدعي أن يزيدنا من فضله نصراً عزيزاً وقتناً مديناً ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تخلص فيها يقيناً من المخاوف يقيناً ، وترد من نهلها معيناً ، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي أيده الله بالملائكة والروح ، وزوى له الأرض فرأى مشارقها ومغاربها وترجو أن يكون ما زواه له مدخراً لنا من الفتح ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه

الذين هم خير أمة أخرجت للإسلام ، والذين ما زال الإيمان بهم مرفوع الألوية والأعلام ، والذين لم يرخ دأى الضلالة تحت قهر سيوفهم : فإذا أغنى « جرت عليه سيوفها الأحلام » ، صلاة يطيب اللسان منها فيطرب ، ويترب عن صدق الإخلاص في تكرارها فيقرب ، وسلم تسلياً .

أما بعد ، فإن أولى من تستند أمور الممالك لعزيمته ، ويُلقي أمر بوادر الفتوحات السعيدة لمعته ، ويعتمد في تدبير أحوال البلاد والعباد على يمين تصرفه ومتمد نهضته . من لم يزل معروفاً سداد رأيه ، مشكوراً في الخدمة الشريفة حسن سعيه ، مؤيداً [في] عزيمته ، مظفراً في حزمه ، مأموناً التأثير ، ميمون التدبير ، كافياً في المهمات ، كافلاً بملو المهمات ، إذا هم ألقى بين عينيه [صادق] عزمه ، وإذا اعتمد عليه في مهم تنقاه بهيمته وحزمه ، وإذا جرد كان هو السيف آتياً وفعل ، وإذا دارت رحي الحرب الزبون فهو الشهم الذي لا يخاف سهماً ولا يرهب نصلاً .

ولما كان ^(١) هو بدر هذا الأفق ، ومقلد هذا العقد ولا يصلح هذا الطوق إلا لهذا العنق ، وهو الذي فاق الأولياء أهتماماً ، وراق العيون تهماً وإقداماً ، وأرضى القلوب نصحاً ووفاءً ، وأنقضى الهمم احتفالاً للصالح وأحتفاءً ، طالبا جرب تحميد عند التجارب ، وجرد فأغنى عن القواضب ، وأختبر فاختر ، ونظر في خصائصه فلم يوجد له نظير - آقتضى حسن الرأي الشريف أن تقلده فتوحات أنقدها الله تعالى من شرك الشرك ، وأخرجها إلى النور بعد ظلام الإنك ، وبشرها أن هذه صحابة نصير بأبي وإبيله إن شاء الله تعالى بعد رفاذه ، وأنها مقدمة سعيد تتلو قوله تعالى : (وَعدكم الله مقاماً كثيرة تآخرونها فجعل لكم هذه) .

(١) يباض بالأصل والمراد المولى باسمه وقبه .

فلذلك رُسم ... - لا زال الفتح في دولته يزهو بانتظام ملكه، وأيامه الشرفنة تسترد مقتصب البلاد من يد الكفر إلى بسطة ملكه وقبضة ملكه، وإحسانه يجي الحصون بسيف يروع العدا بآسسه وفتكه - أن يفوض ... - أعتادا على مضائه الذي لا ينكر مثله للسيف، وركونا إلى هيبته التي تسرى برعبها إلى قلوب الأعداء سرى الطيف .

فليباشر النيابة المذكورة : مُعملاً رأيه في تمهيد أحوالها، وتقرير أمورها التي رآق الأولياء وراع الأعداء ما كان من مآلها، مجتهداً في حفظ ما بها من القلاع والحصون، مُبادراً [إلى] كل ما يجي حماها ويصون قائماً حق القيام في مصالح تقريرها، وأحوال تحريرها، وأمور تمهيدها، ومناقب تسيدتها، وحواصل تكفيها، وأسباب مضحية توافيها بمزيد الأهتمام وتوفيها، وليكن بأحكام الشرع الشريف مقتديا، وبأنور العدل والإحسان مهتديا، وبقوى الله عز وجل متمسكا، وبشمسية الله متمسكا، وهو يعلم أن هذه الفتوحات [قدى] في حدة العدو المخذول وشجا في سلووقهم، ويلة في صدورهم وحسرة في قلوبهم .

فليكن دأبه الاجتهاد الذي ليس معه قرار، والتحرز الذي يحلها أو يتحيا فيكون عليها بمنزلة سور أوسوار، ويصفحها من عزيمه بالصفاح، ويعمل عليها من شرفات حزمه ما يكون أحد من أسنة الزماح، ثم لا يزال أحياطه محيطا بها من كل جانب، ويتقطف لأحوالها بمنزلة عين مراقب، واحتفاله الاحتفال الذي يمثله بضان رداؤها من كل جانب، ثم لا تزال قصاده وكشافه وطلائعه لا يقرهم السرى، ولا يعزفون طعم الكرى، يطلعون من أخبار العدا على حقائقها، ويحيل كل فرقة منهم على معرفة الأحوال بينهم بمكر من تعدد طرقها وأنشاع طرائقها، لتكون المتجددات عنده بمنزلة ما يراه

في امرأة نظره، وسرّ أمور العدا لَدَيْهِ قَبْلَ أَنْ يَشِيعَ بَيْنَهُمْ ذِكْرُ خَبَرِهِ، والوصايا كثيرةٌ وهو يحمّد الله لا يحتاج مع معرفته إلى تَبَصُّره، ولا يَهْتَفِرُ مع حسن بصيرته إلى تَذَكُّره، والله تعالى يتولّاه، ويُعينه على ما ولّاه؛ بعد الخطّ الشريف أعلاه .

وأما من يكتب له في قُطْعِ الثلث بـ «مجلس الأمير» وهم العشرات [فقد ذكر في «التعريف» : أنه يكتب لهم من الأبواب السلطانية على ذلك .

قلت : وقد تقدّم في الطبقة السابعة أنَّ الكُتُبا، وكرُكر، والدُرِّسَاك، قد تكون عشرة أيضا . وفي معنى ذلك نيابة عين تاب ، والراوندان ، والقَصِير، والشُّغْرُوبَكاس، إذا كانت عشرة . ونيابة دُرِّكِي إذا كانت عشرة^(١) فيفتَحَ فيها «أما بعد حمد الله» على عادة ما يُكتب للعشرات .



وهذه نسخة مرسومٍ شريف من هذه الرتبة، كُتِبَ به لَنائبِ حَجَرِ شَغْلان من معاملة حَلَبَ، وهي :

أما بعد حمد الله الذي شَيَّدَ المعالِمَ الإسلامية بأَكْفَانِها، وصانَ الحُصُونِ المحروسةَ بِنِ شُكْرَتِ هِمَّتِهِ في إعادتها وإبدائها، وَحَمَى سَرَحَها بِنِ أَيْقَظِ [في] الخِدْمَةِ الشَّرِيفَةِ عِيُونَ عَزْمِهِ فَمَا أَلَمْتُ بَعْدَ إيقاظِهِ بِإِغْفائِها، والصلاة والسلام على سيدنا عِجْدِ الذي أُنْتَصَى سِيوفَ التَّأْيِيدِ فَأَعَزَّتِ الهدى وَأَذَلَّتِ العِدا حينَ انتصائِها، وعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ ما بَدَّتِ النُّجُومُ في ظُلُمائِها، وسرتِ الغيومُ في فضاءِها - فَإِنَّ مِنْ شُكْرَتِ هِمِّهِ، وَتَبَقَّتِ في الطَّاعَةِ الشَّرِيفَةِ قَدَمُهُ؛ وَأَشْبَهَ عَزْمُهُ في مَصَانِيهِ صَارَمَهُ، وَأَضْحَتْ

(١) ما بين القوسين المربعين] وجد ملحقاً بهامش نسخة ومؤشراً عليها بالتصحیح فأُثبتناه في الصلح عملاً لتلك الإشارة .

تُؤَدُّ تَقْدِيمَهُ بِاسْمِهِ ؛ أَوَّلَى بِأَنْ تَرْفَعَ هَذِهِ الدَّوْلَةُ الشَّرِيفَةُ مِنْ عَمَلِهِ ، وَتَنْشُرَ عَلَيْهِ [مِنْ] تَكْرِيمِهَا وَارِفَ ظِلِّهِ ؛ وَتَرْضِيهِ لِقَلَاعِ الْإِسْلَامِ وَتُسَيِّدِهَا ، وَتَجَنِّبِهِ لَصَوْنِهَا وَتَأْيِيدِهَا ، وَتَجْعَلَهُ قُوَّةَ عَيْنِهَا وَحِلْيَةَ جِيدِهَا ؛ وَتُمْضِي كَلِمَتَهُ فِي مَصَالِحِهَا ، وَتُعْطِقَ بِهِ أَسْبَابَ مَنَاجِحِهَا ؛ فَيُصْبِحُ وَلَقْدَرِهِ مَنَّا إِعْلَاءٌ وَإِعْلَانٌ ، وَيُسَمَّى وَلَهُ شُغْلٌ بِطَاعَتِنَا الْعَالِيَةِ الشَّانِ ؛ وَشُغْلٌ بِالْمَعْقِلِ الَّذِي يُحَرِّزُ بَعِزَّهُ وَيُصَانُ ، فَلَأَجْلِ ذَلِكَ غَدَا وَلَهُ مِنْ هَذِهِ النِّيَابَةِ عَلَى الْحَقِيقَةِ شُغْلَانٌ .

وَكَانَ [فُلَانٌ] هُوَ الَّذِي جَادَتْ عَلَيْهِ دَوْلَتُنَا الزَّاهِرَةُ بِسَحَابِهَا ، وَأَشْرَقَتْ عَلَى حَظْوِظِهِ سُعُودُ كَوَاكِبِهَا ؛ وَأَتَمَّتْ لَهُ قَدْرًا ، وَجَعَلَتْ لَهُ امْرَأَةً وَأَمْرًا ؛ وَصَرَفَتْهُ إِلَى نِيَابَةِ مَعْقِلٍ مَعْدُودٍ مِنْ قَلَاعِ الْمَمَالِكِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَحُصُونِهَا ، وَمَعَاظِلِهَا الَّتِي عَلَتْ مَعَالِهَا فَالْجِبَالُ الشُّمُّ مِنْ دُونِهَا ؛ قَدْ أَصْبَحَ شَاهِقًا فِي بِنَائِهِ ، مُمْتَعًا فِي مَقْنَاهُ ؛ مُحْصَنًا بِرِجَالِهِ ، مَصُونًا مِنْ مَاضِيَيْنِ : السَّيْفِ فِي مَضَائِهِ وَالْعَزَمِ فِي أَحْتِفَالِهِ ... أَقْتَضَى حُسْنَ الرَّأْيِ الشَّرِيفِ أَنْ نُوَقِّلَهُ رَتَبَةَ هَذِهِ النِّيَابَةِ ، وَنَنْشُرَ عَلَيْهِ مِنْ إِحْسَانِنَا تَحَابَةً .

فَلِذَلِكَ رَسَمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لَا زَالَ أَنْ يَسْتَقَرَّ

فَلْيَحُلَّ هَذِهِ النِّيَابَةَ الْمُبَارَكَةَ مُظْهِرًا مِنْ عَزَمِهِ مَا تُنْجِدُ عَوَاقِبُهُ ، وَتَعْلُو مَرَاقِبُهُ ؛ وَتَسْمُو مَرَاتِبُهُ ، وَتَتَوَسَّعُ سُبُلُهُ وَمَذَاهِبُهُ ؛ مُحْصَنًا لَسَرِّحِهِ ، مَعَزَّزًا مَوَادِّ نَجْحِهِ ؛ مُرَاعِيًا أَحْوَالَ رِجَالِهِ ، الْمُعَدِّينَ مِنْ حُمَاتِهِ وَأَبْطَالِهِ ؛ حَتَّى يَفْضِدُوا قِطْعِينَ فِيمَا يَنْتَبِهُمُ إِلَيْهِ وَيَسْتَنْبِضُهُمْ فِيهِ ، مُبَادِرِينَ إِلَى كُلِّ مَا يَحْفَظُ هَذَا الْحِصْنَ وَيُجَيِّهِ ؛ وَمِنْ هَذَا الْمَعْقِلِ مِنَ الرِّعَايَةِ فَلْيَرْفُقْ بِضَعْفَائِهِمْ ، وَلْيُعَامِلِهِمْ بِمَا يَسْتَجْلِبُ لَنَا بِهِ صَالِحُ دُعَائِهِمْ ؛ وَالْوَصَايَا كَثِيرَةٌ وَمِلَاكُهَا التَّقْوَى ، فَلْيَتَمَسَّكْ بِهَا فِي السَّرِّ وَالنَّجْوَى ؛ وَلْيَغْرِسْهَا فِي كُلِّ

قول يبيديه ، وفصل يرتضيه ، فإن غرّسها لا تذوي . والله يوفقه لصالح القول والعمل ، ويصونه من الخطأ والخلل ؛ والخط الشريف أعلاه ، حجة بمقتضاه ؛ إن شاء الله تعالى ، والحمد لله وحده .

قلت : وقد تقدم أنه لا يكتب عن السلطان مرسوم بياضة في قطع العادة ، لأن ذلك لا يكون إلا بلحدي وهو دون ، ومثل ذلك إنما يكتب عن نواب الممالك .

الصنف الثاني

(مما هو خارج عن حاضرة حلب - الوظائف الدينية بمعاملتها :
من القلاع وغيرها)

وهي في الغالب إنما تصدر الكتاب فيها عن نائب حلب أيضا أوقاضها ، إن كان مرجع ذلك إليه . فإن صدر شيء منها عن الأبواب السلطانية ، كان في قطع العادة مفتتحا بـ «رسم» .

وهذه نسخة توقيع من هذا النمط يُنسج على منواله ، كُتب به لقاضي قلعة المسلمين ، وهي :

رسم بالأمر الشريف - لا زال عدله مؤيدا للحكام ، ورأيه مسلدا في التقض والإبرام ، وسلطانه يختار للناصب الدينية من تطلعت بشكره السنة الأنام - أن يستقر في كذا : لما أشتهر عنه من علم ودين ، وظهر من حسن سيرة أفضت له التعيين .

فليباشر هذه الوظيفة المباركة بالحق حاكما ، وللرفق ملازما ، وللتقوى مداوما ؛
وهو غني عن الإسهاب في الوصايا ، مَلِّ بِسُلُوكِ تَقْوَى اللَّهِ فِي الْقَضَايَا ؛ والله تعالى
يَزِيدُهُ تَأْيِيدَا ، وَيَضَاعِفُ لَهُ بِمَوَادِّ السَّعَادَةِ تَجْدِيدَا ؛ وَالْعَلَامَةُ الشَّرِيفَةُ أَعْلَاهُ ،
حُجَّةٌ بِمَقْتَضَاهُ .

الصنف الثالث

(مما هو خارج عن حاضرة حَلَبَ - الوظائف الدِّيوانية)

وهي إنما تصدُرُ في الغالب أيضا عن نائب حَلَبَ . فإن كُتِبَ شيءٌ منها عن
الأبواب السلطانية ، كان في قِطْعِ العادة مفتحا بـ «رُسم بالأمر» .

وهذه نسخةٌ تَوْقِيعٍ من ذلك ، يستضاءُ به فيما يُكْتَبُ من هذا النوع ، كُتِبَ بها
بِنَظَرِ جَعَرٍ ، من مُعاملَةِ حَلَبَ ، وهي :

رُسم بالأمر الشريف - لا زال مُنْهَلُ النَّدَى ، مُسْتَهْلُ الحَدَى ، مُعِيدًا لِلإِحْسَانِ
كَمَا بَدَأَ - أَنْ يُعَادَ فَلَانٌ إِلَى وظيفته : لَمَّا أَلْقَتْ مِنْ سِيرَةٍ لَهُ لَمْ تَزَلْ تُجْعِدُ ، وَسِيمَا
خَيْرٍ مِنْهُ عَلَى مِثْلِ الشَّمْسِ تَشْهَدُ ؛ وَلِأَمَاتِهِ الَّتِي لَمْ تَزَلْ تَقْتَرِبُهَا الثُّغُورُ ، وَتَحْضُرُهَا
الْمَعَاهِدُ : تَارَةً فِي طَوْرِ النَّحْرِ وَتَارَةً فِي نُحُورِ الْبُحُورِ ؛ وَأَصَالَةٍ أَمْتَدَّ ظِلُّهَا الظِّلِيلُ ،
وَعُرِفَ مِنْهَا فِي الْمَصْرِ حَسَنُ الْأَصِيلِ ، وَأَيَنْتَ أَكْرَمَ فَرَجٍ زَكَا مَنِيَّتِهِ فِي الْأَرْضِ^(١) ،
الْمُقَدَّسَةِ وَجِوَارِ الْخَلِيلِ ؛ وَلِمَا أَسْلَفَ فِي هَذِهِ الْمُبَاشَرَةِ مِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ ، وَسَدَادٍ
أَعْتَادٍ لَمْ يَخْرُجْ عَنْ تَحْرِيرِ تَقْرِيرٍ وَتَقْرِيرِ مَصَالِحٍ ؛ وَكِتَابَةِ رَأْيَا الرَّأْيِ وَنَقْلَهَا النَّاقِلِ ،
وَكِفَايَةِ حَقِّ عَلَيْهِ مِثْلَ الْعُرُوسِ الْمَجْلُوءَةِ مِنْ عَقَائِلِ الْمَعَاوِلِ .

(١) فِي الْأَصْلِ « مَنِيَّتَا » بِالتَّائِيثِ .

فليأشِر هذه الرُّوسُ فقد أَثَقَّهَا سَالَفُ الْخِدْمِ وَأَمْهَرَهَا ، وَلِيَتَأَرَّسَ قِيَا الرُّوسِ
الَّتِي أَثْنَاهَا فِي هَذِهِ الْجَهَةِ وَتَمَرَّهَا ، وَلِيَسْلُكَ مَسْلَكَ الَّذِي لَمْ يَزَلْ مُخِيًّا عَلَى رُءُوسِ
الْقَسَنِ ، وَمَهْومًا بِهِ طَرَفُ الْأَمْنِ لِلْقِظَلَةِ الَّذِي لَا يُلِمُّ بِهِ الْوَسَنُ ؛ مُخَوِّلًا فِي وَطِيقَتِهِ
الْمَبْرَأَاتِ ، مُسْتَقْبِلًا لِّلْمَرَاتِ ، مُفْتَخِرًا بِمَبَاشِرَاتِهِ الَّتِي تَجْرِي بِجَارِيِ الْبَحَارِ : تَارَةً الْمَلَحَ
الْأُجَاجَ وَتَارَةً الْمَذْبَ الْفُرَاتِ ؛ وَهُوَ أَعْرَفُ بِمَا يَقْدِمُهُ مِنْ أَمَانَةٍ بِهَا يَتَقَدَّمُ ، وَدِيَانَةٍ
يُرَجِّبُ بِهَا أَسْتِكْفَاؤُهُ وَيُحَكِّمُ ، وَتَقْوَى اللَّهِ جَاعَهَا فَلْيَكُنْ بِهَا مُتَّسِكًا ، وَبِمَشَاغِلِهَا
مُتَّسِكًا ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يَجْعَلُ عَطَاةَ مُوقَرَّا ، وَعَمَلَهُ مُتَدَقِّقًا لِيُرِدَّ جَعْمَةً جَعْفَرًا .

النيابة الثالثة

(نيابة طَرَابُلُسَ ، وظائفها الَّتِي جرتِ المَادَّةُ بِالْكَتَابَةِ فِيهَا
من الأبواب السلطانية عَلَى تَوْعِينَ)

النوع الأول

(ما هو بِمَحَاضِرَةِ طَرَابُلُسَ ، وهو عَلَى ثَلَاثَةِ أَصْنَافٍ)

الصِّنف الأول

(أَرْبَابُ السُّيُوفِ ، وَهُمْ عَلَى طَبَقَتَيْنِ)

الطبقة الأولى

(من يَكْتُبُ لَهُ تَهْلِيلٌ)

وهو نَائِبُ السُّلْطَانَةِ بِهَا . وَمَرْسُومُهُ فِي قَطْعِ الثَّلَاثِينَ ، وَلَقَبُهُ « الْخَنَابُ الْعَالِي »
مَعَ الدَّعَاءِ بِمُضَاعَفَةِ النِّعَةِ .

(١) الَّذِي وَرَدَ فِي الْقَامُوسِ وَغَيْرِهِ أَنَّ الْقَطْعَ بِمَعْنَى الْإِعْطَاءِ مِنْ بَابِ الثَّلَاثِي ظَلَمَ الْهَمْزُ مِنْ زِيَادَةِ
لِلنَّاسِ خُذْهُ .

وهذه نسخة تقليد شريف بنياتها :

الحمد لله الذى جعل لنا التأييد مددا ، والنصر عتادا لا تفقد مع وجوده من الأولياء أحدا ، والعز وزرا نعم شبهه مسامح العدا : (فَنَ سَتَمِيعُ الْآنَ يَحْدِلُهُ شَهَابًا رَصَدًا) . والفتح ذخرا حيث ما انشاء مددنا إليه بقوة الله يدا ، وشددنا عليه بمعوته عضدا .

نحمده على نعمه التى جعلت مراتب دولتنا فلما تُشرق فيه رتب الأولياء إشراق البدر ، وتُور ممالكنا أمقا حيثما شامتة العدا ضرب بينهم وبينه من سيف مهابتنا بسور ، وقواتج الفتوح النائية دانية من همم أصفائنا فإذا يحموا غرضا طارت إليه سهامهم بأجنحة النور ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة يرفع الجهاد علمها ، وينصر الإيمان كلمها ، ويرضى الإيقان إلى رياض التأييد ديمها ، ويستطلق التوحيد بإعلانيها وإعلانيها سيف أماننا الزاهرة وقلعها ؛ ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الهادي إلى الحق وإلى طريق مستقيم ، وبه المخصوص بالآيات والذكر الحكيم ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين نصرهم الله فنصرهم ، وأظهروا دينه فأعزهم وأظهرهم ، ويسروا لأمتهم سبل الهدى فهداهم وللسبيل يسروهم ؛ صلاة لا يزال اليقين يقيم دعوتها ، والتوحيد يعصم من الانقسام عروتها ؛ وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإن أولى من تفتت الثغور بإيائيه ، عن شنب النصر ، وترقى الحصون بكفائته ، من شام من العدا برقها بشر كالقصر ، وتحم السواحل بمهابته ، من جاور من أهل الكفر بتحرها بين الحصن والحصن ، وتمنع عزمانه شواني العدا أن تدب عقاربها ، أو ترتب البلج بنير أيامه مراكبها ، أو يتقل عن ظهر البحر إلى غير

(١) لله « بنير أمانته » تأمل .

سيوفه أو قيوده محارباها - من لم يزل في نُصرةِ الدينَ لامعا كالبرقِ شهابه ، زانرا
كالبحرِ عبابه ، واصبا على الشركِ عذابه ، ظاميا إلى مواردِ الوردِ سيقه ، ساريا
إلى قلوبِ أهلِ الكُفرِ قبلِ جُفونهم طيقه ، قائمة مقام شُرفِ الحصونِ أسنة رماحه ،
غنية بروجِ الثغورِ عن تصفيحها بالحديدِ بصفا صفاحه ، مع خبرة بتقدمة الجيوشِ
تضاعف إقدامها ، وثبتت في مواطنِ اللقاءِ أقدامها ، وتسدّدت إلى مقاتلِ أهلِ الكُفرِ
سهامها ، وتقرّب عليها في البرِّ والبحرِ منالها وتبعدُ مراميها على من رامها ، ومعللة
للرعايا السكونَ في مهاد أمنها ، والركونَ إلى ربّها إقبالها ووعادِئها ، فيربُّ الرعايا
مصونٌ بدليله ، والعُدلُ مكنونٌ بين قوله وفعله .

ولما كان فلانٌ هو اللَّيْثُ الذي يُعجى به غابه ، والنَّيْبُ الذي يُزهى أفقُ تآلّق فيه
شهابه ، والهُمامُ الذي تُعدي هُمامه فرسانُ الوغى فتعدُّ أجادها بالألوف ، والشجاع
الذي إذا استعانت سواعِدُ الشُّجَمَانِ بسُيُوفِها استعانت بقوة سواعده السُّيُوف -
أقتضت آراؤنا الشرفه أن نُحلى به جيدَ ملكة انتظمت على وشامِ البحرِ ، وأحاطت
بما في ضميره من بلادِ العدا إحاطة الفلاحة بالنَّحر .

فرسم بالأمر الشريف لا زال أن يفوض إليه كَيْت وكَيْت : لِمَا أُشير
إليه من أسباب تعينه لهذه الرتبة المكيّنة ، وتحليله بما وُصف من المحاسن التي تُزهى
بها عقائلُ الحصون المصنونة .

فليل هذه النيابة الخليفة بعزيمة مُجَلِّل مواكبها ، وهمة تُكَلِّل مراتبها ، ومهابة تحوط
ممالكها ، وصرامة تؤمن مسالكها ، ومعللة تُعمر ربوعها ورياعها ، وحقطة تصون
حصونها وقلاعها ، وشجاعة تبرى إلى العدا سرايا رعيها ، وسطوة تُعدي السُّيُوف
فلا تستطيع الكُفَّاءُ الدُّنُو من قُربها ، ومُتمعة تُهبط مجاوريه حتى يُجفَل البحر [أنه] من
أعوانه على حربها .

وَلِيُؤْتِ تَقْدِيمَةَ الْجِيُوشِ الْإِسْلَامِيَّةِ حَقَّهَا مِنْ تَذِيرٍ يَجْمَعُ عَلَى الطَّاعَةِ أَمْرَهَا
وَأَمْرَاعَهَا، وَيَرْفَعُ فِي مَرَاتِبِ الْخِدْمَةِ الشَّرِيفَةِ عَلَى مَا يَجِبُ أَعْيَانَهَا وَكِبَرَاءَهَا، وَيُرْهَبُ
بِإِدَامَةِ الْاِسْتِعْدَادِ قُلُوبَ أَعْدَائِهَا، وَيُرْطَطُ بِأَيِّزِهَا شَوَانِي الْبَحْرِ حَتَّى تَمْتَدَّ الرِّبَاطُ
فِي ذَلِكَ مِنَ الْفُرُوضِ الَّتِي يُتَعَبَّدُ بِأَدَائِهَا؛ فَلَا يَلُوحُ قَلْعٌ فِي الْبَحْرِ لِلْعَدَا إِلَّا وَهُوَ يَرَهْبُ
الْوَقُوعَ فِي حَبَالِهَا، وَلَا تُلْحَظُ عَيْنٌ عَدُوَّ سَنَا الْبَرِّ إِلَّا وَهِيَ تَتَوَقَّعُ أَنْ تُكَمَّلَ بِنَصَالِهَا،
وَلِيُقِيمَ مَنَارَ الْعَدْلِ بِنُشْرِ لَوَائِهِ، وَيَعْضُدَّ حَكْمَ الشَّرْعِ الشَّرِيفِ بِرَجُوعِهِ إِلَى أَوَامِرِهِ
وَأَتْنَاهَا؛ وَلِيَكْفِ يَدَ الظُّلْمِ [عنها] فَلَا تَمْتَدَّ إِلَيْهَا بَنَانٌ، وَلِيَشْفَعَ الْعَدْلُ بِالْإِحْسَانِ إِلَى
الرَّعِيَّةِ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ؛ وَفِي سِرِّيَّتِهِ الَّتِي جَعَلَتْهُ صَفْوَةَ الْاِخْتِيَارِ، وَنُجْبَةَ
مَا أَوْصَحَتْهُ الْحَقِيقَةُ مِنَ الْاِخْتِبَارِ؛ مَا يُغْنِي عَنِ الْوَصِيَّةِ إِلَّا عَلَى سَبِيلِ الذِّكْرِ الَّتِي
تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ، وَتَرْفَعُ قَدْرَ الْمُؤَقَّتِينَ؛ وَمِلَاكُهَا تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى: فَلْيَجْعَلْهَا أَمَامَ
أَعْيَانِهِ، وَإِمَامَ إِصْدَارِهِ وَإِرَادِهِ، وَاللَّهُ تَعَالَى يُدِيمُ مَوَادَّ تَأْيِيدِهِ وَإِسْعَادِهِ؛ إِنْ شَاءَ
اللَّهُ تَعَالَى.

الطبقة الثانية

(من يكتب له مرسومٌ شريفٌ في قَطْعِ التُّلْتِ بـ «المجلس

السَّامِي» بغرياء، وتشتمل على وظائف)

منها — شَدُّ النُّوَائِنِ بِطَرَابُلسَ .

وهذه نسخةٌ تَوْفِيقُهَا :

الْحَمْدُ لِلَّهِ مُجِدِّ الرَّتَبِ لِمَنْ نَهَضَ فِيهَا إِخْلَاصَهُ بِمَا يَجِبُ، وَمَوْلَى الْمَنِّ لِمَنْ إِذَا
اعْتَمَدَ عَلَيْهِ مِنْ مُهَمَّاتِ الْقَوْلَةِ الْقَاهِرَةِ فِي أَمْرِ عَرَفَ مَا يَأْتِي فِيهِ وَمَا يَحْتَجُّ بِهِ

وَمَوْكِدِ النَّعِيمِ لَمَّا إِذَا أَرْتَبْتَ الْأَكْفَاءُ فِي الْخِلْمَةِ الشَّرِيفَةِ كَانَ خَيْرَةً مِّنْ يُخْتَارُ وَنُجْبَةً
مِّنْ يُتَخَبَّ .

نَحْمَدُ عَلَى نِعَمِهِ الَّتِي مَرَّتْ إِلَى الْأَوْلِيَاءِ عَوَارِفُهَا ، وَأَشَقَلْ عَلَى الْأَصْفِيَاءِ وَإِفْرَ
ظِلَالُهَا وَوَارِفُهَا ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةُ تُزِيلُ لَدَيْهِ ،
وَتَكُونُ لِقَائِهَا ذَخِيرَةً يَوْمَ الْعَرْضِ عَلَيْهِ ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ عَمَدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ أَشْرَفُ
مَبْعُوثٍ إِلَى الْأُمَمِ ، وَأَكْرَمُ مَنْعُوتٍ بِالْفَضْلِ وَالكَرَمِ ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
الَّذِينَ وُلُوا أَمْرَ الْأُمَّةِ فَعَدَلُوا ، وَسَلَكُوا سَبِيلَ سُنَّتِهِ فَمَا مَالُوا عَنْهَا وَلَا عَدَلُوا ؛ وَسَلَّمْ
تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وبعد ، فَإِنَّ أَوَّلَى مَا اخْتِيرَ لَهُ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ كُلِّ ذِي هِمَّةٍ عَلَيْهِ ، وَعِزَّةٍ بِمَصَالِحِ
مَا يُعَدُّقُ بِهِ مِنْ مُهِمَّاتِ الدَّوْلَةِ الْقَاهِرَةِ مِلَّةً ؛ وَخَيْرَةً بِكُلِّ مَا يُرَادُ مِنْهَا وَفِيهِ ، وَيَقْطَعُ
تَلَحُّظَ فِي كُلِّ مَا قَرِبَ وَنَأَى مِنَ الْمَصَالِحِ الْأُمُورِ الْبَاطِنَةِ وَالْأَحْوَالِ الْخَفِيَّةِ ؛ وَصِرَاطَةً
تُؤَيِّسُ مِنْ أَسْتِلَانَةِ جَانِبِهِ ، وَتَزَاهَةِ تَوْمَنٍ مِنْ إِمَالَةِ رَأْيِهِ فِي كُلِّ أَمْرٍ عَنْ سُلُوكِ
وَاجِبِهِ ؛ وَمَعْرِفَةً مُطْلِعَةٍ ، وَنَهْضَةً بِكُلِّ مَا إِنَّ حَمْلَهُ مِنْ أَعْيَابِ الْمُهَمَّاتِ الشَّرِيفَةِ
مَضْطَلِعَةٍ - أَمْرُ الْأَمْوَالِ الدِّيَوَانِيَةِ : فَإِنَّهَا مَعَادِنُ الْأَرْزَاقِ ، وَمَوَادُّ مَصَالِحِ الْإِسْلَامِ
عَلَى الْإِطْلَاقِ ؛ وَخَزَائِنُ الدَّوْلَةِ الَّتِي لَوْ مَلَكَتْهَا الْغَائِمُ لَأَمْسَكَتْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ ،
وَذَخَائِرُ الثَّنَوِيرِ الَّتِي مَوَاقِعُهَا مِنْ أَعْدَاءِ الدِّينِ مَوَاقِعَ الشَّجَا فِي الْقُلُوبِ وَالْقَدَى
فِي الْأَحْدَاقِ .

ولمَّا كَانَ الْمَجْلِسُ السَّامِيُّ هُوَ الَّذِي سَمَّتْ بِهِ هِمَّتُهُ ، وَرَبَّحَتْ فِي خِدَمِ الدَّوْلَةِ
الْقَاهِرَةِ قَدَمُهُ ، وَتَبَارَى فِي مَصَالِحِ مَا يُعَدُّقُ بِهِ مِنْ الْمُهَمَّاتِ الشَّرِيفَةِ سَيْفُهُ وَقَلَمُهُ ؛
وَكَانَتْ الْمَمْلَكَةُ الطَّرَابُلُيسِيَّةُ مِنْ أَشْهُرِ مَمَالِكِ مُنْعَمِهِ ، وَأَغْنَاهَا بِقَعِهِ ، وَأَعْمَرَهَا بِبِلَادِهَا ،

وأخصبها رباً ووهاداً ؛ وأكثرها حصونا شواهي ، وقلائماً سوامي سوامي ، وغنورا
لا تنسم ما أقتَر من ثغورها البروق الخوافي ؛ ولها الخواص الكثيره ، والجهات
الغزيرة ؛ والأموال الوافرة ، والفلات المتكاثرة المتكاثرة - أقتضت آراؤنا الشريفة
أن نرتادها من يسدُّ خلل عطلها ، ويسدُّ عضد ميدها وميلها ؛ وينهض من مصالحها
بما يراد من مثله ، ويبعد لها بحسن المباشرة بهجة من ^(١) ققدته من الأكفاء
من قبله .

فلذلك رسم أن يفوض إليه شدُّ الدواوين المعمورة بالملكة الطرابلسية
والحصون المحروسة ، على عادة من تقدمه في ذلك .

فليأشر ذلك بمعرفة تستخرج الأموال من معادنها ، وتستثير كواين المصالح من
مكائنها ؛ وتكثر أموال كلِّ معاملة بحسن الاطلاع عليها ، وصرف وجه الاعتناء إليها ؛
وتقيد أحوال مباشريها ، ومباشرة ما يجتد من وجوه الأموال فيها ؛ وضبط ارتفاعها
بعمل تقديره ، وحفظ متحصل ضياعها من ضايعه وصون بذارها عن تبذيره ؛
وليجهتد في عمارة البلاد بالرفق الذي ما كان في متى إلا زاته ، والعذل الذي
ما أنصف به ملك إلا صاته ، والعقة التي ما كانت في امرئ إلا وفقه الله تعالى
في مقاصده وأعانه ؛ وليقدم تقوى الله بين يديه ، ويعتمد على توفيقه فيما اعتمد فيه
عليه ، إن شاء الله تعالى .

قلت : وعلى ذلك يكتب شدُّ مراكر البريد ونحوها .

الصنف الثاني

(من الوظائف بطراً لمُس التي يكتب لأربابها من الأبواب السلطانية -

الوظائف الدينية ، وهي على مرتبتين)

المرتبة الأولى

(مَنْ يُكْتَب له في قُطْع الثالث بـ «المجلس السامي» بالياء ، وتشتمل على وظائف)

منها - القضاء . وبها أربعة قضاة من المذاهب الأربعة : من كُلِّ مذهب قاض .

وهذه نسخة تُوقَّع بقضاء قضاة الشافعية بها ، يُنسخ على منواله ، وهي :

الحمد لله الذي أعزَّ الدين بعليناه ، وعصَّد الحكم بالمتقين من أوليائه ؛ وأوضح
الرشد للفتنين بمن جعلهم في الهداية كنجوم سمانه ، وجعل لكل من الأئمة من
مطالع الظهور أفقاً يُتَدَي فيه بأنواره ويُقْتَدَى بأنوائه .

نحمده على أن جعل سبهم اجتهدانا في الارتداد للأحكام مُصيبا ، وقسم لكل من
أُفْتِيَ ممالكنا من بركة علماء قسيمه الآخر نصيبا ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده
لا شريك له شهادة تعصم من الهوى في الحكم لعباده ، وتقسم العرا من جاهر فيها
بعباده ؛ ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي أضاءت أنوار ملته ، فاستنشت العلماء
لوائمه ، ووضحت آذُن سنته ، فأحرز أئمة الأمة جوامعها ؛ صلى الله عليه وعلى آله
وتحبه الذين دُعوا إلى الله فأجابوا ، ودُعوا إلى الحكم بسنته فأصابوا ؛ صلاة لا تزال
الأسس تُقيمها ، والإخلاص يُديمها ؛ وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإن أولى ما آتَى فيه الاجتهاد جهده ، وبلغ فيه الارتداد حدّه ؛ واستضيء
فيه بنور التوفيق ، واستنصحب فيه من استشارة الله خير رفيق - أمر الحكم العزيز

وتَقْوِيضُهُ إِلَى مَنْ وَسَّعَ اللَّهُ تَعَالَى جَمَالَ عِلْمِهِ ، وَسَدَّدَ مَنَاطَ حُكْمِهِ ؛ وَطَهَّرَ مَرَامَ قَلْبِهِ ، وَنَوَّرَ بَصَرَهُ فِي الْحُكْمِ وَبَصِيرَتَهُ فَأَصْبَحَ فِيهِمَا عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ ؛ فَاجْرَى الْحَقُّ فِي الْبَحْثِ وَالْفَتْيَا عَلَى لِسَانِهِ وَيَمِينِهِ ، وَتَزَهَّدَ عَنْ إِرَادَةِ الْعِلْمِ لِقَبْرِ وَجْهِهِ الْكَرِيمِ ، وَنَبِهَهُ عَلَى ابْتِغَاءِ مَا عِنْدَ اللَّهِ بِذَلِكَ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ .

وَلَا خَلَا مَنَصِبُ قَضَاءِ الْقَضَاةِ بِطَرَابُلُسَ الْمَحْرُوسَةِ عَلَى مَذْهَبِ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : وَهُوَ الْمَنَصِبُ الَّذِي يُضَيُّ بِالْأَيِّمَةِ الْأَعْلَامِ أَفْقُهُ ، وَتَلْتَقِي بِالْفَضْلَاءِ الْكَرَامِ طُرُقُهُ ؛ وَتَحْتَوِي عَلَى أَرْبَابِ الْفُنُونِ الْمُتَعَدِّدَةِ بِمَجَالِهِ ، وَتَزُكُو بِالْفَوَائِدِ الْمُخْتَلِفَةِ مَفَارِئِهِ ؛ وَكَانَ فَلَانٌ هُوَ الَّذِي أُشِيرَ إِلَى خِصَائِصِ فَضْلِهِ ، وَنُبِّهَ عَلَى أَنَّ الْأَجْتِهَادَ لِلأُمَّةِ أَفْضَى إِلَى إِسْنَادِ الْحُكْمِ مِنْهُ إِلَى أَهْلِهِ ؛ وَأَنَّهُ وَاحِدُ زَمَانِهِ ، وَعَلَامَةُ أَوَانِهِ ؛ وَجَامِعُ الْفَضَائِلِ عَلَى اخْتِلَافِهَا ، وَقَامِعُ الْبِدَعِ عَلَى اقْتِرَاقِ شُبُهَاهَا مِنْهُ وَأَتْلَافِهَا ؛ وَحَاوَى الْفُرُوعَ الَّتِي لَا تَنْتَاهِي ، وَالْمُرُورِيَّ عَلَى رَبِّ كُلِّ فَضِيلَةٍ لَا يَعْرِفُ غَيْرَهَا وَلَا يَأْلَفُ سِوَاهَا - أَقْتَضَتْ آرَاؤُنَا الشَّرِيفَةَ أَنْ نَجْزِمَ مِنْ آرْتِيَادِهِ لِهَذِهِ الرَّبِّةِ هَذَا الرَّأْيَ [السَّيِّدِ] ، وَأَنْ تَقَرَّبَ سُرَاهُ إِلَى هَذَا الْمَنَصِبِ الَّذِي نَادَاهُ بِلِسَانِ الرِّغْبَةِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ .

فَلَنُكَلِّمُكَ بِرُؤْسِ الْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لَا زَالُ إِحْسَانِهِ كَالْبَدْرِ ، يَمْلَأُ الْمَشَارِقَ وَالْمَغَارِبَ ، وَرَبُّهُ كَالْبَحْرِ ، يَقْدِيفُ لِلْقَرِيبِ الْجَوَاهِرَ وَيُبْعَثُ لِلْبَعِيدِ السَّحَابَ - أَنْ يَقْوُضَ إِلَيْهِ كَذَا .

فَلْيَطْلُعْ بِذَلِكَ الْأَفْقِ الَّذِي يَتَقَرَّبُ طُلُوعُهُ رَقَبَةَ أَهْلِ الْمَوَاسِمِ ، وَيُسْرِعَ إِلَى تِلْكَ الرَّبِّةِ الَّتِي تَكَادُ تَسْتَطْلِعُ انْتِبَاءً مِنَ الرِّيحِ النَّوَاسِمِ ؛ وَيُنْشَرُّ بِهَا قِرَائِمُهُ الَّتِي هِيَ أَحَقُّ

أن تطوى إليها المراحل ، ويقدم بها على الاجتماع الطامية لمندب قوائمه قنوم القام
على الروض الساحل ؛ ويل هذا المنصب الذي هو فيه بين عدل ينشره ، وحق
يظهره ، وباطل يرفعُه ، وغالب يرفعُه ، ومظلوم ينصره .

وليكن أمر أموال الأيتام المهم المقدم لديه ، وحديث أوقاف البر من أول وأولى
ما يصرف فكره الجليل إليه ؛ ويتعاهد كشف ذلك بنفسه ، ولا يكتفى في عبه
فعل اليوم باطلاعه عليه بأمره في أمسه ؛ وهو يعلم أن الله يجعله بذلك مشاركاً
للوافقين في الأجر المختص بهم والشكر المنسوب إليهم ، خارجاً من المهدة في أمر
اليتامى باستعمال الذين يحشون لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً خافوا عليهم ؛ وليقيم
منار الحق على ما يجب وإن سرّ قوماً وساء قوماً ، ويقيم بالعدل على ما شرع : فإن
« عدل يوم خير للأرض من أن تمطر أربعين يوماً » .

وأما ما عدا ذلك من أحوال الحكم وعوائده ، وآداب القضاء وقواعده ، فكل
ذلك من خصائصه يستفاد ، ومن معارفه يستتراد ؛ وملاك ذلك كله تقوى الله
وهي من أظهر حلاله الحسنه ، وأشرف صفاته التي تتداولها الألسنة ؛ فليجعلها
وسيلة تسديده في القول والعمل ، وذخيرة آخرته التي ليس له في غيرها أمل ، ويقلد
العلّي فيما حدثته من أسباب نقلته فإن كمال العز في الثقل ؛ والله تعالى يمدّه بمواذ
تأييده وقد فعل ، ويجعله من أوليائه المتقين وقد جعل ؛ بمنه وكرمه ؛ ، إن شاء
الله تعالى .

قلت : وعلى ذلك تكتب تواقيع القضاة الثلاثة الباقين .

ومنها - وكالة بيت المال .

(١) لله « على أمره في أمسه » .



وهذه نسخة توقع من ذلك ، وهى :

الحمد لله الذى عَمَّرَ بَيْتَ مال المسلمين بِسَدَادٍ وَكِيلِهِ ، وَنَمَّوْهُ تَحْصِيلِهِ وَمَزِيدِ
تَمْوِيلِهِ ، وَتَمَسَّكِهِ بِالْصَّدَقِ مِنْ قِيلِهِ ، وَسُلُوكِهِ مَانَتَيْنِ [مِنْ] سَبِيلِهِ ، وَأَعْتَمَدَهُ الْحَقَّ
فِي دَلِيلِهِ ، وَدَفَعَهُ الْمَضَارَّ وَجَلَّيَهُ الْمَسَارَّ بِتَحْوِيلِهِ .

نَحْمَدُهُ عَلَى بَرِّهِ وَتَفَضُّلِهِ ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ إِنَّهُ تَنَزَّاهُ عَنْ
نِدَّةٍ وَمِثْلِهِ ، وَنَشْهَدُ أَنَّ عَهْدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِى بَعَثَهُ اللَّهُ تَمَامَ هَذَا الدِّينِ وَتَكْمِيلَهُ ،
وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الْمُعْجَزَاتِ فِي تَنْزِيلِهِ ، وَحَفِظَ بِهِ الذِّكْرَ الْحَكِيمَ مِنْ تَبْدِيلِهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَقَبِيلِهِ ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا .

وبعد ، فَإِنَّ بَيْتَ الْمَالِ الْمَعْمُورَ هُوَ نِظَامُ الْإِسْلَامِ ، وَذُنُورُ الْأَنْامِ ، وَفِيهِ مَحْصُولُ
الْمُسْلِمِينَ تَحْتَ نَظَرِ الْإِمَامِ ، وَفِيهِ مَادَّةُ الْمَجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَلَى تَطَاوُلِ الْأَيَّامِ ،
وَالِيهِ تُجْبَى الْقَنَاطِيرُ الْمُقَنْطَرَةُ مِنَ الْأَمْوَالِ ، وَعَنْهُ تَصْدُرُ الْمِيعَاتُ مِنَ الْأَمْوَالِ مَا يَنْبَغِي
أَرْضِ وَأَبْنِيَةِ وَمَحَالٍ . وَالْوَكِيلُ عَلَى ذَلِكَ عِنَّا بِالْمَمْلَكَةِ الطَّرَابُلُوسِيَّةِ الْمَحْرُوسَةِ هُوَ الذَّابُّ
عَنْ حَوَازِيهِ ، الْقَائِمُ بِتَأْمِينِ رَوْعَتِهِ ، الْمُجْتَمِدُ فِي تَمْيِيزِ رَجْعَتِهِ ، وَبِنَبْغِي أَنْ يَكُونَ مِنْ
الْعُلَمَاءِ الْأَعْلَامِ الْأَتِمَّةِ ، الْمُعَوَّلِ عَلَيْهِمْ فِي الْأُمُورِ الْمُهِمَّةِ ، الْبَصِيرِ بِمَا يَتَرَجَّحُ بِهِ
جَانِبُ بَيْتِ الْمَالِ الْمَعْمُورِ وَيُكْشِفُ كُلَّ غُمَّةٍ ، الْعَرِيقُ فِي السِّيَادَةِ الَّتِي آتَاهَا إِلَيْهَا
السَّجَايَا الْجَمِيلَةُ بِالْأَرْزَمَةِ .

ولما كَانَ فَلَانٌ هُوَ الرَّاقِي هَضْبَةً [هذه] الْمَائِرِ ، الطَّالِعَ كَوَكْبَ جَمَدِ السَّافَرِ ،
الْمُسْتَحَقَّ لِكُلِّ أَرْقَاءٍ عَلَى الْمُنَابَرِ ، وَبَعْدُ سَلَفًا كَرِيمًا نَصِيرًا فِي الْفَانِ ، وَبِمَتْ بَيْتِ

بحره زاجر؛ وله في مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه بحث فاق به الأشباه
والنظائر، وعنده علمٌ بالمسائل المضروب مثلها السائر - فذلك رسم
فليأشِر هذه الوظيفة مختزراً في كل ما يأتيه ويذكره، ويقصده ويحمره، ويورده
ويصدره، ويبيته وقدره، ويحقيه ويظهره، ويديه ويستره، ويدينه ويحضره؛
ويقتر جانب بيت المال المأمور؛ بما فيه الحظ الموقور؛ والنيطة في كل الأمور،
وهو عالمٌ بما فيه صلاح الجمهور؛ ومن رغب في أبتياج أراض وقراح، وأبينة
وأسلاك ورحاب فساح؛ مما هو جار في ملك بيت المال فليوفر جانب القيمة
على ما فيه الصلاح، وهو بحمد الله من بيت الدين والصلاح والإصلاح، وهو يقوى
بإسناده الأحاديث الصحاح؛ ومن له حق في بيت المال فليسمع دعوى مدعيه،
ولا يصرف درهمهما ولا شيئاً إلا بحق واضح فيا يشته فيه، وهو وكيل مأمون في تأتيه،
ومعنى الوكيل الذي يوكل إليه الأمر الذي يليه .

والوصايا كثيرة وأجلها تقوى الله بالسَّمْع والبَصَر واللسان، فمن تمسك بها من
إنسان فإنه يفوز بالإحسان؛ وهو غني عن الوصايا بما فيه من البيان، والله
يعله في كَلَاة الرحمن؛ بمنه وكرمه ! . والخط الشريف أعلاه ... ، إن
شاء الله تعالى .

قلتُ : وقد يكتب لوكالة بيت المال ونحوها بالاكتماح بـ «أما بعد» على
قاعدة أصل الكتابة في قطع الثلث . والكتاب في ذلك على ما يراه بحسب ما يقتضيه
الحال .

المرتبة الثانية

(من تواقع أرباب الوظائف الدينية بطرابلس - من يكتب له
في قطع العادة ، مفتحا بـ «رسم»)

وهذه نسخة توقيح من هذه الرتبة بوظيفة قراءة الحديث النبوي ، على قائله
أفضل الصلاة والسلام ، لمن أسمه « يحيى » يستضاء به في ذلك ، وهي :

رسم بالأمر الشريف - لا زال ريم الفضل بأزواج عنايته يحيا ، وأحايث منته
الحسان نعيها أذن وأعية من طيب السماع لا نعيها ، ولا يرحت أولياء خديمه تنني
على صدقاته بالسنة الأفلام ، وتدير على الأنماع من رحيقها كئوسا مسكية^(١)
الانعام - أن يستقر في كذا استقرارا ترشف الأنماع ، كئوس روايتها فلا تروى ،
ورتب كاله بقصر عن طلوعها كل باع ، فئوانه لا تنوي ، ورؤوع معروفه لا تبيد ،
وآيات صلاته ينطق بتلاوتها كل بلغ فيبدئ ويبيد ، لأنه العالم الذي أحيا من
مدارس العلوم مدارس ، والفاضل الذي أضاء ببصر علومه ليل الجهل ولا غرو :
« فطرة الصبح تضحى آية الفلاس » ؛ والكامل الذي لا يسوب كاله قيصه ، والأمثل
الذي أنته المال رخيصه ، والإمام الذي تأتم وراءه الأفاضل ، وتأخر عصره ففاق
الاولئ ، مدارس إلا وجمع من فوائد « أبي حنيفة » و « ابن إدريس » ، ولا عرس
بأبل الطلب إلا حيد عند إدراك طلبه ذلك التعريس ؛ ولا أعاد الدروس للطلبة
إلا وترشحت منه بالقوائد ، ولا جمع ما فصله العلماء إلا وأنى بالجمع الذي لا نظير له
في القوائد .

(١) في الأصل : وقد مر وهو معروف واضح .

فليأثر هذه الوظيفة مباشرة أنوار هداها لا تتخذ ، وليلازمها ملازمة تشكره عليها الأئمة وتحمده ، وأنت - أدام الله تعالى قوائلك - لا تحتاج إلى الوصايا إذ أنت بها عالم ، وبأسبابها متمسك ، وبالقيام بها يقط غير قائم ؛ لكن التقوى [أولى] بمن عرف الأمور ، وليس سوايها يُعبد كل محذور ؛ والاعتقاد على الخط الشريف أعلاه .

الصف الثالث

(من الوظائف بطرابلس التي يكتب لأربابها من الأبواب السلطانية -
الوظائف الديوانية ، وهي على مرتبتين)

المرتبة الأولى

(ما يكتب في قطع الثلث بدو المجلس السامي بالياء ،
وتشتمل على وظائف)

منها - كتابة السر ، ويعبر عنه في ديوان الإنشاء بالأبواب السلطانية بدو صاحب ديوان المكاتبات .

وهذه نسخة توقيع من ذلك ، وهي :

الحمد لله الذي جعل الأسرار عند الأحرار ، وطوى الصحف على حسنات الأبرار ، وأجرى الأفلام ترجمانا للأفكار ، وجعل الحفظة يكتبون الأعمال مع تطاول الأعمار ، آناه الليل وأطراف النهار ، وبسط المعاني أرواحا ، والألفاظ لها أشباحا ، مع التكرار ، وأبجج الصدور بصُدُور الكتب والإيراد والإصدار .

نحمده على فضله المندار ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة إقرار ، وعمل بالجوارح بلا إنكار ؛ ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله المصطفى من مضر بن نزار ، المخصوص بالمهاجرين والأنصار ، الثاوي بأشرف بقعة نزار ، المشرف كتاب الوحي : فهم يكتبون بما يُمليه عليهم المختار ، وجبريل يُلقي على قلبه الآيات والأذكار ، عن رب العزة المسيل الأستار ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ما نفع روض مطار ، وسمح صوب أمطار ، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإن ملاك الملك الشريف حفظ سره ، والاحتفال بكتبه الشريفة ولفظها ودره ، وخطابها ونثره ، وخطها ونشره ، وختمها وعطره ، وتجهيزها مع الأمانة الثقات الذين تؤمن غائلة أحدهم في كل أمره ؛ وما ألقى السر الشريف إلا لأئمة النجاة ، وصدر الزمان ، وبلغ كسحجان ، وفصبح كقوس في هذا الزمان ، وأصيل في الأنساب ، وعريق في كرم الأحساب ، وقاضل يتنوله قاضل بيسان ، ويُنشئ لفظه الدر والمرجان ، وكتب المرفلا يقوه بلسان .

ولما كان فلان هو واسطة عقد الأفاضل ، ورأس الرؤساء الأماثل ، وحافظ السر في السويدياء من قلبه ، وناظم النثر في سطور كتبه ، والمورد على مسامعنا الشريفة من عبارته ألقاها عذبا ، القائل صوايا ، والمجيد خطابا ، وإذا جهز مهمما شريفا راعاه بينه عودا وقهايا ، وإذا استعطف القلوب النافرة عادت الأعداء أجبابا ، وإذا أرمد وأبرق على مازني أغنى عن الجيوش وأبدى عجبنا ، وإذا كتب أنبت في القرماس رياض خصبابا .

فلذلك رسم بالأمر الشريف أن يفوض إليه كذا . فليحل هذا المنصب الشريف حلول القمر هالته ، وليعد إليه أيام سره وسروره القاتية ، وليعرب عن أصول تأيته ،

وفُروغ في منابت الخير نأيتَه ، ولينفَذ المهامِ الشَّريفةَ أولاً فأولاً من غير أن يعلِّق
 مُهماً بغيره أو يُبيِّنَه إلى غَدِه ، وليحرِّر البريدَ المنصورَ بيديه غير معتمد فيه على غير
 رَشده ، ولا يَنْفِ عن وظيفته طَرْفَةَ عَيْنٍ بل يكون كالنَّجم في رَصده لمرتصِده ؛
 ولْيُوصِ كُلَّ الإنشاءِ لَدَيْهِ ، والمُتَصَرِّفين بين يديه ، بكم السَّرفان ذلك إليه ؛ فإذا
 أَفْنَى أَحَدٌ من السَّرَكَمه ، فليزجره وليأمره أن يحفظ لسانه وقلبه ، ولْيُعْطِ كُلَّ قَضِيَّةٍ
 ما تستحقها من تَفِيدَ كَلَمَه ؛ والابتداءات والأجوبة فلتكن نفورها بالفاظله منسَّبة
 وعقودها بإملائه مُنْتَظَمَه ؛ فإِذَا الْإِبْتِدَاءُ فهو على اقتراحه ، وأما الجوابُ فهو على
 ما يقتضيه الكتابُ الوارد باصطلاحه ، ولا يعلَى إِلَّا إلى تَمَانِه ومُصَاحَه ؛ والكتبُ
 الملوكية فليوفها مقاصدها ، وليراع عوائدها ؛ والتقوى فهي الهامُ [من] أمره ، وخِتامُ
 عِطْره ، وتَمَامُ بَذْرِهِ ؛ والوصايا فهي كثيرةٌ لَدَيْهِ وفي صدره ، والله تعالى يَكْمُلُ به
 أوقاتَ عَصْرِهِ ؛ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ ! والحطُّ الشريفُ أغلاه

ومنها - نظر المملكة ، القائمة بها مقام الوزارة -

وهذه نسخةٌ تَوْقِيع من ذلك ، وهي :

الحمد لله مُبِيضُ حُلَلِ إِيْمَانِنَا على مَنْ أَخْلَصَ في طاعتنا الشَّريفةَ قَلْبَهُ وَلِسَانَهُ ،
 ومُؤَيِّ قُضَلِ آلِإِيْمَا الْعِيْمَةِ على مَنْ أَرْهَفَ في مصالحها آلهَ عَزَمَهُ وَبَنَانَهُ ، ومُعَلِّ
 رَبِّبِ عَلَيَّايَا الشَّريفةِ بِنِ أَشْرَقِ في سماءِ المَعَالِي بَذْرَهُ وَإِسَانَهُ ، وَأَيَّعَتْ في غصون
 الْأَمَانِ قُطُونَهُ وَأَفْنَانَهُ .

نَحْمَدُهُ حَمْدًا يَبْلُغُ [به] أَقْصَى غَايَةِ الْمَجْدِ مَنْ بَتَّيْمِ بِجَمِيلِ نَظَرِهِ الثُّمُورَ ، وَتَتَّيْمِ بِمَجِيدِ
 خَبَرِهِ وَخَبَرَتِهِ الْأُمُورَ ؛ ونشهدُ أن لا إلهَ إِلَّا اللهُ وحده لا شريكَ له شهادةٌ تُشْرِقُ بها

البُذور، ويَعتمدُ عليها في الأيام والُدهور؛ ونشهدُ أنَّ سيدنا محمداً عبدهُ ورسوله
المهَادى إلى الحقِّ وإلى طريقِ مُستقيم، والنَّاشِرُ لواءَ العدلِ بسَنَنِهِ الوَاسخِ وشَرْعه
القويم؛ وعلى آله وصَحْبِهِ الَّذِينَ أَهْتَدَى بِهِمْ ذَوُو البصائر والأبصار، وأرتدَى
بَارِدِيَتِهِمُ الْمُعَلِّمَةُ مَقْنَى الآثار من النُّظَّار، وسَلَّمَ تَسْلِيماً .

وبعدُ، فإنَّ أَوَّلِيَّ مَنْ أَسَدْنَا إِلَى نَظَرِهِ الْجَمِيلِ رُتْبَةً عِزٌّ مَا زَالَتْ بَنُو الآمالِ عليها
تَحُومُ، وَعَدَقْنَا بِتَدْيِيرِهِ الْجَمِيلِ مَنَصِبَ سِيَادَةِ مَا بَرَحَتْ الْأَمَانِيُّ لَهُ تَرُومُ، وَاعْتَمَدْنَا
عَلَى هِمَمِهِ الْعَلِيَّةِ فَصَدَّقَ الْخَبْرَ الْخَبَرَ، وَرَكَّأَ إِلَى حِمِيدِ رَأْيِهِ فَشَهِدَ السَّمْعُ لَهُ وَأَدَّى
النَّظَرُ .

ولما كانَ فَلَانٌ هُوَ الَّذِي رَفَى فِي ذِرْوَةِ هَذِهِ الْمَعَالِي، وَانْتَضَمَ بِهِ عِقْدُ هَذِهِ الْأَلَى،
وَحَوَى بِفَضِيلَةِ الْبَيَانِ وَاللَّسَانِ مَا لَمْ تَدْرِكْهُ الْمُرْهَفَاتُ وَالْعَوَالِي؛ فَاحْلُ ذِرْوَةَ عِزِّ
إِلَّا حَلَّاهَا بِنَظَرِهِ الْجَمِيلِ، وَلَا رَفَى رُتْبَةَ سِيَادَةِ إِلَّا وَأَسْفَرَ فِي ذُرْوَتِهَا وَجْهَ صُبْحِهِ
الْجَمِيلِ، وَلَا عِدَقَ بِنَظَرِهِ كَقَالَةِ رُتْبَةٍ إِلَّا وَكَانَ لَهَا خَيْرٌ كَفِيل .

فلذلك رُسمَ بالأمرِ الشَّريفِ - لا زالَ يَنْتَهِي لِلرُّتَبِ الْعَلِيَّةِ خَيْرٌ مُنْجِدٌ وَمُغِيرٌ،
وَيُخْتَارُ لِلنَّاصِبِ السَّيِّئَةِ نَعْمَ الْمَوْلَى وَنَعْمَ النَّصِيرُ - أَنْ يَفُوضَ إِلَيْهِ كَذَا فُلَانُهُ الْقَوِيُّ
الْأَمِينُ، وَالْمُتَمَسِّكُ مِنْ تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى وَكِفَايَتِهِ بِالسَّبَبِ الْمَتِينِ، وَالْمُسْتَعِدُّ بِجَمِيلِ
كَفَاتِهِ وَحِمِيدِ دِيَانَتِهِ إِلَى حِصْنِ حَصِينٍ، وَالْمُسْتَدْرِي بِأَصَالَتِهِ الطَّاهِرَةِ وَإِصَابَتِهِ إِلَى
الْجُنَّةِ الْوَاقِعَةِ وَالْحَرَمِ الْأَمِينِ .

فليَقْدَمْ خَيْرَةَ اللَّهِ تَعَالَى وَيُيَاثِرْ الْجَهَّةَ الْمَذْكُورَةَ بِعِزِّمْ لَا يَنْبُو، وَهِمَّةٍ لَا تَحْبُو، وَتَدْيِيرِ
يَتَضَاعَفُ عَلَى سَمَرِ الْأَيَّامِ وَيَرْبُو، وَنَظَرٍ لَا يَعْزُبُ عَنْ مِبَاشَرَتِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ إِلَّا وَهِيَ
مِنْ خَاطِرِهِ فِي قَرَارِ مَكِينٍ، وَضَبْطٍ لَا تَمْتَدُّ إِلَيْهِ يَدُ مُلْتَمَسٍ إِلَّا وَيَجِدُ مِنْ مُرْهَفَةٍ

ما يَكْفُفُ كَفَّهَا بِالْحَمْدِ الْمَتِينِ . وَلِيَضَاعِفَ هِمَّتَهُ ، فِي مَصَالِحِ هَذِهِ الْجِهَةِ الَّتِي عَدَقْنَاهَا
بِنَظَرِهِ السَّعِيدِ ، وَلِيُوقِّرَ عِزَّ مَنَّتِهِ ، فَإِنَّ الْحَازِمَ مِنَ أَلْفَى السَّمْعِ وَهُوَ شَهِيدٌ ، وَالْوَصَايَا
كَثِيرَةٌ وَمِثْلُهُ لَا يُدَلُّ عَلَيْهَا ، وَالتَّنْبِيهَاتُ وَاصِحَّةٌ وَهُوَ - وَفَقَهُ اللَّهُ تَعَالَى - أَهْدَى مِنْ أَنْ
يُرْسَدَ إِلَيْهَا ؛ وَاللَّهُ يُوَفِّقُهُ فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ ، وَيُصْلِحُ بِجَمِيلِ تَدْوِينِهِ وَجَمِيدِ تَأْنِيهِ كُلِّ
خَلَلٍ ، وَالْإِعْتَادُ عَلَى الْخَطِّ الشَّرِيفِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

ومنها - نظر الجيش بها :



وهذه نسخة توقيع بها لمن لقبه «شمس الدين» وهي :

الحمد لله الذي أطلع في سماء المآلِ شَمْسًا مُنِيرَةً ، وَأَنِيعَ غُرُوسِ أَوَّلِي الصَّدَارَةِ
بِعِمَادِ مَحَبِّ عَوَارِفِهِ الْفَزِيرَةِ ، وَأَبْدَعَ الْإِحْسَانَ إِلَى مَنْ قَدَّمَهُ الْإِخْتِبَارُ وَالْإِخْتِبَارُ
عَلَى بَصِيرَةٍ .

نَحْمَدُهُ عَلَى نِعَمِهِ الَّتِي عَمَّ فَضْلُهَا ، وَمَدَّ عَلَى أَوْلِيَاءِ الدَّوْلَةِ الْقَاهِرَةِ ظِلُّهَا ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً تَزُلُّفُ لَدَيْهِ ، وَتُسَلِّفُ مَا يَجِدُهُ الْمُتَمَسِّكُ
بِهَا يَوْمَ الْعَرَضِ عَلَيْهِ ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَشْرَفَ مَنْ بُعِثَ إِلَى الْأُمَمِ
كَأَنَّهُ ، وَأَحْرَمَ مَنْ غَدَّتْ أَمْلَاكُ التَّصَرِّيَاتِ حَافَهُ ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَوَحَّيْهِ
الَّذِينَ حَازُوا بِصُحْبَتِهِ الشَّرَفَ ، وَقَارُؤَا بِطَاعَةِ اللَّهِ وَطَاعَتِهِ مِنَ الْخِصَانِ بِقُرْفٍ مِنْ
فَوْقَهَا غُرْفٍ .

وبعد ، فَإِنَّ أَوَّلَى مَا عُدِّقَ بِالْأَكْمَاءِ ، وَأَحَقُّ مَا صُرِفَ إِلَيْهِ وَجْهَ الْإِعْتِنَاءِ ،
وَأَجْدَرُ مَا أَوْقِظَ لَهُ طَرَفُ كَافٍ لَا يُلْمُ بِالْإِغْفَاءِ - أَمْرُ الْجِيوشِ الْمَنْصُورَةِ بِطَوَائِلِ

المحروسة التي لا ينهض بأعباء مصالحها إلا من عُرِف بالسداد في قلبه وكمه، وألف منه حسن التصرف فيما يُسديهِ من نزاهته ويُطهرُهُ من همِّهِ؛ بخيرة مؤكِّده، وآراء مسدَّده، ومعرفة أوضاع ترتيبها وأحوالها، وقواعد مُقَدِّمها وأبطالها، وكفاية تفتح رحاب حالها .

ولما كان فلان هو الصدر الملى بوائى الضبط وواغر الأهتمام، والكافى الذى نطقَت بكفايته ألسنة الخرصان وأفواه الأقلام، والضابط الذى لا يعجز فهمه عن إحاطة العلم بدوى الآلام .

فلذلك رُسم بالأمر الشريف - لا زال يقدِّم للراتب، كافيًا مشكورًا، ومُرْتَحٍ للناصب، صدرًا أسمى بالأمانة مشهورًا - أن يفوض إليه كذا : لأنه الصدر الذى تراحمَت ألسنة الثناء عليه، وترادفت بين أيدينا حميده فقترنا العوارف لديه، وشكرت عندنا همِّه فى سداد كل ما يُبشِّره، وذُكرت لدينا بالخير سيرته وسرائره .

فليأشِر هذه الوظيفة الجليلة متحلِّيًا بين الأثام بقوِّدها، مُطلِعًا شمس نزاهته فى فلك سُعودها، ناهضًا بأعباء منصبه السعيد، ضابطًا قواعده بكل تحرير تليد؛ متقنًا ديوان الجيوش المنصورة، مُعمِّلًا فى ملاحظتها نافذ البصر وحسن البصيرة؛ مُحَرِّرًا أوراق البذة والعُدَّة، باذلاً فى ضبط الخلل أهتمامه وجهده، والله تعالى يُسعدُ جدَّه، ويُجِدِّدُ سعده؛ والخطُ الشريفُ أعلاه ... إن شاء الله تعالى .

قلت : وربما كُتِبَ مفتتحًا فى هذه الرتبة بـ «أما بعد» فإنها أصل ما يكتب فى قِطْعِ التث .

المرتبة الثانية

(من مراتب أرباب الوظائف الديوانية بطرابلس - مَنْ يُكْتَب له في قَطْع
العادة بـ «مجلس القاضي»)

وهو قليل الوقوع . والغالب في ذلك أن يكتب عن نائب السلطنة بها .

وهذه نسخة توقع من هذه الرتبة بكتابة الدُست بطرابلس ، يقاس عليه ما عده
من ذلك ، وهي :

رُسِم بالأمر الشريف - لا زال أمره الشريف ، يزيد من يَصْطَفِيهِ شَرْفاً ، ويرى
الْمُنِيفُ ، يُفِيد من يَحْتَجِيهِ حُففاً ، وخبره المُلِيفُ ، يُجِيد لمن يَخْتاره جُوداً ، ويسرُّ قلبَ
مَنْ رفعه إلى صَدْر الدُست صُعوداً ، فيُسَوِّهُ من جَنَّت العِلْيَاء عُرفاً - أَنْ يَسْتَقِرَّ
في كذا : استقراراً يُجَنِّي منه عِمار الخيرات ، ويُجَلِّ عليه عِروس المَسَرَّات ؛ لأنه
الرئيس الذي تَفْتَحِر هذه الوظيفة بآتسائها إليه ، وتَجَمُّل حللها وألويتها إذا نُشِرت
عليه ، والفاضل الذي أَلَقَتْ إليه البلاغة زمامها ، والكاامل الذي ملك بيانها ونظامها ؛
والأديب الذي لا يُدْرِك في الآداب ، واللييب الذي يقصر عنه طُول عامة الطلاب ؛
كَمْ له من كِبَايَةِ حَسَنَةِ الْأَسَاق ، وبلاغة حَصَلَ على فَضْلِهَا الْأَتْفَاق ، وديانة أُطْلِقَ
فيها لِسَانُهُ وَيَدَه فشكها الناس على الإطلاق ؛ فهو مُسْتَنَدُ الرَّاسِ ، وَأَبْنُ مَنْ حَازَ
كُلَّ نَفَارِ وَرَاسِهِ ؛ والعلمُ المشهورُ علمه ، وصاحبُ القلمِ المشكورُ رُفُّهُ ، فالنَّاصِبُ
بإرفاعه إليها مُفْتِخِرُهُ ، والمراتبُ بعلته مُسْتَبْشِرُهُ ؛ والأشْمَاعُ بفضائله مُسْتَفْهِة ،
والإمْتِجَاعُ بِكلمه مُسَرَّفُهُ .

فليباشِر هذه الوظيفة ، وَلَيْسَلُكُ فيها طَرِيقَ نَفْسِهِ الْعَفِيفَةِ ، وَلْيَدِجِ الْقِصَصَ
بأقلامه ، وَلْيُبْهِجِ التَّوَاقِيعَ بِمَا يُوقِعُ مُبَرِّمَ فَصِيحِ كَلَامِهِ ؛ وَلْيَزِينِ الطُّرُوسَ ، بِكِبَابَتِهِ ،

وَيُنْعِشُ النُّفُوسَ ، بِبَلَاغَتِهِ ؛ وَلِيَجْمَلَ مِنَ الْمُبَاشَرَةِ مَا تُصْبِحُ مِنْهُ مَطَالَعُ شَرَفِهِ
مُنِيرِهِ ، وَتُعْمَى بِهِ عَيْنُ حُبِّهِ قَرِيرَهُ ؛ وَالْوَصَايَا فَهُوَ خَطِيبُ مَنِيرِهَا ، وَلَيِّبُ مَوْرِدِهَا
وَمَصْدَرِهَا ؛ وَالتَّقْوَى فَلْيَلْزَمْ فِيهَا شِعَارَهُ ، وَلْيَدَاوِمْ بِهَا عَلَى مَا يَبْلُغُ بِهِ أَوْطَارَهُ ؛ وَاللَّهُ
تَعَالَى يَجْعَلُ سَعُودَهُ كُلَّ يَوْمٍ فِي أَزْدِيَادٍ ، وَيَسْهَلُ لَهُ مَا يَرْفَعُ ذِكْرَهُ بَيْنَ الْعِبَادِ ، بِمَنْه
وَكْرَمِهِ ! . وَالْإِعْتِدَادُ فِي ذَلِكَ عَلَى الْخَطِّ الشَّرِيفِ أَعْلَاهُ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

النوع الثاني

(من الوظائف بطرابلس - ما هو خارج عن حاضرتها ،

وهم على ثلاثة أصناف أيضا)

١. الصنف الأول

(أرباب السيف)

وقد تقدم أنه ليس بها مقدم ألف سوى نائب السلطنة بها ، وحينئذ فالنيابات
بعامتها على طبقتين :

الطبقة الأولى

(الطلبة ناه)

وَمَرَّاسِيهِمْ تُكْتَبُ فِي قَطْعِ الثَّلَاثِ بِـ«السَّامِي» بِالْيَاءِ ، مُفْتَتِحَةً بِـ«الْحَمْدُ لِلَّهِ» .

وهذه نسخة مرسوم شريف من ذلك بناية قلعة ، تصلح لنائب الألاذقية ،
يُنْسَجُ عَلَى مَنَوَالِهَا ، وَهِيَ :

الحمد لله الذى جعل الحصون الإسلامية في أيامنا الزاهرة ، مصقعة بالصنّاح ،
والثغور المصونة في دولتنا القاهرة ، مشرفة بأسنة الرماح ، والمعاقل المحروسة بمخصوصة
من أوليائنا بمن يعدُّ بأسه لما أوقى الجنّ وذبه عنها أقوى السلاح .

نحمد على نعمه التى عوارفها غممه ، وطوارفها كالثالدة للزبد مستديمه ؛ ونشهد
أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تنطق الضمائر قبل الألسنة بإخلاصها ،
وتشرق القلوب بمعوم إحاطتها بها واختصاصها ؛ ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذى
أشرق بنور مليته الظلم ، وأرتوت بفور شريعته الأمم ، صلى الله عليه وعلى آله
ومحبه الذين آمنوا إلى جهاد أعداء الله وأعدائه غارب المهيم ، صلاة سارية
كالرياح هامية كالديم ، وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد ، فإن أولى ما عقد عليه في صيانة الحصون المنابر ، وأعتمد على مثله
في كفاية المعاقل إذا لم يكن غير تأييد الله وحد السيف ناصر - من هو في حفظ
ما يليه كالصدور التى تصون الأسرار ، والكائم التى تحوط الثمار ، مع القطة التى تدود
الطيف أن يلم بمحاة حماه ، والفطنة التى تصد الفكر أن يتخيل فيه ما أشتمل عليه
وحواه ، والأمانة التى ينوى فيها طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وطاعتنا
الشريفة ولكل أمرئ ما نواه .

ولما كان فلائ هو السيف الذى تروق تجرئته ويروع تجريده ، وإذا ورد
في الوعى منهل حرب فشرعه من كل كبحي وريده - أقتضت آراؤنا الشريفة أن نريه
حده يحفظ أسنى الحصون عندنا مكاناً ومكانه ، وأسمى المعاقل روضة وعزة وصيانته .

فرسم بالأمر الشريف أن تفوض إليه النيابة بقلعة كذا .

فليباشر هذه النياية السامية قدرها ، الكامل في أفق الرتب بدرها ، مباشرة تصدُّ
الأفكار ، عن توهيمها ، والأبصار ، عن توشيمها ، والخواطر ، عن تحييل معناها ،
والسرائر ، عن تمثيل صورتها ومعناها .

وليكن لمصالحها متممًا ، ولنجوى رجالها متصفًا ، ولأعذار حماتها مزيحًا ،
ولخواطر من أسباب كفايتها مزيحًا ، ولوطائنها عامرًا ، وبما قلَّ وجلَّ من
مصالحها أمرًا ، ولوطائنها مقيًا ، وللتظفر الكبير والصغير من أمورها مديًا ،
ولخدمتها مضاعفًا ، ولكل ما يتعين الاحتفال به من مهماتها واقفًا ، وملاك الوصايا
تقوى الله : وهي أول ما يستتمه بين يديه ، وأول ما ينبغي أن يصرف نظره إليه ،
فليجمل ذلك خلق نفسه ، ومرتبة يومه على أمسه ، والخير يكون . والخط الشريف
أعلاه ، إن شاء الله تعالى .

الطبقة الثانية

(العشرات)

ومراسيمهم إن كتبت من الأبواب السلطانية ففى قطع الثلث بد«السامى» بنير
ياء ، مفتحة بد«أما بعد» إلا أن الغالب كتابتها عن نائب السلطنة .

وهذه نسخة مرسوم شريف بنبابة قلعة بلاطس ، من معاملتها وهى :

أما بعد حمد الله على نعم توالى رفئها ، ووجب شكرها وحمدها ، وعذب لذوى
الآمال وردّها ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى رُفع به لقرين مجدها ،
فعلّا جئها ، وعلى آله وصحبه صلاة لا تحصى عددها ولا يحصر حدّها - فإنه لما كان
فلان من قُدِّمت تقادم خديمه ، وثعالى به إلى العلاء سامى هيمه ، وترقّع به حسن

ولأنه حتى أعلت الدولة من شأنه ورفضت من عليه؛ واستكفته لمصون الحصون، وجادت عليه بصوب إحسان روى الأمانى فاضحت نضرة العُصون؛ وكانت قلعةُ فلانة هي القلعة التي شحنت بأنهما على القلاع علوا، وسامت الجزاء سُموا؛ فوجب أن لا يستحفظ عليها وفيها، إلا من عُرف بحسن المحافظة وتوفيقها؛ وكان المشار إليه هو عين هذه الأوصاف، والوارد من حسن الطاعة المورد الصاف - أقتضى حسن الرأي الشريف أن نسوه بذكره، وترفع من قدره .

ولذلك رُسم ... - لا زال ... أن تفوض إليه النيابة بهذه القلعة المحروسة، وأن تكون بأوائس صفاته مأنوسه .

فليكن فيما استُحفظ كُفوا، وليُورد الرعية من حسن السيرة صفوا، وإذا تعارض حكم الانتقام وكان الذنب دون الحد فليقدم عفوًا . وعليه بالعدل، فإنه زمام الفصل؛ والقلعة ورجالها، وذخايرها وأموالها، فليُعن النظر في ذلك بكرة وأصيلًا، وإجمالًا وتفصيلًا، وتخصيصًا وتعميمًا . وعليه بالتسك بالسرعة المطهرة، وأحكامها المحررة؛ وليردع أهل الفساد، ويقابل من ظهر منه العناد، بما يؤمن المنهج، ويمدد المباحج؛ والوصايا كثيرة، فليكن مما ذكر على بصيره؛ أعانه الله على ما أولاه، ورعاه فيما أسترعاه؛ وانلخط الشريف أعلاه، حجة بمقتضاه؛ والخير يكون إن شاء الله تعالى .

الصنف الثاني

(مما هو خارج عن حاضرة طرابلس - الوظائف الدينية،)

والغالب كتابتها عن نائب السلطنة بطرابلس . فإن كُتب شيء منها عن الأبواب السلطانية، كان في قطع العادة «يمجلس القاضي» مفتتحًا بـ «رسم» .

وهذه نسخة توفيق من ذلك بنظر وقف على جامع بمعاملة طرابلس، كتب به لمن لقبه «زين الدين» وهي :

رُسم بالأمر الشريف - لا زال كريم نظره يستنيب عنه بمصالح بيوت الله تعالى من تزداد بنظره شرفاً وزيناً ، ويعين لها من الأعيان من تُسر به خاطراً وتقر به عيناً ، ويمتحها من إذا باراه مبار وجد بينهما بونا وبيننا ، ويقدر لها كل كاف إذا فاه رآه بوصف آرائه الملموحة عين صوابها ولا يجد عليها عيناً - أن يستقر بالنظر على كذا : استقراً يرى الوقف بنظره على ربه جلالة ، ويجد مباشرة في صحته خلاوة ، ويعرب عن استمراره على حسن الثناء ، ويمجد من نبيل ربه أكل وفاء ؛ لأنه الناظر الذي لا يمل إنسانه ، من حسن النظر ، ولا يكل لسانه ، عن الأمر بالمصالح ولفظه عن إلقاء الدرر ، والشريف الذي وجدت غاي شرفه من فضل خالاه ، والحواد الحائر يجوده قصب السبق على أمثاله ؛ والكامل الذي لا توجد في صفاته نقيصه ، والفاضل الذي أنته الفضائل على رغبها رخصه .

فليباشر هذا النظر مباشرة ما تكحل ناظره فيها بالوسن ، وليقابلها من جميل سلوكه بكل وجه حسن ؛ وليبدأ أوقاف الجامع المذكور بالعارة ، وليقطع بمدية أمانته يد من يش على ماله القارة ؛ وليأمر أرباب وظائفه بالزوم ، وليخص كلا منهم من فضله بالعموم ، وليتيق الله تعالى في القول والعمل ، وليجتهد على أن لا يتخلل مباشرته التحلل ، والاعتد على الخط الشريف أعلاه

الصنف الثالث

(مما هو خارج عن حاضرة طرابلس - أرباب الوظائف الديوانية)

وقل أن يكتب فيها شيء عن الأبواب الشريفة السلطانية، وأن الغالب كتابه ما يكتب فيها من نائب السلطنة بطرابلس . فإن اتفق كتابه شيء من ذلك عن الأبواب السلطانية، مسمى الكاتب فيه على نتج ما تقدم في الوظائف الدينية : من كتابته في قطع العادة بـ «مجلس القاضي» مفتتحاً بـ «رسم» لا يختلف الحال منه في ذلك إلا في الفرق بين التملقات الدينية والديوانية . والكاتب الماهر بصرف قلبه في ذلك وفي كل ما يحدث من غيره على وفق ما تقتضيه الحال، وبالله المستعان .

النيابة الرابعة

(نيابة حماة . ووظائفها التي يكتب بها من الأبواب السلطانية ، ما يحضرتها خاصة ، وهي على ثلاثة أصناف)

الصنف الأول

(أرباب السيوف)

وليس بها منهم إلا نائب السلطنة خاصة . ويكتب له تقليد في قطع الثلاثين بـ «الجناب العالي» مع الدعاء بمضاعفة النعمة .

وهذه نسخة تقليد نيابة حماة :

الحمد لله ذي التدبير اللطيف ، والعمون المطيف ، والحياطة التي تستوعب كل نصريف وكل تكليف .

نحمدُه بمحمدٍ جميلةِ التفويضِ ، حسنةِ التأليفِ ، مَكَّةِ التَّكْيِيفِ ، بَرِيَّةِ من
التَّطْفِيفِ ، حَرِيَّةِ بكلِّ شكري مُنِيفِ ، وَذِكْرِ شَرِيفِ ، ونشهدُ أن لا إله إلا الله
وحدَه لا شريكَ له شهادةً خلصَ تحريرها عن كلِّ تحرِيفِ ، وتَنَزَّهَ مقالها عن تسويدِ
تفنيدِ أو تسويفِ ؛ ونشهدُ أنَّ محمداً عبدهُ ورسولهُ صاحبُ الدِّينِ الحَيِّفِ ،
والمبعوثُ بالرحمةِ والتَّخْفِيفِ ؛ صَلَّى اللهُ عليه وعلى آله وصحبه صلاةً مُتَنَابِهَةً تَأَوَّبَ
الصَّيرِرَ والصَّيرِيفَ ، والشَّاءَ والمَصِيفَ ؛ وسَلَّمَ تسليماً كثيراً .

وبعدُ ، فإنَّ من سِيَمِ الدَّوْلَةِ ومجباياها ، وأحكامها وقضاياها ؛ تَقْدِيمُ الأَمِّ فالأَمِّ ،
وتَحْتِمُ الأَمِّ من الرَّاىِ وتَحْكِمُ التَّدِيرَ الأَمِّ ؛ وفِعْلُ كُلِّ ما يَحُوطُ المالكُ ويَحْفَظُها ،
ويُدْرِكُ العيونَ للملاحَظَةِ ويُوَفِّقُها : لِمَا أَوْجَبَهُ اللهُ مِنْ حُقُوقِها ، وَحَظَرَ مِنْ
عُقُوقِها ؛ ولا يَكُونُ ذلك إلا باختيار الأولياء لِنُضَيْطِها ، والتَّعْوِيلُ على الأُمْلَاءِ بالقيامِ
بشُروطِها ، والأَسْتِئْذِنُ مِنَ الرُّعَمَاءِ إِلَى مَنْ يُوفَّى مِنَ الخِراجَةِ والعيونِ وَافِيَ قِسْطُها .

ولما كانت المملَكَةُ الحَمَوِيَّةُ جَدِيَّةً بِالْأَنْفِثَاتِ ، حَقِيقَةً بِالْحِيَاظَةِ مِنْ جَمِيعِ الجِهَاتِ ؛
مُسْتَدْعِيَةً مِنْ جَمِيلِ النِّظَرِ كُلِّ ما يَحْرُسُ رِبْعَها ، وَيُدِيمُ نَفْعَها ، وَيَحْفَلُ ضَرَعُها ،
وَيَلْمُ شَعَبَها وَيَسْعَبُ صَدْعَها ، وَيُسَرِّ سَمْعَها ، وَيُقِمُّ شَرْعَها ، وَيُعْلَمُ شَرْعَها ؛
وَيَكْتَنِفُها اِخْتِافُ السُّورِ والسُّوَارِ ، وَالْهَالَةُ اللَّبَدُّ والأَنْجَامُ لِلثَّارِ ؛ وَكَانَ فَلانٌ هو
الْمُتَشَعُّعُ مَحَابِّ هذا الوَصْفِ عن بَدْرِه المُنِيرِ ، والمُتَقَلِّعُ ضِبابُ هذا التَّقْوِيضِ عن نُورِ
سَمِيهِ المُنْعِشَةِ قُوَى كُلِّ نَبْتٍ نَضِيرٍ ، والذي بِأَهْلِيَّتِهِ لُرْتَبَةِ هذا التَّقْوِيضِ ما خَابَ
المُسْتَخِيرُ ، ولا نَدِمَ المُسْتَشِيرُ ، والذي يُفَرِّدُهُ اسْتِحْقَاقُ هذه الرتبةِ فلا يَقُولُ أَحَدٌ مِنْ
كَبِيرٍ ولا صَغِيرٍ أَمْتثالاً لِلرَّاسِمِ الشَّرِيفَةِ فِي حَقِّهِ : « مَنَّا أَمِيرٌ وَمَنْتُمْ أَمِيرٌ » - أَقْتَضَى

بحبل الرأي المنيّف ، أن نخرج الأمر الشريف - لا بريح يُحسب التّعويل ، ويهدى إلى سواء السبيل ، ويمضى مضاء القضاء المُتَرَلّ والسيف الصّقيّل - أن تقوِّض إليه نيابة السلطنة المعظمة في مملكة كذا وكذا .

فَلَقَدْ مَّ خيرة الله قَائِلًا وفاعلا ، ومُقيا وراحلا ، ومُوجِّها ومُواجِها ومُسَجِّلا وساجلا ، وعالِمًا وعاملا ؛ ومعتمدا على الله في أمره كلّ . وليكن من هذه المعرفة قريبا ، وعلى كلّ شيء حتّى على نفسه رَقِيبا ؛ وإذا أتى الله كفاه الله الناس ، وإن أتى الناس لم يُغنوا عنه من الله شيئا فَلْيَقْسُ على هذا القياس ، ويقتبس هذا الاقتباس .

وأما الوصايا فالمساكر المنصورة هم غلبُ الظفر وظُفْره ، وبهم يُكشَف من كلّ عدوّ سرّه ، ويُحَلَّى وطنه ووكره ، ويضربُ زيده وعمره ؛ ويبدّد جمعه ، ويُساء صنعه ، ويعمى بصره ويضمّ سمعه ؛ وهم أسوارُ نُجَاهِ الأسوار ، وأمواجُ تَدْفِيعِ وتَدْفِيقِ أعظم من أندفاق البحار ، وما منهم إلا من هو عندنا لمن المصطفين الأخيار ؛ فأحسِن استِعْلابَ خواطِرهم ، واستِعْلابَ بواطنهم وسرائرهم ، واستِعْلابَ الشائع من طاعتهم في مواردِهم ومصادرِهم ؛ وكُنْ عليهم شَفِوقا ، وبهم في غير الطاعة والاستعباد رَفُوقا ، وأوجب لهم بالجهاد والاجتهاد حُقُوقا ، وأصرف لهم حِمَلا لأعباء المهّمات والملمات مُطِيقا ؛ وأسْتَشِرْ منهم ذوى الرأى المصيب ، ومن أحسن التجريب ، ومن تَحَقَّقْ منه النّصح من الكهُول والشّيب ، ممن كلل بنيرة منه ماشِبٌ فإنّ المرء كثيرُ باخيه ، وإذا اجتمعت غُصُونٌ في يد أيدٍ عَسَتْ ^(٢) على قَصْفِهِ وقَصَفُ كلّ واحدة فواحدة لا يُعييه .

(١) في الأصل "السامع مع من" الخ وهو تحريف كما لا يخفى .

(٢) في اللسان "عسى القضيبي يمس" . وهو مناسب للقام .

والجهاد فهو ملاك كل استجواء واستخواء ، وبه تتميز أفعال الكفار بالتفاد
وأفعال الدين الحنيف بالتفاد ، وما جعل الله للدافعين عن دين الله سواء ، ولا مزي
صوب صواب إلا إياه ؛ وعلى ذلك جعل الله أرزاقهم ، وهيا لهم به إرفاقهم ؛
فليكرمهم بأخذ الأتبه ، في الاعتلاء والأنصبا في كل هضبه ، والاستعداد برباط
الحيل وكل قوه .

ومن الوصايا التي ينبغي أنها ترسم في جبهات الفكر [دون توائ] أو تكون أن
لا يستحقروا عدوا ، ولا يستهزئ بقلته لا رواسا ولا غدوا ، وليكن للاستظهار مستوعبا ،
ولإعمال المكاييد مستوثيا ، وللكشف بعد الكشف مستصحبا ؛ وغير ذلك من
الأمر ، التي بها صلاح الجمهور .

والشرع الشريف وتنفيذ أحكامه ، وتقوية أيدي حكامه ؛ فهو ميزان الإسلام
والسلامه ، وقوام الصلاح والاستقامه ، وأخوه المرتفع من ندى الحق ، العذل
الذي كم شاق وكثيرا ما على أهل الباطل شق ؛ وعم القريب والبعيد ، والسائق
والشديد ، والمريب والمريد ، وكل ذي ضعف مييد ، وكل ذي بأس شديد ، وكل
مستشير ومستريد ؛ فإن ذلك إذا شمل حاط ، وتم به الارتياح والأرباط ، وهدي
إلى أقوم صراط .

والحنود فهي حياة النفوس ، وبها تزال البئوس ؛ فاقمها ما لم تدرك بالشبهات
الشرعية ، والأمر المرحه .

والأموال فهي تجلبه الرجال ، ومحبلة الآمال ؛ وبها يسد الأزر ، ويقوى
الاستظهار [و] الظهر ، فيسد من الذين أمرها بهم معدوق ، ويقوى أيديهم بكل
طريق في كل طروق ، بحيث لا يؤخذ إلا الحق ولا يترك شيء من الحقوق .

والرعية فهم عند وإلى الأمر ودائع : ينبغي أنها تكون محفوظه ، وبين الاعتناء
ملحوظه ؛ فاحسن جوارهم ، وأزل قمارهم ، وأكف عنهم مضارهم ، ولا تعاملهم
إلا بما لا تسأل عنه غدا بين يدي ربك فإنه يراك حين تقوم ، وأعد جواباً لذلك
فكل راجع مسئول .

وأما غير ذلك فلا بد أن تطلبك المباشرة على خفايا تفنيك عن المؤامره ، وستوالى
إليك الأجوبة عند المسافرة في المكاتب الواردة والصادره ؛ والله يوفقك في كل
منهج تسلكه وتقتضيه ، ويسدّدك فيما من ذلك تنتجيه .

قلت : أما سائر أبواب الوظائف بها : كشدّ الدواوين ، وشدّ مراكر البريد
وغيرها ، فقد جرت العادة أن النائب يستقل بتوليها . فإن قدر كتابة شيء من ذلك
لأحد بها ، كتب لمن يكون طليخاناه في قطع النصف : « السامى » بشيرياه ، ولن
يكون عشرة في قطع الثلث بـ « مجلس الأمير » كما في غيرها .

الصف الثاني

(أرباب الوظائف الدينية ، وهم على مرتبتين)

المرتبة الاولى — من يكتب له في قطع الثلث بـ « السامى بالياه » . وهم قضاة
القضاة الأربعة .

المرتبة الثانية — من يكتب له في قطع العادة : إما في المنصوري ، مفتعاً
بـ « أما بعد » وإما في الصغير مفتعاً بـ « رسم » . وعلى ذلك تكتب توابع قضاة
العسكر بها ، ومفتي دار العدل ، والمحتسب ، ووكيل بيت المال ، ووظائف

التدريس والتصدير، ونظر^(١) إن كتب شيء من ذلك عن الأبواب السلطانية،
وإلا فالعالب كتابة ذلك عن النائب بها^(٢).

النيابة الخامسة

(نيابة صَفَد)

قد تقدم في الكلام على المكاتب أنها في رتبة نيابة طرابُلُس وحماة في المكتبة،
وأنها تذكر بعد حماة في المطلقات .

وظائفها التي تولّى من الأبواب السلطانية على ثلاثة اصناف .

الصنف الأول

(أرباب السيوف ، وفيه وظيفتان)

الوظيفة الأولى

(نيابة السلطنة بها ، ويكتب تقليده في قطع التلحين)

وهذه نسخة تقليد بناية السلطنة بصَفَد ، كتب به سيف الدين « قطلقتمش »
السلحدار الناصري ، في سابع رمضان سنة عشر وسبعائة ، من إنشاء الشيخ
شهاب الدين محمود الحلبي ، وهي :

الحمد لله الذي صانَ الثُغُورَ المحروسةَ من أولياتنا بسيف لا تنبؤ مضاربُهُ ، وخصَّ
أُسنى الممالك المصنونة من أصفياتنا بحضب لا يُقْلَ غرْبُهُ مُحاربُهُ ، وقدم على زَعامة

(١) يباض بالأصل ولهله الأحباس .

(٢) ترك الكلام على الصنف الثالث وهم أرباب الوظائف الديوانية كما يؤخذ من نظائره السابقة واللاحقة .

الجيش من خواصنا ليتأسكن إليه كل أسيد من أسيد ذائلة تُماليه ، حافظ نطاق البحر من أبطال دولتنا بكل كيمي تَصَدَّ البحر مهابته أَنْ يَسْتَقِلَّ رَاكِبُهُ أَوْ تَسْتَقِرَّ عَلَى ظَهْرِهِ مَرَاكِبُهُ ، وَنَاشِرُ لَوَاءِ عَدْلِنَا فِي أَقَالِيمِنَا بِمَا يُفْنِي كُلَّ قَطْرٍ [عَنْ] أَنْ تَتَدَفَّقَ جَدَاوِلُهُ أَوْ تَسْتَهْلَ بِهِ مَحَابِيَهُ .

نَحْمَدُهُ عَلَى نِعْمَةِ الَّتِي جَعَلَتْ سَيْفَ الْجِهَادِ رَايِدَ أَوَامِرِنَا ، وَقَائِدَ جِيوشِنَا إِلَى مَوَاقِفِ النُّصْرَةِ وَعَسَاكِرِنَا ، وَذَائِدَ أَعْدَاءِ الْمَلَّةِ عَنْ أَطْرَافِ مَمَالِكِنَا الَّتِي أَسْبَقُ إِلَيْهَا مِنْ رَجْعِ النَّفْسِ فِي الدُّبْحِ تَأْتِي نَجْمُ ذَوَالِنَا ، وَفِي الضُّحَى تَبْلُغُ غُرُورُ صَوَارِمِنَا ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً يَسْتَظِلُّ الْإِيمَانُ ، تَحْتَ لَوَائِنَا ، وَتَعْبَقُ الْأَكْوَانُ ، بِمَا تَطْلُقُ بِهِ الْأَلْسُنَةُ مِنْ أَرْوَائِنَا ، وَيُشْرِقُ الْوَجُودُ بِمَا يَسْدُو عَلَى الْوُجُوهِ مِنْ رُؤَائِنَا ، وَتُجَادِلُ أَعْدَاءُنَا فِي الْآفَاقِ لِرَفْعِ بَلَدَةِ مِلَّتِنَا عَلَى الْمَلَلِ وَإِعْلَانِنَا ، وَنَشْهَدُ أَنَّ هَذَا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ خَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ ، وَأَشْرَفُ سَلَمَةِ الْأَنْبِيَاءِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الْمَخْصُوصِينَ بِأَسْنَى مَرَاتِبِ الْأَجْنِيَاءِ ، صَلَاةً دَائِمَةً بِدَوَامِ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ ، وَسَلَامًا تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ أَوَّلِيَّ مَنْ قُوِّضَتْ إِلَيْهِ زَعَامَةُ الْجِيُوشِ بِأَسْنَى الْمَمَالِكِ ، وَعُدِقَ بِهِ مِنْ تَهْدِئَةِ الْعَسَاكِرِ مَا يُرْجَفُ بِمَهَابَتِهِ هُنَاكَ أَرْضَ الْعُدُوِّ هُنَاكَ ، وَعُقِدَ بِهِ لِلرَّعَايَا لَوَاءُ عَدْلٍ يَحْكُمُ بِإِبْرَاقِ لَيْلِ الظُّلُمِ الْحَالِكِ ، وَوَعُولٍ عَلَيْهِ مِنْ حِمْلِ السَّيْرِ فِيمَا تَعْمُرُ بِهِ الْبِلَادُ وَتَأْمُرُ بِهِ الرِّعَايَا وَتَطْمَئِنُّ بِهِ الْمَسَالِكُ - مَنْ لَمْ يَزَلْ فِي خِلْمَةِ الدَّوْلَةِ الْقَاهِرَةِ سَيْفًا تَرْتَهَّبُ الْعِدَا حُدُودَهُ ، وَيَخَافُ أَهْلُ الْكُفْرِ فَتَكَالَتِهِ تَحْقُوقًا أَنَّ أَجَالَهُمْ عِنْدَهُ ، وَيَتَوَقَّعُ كُلُّ كَيْمٍ مِنْ عِظَمِ الشَّرْكِ أَنَّ رَأْسَهُ سَيَكُونُ غَنَمَهُ ، مَعَ سِيَاسَةِ تَشْتَمُلُ عَلَى الرِّعَايَا

(١) ذائقة طرية الذليلة .

(٢) حق التركيب «حفظ علقا على صان» ... ونشر لواء .

ظلاماً الممتد، وسيرة تضع الأشياء مواضعها فلا تضع الحدة موضع اللين ولا اللين موضع الحدة؛ وتوفر على عمارة البلاد يعين على ريباً طلل الأنواء والوابل، وبراءة تجعل ما يودع فيها بالبركة والتماء: (كثِّلَ حَيَّةٌ أَنْبَتَ سَبْعَ سَنَائِلٍ) .

ولما كان الجناح العالى هو السيف الذى على عاتق الدولة يجاهد، والليت الذى لم يزل فى سبيل الله إغارته وإنجاده؛ والغيث الذى يثصب بمعدته البلد الماحل، والأسد الذى تصد ساكنى البحر مهايته فيحققون أن العطب لا السلامة فى الساحل - اقتضت آراؤنا الشريفة أن نزيد حدَّ عزمه إرهاباً، وأن نرهب العدا بآسه الذى يردُّ أحاد ما تقدم عليه من الجيوش آلالاً، وأن نفوض إليه من أمور رعايانا ما اذا أسند إليه يؤسعه عدلاً وإنصافاً .

فلذلك رسم بالأمر الشريف : أن نفوض إليه نيابة السلطنة الشريفة بصفد المحروسة : تفويضاً يعلى قدره، ويضئ فى عموم مصالحها وخصوصياتها وأمره، ويهف فى حفظ سواحلها وموانئها بيضه وثمره، ويصلي مجاورها من ساكنى الماء من بأسه المتوقد بجمره .

فلتلق هذه النعمة بباع شكره المديد، ويترق هذه المرتبة بمزية أعترافه التى ليس عليها فيما يصدق به من مصالح الإسلام مزيد؛ وينشرها من عموم معدته مالا يخص دون قورم قوماً، ويعمر بلادها بالعدل : فإن «عدل يوم واحد خير للرض من أن تمطر أربعين يوماً» ؛ ويسط فيها من مهاته ما يكف أكف البغاة أن تمتد، ويمنع رءاء أهوية أهلها أن تستد ؛ ويؤمن المسالك أن تخاف ، والرعايا أن يجار عليهم أو يخاف ؛ وليكن من فى تقدمته من الجيوش المنصورة مكلّى العدد والعدد ،

(١) فى الأصل "رعايا أسند إليه ما" الخ وهو خطأ من النسخ .

ظَاهِرِي الْأَمَةِ الَّتِي هِيَ مَادَّةُ الْمَجَالَّةِ وَعَوْنُ الْحَلَدِ؛ مُزَاجِي الْأَعْدَادِ فِيمَا يُرْسِمُ لَهُمْ بِهِ مِنَ الرُّكُوبِ، مُزَاجِي الْعَوَائِقِ فِي التَّأْهِيبِ لِمَا هُمْ بِصَدَدِهِ مِنَ الْوُتُوبِ؛ حَافِظِي مَرَآئِكِهِمْ حِفْظَ الْعِيُونِ بِأَهْدَائِهَا، آخِذِي أَخْبَارَ مَا يَسْغُلُ الْبَحْرَ مِنْ قِطْعِ الْعِندِ فِي حَالِ بُعْدِهَا كَحَالِ أَقْفَارِهَا؛ بِحَيْثُ لَا يُشْرِفُ عَلَى الْبَرِّ مِنْ قِطْعِ الْخَذُولَيْنِ إِلَّا أَسِيرٌ أَوْ كَسِيرٌ، أَوْ مَنْ إِذَا رَجَعَ بَصَرَهُ إِلَى السَّوَاوِحِلِ يَنْقَلِبُ إِلَيْهِ الْبَصَرُ خَاسِتًا وَهُوَ حَسِيرٌ؛ وَلِيَكُنْ أَهْلُ الْجِبَالِ بِمَهَابَتِهِ كَأَنَّ [هَلْ أَلْسَهْلُ فِي حُسْنِ أَقْيَادِهِمْ وَصَاعَتِهِمْ، وَيَصَدَّدَ عَنْهُمْ بِسُطُوتِهِ جَمَالَ الْأَوْهَامِ الْمُنْصِلَةِ فَلَا تَنْصَرِفُ إِلَى غَيْرِ مُجَاوِرِيهِمْ مِنَ الْأَعْدَاءِ مَوَاقِعَ بِأَسْهِمٍ وَتَجَاعَتِهِمْ، وَمَلَكَ الْوَصَايَا تَقْوَى اللَّهِ : وَهِيَ مِنْ أَحْصَى أَوْصَافِهِ، وَالْجَمْعُ بَيْنَ الْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَهُمَا مِنْ نَتَائِجِ إِنْصَافِهِ؛ فَنُجْعَلُهُمَا عِمْدَتِي حُكْمًا فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَجْعَلُهُ مِنْ أَوْلِيَائِهِ الْمُتَّقِينَ وَقَدْ قُلْتُ؛ وَالْإِعْتِدَادُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

الوظيفة الثانية

(نِيَابَةُ قَلَمَةِ صَفَد)

وهذه نسخة مرسومة شريفة بنيابة قلمة صَفَدَ المحروسة، من إنشاء المقر الشهابي
أَبْنِ فَضْلِ اللَّهِ، كُتِبَ بِهِ لِلْأَمِيرِ سَيْفِ الدِّينِ «أَزَاقِ النَّاصِرِي» خَمَاسَ الْحَزْمِ سَنَةِ
أَرْبَعٍ وَثَلَاثِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ، وَهِيَ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَصَّ الْحَصُونَ بِرِفْعَةِ دُرَاهَا، وَتُمْنَةٍ مِنْ فِيهَا مِنْ رِجَالِ تَحْيَى
أَهَا؛ وَتَحَطَّفَ أَبْصَارَ السُّيُوفِ بِسَنَاهَا، وَتُصِيبُ بِرِمَاهَا حَتَّى قَوْسٌ قُرَّحَ إِذَا رَامَاهَا .
نَحْمَدُهُ حَمْدًا تَبَرُّزُ بِهِ الْمَعَاقِلُ فِي حِلَالِهَا، وَتَفْخَرُ بِهِ عِفَالُ الصِّلَاحِ عَلَى سَوَاهَا؛
وَتَشْرُفُ بِهِ شُرَفَاتُهَا حَتَّى تَجْرَى الْحَجَرَةُ فِي رُبَاهَا؛ وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ
لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً يَطِيبُ جَنَاهَا، وَيَطْلُبُ فِي السَّمَاءِ مُرْتَقَاهَا؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا

عهداً عبده ورسوله الذى كتب به للأمة هداها ، وكتب عداها ، وبوأها مقاعد القتال تقصر دونها النجوم فى سراها ؛ صلى الله عليه على آله وصحبه صلاة لا ينقطع عنهم قراها ، وسلم تسلياً كثيراً دائماً إلى يوم الدين .

وبعد ، فإن صدق صفت ، ووقت ووقت ، وكفت وكفت ؛ وجاورت البحر فاعتمست عنه لدايديها عيون ، ولا خبطت لسيوفها بالكرى جفون ؛ ولا وثت لرماحها عزائم شابت ليمها ، ولا انتشت من السهام نبال تفيض ديمها ؛ ولا أطالت بجانبها السكوت إلا لتهدر شقايفها ، وتهد بها من الجبال شواهدقها ؛ وتهول العدا بما تريهم من التهلويل ، وتري به من كفاتها الحجارة من سجيل .

وهى القلعة التى يضرب المثل بحصاتها ، ويطمئن [أهل] الإسلام فى إيداع أموالهم وأهلهم إلى أمانيها ؛ قد أطلت على الكواكب نزولا ، وجردت على منطقة بروجها من البروق نضولا ؛ وأتعبت الرياح لما حلفت إليها ، وأخانت الهلال حتى وقف رقيباً عليها ؛ وفيها من جنودنا المؤيدة من يزيدهم بها مددا ، وتطيب قلوبهم إذا خرجوا لجهاد أعداء الله وحلوا لهم فيها مالا وولدا . وكانت النيابة بهذه القلعة المحروسة قد كادت تنطق بسكواها ، وتظلم من أساء محبتها لما تولاه ؛ وأقنضت آراؤنا العالية أن نخرج ظلامه ، عن صباحها ، ونقوض خيامه ، عما فرش على القلعة الشاهقة من بطاحها ؛ وفكرنا فيمن له بالقلاع المحروسة دربة لا يخفى عليه بها سلوك ، ولا يخاف معه على هذه اللذة الثينة فى سلوك ؛ ممن حشد فى دولتنا الشرفة مساء صباح ، ومن كان فى أبوابنا العالية هو الفتاح ؛ ومن له همة تأسط بالثرى مطالها ، وعزيمة ما ألقضاه إلا قواضيه ، ومعرفة ما الرشح المتقف إلا تجاربه ، وكفاية ما الغر الزواهر إذا عددت إلا مناقبه .

وكان المجلس السامي - أدام الله عزه - هو المحقق إلى هذه المرتبة، والمحقق بالأصيل أريدتها المنهبة؛ والمحقق في صفاته الورع، والمتزه عن تدنيس طباعه بالطمع؛ وله في الأمانة اليد المشكورة، وفي الصيانة ما يمتنع به ذيول السحاب المجرورة؛ ومن التقوى ما قرب عليه المطالب الباطية، ومن الفروسية ما اتخذ كل ذروة صهوة وكل جبل مطية، ومن الاستحقاق ما يسهل له من صدقاتنا الشريفة صفة: وفي اللغة أن الصفة هو العطية.

فرسم بالأمر الشريف - شرفه الله وعظمه، وأحكمه وحكمه - أن يرتب في النيابة بقلة صفة المحروسة: على عادة من تقدم وقاعدته في التقرير، وأما كيف يكون أعماده، فستريده منه بصبح منير.

فقدم تقوى الله في شرك وتجوأك، وأقصر على القناعة رجواك^(١)، وأحفظ هذه القلعة من طوايق الليل والنهار، وأعد من قبلك للقتال في قري محصنة أو من وراء جدار؛ وأملأ سماءك حرصاً شديداً، وشبهاً وكثرة رجائها لتباري بهم النجوم في أمثالها من بروج السماء عديداً، وخذ إلى طاعتنا الشريفة بقلوبهم وهم على ذلك ولكنا نريد أن نزيدهم توكيداً، ونألهم على موالاتنا حتى لا نجد أنت ولاهم إلى المزيد مزيداً، ونفقذ الذخائر والآلات، ونيقظ لما تلجئ إليه الضائقة في أوسع الأوقات، وحسن مباتيا، وحصل فيها من الذخائر فوق ما يكفيها؛ ومن السلاح ما هو أمتع من أسوارها، وأنفع في أوقات الحاجة مما تكثره الخزائن من درمها ودينارها؛ من مجانيق كالعقارب شائلة أذنانها، دافعة في صدر الخطب إذا نابها؛ ترمي بشرر كالقصر، وتنزل من السماء آيات النصر؛ ومن قبي: منها ما تدافع بالأرجل مرابي

(١) مراده وأقصر رجائك على القناعة ولكن اضطره السج فاستعمل مصدراً الرجاء ليس فيما بأيدينا من

سهامه ، ومنها ما تُتَوَرَّ بالأيدي كَأَسْ حمامه ؛ ومنها ما يَسْكُتُ إذا أُطْلِقَ حَتَّى لَا يَسْمَعَ
كَلَامَ كَلَامِهِ ، ومنها ما يَتَرْتَمُ إذا غَنَّى بِالْحَمَامِ صَوْتُ حَمَامِهِ ؛ و [من] سَتَارِيسَتْرِبَهَا
وَجْهَهَا الْمُصُون ، وَمَنَارِيسَاهُدُ مِنْهَا أَقْرَبُ مَنْ يَكُونُ أَبْعَدُ مَا يَكُونُ ؛ وَرَهْبِيَّةٌ تُجَلَّى بِهَا
فِي كُلِّ لَيْلَةٍ عَرُوسُهَا الْمُتَنَعَّة ، وَتَزَاجِعُ تَحَاطُّ بِهِمْ مِنْ جِهَاتِهَا السَّتَّ وَحُدُودِهَا الْأَرْبَع ؛
وَأَقْرَبُ نَوْبِ الْحَمَامِ الرَّمَائِلُ فِيهَا تَسْقُطُ عَلَيْنَا وَعَلَيْكَ الْأَخْبَار ، وَطَوَى الْمَدَى الْبَعِيدُ
فِي أَوَّلِ سَاعَةٍ مِنْ نَهَارٍ ؛ وَأَتَقَّحُ الْبَابَ وَأَغْلِقُهُ بِشَمْسٍ ، وَأَحْتَرِزُ عَلَى مَا أَشْتَمَلْتُ عَلَيْهِ
مِنْ مَالٍ وَنَفْسٍ ؛ وَبَقِيَّةُ الْوَصَايَا أَنْتَ يَا أَمْسَ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَزِيلُ عَنْكَ الْلَبْسَ ؛
وَالْإِعْتَادَ

الصف الثاني

(أرباب الوظائف الديوانية)

والذين يكتب لهم من الأبواب السلطانية صاحبُ ديوان الرِّسَال ، وناظرُ
المال ، وناظرُ الجَيْش ، ووكيلُ بَيْتِ الْمَال . وما عدا ذلك فَإِنَّهُ يَكْتُبُ عَنْ نَائِبِهَا ،
وربما كُتِبَ عَنِ الْأَبْوَابِ السُّلْطَانِيَّةِ .

الصف الثالث

([أرباب] الوظائف الدينية ، وهي على مرتبتين)

المرتبة الأولى : ما يُكْتُبُ فِي قَطْعِ الثَّلَاثِ بِـ «السَّامِي» بِالْيَاءِ ، وَهِيَ الْقَضَاءُ
الْأَرْبَعَةُ .

المرتبة الثانية : مَنْ يُكْتُبُ لَهُ فِي قَطْعِ الْعَادَةِ ، وَتَشْتَمِلُ عَلَى قَضَاءِ الْعَسْكَرِ ،
وَإِفْتَاءِ دَارِ الْعَدْلِ ، وَالْحِسْبَةِ ، وَوَكَايَةِ بَيْتِ الْمَالِ .

الصنف الرابع^(١)

(أرباب الوظائف الديوانية)

والذى يكتب به من الوظائف الديوانية بها - ثلاث وظائف، يُكْتَبُ لكلّ منهم فى قطع الثلث بـ «السامى» بالياء؛ وهم : صحابة ديوان المكتبات ، ونظّر المال ، ونظّر الجيش . فإن كُتِبَ لأحد غير هؤلاء ، كتب له فى قِطْعِ المادّة .

النيابة السادسة

(نيابة غزّة)

وقد تقدّم أنّها تارة تكون نيابةً ، وتارة تكون تقدمةً عسكريّةً ، ومُقدّمُ العسكريّ يراجع نائب الشّام فى أموره . وبكلّ حال فالوظائف التى تُؤلّى بها من الأبواب السلطانية على صنفين :

الصنف الأول

(أرباب السيوف)

وليس بها منهم إلّا نائب السلطنة إن كانت نيابةً ، أو مُقدّمُ العسكر إن كانت تقدمةً عسكريّةً . فكيفما كان فإنّه يُكْتَبُ له تقليدٌ فى قطع الثلاثين بـ «الجناب العالى» مع الدعاء بدوام النعمة .

وهذه نسخة تقليد بنياتها : كُتِبَ به للأمير « علّم الدين الجوالى » من إنشاء الشيخ شهاب الدين محمود الحلبيّ ، وهو :

(١) هذا الصنف زائد على ما فى التقسيم ومع ذلك هو بمعنى الصنف الثانى ونظاير ما فى هذا أنه بين فيه اللقب وقطع الورق فغلبه .

الحمد لله رافع علم الدين في أيامنا الزاهرة، بإقامة فرض الجهاد وإدامته، وجامع رتب التقديم في دولتنا القاهرة، لمن تفتت الثغور بين ترقى عدله وتآلى صرامته، وقاطع أطباع المعتدين بمن يتوقد بأسه في ظلال رقه توقد البرق في ظلال غمامته، وقامع أعدائه الكافرين بتفويض مقدمة الجيوش بأوامرنا إلى كل ولي يحنى النصر ويحتل من أفتان عزامته ووجهة زعامته .

نحمده على نعمة التي سددت ما يصدر من الأوامر عنا ، وقادت الرتب السنية بتقليدها أعز الأولياء منا منا ، وربحت مهمات الثغور لدينا على ما سواها فلا تعدى أمرها إلا بمن تعقد عليه الخناصر نفاسة به وضنا ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة لا تزال القلوب بإخلاصها متدينه ، والألسنة بإعلانها مترينه ، والأسنة والأعنة متبارزين في إقامة دعوتها التي لا تحتاج أنوارها البينة إلى اليقين ، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله أشرف مبعوث إلى الأمم ، وأكرم متعوي بالفضل والكرم ، وأعز منصور بالرعب الذي أغمدت سيوفه قبل تجريدتها في القيم ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين نهضوا بجهاد أعداء الله وأعدائه على أثبت قدم ، وسروا لفتح ما روى له من الأرض على جياذ العزائم وتجايب الهيم ، وبذلوا نفائسهم ونفوسهم للذب عن دينه فلم تسترل أقدامهم حُر النعم ، ولم يشن إقدامهم بيض النعم ، صلاة لا يمل السامع ندائها ، ولا تسأم الألسن إعادتها وإبدائها ، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإننا من حين مكن الله لنا في أرضه ، وأنهضنا بمسنون الجهاد وفوضه ، وقدنا سيف نصره الذي انتفضاه ، وأقامنا لنصرة دينه الذي ارتضاه ، لم يزل مهم كل ثغر مقدما لنا ، وحفظ كل جانب جاور العدو برا وبحرا متعينا على اعتنائنا

وَمُحِبِّا إِلَيْنَا ؛ فَلَا تُرْهَفُ لِإِيَالَةِ الْمَالِكِ إِلَّا مَنْ إِذَا جَرَدَ سَيْفَهُ أَعْمَدَهُ الرَّعْبُ فِي قُلُوبِ الْعِدَا ، وَمَنْ إِنْ لَمْ تَسْلُكِ الْبَحْرَ خَيْلُهُ بَثَّ فِي قُلُوبِ سَاكِنِيهِ سَرَايَا مَهَابَةٍ لَا تَرْهَبُ مَوْجًا وَلَا تَسْتَبْعِدُ مَدَى ؛ وَمَنْ إِذَا تَقَدَّمَ عَلَى الْجُيُوشِ أَعَادَ آحَادَهَا إِلَى رَبِّبِ الْأَلُوفِ ، وَجَعَلَ طَلَائِعَهُمْ رُسُلَ الْحَتُوفِ ؛ وَأَعْدَاهُمْ بَأْبُهُ فَاسْتَقَلُّوا أَعْدَاءَهُمْ وَإِنْ كَثُرُوا ، وَأَغْرَاهُمْ بِمَعْنَى النَّكَايَةِ فِي كِتَابِ الْعِدَا : فَكَمْ مِنْ قَلْبٍ بِالرَّمَا حُ قَدْ نَظَمُوا وَكَمْ مِنْ هَايَمٍ بِالصَّفَاحِ قَدْ نَقَرُوا .

وَلِذَلِكَ لَمَّا كَانَ فَلَانٌ هُوَ الَّذِي مَا زَالَ الدِّينُ يَرْفَعُ عِلْمَهُ ، وَالْإِقْدَامُ وَالرَّأْيُ يَبْنَانُ فِي مَقَابِلِ الْعِدَا كُلُّوْمَهُ وَكَلِمَهُ ، وَالْعَدْلُ وَالْبَأْسُ يَتَوَلَّيَانِ أَحْكَامَهُ فَلَا يُخْضِيَانِ إِلَّا بِالْحَقِّ سَبْقَهُ وَقَلَمَهُ ؛ فَكَمْ نَكَسَ رَايَةً عَدُوِّكَ كَانَتْ مُرْتَفَعَةً ، وَأَبَاحَ عَزْمُهُ وَحَزْمُهُ مَعَافِلَ شِرْكَ كَانَتْ مُتَنِيَةً ؛ وَكَمْ زَلَزَلَ ثَبَاتَهُ قَدَمُ كُفْرٍ فَازَالَهَا ، وَهَزَمَ إِقْدَامَهُ جُيُوشُ بَاطِلٍ تَرْهَبُ الْأَسَادُ نِزَالَهَا ؛ فَهُوَ الْعِلْمُ الْفَرْدُ ، وَالْبَطْلُ الَّذِي لَا وِلَايَاتُهُ إِلَّا بِالسُّؤَالِ وَالثَّبَاتِ وَلَا أَعْدَائِهِ إِلَّا الْعَكْسُ وَالطَّرْدُ ؛ وَالْوَلِيُّ الَّذِي لَوْلَا أَحْضَانُنَا بِنِكَايَةِ الْعِدَا لَمْ نَسْمَحْ بِمِثْلِهِ ، وَالْمُهْلَمُ الَّذِي مَا عَدَقْنَا بِهِ أَمْرًا إِلَّا وَقَعَ فِي أَحْسَنِ مَوَاقِعِهِ وَأُسْنَدٍ إِلَى أَكْمَلِ أَهْلِهِ .

وَكَانَتْ الْبِلَادُ الْغَزَاوِيَّةُ وَالسَّاحِلِيَّةُ وَالْجَبَلِيَّةُ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ بِمِثْلَةِ السُّورِ الْمَشْرِفِ بِالرَّمَا حُ ، الْمَصْفُوحُ بِالصَّفَاحِ ؛ مُرُوجُهُ الْجَنَاءُ ، وَقُلْلُهُ الْكُجَاءُ ؛ لَا تَسِيمُ بَرْقَهُ مِنْ سَاكِنِي الْبَحْرِ إِلَّا أَسِيرٌ أَوْ كَسِيرٌ ، أَوْ مَنْ إِذَا رَجَعَ إِلَيْهِ طَرَفَهُ يَنْقَلِبُ إِلَيْهِ الْبَصَرُ خَاسِتًا وَهُوَ حَسِيرٌ ؛ وَبِهَا الْجَيْشُ الَّذِي كَمْ لِسَبْيِهِ فِي رِقَابِ الْعِدَا مِنْ مَوَاقِعَ ، وَلَسْمَعَتِهِ فِي قُلُوبِ أَهْلِ الْكُفْرِ مِنْ إِغَارَةٍ تَرَكَّتْهَا مِنَ الْأَمْنِ بِلَاقِعَ ؛ وَبِهَا الْأَرْضُ الْمُقَدَّسَةُ ، وَالْمَوَاطِنُ الَّتِي هِيَ عَلَى التَّقْوَى مُؤَسَّسَةٌ ؛ وَالْمَعَابِدُ الَّتِي لَا تُعَدُّ أُمُورُهَا إِلَّا بِمِثْلِهِ مِنْ أَهْلِ الدِّينِ وَالْوَرَعِ ، وَالْأَعْمَالُ الَّتِي هِيَ أَزْدَى بِمَا يَأْتِي مِنْ مَصَالِحِهَا وَأَذْرَبُ بِمَا

يَدْعُ - اقْتَصَتْ آرَاؤُنَا الشَّرِيفَةَ أَنْ نَعْلَقَ بِهِ نِيَابَةَ مُلْكِهَا ، وَتَزِينَ بِلَالِي مَفَاحِرِهِ
عُقُودَ سِلْكِهَا ؛ وَأَنْ نَفُوضَ إِلَيْهِ زَعَامَةَ أَبْطَالِهَا ، وَتَقْدِيمَةَ عَسَاكِرِهَا الَّتِي تَلْقَى الْبَحْرَ
بِازْتِحْرَمَنِ عِبَادِهِ وَالْأَرْضَ بِإِثْبَتِ مِنْ جِبَالِهَا ؛ وَأَنْ نَرَى بِمَجْرَاهَا مِنْ مَهَابَتِهِ بِأَهْوَلِ
مِنْ أَمْوَاجِهِ ، وَأَمْرٍ فِي لَهَوَاتِ سَاكِينِهِ مِنْ أَجَاجِهِ ؛ لَتَقْدُو عَقَائِلُ أَهْلِهِ ، أَرْقَاءَ سَيْفِهِ
الْأَبْيَضِ وَذَائِلِهِ ، وَيَتَبَرَّ الْعُدُوّ الْأَزْرَقُ مِنْ بَنِي الْأَصْفَرِ ، خَوْفُ بَأْسِهِ الْأَخْمَرِ .

فلذلك رُسم بالأمر الشريف أن يفوض إليه كَيْتٌ وَكَيْتٌ : تفويضًا يحقق
في مثله رَجَاءَهَا ، وَتَزِينَ بِعَدْلِهِ أَرْجَاءَهَا ؛ وَيَصُورُ بِبِأْسِهِ قَاطِنَهَا وَظَاجِعَهَا ، وَيَعْمُرُ
وَيَعْمُرُ بِرَفِّهِ وَإِنْصَافِهِ مَسَاكِنَهَا وَسَاكِنَهَا .

فليباشر هذه الرتبة التي يُجَلَّلُ بِهِ سُعُودُهَا ، وَتُجَلَّلُ بِهِ عُقُودُهَا ؛ بِمَاشَرَةٍ يُجَيِّفُ
بِأْسُهَا الْلُيُوتَ فِي أَجْمَاسِهَا ، وَيُعِينُ عَدْلُهَا الْغُيُوتَ عَلَى دَفْعِ أَرْمَاتِهَا ، وَيَقْدُو بِهَا الْحَقُّ
مَرْفُوعَ الْعِلْمِ ، مَسْمُوعَ الْكَلِمِ ، مَاضِيَ السَّيْفِ وَالْقَلَمِ ، مَمْدُودَ الظِّلِّ عَلَى مَنْ بَهَا
مِنْ أَنْوَاعِ الْأُتَمِّ . وَلِيَأْخُذِ الْجِيُوشَ الَّتِي بَهَا مِنْ إَعْدَادِ الْأَهْصَةِ بِمَا يُزِيلُ أَعْدَادَهُمْ
عَنِ الرُّكُوبِ ، وَيُزِيحُ عَوَاقِبَهُمْ عَنِ الْوُثُوبِ ؛ وَيَجْعَلُهُمْ أَوَّلَ مَلَبٍّ لِدَاعِي الْجِهَادِ ،
وَأَسْرَعَ مُجِيبٍ لِنْدَاءِ أَلْسِنَةِ السُّيُوفِ الْحِدَادِ ؛ وَيَنْقِمْ أَيْزَاكَهُمْ عَلَى الْبَحْرِ أَنْتِظَامِ
النُّجُومِ فِي أَفْلَاكِهَا ، وَالشُّدُورِ فِي أَسْلَاحِهَا ، فَلَا تَلُوحُ لِلْأَعْدَاءِ طَرِيدَةٌ إِلَّا طُرِدَتْ ،
وَلَا قِطْعَةٌ إِلَّا قُطِعَتْ ؛ وَلَا غُرَابٌ إِلَّا حُصِّتْ قَوَادِمُهُ ، وَلَا شَاخٌ عِمَارَةٌ إِلَّا وَائِيحَ
لَهُ مِنَ اللَّهَازِمِ هَادِمِهِ . وَلِيُعْلِلَ مَنَارَ الشَّرْعِ الشَّرِيفِ بِإِمْقَاءِ أَحْكَامِهِ ، وَمُعَاضَدَةِ
حُكْمِهِ ، وَالْإِقْبَادِ إِلَى أَوَامِرِهِ ، وَالْوُقُوفِ مَعَ مَوَارِدِ نَهْيِهِ وَمَصَادِرِهِ ؛ وَلِتَكُنْ وَطْأَتُهُ
عَلَى أَهْلِ الْعِنَادِ مَسْتَدَّةً ، وَمَعْرِفَتُهُ تَضَعُ الْأَشْيَاءَ مَوَاضِعَهَا : فَلَا تَضَعُ الْحِدَّةَ مَوْضِعَ
اللَّيْنِ وَلَا اللَّيْنَ مَوْضِعَ الْحِدَّةِ ؛ وَلِيَعْلَمَنَّ أَنَّهُ وَإِنْ بَعُدَ عَنْ أَبْوَابِنَا الْعَالِيَةِ مَخْصُوصٌ مِنَّا

بِمَرْيَةِ قُرْبِهِ ، غَنَصٌ بِمَنْزَلَةِ إِخْلَاصِهِ الَّتِي أَصْبَحَ فِيهَا عَلَى يَدَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ؛ وَجَمِيعُ مَا يَذْكُرُ مِنَ الْوَصَايَا فَهُوَ عَمَّا يُحْكِي مِنْ صِفَاتِهِ الْحَسَنَةِ ، وَأَدَوَاتِهِ الَّتِي مَابَرَحَتْ الْأَقْلَامُ فِي وَصْفِ كَامِلِهَا فَصِيحَةً الْأَلْسِنَةِ ؛ وَمِلَاكُهَا تَقْوَى اللَّهِ وَهِيَ فِي خَصَائِصِهِ كَلِمَةُ إِجْمَاعٍ ، وَحِلْيَةُ أَبْصَارٍ وَأَسْمَاعٍ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يُعَلِّي قُدْرَهُ وَقَدْ فَعَلَ ، وَيُؤَيِّدُهُ فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ ؛ وَالْإِعْتَادَ



وهذه نسخةٌ بتقليدِ بَقْدَمَةِ الْعَسْكَرِ بِفَرَسَةِ الْمَحْرُوسَةِ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ مُبْدِي النِّعَمِ وَمُعِيدِهَا ، وَمُؤَكِّدِ أَسْبَابِهَا بِتَجْدِيدِهَا ، وَمُعَلِّي أَقْدَارِهَا بِمَزَايَا مَزِيدِهَا ؛ الَّذِي زَيْنَ أَعْنَاقَ الْمَلَائِكَةِ مِنَ السُّيُوفِ بِتَقْلِيدِهَا ، وَبَيَّنَّ مِنْ مِيَامِنِهِ مَا رَدَّتْ إِلَيْهِ بِمَقَالِيدِهَا .

نَحْمَدُهُ بِمُحَمَّدِهِ الَّتِي تَقُوتُ الدَّرَارِيَّ فِي تَضْيِيدِهَا ، وَتُقَوِّقُ الدَّرَجَاتَ فَيَنْمُنِي مِنْهُ عِقْدٌ فَرِيدِهَا ؛ وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً نَافِعَةً لِشَهِيدِهَا ، جَامِعَةً لِتَوْحِيدِهَا ، نَافِعَةً لِأَهْلِ الْجُحُودِ مِمَّا يُورَدُ الْأَرْضَ بِالدَّمَاءِ مِنْ وَرِيدِهَا ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي كَثَّرَ الْأُتَمَّ بِأَمْنِهِ فِي عَدِيدِهَا ، وَظَاهَرَ عَلَى أَعْدَاءِ اللَّهِ بَيْنَ يَدَيْهِ بِأَسْ حَدِيدِهَا ، فَيُرْسِلُ مِنْ أَسْنَتِهِ نُجُومًا رُجُومًا لِمُرِيدِهَا ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَوَحَّيَهُ صَلَاةً تَنْظَافِرُ بِتَأْيِيدِهَا ، وَسَلَّمَتْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وبعدُ ، فَإِنَّ مِنْ عَوَائِدِ دَوْلَتِنَا الْقَاهِرَةِ أَنْ تُعَوِّدَ بِإِحْسَانِهَا ، وَتُجَوِّدَ بِثُبُوتِ كُلِّ قَدَمٍ فِي مَكَانِهَا ؛ وَإِذَا وَلَّتْ عَرَفَ سَمَاجِهَا عَنْ جِهَةِ عَادَتِ إِلَيْهَا ، أَوْ سَلَبَتْ لَهَا رَوْقًا .
(١) أعادت بهجته عليها ؛ وكانت البلاد الغزائوية وما معها قد تمتعت من قدماء ملوك

(١) في الأصل «ممالك» وهو لا يناسب المقام .

بيتنا الشريف سيف مشهور، وبطل ثشام يوارق عزيمه في الثغور؛ وهو الذي عم بصييه بلادها سهلاً وجبلاً، وعمر روضها بعذل أغناها أن يسقي طلّ طللاً؛ وجمع أنعمها براً وبحراً، ومنع جانبيها شاماً ومصرأ؛ وألف أهلها منه سيرة لولا ما استأثرنا الله به من سره لما أفقدناهم. في هذه المدة حلاوة مذاقيها، وسيرة لا نرضى معها بكف الثريا إذا بسطت لأخذ ميثاقها؛ ولم ترفع يده إلا لأمر قضى الله به لأجل موقوت، ومضى منه ما يسلم أنه عرجو عه القريب لا يقوت؛ لأنّ الشمس تغيب لتطالع بضوء جديد، والسيف يغمد ثم ينقض فيقذ القذ والحديد؛ والعيون تشهد ثم يعاودها الرقاد، والماء لو لم يفقد في وقت لما وجد لموقعه برد على الأنجاد.

فلما بلغ الكتاب أجله، وأخذ حقه من المسأله؛ وانتقل من كان قد استقر فيها إلى جوار ربّه الكريم، وفارق الدنيا وهو على طاعتين مقيم - أقتضت آراؤنا الشريفة أن يراجع هذه العقيلة كفؤها القديم، وترجع هذه الأرض المقدسة إلى من فارقتها وما عهده بديم؛ من لم تزل به عقائل المعافل تُصان، وخُصُور الحصون بحمايل شيوفه تُزان، ومباسم الثغور تُحمى في كل ناحية من أسننه بلسان؛ وحمى الثغرين وما بينهما من الفجاج، وجاور البحرين فنع جانبيهما: فهذا عذب فرات وهذا ملتح أجاج؛ وله في العدا وقائع زلزلت لمواقعها الألوف، ومواقف لولا ما نعتت فيها من غريبان البين لطلال على الديار الوقوف؛ وهو الذي مِدحت له في بيتنا المنصور المنصوري من الخدمة سوابق، ومِدحت طرائق؛ وكثرت محاسن، وكبرت ميامين؛ ولعت كواكب، وهمت سمائب؛ وصدحت حمائم، وقُفحت كجائم؛ وعزت جيوشنا المؤبدة له بمضارب، وهزّت سيوفاً حداداً وهو بالسيف صّارب.

وكان المجلس العالي - أدام الله تعالى نعمته - هو الذي حدث له آثار، وحسنت أخبار، وعمت مدح، وتمت منحة، فرسمنا بإقراره من هذا المنصب الشريف في محله، وإعادته إلى صيب وبيله، وإقامة أهلها مطمئنين في عهده، وإقرار عيون من أدرك زمانه بعوده ومن لم يدرك زمانه بما سيروته من فضله.

فرسم بالأمر الشريف - لازالت ملايس نعيمه، تملح وتلبس برودها، وعرائس كرمه، تمارق ثم تراج غيها - أن تفوض إليه أمور غزة المحروسة وأعمالها وبلايها، والتقدمة على عساكرها وأجنادها، والحكم في جميع ما هو مضاف إليها من سهل ووعر، وبر وبحر، وسواحل وموانئ، وبحرى خيول وشوانى، ومن فيها من أهل عمد، ورعايا وتجار وأعيان في بلد؛ ومن يتعلق فيها بأسباب، ويعد في صف كتيبة وكتاب على عادة من تقدم في ذلك، وعلى ما كان عليه من المسالك.

وستختصر له الوصايا لأنه بها يصير، وقد تقدم لها على مسامحة تكثير، ورأس الأمور التقوى وهو بها جدير، وتأيد الشرع الشريف فإنه على هدى وكتاب منير، والإطلاع على الأحوال ولا ينبتك مثل خير.

والعدل فهو الرؤوة الوثقى، والإنصاف حتى لا يجد مستحقاً، والعفاف فإن التطلع لما في أيدي الناس لا يزيد رزقا، والإنصاف بالذكر الجليل هو الذى يسقى، وعرض السكر المنصور ومن ينضم إليه من عربيه وتركانه وأكراده، وكل مكبر في بجافله ومكبر لسواده، وأخذهم بالتأهب في كل حركة وسكون، واليقظ بهم لكل سيف مشحود وفلك مشحون، والاحتراز من قبل البر والبحر، وإقامة كل يزك في موضعه كالقلادة في النحر، ولا يعين إقطاعاً إلا لمن يقطع باستحقاقه،

(١) في الأصل «من اقراره في» وهو تصحيح الا أن يكون الأصل فرسمنا ما رسمنا من الخ.

وَيَسْمَعُ الْعِدَا بِمَا يَعْرِفُ فِي صَفَحَاتِ الصَّفَاحِ مِنْ أَخْلَاقِهِ ، وَلَا يُحِيلُ الْمُبَاشِرِينَ
 مِنْ عَنَابَةِ تَمْدُّ إِلَيْهِمْ سَاعِدَ الْمُسَاعَدَةِ ، فَلَا يُحِلُّوا فِي الْبِلَادِ بِهَامَرَةٍ تَغْدُو فِي حُلِيِّهَا مَائِدَةً ،
 وَلِيَحْفَظَ الطَّرِيقَاتِ حَفَظًا تَكُونُ بِهِ تَمَنُّوعُهُ ، وَيَمْسُكُ الْمَسَالِكَ فَإِنَّهُ فِي مَفَرِّقِ طَرَفَاتِهَا
 الْمَجْمُوعَةِ ، وَلِيَقْدِّمَ مُهِمَّاتِ الْبَرِيدِ وَمَا يَنْطِقُ عَلَى جَنَاحِ الْحِمَامِ ، وَلِيَتَّخِذَهُمَا نَصَبَ
 عَيْنِهِ فِي الْقَبْضَةِ وَالْمَنَامِ ، فَرُبَّ غَفْلَةٍ لَا يَسْتَدْرِكُ فَاثِتَهَا رَكْضَ ، وَرِسَالَةٍ لَا يَبْتَغِيهَا
 إِلَّا رَسُولٌ يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَآخِرُ تَسْبِيحٍ فِي الْأَرْضِ ، وَرِصْدٌ مَا تَرَدُّ بِهِ مَرَامِنَا الْعَالِيَةِ
 لِيَسَارِعَ إِلَيْهِ مُثْمَلًا ، وَبَطَالُنَا بِمَا يَتَجَدَّدُ عِنْدَهُ حَتَّى يَكُونَ لَدَيْنَا مُثْمَلًا ، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ
 وَقَفٌّ مِنْ بَابِنَا الشَّرِيفِ بِالْمَجَازِ . وَقُدَّامَ عَيْنِنَا حَقِيقَةٌ وَإِنْ قِيلَ عَلَى طَرِيقِ الْمَجَازِ ،
 فَلْيُؤَاخِذْ نَفْسَهُ مَوْأَخِذَةً مِنْ هَوَيْنِ يَدَيْنَا ، وَيَعْمَلْ بِمَا يُسِرُّهُ أَنْ يَقْدِمَ فِيمَا يُعْرَضُ
 مِنْ أَعْمَالِهِ عَلَيْنَا ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَزِيدُهُ حُطُوءَةً لَدَيْنَا ، وَيُوَيِّدُ بِهِ الْإِسْلَامَ حَتَّى لَا يَدَعِ
 عَلَى أَعْدَائِهِ اللَّهَ لِلدِّينِ دِينًا ، وَالْأَعْمَادُ

الصنف الثاني

(الوظائف الديوانية بقرعة)

وبها ثلاث وظائف : يُكْتَبُ لِكُلِّ مَنْهَا فِي قَطْعِ الْعَادَةِ بِ«السَّامِي» بغيرياء .
 وهى : كِتَابَةُ الدَّرَجِ الْقَائِمَةِ مَقَامِ كِتَابَةِ السَّرِّ ، وَنَظْرُ الْمَالِ ، وَنَظْرُ الْجَيْشِ . قَالَ
 فِي «التَّقْطِيفِ» : أَمَّا قَاضِيهَا وَحَقَّابُهَا وَوَكِيلُ بَيْتِ الْمَالِ بِهَا ، فَلِإِنَّهُمْ تَوَاقَّبُ عَنْ
 أَرْبَابِ هَذِهِ الْوُظُفَانِ بِالنَّشَامِ ، فَلَا يَكْتَبُ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ شَيْءٌ عَنِ الْمَوَاقِفِ الشَّرِيفَةِ .
 قُلْتُ : وَمَا ذَكَرَهُ بِنَاءً عَلَى أَنَّهَا قَدِيمَةٌ عَسْكَرًا . أَمَّا إِذَا كَانَتْ نِيَابَةً فَإِنَّ هَذِهِ
 الْوُظُفَانِ يَكْتَبُ بِهَا عَنِ الْأَبْوَابِ السُّلْطَانِيَةِ . وَقَدْ يَكْتَبُ حِينَئِذٍ بِوَكَالَةِ بَيْتِ

المال والحسبة عن النائب ، ويكون ذلك جميعه في قطع العادة ، مفتتحاً بـ «بأما بعد» في المنصوري ، أو بـ «رسم» في الصغير ، على حسب ما يقتضيه الحال . على أنه قد حدث بها في الدولة الظاهرية قاض حتى يكتب له من الأبواب السلطانية .

النيابة السابعة

(نيابة الكرك . وأرباب الولايات بها من الأبواب السلطانية على أصناف)

الصنف الأول

(أرباب السيوف)

وليس بها منهم غير نائب السلطنة ، ويكتب له تقليد في قطع الثلثين بـ «المجلس العالي» .

وهذه نسخة تقليد بناية السلطنة بالكرك ، كتب به للأمير «سيف الدين ايتمش» من إنشاء الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي ، وهو :

الحمد لله الذي خصّ بعزائنا معاقِل الإسلام وحُصُونَهُ ، وبصرنا باختيار من تُرْبِيهِ في كُلِّ مَقْعَلٍ منها من أجداد الأُمَرَاءِ لِيَحْفَظَهُ وَيُصَوِّنَهُ ، وجعلها بنايَتنا رَوْضًا تَجْتَلِي أَبْصَارُ الْأَوْلِيَاءِ مِنْ بَيْضِ صِفَاحِنَا نُورُهُ وَتَجْتَنِي مِنْ شُئْرِ رِمَاحِنَا غُصُونُهُ ، وَعَوَدَهَا مِنْ آيَاتِ الْحَرَسِ بِمَا لَا تَزَالُ حُمَاتُهَا وَكُتُبُهَا يَرَوُونُ خَبْرَهُ عَنْ مَيْفَتِنا الْمُتَّصِي لِحَفْظِهَا وَيَقْصُونَهُ .

نَحْمَدُهُ عَلَى نِعَمِهِ الَّتِي أَعْلَتْ بِنَاءَ الْمَمَالِكِ ، وَحَاطَتْهَا مِنْ تَبَلٍ مَهَابَتِنَا ، بِمَا لَوْ تَسَلَّلَتْ بَيْنَهُ الْأَوْهَامُ ضَاقَتْ بِهَا الْمَسَالِكُ ، وَصَفَّحَتْهَا مِنْ صِفَاحِ عَنَابَتِنَا ، بِمَا يُحَوِّلُ بَرْقَهُ

بينها وبين ما يستر طيف العدا من الظلام الحالك ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده
لا شريك له شهادة تعصم من أوى إلى حرم إخلاصها ، ونجى غدا من غدا من أهل
تقريبها وأختصاصها ؛ ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذى أضاءت ملته ، فلم تخف
على ذى بصرة ، وعلت شرعته ، فندا باع كل ذى باع عن معارضتها ذا قصر ، وسمت
أمته ، فلو جالدها معاد أو بقه الحضر أو جادها مناو أو بقه الحضر ؛ صلى الله عليه وعلى
آله وصحبه الذين كانت معاقبهم صهوات جيادهم ، وحصونهم عرصات جلادهم ،
وخيامهم ظلال سيوفهم وظلالهم أفياء صعادهم ؛ صلاة لا يزال الإخلاص لها
مقيا ، والإيمان لها مديما ؛ وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإن أولى الحصون الإسلامية بأن تحوط عنايتنا أركانها : وتعاهد رعايتنا
مكانها ؛ وتلاحظ مهابتنا أحواله فحليها ؛ وتجاهد أوامرها قواعده فتشديها بجمل
الظفر وتعليها ؛ وتحول سطواتنا بين آمال الأعداء وتوهمه ، ونحجب مخافة بأسنا أفكار
أهل العناد عن تأمل ما فى الضمير وتوهمه - حصن أنفقد الإجماع على انقطاع
قرينه ، وأمتناع نظيره فيما خصه الله به من تحصينه ؛ فهو فرد الدهر العزيز مثله ،
البعيد مثله ؛ المستكنة فى ضمار الأودية الغوامض بقعته ، المستحجة بقل الجبال
الشواقي بقعته ، السائر فى أقطار الأرض صيته ومثمته .

ولما كانت قلعة الكرك المحروسة هى هذه العقيلة التى كم ردت آمال الملوك
راغمه ، ومنعت أهواء النفوس أن تمثلها فى الكرى الأجفان الحلية ؛ وكان فلان
ممن نهض مثله بحفظ مثلها ، ويعلم أن أمانتها التى لا تمهلها الجبال قد أودعت منه
إلى كفنها ووضعت كفايتها فى أهلها ؛ فهو سيقنا الذى يحوطها دبابه ، وولينا الذى
من طمع بصره إلى أفق حله أحرقه شهابه ، ونشوا إيماننا التى تنثنى كل ليل يقنص

الظفر ظُفْرُهُ وَيَذِبُ بالسيف نَابُهُ ، وَغَدَى دَوْلَتَا الَّذِي مَا اعْتَمَدْنَا فِيهِ عَلَى أَمْرِ إِلَّا
كُرْمُ بِهِ نُحُوصُهُ وَحَسَنَ فِيهِ مَنَابُهُ - أَقْنَصْتَ آرَاؤُنَا الشَّرِيفَةَ أَنْ تُخَصَّصَا بِمَهَابَةِ سَيِّفِهِ ،
وَتُخَصَّصَنَا بِمَا فِيهِ مِنْ قُوَّةٍ فِي الْحَقِّ نَكُفُّ كُلَّ بَاغٍ عَنْ حَيْفِهِ .

فَلَذَلِكَ رُسم بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لَازَلْتَ الْحَصُونُ الْمُصَوَّنَةُ تُخَالُ مِنْ مَلِكِهِ فِي أَهْبَى
الْحُلَلِ ، وَتَعْلُو مَعَاقِلَ الْكُفْرِ بِسُلْطَانِهِ عُلُومَ الْإِسْلَامِ عَلَى الْمِلَلِ - أَنْ تَفُوضَ إِلَيْهِ
نِيَابَةُ السُّلْطَنَةِ الشَّرِيفَةِ بِالْكَرِّ الْمَهْرُوسِ تَقْوِيضًا يُعْلِي قَدْرَهُ ، وَيُطْلِعُ فِي أَفْهَى
بَدَرِهِ ؛ وَيُطْلِقُ فِي مَصَالِحِهَا سَيِّفَهُ بِالْحَقِّ وَقَلَمَهُ ، وَيُخَيِّضُ فِي حَامِيَتِهَا أَفْعَالَهُ وَكَلِمَتَهُ ،
وَيَسْتَدُّ فِي أُمُورِهَا آرَاءَهُ الْمُقَرَّوَنَةَ بِالْصُّوَابِ وَهَمَمَهُ .

فَلْيَا شِرْهَهِ الرُّبْعَةِ الْعَلِيَّةِ صُورَةً وَمَعْنَى ، الْمِلَّةَ إِذَا طَاوَلَتِ الْكَوَاكِبَ بَارَتْ
لَا يَعْلَمُ لَهَا أَسْمَى^(١) وَأَسْنَى ؛ وَلِيَجْتَنِّدَ فِي مَصَالِحِهَا أَجْتِهَادًا يُؤَالِي لَهُ مِنْ شُكْرِنَا الْمَنِّعِ ،
وَيَأْتِي فِيهِ مِنْ مَوَاضِيئِنَا بِالْفَرَضِ الْمُفْتَرَحِ ؛ وَيَزِيدُهَا إِلَى حَصَانَتِهَا حَصَانَةً وَقُوَّةً ،
وَيَزِينُهَا بِسِيَاسَتِهِ الَّتِي تَقْدُو قُلُوبُ أَهْلِ الْعِتَادِ بِخَافَتِهَا مَغْزُوءَةً . وَلِيَنْظُرَ فِي مَصَالِحِ رَجَالِهَا
فِيَكُونَ لِحِمَايَتِهِمْ مُقَدِّمًا ، وَلِمُقَدِّمِيهِمْ مُكْرِمًا ؛ وَلِإِعْذَارِهِمْ مُزِيحًا ، وَلِخَوَاطِرِهِمْ بِتَيْسِيرِ
مَقَرَّاتِهِمْ مُزِيحًا . وَلِيَكُنْ لِمَنَارِ الشَّرْعِ الشَّرِيفِ مُعْظَمًا ، وَلِأَحْكَامِهِ فِي كُلِّ عَقْدٍ مُحْكَمًا ؛
وَلِمَا قَرُبَ وَبَعُدَ مِنْ بِلَادِ نِيَابَتِهِ عَامِرًا ، وَلِأَكْثَفِ الْخَوَرِ عَنِ الرِّعْيَةِ كَأَنَّهُ : فَلَا يَبْرَحُ
عَنِ الثَّلَمِ نَاهِيًا ، وَبِالْعَدْلِ آمِرًا ؛ وَمِلَاكُ الْوَصَايَا تَقْوَى اللَّهِ فَلِيَجْعَلَهَا حِلَّةً لِنَفْسِهِ ،
وَنَجَى أَنْفُسِهِ ، وَوُظُفَةِ أَجْتِهَادِهِ الَّتِي تَنْظُرُ بِهَا مَزِيَّةُ يَوْمِهِ عَلَى أَمْسِهِ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى
يَسْتَدُّ فِي أَحْوَالِهِ ، وَيَعَصِّدُهُ فِي أَعْمَالِهِ وَأَقْوَالِهِ ؛ بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ ! .

(١) لَهُ «بَانَ لَا يَعْلَمُ أَسْمَى مِنْهَا وَأَسْنَى» .



وهذه نسخة تقليد بناية السلطنة بالكرك ، كُتب به للأمير «تلكتمر الناصري»
عند ما كان المقر الشهابي أحمد ولّد السلطان الملك الناصر بالكرك ، وهو :

الحمد لله الذى جعل بنا المالك مُحَصَّنَة الحصون ، نَجْمِيَّةٌ بِكُلِّ سَيْفٍ يَقَطُرُ مِنْ
حَدِّهِ الْمَنُونُ ، مُنْعَةً لَا تَخْطِئُ إِلَيْهَا الظُّلُونُ ، مُحِجَّةٌ لَا تَرَاهَا مِنَ النُّجُومِ عِيُونُ ؛ رَافِلَةٌ
مِنَ الْكَوَاكِبِ فِي عَقْدِ تَمِيمٍ ، مَنِيْعَةٌ أَشْبَهَتِ السَّمَاءَ وَأَشْبَهَتْ بِهَا فَاصْبَحَتْ هَذِهِ
الْبُرُوجُ مِنْ هَذِهِ لَا تَبِينُ .

نَحْمَدُهُ عَلَى نِعَمِهِ الَّتِي رَفَعَتْ الْأَقْدَارَ ، وَشَرَّفَتِ الْمَقْدَارَ ، وَحَلَّتْ فِي مَمَالِكِ الشَّرِيفَةِ
كُلَّ عَقِيلَةٍ مَا كَانَ مِعْصَمُهَا الْمُتَمَدُّ إِلَى الْهَلَالِ لِيُتْرِكَ بِغَيْرِ سِوَارٍ ؛ وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ
إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةٌ رَفَعَتْ لِلْحُصُونِ الْعَالِيَةِ رُتَبًا ، وَمِلَّتْ بِهَا سَمَاوُهَا
حَرَسًا وَشُهُبًا ، وَأَعْلَتْ مَكَاتِبَهَا فَاقْتَبَسَتْ مِنَ الْبَرْقِ نَارًا وَوَرَدَتْ مِنَ السَّحَابِ قُلُوبًا ؛
وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَشْرَفُ مَنْ بَعَثَ وَلَاةً عَلَى الْأُمُصَارِ ، وَكَفَاةً عَلَى
الْأَقْطَارِ ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ مَا صَدَحَتْ الْحَمَائِمُ ، وَسَفَحَتْ الْغَائِمُ ؛
وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ خَيْرَ مَنْ حُبِّتَ بِهِ الْمَمَالِكُ ، وَحُدِثَ - وَفِي الْمُنَّةِ - مِنْهُ الْمَسَالِكُ ،
وَأَرْتَقَتْ هِمَمُهُ إِلَى الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالنُّجُومِ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ ، مَنْ حَصَلَ الْوُثُوقُ بِهِ
فِي أَشْرَفِ مَمْلَكَةٍ لَدُنَّا ، وَأَفْضَلِ مَا يُعْرَضُ فِي دَوْلَتِنَا الشَّرِيفَةِ مِنْ أَعْمَالِهَا الصَّالِحَةِ
عَلَيْنَا : وَهِيَ الَّتِي قَعَدَتْ مِنَ الْجِبَالِ عَلَى مَقَارِقِهَا ، وَأَتَّصَلَتْ مِنَ النُّجُومِ بِعَلَائِقِهَا ؛
وَتَحَدَّثَتْ النَّهَائِمُ مِنْ دُيُوبِهَا ، وَطَلَقَتْ عَلَى السَّمَاءِ وَطَاقَتْ عَلَى الْكَوَاكِبِ بِفِرَتِ الْمَجَرَّةِ

من سُوطها . وكان الكرك المحروس هو المراد ، ومدينته التي لم يُخلق مثلها في البلاد ، وقَلْعَتُهُ تَشْكِي الرِّيحَ لها طُلُوعَ وَادٍ وَتُرُولَ وَادٍ ؛ وهى أَرْضٌ نَمَتْ بَانْهَا لَنَا سَكَنٌ ، وَنَمَتْ مَنَاقِبُهَا بِمَا فِي قُلُوبِنَا مِنْ حُبِّ الْوَطَنِ ؛ وَأَسْتَقَرَّتْ لِلْقَامَاتِ الْعَالِيَةِ أَوْلَادُنَا - أَعَزَّهمَ اللهُ بَنَصْرِهِ - فَانْتَقَلَتْ مِنْ يَمِينٍ إِلَى يَسَارٍ ، وَتَقَابَلَتْ بَيْنَ شُمُوشٍ وَأَفْئَارٍ ، وَجَادَ بِهَا الْبَحْرُ عَلَى الْآثَارِ .

فَلَمَّا خَلَتْ نِبَاةُ السُّلْطَانَةِ الْمُعْظَمَةِ بِهَا عَرَضُنَا عَلَى آرَائِنَا الشَّرِيفَةِ مَنْ تَطْمِئِنُّ بِهِ الْقُلُوبُ ، وَيَحْصُلُ الْمَطْلُوبُ ، وَتَجْرَى الْأُمُورُ بِهِ عَلَى الْحُسْنَى فِيمَا يُنُوبُ ؛ وَتُبَارَى عِزَائِمُهُ الرِّيحَ بِمَرِّ كُلِّ مَقْلَةٍ وَهَرَّةٍ جَيِّدٍ ، وَلَا يُسَكُّ فِي أَنَّهُ كُفُوُ هَذِهِ الْعَقِيلَةِ ، وَكَافَى هَذِهِ الْكَفَالَةِ الَّتِي مَا هِيَ عِنْدَ اللهِ وَلَا عِنْدَنَا قَلِيلَةً ، وَكَافَلُ هَذِهِ الْمَمْلَكَةِ الَّتِي تَكُنُّ بِهَا بَيْتُهُ أَحْسَنُ مِنْ بَيْتِهِ وَنَحِيلُهُ أَحْسَنُ مِنْ نَحِيلِهِ ، مَنْ كَانَ مِنْ أَبْوَابِنَا الْعَالِيَةِ مَطْلَعُهُ ، وَبَيْنَ أَيْدِينَا الشَّرِيفَةِ لَا يُجْهَلُ مَوْضِعُهُ ؛ طَلَمَّا تَكَلَّمْتُ بِهِ الصَّفُوفِ ، وَتَجَمَّلْتُ بِهِ الْوُقُوفِ ، وَحَسَرْتُ كُلَّ مَوْصُوفٍ ، وَلَمْ تَخَفْ حَمَاسَتُهُ الَّتِي هُوَ بِهَا مَعْرُوفٌ ؛ كَمْ لَهُ شَيْعَةٌ عَلَيْهِ ، وَهَمَّةٌ جَلِيَّةٌ ، وَتَقْدِمَاتُ إِقْدَامٍ بِكُلِّ نَهَايَةٍ غَايَةِ مَالِيَةٍ ، وَعِزَائِمُهَا بِنَعْتِهِ مَضَاءُ السَّيْفِ وَبِاسْمِهِ قُوَّةُ الْحَدِيدِ وَهِيَ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ مُلْكِيَّةٌ ؛ وَكَانَ الْمَجْلِسُ الْعَالِيُّ - أَدَامَ اللهُ نِعْمَتَهُ - هُوَ لَا يَسِرُّ هَذِهِ الْبُرُودِ الَّتِي رُقِمَتْ ، وَالْعُقُودِ الَّتِي نُظِمَتْ ، وَجَامِعُ هَذِهِ الدَّرَرِ الَّتِي قُسِمَتْ ، وَالْدَّرَارِ الَّتِي سَمَتْ إِلَى السَّمَاءِ لَهَا وَوَسِمَتْ ؛ وَهُوَ مِنَ الْمَلَائِكِ فِي الْوَقَارِ ، وَلَهُ حُكْمُ كَلِمَاتٍ وَبَأْسُ يَقْطَعُ الْأَشْجَارَ ، وَهُوَ مَلِكٌ نَصَفُهُ الْآخَرُ مِنْ حَدِيدٍ كَمَا أَنَّ اللَّهَ مَلَأَنِيكَ نَصَبُفُهُمْ مِنَ النَّاتِجِ وَنَصَفُهُمْ مِنْ نَارٍ ؛ وَهُوَ الَّذِي أَقْتَضَتْ آرَائُنَا الشَّرِيفَةُ أَنْ يَجْعَلَ فِي خِدْمَةِ وَلَدِنَا - أَمْتَعَهُ اللهُ بِقِلَاسٍ - نَائِبًا بِهَا ، وَقَائِمًا بِحَسَنِ مَنَاقِبِهَا ، وَالْمُتَصَرِّفَ فِيهَا بَيْنَ أَيْدِيهِ الْكَرِيمَةِ ، وَالْمُتَلَقِّ دُونَهُ لِأُمُورِهَا الَّتِي قَلَدْنَا بِهَا عَقْدَهُ أَمَانَةً عَظِيمَةً .

فلذلك نرج الأمر الشريف - لا زال به سيف الدين ماضيا ، ولا يرح كل واحد بحكم سيفه في كل تجريد وقلبه في كل تقليد راضيا - أن تفوض إليه نيابة السلطنة الشريفة بالكرك المحروس وما معه على عادة من تهنئه فيها ، وقاعدته التي يتكفل لها بالإحسان وبكف العُدوان ويكفيها ؛ وكل ما فيها من أمر فهو به منوط ، وكل عمل لها به محوط ، وحكمه في مصالحنا الشريفة في جميع بلادها مبسوط ، وله تطالع الأمور ومنه تصدر المطالعة ؛ وبه تزال كل غلامه ، وتزاح كل ملامه ؛ ويؤيد الشرع الشريف ويؤيد حكمه ، وينشر علمه وينشر علمه ؛ ويقام الحشود بحمده ، والمهابة بحمده . ورجال هذه القلعة به تتألف على طاعتنا الشريفة قلوبهم ، والرايا يعمهم بالعدل والإحسان وأيسر ما عندنا مطلوبهم ؛ وهؤلاء هم شيعتنا قبلك ، ورعيتنا الذين هم لنا ولك ؛ فرفرف عليهم بيمينك ، وخضع بيمينك ؛ والمسارة إلى أمثال مراسينا الشريفة هي أول ما نوصيك باعتماده ، وأولى ما يقبس من نوره ويستمد من أمثاله ؛ فلا تقدم شيئا على الانتهاء إلى أمره المطاع ، والعمل في السمع والطاعة باكر له ما عكن أن يستطاع ؛ وخدمة أولادنا فلا تدع فيها تمكنا ، وأعلم بأن خدمتهم وخدمتنا الشريفة سواء لأنه لا فرق بينهم وبيننا ؛ وهذه القلعة هي التي أودعناها في يمين أمانك ، وحميناها بسيفك وصنناها بصيانتك ؛ فالحمد لله ! في هذه الوديعه ، وأد الأمانة فإنها نعمت الذريعة ؛ وأحفظها بقوة الله وتحفظ بأسوارها المنيعة ، وعليك بالثقوى والتقوى والوقوف عند الشريعة ؛ والله تعالى يزيدك علواً ، ويبلغك مرجواً والاعتقاد

قلت : وربما ولي نيابة الكرك من هو جليل الرتبة رفيع القدر ، من أولاد السلطان أو غيره ، فتعظم النيابة بعظمه ، ويرفع قدرها بارتفاع قدره ، وتكون مكاتبته وتقليده فوق ما تقدم ، بحسب ما يقتضيه الحال من «الجناب» أو غيره .

وهذه نسخة تقليد بناية السلطنة بالكرك، كُتِبَ بها عن السلطان الملك الناصر « محمد بن قلاوون » لولده الملك الناصر « أحمد » قبل سُلْطَنَتِهِ ، وكتب له فيه «الجناب العالی»، من إنشاء الشريف شهاب الدين، وهي :

الحمد لله الذي أسعدنا بوراثته الملك والممالك، وأرشدنا للرأى المصيب في أن
تُسْتَقْبَلِ من نساء من ذلك ؛ وأيدنا بالعون والصون في حفظ ما هنا ولحفظ
ما هناك، وعودنا الإمداد بمنه المتداول والإنجاد بمنه المتدارك ؛ وسدّدنا بالفضل
والإسعاف إلى أن تتبّع من العدل والإنصاف أنجح السبل وأوضح المسالك ، وعَضَدنا
من ذُرِّيَّتِنَا بكلّ نَجَلٍ مُعْرِقٍ ، ونَجْمٍ مُشْرِقٍ ، يَرِثُ شِهَابُهُ ، في الكَرَبِ الحَالِ ، ويُتْلَقُ
صَوَابُهُ ، في الخطبِ الحَالِكِ ؛ وأفردنا بالنظر الجليل ، والفكر الجليل ، إلى أسعد تحوّل
تتبر بمراته في الآفاق الشهب الطوالع وتسير بشراء في الأفطار الثجّب الرواتك .^(١)

نحمده ! وكيف لا يتحد العبد المساك ! ، ونشكره على أن أهنا لإقامة الشما
وإدامة المناسك ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له جل في جبروته ، عن
مُشَاهِدِهِ وتَعَالَى في ملكوته ، عن مُشَارِكِهِ ؛ ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الذي
أنجد جنوده من الملأ الأعلى بالملائك ، وأمدّ بوعته بالنصر والظفر في جميع المواقف
والمعارك ؛ وأيد أمته بولاية ملوك يحلّسون في التميم على الأرائك ، ويمرحسون حامي
الدين بجهادهم وأجتهادهم من كلّ فأتين وفاتك ؛ صلى الله عليه وعلى آله سُنَنُ النجاة
المؤمنين من المخاوف والمتقين من المهالك ، ورضى الله عن أصحابه الذين نظموا
شمْلَ الإيمان ، وهزموا جمع البهتان ، بكلّ باير وفاتك ؛ صلاة ورضوانا يُضْحِي لقاظهما

في اليوم المَبُوسِ الْوَجْهَ الطَّلُقَ والنَّفَرَ الصَّاحِكَ ، وَيُنْشَرُ فُجَحْشَرُ مع التَّيِّينِ والصَّديقِينَ
والشُّهداءِ والصَّالحِينَ وَحَسُنَ أَوْلَيْكَ ، مَا أَتَهَّلَ بِصَالِحِ الدُّعَاءِ ، وَنَاجِيَ الاسْتِدْعَاءِ ،
لَا يَأْمَأُ كُلَّ عَابِدٍ وَنَاصِكَ ، وَعَوَّنَ حُسْنُ آرَأَشَا عَلَى تَقْدِيمِ مَنْ هُوَ لَجَلِيلُ آثَارِنَا سَالِكِ ،
وَأَقْبَلَ بِالْإِقْبَالِ مَنَا شِهَابَهُ الْمُنِيرَ يَحْلُو مَا يُثِيرُ مِنْ لَيْلِ قَعْمِهَا السَّنَايَكِ ، فَحَصَلَ لِلكَرَكِ
وَالشُّوبَكِ بِهَذَا الْقُدُومِ نَحَارَ مَسِيرِكَ بَيْنَهُمَا وَيِنِ النَّجْمِ الشَّوَايَكِ .

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى آثَرْنَا بِتَوْفِيرِ التَّوْفِيقِ ، وَبَسَّرْنَا مِنَ الْهُدَى إِلَى أَقْوَمِ طَرِيقٍ ؛
وَوَهَبَنَا فِي الْمَلِكِ النَّسَبَ الْعَلَى الْعَرِيقِ ، وَالْحَسَبَ الَّذِي هُوَ بِالتَّقْدِيمِ وَالتَّحْكِيمِ حَقِيقٍ ؛
وَقَلَّدَنَا مِنْ عَهْدِ بَيْعَةِ السُّلْطَنَةِ مَالِحْمِهِ فِي الْآفَاقِ تَطْطِيرِيقِ ، وَلِعِيقِهِ فِي الْأَعْنَاقِ تَطْطَوِيرِيقِ ؛
فَقَيَّانَا مِنْ قَهْجَةِ هَذَا الْبَيْتِ الشَّرِيفِ النَّاصِرَى الْمَنْصُورَى كُلِّ غُصْنٍ وَوَرِقٍ ، وَهَيَّا
لِلْبَرِيَّةِ تَكْرِيمًا عَمِيمًا بِتَقْدِيمِ مَنْ لَهُ الْمَجْدُ يَتَعَيَّنُ وَبِهِ السُّؤْدُودُ يَلِيقُ ؛ وَأُطْلِعَ فِي أَفْقٍ أَعَزَّ
الْمَالِكِ عَلَيْنَا مِنْ بَيْتِنَا شِهَابٌ عَلَا هُوَ لِلْبَذْرِ فِي الْكَالِ وَالْجَمَالِ شَيْبُهُ وَشَقِيقُ ، وَأُطْعَمَا
أَمْرًا تَعَالَى فِي مَعَامِلَةِ الْوَلَدِ الْبَارِ مَعَامِلَةِ الْوَالِدِ الشَّفِيقِ ؛ وَأَوْدَعْنَا لَدَيْهِ مَا أَوْدَعَهُ
اللَّهُ تَعَالَى لَدَيْنَا : مَمْلَكَةً مَرْتَفَعَةً مَتَسَعَةً لِيَرْتَفَعَ مَحَلُّهُ وَيَتَّسِعَ أَمَلُهُ وَلَا يَضِيقَ ، وَجَمَعْنَا
لَهُ أَطْرَافَهَا لَتَكُونَ لِكَلِمَتِهِ الْعُلْيَا بِهَا الْاجْتِمَاعُ مِنْ غَيْرِ تَفْرِيقِ .

وَمَا كَانَ الْخِتَابَ الْعَالَى ، الْوَلَدَى ، الشَّهَابَى ، سَلِيلُ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ ، خَلِيلُ
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ : هُوَ الَّذِي تُشِيرُ رُبَّ الْكَفَالَةِ بِرَقِيهِ ، وَتَقَرُّ عِيُونُ الْأَوْلِيَاءِ بِتَعَيُّنِهِ لِإِلْقَاءِ
أَمْرِنَا الْمُطَاعِ وَتَلْقِيهِ ؛ وَتَهْلُجُ الْأَلْسِنَةُ ضَارِعَةً إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَنْ يَخْلُدَ مَلِكُ بَيْتِهِ
الشَّرِيفِ وَيُثْقِيهِ ، وَتَعْرُجُ إِلَى السَّمَوَاتِ دَعَوَاتُ الْأَتْقِيَاءِ أَنْ يُوقِيَهُ اللَّهُ مِمَّا يَتَّقِيهِ ؛
وَتُنْمِسُكَ فِي هَذَا الْمَقَامِ لِسَانُ الْمَقَالِ عَنْ مَدَحِهِ أَدْبَا ، وَتَرْكُ الْاِفْتِخَارِ بِالْمَالِ
وَالْعِيدِ إِثَارًا لِنَوَابِ اللَّهِ وَطَلْبَا ؛ وَتُذَكِّرُ مَوْعِظَةَ اللَّهِ سَبْحَانَهُ فِي كِتَابِهِ قَصْدًا وَآرَابَا :

(وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرُ عَقْبًا)^(١) . ويركز هذا القصد يتم لنا فيه المراد، ويتم هذه المملكة النفع بهذا الأفراد؛ فلنا مَهْدُ النصر والفتح، ومشهد الوفرة والمنح؛ ومصدر العز الذي لنا وطئنا صرحه تذكرك للعنا كل صرح، وتملك للهدى كل سرح؛ ونسقت بها لقرب المزار من طيب طيبة أعظم نفع، وقد بقينا بجماله الحال بها في تيسير التأيد فكان كالنفع؛ وجرى خلقنا السمع بعد ذلك على عادته في الحكم والصفح، وسرى ذكرنا في الشرق والغرب وللهداية به أطرب صدح، وآتى الله من فضله ملكنا نجا نجل عن العبد والشرح؛ فيها منشأ دولة الدول ومنها فتح الفتح، وبإضافته إلينا تفاؤل خير مشهور مأموح؛ كما قيل قبلها كرك نوح، فبتطهير الأرض من الكفار، عزائمنا تفتدو وتروح، وبالأستناد بأطول الأعمار، أمانة بادية الوضوح؛ وآثار بركة الأسم الشرف الحمدي تظهر علينا في الحركات والسكنات وتلوح، ونقار هذه المملكة المباركة : لأختصاصها بالحرمين الشريفين عليها طلاوة وسعادة وفيها روح؛ وكما قد سلكنا بهذا الولد النبيل، سنة إني الأنبياء إبراهيم الخليل، في ولده إسماعيل، عليهما السلام التام في كل بكرة وأصيل؛ حيث فارقه وأفرده، وتفقدته في كل حين وتمهده؛ حتى شد الله تعالى به عضده ورفع هو وأبوه قواعد البيت وأعانه لما شيد، فأجل الله لنا هذا القصد وأحمده، وكل هذا الشروع وأبعده؛ وأجزل [له] من فوائده أوقرية وأنجزله من عوائده أصدق عده؛ فأحلتنا في هذه المدة بمملكة الكرك فسلك من حسن السجايا أحسن مسلك، وملك قلوب الرعايا وبما وهب من المنح تملك؛ وبسنتنا في التواضع للحق مع الخلق تملك، وبشيمتنا وخلقنا في الجود تحلق قبلد وما أمسك .

(١) التلاوة «وخير أملا» أما وخير عقبا فهو في آية قبلها .

ولما بلغ أشده وأستوى، وبزغ شهابُ علاه الذى هو وبدُرُ المياءِ سوا، وحاز
مكارِمَ الأخلاقِ وحوى، وفازَ سلطاننا فى نجاته بحسنِ التبة : ”وَمَا لِكُلِّ أَمْرِي
مَا نَوَى“ - حكمتاه فى هذه النياحة التى ألقها ودّزبها ، وعرفَ أُمُورها وجرّها ،
وأستمالَ خواطرَ أهلها وأستجلبها ، وأدنى لهم لِمَا دَنَا منهم الميامينَ ولِمَا قَرَّبها
منهم قَرَّبها ، وأستحقَّ كَفَالَتَهَا وأستوجبها ، وأظهرَ اللهُ تعالى فيه من الشَّائِلِ أُنْجَبها ،
ومن الخلاقِ أَرْحَبها ، ومن الأعراقِ أَطْيَبها ، ومن العوارفِ أُنْسَبها ، ومن العواطفِ
أَقْرَبها ، ومن البسالةِ أَرْهَفها وأَرْهَبها ، ومن الجلالةِ أَحَبها إلى القلوبِ وأَعَجَبها ، ومن
السيادةِ مَا أَخَذَتْ نَفْسُهَا أَهْبَهَا ، ومن الزيادةِ مَا يَتَعَيَّنُ [له] شُكْرُ اللهِ الْوَاحِدِ الذى
وَهَبها ، ومن السَّعَادَةِ مَا رَفَعَتْ الإِقْدَارُ عَلَى مَنَاقِبِ الْكَوَكِبِ رُتَبَهَا ، وَأَطْلَعَتْ
لُجَائِمَهُ سَمَاءَ الْعِلْيَاءِ شُجَبَهَا ، وَرَفَّتْ عَلَى هَامَةِ الْجُوزَاءِ مَنْصَبَهَا ، وَأَسْتَصَحَبَتْ مِنَ الْعَنَاءِ
لهَذَا الْبَيْتِ مَرْيَّةٌ فَرَضَ اللهُ بِهَا لَهُ الطَّاعَةَ وَكَتَبَهَا ، فَاسْتَحَرْنَا اللهَ تَعَالَى الذى يَخْتَارُ لَنَا
وَيُخَيِّرُ ، وَسَلَانَاهُ التَّائِيدَ وَالتَّيْسِيرَ ، وَفَوَضْنَا إِلَيْهِ وَهُوَ الْكَفِيلُ لَنَا بِالتَّيْدِ ، فى كُلِّ مَبْدَأٍ
وَمَصِيرٍ ، وَاسْتَعْنَا بِهِ وَهُوَ نِعْمُ النَّصِيرِ ، وَأَقْتَضَى حَسَنُ الرَّأْيِ الشَّرِيفِ أَنْ نُسْرِجَ
شَهَابَهُ الْمُنِيرَ ، وَنُتِجَ لَنَا وَلِيَاءَ يَمْنِ التَّائِيلِ بِحَسَنِ هَذَا التَّائِيرِ ، وَنُتِجَ فى رِيٍّ سُبُلًا
تَقْدَمُنَا إِلَيْهَا كُلُّ ذِي مَنْبَرٍ وَسَرِيرٍ ، وَنُتِجَ الصُّدُورَ وَتُرُقُّ الْعِيُونَ بِسَعِيدِ هَذَا الْإِصْدَارِ
وَحَمِيدِ هَذَا التَّقْرِيرِ .

فلذلك رسم بالأمر الشريف - لا برج أمره يصيب السداد فيما إليه يصير ،
وخبره يحمل الموااة فلائسة عن مكافاة ربه تفصير - أن نفوض نيابة السلطنة
الشريفة بالكرك المحروس والشوبك للجناب العالى ، الولدى ، الشهابى ، وما ينضم
للى ذلك ويتصاف ، من جميع الأقطار والأخفاف ، وجمعنا له من هذه المملكة
الأطراف ، وجعلنا له على سهلها وجبلها إشراف ، وصرفناه منها فيما هو عن علمه

الكريم غير خاف ؛ نباهة كامله ، كافلة شاملة ؛ عامه ، تامه ؛ واقفه ، سافره ؛ يستلزم طاعته فيها الإقتراض ، وتخصم عنه فيها مواد الإعتراض ، وتتقد مراسمه من غير توقف ولا انتقاض ، وتبسط يده البيضاء من غير انقباض ، ويرتفع رأيه من غير انخفاض .

فلتقدر رغبة هذه البلاد نعمة هذا التفويض قدرها ، وليسألوا الله أن يوزعهم لحسن هذا التفويض شكرها ؛ فقد أنسا لهم يسرها ، وأفاء لهم برها ؛ وألقى إليهم جودها وخبرها ، وأبقى عندهم عزها ونصرها . وليتبعوا السبيل القويم ، وليجمعوا على الطاعة التي تُثني عليهم نعمة العافية وتديم ، وليسمعوا ويُطيعوا لما يرد إليهم من المراسم ، فمن لم يستقم كما أمر لا يستمر بهذه البلاد ولا يُقيم ؛ والعاقل لنفسه خصم ، والجاهل من عدم النعمة وحرم النعم ؛ وفراستنا تلح نتائج الخير من هذا التقديم ، ومباستنا تصلح ما قرب منا وما بعد بتعريف أحكام التحكيم ؛ وكيف لا ؟ وهو الكريم بن الكريم ، المؤمل تمام السؤدد قبل أن يُعقد عليه التميم ، المستعمل على انحلال الموجبة له الفضل العميم ، المتوصل بثمن حركاته إلى أن يكون لئل هذا الملك العظيم ؛ وإلى أمانيه استيداع ، وإلى صيانيه تسليم ، المقبل وجهنا الإقبال فتلو الرجال : ﴿ ما هذا بئرا إن هذا إلا ملك كريم ﴾ .

ونحن نأمرك من التقوى بما به من الله أمرنا ، ونبصرك من الهدى بما له هدينا وبصرتنا ، ونثني عليك من بدائعها ما به خصصتنا وأوترنا ؛ ونوصيك أتباعا للكتاب والسنة ، ونؤتيك من الهداية ما لله في الإرشاد إليه المنه ؛ فقد وعظ ووصى لقمان - عليه السلام - أبنته ، وأوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل لما بعثه إلى اليمن لحقق الله تعالى في نجاحه رجاءه وفي فلاحه ظنه ؛ ونذكر جنابك ، ونرجو أن

تكون من تنفعه الذكرى، وتسير شهائك، إلى أفق السعد ونأمل أن تيسر لليسر،
وتؤمرك فزيد علم عزك رقما ولواء مجديك كشرا، وتأمرك بشفقة بحسن أخلاقك،
فيتلو لسان وفاك : ﴿ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴾ . فمثلك
من أيدته العصم، وأصعدته الهمم، وحيدته الأثم، وأرشدته إلى الحكم ما عهدته
فكرته من الحكم، وسدته أعراقه وأخلاقه فلا يزداد على ما فيه من كرم، فلا تذكر
منك ناسيا، ولا تفكر لاهيا، ولا تأمر وتنهى إلا من لم يزل بالمعروف آمرا وعن
المنكر ناهيا .

فأتق الله تعالى : فلي التقوى ربك، وراقب الله تعالى : فالراقبة للوك من
بيتك ملاك، ووجد في نصرة الحق ولا تأب : فقد أنجد الله تعالى بذلك جدك وأباك،
وأعدل بالعدل ثمم الدول وأقيم منار الشرع، فهو الأضل الذي يرد إليه من القضايا
كل فرع، وبجالة الرجب إذا ضاق الدرع، فايد حركه، وشيد معالمه، وأكد
الإلزام بأحكامه اللازمة .

والأمرأ والجند فهم جناح النجاح، وصفاح الصفاح، فاعتمد أحوالهم بالصلاح،
وأرد فيهم ما استطعت الإصلاح . والخيالة والرجال الذين ينجي بهم مصون الحصون
أن يستباح، فالخطأ أمورهم بعين فكرك في كل مساء وصباح، فمن نهض في الخدمة
تعين من النعمة أن يزداد ومن قصر في العزم قضى الخزم أن يراج . والراعا فيهم
للإحسان وذائع، وللاعتنان صنائع، فاعذب لهم من المعذلة المشارع، وأنصب
لهم من إقامة الحرمة الزواجر والروادع، وأخصب لهم من النعمة مرميا يرغب الحاج
ويقرب الطامع . وأهل الذمة فادهم إلى كنف العدل الواسع، وأخبرهم أن تمتد
إلى أنفسهم يد بيان وإلى أموالهم يد طامع، وأقم عليهم بأسا يحل بهم إذا اعتدوا

القَوَائِمَ والقَوَارِعَ ، وأدِمَّ لِمَ مَهَابَةً تُسَدُّ من فساد الدَّرَائِعِ ، وعلوِّدَ آراءَنَا الشَّرِيفَةَ
وَرَاجِعَ ، وواصلْ بِأَنْبَائِكَ السَّارَةَ وَأَعْمَالِكَ الْبَارَةَ وَتَابِعَ ، وبِمَا تَتَطَلَّعُ إِلَيْهِ خَوَاطِرُنَا
العَاطِفَةِ من مُتَجَمِّدَاتِكَ الْمُبَارَكَةِ أَتُخَفِّ وَطَالِمَ ، وَاقِهْ تَعَالَى يَسْتَفْ بِحُسْنِ سِرِّتِكَ
المَسَامِعَ ، وَشَرَفُ بِحُلُولِ عَذْلِكَ الْخَافِلِ وَالْمَجَامِيعَ ، وَبُورَعُكَ شَكَرَ نِعْمَتِهِ وَيَجْعَلُ لَكَ
من عِصْمَتِهِ أَعْظَمَ وَازِعَ ، وَيَتَّعِصِكَ بِأَيَّامِنَا الَّتِي فِيهَا الْخَيْرُ الشَّامِلُ وَالرَّاحِجُ الْحَاسِبُ ،
وَيَصُونُ بِخِلَالِكَ الْحُسْنَى مَا اسْتَعْظَمْتُ^(١) مِنْ أَمْنَى الْوَدَائِعِ ، وَزَيْنَ سَمَاءِ الْعُلَيَاءِ
بِجَلَالِكَ فَهَذَا لَكَ قَرَاهَا وَالنَّجْمُ الطَّوَالِغَ ، وَبُورَعُكَ بِجَمِيلِ قَصْدِكَ إِلَى أَنْ تَأْخُذَ
من القُصُولِ بِالْمَجَامِيعِ ، وَيَحَقِّقُ فِي إِسْعَادِ جَنَائِكَ الْمَطَالِبِ وَيُثْرِقُ بِإِصْعَادِ شَهَائِكَ
المَطَالِبَ ، وَالْعَلَامَةَ

الصف الثاني — أَرْبَابُ الْوُظَائِفِ الدِّيْنِيَّةِ . وبها قَاضٍ وَاحِدٌ شَافِعِي ،
وَتَوْقِيعُهُ فِي قَطْعِ الثَّلَاثِ بِـ«السَّامِي» بِالْيَاءِ .

الصف الثالث — الْوُظَائِفُ الدِّيْوانِيَّةُ . وهى ثَلَاثُ وَظَائِفَ ، يَكْتَبُ لِكُلِّ
مِنْهَا تَوْقِيعٌ فِي قَطْعِ الْعَادَةِ . الْأَوَّلُ كِتَابَةُ الدَّرَجِ . الثَّانِيَةِ نَظَرُ الْمَالِ . الثَّالِثَةُ
نَظَرُ الْحَيْثِ .

القسم الثالث

(مما يَكْتَبُ من الْوَلَايَاتِ عَنِ الْأَبْوَابِ السُّلْطَانِيَّةِ بِالْأَيَّامِ الْمَصْرِيَّةِ -

مَا يَكْتَبُ لِأَرْبَابِ الْوُظَائِفِ بِالْمَمْلُكَةِ الْمُجَازِيَّةِ)

وقد تَقَدَّمَ أَنَّهَا اسْتَعْمَلُ عَلَى ثَلَاثِ قَوَاعِدَ :

(١) لَعَلَّه «مَا اسْتَعْظَمْتُ» .

القاعدة الأولى . (مكة المشرفة ، وبها وظائف)

الوظيفة الأولى (الإمارة)

وقد تقدم أن إمارتها في بنى الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما ،
وأنها كانت تؤتى من أبواب الخلافة ينفذ إلى حين اقتراضها ، إلا ما تنقلب عليه
الفاطميون أصحاب مصر في خلال ذلك . ثم استقرت آخرًا من جهة ملوك مصر
إلى الآن . ويكتب له تقليد في قطع النصف بـ «المجلس العالي» بزيادة ألقاب
تخصه ، وقد تقدمت ألقابه في أول هذا الطرف .

وهذه نسخة تقليد بإمرة مكة المشرفة : كتب بها عن الملك الناصر « محمد بن .
قلاوون » لأسد الدين « رميثة » بن أبي نمى ، بإمرة مكة المشرفة ، عوضًا عن أخيه
« عطيفة » عند قتل الأمير الدمرجان دار . وولده خليل ، من إنشاء المولى تاج الدين
أبن الباربارى رحمه الله ، في المحرم سنة إحدى وثلاثين وسبعائة ، وهى :

الحمد لله الحكيم : فالشريف من أتبع أوامرہ ، العظیم : فالسعيد من أتقى غضبه
بأعماله الزاكية ونياته الطاهرة ، الكريم : فالفائز من سلك مراضيه في الدنيا ليأمن
في الآخرة ؛ ومن أخاف عا كَفَ حَرَم الله وبأديه فقد بَاءَ بالأفعال الخاسره ، ومن عظم
شعائره فقد رَفَلَ في حُلِّ الإقبال الفاعره .

نحمده على أنطافه الباطنة والظاهرة ، ونشكره ونرجوه وما زال يُنحج راجيه ويزيد
شاكراه ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة من أخذ الحق ناصره ،

وأودع إخلاصها ضَمَائِرَهُ ؛ ونشهدُ أنَّ محمداً عبدهُ ورسولهُ الذي بعثه اللهُ من الحرمِ
فألفَ القلوبَ النَّافِرَةَ، وفتحَ مَكَّةَ فظهرها من الزُّمَرَةِ الكَافِرَةِ، وقال في ذلك اليوم :
« مَنْ أَغْلَقَ عَلَيْهِ بَابَهُ فَقَدْ آمَنَ » فأمسى أهلُها ونفوسهم بالأمن ظافره ؛ صلى الله عليه
وعلى آله نبي الزهراء العترة الزاهرة، وعلى صحبه النجوم السافرة ؛ وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعدُ، فإنَّ الحَكَمَ [بالعدل] شعارنا ، وبالله اقتدأونا وأقتدأونا ؛ وفي الإحسان
رَغَبُنَا، وفي كُلِّ عُنُقٍ مِثْنًا ؛ نَصَفَحَ وَتَمَنَحَ، وَرَعَى مَنْ أَمْسَى قَدِيمَ الْمَجْرَةِ فِي وَلاَتِنَا
وَأَصْبَحَ ؛ وَثَقِمَ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ لِحَفْظِ ذَلِكَ الْبَيْتِ الْأَصْلَحِ فَلَا أَصْلَحَ، وَتَقَدَّمَ مَنْ لَمْ
يَزَلْ مُقَدِّمًا ، وَإِلَى صَوْبِ الصَّوَابِ يَخْتَجُ فَيَنْجَحُ ، وَتَوَحَّى مِنَ الْمَلَكَةِ مَنْ لَاحَ لَهُ
مَنْجَعٌ خَلِيرٌ فَسَلَكَهُ فَأَنْجَحَ .

وكانت مَكَّةُ الْمُعْظَمَةُ هِيَ أُمُّ الْقُرَى، وَالْبَلَدُ الْأَمِينُ الْمُجَزَّلُ فِيهِ الْقُرَى؛ نَسَا الْإِسْلَامُ
فِي بَطْعَائِهَا، وَحَرَّمَهَا اللهُ فَلَا يَنْفَرُ صَيْدُهَا، وَلَا يُضْعَدُ تَجَرُّهَا، وَلَا يَحِلُّ لِقَطْعُهَا
إِلَّا لِمُتَشَدِّدٍ تَأْكِيدًا لِتَشْرِيفِهَا وَإِعْلَانِهَا؛ وَطَلَعَتْ شَمْسُ النُّبُوَّةِ مِنْ شِعَابِهَا، وَجُسِلَتْ
الذُّنُوبُ بِوَيْلٍ يَحْجَاهَا؛ فِيهَا زَمَزَمٌ وَكَوَّةٌ جَبْرِيلَ، وَفِيهَا بَدَأَ الْوَحْيُ وَالتَّزْوِيلُ، وَإِلَيْهَا
أَعْقَتِ الرُّكَّابُ فِي كُلِّ أَبْطَحٍ لَطَى مَسِيرٌ وَمَسِيلٌ؛ فَكَمْ أَتَى إِلَيْهَا مِنْ سَائِرِ النَّاسِ
سَائِرٌ، وَكَمْ أَتَى إِلَيْهَا النَّاسُ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ؛ فَالرَّحْمَةُ مُسْتَقَرَّةٌ بَيْنَ نَوَاحِيهَا
وَالْعِيُونَ تَتَمَلَّى بِأَنْوَارِ تِلْكَ الْأَسْتَارِ حَتَّى يَتَحَلَّلِيهَا، وَالشَّفَاهُ تَتَشَرَّفُ بِتَقْوِيلِ ذَلِكَ الْحَجَرِ
الَّذِي يَشْهَدُ ذَا فِي غَيْدٍ وَيَقِيهَا؛ فَطُوبَى لِمُتَقِيهَا، وَتُحَقِّقًا لِمَنْ أَخَافَ وَقَدْ أَهَّاهُ فِيهَا؛ وَنَحْنُ
قَدْ بَصَرْنَا اللهُ بِخِزْمَةِ بَيْنِهَا مُحَرَّمٍ، وَحَرَمِهَا الْمُعْظَمِ، وَكَرَّرَ إِلَيْهَا حَجَّتَنَا وَكَرَّمَهُ : فَهِيَ الْحَمْدُ
أَنْ كَرَّرَ حَجَّتَنَا وَكَرَّمَهُ؛ وَمَا بَرَحْنَا نُهَيِّمُ فِي إِمَارَتِهَا مِنَ الْعَتَةِ النَّبَوِيَّةِ كُلِّ شَرِيفِ النَّسَبِ،

وكل من يكتسب فيها رضا الله تعالى : وكل أمرئ وما آكتسب ؛ فمن أصلح منهم أقنأه ، ومن حاد عن الطاعة ويحسد النعمة أزلناه ؛ ومن أخاف فيه السبيل لم نجعل له إلى الخير سبيلا ، ومن استقام على الطريقة توكلنا على الله وولينا : وكفى بالله وكيلا .

وكان فلان هو الذى مازالت خواطرتنا الشريفة تقدمه على بني أميه ، وتختاره أميراً وتحتويه ؛ وربما سلفت من بينه هنأت صفحتنا عنها الصفح الجميل ، وما قابلناهم إلا بما يليق لمجدهم الحسن الأصيل ؛ والإمرة وإن كانت بيد غيره هذه المدة فما كان فى الحقيقة أميراً عندنا سواه ، لأنه كبير بيت المشكور من سائر الأقبوا .

والآن قد اقتضت آراؤنا الشريفة أن نقيمه فى بلده أميراً مقررًا إليه يشار ، وأن نصطفيه ؛ وإنه عندنا لمن المصطفين الأخيار ، وأن نجعل الكلمة واحدة ليأمن التزليل والجار ؛ ومتى تجاذب الأمر كلمتان فسد نظامه ، ومتى أفرد الحكم حسنت أحكامه ؛ ومتى توحد الأمر زال الاختلاف ، وزاد الائتلاف ، وأقبلت أيامه .

فلذلك رسم بالأمر الشريف أن تفوض إليه إمرة مكة المشرفة ، على عادة والده . فليقلد ما فوضناه إليه من الإمرة والنبابة بمكة المعظمة : شاكرًا ما أنعم الله به عليه من مراضينا التى لا نجاة لمن لم ينل منها نصيبًا موقورا ، ولا فوز لمن لم يدرك منها حظا كبيرا ؛ وليشرع فى تهذيب البلاد من إزالة المظلمة ، وليطهرها من كل مجترئ على الله تعالى فى البقعة المحرمة ؛ ولا يهرب من فى قلبه مرض فيعديه ، ولا يرجع لمن فيه شقاق ظاهر فى صفحات وجهه وقتلات فيه ؛ وليعلم أن هذا بلد حرام حرمة الله يوم خلق السموات والأرض ، وصير حج بيته على مستطيعه من القرض ؛ وجعله للناس معادًا ومعادًا ، وقال صلى الله عليه وسلم يوم

عَرَفَ : « إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا » .

فَلْيَمْنَعْ السَّمَاءُ مِنْ أَنْ تُرَاقَ ، وَالْأَمْوَالُ مِنْ أَنْ تُؤْخَذَ بِغَيْرِ اسْتِحْقَاقٍ ؛ وَالظُّلُمُ فِي الْبَلَدِ الْحَرَامِ حَرَامٌ ، وَبَنُو حَسَنٍ أَحَقُّ بِاتِّبَاعِ سُنَّةِ الْإِسْلَامِ ؛ وَأَتَقَى اللَّهُ لِقَاءَهُ بِالْوَجْهِ الْأَبْيَضِ وَالْعَمَلِ الْأَغْرَ ، وَأَتَّبِعَ سُنَّةَ جَدِّكَ : فَعَلَى اتِّبَاعِهَا حَتٌّ وَأَمْرٌ ؛ وَأَتَقَى وَفَدَ اللَّهَ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِالْحُسْنَى فَهُمْ أَضْيَافُهُ ، وَأَمِنَ الْحَجَّ لَيْتَ نُسْكُهُ وَطَوَافُهُ .

هَذَا تَقْلِيدُنَا لَكَ أَيُّهَا الشَّرِيفُ : فَطَبَّ نَفْسًا بِعَرِاضِنَا ، وَصَفِّحْنَا عَمَّا مَضَى وَمِنْحَنَا الرِّضَا حَقًّا بِقِيَّتِنَا ، لِأَنَّا نَتَحَقَّقُ أَنَّ الْإِحْسَانَ يَحْرُسُنَا وَيَقِيَّتُنَا ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



وهذه نسخة تقليد شريف لأمر مَكَّةَ الْمُشْرِفَةِ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا ، وَنَصَبَ فِيهِ لِلْقَائِمِينَ رُكْنًا ، وَجَعَلَ الْأَرْضَ الْحَرَمَ لَا تَبِيدُ بَرَكَاتُهَا وَلَا تَفْنَى ، وَجَعَلَ لَشَجَرَةِ النَّسَبِ الْمَهِاشِمِيِّ فِيهَا أَصْلًا شَرِيفًا كَمْ أُخْرِجَ غُصْنًا ، وَأَتَى نَبِيَّ الْحَسَنِ فِيهَا إِحْسَانًا مِنْ لَدُنْهُ وَحُسْنًا ، وَأَقَامَ مِنْهُمْ أَمِيرًا فِي ذَلِكَ الْحُلِّ الْأَسْنَى .

نَحْمَدُهُ فُرَادَى وَمُتَشَى ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً كَامِلَةً اللَّفِظِ وَالْمَعْنَى ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي شَهِدَ اللَّهُ بِهِ لِلدِّينِ خَيْرَ مَنِيٍّ ، وَأَوْصَحَ الصُّلُوحَ عَلَى حُبِّهِ تُحْنِي ، وَنَمَارُ الْخَيْرِ مَا بَيْنَ رَوْضَتِهِ وَمِنْبَرِهِ تُحْنِي ، وَخَصَّهُ اللَّهُ بِالشَّرْعِ الْمُسْتَقِيمِ وَالَّذِينَ الْأَهْنَى ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَوَجَّهَ صَلَاةً فِي الْمَسْجِدِ الْمَكِّيِّ ؛ وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا .

وبعد ، فإنَّ أمَّ القرى ، خير البلاد بلا مراء ، قد جعل الله للناس إليها رحلةً
وسرى ، وهجروا في قصيدهم إليها لذيذ الكرى ، ونصب فيها بيتاً ميتين العرى ، وأنبع
فيها يثراً ماؤها يشفي السقيم ويبرئ الورى ، وجعل فيها للشرف بيتاً عالي الذرى ؛
فأميرها المطاع ، من أهل بيت النبوة لا يُحبُّ ولا يُضاع ، ذوهمة تحافها السباع ،
ويرهبها البطل الشجاع ؛ يعدُّ من الآباء أسلافاً كراما ، كصايح السماء تجلو ظلاما ،
وقد طيب الله مقامهم وأعلى مقامهم حين جاوروا مقاما .

ولما كان هو شريف العرب ، المعرق في النسب ، الطيب الحسب ،
المحبي من آثار آبائه ما ذهب ، الشريف النفس : فلا يلتفت إلى العرض الأدنى
من الرقة وأكد شكره الحرم وأهله ، وأنشأ على صفاء سيرته الصفا وعلى مروءته
المروءة إذ طالب أصله ؛ قد آفتى في الكرم أباه وجده ، وأمن سبيل الحاج من جهة
البر ومن جهة البحر من جده .

فلذلك رُسم أن يفوض إليه فليحل البلد الحرام حاكماً وأمراً ،
وليس تجلب له من العاكف والباد شاكر ؛ وليحسن للطائفين والمالكين والرُكع
السجود ، وليتبع آثار آبائه أهل الكرم والجود ؛ وليؤمن الخائف في تلك الهائم
والنجود ، وليترجع الخائف عن حيفه فلا يعود ، ويعلم أنه بوادٍ غير ذي زرع ولكن
فيه للبركات ظلٌ ممدود ، وخير مشهود ؛ وبمكة مولدٍ أشرف مولود ، وجده الحسن
رضي الله عنه فيكن حسن الفعل فكما ساد بسود ، ويعرب عن الشئ الأبيض عند
ما يتمسك بتلك السور الأسود ؛ وليتلق المحمل الشريف في كل عام ، بالاحتفال
والإكرام ، والطاعة التي يبلغ بها المرام ، وليقف مع أمراء الحاج مقبياً لحرمتهم
بجميل الاحترام ، وليكف الأشرار من العيد والموالي ، عن التهب والتخطف لو قد

الله الذي قطع السرى بالأيام والليالي ، ويُلازم خدمة المحمل الشريف على ما يناسب شرفه ، حتى يقف بمرقه ، ثم يذفع إلى المزدلفه ، إلى أن يقضى الحج ويرحل من مكة المشرفة ، وليكن سياجا على الجمحاج ، في تلك الفجاج ، حتى لا يفقد أحدهم عقالا ، ولا يحسد آخرالا ، ويرحلون عن مكة المعظمة من الذنوب خفافا وبمتنه تقالا ، والوصايا كثيرة وهو غني عن أن نطيل له فيها مقالا ، وتقوى الله فمن تمسك بها حسن حالا ، وأتم أهلها كرمكم الله أهلا وآلا ، والله الله في حفظ جانب الصحابة رضي الله عنهم فليردع عن الخوض فيهم جهالا ، والله يجعله مغمورا مسرورا بنعم الله تعالى ، بمنه وكرمه ! .



وهذه وصية لأمر مكة ، أوردتها في "التعريف" :

وليعلم أنه قد ولى حيث ولد بمكة في سورة بطحائها ، وأمر عليها ما بين بطن نعلينا إلى بقوة روحانها ، وأنه قد جعلت له ولاية هذا البيت الذي به تم شرفه ، وطئت غرفه ، وعرف حقه له أبطلحه ومعرفه ، إذ كان أولى ولاية هذا الحرم بتعظيم حرمة ، وسرور جوانبه بما يلوح من البشر على قيماته ، ولأنه أحق بنى الزهراء بما أبقته له آبؤه ، وألقته إليه من حديث قصي جدّه الأقصى أنبؤه ، وهو أجدر من طهر هذا المسجد من أشياء يتره أن يلحق به فحش عايب ، وشنعاء هو يعرف كيف يتبعها «وأهل مكة أعرف بشعابها» .

فلتلق راية هذه الولاية باليمين ، ولتوق ما يتخوف به ذلك البلد الأمين ، وليعلم أنه قد أعطى الله عهدَه وهو بين ركن ومقام ، وأنه قد باع الله : والله عزز دوائنقام ، وليعمر تلك المواطن ، ويعمر به المسار والقاطن ، وليعمل في ذلك

(١) في الأصل «نمرة» والصحيح من "التعريف" (ص ١٠٤) .

بما يُبَحِّثُ عَنْهُ نِجَارُهُ ، وَيَأْمَنُ بِهِ سُكَّانُ ذَلِكَ الْحَرَمِ الَّذِي لَا يُرَوِّعُ حَمَامُهُ فَكَيْفَ
جَارُهُ ؛ وَلْيُنِصِّصْ إِلَى أَسْمِهِ [عَزَّ وَجَلَّ] حَيْثُ يُعْلَنُ بِهِ الدَّاعِي عَلَى قُبَّةِ زَمْرَمٍ فِي كُلِّ مَسَاءٍ
وَلْيَعْرِفْ حَقَّ هَذِهِ النِّعْمَةِ ، وَلْيَعَامِلْ مِنْ وَلِيِّ عَلَيْهِمْ بِمَا يَلِيقُ أَنْ يَعَامَلَ بِهِ مِنْ وَقَفٍ نَحْتِ
مِزَابِ الرَّحْمَةِ ؛ وَقَدْ أَكَّدَ مَوْجَهُ وَاللَّهُ اللَّهُ فِي تَقْضِهِ ، وَمَدَّ يَدَهُ عَلَى الْخَيْرِ الْأَسْوَدِ
يَمِينِ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ ؛ وَلْيَنْبَصِّرْ أَيْنَ هُوَ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ آسَأْتَمَنَهُ عَلَى بَيْتِهِ الَّذِي بَنَاهُ ، وَسَلَّمَهُ
إِلَيْهِ بِشَعْرَةِ الْحَرَامِ وَمَسْجِدِ خَيْفِهِ وَمِنَاهُ ؛ وَإِنَّهُ الْبَيْتُ الْمَقْصُودُ : وَكُلُّ مَنْ تَسَوَّقَ حِمَى
لَيْلَى فَأَمَّا قَصْدَهُ أَوْ لَمَلَعَ بَلَمَلَعَ فَأَمَّا عَنَاهُ ؛ وَفِي جَمْعِهِ يَجْتَمِعُ كُلُّ شَيْءٍ ، وَفِي لَيْلَى
مِنَاهُ يَطِيبُ الْمَيْتَ ؛ وَبِمُحْصِيهِ تُقَامُ الْمَوَاسِمُ ، وَتَقْتَرُ الثُّغُورُ الْبَوَاسِمُ ، وَتَهْبُثُ مِنْ قَبْلِ
تَهْمَانِ الرَّيْلِخِ التَّوَاسِمُ ؛ وَفِي عَقْوَةِ دَارِهِ مَحَطُّ الرِّحَالِ فِي كُلِّ عَامٍ ، وَمَقَرُّ كُلِّ ذَاتِ عُدُو
تُجْنَبُ قِلْعٌ وَعُوْدٌ تُقَادُّ بِزِمَامٍ ؛ وَإِلَيْهِ تُضْرِبُ التِّجَارُ الْبَرَارِيُّ وَالْيَحَارُ ، وَتَأْتِيهِ الْوُفُودُ
عَلَى كُلِّ قِطَارٍ يُجَدِّى مِنَ الْأَفْطَارِ ؛ وَكُلُّ هَؤُلَاءِ إِمَّا يَأْتُونَ فِي ذِمَامِ اللَّهِ بِبَيْتِهِ الَّذِي
مَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ، وَإِلَى مَحَلِّ آبَنِ بَنَتْ نَبِيَّةٌ الَّتِي يَلْزِمُهُ مِنْ طَرِيقِ رِأْسِ الضَّيْفِ
مَا أَخَذَ لَهُمْ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ ضَامِنًا .

فَلْيَأْخُذْ بِنِيطَاعِ مَنْ عَصَى ، وَلْيَرْدَعْ كُلَّ مُفْسِدٍ وَلَا سِيَّامِ الْعَبِيدِ فَإِنَّ الْعَبْدَ
الْمُفْسِدَ لَا يَزُجُّهُ إِلَّا الْمَصَا ؛ وَلْيَتَلَقَّ الْجُنَّاحَ بِالرُّحْبِ وَالسَّعَةِ ، فَهَمَّ زُورُهُ وَقَدْ دَعَاهُمْ
إِلَى بَيْتِهِ وَإِنَّمَا دَعَاهُمْ إِلَى دَعَا ؛ وَلْيَتَلَقَّ الْحِمْلَ الشَّرِيفَ وَالْعَصَائِبَ الْمَنْصُورَةَ ،
وَلْيُعْذَمْ عَلَى الْعَادَةِ الَّتِي هِيَ مِنَ الْأَدَبِ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى مَعْنَى وَمَعْنَى صُورِهِ ؛ وَلْيَأْخُذْ
بِخَوَارِطِ التِّجَارِ فَإِنَّهُمْ سَبَبُ الرِّفْقِ لِأَهْلِ هَذَا الْبَلَدِ وَتَوْسِيعَةِ مَا لَدَيْهِمْ ، وَالْمُسْتَجَابُ فِيهِمْ
دَعْوَةُ خَلِيلِهِ إِبْرَاهِيمَ - صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ - إِذْ قَالَ : ﴿ وَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ
تَهْوَى إِلَيْهِمْ ﴾ . وَلَا تَحْتَفِظْ أَمْوَالَهُمْ بِفَرَامَةٍ قَلَّ بِهَا الْغَنَمُ ، وَلَا بظُلَامَةٍ فَإِنَّهُ بِإِزَاءِ هَذَا

الْبَيْتِ الَّذِي يَرُدُّ دُونَهُ مَنْ أَرَادَ فِيهِ الْخُلَادَا بَطْلُمْ ، وَلْيَنْظُرْ كَيْفَ حُسِسَ دُونَهُ الْغَيْلُ ،
وَلْيَكُفَّ عَادِيَّةً مَنْ جَاوَرَهُ مِنَ الْأَعْرَابِ حَتَّى لَا يَتَخَفَ ابْنُ سَيْبِلٍ ، وَلْيَقُمْ شُعَايَرُ
الشَّرْعِ الْمَطْهَرِ ، وَأَوَامِرَ أَحْكَامِهِ الَّتِي قَامَتْ بِأُيُوبَهِ : بِحُكْمِ جَدِّهِ سَيِّدِنَا عَمِّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسَيِّفِ أَبِيهِ حَيْدَرَ . وَلْيَأْمُرْ طَوَائِفَ الْأَشْرَافِ وَأَشْيَاعَهُمْ وَسَائِرَ أَهْلِ
مَوَالِيهِمْ وَأَتْبَاعَهُمْ بِزُيُومِ مَا كَانَ عَلَيْهِ صَالِحُ السَّلَفِ وَمَا عَلَيْهِ الْإِجْمَاعُ ، وَتَجَنَّبَ مَا كَانَتْ
الرَّيْدِيَّةُ زَادَتْ فِيهِ وَكَفَّ الْأَطْلَاعُ ، وَلْيَتَّقِ اللَّهَ فَإِنَّهُ مَسْئُولٌ لَدَيْهِ عَمَّا اسْتَرْعَاهُ
وَقَدْ أَصْبَحَ وَهُوَ لَهُ رَاعٍ ، وَإِيَّاهُ أَنْ يَتَكَلَّ عَلَى شَرَفِ بَلَدِهِ ، فَإِنَّ الْأَرْضَ لَا تُقَدَّسُ
أَحَدًا ، أَوْ شَرَفَ عَمِيدِهِ ، فَإِنَّ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا يَنْفَعُ وَلَدٌ وَالِدًا وَلَا وَالِدٌ وَلَدًا .

الوظيفة الثانية

(قَضَاءُ مَكَّةَ ، وَيَكْتَبُ بِهِ تَوْقِيعٌ فِي قَطْعِ الثَّلَاثِ بِ«السَّامِيِّ» بِالْيَاءِ)

وهذه نسخة تَوْقِيعِ بَقْضَاءِ مَكَّةَ الْمَشْرِفَةِ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْفَذَ الْأَحْكَامَ ، بِالْبَلَدِ الْحَرَامِ ، وَأَيَّدَ كَلِمَةَ الشَّرْعِ فِي بَلَدِهِ
وَمَنْشَأَهُ بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمَقَامِ ، وَجَمَّلَ الْإِنْصَافَ الْجَزِيلَ ، حَوْلَ حِجْرِ إِبْرَاهِيمَ ،
مُتَّبِقِ النَّظَامِ .

نَحْمَدُهُ حَمْدًا حَسَنَ الدَّوَامِ ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً
عَبِيدَ قَانِمٍ بِحَقِّهَا أَحْسَنَ التَّيَامِ ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا عَمِّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ السَّامِيَّ مِنْ وَلَدِ
سَامٍ ، وَالَّذِي قَامَ اللَّهُ حَتَّى وَرِمَتْ مِنْهُ الْأَقْدَامُ ، وَأُسْرِىَ بِهِ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَاءِ
مَرَّتَيْنِ : فِي الْيَقَظَةِ وَالْمَنَامِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَئِمَّةَ الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ ،
وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا .

وبعد ، فإن وظيفة القضاء بمكة المعظمة هي أجل منصب بتلك الأباطيح ، ونورها في الجبين لا يخفى ؛ فإن الشرع نشأ منها والوحي أنزل فيها فزيت البطائح ، وظهرت النصائح ، وأطربت الصوايح ، وأسكتت النوايح ، وغمرت المنائح ، وانتشرت المصالح ، فمن ولي الحكم بها وعدل فذلك هو العدل الصالح ؛ وكيف لا ؟ وما زمرم شرابه ، واستار البهت تمشها أنوابه ، وعل الله أجره وثوابه ؛ وفي ذلك الجباب الشريف كرم جنابه ، وإذا دعا الله عند الملتزم جاءه من القبول جوابه .

ولما كان فلان هو فرع النوحة المنيرة ، ومحصل من العلوم الشرعية المائدة المؤفّرة ، وله البحوث التي [هي] عن أحسن القوائد وغرر القرائد مسفرة ؛ ورضي أهل الحرم ، لما جيل عليه من خير وكرم ، [تمسك] بالروة الوثقى والقوى الأثنى فلا جرم .

فلذلك رسم - لا زال -

فليكن في أم القرى ، كالوالد المشفق على الورى ؛ ولتمسك من القوى بأوثق الرما ، وليخش رب هذا البيت أنه سميع عليم ويرى ، وقد الله قطعوا إليه المراحل في السرى ، ليصالحوا كفه المضمخ عتبا ؛ وليقض بين الخصوم بالحق فثله من درأ الباطل : قد جعله الله جار بيت عالي الثرا ، وفي أرض شرف الله جبالها وقدر غيراتها فيها غار تور وغار حرا ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتعبد في غار حرا ، وأوى إلى غار تور لما هاجر مؤيدا مظفرا ؛ والوصايا كثيرة وملاكمها تقوى الله فليتمسك بها من أمام وورا ، والله تعالى يجعل نهاره متورا ، وليله مقمرا ؛ بئنه وكرمه !

القاعدة الثانية

(المدينة النبوية، وبها ثلاث وظائف)

الوظيفة الأولى

(الإمارة)

والأمر فيها على مامر في إمارة مكة المشرفة .

وقد تقدم أن إمارتها في نبي الحسين بن علي بن أبي طالب رضى الله عنهما ،
ويكتب لها تقليد في قطع النصف بـ «المجلس العالي» أيضا بالقاب مخصوصة ،
وقد تقدم ذكر ألقابه .

وهذه نسخة تقليد شريف بإمارة المدينة النبوية ، كُتِبَ به للأمرير بدر الدين
«ودى بن جمار» من إنشاء المقر الشهابي بن فضل الله ، سقى الله عهده :

الحمد لله الذى صرّف أمرنا فى أشرف القاع ، وشرف قدرنا بملك ما أتعقد على
فضله الإجماع ، وعرف أهل طينة الطيبة كيف طلع البدر عليهم من ثنيات الوداع ؛
وأمتها بوذى صغر للتجيب وإلا فهو واد متدفق الأجراع .

نحمده على نعمة التى أغنت مهابط الوحي عن آرقاب البرد اللّاع ، وأرقاه النظر
مع بدره المنير إلى كل شمس سافرة القناع ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك
له شهادة محمد من الضلال ما شاع ، ومن الدّع ما استطار له فى كل أفق شماع ؛
ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله أشرف من أنفت به حجة الامتناع ، وإلفت

(١) سبق ضبطه مرارا في ج ٤ بالتكرير تبعا لضبط النسخة والظاهر ما هنا .

بنا سُنَّته أن ترعى لأهلها ولا تُزاع، وعصفت رِيحها بمن يحالى دينه فقال إلى
الابتداع، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين ليس في فضل أحد منهم نزاع؛
وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد، فإن الاهتمام بكل جهة على قدر شرفها، وعلى حسب الدرّة الثمينة كرامة
صدفها، واليكامة بجرها، والقامة بمطهرها، والمالأة بما يحلو الدجى من قريها،
والمدينة الشريفة النبوية لولا ساكنها ما عاجت إليها الركائب، ولا ناجت حدائقها
غُر السحاب، ولا وقفت بتأرج شذا الروضة الغناء بها الجنائب، ولا بكى مقيم
دمن العقيق بمشله من دم ذائب؛ ولا هاج إليها البرق متألقا، ولا هام صب فيها
بقلبيات سلع والنقا؛ ولكنها متوى النبوة ثراها، ومهوى الرسل جنبها، ومأوى
كتاب الله الفسيح رحاها؛ دار الهجرة التي تعالت شمس الشريعة بأفئها، وتوالت
محبب الهدى من بين أبييرها؛ وهى ثانية مكة المعظمة في فضلها إلا ماذهب إليه
في تفضيلها على مكة مالك بن أنس، ومنها أنبعثت للهدى قوارة كل نور وشعاع
كل قيس؛ وكانت لنبى هذه الأمة صلى الله عليه وسلم أبى داريه، وأعلى سماء
حوث ثلاثة أقدار منه ومن جاريه .

ولما كان بها لبعض الولاء من الشيعة مقام، ولم فيها تحامل لا يجوز معه
من الانتقاد إلا الانتقال أو الانتقام؛ حتى إنه فيما مضى لما كثر منهم على بغض
الصالحين - رضى الله عنهما - الإضرار، وأشرأبوا في التظاهر بسبهما إلى هناك
الاستار؛ دب من النار في هذا الحرم الشريف ما تعلق بكل جدار، وأبث لما حية
الغضب إلا أن يطهر ما ستنه أيدي الروافض بالنار؛ فلما اتصل بنا الآن أن منهم
بقايا وجدوا آباءهم على أمه، واقتنوا بهم في ملعب الإمامية بما لا أراد الله تعالى

ولا رسوله صلى الله عليه وسلم ولا أولئك الأئمة ؛ وحضر المجلس العالي الأميرى،
الأصيلى، الكبيرى العادلى، المجاهدى، المؤيدى، الرضى، المقدسى، الذرى،
الكافى، الشرى، الحسى، النسى، الأوحى، البدرى : عز الإسلام
والمسلمين ، شرف الأمراء فى العالمين ، نصره الغزاة والمجاهدين ؛ جمال العزة
الطاهرة ، جلال الأسرة الزاهرة ؛ طراز العصابة العلوية ، كوكب الدرية الدرية ،
خلاصة البقية النبوية ؛ ظهير الملوك والسلاطين ، نسيب أمير المؤمنين ؛ ودى بن
بحار الحسينى - أدام الله تعالى نعمته - بين أيدنا الشريفة بمحضر قضية القضية
الأربعة الحكماء ، وقدّم بأن مع طلوع بذره المنير لا تبقى ظلامه ولا ظلام ، وتكفل
لأهل السنة بما أشهدنا الله به عليه ومن حضر ، وتلقى بإظهار فضل الترتيب كما هم
عليه : النبي صلى الله عليه وسلم ثم أبو بكر ثم عمر ؛ فما اختصهما الله بجواره إلا ليبت
لها على غيرها إفضالا ، وليجمل قبورهما فى معرفة أقرهم منه درجة مثالا ؛ لما
تواترت به الأحاديث الشريفة فى فضائلهما مما هو شفاء الصدور ، ووفاء بعهده
إذ يقول : « عليكم بسنى وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى عضوا عليها
بالنواجيد وإياكم ومحدثات الأمور » ؛ فلم يسعنا إلا أن نجعل له منا تقليدا
يحوي مجده ما حدث من أحداث البدع ، ويمجد من عهد جده نيتنا صلى الله
عليه وسلم فى معرفة حق أصحابه رضى الله عنهم ما شرع ؛ وثوقا بأنه من بيت كان
أول هذا الدين الحنيف من لله ، ومبدأ هذا الحق الظاهر ما أئتمه ومثلته فى سلفه
الشريف بأقارب متصله ؛ وأنه هو المورث من الفخار ما ورثه عن آبائه الكرام ،
المحدث عن كرم الحدود بما لا يحقر له جوار أو يخفر ذمام ؛ المشرق من الأسرة
العلوية بذرا تما ، المحقق به من الكواكب العلوية ما يظن به (؟) أبا تسمى وأبنا

تسأى ، المتخَبُّ من آباء صدق أحسن في ديارهم الصنيع ، وحَفَظ من حَسَمِ
الكرام ما أوشك أن يَضِيع ، واستضاءَ بلامعة من هُدًى سَلَفِهِ السابق ، وهامعة من
تَدًى ما يرويه السحابُ عن الجود والبرِّ عن المَهَارِق ؛ تَهْتَرُ بِمَقْدَمِهِ المدينةُ سرورا ،
وتَفْتَرُّ بِهَا مِنْهُ بِسَبِّ كَأَنَّ عَلَى نَفْسِهِ من شَمْسِ الضُّحَى نُورا ، ويتبَاشَرُ مَا بَيْنَ
لَابَتَيْهَا بَيْنَ يَمْحَى حِمَاهَا ، وَيُحْيَى عُجَاهَا ، وتَشَوُّفُ مِنْهُ رُبَا كُلِّ ثَنِيَّةٍ إِلَى أَبْنِ جَلَاهَا ،
وطلَّاعُ ثَنَاهَا ، مع ما لا يُحْصَدُ من أنْ له فيها من أبيه حقُّ الوراثَةِ ، وأنه لما
كان هذا ثَانِيِ المسجِدَيْنِ احتاج إلى ثَانِيِ أَشْتَيْنِ تعظيماً للواحد وفِرَاراً من الثَلاثَةِ ؛
ليكونَ هو ومن فيها الآن بمنزلة يَدَيْنِ كِلَاهُمَا قَبْلَ الأُخْرَى ، وأُذَيْنِ كِلَاهُمَا تَوَعَّى
دُزَا ، وَصَيْنِ مَانِمَا إِلَّا مَا يُدْرِكُ أمراً بعيداً ، وِفَرَقْدَيْنِ لا يَصْلُحُ أن يكون أحدهما
فَرِيداً ، وَفَرَيْنِ لا يَنْطَلُبُ أحدهما على الآخرِفى التسمية بالقمرين ، وعمرين وكفى
شرفاً أن لا يُوجَدَ في الفضل ثالثٌ للعمرين .

فُرمم بالأمر الشريف العالى ، المولوى ، السلطانى ، المَلَكى ، الفُلانى - زاد الله
به المواطن شرفاً ، وزاد به البواطن الشريفة حبا وشغفا - أن يفوضَ إليه نِصْفُ
الإمرة بالمدينة الشريفة على ساكنها أفضلُ الصلاة والسلام ، شريكاً للأَمِيرِ سَيْفِ
الدين ابن أخيه ، وَرَسِيلاً معه فيما يليه ، ولكلِّ منهما حقٌّ لا يكاد الآخرُ يُخْفِيهِ ،
هذا له بَرُّ الوَلَدِ وهذا له حرمةُ الوَالِدِ لِأَنَّ ابن الأَخِ وَلَدٌ وعمُّ الرَّجُلِ صِنُو أبيه ؛ فَتَقَسَّمُ
الإمرة بينهما نِصْفَيْنِ ، وتوسَمَ جِبَاهُ الكُتُبِ الصادرةِ عنهما لما بَأْسَمَيْنِ .

والوصايا تمتد من عنانها ، وتمتد من أعيانها ؛ فَأَوَّلُهَا تَقْوَى الله فَلَهَا من شعائر
القلوب ، وبشائر الغيوب ، وأما زنجار كلِّ مَطْلُوبٍ ، والاعتصامُ بالشرعة الشريفة :
فَلَهَا الحبلُ الممدود ، والحبلُ الذى كَمَ دُونَهُ من عَقَبَةِ كَشُودٍ ، والاكْتِهَاءُ إلى مانص عليه

الكتاب والسنة والإجماع ، وقص جناح من ماله به الموى إلى مجاذبة الأطلح ، وتلقى
وفد الله الزائر بما إليه نزول هذا الحي من كرامة الملقى ، وتوقى المذمة فلأنها دس
لا يحمده مثله ققاء هذا النقا ؛ ونفى بالمذمة ما نسب إلى الروافض من البدع التي
لا تظهرها غير السحاب ، ولا يستريح معها لدخول المسجد الطاهر من قنبح بمقامه
حواله التيمم بالتراب ؛ ولا يدع أحدا من هذه الفرقة الضالة بعلى ولا يعيره بما
يكون به مثله ، ولا يشبه قلبه في محبة أهل البيت - سلام الله عليهم - بإناء امتلأ
ماء ولم يبق فيه فضله .

ولا يظن جاهل منهم أن عليه - كرم الله وجهه - كان على أحد من الصاحبين
معاتبا أو عائب ، أو أنه تأول في خلافتها معتقدا أن أحدا منهم غاصب ؛ فإنا تأخر
عن الشيعة الأولى قليلا إلا لأشتغاله بما دهمه بموت رسول الله صلى الله عليه وسلم
من المصائب ، وإلا فقد أخذ أم ولد من سبي أبي بكر رضى الله عنه لا كما يدعيه
كل كاذب ، وقد تزوج عمر بن الخطاب رضى الله عنه أخته أم كلثوم وأقام بأمره
الحدود وناب عنه وهو غائب ؛ فيكف من عادية هؤلاء الروافض الأشرار ما سيصلون
في الموافقة بناره ، وسيصلون إلى الموافقة على ما طار من شراره ؛ ولا يدع للإمامية
إماما يقتدى به منهم قوم شرار ، ولا قاضيا يقضى بينهم : فإنه إنما يقطع لمن قضى
له أو عليه قطعة من نار ؛ ولا عالما يرفع له علم ، ولا يفتح لهم بفتوى على مذاهبهم
فم ، حتى ولا ما يتحرك به في قيم الدواة القلم .

وليطهر هذا المسجد الشريف من دنسهم ، وليربط ما يجله أديم مجلدات التصانيف
من تحميمهم ، وسكان هذا الحرم الشريف ومن أقام عندهم من المجاورين ، أو خالطهم
من زمر المقيمين والسائرين ؛ يحسن لأموالهم الكفالة ، ولا يتعرض لأحد منهم
بما يؤذي نفسه ولا يتاله ؛ فهم في جوار نينا صلى الله عليه وسلم وفي شفاعته ،

وَكُلُّهُمْ تَزِيلُ حَرَمِهِ وَمَكْثَرُ سَوَادِ جَمَاعَتِهِ ؛ وَحَقُّهُمْ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ فَكَيْفَ عَلَى حَامِي ذَلِكَ الْحَقِّ ، بَلْ مِنْ لَهُ إِلَى نَسَبِهِ الشَّرِيفِ مُتَمِّىٌ .

وَأَحَبُّ رَفِيقِكَ الْمَعْرُوفُ فَإِنَّكَ مَفْتَرِقَانِ وَالسَّيِّدُ مِنْ لَا يُدْمُ بِعَدِّ فِرَاقِهِ ، وَمُسْتَفِيقَانِ إِلَى كُلِّ مُوَرِّدٍ لَا يُدْرَى أَيْكُمَا الْمُحْدَثُ فِي سَبَاقِهِ ؛ وَمُسْتَفِيقَانِ عَلَى فَرْدٍ أَحَدٍ وَأَفْضَلُكُمَا مِنْ دَاوَمِ صَاحِبِهِ عَلَى إِرْفَاقِهِ ، وَصَحْبِهِ عَلَى وِفَاقِهِ .

وَأَمَّا مَا لِلْمَدِينَةِ الشَّرِيفَةِ مِنْ تَهَانٍ وَتُجُودٍ مُضَافَةٍ إِلَيْهَا ، وَمُسْتَظَلَّةٍ بِمُجْدِرِهَا أَوْ مُتَقَدِّمَةٍ فِي الصَّحْرَاءِ عَلَيْهَا ، فَهِيَ وَمَنْ فِيهَا : إِمَّا أَنْ تُوجَدَ بَقُلُوبِهِمْ فَهَمُّ أَعْوَانٍ ، وَإِمَّا أَنْ تَفَرَّ فَهَمُّ أَشْبَهَ شَيْءٍ بِالْإِبْلِ إِذَا تَفَرَّتْ تَمَلَّقَ بِذَنْبِ كُلِّ بَعِيرٍ شَيْطَانٌ ؛ فَأَقْرَبُهُمَا إِلَى الْمَصْلُحَةِ تَقْرِيبُهُمْ ، وَتَأْلِيفُهُمْ بِمَا يَقْرُبُ بِهِ بَعْدَهُمْ وَزِدَادُ قُرْبَى قَرِيبِهِمْ ؛ وَالرُّكْبَانُ الَّتِي تَقْدُ بِهِمْ بَحَارُتُ الْأَصْبَاحِ وَالْمَشَايَا ، وَيَعْتَقِدُ كُلُّ مِنْهُمْ فِي مَعَايِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ الشَّرِيفَةِ أَنَّ تَمَامَ الْحَقِّ أَنْ يَقِفَ عَلَيْهَا الْمَطَايَا ؛ فَهَمُّ هُجُودٍ سُرِّى ، وَوُفُودٍ قُرِّى ، وَرُكُودٍ فِي أَفْقِ الرِّجَالِ خَلَعَتْ مُقْلَهُمْ عَلَى النُّجُومِ الْكَرِّى ، وَمَعَهُمُ الْمُحَامِلُ الشَّرِيفَةُ الَّتِي هِيَ مُلْتَفٌّ شِعَابُهُمْ ، وَمَحْتَفٌّ رُكَابُهُمْ ؛ وَهِيَ مِنْ أَسْرَرَتِنَا الْمَرْفُوعَةِ ، وَمَبَرَّتِنَا الْمَشْرُوعَةِ ؛ فَعَظُمَ شِعَاتُ حُرْمَاتِهَا ، وَقَبِلَ أَمَامَ مَنَابِرِهَا الْمُثَلَّةِ مَرَاكِرَ رَايَاتِهَا ؛ وَأَكْرَمَ مِنْ جَاءَ فِي خِفَارَتِهَا ، وَمَنْ جَالَ فِي دُجَى اللَّيْلِ لَا يَسْتَضِيءُ إِلَّا بِمَا يَلِدُو مِنْ إِشَارَتِهَا ، وَقَدْ أَشْهَدْنَا عَلَيْكَ مَنْ هُوَ لَكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خَصِيمٌ ، وَأَنْتَ وَشَأْنُكَ فِيمَا أَنْتَ بِهِ عَلِيمٌ .

وَبَاقِي الْوَصَايَا أَنْتَ لَهَا مُتَقَطِّنٌ ، وَعَلَيْهَا مُتَوَكِّلٌ ، وَمَا يَنْفَعُ الشَّرِيفُ بِحَسَبِهِ ، إِنْ لَمْ يَكُنْ عَمَلُهُ بِحَسَبِهِ ؛ وَلَا يَرْفَعُ بِنَفْسِهِ ، إِنْ لَمْ يَتَجَنَّبْ مَكَانَ تَنَسُّبِهِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يُرَبِّعُ بِدَوَامِ شَرَفِهِ ، وَلَا يَضِيعُ لَهُ أَجْرُ حَالٍّ عَمَلُهُ الصَّالِحَ وَسَلَفُهُ ، وَالْإِعْتَادُ



وهذه نسخة تقليد شريف بإمرة المدينة النبوية ، على ما كتبها أفضل الصلاة والسلام :

الحمد لله الفرد بلا شريك ، الواحد لا من أعداد تقتضى التشريك ، المليك الذى يتناهى إليه هليل كل ملك .

نحمده حمداً بكل مواهب التملك ، ونحمد عواقب التسليك ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تصدع التشكيك ، وتصد كل إفك ، وتسد خلل التدريك ؛ ونشهد أن محمداً عبده ورسوله خير من حى به عريك ، وحى عليه تريك ، وحمل حتى نأى له التحرير فى التحريرك ، ونأى وما فاته على أعدائه النصر الوشيك ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة تخلص كالأهب السيك ، وترفع ما شيد وتمتع ماشيك ؛ وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد ، فلما كانت المدينة الشريفة النبوية - على ما كتبها أفضل الصلاة والسلام - حرماً لا يستباح ، وحى ليس إلا لمن انتهكه دم مباح ، وجناباً ما على من حله جناح ، ومهيط وحى لا يمسح بأركانه لغير الملائكة جناح ؛ ولا يمسك بعصمة من أغضى فيه على قذى ، وسكت لساكنيه على أذى .

ولما اتصل بنا عن الروافض مالا صبر لمسلم يرجو الله واليوم الآخر عليه ، ولا وجه لمن قنع فيها بإخراج يديه ؛ ولا غنر لمن لقي الله مفضياً لما يئى إليه ، لامفضياً لما ينال رسول الله صلى الله عليه وسلم من التعرض إلى صاحبه ، مما تقاضى منا ما يغو ظلامه الممتد ، وظلمه المشتد ، ويدعهم فسواً من أبدعها ومن ارتد - فكتاً بتقليدنا الشريف من أعطى الله وأعطانا على قوله مؤثماً ، وجرّد عزائمنا لا تردّها من

خَدَعَهُمُ الرُّقَى ؛ وَأَشْهَدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَمَنْ حَضَرَتْهُ لَا يَدْعُ هَذِهِ الْفِرْقَةَ الضَّالَّةَ حَتَّى يَدْعُ
يَتِيمَهَا ، وَيُعِدُّ لِقَائِلِ السُّيُوفِ حَاطِمَهَا : مِمَّا تَضْمَنَهُ نَصُّ مَا ضَى ذَلِكَ الْقَلِيدُ ،
وَمَا ضَمَّ ذِكْرُ مَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ؛ وَنَبَّهْنَا عَلَى أَنَّهُ بَدْرٌ لَمْ يَبْقَ
مَعَ طُلُوعِهِ ظُلُمَةٌ وَلَا ظُلَامَةٌ ، وَلَا إِضَاعَةٌ وَلَا إِضَامَةٌ ، وَلَا مَا تَجَنَّبُ بِهِ الرُّكَّابُ^(١)
تَمَامَ الْحَجِّ فِي مَوَاقِفِهَا ، وَلَا تُشْكِرُ مَا جَهِلَتْ فِي قِيَابَاتِ قُبَاهٍ مِنْ مَعَارِفِهَا ؛ وَتَرَدُّ أَعْطَانَهَا
وَلَا يَسُوقُهَا إِلَى الْأَبْرِقِ بَارِقٌ عَلَى أَطْلَالِهِ ، وَلَا يُسَجِّبُهَا إِنْ خِيلَ لَهَا فِي النَخِيلِ مَقِيلٌ
فِي ظِلَالِهِ .

وكان المجلس العالى - أدام الله تعالى نعمته هو المتكفل بتطهير ذلك الحرم
الشريف من ألم كل قول فُتِرَ ، ولم كل باطل يُلمَّ بَقْطَةٍ أَوْ طَيْفٍ كَرَى ، وإزالة
كل شئ فيها على من أَمَلَ قَرَى أَمْ الْقَرَى ؛ وإماتة كل يدعة تُسَكَّبُ عَلَى مِثْلِهَا الْعَبْرَاتُ ،
وإمالة كل أذى من طريق مئى والجمرات ، ومنع شقاشق شيعة تنلى مراحيلها من
الزفرات ، وقطع كل تجوى يُنادون بها من وراء المحجرات ، وقطع طائفة لولا إقامة
حدود الله لكفاهم ما يقطع أُنْجَادَهُمْ مِنَ الْحَسَرَاتِ ؛ وكان بها من أولاد أخيه ، بل
بعضه منه وبعضه من بنى أبيه ، من انتهى عما تحلى به شيم الشريف الشريفه ،
وأنهى إلى ما لا يعنيه ولا يُغْنِيهِ فى تأخير خليفة وتهديم خليفه ، وأهمل حقوقاً
عواقبها مع الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم تحيقه ، وأوهم عقوقاً لأفعاله بل
له لقوله : « دَعَا إِلَى أَصْحَابِي فَلَوْ أَتَقَى أَحَدُكُمْ مِثْلَ أَحَدٍ ذَهَبًا مَا أَدْرَكَ مُدَى أَحَدِهِمْ
وَلَا نَعِيفُهُ » . ونرى يتصل بنا فى هذا المعنى ما لا يُقَالُ مما يُهَالُ عنهم ، ويصل
أذاهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صاحبيته وقد قال : « إن أهل الدرجات

(١) مراده إضاعة الحق كله أو قص شيء منه إلا أن لم نجد فيها بأدبنا من كتب اللغة من هذه المادة

فلا رباغيا ليكون هذا مصدرا له ولعله استعمل اللغة العامية ترويحاً للسجع .

الْعَلَىٰ لَبَّاسِهِمْ مَن تَحْتَهُمْ كَمَا يَرَوْنَ النُّجُومَ الطَّالِعَ فِي أَفْقِ السَّمَاءِ ، وَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرُ مِنْهُمْ »^(١)
 يطلبون في التقديم على من قلده الله رَدَّ فَاثِتٍ مَا جَرَىٰ بِهِ الْقَدَرُ ، وَيَضْرِبُونَ صَقْعًا
 عَمَّا لَا أَرَادَهُ اللَّهُ وَلَا رَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قَوْلِهِ : « لَا أَذْرِي مَا قَدْ بَقِيَ لِي
 فِيكُمْ فَاقْتُلُوا بِالَّذِينَ مِنْ بَعْدِي : أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ » . مع ما أضيف إلى هذا من
 قَوَادِحِ نَوَابِ ، وَفَوَاتِحِ أَبْوَابِ ، وَحَوَادِثِ تُرْغِي مَقَرَّ النُّبُوَّةِ أَنْبَاءُهَا ، وَتَمْتَدُّ عَلَى مَشَارِقِ
 الْأَنْوَاءِ غُلْبًا أَهْوَاءُ ، وَتُغَيِّرُ عَوَائِدِ الْوُسُودِ فِي كَرَامَةِ زَائِرِهِمْ ، وَإِدَامَةِ بِشَاشَةِ الْمُتَقَيِّ
 لَسَائِرِهِمْ ، وَأَمِنْ سِرِّيهِمْ أَنْ يُرَاعَ ، وَيُسَرِّهْمَ أَنْ يَتَمَثَّلَ بِهِ لَغَيْرِ بَرَقِ شُعَاعِ ، وَصَحْمِهِمْ
 إِلَى ذَلِكَ الْحَيِّ الَّذِي لَا يُضَامُ نَزِيلُهُ ، وَلَا يُرَامُ فِي طَرِيقِ الْمَجْرَةِ سَيْبِلُهُ ، وَلَا يُضَلُّ
 سَائِرَ إِلَيْهِ وَوُجُوهُ سُكَّانِ الْحَيِّ دَلِيلُهُ ، وَلَا يُضَيِّعُ وَقَدْ تَلَقَّاهُ مِنَ النَّسِيمِ يَلِيلُهُ يَلِيلُهُ ،
 وَلَا يَحْفُفُ وَقْفَةَ الْمُرِيبِ وَضَوْءُ الصَّبَاحِ مِنْ أَيْمَنِ النَّقَا قَنْدِيلُهُ ، وَلَا يَتَحَنَّى وَشَعْبُ ذَلِكَ
 الْحَيِّ شَعْبُهُ وَقِيلُهُ فِيهِلَهُ ، وَارَاحَةُ رِكَابِهِمْ الَّتِي أَزْجَعَهَا حَادِي السَّرِيِّ ، وَإِمَانُهُمْ
 بِقَرَبِ الْخَوَارِ عَوْضًا مِنْ دُمُوعِهِمْ عَمَّا جَرَى .

فَلَمَّا لَمْ يَبْقَ لِمَنْ أَشْرَفْنَا إِلَيْهِ - مِمَّنْ أَعْطَانَا عَهْدَ مَوْثِقِهِ ، وَسَارَ لَا يُرِيدُ إِلَّا تَقَاءَ تَقَاهُ
 وَبِرَاةَ أَرْقِهِ - إِلَّا أَنْ يُحِطَّ بِالْمَدِينَةِ الشَّرِيفَةِ رِكَابَهُ ، وَيُبْعِدَ الشُّكُوفَ مِمَّا لَا عَهْدَ مِنْ
 مَعَاهِدِهَا أَقْرَابَهُ - أَصْرَ مَنْ فِيهَا مِنْ ذَوِي قَرَابَتِهِ عَلَى مَنْعِهِ أَنْ يَدْخُلَهَا إِلَّا بِقِتَالِ يُحِلُّ
 مَقَاعِدَ الْحَرَمِ ، وَيَحِلُّ مَقَاعِدَ الْحَرَمِ ، وَيُشْمَلُ نَارًا يُصَلِّيُ بِهَا مَنْ لَمْ يَمْتَدَّ لَهُ يَدٌ إِلَيْهَا إِلَى
 وَقُودِ ، وَيَرُوعُ مِنَ الْآلِفِ فِيهَا مَنْ يَمْتَدُّ لَهُ فِي غَيْرِ مَرَاتِعِ غَزَلَانِ النَّقَا بِحِجَافِ قِيَامِ
 مَعْقُودِ ، وَقَدِمَ إِلَى أَبْوَابِنَا الْعَالِيَةِ مَنْ كَانَ فِيهَا مَقِيًّا ، وَأَنْعَمْنَا عَلَيْهِ بِإِقْبَاءِ النُّصْفِ

(١) مراد أنهم يطلبون في تقديم على رد فاثت ما أَرَادَهُ اللَّهُ مِنْ تَأْخِيرِهِ عَنْهَا وَيَرْكُزْنَ أَيْضًا مَا وَرَدَ
 فِي الْحَدِيثِ مِنَ الْأَمْرِ بِالْإِقْدَالِ بَعْدَهُ بِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ . إِلَّا أَنَّ الْمُبَارَاةَ سَلَّطَ عَلَيْهَا يَدَ النَّسَاخِ فَوَاحِشَتْ فِيهَا مَا غَيْرَ
 مَبْنَاهَا وَشَوْشَ مَتْنَاهَا - تَأَمَّلْ .

(٢) فِي الْأَصْلِ مَقَاعِدُ وَهِيَ تَصْغِيرُ .

فغاثه الكلُّ لم لم يفتَحْ أَنْ يَكُونَ قِسيًا ؛ فابَتْ حِيتَنَا لله ولرسوله صَلَّى الله عليه وسلم
ولذلك المواطن المعظمة إِلَّا أَنْ تُطَهَّرَها مما أسبَلَتْ على سريره أذْيالُها ، وما أطلّقت
على مَضْضِهِ الأليمِ أحمالًا .

فريم بالأمر الشريف - لازال قدره عاليًا ، ويره لا يخلج بؤدى ولا يخلج مواليا -
أن تفوض إليه إمرة المدينة الشريفة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والسلام :
مستقلًا بإغاثتها ، مستهلًا بحابه على أرجائها ؛ إمرة فتتوَّجُّ جميعها ، وتُسَوِّى
لمراسمها ربابها وربوعها وعاصيها ومطيعها ؛ وتهايمها ونجودها ، وقربها وبعيدها ؛ وكلَّ
ما يدخل لها فى حدٍّ ، وينتظم لها فى عدِّ وأهل حاضرتها وباديتها ، وما تحف عليه
من السحب (؟) ركائب رواعيها وغاديتها ؛ ومن تتبسّم بهم شايها ، وتتسّم لهم أرواح
بكرها وعشايها ؛ ومن يضمُّهم جناحها المفضل ، ويلبّثهم وشاحها المفضل ؛
ويجمعهم جيشها السائر ، ويلفّهم فى شملة الدجى قرورها الزاهر - فهو يضا يدخل فيه كلُّ
شريف ومشروف ، ومجهول ومعرّوف ؛ ومستوطن من أهلها ، وغريب آتت [به]
إليها مطارح سبلها ؛ ما فيه تأويلٌ ، ولا تعليلٌ ، ولا استثناء ، ولا أنثناء ، ولا تخرج منه
الأرض المغبرة ولا الروضة الغناء ؛ لأشبهه فيه لداحض ، ولا حجة لمعارض ؛ يستقلُّ
بها جميعها بذر التمام ، وبره الغمام ، وبحره الذى يابى قريده أن يؤاخى فى نظام ؛
وأمره الذى يتلقّى به عن الثقة من سادات يته مقاليد الأحكام ، وتقاليد مايمرى
به القلم ويمضى السيف الحسام ؛ إفرادًا له فى التحكيم ، وأنفةً لئله من ضرر
التقسيم ، وإفرادًا من الشركة المشتقة من الشرك : (إِنَّ الشَّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ) . ولا بة
تامة ، طامه ؛ كامله ، شامله ؛ لا يبقى من أهل نجد من لا يدخل فى حكمها ، ويتضاف

إلى قسَمِها ؛ تَقَابِلُ السَّوَابِقُ فِي غَايَاتِهَا ، وَتُحَاوِلُ الْجَحَافِلُ تَحْتَ رَايَاتِهَا ؛ وَيَسُدُّ مَعَ أَهْلِ
بَدْرِفِيَا ، وَيُسَدُّ مِنْ حَقُوقِهَا مَا يُوقِيهَا .

وقد سبق من الوصايا ما فيه غنى ، إلا ما لا تخل العوائد به مما يُذكر هنا ؛ وقد
حَوَيْتَ بِحَمْدِ اللَّهِ فِي جَمِيعِ طِبَاعِكَ ، وَجَمِيلِ أَتْلِبَاعِكَ ؛ مِنْ حَقِّ أَعْتَامِكَ ، وَصَدَقَ
أَتْرَامَكَ ؛ مَا هُوَ كَالسَّنَا لِلشَّمْسِ ، وَالْمُنَى لِلنَّفْسِ ؛ مِمَّا تَحْسُدُ عَلَى شَرَفِهِ النُّجُومُ ،
وَتَتَأَفَّسُ الْعِلْيَاءُ مَا تَعْلَقُ بِهِ النُّيُومُ .

فَكُلُّ بِتَقْوَى اللَّهِ شَرَفَكَ ، وَأَتَّبِعْ فِي الشَّرِيعَةِ سَلَفَكَ ؛ وَكَلِّبْ اللَّهَ الْمُتَزَلِّ ،
أَنْتُمْ أَهْلُ بَيْتٍ فِيكُمْ تَزَلُّ ، وَسَنَةُ جَدِّكُمْ سَيِّدَنَا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَهْمَلِ ،
وَهِيَ بِجَدِّكَ الْمُؤْتَلِّ ، وَمَعْرِفَةُ حَقِّ مَنْ مَضَى عَنْكَ ، وَإِلَّا فَعَمَّنْ تُقَلِّ ، وَمِنْكُمْ ، وَالْإِفْعَمْنَ
تُؤَمِّلُ ؛ وَإِزَالَةَ الْيَدِجِ وَالْأَفْلَئِ شَيْءٌ سَيُوفِكُمْ تُصَقِّلُ ، وَ[لِمَاذَا] رِمَا حَكَمُ تَعْدَلُ ؛
وَالرَّافِضَةُ وَفُلَاةُ الشَّيْعَةِ هُمْ دَنَسٌ مِنْ انْتَهَى إِلَى هَذَا الْبَيْتِ الشَّرِيفِ بُولَانِهِ ، وَسَبُّ
وَقُوفٍ مِنْ يَقْصِدُ الدُّخُولَ تَحْتَ لَوَائِهِ ؛ فَهَمْ وَإِنْ حُسِبُوا مِنْ أَمْدَادِهِ ، لَيْسُوا -
وَحَاشَى نَوْرِهِ السَّاطِعِ - إِلَّا مِنَ الْمَكْثَرِينَ لِسَوَادِهِ ؛ أَرَادُوا حِفْظَ الْمَوَدَّةِ فِي الْقُرْبَى
فَأَخْلَوْا ، وَقَصَدُوا تَكْثِيرَ عَدِيدِهِمْ فَقَلُّوا ؛ وَأَقْبَ مِنْ هُوَ بَرٌّ مِنْ سُوءٍ مُنْعَبِهِمْ ، أَنْ
يَتَظَاهَرُوا بِالْوَلَاءِ فَيُعَدَّ مِنْ أَهْلِ الْيَدِجِ بِسَبَبِهِمْ ؛ مَعَ أَنَّهُمْ طَمَعُوا فِي رِضَا اللَّهِ فَاخْطَأَتْهُمْ
الْمَطَالِيعُ ، وَصَحِيحٌ أَنَّهُمْ زَادُوهُمْ عَدَدًا إِلَّا أَنَّهُمْ كَرَّادَةُ الشَّيْءِ أَوْ كَرَّادَةُ الْأَصَابِعِ .

فَصَمَّ عَزَمَكَ عَلَى مَا عَاهَدْتَ اللَّهَ عَلَيْهِ مِنْ رَفْعِ أَيْدِي قَضَائِهِمْ ، وَمَنْعِهِمْ هُمْ وَمَنْ
أَتَّبَعَ خُطُوبَاتِ الشَّيْطَانِ فِي سَبِيلِ مَرْضَاتِهِمْ ؛ وَحَذَرَهُمْ مِمَّا لَا يَسُودُ مَعَهُ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ
سِتْرٌ يُسْبِلُ ، وَلَا يَبْقَى بَعْدَهُ لَغَيْرِ السَّيْفِ حُكْمٌ يُقْبَلُ ؛ فَنَ خَاضَ لِلْسَّلَفِ الصَّالِحِ يَمَّ دَمَّ

(١) الزيادة من "الترغيف" ص ١٠٧ .

(٢) في القاموس : الشغيا السن الخافقة الخارجة عن نية الأسان .

أغرق في تياره ، أو قدح فيهم زناد عتاد أحرق بناره ؛ والزّم أهل المدينة الشريفـ
على ساكنها أفضل الصلاة والتسليم - بكلمة السنة فلنأ أول مارُفعت بتلك المواطن
المعظمة أعلامها ، وسمعت في تلك الحجرة المكرمة أحكامها ؛ مع تَفْهِية آثار ما ينشأ
على هذه البدعة من الفتن حتى لا ينعقد لها قعٌّ مثار ، وتوطئة أكثاف الحِجَى لِصَلَا
يُبقَى به لبطل في مدارج نُظُفهِ عتار ؛ والوصية بسُكّان هذا الحرم الشريف ومن يزل
به من تزيل ، ويُحاور به مستقرّاً في مهاد إقامة أو مُستوفِراً على جناح رجيل ؛
ومن يهوى إليهم من ركائب ، ويأوى إليهم من رُفّة مالت من نسوات الكرى بهم
راقصات النجائب ؛ ومن يهسل من رُجّان الآفاق ، وإخوان نوى يتشاكّون إليهم
مرّ الفراق ؛ ومن يتلاق بهم من طوائف كلهم في بيوت هذا الحى عشاق ، وأثم
شقى جموعهم : من مِصر وشام ويمن وعراق ؛ وما يصل معهم في مَسِيل وفودنا ،
وسيل جودنا ، وعامِلنا الشريفة التي يُنصب لنا بها في كلّ أرض سرير ، وأعلامنا
التي ما سُميت بالعِقبان إلا وهى إليها من الأشواق تطير ؛ ففى شِعْرَت بِمَقْدَم رِكابهم ،
أو برقت لك عوارض الأثمار من سماء قبابهم ؛ فبادر إلى تلقّيمهم ، وقبل لنا الأرض
في آثار مواطنهم ، وقم بما يجب في طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم
وطاعتنا [وأخرج عنهم كلّ يد ولا تُخْرِجهم عن جماعتنا^(١)] .

وأهل البادية هم حُرْبُك الجيش اللهم ، وحُرْبُك إذا كان وقودها جثث وقام ؛
وهم قوم لم يؤدّبهم الحضّر ، ولا يليت أحد منهم لا تفتنه على حذر ؛ فاستجلب
بمداراتك قلوبهم الأشنات ، وبادر حبال إيلهم النافرة قبل البتات ؛ وترقب مراسمتنا
المطاعة إذا دُرّت لك مشارفها ، وتأهب لجهاد أعداء الله متى لمعت لك من
الحروب بوارقها ؛ وأحسن كما أحسن الله إليك ، ولولا أنّ السيف لا يحتاج إلى حلية

(١) الزيادة من الوصية الآتية بعد من التعريض (ص ٨ - ١٠) :

لأُطْلُنَا حَائِلَ مَا تُغْلِيهِ عَلَيْكَ ؛ فَا شَهِدَ الشَّرِيفُ بِصَحَّةِ نَسَبِهِ ، أَرْكَأَ مِنْ عَمَلِهِ
بِحَسَبِهِ ؛ وَاللهُ تَعَالَى يَقْوَى أَسْبَابَكَ الْمَيْتَنَةِ ، وَيُتَّخِذُ الْعِيُونَ بِلَوَائِعِكَ الْمَيْتَنَةِ ، وَيُمْسِكُ
بِكَ مَا طَالَ بِهِ إِزْجَافُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ؛ وَالْاعْتِمَادُ



وهذه نسخةٌ تقليدٍ بإمرة المدينة النبوية ، وهى :

الحمد لله الذى خصَّ بالنصرة ، دارَ الهجرة ، وأطلع للايمان بحجره ، بتلك الهجرة ،
وطيب طيبة وأودع فيها سليل الأمره .

نُحْمَدُهُ حَمْدًا ثَامِنًا بِهِ مَكْرَهُ ، وَنُشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً
عَبْدٌ تَمَسَّكَ بِالْحَجِّ وَتَنَسَّكَ بِالْعُمْرَةِ ، وَنُشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِى شَرَّفَ اللَّهُ
قَدْرَهُ ، وَأَفْضَلَ أَمْرَهُ ، وَأَيْدَهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ ، وَكَانَ أَكْرَمَ النَّاسِ فِي الْعِشْرَةِ ، وَأَتَّخَى
الْعَالَمِينَ إِذْ يَسْطُرُ بِالْجُودِ رَاحَتَهُ فَا أَسْمَحَ عَشْرَهُ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
صَلَاةً ثَبَّتَتْ فَجْرَتَهَا مِنَ الْأَرْضِ فَأَتَّصَلَتْ فُرُوعُهَا بِالسَّدَرِ ؛ وَسَلَّمَتْ تَسْلِيمًا .

وبعد ، فَإِنَّ الْمَدِينَةَ النَّبَوِيَّةَ مَعْدِنُ الْمُهْدَى وَالْوَقَارِ ، وَمَسْكَنُ الرِّضْوَانِ وَالْأَنْوَارِ ،
وَمَهْطُ الْمَلَائِكَةِ الْأَرْبَارِ ، وَمَنْزِلُ الْوَحْيِ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَدَارُ الْهِجْرَةِ لِلنَّبِيِّ الْمُخْتَارِ ،
وَرُبَّةٌ مَدْفِيهِ الزَّائِكِي الْمِغْطَارِ ، تُسَدُّ الرِّجَالَ إِلَيْهَا مِنْ أَقَاصِي الْأَقْطَارِ ، وَيَأْتِي إِلَيْهَا
الظَّالِمُونَ لِأَنفُسِهِم بِالْإِسْتِغْفَارِ ، فِيرْجِعُونَ وَقَدْ مُجِيتٌ عَنْهُمْ الْأَوْزَارِ ، فَقُلُوبُ أَهْلِ
الْاِسْتِثْقَاءِ مُقِيمَةٌ فِي فِنَاءِ تِلْكَ الدَّارِ ، وَإِنْ كَانَتْ أَجْسَامُهُمْ بَعِيدَةً مِنْ وَرَاءِ الْبِحَارِ ،
وَبِهَا مِنْ آلِ الْبَيْتِ سَادَةُ أَطْهَارِ ، وَأَمْرَاءُ كِبَارِ ، يُتَقَرَّبُ إِلَى اللَّهِ بِحُبِّهِمْ فِي الْإِعْلَانِ
وَالْإِحْتِمَارِ ، وَيُتَوَسَّلُ بِوَلَايَتِهِمْ فِي دَعْوَةِ الْأَنْصَارِ ، قَدْ صَبَّحُوا إِلَى كَرَمِ الرَّاحَةِ ، وَسَمَاحَةِ

الأشجار المرتاحة ؛ شجاعة وبسالة ، وعلوية فعالة ، وعمسكا بالمروءة المعروفة بشرف
الأصالة ؛ وهم يتوارثون إمرتها عن آباء سادات ، وكرام لهم في الفضل عادات .
ولما كان فلان هو بقية الأسرة المتضوعة ، وثمره الشجرة المتفرعة ؛ والمخصوص
بالوصف الذي رفعه ، والقول الذي أتبعه حين سمعه . ما زال في المدينة النبوية
على ساكنها أفضل الصلاة والسلام مشكور الطريقة ، محفوظ الوثيقة ، معروف
الحقيقة ، موصوف الآثار الحسنة بين الخليفة ، يتعنى لكل صالحة من تلك الروضة
الشريفة المثمرة الوريقة ؛ ويحيي السرح أن يتهب ، ويطفئ نار الفتى لما تتهب ،
ويظلم المجاورين والواردين والقادمين على حيي سيد العجم والعرب .

فلذلك رسم أن يستقر

فليحل هذا الربع المعمور بالثقي ، وليأشر هذه الإمرة الشريفة زادها الله علوا
وارتقا ؛ وليستعمل السكينة فإنها جميلة اللقا ، وليسلك الأدب مع ساكن النقا ،
وليتمد على حسن اليقين فإنه له وقا ، وقد جاور العقيق فأصبح بقلائده الفاحرة
مطوقا ، وليحكم بالعدل في بلد نشأ منه العدل والإنصاف فئد أجتمعا فيه ما أفرقا ،
وليصن شرفه من الولوج في فتته ، وليغمد سيفه ولا يشهره في وقت محته ؛ ويحقي
الدماء أن تراق ، ويتلق الزوار بالإرفاق ، فإنهم جاءوا من أفاصي الآفاق ، رجالا وعلى
النياق ، تحمهم الصبابة والأشواق .

وكلمة الشرع وشعار السنة فليكن معظما لما باتفاق بغير شقاق ، وشيخ الحرم
الشريف وخدّامه ومجاوريه فليكرمهم بحسن الأخلق ، ومجاور
عن مسيئتهم بطيب أخلاق ، وحواصل الحرم الشريف المخزونة فيه فليكن محبة من
التبذير في وقت الإتفاق ، وتلك دارهم سكاها الطيبو الاعراق ؛ والتقوى فن يهتم

الشريف آثارها الإشراق ، وطيبهم نزل القرآن والتَّحريم والطلاق ، فإذا عسى
أن نوصيه وهو أهل الفضل على الإطلاق ، والله تعالى يجعل نجاحه في الفخر مجلِّه
في السَّباق، بِنِّه وكرمِه ! .



وهذه وصية لأُمير المدينة أوردتها في "التعريف" ، وهي :

فَكُلِّ بِقَوَى الله شَرَفَكَ ، وَأَتَّبِعْ فِي الشَّرِيعَةِ شَرَفَكَ ؛ وَكُتِبَ لِلَّهِ الْمَزَلُ ،
أَنْتُمْ أَهْلُ بَيْتٍ فِيكُمْ تَزَلُّ ، وَسُنَّةُ جَدِّكَ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَهْلِهِ ،
وَهِيَ مَجْدُكُمْ الْمُوَالَى ، وَمَعْرِفَةُ حَقِّ مَنْ مَضَى ، عَنْكُمْ ، وَالْإِفْعَمُّ شَقْلُ ، وَمَنْكُمْ ، وَالْأَفْعَمُّ
تَوَمُّلُ ، وَإِزَالَةُ الْبِدْعِ وَالْأَفْلَئُ شَيْءٌ سُبُوفَكُمْ تُصَقِّلُ ، وَلَمَّاذَا رِمَا حُكْمُ تَمَلُّدُ ؛
وَالرَّافِضَةُ وَغَلَاةُ الشَّيْعَةِ هُمْ دَنَسٌ مِنْ أَنْتَهَى إِلَى هَذَا الْبَيْتِ الشَّرِيفِ بَوْلَانِهِ ، وَسَبَبُ
وُقُوفٍ مِنْ يَقْصِدُ الدُّخُولَ تَحْتَ لَوَائِهِ ؛ فَهَمُ وَإِنْ حُسِبُوا مِنْ أَمْدَادِهِ ، لَيْسُوا -
وَحَاشَى نُورِهِ السَّاطِعِ - إِلَّا مِنَ الْمَكْتَرَيْنِ لَسَوَادِهِ ؛ أَرَادُوا حِفْظَ الْمُوَدَّةِ فِي الْقَرَبِ
فَأَخْلَوْا ، وَقَصَدُوا تَكْثِيرَ عَدَدِهِمْ فَقَالُوا ؛ وَأَيْفَ مَنْ هُوَ بِرَىءٍ مِنْ سُوءِ مَذْهَبِهِمْ ، أَنْ
يَتَظَاهَرُوا بِالْوَلَاءِ فَيَعُدَّ فِي أَهْلِ الْبِدْعِ بِسَبَبِهِمْ ؛ مَعَ أَنَّهُمْ طَمِعُوا فِي رِضَا اللهِ فَأَخْطَأَتْهُمْ
الْمَطَامِيعُ ، وَصَحِيحٌ أَنَّهُمْ زَادُوهُمْ عَدَدًا إِلَّا أَنَّهَُا كَرِيَادَةُ [الشَّيْءِ أَوْ كَرِيَادَةُ] الْأَصَابِعِ .

فَصَمَّ عَزَمَكَ عَلَى مَا عَاهَدْتَ اللهُ عَلَيْهِ مِنْ رَفْعِ أَيْدِي قُضَاتِهِمْ ، وَمَنْعِهِمْ مِنْ اتِّبَاعِ
خُطُواتِ الشَّيْطَانِ فِي سَبِيلِ مَرَضَاتِهِمْ ؛ وَحَدَّرَهُمْ مِمَّا لَا يَبُودُ مَعَهُ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ سِتْرُ
يُسْبِلُ ، وَلَا يَبْقَى مَعَهُ لَغِيرِ السَّيْفِ حُكْمٌ يَقْبَلُ ؛ فَمَنْ خَاضَ لِلسَّلَفِ الصَّالِحِ يَمَّ دَمٌ أَغْرَقَ
فِي تَيَّارِهِ ، أَوْ قَدَحَ فِيهِمْ زَنَادٌ عِنَادٌ أَحْرَقَ بَنَارَهُ ؛ وَأَلْزِمَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ الشَّرِيفَةِ النُّبُوَّةَ

(١) الزيادة من "التعريف" - (ص ١٠٧) ومن التقليد الذي سبق ، انظر (ص ٢٥٢) .

بكلمة السنة فإنها أول ما رُفِعت بتلك المَواطِنِ العظيمةِ أعلامُها ، ومُسمِتٌ في تلك
 النجوة المَكْرَمَةِ أَحكامُها ، مع تَعَفُّي [آثار] ما ينشأ على هذه البِدْعَةِ من الفِتَنِ حتَّى
 لا يَنقُصَ لها قَعٌّ مُثار ، وتَوَطُّعُ أَكْخاف [ذلك] الحِمَى لِثَلَاثِيٍّ به لِمُبْطَلٍ في مدارجِ نُطقِهِ
 عِثار ، والوصيةُ بِسُكَّانِ هذا الحَرَمِ الشريفِ على الحالِّ به أَفضلُ الصلاة والسلام
 ومن يَزل به من تَزيل ، ويَجاوِرُ به مُستَقَرًّا في مِهَادِ إقامة أو مُستَوَقِّرًا على جَنَاح
 رَحِيل ، ومن يَوى إِلَيْهِم من رُكَّاب ، ويَأْوِي إِلَيْهِم من رُفَّة مالت من نَشَوَاتِ الكَرَى
 بِهِم راقِصَاتُ النَجَاطِ ؛ وَمَن يَصِلُ من رُكَّانِ الآفاق ، وإِخْوَانِ نَوَى يَنشَأ كَوْنُ
 إِلَيْهِم مُرَّ الفِرَاق ؛ ومن يَتَلَقَّى بِهِم من طوائِفِ كُلِّهِم في بُيُوتِ هذا الحِمَى عِشاق ،
 وأُممٌ شَتَّى جُوعُهُم من مِصْرٍ وشام [وِمين ^(١)] وعِراق ؛ وما يَصِلُ مَعَهُم في مَسِيلِ
 وَفُودِنَا ، وسَبِيلِ جُودِنَا ؛ وَحَامِلِنَا الشَّرِيفَةِ الَّتِي يُنْصَبُ لَنَا بِهَا في كُلِّ أَرْضٍ سَرِير ،
 وأَعْلَامِنَا الَّتِي ما تُسَمِّتُ بِالْعِقبانِ إِلَّا وهى إِلَها من الأَشْواقِ تَطِير .

فَمَن شَعَرَتْ بِمَقْدَمِ رِكَابِهِم ، أَوْرَقَتْ [لك] عَوَارِضُ الأَقْمارِ من سَماهِ قِيَامِهِم ؛
 فَبَادِرٌ إِلَى تَلَقِّيهِم ، وَقَبْلُ لَنَا الأَرْضُ في آثارِ مَوَاطِنِهِم ، وَقَمٌّ بِما يَجِبُ في طاعةِ الله
 وطاعةِ رَسولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَطَاعَتِنَا ، وَأَخْرَجَ عَنْهُمْ كُلَّ يَدٍ وَلَا تُخْرِجُهُم
 عن جَمَاعَتِنَا .

وَأَهْلُ الباديةِ هم حَزْبُكَ الجَيْشُ اللَّهُام ، وَحَرْبُكَ إِذَا كَانَ وَقُودُهَا جُثْثٌ وَهَام ؛
 وَهَمُّ قَوْمٍ لَمْ يُوَدِّهِمُ الحَضَرُ ، وَلَا يَبِيْتُ أَحَدٌ مِنْهُمْ لَأَنفَتِهِ عَلَى حَدَرٍ ؛ فَاسْتَجَلِبْ
 بِمَدَارِنَاكَ قُلُوبَهُم الأَسْثَنَاتِ ، وَبَادِرْ جِبالَ إِلَيْهِم النَّاْفِرَةِ قَبْلَ الأَيْنَاتِ ؛ وَرَقِّبْ
 مَراسِمَنا المِطَاعَةَ إِذَا ذَرَّتْ لَكَ مَشارِقُها ، وَتَاهَبْ لِجِهادِ أَعْداءِ اللهِ مَنى لَمَعَتْ لَكَ

(١) الزيادة من التعريف (ص ١٠٨) .

من الحروب بوارقها ؛ وأحين كما أحسن الله إليك ، ولولا أن السيف لا يحتاج إلى حيلة لأطلقنا حمائل ما نملكه عليك ؛ فاشهد للشريف بصحة نسبته ، أذكى من عمله بحسبه ؛ والله تعالى يقوى أسبابك المنيته ، ويمتنع العيون بلوامعك المنيته ، ويمسك بك ما طال به إرجاف أهل المنيته .

الوظيفة الثانية

(القضاء)

وكان في الزمن القديم بها قاض واحد شافعي ، ثم استقر بها قاضيان آخران : حنفي ومالكي ، يكتب لكل منهم توقيع في قطع التلث بـ «السامي» بإياه .

وهذه نسخة تقليد بقضاء الشافعية بالمدينة النبوية :

الحمد لله الذي جعل الشرع الشريف دافق السيول ، وفي طيبة له الأصول ؛ ومنها نسا وتفرع فله في البسيطة عموم وشمول ، وكل قطر به مشمول ، وكل ربع به مأهول ، وتأكد به المعلوم وتبدد به المجهول ، وزالت الشرائع كلها وهو إلى آخر الدهور لا يزول .

نحمده وحده يعطول ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة عمرت [بها] طلول ، ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله أشرف رسول ، وأكرم مأمول ، وأفضل مسئول ، ومهتد من سيوف الله مسئول ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه .
الطبي الفروع والأصول ؛ وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإن الشرع الشريف معده في أرض قوى خير الرسل فيها ، ومقشاه في بلد ملائكة الله تحميها ؛ فلا يلي أفضية الناس إلا من طالت ذوائب عليه ،

وأشرقت نَوَاقِبُ قَهْمِهِ ، وَبُنِيتْ عَلَى الْأَصُولِ قَوَاعِدُ حُكْمِهِ ، وَتَحَلَّى بِالْبُورِجِ فَجَلَّ
فِي سَمَاءِ النِّجَاةِ كَنَجْمِهِ .

ولما كان فلانٌ هو الذي جَذَبَتْهُ السَّعَادَةُ إِلَى مَقَرِّهَا ، وَخَطَبَتْهُ الْمَغْفَرَةُ إِلَى مَوْطِنِ
رَبِّهَا ، وَأَهْلَتْهُ الْأَقْدَارُ إِلَى جِوَارِيِّ هَوَاتِمِ الْأَنْبِيَاءِ وَفَاتِحِ أَمْرِهَا ، وَأَصْبَحَ لِحُكْمِ
فِي الْمَدِينَةِ ، مُسْتَحَقًّا لِمَا فِيهِ مِنْ مَكِينَةٍ ، وَتَحْصِيلِ لِلْعِلْمِ وَمِنْ حَصْلِ الْعِلْمِ
كَانَ اللَّهُ مُعِينَهُ .

فلذلك رسم أن يستقر

فَلْيَا شَرَّ مَنْصِبًا جَلِيلًا فِي عَمَلٍ جَلِيلٍ ، وَلْيَعْلَمْ أَنَّ سَائِرَ الْأَنْصَارِ تَقِيطُهُ وَتَحْسُدُهُ
وَمَا لِمَنْصِبِهِ مِنْ مِثْلٍ ؛ أَيْنَ يُوجَدُ سِوَاهُ فِي كُلِّ سَبِيلٍ ؟ مِنْ قَاضٍ هُوَ بَسِيْدُ الْمُرْسَلِينَ
تَزِيلٍ ، وَمِنْ يُضْبَحُ وَيُمْنَى جَارًا لِلْمُسْتَجِيرِ فِي الْمُخْشِرِ الطَّوِيلِ .

فاحْكُمْ بَيْنَ نَاسٍ طَيِّبَةٍ بُورِجٍ وَتَأْصِيلٍ ، وَتَحْرِيرٍ فِي تَحْرِيمٍ وَتَحْلِيلٍ ، وَأَتَّقِ اللَّهَ فِي كُلِّ
فِعْلٍ وَقِيلٍ ، وَأَسْتَقِمَّ عَلَى الْحَقِّ حِذَارًا أَنْ يَمِيلَ ، فَصَاحِبُ الشَّرْعِ أَنْتَ مِنْهُ قَرِيبٌ
وَالنَّبِيُّ مِنَ اللَّهِ قَرِيبٌ وَحَبِيبٌ وَخَلِيلٌ ، وَمَا ذَا عَسَى أَنْ تُوصِيَهُ وَهُوَ بِحَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى
كَالْنَّهَارِ لَا يَحْتَاجُ إِلَى دَلِيلٍ .

وَأَمَّا الْخَطَابَةُ : فَارْقُ دَرَجَ مِثْرِيهَا ، وَشَفِّ الْأَشْمَاعَ مِنْ أَلْفَاظِكَ بِدُرِّهَا ؛ وَحَرِّ
مَا تَقُولُهُ مِنَ الْمَوَاطِظِ فَإِنَّ صَاحِبَ الْعِظَاطِ يَسْمَعُكَ ، وَتَوَاضَعُ لَكَ فَإِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُكَ ؛
وَهَذَا الْمَرْقُوفُ فَقَدْ قَامَ فِيهِ النَّبِيُّ الْأُمِّيُّ سَيِّدُ الثَّقَلَيْنِ ، وَمِنْ بَعْدِهِ الْخَلِيفَتَانِ قُرْنَا الْعَيْنِ ،
وَمِنْ بَعْدِهِمَا عُثْمَانُ ذُو النُّورَيْنِ ، وَعَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَبُو الْحَسَنِ ؛ فَاخْشَعْ ، عِنْدَ
الْمَطْلَعِ ، وَأَصْدَعْ ، بِمَا يَنْقَعُ ؛ وَأَنْظُرْ لِمَا يَقُولُهُ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

هناك يسمع ، وقاضى المدينة وخطيبها يرجو أن ليس للشيطان فيه مطمع ، والله تعالى يحوز له الخير ويجمع ، بمنه وكرمه ! .

الوظيفة الثالثة

(مشيخة الحرم الشريف)

وقد جرت العادة أن يكون له خادمٌ من الخَصِيانِ المعبر عنهم بالطواشيَّة ، يُعينُ لذلك من الأبواب السلطانية ، ويكتب له توقيعٌ في قطع الثلث بد «المجلس السامى» بالياء مفتوحا بـ «الحمد لله» .

وهذه نسخة توقيع شريف من ذلك :

الحمد لله الذى شرف بخدمة سيد الرسل الأقدار ، وقصّل بالتأهل للدخول في عداد كرمه بخيمته من آخاره لذلك من المهاجرين والأنصار ، وجعل الاختصاص بمجاورة حرمه أفضل غاية تُجرُّ لبلوغها الأوطان والأوطار ، وعجل لمن حل بمسجده الشريف تبوأ أشرف روضة تَرُدُّها البصائر وتزودها الأبصار .

نحمده على نعمه التى أكملها خدمة نبيه الكريم ، وأفضلها التوفيق على مصالح مجاورى قُبرِ رسوله الهادى إلى الحق وإلى طريق مستقيم ، وأكملها الانتظام فى سلك خدمة حرمه [لأنها] بمنزلة واسطة العقد الكريم النظيم ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة مُزَلِّفة لديه ، مُقَرَّبَة إليه ، مدخرة ليوم العرض عليه ، ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله أشرف نبي بُعث إلى الأسود والأحمر ، وأكرم من أنار ليل الشرك بالشرع الأقر ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين نغرت الحبيشة بهجرتهم الأولى ، ونجا النجاشي بما آتخذ عندهم من الساعة الحسنة واليد الطولى ، وأولى

يَلْتَمُّ من السُّبْقِ إِلَى خِدْمَةِ أَشْرَفِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ
أَفْضَلُ مَا يُؤْتَى؛ صَلَاةٌ لَا يَزَالُ شَهَابُهَا مُرْسِدًا، وَذِكْرُهَا فِي الْأَفَاقِ مُبِيرًا وَمُتَّحِدًا؛
وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وبعد، فَإِنَّ أَوَّلَ مَا اعْتَمَدَ عَلَيْهِ مَنْ آفَأَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ نِعَمِهِ، وَأَفَاضَ عَلَيْهِ مِنْ
مَلَائِسِ كَرَمِهِ، وَشَرَّفَ قَدْرَهُ بِأَنْ أَهْلَهُ لِنِخْمَةِ سَيِّدِ الرُّسُلِ بِلِ مَشِيخَةِ حَرَمِهِ؛ وَخَصَّهُ
بِرَبِّيَّةٍ هِيَ أَسْنَى الرُّتَبِ الْفَائِزَةِ، وَأَجْمَعُ الْوِظَائِفِ لِشَرَفِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ - مِنْ رَجَحِهِ
لِذَلِكَ دِينُهُ الْمَتِينِ، وَوَرَعُهُ الْمَكِينِ، وَزُهْدُهُ الَّذِي يَلْتَمُّ بِهِ إِلَى هَذِهِ الرُّتَبَةِ الَّتِي سَيَكُونُ
بِهَا - إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى - وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنْ الْمُقَرَّبِينَ .

وَلَمَّا كَانَ فَلَانٌ هُوَ الَّذِي ادْرَكَ مِنْ خِدْمَةِ سَيِّدِ الرُّسُلِ غَايَةَ سُؤْلِهِ، وَزَكَّتْ عِنْدَ
اللَّهِ هِجْرَتُهُ الَّتِي كَانَتْ عَلَى الْحَقِيقَةِ إِلَى اللَّهِ وَرِسُولِهِ؛ وَسَلَكَ فِي طَرِيقِ خِدْمَتِهِ الشَّرِيفَةِ
أَحْسَنَ السُّلُوكِ، وَأَتَتْهَتْ بِهِ السَّعَادَةُ إِلَى خِدْمَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
لِيُعْرِضَ بِمَوْجِهَتِهَا الْأَعْلَى عَنْ عَرَضِ خِدْمَةِ الْمُلُوكِ؛ وَقَازَ مِنْ مُجَاوَرَةِ الْحِجْرَةِ الشَّرِيفَةِ
بِمَا عَظُمَتْ عَلَيْهِ [بِهِ] الْمَنَّةُ، وَحَلَّ بِهِ مِمَّا بَيْنَ الْقَبْرِ وَالْمَتَرِ فِي رَوْضَةٍ مِنْ رِيَاضِ
الْجَنَّةِ؛ وَأَقَامَ فِي مَقَامِ جَبْرِيلَ، وَمَهْطِطِ الْوَحْيِ وَالتَّنْذِيلِ؛ يَتَفَقَّهُ ظِلَالِ الرَّحْمَةِ
الْوَارِقَةِ، وَيَتَبَيَّنُ مِنْ تِلْكَ النِّعْمَةِ بِالْعَارِفَةِ بَعْدَ الْعَارِفِ - تَعَيَّنَ أَنْ يَكُونَ هُوَ الْمُحَلُّ
بِقُدُودِ مَشِيخَةِ ذَلِكَ الْحَرَمِ، وَالتَّوَلَّى لِمَصَالِحِ هَذِهِ الطَّائِفَةِ الَّتِي لَهُ فِي التَّقَسُّمِ عَلَيْهِمْ
أَثْبَتُ قَدَمٍ .

فرسم بالأمر الشريف لا زال أن تفوض إليه المشيخة على خدام
الحرم الشريف النبوي: لعلهم بأنه العادل الورع، والكافل الذي يعرف أدب تلك

(١) لله "من أعتمد عليه من" الخ .

(٢) في الأصل "إليه" .

الوظيفة : من خدمة الرسول صلى الله عليه وسلم - على ما شُرع ؛ والزاهد الذي آثر جوار نبيه على ما سواه ، والخاشع الذي نوى بخدمته الدخول في زمرة من خدمه في حياته : « ولكل أمرئ ما نواه » .

فليستقر في هذه الوظيفة الكريمة قائماً بأدائها ، مشرفاً بها نفسه التي تشبثت من خدمته الشرفه بأهدائها ؛ سالكاً في ذلك ما يجب ، محافظاً على قواعد الورع في كل ما يأتي وما يجنب ؛ قاصداً بذلك وجه الله الذي لا يحب لراج أملاً ، ولا يضيع أجر من أحسن عملاً ؛ ملزماً مأكلاً من طائفة الخدام بما يقربه عند الله زلفى ، ويضاعف الحسنة الواحدة سبعين ضعفاً ؛ هادياً من ضل في قوانين الخدمة إلى سواء السبيل ، مُبدياً لهم من آداب سلوكه ما يغدو لهم منه أوضح هاد وأ نور دليل ؛ وفيه من آداب دينه ما يغني عن تكرار الوصايا ، وتجديد القضايا ؛ والله تعالى يسدده في القول والعمل ، ويوفقه لخدمة سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وقد فعل ؛ بمنه وكرمه .

القاعدة الثالثة الينبع

(وبها وظيفة واحدة، وهي النيابة)

وقد تقدم أن نيابتها في بني الحسن ، من بني قتادة أيضا . وعدل بها عن لفظ الإمارة إلى لفظ النيابة تصغيراً لثأنها عن مكة والمدينة . ويكتب لائبها مرسوم شريف في قلع الثلث «بالمجلس السامي» بغيرياء .

وهذه نسخة مرسوم شريف بنبابة الينبع ، كتب به «لخادم بن عقيل» في عاشر رجب الفرد سنة أربع وثلاثين وسبعمائة ، من إنشاء المقر الشهابي بن فضل الله ، وهو :

الحمد لله الذى أتمَّ لدولتنا الشريفة أنعمًا، وأحسن فى تقديم شريف كل قوم
تقدما، وأمضى فى كَفِّ كَفِّ الأعداء رُحْمًا ستمهراً وسيفاً مَحْدَماً .

نحمد حمداً يَكْثُرُ عددَ القَطَرِ إذا همى، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له
شهادة تؤمِّن بالإيمان عليها مُنْجِداً ومُنْهِمًا؛ ونشهد أنَّ عمداً عبده ورسوله الذى
شرف من إليه أنتمى، وعلى نسبه الشريف أرتمى، وبحجواره المنيب آختمى؛ صلى
الله عليه وعلى آله وصحبه الذين طلعوا فى صباح كلِّ نهارٍ شمساً وفى عيشة كلِّ ليلٍ
أنجماً؛ وسلَّم تسليماً .

وبعد، فإنَّ أولى من أعدنا له سعادة جَدَّة، وعدنا إلى عوائده الحسنى لأبيه
وجَدَّه ورِعَتْ صدقاتنا الشريفة له قَصْدَه الجليل، وشرفه الذى سما به من أصله
إلى النجم فرج لا يُبَالُ طَوِيلُ؛ وأقَرَّت عينه بسكِّنه، واستقرَّت به مراسمنا العالية
فى مسكِّنه؛ وأغتنى عنايتنا الشريفة عن أنتظار كلِّ نجم سعادة يطلع، وبعثت إليه كلَّ
خير إلى وطنه وهو «يَبْتِيع»؛ منزلةً نسبة الصميم، والحسب الذى يمسك به فى قومه
كلَّ كريم؛ والشرف الذى أنارت كواكبه، والوصف الذى ينظم الدرناقبه^(١) .

ولما كان المجلس السامى، الأمير، الأجل، الكبير، الشريف، الحسيب،
النسيب، الأوحد، العزُّد، النصير، الأصيل، فلان الدين، مجد الإسلام، زين
الأنام، شرف الأمراء الأشراف، نحر العترة الطاهرة، جمال الأسرة الزاهرة،
نسيب الخلافة، عضد الملوك والسلطين «مُحَمَّد بن عقيل» أيدى الله تعالى - هو
الذى تقدست إليه كُُلُّ إشارة، وحسنت به كلُّ شاره، وتجلت له بمراضينا
الشريفة من مخلق الشفق كلُّ بشاره، وحصل فى البتبع ما حصل من الاعتداء،
وأمنت الأيدي به إلى ما كان مُجْتَبِج بيت الله من وديعه، وطن أنه لا يشيع خبره

(١) لم يذكر خبرا لأن وهو معلوم من نظائره وكثيرا ما ورد كذلك ومنها عليه .

في البدء ، يخالف الواجب وتدعى الشريعة ، فاقضت آراؤنا الشريعة تفويضها إلى العارف منها بما يجب ، العالم من طريق سلفه الصالح بما يأتي فيها ويختبئ ، العاقل في طاعتنا الشريعة بما هو به ويمثله من أهل الشرف يليق ، الماشي في خدمتنا الشريعة وفي خدمة الوفود إلى بيت الله الحرام على الطريق .

فرسم بالأمر الشريف - أعلاه الله تعالى وشرفه ، وأنفذه وصرفه - أن تفوض إليه النيابة بالبيع على عادة من تقدمه وقاعدته إلى آخر وقت :

فليقدم تقوى الله في كل ما تقدم ، ويقف مع حكم الشرع الشريف فإنه المهم المقدم ، وليستوي بالحجاج خيرا فإنهم وفد الله وهو عليه سبقتهم ، وليؤمن الطريق فإنه بين حرمين : بيت الله ومسجد رسوله صلى الله عليه وسلم ؛ ولحفظ أمانة الله فيما يحل ويخلف عنده الحجاج كتب الله سلامتهم من وداعه ، ولأخذ بقلوب الحلابة فإنهم في توسيعهم على أهل الحرمين كللتهم وإن كانوا تجارا يضاعه ؛ ويوصل من تأخر من أبناء السبيل إلى مأمنهم ، ويخص بالعدل أهل بلده ليستقروا آمنين في موطنهم ، والرفق فهو الذي يحلله يزين ، ويحليه يستحسن ، والثاني في معرفة الحق من الباطل فإن به الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الباطل يبين ؛ ولزوم الطاعة ، التي أوجبها الله لنا على عباده وتدب إليها ، وملازمة الجماعة ، التي يكفيه من بركاتها أن يد الله عليها ؛ وإقامة الخيمة فيما قبله من البلاد ، وكل حاضر وباد ، وكل من كاد أو كاد ، أو تعرض لعناد العباد ؛ فمن أقدم على محذور ، أو تقدم إلى محذور ، أو ارتكب في الخلاف أمرا من الأمور ؛ بخروا بالبغي إلى مصرعه ، وحرك السيوف لمضجعه ، ودع الرمح الذي أعقله للشقاق يبيك للإشفاق عليه بأذنه ؛ وقد رأيت كيف

طَرِيقَتُنَا الْمُتَى، وَسِيرَتُنَا الَّتِي لَا تَجِدُ لَهَا مِثْلًا؛ فَاسْلُكْ هَذِهِ الْحَبَّةَ، وَحَبِّبْكَ أَنْ تُتَخَذَ
بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللَّهِ حُجَّةٌ؛ وَفِي هَذَا عَنْ بَقِيَّةِ الْوَصَايَا غَنَى، وَاللَّهُ يُزِيلُ عَنْكَ الْخَوْفَ
فِي الْخَلِيفِ وَيُسَلِّطُ الْإِنِّي فِي مَنِي؛ وَالْإِعْتَادَ

القسم الرابع^(١)

(مما يُكْتَبُ مِنَ الْوَلَايَاتِ عَنِ الْأَبْوَابِ السُّلْطَانِيَّةِ

بِالدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ - مَا يَقَعُ عَلَى سَبِيلِ النَّدْوَى، وَهُوَ الَّذِي يَقَعُ فِي حِينِ

مِنَ الْأَحْيَانِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَسْبِقَ لَهُ تَنْظِيرُ)

قَالَ الشَّيْخُ شِهَابُ الدِّينِ مُحَمَّدُ الْحَلَبِيُّ فِي "حُسْنِ التَّوَسُّلِ": وَيَحْتَاجُ الْكَاتِبُ فِيهِ
إِلَى حُسْنِ التَّصَرُّفِ عَلَى مَا يَحْتَضِرُهُ الْحَالُ .

[فَمِنْ ذَلِكَ] مَا يُكْتَبُ بِهِ لِلنِّيَابَةِ الْخَارِجَةِ عَنِ الْمَمْلَكَةِ إِذَا رَغِبَ فِيهَا مُتَوَلِّيًا .

وَهَذِهِ نَسْخَةٌ تَقْلِيدُ شَرِيفٍ مِنْ ذَلِكَ، كَتَبَ بِهِ الْمَوْلَى الْفَاضِلُ شِهَابُ الدِّينِ مُحَمَّدُ
الْحَلَبِيُّ لِمَتَمَلِّكَ سَيِّسَ، بِإِقْرَارِهِ عَلَى مَا هُوَ قَاطِعُ النَّهْرِ مِنْ بِلَادِهِ، وَهِيَ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَصَّ أَيَّامَنَا الزَّاهِرَةَ ، بِاصْطِنَاعِ مُلُوكِ الْمَلَلِ، وَفَضَّلَ دَوْلَتَنَا
الْقَاهِرَةَ، بِإِجَابَةِ مَنْ سَأَلَ بَعْضَ مَا أَرْزَنَتْهُ لَهَا الْبَيْضُ وَالْأَسَلُ؛ وَجَعَلَ مِنْ خِصَائِصِ
مُلْكِنَا إِطْلَاقَ الْمَسَالِكِ وَإِعْطَاهُ الدُّوَلِ، وَالْمَنَّ بِالْفُؤُسِ الَّتِي جَعَلَهَا النَّصْرُ لَنَا مِنْ جُمْلَةِ
الْأَنْحَوْلِ؛ وَأَغْرَى عَوَاطِفَنَا بِتَحْقِيقِ رَجَاءِ مَنْ مَدَّ إِلَى عَوَارِفِنَا كَفَّ الْأَمَلِ، وَأَفَاضَ
بِمَوَاهِبِ نِعْمَاتِنَا، عَلَى مَنْ أَنَابَ إِلَى الطَّاعَةِ حُلَّ الْأَمْنِ بَعْدَ الْوَجَلِ، وَاتَّرَعَ بِالْأَلْيَاءِ،

(١) تقدم له تنسيبه إلى ثلاثة أقسام فقط كما ورد في الصفحة ١٣٤ من ج ١١ من هذه الطبعة فيكون

هذا زائداً على الأقسام .

لَمْ تَسْكُ بَوْلَانِيَا ، أَرْوَحَ رَعَايَا مِنْ قَبْضَةِ الْأَجَلِ ، وَجَعَلَ بَرْدَ الْعَفْوِ عَنْهُ وَعَنْهُمْ
بِالطَّاعَةِ نَتِيجَةً مَا أَذَاقَهُمُ الْمِصْيَانُ مِنْ حَرَارَةِ الْقَضَبِ : إِذْ «رُبَّمَا صَحَّتِ الْأَجْسَامُ
بِالْعِلْسِ» .

نَحْمَدُ عَلَى نِعْمَةِ الَّتِي جَعَلَتْ عَفْوَنَا مِّن رَّجَاءِ قَرِيبَا ، وَكَرَمَنَا لِمَنْ دَعَا بِإِخْلَاصِ
الطَّاعَةِ يُجِيبَا ، وَرَبَّنَا لِمَنْ أَقْبَلَ إِلَيْهِ مَتَابًا بِوَجْهِ الْأَمَلِ مُتَبَا ، وَبِأَسْنَا مَصِيبَا لِمَنْ لَمْ
يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ فِي التَّسْكِ بِرَاحِنَا نَصِيبَا ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ
شَهَادَةً تَعْصِمُ دَمَ مَنْ تَسْكُ بِدِمَائِهَا ، وَتَحْصِمُ مَوَادَّ مَنْ عَانَدَهَا بِانْتِقَامِ حُصَامِهَا ،
وَتَقْصِمُ عُرَا الْأَعْنَاقِ مِمَّنْ أَطْمَعَهُ الْغُرُورُ فِي أَنْفِصَالِ أَحْكَامِهَا وَأَنْفِصَايِهَا ، وَتَقْصِمُ
مَنْ قَصِدَ إِطْفَاءَ مَا أَظْهَرَهُ اللَّهُ مِنْ نُورِهَا وَأَقْطَعَ مَا قَضَاهُ مِنْ دَوَامِهَا ، وَتَجْعَلُ كَلِمَةً
حَمَلَتْهَا هِيَ الْعُلْيَا وَلَا تَزَالُ أَعْنَاقُ جَاهِلِيَّيَا فِي قَبْضَةِ أَوْلِيَانِيَا وَتَحْتَ أَقْدَمِهَا ؛ وَنَشْهَدُ أَنْ
مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْمَبْعُوثُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ إِلَى كُلِّ أُمَّةٍ ، الْمَنْبُوتُ فِي الْكُتُبِ
الْمَنْزِلَةُ بِالرَّأْفَةِ وَالرَّحْمَةِ ، الْمَخْصُوصُ مَعَ عَمُومِ الْمَعْجَزَاتِ بِحُجَسٍ : مِنْهَا الرُّعْبُ الَّذِي كَانَ
يَتَقَدَّمُهُ إِلَى مَنْ قَصَدَهُ وَيَسْبِقُهُ مَسِيرَةً شَهْرًا إِلَى مَنْ أَمَّهُ ، الْمَنْصُوصُ فِي الْكُتُبِ
الْمُحْكَمَةُ عَلَى جِهَادِ أُمَّتِهِ الَّذِينَ لَا حَيَاةَ لِمَنْ لَمْ يَتَسْكُ مِنْ طَاعَتِهِمْ بِذِمَّتِهِ ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ قَتَحُوا بِدَعْوَتِهِ الْمَمَالِكَ ، وَأَوْصَحُوا بِشِرْعَتِهِ إِلَى اللَّهِ الْمَسَالِكَ ،
وَجَلُّوا بِنُورِ سُنَّتِهِ عَنْ وَجْهِ الزَّيْنِ كُلِّ حَالٍ حَالِكٍ ، وَأَوْرَدُوا مَنْ كَفَرَ بِرَبِّهِ وَرُسُلِهِ مَوَارِدَ
الْمَمَالِكِ ، وَوَقَفُوا بِمَا وَعَدَ اللَّهُ نَبِيَّهَ حِينَ زَوَى لَهُ ذَلِكَ ؛ صَلَاةً لَا تَزَالُ الْأَرْضُ لَهَا
مَسْجِدًا ، وَلَا يَبْرُحُ ذِكْرُهَا مُغْفِرًا فِي الْآفَاقِ وَمُنْجِدًا ؛ مَا اسْتَفْتَحَتْ أَلْسِنَةُ الْأَسِنَّةِ
النَّصْرَ بِإِقَامَتِهَا ، وَأَبَادَتْ أَعْدَاءَهَا بِاسْتِدَامَتِهَا ؛ وَسَلَّمَتْ قَسْلِيًا كَثِيرًا .

وَبَسَدٌ ، فَإِنَّهُ لَمَّا آتَانَا اللَّهُ مُلْكَ الْبَسِيطَةِ ، وَجَعَلَ دَعْوَتَنَا بِإِعْتَةِ مَمَالِكِ الْأَفْطَارِ
مُحِيطَةً ، وَمَكَّنَ لَنَا فِي الْأَرْضِ ، وَأَنْهَضَنَا مِنَ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ بِالْأَسِنَّةِ وَالْقِرْصِ ،

وجعل كل يوم تعرض فيه جيوشنا من أمثلة يوم العرض؛ وأظفنا بوايد الفتح، وأظفنا على الأعداء سيوفنا التي هي على من كفر بالله وكفر النعمة دعوة نوح؛ وأيدنا بالملك والروح، على من جعل الواحد سبحانه ثلاثة: فانتصر بالآب والأبن والروح؛ وألفت إلينا ملوك الاقطار السلام، وبذلت كرائم بلادها وتلاذبا رغبة في الاجتهاد إلى ظل أعلى من الأعلام؛ وتوسل من كان منهم يظهر الغلظة بالذلة والخضوع، وتوصل من كان منهم يسدي القوة بالإخلاص الذي رآوه لهم أقوى الجتن وأوقى الدروع - عاهدنا الله تعالى أن لا نرد منهم آملا، ولا نصد عن مشاريع كرمنا ناهلا؛ ولا نحجب من إحساننا راجيا، ولا نحمل عن ظل ربنا لأجبا؛ علمنا أن ذلك شكر للقدرة التي جعلها الله لنا على ذلك الآيل، ووثوقا بأنه حيث كان في قبضتنا متى نساء نجع عليه الأنايل؛ اللهم إلا أن يكون ذلك الأجب لليل ميسرا، وعلى عداوة الإسلام مصرا؛ فيكون هو الجاني على نفسه، والحاني على موضع رنسه، والمفرط في مصلحة يومه وغده بتذكير عداوة أمسه.

ولما كان من تقدم بالملكة الفلانية قد زين له الشيطان أعماله، وعقد بجبال الغرور آماله؛ وحسن له التمسك بالثار الذين هم بمهابتنا محصورون في ديارهم، مأسورون في حبال إديبارهم؛ عاجزون عن حفظ ما لسيهم، قاصرون عن ضبط ما استلبته السرايا المنصورة من يديهم؛ ليس منهم إلا من له عند سيوفنا ثار، ولما في ضيقه آثار، ومن يعلم أنه لا بد له عندنا من خطي خسف: إما القتل أو الإسار.

وحين تهادى المذكور في غيه، وحمله الغرور على ركوب جواد بغيه، أمرنا جيوشنا المنصورة بفاست خلال تلك الممالك، وداسن حوافر خيلها ما هنالك، وساوت في عموم القتل والأسر بين العبد والحر والملوك والمالك؛ وألحقت روايتي

جِالِهِم بِالصَّعِيدِ ، وَجَعَلَتْ حُمَاتِهِمْ كُرُورُوعَ فَلَاتِهِمْ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ؛ فَاسْلَمَهُم
الشَّيْطَانُ وَمَرَّةً ، وَتَرَكَهُمْ وَقَرًا ؛ وَمَا كَرَّهَ وَمَا كَرَّ ، وَأَعْلَمَهُمْ أَنَّ مَوْعِدَهُم السَّاعَةَ وَالسَّاعَةَ
أَدْعَاهُ وَامْرَأَةً ؛ وَأَخْلَقَهُمْ مَا صَيَّنَ لَهُمْ مِنَ الْعَوْنِ ، وَقَالَ لَهُمْ : (إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي
أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ) .

وكان الملكُ فلانٌ مَن تَدَبَّرَ طُرُقَ النِّجَاةِ فلم يَرِ إِلَيْهَا سِوَى الطَّاعَةِ سَبِيلًا ، وَتَأَمَّلَ
أَسْبَابَ النِّجَاحِ فلم يَجِدْ عَلَيْهَا غَيْرَ صِدْقِ الْإِيْتِمَانِ دَلِيلًا ؛ فَابْصُرْ بِالْخِدْمَةِ مَوْضِعَ رُشْدِهِ ،
وَأَدْرِكْ بِسَعْيِهِ نَافِرَ سَعْدِهِ ؛ وَأَرَاهُ الْإِقْبَالَ كَيْفَ ثَبَّتَ قَدَمَهُ فِي الْمَلِكِ الَّذِي زَلَّتْ عَنْهُ
قَدَمُ مَنْ سَلَفَ ، وَأَظْهَرَ لَهُ الْإِشْفَاقَ عَلَى رَعِيَاةِ مَصَارِعَ مَنْ أَوْرَدَهُ سُوءَ تَدْبِيرِ أَخِيهِ
مَوَارِدَ التَّلَفِّ ؛ وَعَرَفَهُ التَّمَسُّكُ بِإِحْسَانِنَا كَيْفَ أَخْتَوَتْ يَدَهُ عَلَى مَالِمْ يَبْقَى غَضَبًا فِي يَدِ
أَخِيهِ مِنْهُ إِلَّا الْأَسْمَى وَالْأَسْفَ ؛ وَحَسَّنَتْ لَهُ النِّعْمَةُ بِكَرْمِنَا كَيْفَ يُجِلُّ الْطَّلَبُ ،
وَعَلَّمَتَهُ الطَّاعَةُ كَيْفَ يَسْتَنْزِلُ عَوَاقِفُنَا عَنْ بَعْضِ مَا غَلَبَتْ عَلَيْهِ سُيُوفُنَا ؛ وَإِنَّمَا الدُّنْيَا
لِمَنْ غَلَبَ ؛ وَاتَّخَذَ إِلَيْنَا فَصَارَ مِنْ خَدَمِ إِيْمَانِنَا ، وَصَنَائِعِ إِيْمَانِنَا ، وَقَطَعَ عِلَاقَتَهُ مِنْ
غَيْرِنَا ؛ فَلَجَأَ مِنَّا إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ، وَظِلٍّ مَدِيدٍ ، وَنَصْرٍ عَتِيدٍ ؛ وَحَرِّمَ تَأْوِيَّ الْمَلَّةِ إِلَيْهِ ،
وَكَرَّمَ تَقَرُّؤَ نَصَارَتِهِ نَاطِرِيَّتِهِ ، وَإِحْسَانَ يُتِمُّهُ بِمَا أَقْرَهُ عَطَاؤُنَا فِي يَدَيْهِ ، وَامْتِنَانٍ يَضَعُ
عَنْهُ إِصْرَهُ وَالْأَنْغَالُ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِ - أَقْنَضِي إِيْحْسَانُنَا أَنْ تُقْضِيَ لَهُ عَنْ بَعْضِ
مَا حَلَّتْ جُبُوشُنَا دُرَاهُ ، وَهَلَّتْ سَطَوَاتُ عَسَاكِرِنَا عُرَاهُ ، وَأَضْعَفَتْ عَرَمَاتُ
سَرَايَانَا قُوَاهُ ، وَتَسَرَّتْ طَلَائِعُ جُنُودِنَا مَا كَانَتْ سَتَرَهُ صَفْحَتُنَا عَنْهُمْ مِنْ عَوَارِثِ
بِلَادِهِمْ وَطَوَاهُ ؛ وَأَنْ تُخَوِّلَهُ بَعْضَ مَا وَرَدَتْ خُبُونُنَا مِنْ أَهْلِهِ ، وَوَيْطَلَّتْ جِيَادُنَا غَارِبَهُ
وَكَاهِلَهُ ، وَسَلَكْتَ كَيْسًا فَلَكْتَ دَارِسَهُ وَأَهْلَهُ ؛ وَأَنْ يَبْقَى مُلْكُ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي
مَضَى سَلْفُهُ فِي الطَّاعَةِ عَلَيْهِ ، وَيَسْتَمِرَّ مُلْكُ الْأَرَمَنِ الَّذِي أَجْمَلَ السُّعْيَ فِي مَصَالِحِهِ

بيديه ؛ لِيَتَّيَمَّنَ رعاياه به ، ويعلموا أَنَّهُم آمنوا على أرواحهم وأولادهم بسببه ، عن طوية مخلصه ونفس مطيعة ، ولا تخشى عليه يد جائرته ، ولا سرية في طلب الغيرة سائرته ؛ ولا تطرق ككاسه أسد جيوش مفترسه ، ولا سباع نهاب محتليته ؛ بل تستمر يلاذه المذكورة في ذمام رعايتنا ، وحضانة عنايتنا ؛ وكتب إحساننا ، ووديعتنا برنا وأمانتنا ؛ لا تطمح إلباعين مُعاند ، ولا تمتد إليها إلا ساعد مُساعد وعَضِد مُعاضد .

فليقابل هذه النعمة بشكر الله الذي هداه إلى الطاعة ، وصان بإخلاص ولائهِ نفسه وقائس بلاده من الإضاعة ؛ وليقرن ذلك بإصفاء موارد المودة ، وإضفاء ملابس الطاعة التي لا تزاد بحسن الوفاء إلا جده ؛ واستمرار المناصحة في السر والعلن ، واجتناب المخادعة ما ظهر منها وما بطن ؛ وأداء الأمانة فيما استقر معه الحلف عليه ، ومباينة ما يخشى أن يتوجه بسببه وجهه عتب إليه ؛ وأستدامة هذه النعمة بحفظ أسبابها ، واستقامة أحوال هذه المنية برفض موجبات الكدر واجتنابها ، وإخلاص الية التي لا تعتبر ظواهر الأحوال الصالحة إلا بها .



ومن ذلك ما يكتب به لحكم رُماة البندق

قد جرت العادة أنه إذا كان للسلطان عناية برمي البندق ، أقام لُمانه حاكمًا من الأمراء الذين لهم عناية برمي البندق .

وهذه نسخة توقع من ذلك :

الحمد لله الذي خص أيامنا الزاهرة ، باستكمال الحاميين في كل مَرَام ، وجعل [من] أولياء دولتنا القاهرة ، من أصاب من كل مَرَمي بعيد شاكلة الصواب حتى أصبح

حاشا فيه **بِئْسَ كُلُّ رَامٍ** ، وجمع لخواصنا من أشنت المفاخير ما إذا برزوا فيه للريضة ليلا [أغنت] قسبهم عن الأهلة ورجومها عن رجوم الظلام ، وسدّد مقاصد أضيائنا في كل أمرٍ فما سُخِّلوا بمسرةٍ سِرًّا إلا وكانت من أقوى أسباب التمرّن على خوض الغمرات العظام ، وأقبح الحروب اللّهام ، وأشجع جلاييب الدجى في مصالح الإسلام .

نحمدُ على نعمة الوسام ، وأياديه الجسام ، وآلائه التي ما برحت بها تُفوّر المسار دائمة الأقسام ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تعصم من الزلّ ، وتؤمن من الزّيج والخلل ، وتلبس المتمسك بها من أنوار الجلالة أبهى الحلل ؛ ونشهد أن محمدا عبده ورسوله المتّزه عن الهوى ، المخصوص بالوحي الذي علمه شديد القوى ، الدّال على اعتبار الأفعال بصحة التقصد بقوله صلى الله عليه وسلم : « إنما الأفعال بالنيات وإِنما لكل أمرئ ماوى » . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين وفق الإخلاص مساعيهم ، ووفّر الإيمان دواعيهم ؛ صلاة دائمة الاتصال ، مستمرة الإقامة بالعدو والآصال ، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإنه لما كان رمي البندق من أحسن ما لمت به الحكمة ، في حال سبيلها ، ومن أبهج ما حفظت به الرّماة ، حياة نفوسها وعزّة عزمها ؛ على ما فيه من أطراج الراحة وأجتنابها ، واستدعاء الرياضة وأجتنابها ؛ وخوض الظلمات في الظلام ، وتوحي الإصابت في غمرات الدجى التي تخفى فيها المقاتل على حدق السّهام ، وأرتقاب ظفر ، يُسفر عنه وجهه سفره ؛ ومهاجمة خطر ، تُفضي إلى بلوغ وطر - وله شرائط تقتضى التقدّم بين أربابه ، وقواعد لا يخالفها من كان مبرزاً في أحبابه ؛ وأدوات

كمال، لأبذل للصلّى بهذه الرتبة منها، وحسن خلال، تُهدر أعمال من بعد عليه مرامها وقصرت مساعيها، وعوائد معلومة، بين أرباب هذا الشأن وكبرائه، ومقاصد مفهومة، فيما يتميز به المصيب الحاذق على نظرائه .

ولما كان الجنب العالى الفلاّح من ينشأ إليه في هذه الرتبة بنان الترجيح، ويرجع إلى أقواله فيما اقتضى التعديل فيما بين أربابها والتعريح ؛ ويصّل فيها بإشارته الخالصة من الهوى والأغراض، ويعول فيها على قدم معرفته الميزة بين أقدار الرماة مع تساوى إصابه الأغراض؛ لاختوائه على غايات الكمال فيها، وسبقه منها إلى مقامات حسن لا يعطيا حقها [الا] مثله ولا يوفىها - اقتضى رأينا الشريف أن نعدّ به أحكامها، وزدّ إلى أمره ونبيه كبراءها وحكامها .

فرسم بالأمر الشريف أن يكون حاكماً في البندق لما يتعين من اختصاصها بجنابه، ويتبين من أولويته بالحكم في هذا الفن على سائر أربابه .

قليل ذلك حاكماً بشروطه اللازمة بين أهله، المعتبرة بها خلال الكمال في قول كل أحد منهم وفعله ؛ المميّزة بين تفاوت الرماة بحسب كيفية الرمي وإتقانه، المربحة في كثرة الطير بإمكانه له في وقت البروز ومكانه ؛ المهيّدة ما يجب بين أهل هذا الفن إهداره، المنيّة ما يتعين في كمال الأدوات إثباته في قدم الكبراء وإقراره، ولعمل في ذلك جميعه بما تقتضيه معرفته المجمع في فنه عليها، ويتقدّم فيه بما تدله عليه خبرته التي ما برح ومنه الاختيار مصروفاً إليها، والله تعالى يسدده في القول والعمل، ويبلغه مراتب الرّعة في خلاله الجميلة وقد فعل ؛ والخير يكون، إن شاء الله تعالى .

قلت : وربّما كان المرسوم المكتتب لمن هو دون من تقدّم من أمير عشرة أو من في معناه . فيفتح به «أما بعد» ويكل على نحو ما تقدّم .

وهذه نسخة ثانية لحاكم البندق، مفتحة بـ «أما بعد» وهي :

أما بعد حمد الله الذي لا مُعَقَّبَ لحُكْمِهِ ، ولا يَعْزُبُ شَيْءٌ عَنْ عِلْمِهِ ، ولا قُنُوطٌ من رَحْمَتِهِ وَسَعَةِ حِلْمِهِ ، مُلْهِمِ أَهْلَ عَارِبَةِ أَعْدَاءِ بَيْتِهِ بِالرِّيَاضَةِ لَهَا فِي أَيَّامِ سَلَامِهِ ، وَمُنْجِزِ وُعودِ السُّعُودِ لِمَنْ كَانَ النُّجْمُ مَبْدَأَ هِمَّتِهِ ، وَالصَّدْقُ حُلَّةَ حَيَاتِهِ ، وَالْعَزْ حُلَّةَ آسِنِهِ ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الَّذِي هَدَى اللَّهُ بَنُورَ مَدَّةِ الْعَادِلَةِ مَنْ تَرَدَّى فِي ظُلُمَاتِ ظُلْمِهِ ، وَرَفَعَ مَنَارَ النُّبُوَّةِ بِمَا خَصَّهُ بِهِ مِنْ أَفْتَحِ التَّقَدُّمِ فِي رِثَتِهَا وَخَتَمِهِ ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ سَرَى كُلُّ مِنْهُمْ إِلَى غَايَةِ الْكَمَالِ عَلَى تَجَانِبِ هِمَّتِهِ وَجِيَادِ عَزَمِهِ - فَإِنَّ أَوَّلَى مَنْ رُعِبَتْ لَهُ أَسْبَابُ قَدَمِهِ وَتَقَدَّمَ ، وَفُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ حُكْمِهِ وَرُتِبَتْ وَتَحَكَّمَ ، وَأُعِيدَ إِلَى مَكَاتِهِ الَّتِي رَقَّاهَا بِاسْتِحْقَاقِهِ قَدِيمًا ، وَرُفِعَ إِلَى مَنَزَلِهِ الَّتِي لَمْ يَزَلْ بِقَوَاعِدِهَا خَيْرًا وَأَوْضَاعَهَا عَلِيًّا - مَنْ ارْتَفَعَ فِي رِثَتِهِ إِلَى تَجَمُّعِ أَفْعَاهَا ، وَاقْتَدَى فِي مَنَاجِيهِ بِذَلِيلِ مَسَالِكِهَا وَطُرُقِهَا ، فَاتَى فِي مَصَالِحِهَا بِبُيُوتِ الْإِصَابَةِ مِنْ أَبْوَابِهَا ، وَقَلَّ فِيهَا أَوْضَاعُ الْإِجَادَةِ عَمَّنْ كَانَ أَذْرَى بِهَا ، وَتَقَدَّمَ فِيهَا تَقَدُّمَ هِجْرَتِهِ وَسَبَقَ قَدَمِهِ ، وَبَلَغَ فِي مَقَامَاتِهَا الْغَايَةَ بَيْنَ وَثَبَاتِ سَاعِدِهِ وَثَبَاتِ قَدَمِهِ ، وَجَمَعَ مِنْ أَشْنَاتِ الطَّيْرِ مَا أَفْتَرَقَ فِي غَيْرِهِ ، وَحَوَى مِنْ السَّبْقِ إِلَى أَنْوَاعِهَا مَا حَكَمَ بِسَعْدِ نَتِجَتِهِ وَبَيْنَ طَيْرِهِ ؛ فَكَمَّ لَيْلَةً أَسْفَرَ فِيهَا أَبْرُزُوه عَنْ صَبَاحِ تَجَاحِهِ ، وَكَمَّ طَائِرٌ زَاخَمَ النَّسْرَيْنِ بِقَوَادِمِهِ أَصْبَحَ لَدَيْهِ مَحْمُولًا بِجَنَاحِهِ ، وَكَمَّ أَنْزَلَتْ أَهْلُهُ قَيْسِيَةَ الطَّيْرِ عَلَى حُكْمِهَا ، وَكَمَّ حَكَّتْ بِنَادِقِهِ فِي رُجُومِ الطَّيْرِ الْمُخْلَقَةِ إِلَى السَّمَاءِ أَنْقِضَاصَ نَتِجَتِهَا ؛ وَكَمَّ أَبْصَرَ مَقَارِلَ الطَّيْرِ وَهِيَ مِنَ اللَّيْلِ فِي ظُلُمَاتٍ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ ، وَكَمَّ أَشْتَلَّ مِنَ الطَّيْرِ الْوَاجِبِ بِنَدَبِ رَمِيٍّ لَمْ يَسْغَلْهُ مِنْ إِمْتِنَادِ الْأُهْبَةِ لِلْجِهَادِ عَنِ الْقَرَضِ ؛ حَتَّى كَادَ النَّسْرُ الطَّائِرُ إِذَا تَوَهَّمُ أَنَّ الْهِلَالَ قُوْمَهُ يَنْدُو كَأَخِيهِ وَاقِعًا ، وَالْمَرْزَمُ الْحَقُّقُ فِي الْأَقْفَى يُمَسِّي لِإِشَارَةِ

بنادقه الصَّمَّ متبَّعا ، حتى أصبح وهو الكبير في فنّه بأدّاب التعريف ، وأخفى وهو الخبير بنوعه بطريق النقل والتّوقيف .

ولمّا كان فلانٌ هو كبير هذا الفنّ وخيره ، ومقدّم هذا النوع الذى لم يزل يتجلّاه عَظِيمَ كُلِّ عَصْرٍ وأميره ؛ وقديم هذا المرمى الذى جُلُّ المَراد به الحُدُّ لا اللَّعب ، وأليف هذا المرام الذى ينشطُ إليه اللَّاعِبُ ويستروحُ إليه التَّعبُ - أقضى الرأى الشريف أن نجعله حاكما في هذه الرتبة الجليلة بما علم أو علم منها ، فأصلا بين أهلها بمعرفة التى ما برحت يؤخذ بها في قواعدها وينقل عنها - فرسم بالأمر الشريف أن يكون حاكما في البندق .

فليستقرّ في هذه الرتبة التى تلقّاها ، يمين كفايته ويمنه ، وأرتقاها ، بتفرده في نوعه وتقدّمه في فنّه ، وليعتمد الإنصاف في أحكام قواعدها ، وإجراء أمر أربابها على أحوالها المعروفة وعوايدها . ويتأفّف المعروفين بها على التحلّ بأدائها ، والتّمسك من المروءة والأخوة بأفضل أهدائها ؛ ويتّصفّ بينهم فيما يعتدّ به من واجبها ، ويلزم الداخل فيها بالمشي على المألوف من طرُقها والمعروف من صرائفها ، ولا يحكم في التقديم والتأخير بهوى نفسه ، ولا يقبل من لم يتحرّ الصدق في يومه أنّه قيل منه في أمسه ؛ فإنّ استدامة شروطها أمانٌ من السقوط عن درجتها ، وإذا حكمت نفوس أهلها الصدق في أقوالها وأفعالها فقد خرجت من خطّ حرجها ؛ وليرعّ لذوى التقدّم فيها قَدَمَ هجرتهم ، وأشتهاز سيرتهم الحسنة بين أسرّتهم ؛ وقد خبر من أوصافه الحسنة ، وسابق رُبّته التى لم تكن عينُ العناية عنها وسنّه ؛ ما أقضى استقرار رُبّته على مكائنها ومكانها ، وأكتفى له من مبسوط الوصايا بعنوانها ؛ فليتبّ الله في قوله وعمله ، ويعمل الاعتدال على توفيقه غاية آماله ؛ والخير يكون : إن شاء الله تعالى .



ومن ذلك ما يَكْتُبُ به في إلباس الفتوة .

إعلم أنَّ طائفةً كبيرةً من الناس يذهبون إلى إلباس لباس الفتوة، وقيمون لذلك شروطاً وأداباً جاريةً بينهم . ينسبون ذلك في الأصل إلى أنه مأخوذٌ عن الإمام عليٍّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ .

والطريقُ الجارى عليه أمرهم الآن أنه إذا أراد أحدهم أخذَ الطريق عن كبيرٍ من كبراء هذه الطائفة، أجمع من أهلها من تيسر جمعه، وتقدم ذلك الكبير فيلبس ذلك ^(١) ثياباً، ثم يجعل في كوز أو نحوه ماءً ويخلط به بعض ملح، ويقوم كلٌّ منهم فيشرب من ذلك الماء وينسبه إلى كبيره . وربما اعتنى بذلك بعض الملوك . وقد جرت العادة في ذلك أنه إذا ألبس السلطان واحداً من الأمراء أن يكتب له بذلك توقيعاً .

وهذه نسخة توقيع بفتوة، من إنشاء القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر، وهو :
الحمد لله الذي جعل أنساب الفتوة، متصلةً بأشرف أسباب النبوة، وأفضل من أمدته منه بكل حيل وقوة، وأسعد من سماء فكان علياً على كل من سام طوّه .

نحمده حمداً تقنو الأفواه به مملوّه، ونشكره على مواهبه آيات الشكر المثلوه، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة من جعل إلى منهج التوحيد رَوَاحَهُ وعُدُوّه، ونشهد أن محمداً عبده وسوله الذي شد الله أزره بخير من أفضى وفقى فقال كل قَتَوِيٍّ من الفتيان به شرف الأبوّة والبُنوّة، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين نصرُوا وليّه وخذَلُوا عدُوّه، صلاة موصلةً إلى نيل الأمانى المرجوّه .

(١) يلبس بالأصول، ولعله : المريد أو نحوه .

وبعد، فإن خير من أتصل به رجاء الرجال الأجواد، وطوى البعد إلى تحصيل مرآته كل طود من الأطواد، وأماط به عن مكارم الأخلاق لئلا تسم كل جود وأمتطى ظهر خير جواد، وأستمسك من ملابس الشرف بما يؤمن ويؤمل وما يشد به من كل خير لباس التقوى، وما تؤيد به عزيمته فتقوى، وما يتقيد به على رؤوس الأحزاب، وما يتزل به عليه أحسن آية من هذا الكتاب - من أشهر الشجاعة التي تقدم بها على قومه، وحيد أمسا في يومه؛ وبالشهادة التي لها مال السهام من تفويق، ولزرق الأيسنة من تحديق؛ ولبيض الصفاح من حدة متون، وللسمهرية من أزدحام إذا أزدحمت المتون؛ ومن صدق العزيمة، ما يشهد به كرم الشيمه؛ ومن شدة لباس، ما يجتمع [به] على طاعته كثير من الناس؛ ومن صدق اللهجة واللسان، ما أنصف عفاقه منها بأشرف ما يتصف به الإنسان؛ ومن طهارة النفس ما يتنافس على مثله المتنافسون، ويستضيء بأنواره القاسيون، ويرفل في حلل نغائمه اللابسون؛ و[كان] من الذين أبانوا عن حسن الطاعة وأنبأوا، وإذا دُعوا إلى استيفار جهاد وأجتهد لبوا وأجابوا؛ والذين لا يلبثون ألفتهم عن الصنق، ولا يولون وجوههم عن الحق؛ والذين لا يقعدهم عن بلوغ الأوطار مع إيمانهم حب الأوطان، وإذا نفدوا في حرب حزب الأعداء لا ينفذون إلا بسطان.

ولما كان فلان ذو المفانير، والمآثر؛ أمير الفتيان، مُميز الإخوان والأعيان؛ هو صاحب هذا الخيل المعقود، والممدوح بهذا المقال المحمود، والمنوح بهذا المقام المشهود؛ والثناء الذي سرباله بما سربله أثواب العزة والفخار، والاعتناء الذي استخير الله في أميطافائه واختياره في ذلك نغار - أقضى حُسن الرأي الشريف - كرم الله أنصاره، وأعلى مناره - أن يُجيب وسائل من وقف في هذا القصد وقفة سائل، ليُنال بذلك كل إحسان وإحسان كل نائل؛ ودعا إلى الكرم العام بالإتمام،

والدعاء لسلطان يدعى له ويدعو كل الأئمة ، فقال : أسألك الله وأسألك سلطان الأرض ، ملك البسيطة إمام العصر ، رافع لواء النصر ، ناصر الملة المحمّدية ، محيي الدولة العباسية ، فاتح البلاد والقلاع والأحصار ، قاهر الكفار مبيد الفرنج والأرمن والتتار ، سلطان الزمان ، خسروان إيران ، شاهنشاه القاف ، سلطان العالم وارث الملوك ، سلطان العرب والعجم والترك الذي انتهى إليه غن أمير المؤمنين الإمام الأتواب ، المغوار ، علي بن أبي طالب ذي الفخار ، شرف الفتوة واتصال الأنساب .

قلت : هذا ما وقفت عليه من نسخة هذا التوقيع . وقد ذكر الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي في كتابه "حسن التوسل" نسخة تقليد أنشأه في الفتوة ، أسقط منه أول الخطبة وهو : - وأبدأ منه بقوله :

نحمدك على ما منحنا من نعم شتى ، ووهبنا من علم وحلم غدونا بهما أشرف من أفتى ، وأتانا ملك خلال الشرف الذي لا ينبغي لغير ما آخضنا به من الكمال ولا يتأتى ، وخصنا به من رفح أهل الطاعة إلى سماء النعم يتبوءون من جنان الكرم حيث شاءوا ؛ وغيرهم لا تفتح لهم أبواب السوء ولا يدخلون الجنة حتى ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة من أنتهى في فخار أبوة النبي إلى حسب علي ، وأنتهى في باوة النبوة إلى سبب قوى ونسب زكى ، وأرتدى حلال الوفاق بواسطة الفتوة عن خير وصي عن أشرف نبي ، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي نور شريعته جلّ ، وجاه شفاعته ملّى ، وبسيفه وبه حاز النصر من أنتهى وفاء إليه : فلا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي .

وبعد ، فإن أولى من لبي إحساننا نداء وده ، وربي آميننا نتائج ولائنا الموروث عن أبيه وجده ، ورقاه كرمنا إلى رتبة علاه يقف جواد الأمل عن بلوغها عند حده ؛

وَنَلَقْتُ كَرَامَتَنَا وَقَدْ قَضَيْهِم بِالْتَّحْيِيبِ، وَأَنْزَلَتْ جَارَ رَجَائِهِ مِنْ مَصْرِ نَفْسِهَا بِالْحَرَمِ
الْأَمِينِ وَالرَّيْعِ الْخَصِيبِ؛ وَأَذَنْتْ لَأَمَلِهِ مَا نَأَى مِنَ الْأَغْرَاضِ حَتَّى بَلَغَهُ بِقَضِيلِهَا سَهْمُ
أَجْتِهَادِهِ الْمُصِيبِ، وَأَعَدَّتْ لَهُ مِنْ حُلِيِّ الْجَلَالَةِ مَا هُوَ أَبْهَى مِنْ رِجَاءِ السَّمَاءِ الَّذِي
تَزْدَادُ عَلَى الْأَيْدِ جَدَّةُ بُرْدِهِ الْقَشِيبِ؛ وَخَصَّصَتْهُ لِإِبْتِنَاءِ الْمَجْدِ بِأَجَلٍ بِنُوءٍ جَعَلَتْ لَهُ
فِي إِرْثِ خِلَالِ الشَّرَفِ أَوْفَرَ حَظٍّ وَأَوْفَى نَصِيبٍ - مِنْ سَمَتْ مَنَارِ الْمَجْدِ بِذِكْرِهِ،
وَأَبْتَسَمَتْ أَسِرَّةُ الْمَجْدِ بِشُكْرِ أَوْصَافِهِ وَوَصِفِ شُكْرِهِ؛ وَأَخْتَالَتْ مَوَادُّ الثَّنَاءِ بِحَسَنِ
خِلَالِهِ، وَأَخْتَارَتْ كَوَاكِبُ السَّنَاءِ إِقْبَالَ طَوْلِهِ بِطَوَالِغِ إِقْبَالِهِ؛ وَتَمَسَّكَ مِنْ طَاعَتِنَا
بَأَمْثَلِ أَسْبَابِ الْمُدَى؛ وَأَعْتَصَمَ بِمُرُوءَةِ بِنُوءِ الْإِنْيَاءِ فَأَوْطَاهُ التَّوْتُّقُ بِهَا رِقَابَ الْعِدَاءِ،
وَأَتَّصَفَ بِعَاسَنِ الشِّمِّ فِي مَوَدَّتِنَا فَانْحَنَى فِي السَّنِّ كَهْلُ الْحِلْمِ يَهْتَرُّ لِلنَّدَى؛ وَأَنْتَهَى
إِلَيْنَا فَاصْبَحَ لَدِينَا سَلَكًا مَقْرَبًا، وَأَوْجِبَ مِنْ حُقُوقِ الطَّاعَةِ عَلَيْنَا مَا أَمْنَى بِهِ لَدِينَا
- مَعَ جَلَالَةِ الْإِنْيَاءِ - أَبْنَاءَ وَغَدُونَا لَهُ - مَعَ شَرَفِ الْآبَاءِ - فِي نَسَبِ الْفَخْرِ الْعَرِيقِ آبَاءَ
وَنَسَا فِي مَهَادِ الْمُلْكِ فَسَمَا بِهِ لِلْعِلْمِ وَالْعَلَمِ، بِالسَّيْفِ وَالْقَلَمِ، وَبِالْبَأْسِ وَالْكَرَمِ، وَأَعْتَرَى
إِلَى أَبْوَةِ حُنُونًا بِبُنُوءِ رَجَائِهِ قَدَشَبَهُ بَعْدَ أَيَّامِنَا: «وَمَنْ يُسِبِّهِ أَبَاهُ فَمَا ظَلَمَ»؛ وَتَحَلَّى
بِصُنُوقِ الْوَلَاءِ وَهُوَ أَوَّلُ مَا يُطْلَبُ فِي سِرِّ هَذَا النَّسَبِ وَيُعْتَبَرُ، وَتَحَلَّى لِنَكَايَةِ عَدُوِّ
الْإِسْلَامِ بِطُفْ مَكَايِدَةِ: السُّيُوفِ تُجْزِ الرُّقَابَ «وَتُجْزِ عَمَّا تَنَالِ الْإِبْر».

وَلَمَّا كَانَ فَلَانٌ هُوَ الَّذِي زَانَ بِمُؤَالَاتِنَا عُقُودَ مَجْدِهِ، وَزَادَ فِي طَاعَتِنَا عَلَى مَا وَرِثَ
مِنْ مَكَارِمِ أَبِيهِ وَجَدَّهُ؛ وَزَانَ الْمُلُوكَ فِي إِقْبَالِ شَبَابِهِ، وَصَانَ مُلْكَ أَبِيهِ عَنْ عَوَارِضِ
أَوْصَائِهِ بِاتِّبَاعِ مَا أَوْصَى بِهِ، وَأَفْغَتْ صَوَارِمُهُ أَنْ تَكُونَ لِفِرْجِهَادِ أَعْدَاءِ اللَّهِ مُعْتَدًى،
وَعَزَّائِمُهُ أَنْ تَقْتَدَّ عُلُوُّ اللَّهِ وَعَدُوُّهُ أَوْلِيَاءُ تُلْقَى إِلَيْهِمْ بِالْمُؤَدَّةِ؛ وَسَهَامُهُ أَنْ تُسَدَّدَ
[الآ] إِلَى مَقَاتِلِ الْعِدَاءِ، وَأَسْتَهَتْ أَنْ يُبَلَّ لَهَا مِنْ ضِرِّ مَنَاهِلِ صُنُورِ الْكُفْرِ صَدْدٌ؛
مَعَ أَجْتِمَاعِ خِلَالِ الشَّرَفِ لِشَرَفِ خِلَالِهِ، وَأَفْتِرَاقِ أَسْبَابِ السَّرَارِ عَنْ هَالَةِ كَمَالِهِ؛

وَسْؤَالِهِ مَا لَيْسَ لغيرِهِ أَنْ يَدَّ إِلَيْهِ يَدَا ، وَأَتَيْتَ بِهِ مِنْ كَرَمِنَا الْعَمِيمِ أَجَلٌ مَا مَحَلَّ وَالِدٌ وَلَدًا ؛ وَأَنَّهُ وَقَفَ عَلَى قَدَمِ الرَّجَاءِ الثَّانِي ، وَتَبَدَّلَ بِقَدَمِ غُرُوسِ الْوَلَاءِ الَّتِي أَصْلَحَهَا فِي رَوْضِ الْمَوْدَةِ نَابِتٌ ؛ وَقَالَ : أَسْأَلُ اللَّهَ وَأَسْأَلُ سُلْطَانَ الْأَرْضِ ، الْقَائِمَ لِجِهَادِ أَعْدَاءِ اللَّهِ بِالسُّنَّةِ وَالْفَرَضِ ، فَاتِّحَ الْأَمْصَارَ ، الَّذِي لَمْ تَزَلْ سَيْوفُهُ تُهَاجِرُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَنْ عُمُودِهَا إِلَى أَنْ صَارَ لَهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ الْكَرَامِ أَنْصَارٌ ؛ الَّذِي كَرَّمَ اللَّهُ شَرَفَ الْقُوَّةِ بِاتِّخَاتِهَا إِلَيْهِ ، وَأَعْلَى قَدْرَ بِنُورِ الْمُرُوءَةِ بِاتِّصَالِهَا بِهِ عَنْ الْخُلُقَاءِ الرَّاشِدِينَ عَنْ أَبِ أَوَّابٍ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ ؛ وَأَوْرَثَهُ مِنْ خُلُقِهِ الْكَرَمِ وَالْبَاسَ فَتَحَلَّى مِنْهُ بِأَجَلٍ مُوَافٍ مُوَافِقٍ ، وَمَتَّحَهُ بِحِفْظِ الْعَهْدِ مِنْ خَصَائِصِهِ مَا عَاهَدَ بِهِ إِلَيْهِ النَّبِيُّ الْأُمِّيُّ مِنْ أَنَّهُ مَا يُحِبُّهُ إِلَّا مُؤْمِنٌ وَلَا يُبْغِضُهُ إِلَّا مُنَافِقٌ ؛ أَعَزَّ اللَّهُ سُلْطَانَهُ ، وَأَوْطَأَ جِيَادَهُ مَعَاقِلَ الْكُفْرِ وَأَوْطَانَهُ ؛ أَنْ يَتَقَبَّلَ قَصْدِي يَقْبُولَ حَسَنَ ، وَيُقْبَلَ بِوَجْهِهِ كَرَمِهِ عَلَى أَمَلِي الَّذِي لَمْ يَقْعُدْ بِهِ عَنْ فُرُوضِ الطَّاعَاتِ وَسُنَنِهَا وَوَسْنِ ؛ وَيَنْظُمَنِي فِي سَبِيلِ عَقُودِ الْقُوَّةِ مُلْتَرِمًا بِأَسْبَابِهَا ، مُقْتَدِيًا بِطَاعَتِهَا الَّتِي هِيَ أَكْمَلُ أَنْسَابِهَا ؛ مُتَصِفًا بِمَوَالِمَتِهَا الَّتِي لَا يَنْتَبِثُ لَهَا حُكْمٌ إِلَّا بِهَا ، آتِيًا بِشُرُوطِ خَلْقَتِهَا الَّتِي لَمْ يَأْتِ بِهَا عَلَى مَا يَحِبُّ فَمَا آتَى الْبُيُوتَ مِنْ أُولَئِهَا .

فَاسْتَخَرْنَا اللَّهَ تَعَالَى فِي عَقْدِ لِرَإِءِ هَذَا الْفَخَّارِ لِمَجْدِهِ نَفَّارَ ، وَنَظْمُنَا لَهُ لِعَقْدِ هَذَا الْمَقَامِ الْكَرِيمِ وَاسْطَةً لِمِثْلِهِ كَانَ يَزِينُهَا الْأَدَّارُ .

فُرْسَمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لَا زَالَ جُودُهُ يُعْلِي الْجُدُودَ ، وَيُوطِّدُ لِأَنْبَاءِ مَلُوكِ الزَّمَنِ مِنْ رُتَبِ الشَّرَفِ فَوْقَ مَا وَطَّدَتِ الْآبَاءُ وَالْجُدُودُ - أَنْ تَصِلَ سَبَبُهُ بِهَذَا السَّبَبِ الْكَرِيمِ ، وَنَقْدُ حَسَبِهِ فِي الْقُوَّةِ بِأَوَانِ هَذَا الْحَسَبِ الصَّعِيمِ ، وَنَمْدُ نَسَبِهِ بِأَصَالَةِ هَذِهِ الْأَبْوَةِ الَّتِي هِيَ إِلَّا عَنْ مِثْلِهِ عَقِيمٌ ، وَيُفَاضَ عَلَيْهِ شِعَارُ هَذَا الْخُلُقِ الْمُنْتَصِلِ عَنْ أَكْرَمِ وَصِيِّ بْنِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي حَقِّهِ : ﴿ إِنَّكَ لَمَلَكٌ خَلَقْتَ عَظِيمٌ ﴾ .

فليُحلَّ هذه المَهْضَبَةُ التي أَخَذَتْ من مرافق العِزِّ بالمعاقِلِ ، ويُحلَّ هذه الرتبة التي دُونَ بلوغها من نوع الفرائِد ألف راقِدٍ ؛ ويُحرِّرُ دَاءَ الفَخْرِ على أَهداب الكواكب ، ويُرَاجِمُ بمواكب تجلِّد النجوم على وُروُدِ تَهْرِ الحِجْرَةِ بالمناكب ؛ وليُصلِّ شرف هذه النسبة من جِهَتِهِ بمن رآه أَهلاً لذلك ، وليُفَيِّد في القُوَّة بما عَلِم من مذهبنا الذي أَتَهَى فيه مِنَّا إلى مالِك ؛ وليُطلِّ على مُلوك الأقطار ، بهذه الرتبة التي تَفَانَى الرَّجَالُ على حُبِّها ، ويُصلِّ على صُروف الأقطار ، بهذه العناية التي جَعَلْتَهُ - وهي حِلْيَةُ حَرْبِ الله - من حَرْبِها ؛ وليُصلِّ سِرَّ هذا الفضل العميم بإيداعه إلى أَهله ، وأَتْرَاعِهِ من لم يَرَهُ أَهلاً لِحَمَلِهِ .

قُلْتُ : وما تَقَدَّمَ مما يُكْتَب عن الأبواب الشريفة السلطانية بالديار المصرية والممالك الشامية ، لأرباب السيوف وأرباب الأقلام وغيرهم : من التقاليد ، والتفاويض ، والتواقيع ، والمراسيم : المُكَبَّرَةُ والمَصْفَرَّةُ ، ليس هو على سبيل الاستيعاب ، بل على سبيل التمثيل والتذكير ، يُنَسَّج على مِنواله ، ويُنَهَّج على نَهْجِه . فَإِنَّ أَسْتِيفَاءَ ما يَكْتَب في ذلك مما يَشُقُّ ، وَيَقِفُ القَصْدُ دونه . بل لا بد من حوادث تَحَدَّث لم يسبق لها مثال يقتضى أَثَرُهُ . فيحتاج الكاتب إلى حُسْن التَّصَرُّف في إيراد ما يلائم ذلك ويُناسِبُهُ . وكلُّ كَاتِبٍ يَنْفَقُ من كَتَبِهِ ، على قَدَرِ سَعَتِهِ ، والله تعالى هو الموفق إلى نَهْجِ الصواب ، والهادى إلى طريق الحقِّ في الأمور كُلِّهَا ، بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ .

الفصل الثالث

من الباب الرابع من المقالة الخامسة

(فما يكتب من الولايات عن تواب السلطنة ؛ وفيه طرفان)

الطرف الأول

(في مقدمات هذه الولايات ، ويتعلق بها مقاصد)

المقصد الأول

(في بيان من تصدر عنه الولايات : من تواب السلطنة)

إعلم أنَّ تواب السلطنة بالديار المصرية لا تصدر عنهم ولاية في جليل ولا حقيق ، بل التولية والعزل منوطان بالسلطان ، والكتابة في ذلك معدومة به ، سواء في ذلك النائب الكافل ، ونائب الإسكندرية ، ونائب الوجهين : القبلي والبحري ، إلا ما يكتب عليه النائب الكافل من القصص في صغائر الولايات : من نظر الأوقاف وغيرها ، ثم تعيين ويكتب بها تواقع سلطانية .

أما تواب السلطنة بالمالك الشامية : وهم نائب السلطنة بالشام ، ونائب السلطنة بحلب ، ونائب السلطنة بطرابلس ، ونائب السلطنة بجماعة ، ونائب السلطنة بصغدة ،^(١) ونائب السلطنة بقرية ، إذا كانت نيابة لا مقدمة عسكر .

(١) يظهر أن هنا سقطا ولله « تصدر عنهم الولاية » أخذنا مما تقدم .

المقصود الثانى

(فى بيان الولايات التى تصدر عن نواب السلطنة بالممالك الشامية)

قد تقدم فى الكلام على الولايات الصادرة عن الأبواب السلطانية بالممالك الشامية ، أن نواب هذه الممالك يَسْتَنْتُونَ بتولية ولاء الأعمال ، وقد يَسْتَبْنُونَ أيضا بتولية صغار النواب ، كالقلاع والبلدان التى تكون نياتها إمرة عشرة . وربما استبدؤا بتولية بعض النيابات التى تكون نياتها إمرة طبلخاناه ، إلا أن تولية العشرات عن النواب أكثر ، وتولية الطبلخاناه عن السلطان أكثر . أما النيابات التى تكون نياتها مقدمة ألف ، فإنها مخصصة بالسلطان . والنيابات التى يكون مؤولها جندياً أو مقدم حقة فإنها مخصصة بالنواب . وأن تولية أكبر أرباب الأقاليم : كتاب السراى ، والوزير بالشام ، حيث جعلت وزارة ، وناظر النظار ، حيث جعلت نظرا ، وأصحاب دواوين المكاتب ، ونظار المال بسائر الممالك ، ونظار الجيش ، وقضاة القضاة بها - فإن التولية^(١) فى ذلك تختص بالسلطان دون النواب . وما عدا ذلك يولى فيه السلطان تارة ، والنواب أخرى . وربما حصلت الولاية فى بعض ذلك من بعض النواب ثم يكتب من الأبواب السلطانية بالمحل عليها ، على ما تقدم بسط القول فيه هناك ، فليراجع منه .

المقصود الثالث

[في افتتاحات التواقيع والمراسيم بتلك الولايات]

تقدم في الكلام على الولايات الصادرة عن الأبواب السلطانية أنه يراعى فيها براعة الاستهلال في الافتتاح وأن الافتتاح فيها بـ«المحمد لله» أعلى من الافتتاح بـ«أما بعد» والافتتاح بـ«أما بعد» أعلى من الافتتاح بـ«رسم بالأمر الشريف» وأن لفظ «أما بعد» أعلى من لفظ «وبعد» وأنه يراعى في الولايات وصف المتولى والولاية، ويؤتى لكل أحد من ذلك بما يناسبه من صفات المدح، ثم يقال : «ولما كان فلان هو المشار إليه بالصفات المتقدمة، اقتضى حسن الرأي أن يستقر في كذا ونحو ذلك». ثم يؤتى من الوصايا بما يناسب مقام الولاية والمتولى لها، ثم يؤتى بالأختتام : من المشيئة والتاريخ، والحمدلة، والتصيلية، والحسبلة .

والأمر فيها يكتب عن التواب جار على هذا المنهج إلا في أمور قليلة :

منها - أن جميع ما يكتب عن التواب بالشام يقال فيه «توقيع» ولا يقال فيه «تقليد» ولا «تفويض» وربما قيل «مرسوم» في أمور خاصة .

ومنها - أن التوقيع يوصف بـ«الكريم» لا بـ«الشريف» يقال : «توقيع كريم» أن يستقر فلان في كذا» أو «مرسوم كريم لفلان بكذا» بخلاف ما يكتب عن الأبواب السلطانية، فإنه يوصف بكونه «شريفًا» يقال : «تقليد شريف» و«تفويض شريف» و«مرسوم شريف» و«توقيع شريف» على ما تقدم ذكره .

ومنها - أن الكاتب^(١) يأتي بنون الجمع [جاريًا] في ذلك على^(٢) من تصدر عنه الولاية، كما أن الولايات عن الأبواب السلطانية [يجرى فيها على^(٢)] العادة في الكتابة

(١) ذكر هذا في المخالف سهو فاته موافق لما يكتب عن السلطان أو الملك كما لا يخفى . (٢) يباح بالأصل .

عن الملوك . وكأنتهم راعوا في ذلك أنَّ المكتوب عنه هو السلطان في الحقيقة ، وفعل النائب كأنه فعله نفسه ، كما يقال : هَزَمَ الأمير الجيـشَ ، وفتح السلطان المدينة ، والذي هَزَمَ وفتح إنما هم جُنْدُه لا هو في نفس الأمر .

ومنها - أنه إذا أفتح التوقيع بـ «رُسم بالأمر» - لا يوصف بـ «الشريف» بل بـ «العالى» على ما تقدم . فيقال : «رُسم بالأمر العالى» المولى ، السلطانى ، المَلِكِ ، الفُلانى الفلانى . وكذلك إذا أتى بذكر «رسم» بعد الافتتاح بـ «الحمد لله وأما بعد» فإنه يقال فيه : «العالى» دون «الشريف» .

قلتُ : هذا ما كان الأمر عليه في الزمن المتقدم كما أشار إليه المقز الشهابيُّ ابن فضل الله في «التعريف» . ثم استقر الحال على وَصِفِ الأمر بـ «الشريف» فيقال : «رسم بالأمر الشريف العالى» إلى آخره ، كما يكتب عن السلطان .

ومنها - أنه يقال في آخر التوقيع : «والاعتماد على الخط الكريم أعلاه» ولا يقال : «على الخط الشريف» ، كما في السلطان .

ومنها - أنه لا يذكر في توابع التواب مستند كتابتها ، كما يكتب فيما يكتب عن السلطان .

المقصد الرابع

(في بيان الالقب)

قد تقدم في المقالة الثالثة ، في الكلام على الولايات الصادرة عن الأبواب السلطانية أنَّ أعلى ما يكتب لأرباب السيوف «المقر الكريم» ثم «الجناب الكريم» ثم «الجناب العالى» ثم «المجلس العالى» ثم «المجلس السامى» بالياء ، ثم «المجلس السامى» بغير ياء ، ثم «مجلس الأمير» ثم «الأمير» .

وأن أعلیٰ ما يكتب لأرباب الوظائف الديوانية : « الجنب العالی » ثم « المجلس العالی » ثم « المجلس السامی » بالياء ، ثم « المجلس السامی » بغير ياء ، ثم « مجلس القاضي » ثم « القاضي » .

وأن أعلیٰ ما يكتب لأرباب الوظائف الدينية : « المجلس العالی » . ثم أستقر أعلیٰ ما يكتب لهم : « الجنب العالی » و « المجلس العالی » بعده ، ثم « السامی » بالياء ، ثم « السامی » بغير ياء ، ثم « مجلس القاضي » ثم « القاضي » على ما تقدم في أرباب الوظائف الديوانية ، إلا فيما يقع الاختلاف فيه من الألقاب والنموت الخاصة بكل منهما .

وأن أعلیٰ ما يكتب لأرباب الوظائف السوفية : « المجلس العالی » ثم « المجلس السامی » بالياء ، ثم « المجلس السامی » بغير ياء ، ثم « مجلس الشيخ » ثم « الشيخ » .

وأنه يكتب لأرباب الوظائف العادية : « المجلس السامی » ، المسدر الأجل « أو « مجلس الصدر » أو « المسدر » .

وأنه يكتب لزعماء أهل الذمة ألقابهم المتعارفة . فيكتب لرئيس اليهود : « الرئيس » ولبطاركة النصارى : « البطرک » ونحو ذلك .

فأما ما يكتب عن تواب الشام ، فعل أصناف ، كما تقدم في الألقاب التي تكتب عن الأبواب السلطانية ، مع اختلاف في بعض الألقاب بزيادة وقص ، وعلو وهبوط .

الصف الأول

(أرباب السيوف، ولألقابهم مراتب)

المرتبة الأولى — المقر الشريف . وبذلك يكتب للطبقة الأولى من مقدمي الألوף بالشام، وحلب، وطرابلس، إذا ولى أحد منهم نظراً وقف، أو نحو ذلك . أما غير هذه الممالك الثلاث ، فقد تقدم أنه ليس في شيء منها مقدمة ألف، ويقال فيه عندهم : « المقر الشريف ، العالى ، المولوى ، الأميرى ، الكبيرى ، العالمى ، العادلى ، المونى ، الغياثى ، الزعيمى ، الظهيرى ، المخدومى ، الفلانى ، عز الإسلام والمسلمين ، سيد الأمراء فى العالمين ، ناصر الفزاة والمجاهدين ، زعيم جيوش الموحدين ، عون الأمة ، كهف الملّة ، ظهير الملوك والسلاطين ، فلان الفلانى : أعز الله تعالى أنصاره » .

المرتبة الثانية — المقر الكريم . وبذلك يكتب للطبقة الثانية من مقدمي الألوף ، ويقال فيه : « المقر الكريم ، العالى ، المولوى » . بنحو الألقاب المتقدمة .

المرتبة الثالثة — المقر العالى . وبه يكتب للطبقة الثالثة من مقدمي الألوף ، ويقال فيه : « المقر العالى ، المولوى » بنحو الألقاب المتقدمة أيضاً ^(١) [كما] يكتب لتقيب الأشراف بحلب ، وهى : « المقر العالى ، الأميرى ، الكبيرى ، التقيى ، الحسيبى ، النسيبى ، المريقى ، الأصلى ، الفاضلى ، العالمى ، العارفى ، المحمى ، القدوى ، الناسكى ، الزاهدى ، العادى ، الفلانى ، جلال الإسلام والمسلمين ، جمال الفضلاء البارعين ، نحر الأمراء الحاكين ، زين العترة الطاهرة ، شرف الأسرة

الفائِز، حُجَّةُ العِصَابَةِ الهاشميَّة، قُدْوَةُ الطائفةِ العلويَّة، نُجَّةُ الفرقةِ الناجيةِ الحُسينيَّة، شَرَفُ أَوَّلَى المراتب، تَقِيبُ ذَوَى المناقب، مَلَاذُ الطُّلَّابِ الدَّاعين، بركةُ الملوكِ والسلاطين، فلان : أَسَخَ اللهُ عليه ظلاله .

المرتبة الرابعة — الجَنَابُ الكَرِيم . وبه يُكْتَبُ للأُمراءِ الطُّبُلُخَاناء، ويُقال فيه : « الجَنَابُ الكَرِيم، العَالِي، المَوْلَوِي، الأَمِيرِي، الكَبِيرِي، العَصْدِي، النَّصِيرِي، المَجاهِدِي، المُوَيَّدِي، الذَّنْخَرِي، الظَّهْرِي، القُلَانِي، مَجْدُ الإِسْلامِ والمُسلمين، شَرَفُ الأُمراءِ في العالَمين، نُصْرَةُ الفُزاةِ والمُجاهِدين، ظَهِيرُ الملوكِ والسلاطين، فلان : أَعَزَّ اللهُ تعالى نُصْرَتَهُ » .

المرتبة الخامسة — الجَنَابُ العَالِي . وبه يُكْتَبُ لأُمراءِ العِشْرِيَّات، ويُقال فيه : « الجَنَابُ العَالِي، الأَمِيرِي، الكَبِيرِي، الذَّنْخَرِي، النَّصِيرِي، المَجاهِدِي، المُوَيَّدِي، الأَوْحَدِي، الأَكْبَلِي، الظَّهْرِي، القُلَانِي، مَجْدُ الإِسْلامِ والمُسلمين، شَرَفُ الأُمراءِ في العالَمين، نُصْرَةُ الفُزاةِ والمُجاهِدين، ظَهِيرُ الملوكِ والسلاطين، فلان أَدَامَ اللهُ تعالى نِعْمَتَهُ » .

المرتبة السادسة — المَجلسُ العَالِي . وبه يُكْتَبُ لأُمراءِ العَمَّات، ويُقال فيه : « المَجلسُ العَالِي، الأَمِيرِي، الكَبِيرِي، الأَجَلِّي، المَجاهِدِي، العَصْدِي، النَّصِيرِي، المُهَيِّمِي، الأَوْحَدِي، الذَّنْخَرِي، القُلَانِي، مَجْدُ الإِسْلامِ والمُسلمين، شَرَفُ الأُمراءِ في العالَمين، نُصْرَةُ الفُزاةِ والمُجاهِدين، عَضُدُ الملوكِ والسلاطين، فلان : أَدَامَ اللهُ تعالى رِغْمَتَهُ » .

المرتبة السابعة — المَجلسُ السَّائِي بِالْيَاء . وبه يُكْتَبُ لِمَقْدَمِي الحَلْفَةِ، وأَعْيَانِ جُنْدِ الحَلْفَةِ، ويُقال فيه : « المَجلسُ السَّائِي، الأَمِيرِي، الأَجَلِّي، الكَبِيرِي،

المجاهدى، الأعرزى، الأخصى، الأكلجى، الأوحدى، الفلانى، جند الأمراء،
زين الأكابر، دُخر المجاهدين، فلان : أدام الله توفيقه .

المرتبة الثامنة — المجلس السامى بغيراء . وبه يُكتب للطبقة الثانية من
جُند الحلقة ، ويقال فيه : « المجلس السامى، الأمير، الأجل، الكبير، الفازى،
المجاهد، المرتضى، المختار، فلان الدين، جند الإسلام، بهاء الأنام، زين الأمراء،
نُقر المجاهدين، عمدة الملوك والسلطين، فلان : أعزّه الله تعالى » .

المرتبة التاسعة — مجلس الأمير . وبه يُكتب للطبقة الثالثة من جُند الحلقة،
ويقال فيه : « مجلس الأمير، الكبير » . يتحو ألقاب السامى بغيراء .
المرتبة العاشرة — الأمير . وبه يُكتب لجُند الأمراء ونحوهم ، ويقال فيه :
« الأمير الأجل » .

الصنف الثانى

(من أرباب الولايات بالملك الشامية — أرباب الوظائف

الديوانية ، وفيهم مراتب)

المرتبة الأولى — المقر الشريف . وبه يُكتب لكاتب السر بالشام، وصاحب
ديوان الرسائل بحلب، ومن فى معناهما .

وهذه ألقاب كُتب بها لكاتب السر بدمشق بولاية مشيخة الشيوخ، وُبلغ فيها
جِد المبالغة، إلا أنها ليست حسنة التأليف، ولا راتبة الترتيب؛ وهى : « المقر
الشريف، العالى، المولوى، القاضى، الكبرى، العالمى، العالمى، السلامى،
الإمامى، الفريدى، المفيدى، القدوى، المحجى، الأجل، الحبرى، المحقق،

المُدَقِّق، الزَاهِدِي، العَارِفِي، الْخَاشِعِي، النَّاسِكِي، الْمُسْلِكِي، الْعَابِدِي، الْمُرْشِدِي،
الرَّبَّانِي، الْوَرَعِي، الْمَهْدِي، الْمُشَيْدِي، الْمُشِيرِي، السَّغِيرِي، الْيَمِينِي، الْمَلَانِي،
السَّيْحِي، الْفَلَانِي، جَلَالُ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ، سَيِّدُ الْأَكْبَارِ وَالرُّؤَسَاءِ فِي الْعَالَمِينَ،
عَوْنُ الْأُمَّةِ، صِلَاحُ الْمِلَّةِ، جَمَالُ الْمُلْكَةِ، نِظَامُ الدَّوْلَةِ، عِزُّ الْمُلْكِ، لِسَانُ الْمَمَالِكِ،
زَيْنُ الْأَوَّلِيَاءِ، مُظْهِرُ أَنْبَاءِ الشَّرِيعَةِ وَنَاصِرُهَا، مُؤَيِّدُ الْحَقِّ وَالْمُعِينُ عَلَى إِظْهَارِهِ،
قَامِعُ الْبِدْعِ وَمُخَيِّعُ أَهْلِهَا، رَحْلَةُ الْحِفَاطِ، مَلَمَ الْمُفَسِّرِينَ، حُجَّةُ الطَّالِبِينَ، سَيْفُ
الْمُنَظَرِينَ، قُدْوَةُ الْعِبَادِ وَالزُّهَادِ، مَلِجَأُ الصُّلَحَاءِ وَالْعَارِفِينَ، حَسَنَةُ الْأَيَّامِ، قُوْدُ
الزَّمَانِ، غُرَّةُ وَجْهِ الْأَوَّانِ، شَيْخُ الْمَشَائِخِ، مُفِيدُ كُلِّ غَادٍ وَرَاحِلٍ، مُوَصِّلُ السَّالِكِينَ،
مُرَبِّي الْأَتْقِيَاءِ وَالْمُرِيدِينَ، كَنْزُ السَّالِكِينَ وَالْمُرْشِدِينَ، مُمَهِّدُ الدُّوَلِ، مُشِيدُ الْمَمَالِكِ،
مُجَمِّلُ الْأُمُصَارِ، مَذَبَّرُ أُمُورِ سُلْطَانِهِ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، مُجَاهِدُ نَفْسِهِ فِي رِضَا مَوْلَاهُ،
مُؤَيِّنُ الْخَلَائِقِ عَلَى حُقُوقِهِمْ، مُنْذِلُ حَزْبِ الشَّيْطَانِ، مَلِكُ الْبُلَاءِ وَالْمُتَكَلِّمِينَ،
خُلَاصَةُ سَلَفِ الْقَوْمِ الْمُبَارَكِينَ، بَرَكَةُ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ، وَلِيُّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، فَلَانُ
الْفَلَانِي: أَسْبَغَ اللَّهُ تَعَالَى ظِلَالَهُ .

المرتبة الثانية — المقرُّ الكريم . وبه يُكْتَبُ لِلطَّبَقَةِ الثَّانِيَةِ مِنْ أَرْبَابِ الْوُظَافِ
الدِّيَوَانِيَةِ . وَيَقَالُ فِيهِ: «المقرُّ الكريمُ، العَالِي، الْمُؤَلَوِيُّ، الْقَاضِيُ». بِنَحْوِ الْإِتْقَابِ
السَّابِقَةِ مَعَ «المقرُّ الشريف» .

المرتبة الثالثة — الجَنَابُ الْكَرِيمُ . وبه يُكْتَبُ لِلطَّبَقَةِ الثَّالِثَةِ مِنْ أَرْبَابِ الْوُظَافِ
الدِّيَوَانِيَةِ . وَهَذِهِ أَلْقَابُ تُكْتَبُ بِهَا لِبَعْضِ الْكُتَّابِ بِكَاتِبَةِ الْإِنْسَاءِ وَالْجَيْشِ بِحَلَبَ،
وَهِيَ: «الجَنَابُ الْكَرِيمُ، العَالِي، الْمُؤَلَوِيُّ، الْقَضَائِيُّ، الْكَبِيرِيُّ، الْعَالِمِيُّ، الْقَاضِيُّ،
الْبَارِعِيُّ، الْكَامِلِيُّ، الْمَاجِدِيُّ، الْأَوْحِدِيُّ، الْإِثْرِيُّ، الْإِسْمِيلِيُّ، الْأَصْلِيُّ، الْقَوَائِمِيُّ،

النظامى، الفلانى، ضياء الإسلام والمسلمين، أوحد الفضلاء فى العالمين، خالصه
الملوك والسلاطين، فلان : ضاعف الله تعالى نعمته .

المرتبة الرابعة — الجنب العالى . وبه يكتب لكتاب الدست ونحوهم . وهذه
ألقاب كتب بها بعض كتاب الدست بالشام، وهى : «الجنب العالى، القضائى،
الكبرى، العالمى، الفاضل، الأجل، البارعى، الأوحدى، القوامى، النظامى،
المقوى، الرئيسى، الماجدى، الفلانى، محمد الإسلام والمسلمين، شرف الرؤساء
فى العالمين، أوحد الفضلاء الماجدين، قدوة البلغاء، جمال الكتاب، زين المنتشين،
خاصة الملوك والسلاطين، فلان : أدام الله تعالى نعمته .

المرتبة الخامسة — المجلس العالى . وهذه ألقاب كتب بها لكتاب درج
بالشام جليل القدر، وهى : «المجلس العالى، القضائى، الأجل، الكبرى،
العالمى، الفاضل، البارعى، الكامل، الرئيسى، الأوحدى، الأثيرى، الأصيل،
العريق، الفلانى، محمد الإسلام، شرف الرؤساء فى الأنام، حجة البلغاء، قدوة
الفضلاء، أوحد الأئمة، زين الكتاب، رضى الدولة، صفوة الملوك والسلاطين،
فلان : أدام الله علوه .

المرتبة السادسة — المجلس السامى بالباء . وهذه ألقاب كتب بها لبعض
كتاب دمشق بنظر الرابع وهى : «المجلس السامى، القضائى، الأجل، الكبرى،
الرئيسى، الأوحدى، الأجل، الماجدى، الأثيرى، الأصيل، الفلانى،
محمد الإسلام، شرف الرؤساء، أوحد الفضلاء، صفوة الملوك والسلاطين، أدام الله
تعالى علوه .

المرتبة السابعة — المجلس السامى بغير ياء . وهذه ألقاب كتب بها لكتاب درج
بالشام، وهى : «المجلس السامى، القاضى، الأجل، الكبير، الفاضل، الأوحى،

الأثير، الرئيس، البليغ، الأصل، فلان الدين، مجد الإسلام، بهاء الأتنام، شرف
الرؤساء، أوجد الفضلاء، زين الأعيان، نحر الصدور، تجل الأكار، ميليل العلماء،
صفوة الملوك والسلاطين، فلان : أدام الله تعالى رفعتة .

المرتبة الثامنة — مجلس القاضى . وهى : « مجلس القاضى ، الأجل ، الكبير »
والباقي من نسبة ألقاب السامى بغيراء .

المرتبة التاسعة — القاضى . ويقال فيها : « القاضى ، الأجل » . وربما زيد
على ذلك قليلا ، كما تخدم فى السلطانيات .

الصنف الثالث

(من أرباب الولايات بالممالك الشامية — أرباب الوظائف

الدينية ، وفيه مراتب)

المرتبة الأولى — المقر الشريف . وبذلك يكتب لقضاة القضاة ومن فى معانهم .
وهذه ألقاب كتب بها لقاضى القضاة المالكي يمشق بتصدير ، وهى : « المقر
الشريف ، العالى ، الموقوئى ، القضاى ، الكبيرى ، الإمامى ، العالمى ، العلامى ،
الفريدى ، القيدى ، الخاشعى ، الناسكى ، الرحلى ، القدوى ، الملاذى ، العابدى ،
الحقنى ، المدقنى ، المحسنى ، الحاكى ، الفلانى ، جلال الإسلام والمسلمين ،
سيد العلماء فى العالمين ، قُدوة الباريعين ، سيد المناظرين ، لسان المتكلمين ،
ملاذ الطالبين ، كثر المتفهمين ، إمام الأئمة ، حجة الأمة ، ناصر الشريعة ، فرد
الزمان ، أوجد الوقت والأوان ، رحلة القاصدين ، حكم الملوك والسلاطين ، فلان :
أسبغ الله ظلاله » .

المرتبة الثانية — المقر الكريم . وبه يُكتب لمن دونه من هذه الرتبة .

وهذه ألقاب كُتِب بها لقاضى القضاة بَحَلْب بوظيفة دينية ، وهى : « المقر الكريم ، العالى ، المولوى ، القاضوى ، الكيرى ، العالمى ، العادلى ، الأصلى ، العريق ، القوامى ، النظامى ، الإمامى ، العلامى ، القدوى ، المفيدى ، الشيخى ، الركنى ، الصاحبى ، الحاكمى ، المحسنى ، الفلانى ، فلان الإسلام والمسلمين ، شرف الفضلاء فى العالمين ، قدوة العلماء العاملين ، لسان المتكلمين ، برهان المناظرين ، صدر المدرسين ، رحمة الطالبين ، بقية السلف الكرام الدارجين ، بركة الملوك والسلاطين ، خالصة أمير المؤمنين ، فلان : أعز الله تعالى أحكامه » .

المرتبة الثالثة — الجنب الكريم . وهذه ألقاب كُتِب بها لبعض المشايخ بتدريس بالشام ، وهى : « الجنب الكريم ، العالى ، المولوى ، القضائى ، الكيرى ، العالمى ، الفاضلى ، المفيدى ، الفريدى ، المحققى ، المدققى ، الأوحدى ، الأكلى ، الفلانى ، مجد الإسلام والمسلمين ، شرف العلماء فى العالمين ، جمال الفضلاء المدرسين ، خالصة الملوك والسلاطين ، فلان : أسيغ الله تعالى ظله » .

المرتبة الرابعة — الجنب العالى . وهذه ألقاب من ذلك كُتِب بها لقاض من قضاة العسكر بالشام ، وهى : « الجنب العالى ، القضائى ، الكيرى ، العالمى ، الفاضلى ، الرئيسى ، الأكلى ، الإمامى ، العلامى ، المفيدى ، المحققى ، الفريدى ، البارعى ، المدققى ، الأوحدى ، القدوى ، الحبرى ، الحافظى ، الأصلى ، الأثيرى ، النابى ، الورعى ، العلامى ، مجد الإسلام والمسلمين ، شرف العلماء العاملين ، زين الحكام فى العالمين ، حجة المذهب ، إمام البلاء ، مفتى المسلمين ، مفيد الطالبين ، قطب الزهاد ، ملاذ العباد ، خالصة الملوك والسلاطين ، فلان : أدام الله تعالى نعمته » .

المرتبة الخامسة — المجلس العال . وهى : « المجلس العالى ، القضاى ، الأجل ، الكبيرى ، العالمى ، الفاضل ، الكليل ، الرئيسى ، الأوحدى ، الاميرى ، الاثيل ، الاصيل ، العريقى ، القلانى ، مجد الإسلام ، شرف الرؤساء فى الأنام ، حجة الفضلاء ، صدر المدرسين ، مرفضى الملوك والسلاطين ، فلان : أدام الله تعالى علوه » .

المرتبة السادسة — المجلس السامى بالياء . وهى : « المجلس السامى ، القضاى ، العالمى ، الفاضل ، الكليل ، الأوحدى ، الاصيل ، العريقى ، المحققى ، القلانى ، مجد الإسلام والمسلمين ، أوجد الفضلاء فى العالمين ، صدر المدرسين ، أوجد المفيدين ، مرفضى الملوك والسلاطين ، فلان : أدام الله سعاده » .

المرتبة السابعة — المجلس السامى بغيرياء . وهى : « المجلس السامى ، القاضى ، الأجل ، الكبيرى ، الأحد ، المرتضى ، الأكل ، فلان الدين ، مجد الإسلام ، بهاء الأنام ، زين الفضلاء ، أوجد العلماء ، رضى الملوك والسلاطين ، فلان : أدام الله عزه » .
المرتبة الثامنة — مجلس القاضى . وهى : « مجلس القاضى ، الأجل » بتحوى الألقاب المذكورة فى « السامى » بغيرياء .

المرتبة التاسعة — القاضى . وهى : « القاضى الأجل » على ما تقدم .

الصنف الرابع

(من أرباب الولايات بالهمالك الشامية - مشايخ الصوفية)

ولم أقف على شئ من ألقاب ماكتب من هذا الباب . سوى [ماكتب] فى مشيخة الشيخ بالشام لكاتب السر ، وقد تقدم ذكره فى أول الألقاب الدبوانية

هناك . وألقاب الجناب العالي فيما كُتِبَ به في مشيخة الزاوية الأُصْحَى بِدَمَشْق ، وهي :
 « الجنابُ العالي ، الشيخُ ، العاليُ ، العايلُ العَلَمِيُّ ، الأوحدى ، القُدوى ،
 العايدى ، الزاهدى ، الورعُ ، الناصي ، الخاشعُ ، المُسلِكُ ، المُرَقُّ ، الربانى ،
 الأصيلى ، الفلافى ، مجدُ الإسلام ، حَسَنَةُ الأيام ، قُدوةُ الزُهاد ، ملاذُ العُباد ، جمالُ
 الورعِين ، مَرْبَى المريدِين ، أوحدُ السالكِين ، خلفُ الأولياء ، بركةُ السلاطين ،
 فلانٌ : أحاد الله تعالى من بركاته » .

ومن هذا يُؤخذ ما حدث كتابته مما هو فوق ذلك أو دونه .

الصنف الخامس

(من أرباب الولايات بالممالك الشامية - أمراء العُربان)

ولم أَقِفْ على شيء مما كُتِبَ به من ألقابهم ، سوى ألقاب « السامى » بغير ياء
 لبعض أمراء بنى مَهْدِيٍّ ، وهي : « المجلسُ السامى ، الأميرُ ، الأجلُ ، الكبيرُ ،
 المجاهدُ ، الأصيلى ، العريقُ ، الأوحد ، فلانُ الدين ، مجدُ الإسلام ، بهاءُ الأنام ،
 شرفُ العُربان ، زَيْنُ القبائل ، عُمدَةُ الملوك والسلاطين ، فلانٌ : أعزَّهُ الله
 تعالى » . وعليه يُقاس ما عساه يُكُتَب من هذا النمط .

الصنف السادس

(من أرباب الولايات بالممالك الشامية - أرباب الوظائف

العادية ، كَرَأْسَةِ الطَّبِّ ونحوها)

وألقاب رئيس الطَّبِّ : « المجلسُ العالى ، القضاةُ » على نحو ما تَهْتَم
 في الدِّيوانيات .

الصف الساج

(من أرباب الولايات بالنيابات الشامية - زعماء أهل النّمة)

وهي رئاسة اليهود، وبطركية النصارى .

أما رئيس اليهود، فالذى رأته لهم من ألقابه في عهد قديم، كتبه ابن الزكي في الدولة الأيوبية . قال في ألقابه : « الرئيس ، الأوحّد ، الأجل ، الأعزّ ، الأخصّ ، الكبير ، شرف الداوديين ، فلان » .

وأما بطرك النصارى ، فرأيت لهم فيه طريقتين :

الطريقة الأولى : « البطرْكُ المحتشم ، المبجل ، فلان ، العالمُ بأمور دينه ، المعلم أهل ملته ، ذنر الملة المسيحية ، كبير الطائفة العيسوية ، المشكور بقله عند الملوك والسلطين ، وفقه الله تعالى » .

الطريقة الثانية : « مجلس التّسّيس ، الجليل ، الرّوحانيّ ، الخطير ، المتبتل ، ابن المطران ، النّاصب ، الخاشع ، المبجل ، قدوة دين النّصرانيّة ، نحر الملة العيسوية ، عماد بني المعمودية ، جمال الطائفة الفلانية ، صفة الملوك والسلطين ، فلان : أدام الله تعالى بهجته » .

المقصود الخامس

(في بيان مقادير قطع الورق المستعمل فيما يكتب)

عن تواب الممالك الشامية)

قد تقدّم في المقالة الثالثة ، في الكلام على مقادير قطع الورق ، أن الورق المستعمل في دواوين الممالك الشامية على ثلاثة مقادير : قطع الطلحية الشامية الكاملة ، وهو

في عَرْضِ الطَّلْحَةِ المعبر عنها بالقرْخَة وطُولِهَا . وقطع نصف الحَمْوَى ، وهو في نصف عَرْضِ الطَّلْحَةِ الَّتِي فِي قَطْعِ الحَمْوَى وطُولِهَا ، وَرُبَّمَا تَقَصَّصَتْ فِي الطُّولِ . وَقَطَّعَ العَادَةُ ، وهو على تَحْوِيٍّ مِنْ قَطْعِ العَادَةِ الْبَلَدِي . وقد تَهَدَّم ذِكْرُهُ .

فَمَا كَانَ مِنْهَا فِي طُولِ الشَّامِيِّ الْكَامِلِ كُتِبَ بِقَلَمِ الثَّلَاثِ . وَمَا كَانَ فِي قَطْعِ نِصْفِ الحَمْوَى كُتِبَ بِقَلَمِ التَّوْقِيعَاتِ . وَمَا كَانَ فِي قَطْعِ العَادَةِ كُتِبَ بِقَلَمِ الرَّقَاعِ . ثُمَّ مَا كَانَ فِي قَطْعِ الطَّلْحَةِ ، أَفْتَحَ مَا يَكْتُبُ فِيهِ بِ«الْحَمْدُ لِلَّهِ» . وَمَا كَانَ فِي قَطْعِ نِصْفِ الحَمْوَى ، أَفْتَحَ مَا يَكْتُبُ فِيهِ بِ«أَمَّا بَعْدُ حَمْدُ اللَّهِ» . وَمَا كَانَ فِي قَطْعِ العَادَةِ ، أَفْتَحَ مَا يَكْتُبُ فِيهِ بِ«رَسُمُ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ» سِوَاءَ فِي ذَلِكَ عِلَّتِ الْأَلْقَابُ أَوْ أُنْخَطَّتْ ، حَتَّى إِنْهُ رُبَّمَا كُتِبَ بِهِ «الْمَقَرَّةُ» فِي قَطْعِ العَادَةِ ، أَعْتَابَرًا بِحَالِ الْوِظَافَةِ .

المقصد السادس

(فِي بَيَانِ مَا يَكْتُبُ فِي طَوَرِ التَّوَاظِعِ)

اعْلَمْ أَنَّ التَّوَابَ بِالْمَالِكِ الشَّامِيَّةِ عَادَتُهُمْ فِي الْعَلَامَةِ كِتَابَةُ اسْمِ النَّائِبِ ، كَمَا أَنَّ السُّلْطَانَ فِيمَا يَكْتُبُ عَنْهُ مِنَ الْوَلَايَةِ يَكْتُبُ فِي الْعَلَامَةِ اسْمَهُ . وَحِينَئِذٍ فَيَحْتَاجُ الْكَاتِبُ إِلَى أَنْ يَكْتُبَ فِي أَطْلَى الدَّرَجِ فِي الْوَسْطِ مَا صَوَّرَتْهُ : «الْأَمِّ الْكَرِيمِ» ثُمَّ يَكْتُبُ مِنْ أَوَّلِ عَرْضِ الدَّرَجِ مَا صَوَّرَتْهُ : «تَوْقِيعُ كَرِيمٍ بِاسْتِقْرَارِ الْمَقَرَّةِ الشَّرِيفِ أَوْ الْكَرِيمِ ، أَوْ الْخَنَابِ الْكَرِيمِ أَوْ الْعَالِي ، أَوْ الْمَجْلِسِ الْعَالِي أَوْ السَّامِيِّ ، أَوْ مَجْلِسِ الْأَمِيرِ أَوْ الْقَاضِي ، أَوْ الشَّيْخِ ، وَنَحْوِ ذَلِكَ ، فِي كَذَا وَكَذَا إِلَى آخِرِهِ» . فَإِنْ كَانَ فِيهِ مَعْلُومٌ كَسِبَ آخَرًا : «بِالْمَعْلُومِ الشَّاهِدِ بِهِ الدِّيْوَانِ الْمَعْمُورِ ، أَوْ الشَّاهِدِ بِهِ كَاتِبُ الْوَقْفِ» وَنَحْوِ ذَلِكَ ثُمَّ يَكْتُبُ : «حَسَبَ مَا رُمِيَ بِهِ عَلَى مَا شُرِّحَ فِيهِ» . وَلَفْظُ :

«حَسَبَ مَا رُسِمَ بِهِ» مما جَرَتْ بِهِ عَادَةُ كُتَابِهِمْ، بِخِلَافِ مَا يَكْتُبُ بِهِ مِنَ الْأَبْوَابِ السُّلْطَانِيَّةِ عَلَى مَا تَهْتَمُ ذِكْرُهُ .

وهذه طُورَةُ تَوْقِيعِ بِنْقَابَةِ الْأَشْرَافِ بِحَلَبِ الْمَحْرُوسَةِ ، كُتِبَ بِهِ لِلشَّرِيفِ « غِيَاثِ الدِّينِ أَحْمَدَ » بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْمَعْرُوفِ بِابْنِ الْمَدْلُوحِ ، وَهِيَ :

تَوْقِيعٌ كَرِيمٌ بِاسْتِقْرَارِ الْمَقَرِّ الْعَالِي ، الْأَمِيرِيِّ ، الْكَبِيرِيِّ ، الشَّرِيفِيِّ ، النَّبِيِّ ، الْحُسَيْنِيِّ ، الْأَصِيلِيِّ ، الْعِزِّيِّ ، بَرَكَهَ الْمُلُوكِ وَالسُّلَاطِينِ ، أَحْمَدُ بْنُ الْمَقَرِّ الْعَالِي ، الشَّرِيفِيُّ ، النَّبِيُّ ، الشَّهْبَانِيُّ ، أَحْمَدُ الْحُسَيْنِيُّ ، أَسْبَغَ اللَّهُ ظِلَالَهُمَا ، فِي وَظِيفَةِ نَقَابَةِ السَّادَةِ الْأَشْرَافِ ، وَنَظَرِ أَوْقَافِهَا ، وَالْحُكْمِ فِي طَوَائِفِهِمْ عَلَى اخْتِلَافِهِمْ أَجْمَعِينَ ، عَوَضًا عَنْ وَالِدِهِ الْمَشَارِإِ إِلَيْهِ بِرِضَاهُ ، عَلَى عَادَتِهِ فِي ذَلِكَ وَمُسْتَقَرِّ قَاعِدَتِهِ ، وَتَعَالِيهِ الْمُسْتَمِرَّةِ إِلَى آخِرِ وَقْتٍ ، حَسَبَ مَا رُسِمَ بِهِ بِمَقْتَضَى الْخَطِّ الْكَرِيمِ ، عَلَى مَا شَرَحَ فِيهِ .



وهذه نسخة طُورَةِ تَوْقِيعِ بِكَشَفِ الصَّفْقَةِ الْقَبِيلِيَّةِ بِالشَّامِ ، مِمَّا كُتِبَ بِهِ لـ«فَرَسِ الدِّينِ خَلِيلِ النَّاصِرِيِّ» وَهِيَ :

تَوْقِيعٌ كَرِيمٌ بِأَنْ يَسْتَقَرَّ الْجَنَابُ الْكَرِيمُ ، الْعَالِي ، الْمُتَوَلَّى ، الْأَمِيرِيُّ ، الْكَبِيرِيُّ ، الْفَرَسِيُّ ، ظَهِيرُ الْمُلُوكِ وَالسُّلَاطِينِ ، خَلِيلُ النَّاصِرِيِّ ، إِدَامَ اللَّهُ تَعَالَى نِعْمَتَهُ ، فِي كَشَفِ الْبِلَادِ الْقَبِيلِيَّةِ الْمَحْرُوسَةِ بِالشَّامِ الْمَحْرُوسِ ، عَلَى عَادَةٍ مِنْ تَقَدَّمَ فِي ذَلِكَ وَمُسْتَقَرِّ قَاعِدَتِهِ ، حَسَبَ مَا رُسِمَ بِهِ ، عَلَى مَا شَرَحَ فِيهِ .



وهذه نسخة طُورَةِ تَوْقِيعِ بِالْمِهْنَدَارِيَّةِ بِالشَّامِ الْمَحْرُوسِ ، كُتِبَ بِهِ لـ«فَرَسِ الدِّينِ خَلِيلِ الطَّنَاحِيِّ» وَهِيَ :

توقيع كريم باستقرار الجناح العالى، الأميرى، الكبيرى، الفريسي، عضد الملوك والسلاطين، خليل الطناحى، أدام الله تعالى نعمته، فى وظيفة المهندارية الثانية بالشام المحروس، عوضاً عن حسام الدين حسن بن صاروجا، بحكم شغورها عنه، لما أخفق من الغضب الشريف عليه، وأعتقاله بالقلعة المنصورة بحلب المحروسة، على أجل عاذه، وأكمل قاعدة، حسب ما رسم به، على ما شرح فيه .



وهذه نسخة طرة توقيع بتصدير الجامع الأموى بالشام، كتب به للقاضى «ناصر الدين» بن أبى الطيب كاتب السر بالشام، وهى :

توقيع كريم بأن يستقر المقر الشريف، الناصرى، محمد بن أبى الطيب العموى، العثمانى، الشافى، صاحب ديوان الإنشاء الشريف بالمملكة الشريفة الشامية المحروسة، عظم الله تعالى شأنه، فى وظيفة التصدير بالجامع الأموى المعمور بذكر الله تعالى، عوضاً عن القاضى صدر الدين عبد الرحمن الكفرى الشافى، بحكم وفاته إلى رحمة الله تعالى، بماله من المعلوم الذى يشهد به ديوان الوقف المبرور، حسب ما رسم به، على ما شرح فيه .



وهذه نسخة طرة توقيع بإعادة مئبغة الشيوخ بالشام إلى القاضى «ناصر الدين ابن أبى الطيب» المذكور أعلاه، وهى :

توقيع كريم بأن تموص إلى المقر الشريف العالى، المولوى، القاضى، الناصرى، محمد بن أبى الطيب العموى، العثمانى الشافى، صاحب ديوان الإنشاء الشريف بالمملكة الشريفة الشامية المحروسة، أعاد الله تعالى من بركاته، وأسبغ

ظلاله ، مشيخة الشيوخ بالشام المحروس ، وظيفته التي خرجت عنه ، المرسوم الآن
إعادتها إليه ، عوضاً عن هي بيده ، بعلومه في النظر والمشيخة ، الشاهد بهما ديواناً .
الوقف المبرور ، إلى آخر وقت ، على أجل العوائد ، وأجل القواعد ، حسب ما رسم
به ، على ما شرح فيه .



وهذه طرّة توقيع بالمثل على التزول والتقرير الشرعي ، بالزاوية الأمينية ، بالقدس ،
كُتِبَ به للشيخ «برهان الدين الموصلي» وهي :

توقيع كريم بأن يُحمّل الجناح العالي ، الشيخي ، البرهاني ، إبراهيم ابن سيدنا
المرحوم الشيخ القطب ، تقي الدين أبي بكر الموصلي ، رضى الله عنه وأعاد من
بركاتها ، فيوظف في النظر والمشيخة ، بالزاوية الأمينية بالقدس الشريف ، على حكم
التزول الشرعي ، واستمرار ذلك بمقتضاها ، ومنع المنازع بغير حكم الشرع الشريف ،
حسب ما رسم به ، على ما شرح فيه .



وهذه طرّة مرسوم برّيع تقديمه إمرة بني مهدي ، كُتِبَ به لـ«عيسى بن
حناس» وهي :

مرسوم كريم بأن يستقر المجلس السامي ، الأمير ، شرف الدين ، عيسى بن
حناس (؟) ، أعزّه الله تعالى ، فيرّبع تقديمه بني مهدي ، على عادة من هتّمه ، حملاً
على ما بيده من التوقيع الكريم ، على ما شرح فيه .



وهذه طرّة توقيع بطرّكة النصاري الملكية بالشام ، كُتِبَ به لـ«داود
انطوري» وهي :

تَوْفِيعٌ كَرِيمٌ بَأَن يَسْتَقِرَّ الْبَطْرِيكُ ، الْمُحْتَسِمُ ، الْمُبِيلُ ، دَاوُدَ الْخُورِي ، الْمَشْكُورَ
بِقَوْلِهِ لَدَى الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ ، وَفَقَهُ اللَّهُ تَعَالَى ، بِطَرِيكِ الْمَلِكِيَّةِ بِالْمُلْكَةِ الشَّرِيفَةِ
الشَّامِيَةِ الْمُحَرَّسَةِ ، حَسَبَ مَا اخْتَارَهُ أَهْلُ مَلِيَّةِ الْمُقِيمُونَ بِالشَّامِ الْمُحَرَّسِ ، وَرَغِبُوا
فِيهِ ، وَكَتَبُوا خُطُوطَهُمْ بِهِ ، وَسَلَّوْنَا تَقْرِيرَهُ دُونَ غَيْرِهِ ، حَسَبَ مَا رُسِمَ بِهِ ، عَلَى
مَا شَرَحَ فِيهِ .

المقصود السابع

(في بيان كيفية ترتيب هذه التواقيع)

قَدْ جَرَتْ عَادَةٌ تُكَلَّبُ هَذِهِ النِّيَابَاتُ أَنْ تُكْتَبَ الطَّرَةُ بِأَعْلَى الدَّرَجِ كَمَا تَقْدَمُ .
ثُمَّ يَتْرُكُ وَصْلَانُ بَيَاضًا بِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ وَصْلِ الطَّرَةِ ؛ ثُمَّ تُكْتَبُ الْبَسْمَلَةُ فِي أَوَّلِ
الْوَصْلِ الثَّالِثِ ، ثُمَّ يُكْتَبُ تَحْتَ الْبَسْمَلَةِ عَلَى سَمْتِ الْجَلَالَةِ : « الْمَلِكِيُّ الْفَلَائِيُّ »
ثُمَّ يُخْتَلَى بَيْنَ الْعَلَامَةِ نَحْوَ سِتَةِ أَصَابِعَ مُعْتَرِضَةً ، ثُمَّ يُكْتَبُ السُّطْرُ الثَّانِي وَيُوَافَى كِتَابَةُ
السُّطْرِ ، وَيَكُونُ مَا بَيْنَهُمَا بِقَدْرِ أَصْبَعَيْنِ ، وَالباقى على نحو ما تقدم في السلطانيات .

الطرف الثاني

(في نسخ التواقيع المكتوبة عن نواب السلطنة بالممالك الشامية)

قَدْ تَقَدَّمَ فِي الْمَقَالَةِ الثَّانِيَةِ أَنَّ بِالْبِلَادِ الشَّامِيَةِ سَبْعُ نِيَابَاتٍ : دِمَشْقَى ، وَحَلَبُ ،
وَطَرَابُلُسُ ، وَحِمَاةُ ، وَصَفَدُ ، وَغَزَّةُ إِنْ كَانَتْ نِيَابَةً ، وَالكَرْكُ . وَأَنَّ أَعْلَاهَا دِمَشْقَى ،
ثُمَّ حَلَبُ ، ثُمَّ طَرَابُلُسُ . وَفِي مَعْنَى طَرَابُلُسُ حِمَاةُ وَصَفَدُ .

وَقَدْ أَقْتَصَرْتُ فِي نَسْخِ التَّوَاقِيْعِ عَلَى مَا يَكْتُبُ فِي ثَلَاثِ نِيَابَاتٍ [تَهْدِيماً ^(١) لَهَا]
عَلَى مَا صَدَّاهَا .

(١) بياض بالأصل .

النيابة الأولى الشام
(والتواقيع التي تُكتب بها على خمسة أصناف)

الصنف الأول
(ما يكتب بوظائف أرباب السيوف ، وهو على ضربين)

الضرب الأول
(ماهو بمحاضرة دِمَشْق ، وهو على مراتب)

المرتبة الأولى
(ما يفتح بـ « الحمد لله » وفيها وظائف)

وهذه نسخ تواقع من ذلك :

نسخة توقيع بولاية دِمَشْق :

الحمد لله الذي جعل هذه الأيام الزاهرة تنقل أولياء آلائه الشريفة إلى أعلى
المراتب ، ويُجزل لهم من مَنِّه الجمَّة المواب ، وتضاعف لهم النِّعمة بكرمها الذي إذا
أنهَل كان كالقَيْث السَّكَب .

نحمده على أن جعل نظرنا يلمح أهل الهِمِّ ورُاقب ، ونشهد أن لا إله إلا الله
وحده لا شريك له شهادة يبلِّغ قائلها يركتها المُنَى والمآرب ، وتهوُّن عليه كلُّ
المصائب ؛ ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي أظهر الله يَمِّنته الحقَّ
في المشارق والمغارب ، وأثار به ظلم النِّيَّاب ؛ صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين
شيدوا منار الإسلام وأقاموه بالسيوف القواضب ؛ وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد ، فإن المناصب بتوليها ، والمعالى بعملها ، والعقود ليست بمن تحليها بل بمن يحليها ؛ وأطيب البقاع جناباً مطاب أرباباً وثماراً ، وبقر خلاه كل نهر « يروع حصاه حاليّة العذاري » ورثت معاطف غصونه سلاف النسيم قراها سكارى ، وتمتد ظلال النضون فيخال أنها على وجنات الأنهار عذارا .

ولما كانت دمشق المحروسة لها هذه الصفات ، وعلى صفاتها تهب نسبات [هذه] السبات ، لم يتصف غيرها بهذه الصفة ، [ولا اتفق أولو الألباب إلا على محاسنها المختلفة] ^(١) وكان الجناح الكريم هو من أعيان الدولة وأماثلهم ، ووجوه رؤسائهم وأفاضلهم ؛ وله في طاعتها استرسال الأمن من سوء مواطن المخاوف ، ووصل في ولايتها القديم بالحديث والتألد بالطارف ؛ وتولى مهمات الخدم فأبان في جميعها عن مضاء عزيمه ، وكان من حسن آثاره فيها ما شهر غفلها بوسمه ؛ فنأواه من أقرانه أربى عليه وزاد ، ومن بآراه من أنظاره أنسى ذكره أو كاده .

فلذلك رسم بالأمر الشريف أن يستقر في ولاية مدينة دمشق المحروسة .

فلما شر هذه الولاية : عاملاً بتقوى الله تعالى التي أمر بها في محكم الكتاب ، حيث يقول : (وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ) . ويشمل كافة الرعايا بالحفظ والرعاية ، ويحجز حظهم من الملاحظة والعناية ؛ وليسا في الحق بين ضعيفهم وقويهم ، وقصيرهم وغنيهم ؛ وليلزم أتباعه يحفظ الشوارع والحارات ، وحراستها في جميع الأزمنة والأوقات ؛ مع مواصلة التظواف كل ليلة بنفسه في أوقافه ، وأظهر عده ، منتهيا في ذلك وفيما يجاريه إلى ما يشهد بجتهاده ، ويعرب عن سدايه ، ويعلم منه صواب قصده وأعتاده ، وبذل مناصحته في إصداره وإيراده ؛ والله تعالى يبينه على ماؤلاه ، ويحفظ عليه ماؤله وأولاده ؛ بمنه وكرمه .

(١) الزيادة عما تقدم في الصف الثالث في توابع أرباب الوظائف في حاضرة دمشق ليستقيم الكلام .



وهذه نسخة توقيع بنظر الجامع الأموي، لصاحب سيف: كُتِبَ به في الدولة الظاهرية «برقوق» لناصر الدين «محمد» ابن الأمير جمال الدين، عبد الله ابن الحاجب، عند مصاهرته الأمير بطلان الوادار، وهي:

الحمد لله الذي قدّم أعظم الأمراء ليم موطن الذكر بنظره السعيد، وأقام لتعظيم بيوت أذن الله أن ترفع، [أميرا] في الأكتساب للأجور أسرع من البريد، وأطرب المسامح بسيرته في أحسن معبد جليت فيه عروس مهرها كتاب الله تعالى والثور من زيتونة لا شرقية ولا غربية ومرتقى عليه من مكان بعيد.

نحمد على أن أصل ناصر الدين بجماله الأسنى أشرف المراتب، وبوَاه المحل الرفيع الذي بلغ به الأمة المحمدية المآرب، وسار خبر سيرته في المشارق والمغارب، وبلغ بمشارقة نظره السعيد الشاهد والقائب، حمدا زفنه على النسر الطائر، ونتمثل بقول القائل: كَمْ تَرَكَ الْأَوَّلُ لِلْآخِرِ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الذي خلق العباد لعبادته، وفضل بعض المساجد على بعض لما سبق في علمه من إرادته؛ ونشهد أن سيدنا محمدا خير الخلائق عبده ورسوله الذي سن الجمعة والجماعة، وعمر المساجد بالركوع والسجود إلى قيام الساعة؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين أتبعوه في قيام الليل إلا قليلا، ولا زموا المساجد بكثرة وأصيلا، وحضوا على الجماعة إلى يوم تكون الجبال فيه كثيبا مهيبا؛ وسلم تسليما كثيرا.

وبعد، فلما كان جامع دمشق المحروسة رابع المساجد، وموطن كل رايح وساجد؛ وتخصه الأئم من الأقطار، ولم يتحل من العبادة في الليل والنهار، ورواتب حكام الشريعة عليه، والعلماء الأعلام تبث فيه العلوم وتلوي إليه، وغالب المساجد

إلى سَاحِطِ وَقْفِهِ مُضَافَةً، وَخَطَابَتُهُ تَضَاهِي مَرْتَبَةِ خِلَافَتِهِ، وَهُوَ أَجَلُ عَجَائِبِ الدُّنْيَا الَّتِي وُضِعَتْ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ، وَبِهِ يَفْتَحُرُ أَهْلُ الْهُدَى عَلَى أَهْلِ الضَّلَالِ - تَعَيَّنَ أَنَّ يَكُونَ النَّاطِرُ فِي أَمْرِهِ مِنْ عَظَمِ قَدْرًا، وَطَابَ ذِكْرًا، وَفَتَحَ لَوْقِفِهِ بَابَ الزَّيَادَةِ عَلَى مُضَى السَّاعَاتِ، وَجَمَعَ أَمْوَالَهُ بَعْدَ الشَّتَاتِ، وَوَصَلَ الْحُقُوقَ لِأَرْبَابِهَا الَّذِينَ كَانَتْهُمْ جَرَادٌ مَنَشَرٌ، وَلَمْ يُضَعْ مِنْ مَالِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ وَمَنْ قَالَ: إِنَّهُ صَدَقَهُ فَيَوْمُهُ يَوْمٌ عَسِرٌ، وَحَمَّ جَمِيعَ الْمَسَاجِدِ الْمَضَافَةِ إِلَيْهِ بِالْقُرْشِ وَالتَّنْوِيرِ، وَبَدَأَ الْإِمَّةَ وَالْمُؤَذِّنِينَ وَالْخَلْمَةَ بَعْدَ الْعَارَةِ عَلَى الْكَبِيرِ وَالصَّغِيرِ.

وَكَانَ الْجَنَابُ الْكَرِيمُ - ضَاعَفَ اللَّهُ تَعَالَى نِعْمَتَهُ - هُوَ الَّذِي يَقُومُ فِي هَذَا الْأَمْرِ أَحْسَنَ مَقَامٍ، وَيَصْلُحُ لَهُ فِي مَصْلَحَتِهِ الْكَلَامُ.

رُئِمَ بِالْأَمْرِ الْعَالِي، الْمَوْلَوِي، السُّلْطَانِي، الْمَلِكِي، الظَّاهِرِي، السَّيْفِي - لِأَزَالِ هَذَا الدِّينَ الْقِيمَ قَائِمًا بِمُحَمَّدٍ، وَالْمَسَاجِدَ الْمَعْمُورَةَ [مَعْمُورَةً] بِأَكْرَامِ مُسْجِدِهِ - أَنْ يَسْتَقِرَّ الْجَنَابُ النَّاصِرِيُّ الْمَشَارِإِلِي فِي النَّظَرِ السَّعِيدِ عَلَى الْجَامِعِ الْأُمَوِيِّ الْمَعْمُورِ بِذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى، وَأَوْقَافِهِ الْمَبْرُورَةِ، عَلَى أَجْمَلِ الْعَوَائِدِ، وَأَكْمَلِ الْقَوَاعِدِ، بِالْمَعْلُومِ الشَّاهِدِ بِهِ دِيوَانُ الْوَقْفِ الْمَبْرُورِ، إِلَى آخِرِ وَقْتٍ.

فَلْيُشَارْ ذَلِكَ: لِمَا يُعْرَفُ مِنْ فِعَالِهِ الْحَسَنَةِ، وَخَيْرِيَّتِهِ الَّتِي نَطَقَتْ بِهَا مِنَ الْحَابِرِ الْأَقْوَامُ وَمِنَ الْأَقْلَامِ الْأَلْسِنَةُ، وَلِمَا حَازَهُ مِنْ قَضِيئِي السَّيْفِ وَالْقَلَمِ، وَأَعْمَالِ الَّتِي بَدَتْ لِلْمُهَنْدِي بِهَا كُنُوزُ لَا تَارٍ عَلَى عِلْمٍ، وَلِيَعْمَرَ مَا دَنَى مِنَ الْأَوْقَافِ وَلِيُوصَلَ الْحُقُوقَ إِلَى أَرْبَابِهَا، وَلِيَسْذِفَ الْأَمْوَالَ إِلَى مَنْ هُوَ أَوْلَى بِهَا، وَيَكْفِ كَفَّ الظُّلْمِ وَلِيُبَلِّغَ الْمُسْتَحِقَّ الْمَآرِبِ، وَلِيَحْجِبَ الْخَوَنَةَ عَنِ التَّوَصُّلِ إِلَى مِثْقَالِ ذَرَّةٍ بِيَدِهِ فَهُوَ بِحَكْمِهِ حَاجِبٌ، وَلِيَسْدَأَ بِالْعَارَةِ وَالْقُرْشِ وَالتَّنْوِيرِ فِي جَمِيعِ الْأَوْقَاتِ، وَأَرْبَابِ الصَّلَاةِ

وَالصَّلَاتِ . وَالْوَصَايَا كَثِيرَةٌ وَهِيَ أَدْرَى ، وَقَوَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَلَائِكَهَا وَلَا زَالَ يُفِيدُهَا كَمَا يُعَلِّمُ الشَّجَاعَةَ زَيْدًا وَعَمْرًا ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَجْعَلُهُ أَبَدًا لِلدِّينِ نَاصِرًا ، وَيُصَلِّحُ عَمَلَهُ أَوَّلًا وَآخِرًا ، وَالْإِعْتِمَادُ فِي مَعْنَاهُ ، عَلَى الْخَطِّ الْكَرِيمِ أَعْلَاهُ .

المرتبة الثانية

(مَا يُفْتَحُ بِهِ مَا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ ، وَفِيهَا وَظَائِفُ)

وهذه نسخة توقيع ... (١) ... الزكاة ، من إنشاء الشيخ جمال الدين بن ثبأته ، وهي :
أَمَّا بَعْدُ حَمْدُ اللَّهِ مُسْعِدٍ مِنْ زَكَاةِ عَمَلِهِ ، وَوَقَّاهُ وَعَدَ الْخَيْرِ أَمَلُهُ ، وَمُضْعِدٍ مِنْ وَقْتِ
فِي تَدْيِيرِ الْوِظَائِفِ تَفَاصِيلِ أَمْرِهِ وَوَقُرَّتْ فِي تَمِيرِ الْأَمْوَالِ جَمْلُهُ ؛ وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ
عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ الَّذِي أَمَرَنَا بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ ، وَشَفَى جَانِبَ الدِّينِ الْقِيَمِ
مِنَ الشَّكَاةِ ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ سَارَ عَلَى نَهْجِهِ الْقَوِيمِ سَائِرُهُمْ ، وَتَرَكَّى - وَإِنَّمَا
يَتَرَكَّى لِنَفْسِهِ - مُنْجِدُهُمْ وَقَائِرُهُمْ - فَإِنَّ أَحَقَّ الْوِظَائِفِ أَنْ يُسَدَّ لِحَايَتِهَا الْحُسَامُ ،
وَيَتَرَبَّ لِكِفَايَتِهَا مَنْ تَحَلَّتْ بِالْمَحَامِدِ شَيْئُهُ الْحُسَامُ - وَظِيفَةُ الزَّكَاةِ الَّتِي وَصَلَتْ سَبَبُ
مَكَانِهَا بِإِمَّاكِنِهَا ، وَبُنِيَتْ شَرِيعَةُ الْإِسْلَامِ عَلَى أَحَدِ أَرْكَانِهَا ، وَمُذِخَتْ الْمُلْكَةُ بِمَعَالِي
الْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ الْمُتَقَلِّمَةِ مِنْ دِيَوَانِهَا .

وَلَمَّا كَانَ فَلَانٌ مِّنْ زَكَّتْ صِفَاتُهُ ، وَسَمَتْ بِالْجَمِيلِ سِمَاتُهُ ، وَوَحَّشَتْ كَفَائَتُهُ
وَدَرَايَتُهُ ، وَصَلَحَتْ حَيَاتُهُ الْحُسَامِيَّةُ وَوَقَائَتُهُ ؛ وَكَانَ أَيْمَنُ فِي قَبْضَةِ مَضَاهِ ، وَتَجَرِيدِهِ
وَأَيْتُضَاهِ ، وَكَانَ نَفُودُ أَمْرِهِ وَاقِفًا عِنْدَ حَدِّهِ وَاقِفًا عَلَى وَفْقِ آرْتِضَائِهِ - تَعَيَّنَ أَنْ يُوَصَّلَ
سَبَبُ الشَّدِّ بِأَسْبَابِهِ ، وَيُرْجَعَ إِلَيْهِ فِي الزَّكَاةِ الْمُسْتَحَقِّ نِصَابُهَا حَتَّى يُقَالَ : رَجَعَ الْحَقُّ
بِالْحُسَامِ إِلَى نِصَابِهِ .

(١) يبايض بالأصل وله : بتولية وظيفة الزكاة الخ .

فلذلك رُسِمَ أن يرتب علماً بأنه الكافي الذي إذا شَدَّ سَدَّ، وإذا قَصَرَ رَأَيْهِ عَلَى الصَّنْعِ الْجَمِيلِ مَدَّ؛ وَالْجَبِيرُ الَّذِي إِذَا جَمَعَ مَالًا وَعَدَّه كَانَ مَشْكُورًا، وَإِذَا فَرَّقَهُ فِي مُسْتَحِقِّهِ كَانَ خِلَافَ الْغَيْرِ بِالْخَيْرِ مَذْكُورًا؛ وَالنَّاهِضُ الَّذِي مَا تَبَرَّمَ بِمَضَائِقِ الْمُهَمَّاتِ وَلَا شَكَاها، وَالْمَهْبُوبُ الَّذِي قَدْ آمَنَ مَنْ سَارَ بِالْبِضَاعَةِ إِلَيْهِ وَقَدْ أَقْلَحَ مِنْ زَكَاها .

فَلْيَسْتَقِرَّ فِي هَذِهِ الْجِهَةِ أَسْتِقْرَارًا يَزِيدُ مَكَانَهُ وَإِمَكَانَهُ ، وَيُثَمِّرُ عَمَلَهُ وَدِيَوَانَهُ ، وَلْيُوَصِّلْ كُلَّ ذِي حَقٍّ إِلَى حَقِّهِ فَإِنَّمَا بُسِطَتْ أَيْدِي وِلَاةِ الْأُمُورِ لِيَسْطُرَ عَنْدَهُ مَتَوَلِّبًا وَإِحْسَانًا . وَتَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى هِيَ الْعُمْدَةُ : فَلْيُحَقِّقْ بِاعْتَادِها فِيهِ ظُنُونَ الرَّاجِينَ ، وَلْيَسْتَعِنْ بِها عَلَى رِضَا الْمُسْتَنْصِفِينَ لَهُ وَعَلَى رِضَا الْمُحْتَاجِينَ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يُلْهِمُهُ الْخَيْرَ فِي دَوَى الصَّائِرِ وَالْوَارِدِ حَتَّى يَكُونُوا إِلَى خَيْرٍ «لَا جِينَ» خَيْرَ لَا جِينَ .



وهذه نسخة توقيع بِسَدِّ الحَوَطَاتِ بِدِمَشْقَ . كُتِبَ بِهِ لِشَرَفِ الدِّينِ بِحْيِ بْنِ الْعَفِيفِ ، [بِاجْرَائِهِ] عَلَى عَادَتِهِ ، وَحَمَلَهُ عَلَى مَا بِيَدِهِ مِنَ التَّوْقِيعِ الشَّرِيفِ ، وَهِيَ :

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ الَّذِي سَهَّلَ الْخَيْرَاتِ بِأَسْبَابِها ، وَأَقَرَّ فِي الْوِظَانِ السَّنِيَةِ كِفَاةَ أَرْبَابِها ، وَكَلَّ أَدَوَاتِ مِنْ حَكْمَتِهِ التَّجَارِبُ فِي الْمُبَاشَرَاتِ حَتَّى دَخَلَ الْمَنَاصِبَ الْعَالِيَةَ مِنْ أَبْوَابِها ؛ وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ الْأَتَمِّينِ الْأَتْجَلِّينِ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الَّذِي جَاءَ بِرُشْدِ الشَّرِيعَةِ وَصَوَائِها ، وَعَرَّفَ بِحُسْنِ الصَّبِيْعَةِ وَقَوَائِها ؛ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَضَرَّتِهِ الطَّاهِرِينَ - فَإِنَّ أَوَّلِيَّ مَنْ لَقَّيْنَا إِلَيْهِ جِبَدَ الْإِحْسَانِ ، وَأَلْقَيْنَا إِلَيْهِ طُرْفَ التَّكْرِيمِ فَلَمَّحَ الْأَمَانِيَّ وَالْأَمَانَ ، وَلَحَظْنَا بِعَيْنِ عَنَانَيْنَا فَتَالِ مَنْ قَضَيْنَا مَا أَنْجَلَ الْغَيْثِ الْهَتَّانَ ؛ وَمَنْحَنَاهُ مِنْ بَرْنًا مَا شَرَحَ لَهُ صَدْرًا ، وَأَسْتَصَحَبْنَا لَهُ مَا أَلْفَهُ مِنْ كَرَمِنَا وَجَعَلْنَا لَهُ بَعْدَ

عُسْرِيَّراً، وَأَيُّقُنَا حَظَّهُ وَقَدْ كَادَ أَنْ يَتَّقَى، وَأُطْلَعْنَا كَوَكَبَ سَعْدِهِ بَعْدَ أَنْ كَادَ يَتَّقَى - مِنْ أَلَفَتْ مُهْمَاتُنَا مِنْهُ الْهِمَمَ الْعَلِيَّةَ، وَسَلَكَ بَيْنَ أَيْدِينَا الْمَسَالِكَ الْمُرْضِيَّةَ، وَأَثْمَنَ عَلَى أَمْوَالِ الْحَوَاطِطِ الدِّيَوَانِيَةِ فَنَمَتَ بِحُسْنِ أَمَانَتِهِ، وَشَكَرَتِ الدَّوْلَةُ جَمِيلَ تَدْيِيرِهِ وَدِرَاسَتِهِ .

وكان المجلس العالي فلان - أدام الله عزه - هو الذي أَخْبَرَ عَنْهُ الْوَصْفُ بِمَا أَثْبَتَهُ الْعِيَانُ، وَأُظْهِرَ الْإِخْتِبَارُ مِنْهُ حُسْنَ السَّيَرَةِ وَالسَّرِيَةِ وَالسَّجَايَا الْحَسَنَةِ .

فَلِذَلِكَ رُسِمَ بِالْأَمْرِ الْعَالِي - أَعْلَاهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَضَاعَفَ إِحْسَانَهُ عَلَى أَهْلِ الْهِمَمِ وَوَالَى - أَنْ يَسْتَمِرَّ الْمَشَارُ إِلَيْهِ فِي شَدِّ الْحَوَاطِطِ الدِّيَوَانِيَةِ بِدِمَشْقِ الْمَحْرُوسَةِ، عَلَى عَادَتِهِ، وَتُسْتَقَرَّ قَاعِدَتُهُ، وَتَحْمَلَهُ عَلَى مَا بِيَدِهِ مِنَ التَّوَقُّعِ الشَّرِيفِ الْمُسْتَمِرِّ حُكْمَهُ .

فَلْيُثَابِرْ هَذِهِ الْوُظُفِيَّةَ عَلَى أَجَلِ عَوَائِدِهِ، وَلْيَعُدَّ إِلَيْهَا عَلَى أَكْمَلِ قَوَاعِدِهِ؛ إِلَّا أَنْ التَّذَكُّرَ بِتَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى لَا بُدَّ مِنْ اقْتِبَاسِ ضِيَاها، وَالتَّنْبِيهِ عَلَى سُلُوكِ سَبِيلِ هُدَاها؛ فَتُكُنَّ قَاعِدَةً أَمَلَهُ، وَخَاطِمَةً عَمَلِهِ . وَالْإِعْتَادُ فِي مَعْنَاهُ، عَلَى الْخَطِّ الْكَرِيمِ أَعْلَاهُ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

المرتبة الثالثة

(مِنْ تَوَاقِعِ وَظَائِفِ أَرْبَابِ السُّيُوفِ بِدِمَشْقَ - مَا يُفْتَتَحُ بِهِ «رُوم» بِالْأَمْرِ الْعَالِي « وَفِيهِ وَظَائِفُ)

وهذه نسخُ تَوَاقِعٍ مِنْ ذَلِكَ :

نسخةُ تَوَقُّعٍ بِشَدِّ مَرَاكِزِ الْبَرِيدِ، مِنْ إِنْشَاءِ الشَّيْخِ جَمَالِ الدِّينِ بْنِ نُبَاتَةَ، كُتِبَ بِهَا لِمَنْ لَقِبَهُ «بِدَرِ الدِّينِ» فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ، وَهِيَ :

رُسم بالأمر العالي - لا زالت البُرْد سائرة بأوامرِ عدله المديد ، وهوامرِ جُوده الحميد ، وسواثر الأخبار عن أبيه ونَدَاهُ المروى سَنَدُهما عن ثابت ويزيد ، ولا برحت جوامع عطاياه وقضاياه : هذه فاتحة لمصالح الآمال باب الزيادة وهذه فاتحة لمصالح الإسلام باب البريد - أن يستقر المجلس على عادته الأولى ، وقاعدته التي ما برحت قَدَمُ مساعيه فيها المقدمة ويدُ أمانته الطولى ، علماً بكفائته التي شهدت بها حتى الخليل المائلات نُرْساً فأفصحت ، المواصلات سَعياً فأنجحت ، الموريات قَدَمًا إلا أن أَلْسِنَةَ الأحوال في شهادتها ما قدحت ، المُغَيَّرَاتُ على السرى صُبحًا ما دار عليها شَفَقُ العشي فأغبت ، حتى دار عليها شَفَقُ الفجر فأصطبحت . ومراكز الطرق التي حتمها مهابته فكأنها مراكز الأسل ، ومراكز السبل ، كل واحد منها وما حمل وكل حدب وما نسل ؛ وأعتاداً على سداد عزمه الذي وافق خُبره الخبر ، ورشاد سعيه الذي أوفاته من وجوه الإعادة ووجوه الجياد غرر ؛ ورُكُونًا إلى أنه الكافي فيما يعمده ويراه ، السارى في المهمات لا يملّ وهيأت أن يملّ البدر من سراه ؛ كم أعان الإسلام على ما اتخذ من قوة ومن رباط الخيل ، وكم جاد على الجياد على القيث^(١) حتى سارت بين يديه كالسبل ، وكم حَفِظَ عليها قوتها وقوتها فبعد ما كانت تموت بالعد صارَت تعيش بالكيل .

فليأثر ما عُولَ فيه عليه ، وأُعيد من حَقّه وإن كان نخرج عنه إليه ، ولْيُطْلَقَ يَدُ أمره ونهيّه بما يشره أن يُقدّمه بين يديه ؛ حَرِيصًا على أن تتطّق هذه النواب انخرُس غداً بَنَانِهِ ، مجرباً اقوامها وللإقامة بها على عادة إجرائه ، متخيرًا لها كل حَسَنِ الإمرة والسياسة عند رحيلها وقُدومها ، ومن إذا عُرِضَتْ عليه بالعشي الصافات الجياد طَفِقَ سَحَا وَلَكِنْ بِإِمَاطَةِ الأذن عن جُسُوهها ، مُوسِعًا عليها من

المباني والأحوال كُلِّ مَضِيْقٍ، آمِرًا بِمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ نَوْعُهَا الْبَدِيعُ مِنْ صِنَاعَتَيْ تَرْشِيحٍ وَتَطْيِيقٍ ؛ مُسْتَأْمِنًا مِنَ الْإِيْدَى مِنْ يَرُدُّ عَنْهَا الْإِيْدَى الضَّائِمَةُ ، وَمِنْ يَسْلُوِي بِهَا فِي الْأَقْوَاتِ حَتَّى لَا تَكُونَ كَمَا قَالَ الْأَوَّلُ : « خَيْلٌ صِيَامٌ وَخَيْلٌ غَيْرُ صَائِمَةٍ » ؛ مُتَحَرِّيًا فِي تَكْثِيفِهَا أَجْمَلَ الطَّرُقِ وَالطَّرَائِقِ ، مُسْتَجَلِبًا صُنُوفَ الْعَلِيقِ فَلَا تَتَقَطَّعُ مِنْ بَرِّهِ الْعَلَائِقِ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يَمُدُّهُ بِعَوْنِهِ وَرَشْدِهِ ، وَيَجْعَلُ عَزْمَهُ سَائِقًا إِلَى التَّوْفِيقِ « سَبْقُ الْجَوَادِ إِذَا اسْتَوَلَى عَلَى أَمْدِهِ » ؛ بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ .



وهذه نسخةٌ تَوْفِيقُ بِيْقَابَةِ النُّقْبَاءِ، مِنْ إِنْشَاءِ الشَّيْخِ جَمَالِ الدِّينِ بْنِ بُنَاتَةَ أَيْضًا، كُتِبَ بِهَا لِشَهَابِ الدِّينِ «بُولَاقٍ» عَوْضًا عَنْ أَبِيهِ، فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَثَمَانِمِائَةٍ، وَهِيَ :
رُسمُ بِالْأَمْرِ الْعَالِي - لَا زَالَ بِإِنْعَامِهِ يُسْفِرُ عَنْ وَجْهِ الْأَمَلِ قَبَابَهُ ، وَيَحْفَظُ لِكَافِي الْخِدْمَةِ أَعْقَابَهُ ، وَيَلْوِي بِاسْتِمْرَارِ النِّعَمِ أُنْوَارَ الزَّمَانِ وَأَحْقَابَهُ ، وَيُطْلِعُ فِي آفَاقِ دَوْلَتِهِ شَهَابَ كُلِّ عَزْمٍ مُحَمَّدٌ عَسَاكِرُهُ الْمَنْصُورَةُ أَرْتِقَاهُ وَأَرْتِقَابَهُ - أَنْ يَرْتَّبَ الْمَجْلِسُ السَّامِي، الْأَمِيرُ : عَلَمًا بِأَوْصَافِهِ الْحَسَنَةِ ، وَأَوْضَاعِهِ الَّتِي لَا يَحْتَاجُ الْحُكْمُ بِفَضْلِهَا إِلَى إِقَامَةِ بَيْنِهِ ، وَكَفَافَتِهِ الَّتِي تَنْطَلِقُ بِهَا أَلْسِنَةُ الْأَحْوَالِ الْمُؤْمِنَةِ وَقُلُوبُ السَّائِرِ الْمُؤْمِنَةِ ، وَهَيْئَتِهِ الَّتِي إِذَا وَقَفَتِ الْمَوَاقِفُ عَلَى الْأَعْدَاءِ عَرَقَتْهُ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَفْضَحَابُ الْمَيْمَنَةِ ، وَتَصَدِّيقًا لِدَلَالَةِ عَزْمِهِ الْوَاعِدِ ، وَتَحْقِيقًا لِحِمَايَةِ شِهَابِهِ الْوَاغِدِ ، وَرُكُونًا إِلَى قِيَامِهِ مَقَامَ أَبِيهِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي الْخِدْمَةِ حَتَّى كَأَن لَمْ يَقْفِدْهُ مِنَ الْحَيَاةِ فَاقِدٌ ؛ وَأَنَّهُ لِدَرَجَاتِ الِاسْتِحْقَاقِ رَاقٍ ، وَأَنَّهُ الْيَوْضُ عَنْ أَبٍ لَاقٍ مَنِيَّتَهُ وَكُلَّ أَمْرٍ لَاقٍ الْمَنِيَّةَ وَأَبْنُ لَاقٍ ؛ وَأَنَّهُ كُنْفُهُ هَذِهِ الْمَتَلَةَ كَمَا حَكَّمَ الرَّأْيُ وَأَقْنَضَى ، وَكَأَنَّهُ لَغَزْوَتُهُ (٩) لَغَزْوَتُهُ بِغُرْرِ الْفَوَائِدِ وَكَيْفَ لَا وَهُوَ أَبْنُ النَّقِيبِ الْمُرْتَضَى ! .

فَلْيَتَلَقَّ بِنِهَايِهِ الْمِصْرَ هَذَا الْمَطْلَعُ الْأَسْنَى، وَلَقِمَ فِي هَذِهِ الْوِظِيفَةِ عَلَى قَدَمِ الْخِدْمَةِ صُورَةً وَمَعْنَى؛ مُقَدِّمًا عَلَى النَّبَأِ تَقْدِيمَ إِمَامِهِمْ، مُعَلِّمًا لِحُنْدِ الْإِسْلَامِ مَعْلُومَ مَقَامِهِمْ؛ مَالًا بِإِتْقَانٍ مَعْرِفَةَ الْحِلِيِّ سَمِعَ مَنْ اسْتَمَلَاهُ، مُحِطِيًا بِالْخِنْدِيِّ مُعِينًا لَهُ عَلَى حُصُولِ الْخَيْرِ حَتَّى يَشْكُرَهُ شُكْرًا مِنْ أَطْعَمَهُ وَحَلَّاهُ؛ نَاطِمًا لِلْوَاكِبِ عَقْدَ مُجْتَمَعِهَا الثَّمِينِ، مُصَاحِبًا لَهَا مُحِبَّةً يَتَّقِي بِهَا عَلَيْهِ وَحَسْبُهُ أَنْ يَكُونَ مِنْ أَهْوَائِ الْيَمِينِ؛ مُرَبِّيًا لَهَا أَحْسَنَ تَرْبٍ، مُنْقِبًا عَنْ عَمَاسٍ تُجْعَلُهَا : فَإِنَّ أَسْمَ النَّقِيبِ مُشْتَقٌّ مِنَ التَّنْقِيبِ . وَلِيَكُنَّ رَحْمَةً السُّيُوفِ فَإِنَّهُ حَامِلٌ سَيْفٍ وَعَصَا، وَإِنَّهُ بِهِذِهِ مُخْلِصٌ حَقُوقَ مَنْ أَطَاعَ وَبِهَذَا مُوَبِّقٌ نَفْسَ مَنْ عَصَى؛ وَلِيُجَرِّضَ عَلَى أَنْ يَقُومَ بَوَعْدِ الْاجْتِهَادِ الْمُتَجَرِّصِ، وَعَلَى أَنْ يَكُونَ سَبِيفَ تَحْرِيطِضَ عَلَى جَرَحَى الْأَعْدَاءِ مُجْهَزٌ، وَعَلَى أَنْ يَحْصُلَ فِي مَوَاطِنِ الْإِجْهَادِ عَلَى الْأَجْرَيْنِ : أَجْرِ الْمُقَاتِلِ وَأَجْرِ الْمُجَهِّزِ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يُجِدُّ فِي الْخَيْرِ طَرِيقَهُ، وَيُؤَيِّدُ عَزْمَهُ الْخَيْرِشِيِّ حَتَّى تُلْهِجَ بِشُكْرِهِ أَلْسِنَةُ الْأَعْلَامِ الْخَافِقَةِ؛ وَالْإِعْتِدَادُ



وهذه نسخة توقيع بَشْدَ خَزَائِنِ السِّلَاحِ، مِنْ إِنْشَاءِ آبِنِ بِنَاتَةِ أَيْضًا، وَهِيَ :

رُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لَا زَالَتْ أَسِنَّةُ نَجُومِ السَّعْدِ مِنْ سِلَاحِهِ، وَصَوَاعِقُهَا مِنْ أَغْوَانِ صِفَاحِهِ، وَسِمَاكُهَا الرَّايْحُ مِنْ أَنْصَارِ رِمَاحِهِ؛ وَلَا بَرَحَ يَعْجَلُ مَعَادِنَ الْأَرْضِ حَتَّى يَفْتَنَى ذَهَبُهَا وَحَلِيدُهَا عَلَى يَدَيِّ بَأْسِهِ وَسِمَاحِهِ - أَنْ يَرْتَبَ لِأَنَّهُ النَّهِيضُ الَّذِي تَرَيْنَ الْوِظَائِفَ بِسَمِيَّتِهِ وَبِأَسْمِهِ، وَتَعَيَّنَ الْمَصَالِحُ وَالْمَنَاسِكُ بِعَزْمِهِ وَحَزْمِهِ؛ وَالْمُسْتَدُّ مِنْ آرَائِهِ سِهَامًا، وَالْمُجَرَّدُ مِنْ أَهْتَامِهِ كُلِّ مَاضِي الْحَدِّ إِذَا كَانَ بَعْضُ الْأَهْتَامِ كَهَامًا؛ وَالْوَفَى فِي شَدِّ الْجَهَاتِ قَوْلًا وَعَمَلًا، وَالْمَلِيُّ بِحُلِّ السِّلَاحِ وَاسْتِمَالِهِ عَلَى رَغْمِ الْقَائِلِ : «أَصْبَحْتُ لَا أَجْمِلُ السِّلَاحَ وَلَا»؛ وَالْخَيْرُ بِحَاسِنِ الْإِقْتِرَاحِ، وَالْكَافَى وَلَا

عَجِبَ إِذَا سَلَّمَتْ لَهُ دَوُوُ الْوُظَانِفِ وَأَقْنَتْ عَلَيْهِ السَّلَاحَ ! ؛ دَوُ الْعَزَمِ الْأَشَدِّ ، وَالرَّأْيِ الْأَسَدِّ ، وَالَّذِي إِذَا تَنَاوَلَ بَعْضَ الْأَسْلِحَةِ وَأَنْتَبَهَتْ تَجَاعُثُهُ رَأَيْتَ الْقَوْسَ فِي يَدِ عُطَارِيدٍ فِي يَدِ الْأَسَدِ .

فَلْيُبَايِسْ هَذِهِ الْوُظَيْفَةَ الْمُبَارَكَةَ بِعَزَمٍ أَقْطَعَ مِنْ حُصَامٍ ، وَأَمَانَةٍ أَقْوَمَ مِنْ أَلْفِ وَصِيَانَةٍ أَحْصَى مِنْ لَامٍ ، مُعْتَبِرًا لِأَحْوَالِهَا ، مُقَرَّرًا لِمَطَالِبِ مَا لَهَا مِنْ مَالِهَا ؛ مُؤَفَّرًا مِنْ أَسْلِحَتِهَا الَّتِي تَتَوَفَّرُ بِهَا مِنَ الْخَيْرِ سِهَامُهُ ، مُنْصِفًا لِمُتَابِعَاتِهَا الَّذِينَ يُعَمِّدُ عِنْدَ اسْتِمَاعِهِمْ صَنِيعَهُ وَأَهْمِيَّتَهُ ؛ مُكَثِّرًا لِعِزَاتِهَا مِنْ ذَخَائِرِ الْعُدَدِ ، مُجَهِّزًا لِحَيُوشِ الْإِسْلَامِ مِنْ مَادَّةِ عَمَلِهَا بِأَنْفَعِ مَدَدٍ : مَنْ قَبِضَ تَقْضَى أَهْلِهَا بِقَطْعِ أَعْمَارِ الْعَدَا ، وَسُيُوفِ ضَيْقِيَلَةَ إِذَا نَادَتْ دِيَارُ الْتَاكِينِ أَجَابَتْ النَّدَا ؛ وَدُرُوجِ تَمُوجَتِ عُذْرَاتِهَا إِلَّا أَنَّهَا فِي مَهَالِكِ الْحَرْبِ لَا تَقُورُ ، وَرِمَاحِ أَطْرَدَتْ كُغُوبُهَا فَكُلُّهَا عَلَى عُدُوِّ الْإِسْلَامِ كَتَبٌ مَدُورٌ ؛ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى عَزَمِهِ الْحَمِيدِ ، وَيَقْضِي لِلنَّعْمَةِ عَلَيْهِ بِالْمَزِيدِ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يَتَّقُ عَزَمَهُ ، وَيُوفِّرُ مِنَ السَّلَاحِ وَالنَّجَاحِ سَهْمَهُ .



وهذه نسخة توقيع بَسَدِ الْجَوَالِي ، مِنْ إِنْشَاءِ ابْنِ ثُبَاتَةَ أَيْضًا ، وَهِيَ :

بِسْمِ الْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لَا زَالَتْ سُعُودُ أَوَامِرِهِ وَاصِحَّةُ الْأَدِلَّةِ ، نَافِلَةُ الْحُكْمِ عَلَى كُلِّ مِلَّةٍ ، قَائِمَةٌ لِحُصْبِ الْبِلَادِ بِالْعَدْلِ مَقَامِ السُّعْبِ الْمُسْتَهْلَةِ - أَنْ يَرْتَبَ فُلَانٌ فِي شَدِّ الْجَوَالِي يَدَ مُشَقِّ الْمَحْرُوسَةِ : لِمَا ظَهَرَ مِنْ تَجَابُتِهِ ، وَأَشْهَرَ مِنْ حَزَمِهِ وَمَهَابَتِهِ ؛ وَبَدَأَ مِنْ مِهْمَةِ الْعَوَالِي ، وَعَزَائِمِهِ الَّتِي تَجَلُّوْا صَدَأَ الْمَهَمِّ بِالْجَوَالِي ، وَإِذَا قِيلَ لِحَاسِدِهِ : لَهُ وَلَازِمُهُ إِمْرَةٌ الْخَيْلِ قَالَ : وَالْجَوَالِي لِي ، وَأَنَّهُ الْكَافِي الَّذِي إِذَا اسْتَنْهَضَ كَانَتْ عَزَائِمُهُ شَابَهُ ، وَتَفَعَّلَتْ ذِكْرُهُ الْجَمِيلُ هَابَهُ ؛ وَتَجَلَّى الْمُهَامُ الَّذِي أَشْهَدَ عَلَى كِفَايَتِهِ النَّهَارَ وَعَلَى

تعبده الليل ، وأعد لمصالح الإسلام ما أستطاع من قوة ومن رباط الخيل ، وأن
مرأه به جميل ، ومنشأه في منازل الخير دليل .

فليباشر هذه الوظيفة المباركة بعزم يُتمر ما لها ، ويقرر على السداد أحوالها ،
ويستخلص الحق من أهل الاعتقاد الباطل ، ويستخرج الوفر من أهل الجلد
الماطل ، فلا نصراني إلا وهو يتضرع تحت الزرقاء من بابه ، ولا يهودي إلا وهو
يشكو الصفراء في رأسه ، ولا سامري إلا والنار الحمراء مطة على أنفاسه ، حتى
تكون أوصاف شدة مثله ، وعزائمه في الجوالى مجلوه ، وهمه جارية على إيلافها
ومألوفها ، مجزئة لأفلام الحساب والدرهم على حروفها ، صحيحة الوزن غير منهوك ،
أخذة الدينار من وازنه وهو كالمأخوذ منه مصكوك ، شدا تنعقد على اختياره
الخصاص ، وكما أن للإسلام منه قوة فليكن للوظائف الدينية منه ناصر .

الضرب الثاني

(ممن يكتب له عن نائب السلطنة بالشام من أرباب

السيف - من هو بأعمال دمشق ، وواضعهم على ثلاث مراتب أيضا)

المرتبة الأولى

(ما يفتح به « الحمد لله » وفيها وظائف)

وهذه نسخ تواقع من ذلك :

نسخة توقيع بياض بعلبك كتب بها لركن الدين « عمر بن الطحان » وهي :

الحمد لله الذي جعل بحاسن زينه من استحق الصعود إلى أعلى المنازل ، وجعل نجيم
سعدته بارتقائه إلى سماء المناصب طالعا غير أقل ، وصان بقوله الراجح أحسن المعامل .

نَحْمَدُهُ عَلَى إِحْسَانِهِ الْوَاصِلِ ، وَغَيْثِ جُودِهِ الَّذِي هُوَ عَلَى الدَّوَامِ هَاطِلٌ ؛ حَمْدًا يَنْطَلِقُ بِمَدْحِ مَعْدَنِهِ كُلِّ لِسَانٍ قَائِلٌ ، وَيَزِيدُ خَيْرُهُ عَلَى كُلِّ عَالِمٍ قَائِلٌ ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ الَّذِي الْحَقُّ جِبَادُ الْأَوَانِرِ بِالْأَوَائِلِ ، وَجَعَلَ أَجْمَلَ الْأَمْراءِ يَقُوقُ الْبُدُورَ الْكَوَامِلِ ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا هَذَا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي جَعَلَهُ لَدَيْهِ أَعْظَمَ الْوَسَائِلِ ، وَتَلَاَزَمَ هُوَ وَجِبْرِيلُ فِي عُلوِّ الْمَنَازِلِ ، وَالتَّقَدُّمِ فِي التَّخَافِلِ ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ سَادَاتِ السَّائِرِ وَالْقَائِلِ ، وَالْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِالْبَيْضِ الْبَوَاتِرِ وَالسَّمَرِ الدَّوَائِلِ ؛ وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وبعد ، فلما كانت بَعْلَبَكُ المحروسة من أعز بلاد الإسلام ، وأبهج مدن الشام - تعين أن تعين لها حاكمًا دينًا خيرًا ، أمينًا أميرًا ؛ شجاعًا مهتبا ، بطلاً برهه وسيفه في صدور الأعداء ورفاههم طمعًا ضاربًا ؛ وكان الجنتاب الكريم فلان - : ضاعف الله تعالى نعمته ، وحرس من الغير مهجته - من بليت كان على التقوى أساسه ، وصدت لدفع المضلات أناسه ، واشتهرت هممتهم فلا يرذ لهم سهم ولا يطلق بأسه ؛ طامًا تقوا عن الدين الحنيفي خبت الكفر بعد ما تمكنت أذناسه ، وشتموا عن ساعد الاجتهاد فحج بسيوفهم ضلال الشرك وأرجاسه ؛ وهو أعزه الله تعالى ممن سيجي بشجاعته ، خلوق الكتائب ، ووقى بعتله وحسن سياسته ، حقوق المناصب ؛ وقام في خدمة الدولة الشريفة أحسن قيام ، وهدبته بمروها الليالي والأيام ، وتأهل لحلول الرب العلي ، وتعين لأرتقاء المراتب السنية ؛ فأردنا أن نخبره فيما نؤليه ، ونخبر عزمه فيما نؤليه .

فلذلك رسم بالأمر العالي - لازال أمره مستمر الإحسان - ، مجزلاً لنؤي الاستحقاق عوارف النعم الحسان - أن يستقر الجنتاب الكريم المشار إليه - ضاعف

(١) في الأصل «مهايا» ولم يجز من هذه المادة قبل رباي هذا المعنى بل الوارد هابه وآهابه .

الله تعالى نعمته - في نيابة السلطنة الشريفة بعبلك المحروسة والبقاعين المعمورين، على عادة من تقدمه في ذلك، ومُسْتَقَرَّ قاعدته، بالمعلوم الذي يشهد به الديوان المعمور، إلى آخر وقت .

فليأثر هذه النيابة الشريفة بخاطر مُتَفَسِّح حَاضِر، وَقَلْبٍ مُنْشِرِح على الخيرات مُسَارِبٍ؛ وَلِيَتَّخِذَ الشَّرْعَ الشَّرِيفَ إماماً، وَلِيَتَوَخَّ أوامره وتواحيه قَضاً وإِبراماً؛ وَلِيَقِفَ عند حدوده المشروعة، ولا يَتَعَدَّها ومن يَتَعَدَّ حُدُودَ الله فيه من الإيمان مَتَزَوِّعاً؛ وَلِيَلِنْ جَانِبَهُ لِلرَّعِيَّةِ، وَلِيَحْمِلْهُمْ مِنَ الْعَدْلِ وَالْإِنصَافِ عَلَى الْحَبَّةِ الْوَاصِحَةِ الْجَلِيلَةِ؛ فَإِنَّهُمْ الرِّعِيَّةُ الضَّعِيفَةُ الصَّالِحُونَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ بِتَقْوِيصِ أُمُورِهِمْ إِلَيْهِ، وَلِيَعْرِفَهُمْ قَوْلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ [أُمُورِ] أُمِّي شَيْئاً فَرَفَقَ بِهِمْ فَأَرْفُقْ بِهِ وَمَنْ شَقَّ عَلَيْهِمْ فَأَشَقِّ عَلَيْهِ»؛ وَلِيَعِمِّرَ الْبِلَادَ، وَلِيَقْمَعَ أَهْلَ الْفَسَادِ؛ وَلِيَهْدِيَ الْبِقَاعَ، وَلِيُنْجِيَ مَوَاتِ الصَّبَاحِ؛ وَلِيُقِيمَ عَلَى الْقَلْعَةِ الْمَنْصُورَةِ الْحَرَسَ، وَلَا يَفْغُلَ عَنْ حِفْظِهَا بِمَعْرِقَتِهِ الَّتِي أَكْدَتْ لَهُ مِنَ السَّعَادَةِ سَبِيحاً، وَاللهُ تَعَالَى يُلْغِيهِ مِنْ إِحْسَانِنَا أَرْبَاباً، وَيُجَبِّحُ لَهُ مِنْ فَضْلِنَا طَلَباً، وَيَحْرُسُهُ بِسُورَتِي قَاطِرٍ وَسَبَاً؛ وَالْإِعْتَادُ فِي مَعْنَاهُ، عَلَى الْخَطِّ الْكَرِيمِ أَغْلَاهُ .



وهذه نسخة توقع بكتشف البلاد القبلية، كُتِبَ بِهِ لِنُورِ الدِّينِ خَلِيلِ النَّاصِرِيِّ فِي الدَّوْلَةِ الظَّاهِرِيَّةِ «بَرْقُوقٍ» وَهِيَ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَرَّدَ مِنْ أَوْلِيَاءِ هَذِهِ الدَّوْلَةِ الشَّرِيفَةِ سُيُوفًا تَحْمِيهِمْ مَوَادَّ الْفَسَادِ، وَيُتَيْدُّ أَهْلَ الزَّيْنِجِ وَالْعِنَادِ، وَيُنْجِي بِيَّاسِهَا وَبَعْدَهَا الْبِلَادَ . حَمْدًا مُسْتَمِرًّا عَلَى الْآبَادِ،

(١) فِي الْأَصْلِ : الْبِلَاءُ ، وَالتَّصْحِيحُ مِنَ الرِّسَالَةِ الْآتِيَةِ بِعَد .

(٢) الزِّيَادَةُ مِنَ الرِّسَالَةِ الْآتِيَةِ بِعَد .

مَرْقَدًا غَرَسَهَا النَّاعِمُ وَنِعْمَ الزَّادُ ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ رَبُّ الْعِبَادِ ، الْقَائِمُ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَالْمُجَازِي لَهَا بِمَا عَمِلَتْ يَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا خَيْرَ الْخَلَائِقِ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي بَلَّغَهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ أَقْصَى الْمُرَادِ ، وَقَضَّاهُ عَلَى الْخَلَائِقِ : الْأَلْفَ وَالْمِائَتَيْنِ وَالْعَشْرَاتِ وَالْآحَادِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ فَتَحُوا الْبِلَادَ ، بِسُيُوفِهِمُ الْحِدَادَ ، وَمَرْقَتِ رِمَاحِهِمْ مِنْ مُحَالِفِي دِينِهِمُ الْقَوِيمِ الْقُلُوبَ وَالْأَنْجَادَ ، وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا إِلَى يَوْمِ التَّنَادِ .

وبعد ، فلما كانت المملكة القليلة جبل البلاد الشاميه ، وبها أرزاق السالكين الإسلاميه ، وطريق الحاج إلى بيت الله الحرام ، وزياره نبيه عليه أفضل الصلوة والسلام ، وإلى الأرض المقدسه ، التي هي على الخيرات مؤسسه ، وإلى الأبواب الشريفة السلطانيه ، وممر التجار قاصدين الديار المصريه ، ومنازل العربان ، ومواطن العشران^(١) - وجب أن يفوض حكمها إلى من عرف بالشهامة والشجاعة ، واليقظة التي لا يتفعل بها عن مصلحة المسلمين ساعة ، من أثمر غرسه وما يفوه ، وأينع بالبرومة والفتوة ، وتقدم في الكمال على زيد وعمرو ، وأضرمت في قلوب الأعداء ناراً أحر من الجمر .

وكان الجنب الكريم - أدام الله نعمته - هو المشهور بهذه الصفات ، والمنعوت بالشجاعة والإقدام وحسن الأدوات .

فلذلك رسم بالأمر العالي - لا زال إحسانه يثمر غرساً ، وجوده يثر نفساً - أن يستقر الجنب المشار إليه في كشف البلاد القليلة المحروسة على منوال من تقدمه وعادته ، وحلوه في ذلك ومستقر قاعدته .

(١) لم يرد هذا الجمع في أيدينا من كتب اللغة ولعله ارتكب القياس في اللغة لجعله كزغيف ودرخان وقطعان .

فَلْيُأْثِرْ ذَلِكَ بِحَمِّهِ السَّيِّئَةِ ، وَتَجَاعَتِهِ الْأَخْرَمِيَّةِ ، وَتَقْسِهِ الْأَيْبِيَّةِ ؛ وَلْيُبَيِّضْ وَجْهَهُ
فِي هَذِهِ النَّوْبَةِ حَتَّى يَطْرُبَ النَّاسَ بِالنُّوْبَةِ الْخَلِيلِيَّةِ ؛ وَلْيُعْدِلْ فِي الْكَبِيرِ وَالصَّغِيرِ ،
وَلْيَقْمَعَ رُءُوسَ عَشِيرٍ أَخَذُوا رَأْسَهُمْ مَوْئِي : فَلْيَنْسِ الْمَوْلَى وَلْيَنْسِ الْعَشِيرُ ؛ وَلْيُدْفَعْ
أَذَى الْعَرَبِ ، وَلْيُعْذِرْهُمْ شَرًّا أَقْرَبَ ؛ وَلْيُكْثِرِ الرُّكُوبَ إِلَى الْمَعَامَلَاتِ ، وَلَا يَخْشَ
مِنْ كَثْرَةِ الْحَرَكَاتِ ، وَلْيَعْلَمْ أَنَّ كُلَّ مَا هُوَ آتٍ آتٍ ؛ وَلْيَتَّخِذِ الشَّرْعَ الشَّرِيفَ إِمَامًا ،
وَلْيَتَوَخَّ أَوَامِرَهُ وَنَوَاهِيَهُ قَضًا وَإِبْرَامًا ؛ وَلْيَقِفْ عِنْدَ حُدُودِهِ الْمَشْرُوعَةِ ، وَلَا يَتَعَلَّهَا :
وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَيَدَّ مِنْ الْإِيمَانِ مَزْزُوعَةً ؛ وَلْيُنِجْ جَانِبَهُ لِلرَّعْبَةِ ، وَلْيَحْمِلْهُمْ مِنْ
الْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ عَلَى الْحَبَّةِ الْوَاضِحَةِ الْجَلِيلَةِ ؛ فَإِنَّهُمْ الرِّعْيَةُ الضَّعْفَاءُ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ
عَلَيْهِمْ بِتَقْوِيَتِهِمْ أُمُورِهِمْ إِلَيْهِ ، وَلْيَعْتَمِدْ قَوْلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « اللَّهُمَّ مِنْ
وَلِيٍّ مِنْ أُمُورِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَّقَ بَيْنَهُمْ فَارْتَفَقَ بِهِ وَمِنْ شَقِّ عَلَيْهِمْ فَاشْتَقَّ عَلَيْهِ » ؛ وَالْوَصَايَا
كَثِيرَةٌ وَتَقْوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ نَظَامُهَا وَقَوَامُهَا ، وَأَتْبَاعُ سُنَّةِ نَبِيِّ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قِيَادُهَا وَزِمَامُهَا ، وَالْإِعْتِمَادُ فِي مَعْنَاهُ ، عَلَى الْخَطِّ الْكَرِيمِ أَعْلَاهُ .



وَحِذِّهِ نَسْخَةُ تَوْقِيعِ بَكْشَفِ الرَّمْلَةِ ، كُتِبَ بِهِ لِأَيِّ بَكْرٍ « أَمِيرُ عِلْم » ، فِي الدَّوْلَةِ
الظَّاهِرِيَّةِ « بَرْقُوق » وَهِيَ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي قَلَّدَ أَجْيَادَ الْمُجَاهِدِينَ ، سَيْفَ نَفَرِهِ ، وَاسَّكَدَ بِعِزَائِهِمْ أَهْلَ الْيَقِينِ ،
حِمَايَةَ حَوَازَةِ الْإِسْلَامِ وَصِيَانَةَ تَغَرِّهِ ؛ وَجَعَلَ السَّنَةَ أَسَنَةَ الْمُرَاطِبِينَ فِي قِمِّ الثَّنَرِ زَيْنًا إِذَا
أَزْدَانُ بَغْزَةٍ بَذَرَهُ ، وَأَنْزَلَ بِأَعْدَاءِ الدِّينِ قَوَادِحَ قِيمِهِ وَقَوَارِعَ قَهَرِهِ .

أَحْمَدُهُ أَنْ حَمَى بِأَوَّلِي التَّجْدَةِ وَالْبَاسِ لِلْمُسْلِمِينَ حِمَى ، وَأَشْكُرُهُ عَلَى مَا مَعَ مِنْ صَيِّبِ
نَعْمَائِهِ وَهَمِي ؛ وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً أَعْتَمِدُهَا عِنْدَ اللَّهِ

فُتِحُوا ، وَأَرْجُو بِهَا فِي الْمُقْبِلِ أَجْرًا ؛ وَأَشْهَدُ أَنَّ عَمَدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ الَّذِي آيَدَيْتَهُ
بِالسَّيْفِ وَأَمَدَهُ أَيْدَاءَ ، وَعَلَى آلِهِ الَّذِينَ حَلَّ بِهِمُ الْإِسْلَامُ جِيدًا ، وَصَحْبِهِ الَّذِينَ جَلَّ
بِبَوَارِقِ صِفَاحِهِمْ ، وَخَوَارِقِ رِمَاحِهِمْ ؛ عَظَمَ الْمَجَالُ ، وَعَظَمَ الْقِتَالُ ؛ فَلَمْ يُهْمَلِ الْأَعْدَاءُ
وَلَمْ يُهْمَلْهُمْ رُؤَيْدًا .

وبعدُ ، فَإِنَّ أَوَّلَى مَنْ جُعِلَ فِي تَحْرِ الْبَحْرِ هُمَامًا صَارِمًا^(١) ، وَأَشَدَّ مَنْ قَاطَعَ أَعْدَاءَ
الدين وصارمًا ؛ مَنْ تَضَرَّبَ بِشِجَاعَتِهِ الْأَمْثَالُ ، وَيُورَدُ فِي صُدُورِ الْأَبْطَالِ صُمُّ
الْأَسَلِ النَّهَالِ ؛ وَيَتَجَمَّى التَّغَرُّفُ فَلَا يَدْعُ عَدُوًّا وَلَا يَرْهَبُ نَهْبًا ، وَيَرْقَى رِقَابُ الْكُفْرِ
فَيُؤْمِنُونَ وَإِنْ كَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَضْبًا .

ولما كان الجَنَابُ الْكَرِيمُ فَلَانٌ - أَدَامَ اللَّهُ تَعَالَى نِعْمَتَهُ - هُوَ الَّذِي أَخْلَصَ
فِي الطَّاعَةِ ، وَنَصَحَ سُلْطَانَهُ حَسَبَ الطَّاقَةِ وَالْإِسْطِطَاعَةِ - رُسمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ
الْعَالِي - لِأَزَالِ سَيْفِ عَدْلِهِ مَاضِيًا ، وَكُلِّ بِمُحْكَمِهِ رَاضِيًا - أَنْ يَسْتَقِرَّ الْجَنَابُ الْمَشَارُ
إِلَيْهِ كَاشِفًا بِالرِّمَّةِ الْمَعْمُورَةِ ، عَلَى عَادَةٍ مِنْ تَقَدَّمَ فِي ذَلِكَ .

فَلْيُبَاشِرْ ذَلِكَ مُعَمَّرًا تِلْكَ الْبِلَادَ بَعْدَهُ ، مُجْتَهِدًا عَلَى إِيْصَالِ الْحَقِّ إِلَى أَهْلِهِ ؛
وَلْيَتَّخِذِ الشَّرْعَ الشَّرِيفَ إِمَامًا ، وَلْيَتَوَخَّ أَوَامِرَهُ وَنَوَاهِيَهُ قَهْضًا وَإِبْرَامًا ؛ وَلْيَقِفْ عِنْدَ
حُدُودِهِ الْمَشْرُوعَةِ ، وَلَا يَتَعَدَّهَا ؛ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَيُدْخِلْهُ مِنَ الْإِيمَانِ مَرْزُوعَةً ؛
وَلْيَكُنْ جَانِبَهُ لِلرَّعِيَّةِ ، وَلْيَحْمِلْهُمْ مِنَ الْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ عَلَى الْمَحَبَّةِ الْوَاضِعَةِ الْخَالِيَةِ ؛
[فَإِنَّهُمْ الرِّعْيَةُ الضُّعَفَاءُ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِتَقْوِيَةِ أُمُورِهِمْ إِلَهُ] وَلْيَعْتَمِدْ فِيهِمْ قَوْلَ
النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أُمُورِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَّقَ بَيْنَهُمْ فَأَرْفُقْ بِهِ
وَمَنْ شَقَّ عَلَيْهِمْ فَأَشَقِّ عَلَيْهِ» . وَالْوَصَايَا كَثِيرَةٌ وَأَهْمُهَا التَّقْوَى فَلْيَلْزَمْ عَلَيْهَا فَإِنَّهَا

(١) وقف عليه بلغة ربيعة . (٢) الزيادة مأخوذة مما تقدم .

تَحَفُّظُهُ ، وبالسَّيَادَةِ والسَّعَادَةِ تَحَفُّظُهُ ؛ واللهُ تَعَالَى يَجْعَلُ تَوْفِيقَهُ ، وَيَسَهِّلُ إِلَى مُجِيعِ
المَقَاصِدِ طَرِيقَهُ ؛ وَالْاعْتِمَادُ فِي مَعْنَاهُ ، عَلَى الْخَطِّ الْكَرِيمِ أَعْلَاهُ .

قُلْتُ : وَمَنْ تَأَمَّلَ وَصَايَا هَذِهِ التَّوَاقِعِ الثَّلَاثَةِ الْمُتَقَسِّمَةِ الذِّكْرَ ، عَلِمَ مَا كَانَ عَلَيْهِ
كُتَابُ الزَّمَانِ ، مِنْ اتِّزَاعِ الْفَقَرَاتِ مِنْ تَوْقِيعٍ ، وَتَرْصِيعِهَا فِي تَوْقِيعٍ آخَرَ ، مِنْ غَيْرِ
تَنْبِيهِ لِقِظٍ فِي أَكْثَرِهَا .

المرتبة الثانية

(من تَوَاقِعِ أَرْبَابِ السُّيُوفِ مِمَّنْ بِأَعْمَالِ دِمَشْقٍ - مَا يُقْتَضِعُ بِهِ «أَمَّا

بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ » وَفِيهَا وَطَائِفُ)

وهذه نسخ تواقيع من ذلك :

نُسْخَةُ تَوْقِيعِ بَيَانَةِ بَعْلَبَكَّ لِمَنْ دُونَ مَنْ يَتَقَدَّمُ فِي الْمَرْتَبَةِ الْأُولَى ، مِنْ إِنْشَاءِ الشَّيْخِ
جَمَالِ الدِّينِ بْنِ نُبَاتَةَ ، كُتِبَ بِهِ لِمَنْ لَقِبَهُ «نَاصِرُ الدِّينِ» : وَهِيَ

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ الَّذِي لَمْ يُجْعَلْ مَمْلَكَةً إِسْلَامِيَّةً مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ، وَلَمْ يُجْعَلْ أَمْرُهَا
عَلَى ذِي عَزَمٍ قَاصِرٍ ، وَلَمْ يُجْعَلْ وَجْهَهَا إِلَّا بِنِ بْنِ نُبَيْتٍ بِهِ الْقَدِيمُ وَشَهِدَ لَهُ الْمُعَاصِرُ ، وَلَمْ
يُلْقَ مَقَالِيدُهَا إِلَّا لِمَنْ وَصَّحَ بِرَأْيِهِ الْإِنْبِيَاءُ وَثَبَّتَ بِفَضْلِهِ الشَّهَادَةُ وَعُقِدَتْ عَلَى ذِكْرِهِ
الْخِصَاصُ . وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الَّذِي شَيَّدَ مَعَالِمَ الدِّينِ وَأَرْكَانَهُ ، وَجَدَّدَ
مَكَانَ الْحَقِّ وَإِمَكَانَهُ ؛ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ تَابَعُوا فِي اخْتِلَاقِ عِلْمِهِ وَإِحْسَانِهِ ،
وَشَابَعُوا فِي النُّصْرَةِ نَصْلَهُ وَسَنَانَهُ ؛ مَا أَسْتَنَابَ الْوَدُقُ فِي سُقْيَا الرِّيَاضِ عُذْرَانَهُ ، وَخَلَعَ
عَلَى الْغُصُونِ خِلْعًا خَطَرَ فِيهَا الزَّهْرُ بِأَسْمَاءِهِ وَعَقَدَ مِنْ الثَّمَرِ تَيْجَانَهُ - فَإِنَّ شَرَفَ
الْأُمَاكِينَ بِسَاكِنِيهَا ، وَجُسُومَ الدِّيَارِ بِنُفُوسِ قَاطِنِيهَا ؛ وَالْمَنَازِلَ بِكَوَاكِبِهَا ، وَالْمَنَاصِبَ

بَنَصِيهَا مِنَ الْكَفَاءَةِ وَنَائِيهَا ؛ وَإِنَّ مَدِينَةَ بَعْلِكَ عِلْمٌ فِي الْمَدَائِنِ مَرْفُوعٌ اِحْلَطَهُ ، وَجَسَمٌ
 مِنْ جُجُومِ الدِّيَارِ قَدْ آتَاهُ اللَّهُ بَسْطَهُ ؛ يُنِيَّةُ سَلِيَانٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَهِيَ بِالْمَلِكِ قَدِيمَةُ
 الْأَخْتِصَاصِ ، وَمُتَقَيِّ الْجَانِّ الْمُنَسُوبَةُ عَقُودُهَا الْعِلْيَةُ وَالذَّرِّيَّةُ إِلَى كُلِّ بَنَاءٍ وَعَوَاصٍ ؛
 وَشَامُ الشَّامِ الْمُعْجِبَةُ ، وَرَوْضَةُ نَدَاهُ الْمُعْشِبَةُ ؛ وَثَنِيَّةُ قَفَرِهِ الْبَاسِمُ ، وَعَرَفُ أَعْرَاقِ
 حَيَاهِ النَّاسِمِ ؛ وَمَأْوَى صَلَاحَاتِهِ أَحْيَاءُ بَيْنِ أَوْطَانِيهَا ، وَأَمْوَاتُ بَيْنِ صَفِيحِ لُبْنَانِيهَا ؛
 لَوْ عُرِضَتِ الْبِلَادُ مُعْجَبًا لِقِيلِ لَسَعَاهَا ؛ يَا كَثِيرَ الْمَنَنِ ، وَلَوْ صُورَتِ أَنْاسِيُّ لِقِيلِ
 لِإِنْسَانِيَا ؛ يَاطْلِبُ النَّجْرَ وَاللَّهْنَ ؛ لَا يُنْمِغُ مَاعُونَهَا ، وَلَا يَنْقَطِعُ عَوْنُهَا عَنِ الْبِلَادِ وَمَا
 أَدْرَاكُ مَاعُونَهَا ؛ وَلَا تَلِيْقُ مِنَ النَّوَابِ إِلَّا بِكُلِّ سِرِّ الْعَزَمِ وَالْهَمَمِ ، عَلَى الْآرَاءِ
 فِي الْمُلْكَةِ الْمُدْلِمَةِ ، نَاجِحِ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ ، صَالِحِ لَأَنَّ يُنْفَى عَلَى نِيَابَتِهِ الْبَهْلِكَةُ صَالِحُو
 الْمَدِينَةِ وَالْجَلِّ ، مُكَمَّلِ لِسُلُوكِ الْحَقِّ الْأَنْهَى وَالْعَزَمِ الْأَنْجَدِ ، مُؤَهِّلِ لَارْتِقَاءِ الْأَرْبِ
 الَّتِي تَمَاحَدْنَا وَلَهَا الْأَجْمَدُ ^(١) .

وَكَانَ فَلَانٌ هُوَ جُمْلَةُ هَذَا التَّفْصِيلِ ، وَجَمَالَ هَذَا التَّفْضِيلِ ؛ وَكُفَّ هَذِهِ
 الْعَقِيلَةَ ، وَسَعَدَ هَذِهِ الْمَنْزِلَةَ الَّتِي مَدَّتْ بِالسَّيْفِ وَالْقَلَمِ ذِرَاعَهُ وَنَظَّمَتْ مِنَ الْبِنَاءِ
 إِكْلِيلَهُ .

فَلَذَلِكَ رُسم بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لَا زَالَتِ الْمَمَالِكُ بِمَحَاسِنِ أَيَّامِهِ إِرَمَ ذَاتِ الْعِلَادِ ،
 وَبِالْبِلَادِ ذَاتِ الْخَضِيبِ السَّيِّئِ لَا ذَاتَ السَّنَةِ الْجَمَادِ - أَنْ يَرْتَبَ فِي نِيَابَةِ بَعْلِكَ
 الْحُرُوسَةُ ؛ مُجَنَّدًا بِهَيْئَتِهِ الْعَالِيَةِ عُلُوَّ صَرَحِهَا ، وَحِمَايَةِ سَرَحِهَا ؛ وَرِعَايَةِ جَبَلِهَا وَسَفْحِهَا ،
 مُوَرِّيًا فِي مَصَالِحِهَا زِنَادَ فِكْرِهِ الَّتِي لَا تَتَمَكَّنُ أَهْوَالُ الْعُدَاةِ مِنْ قَدْحِهَا ، مُصَرِّفًا أَوَامِرَهُ
 كَيْفَ شَاءَتْ ، مُنْصِفًا لِلْأَحْوَالِ الْمُنَوَّلَةِ بِرِعَايَتِهِ إِنْ دَتَتْ أَوْ تَنَاعَتْ ؛ بِاسِطًا لَعَدْلٍ
 قَلَمَهُ عَلَى الْمُحِيدِينَ ، وَسَطَوَاتٍ سَيِّفِهِ عَلَى الْمُعْتَدِينَ ، وَأَزْعَا بِمَهَابَتِهِ مَنْ جَاوَرَ جِبَالَ

(١) لعله "التي إذا خلت من ماجد تناولها" الخ .

الْعَمَلُ مِنَ الْعِبَالَيْنِ، (فَقَسِيْ أَوْلَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ) وَلَيَبْزُوا مِنْهَا مَعْقَلًا
يُجِدُهُ الْمُتَاصِرُ وَالْمُهَاجِرُ، وَلَيَحْطُ مِنْهَا تَقَرًّا مَسَاوِيكُهُ الْأَسْلُ وَالْمَسْعَى إِلَيْهِ عَلَى الْحَاجِرِ،
وَلَيُجِرْ أُمُورَ الدِّيَوَانِ عَلَى سَنَنِ التَّمْيِيرِ وَالتَّشْمِيرِ، وَلَيَسْدِرُ الْأَوْقَافَ الْمَبْرُورَةَ بِحَاسِنِ
التَّنْذِيرِ، وَلَيُشَارِكِ أَهْلَهَا فِي الْأَجْرِ الْأَوَّلِ بِالْأَجْرِ الْآخِرِ، وَالْأَسْوَارُ هِيَ وَقُلُوبُ الرِّجَالِ
مِنْ أَمِّ مَا يُمْرَهُ، وَوُفُورُ الْحَوَاصِلِ وَالسَّلَاحِ مِمَّا لَوَلِيٍّ وَلِقَاءِ الْعَدُوِّ يَذْنُرُهُ، وَتَقْوَى
اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِمَّا لَا يَزَالُ لِسَانُهُ يَسْتَحْلِي الْقَوْلَ فِيهِ فَيُكْرِّرُهُ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَمُدُّ بِإِعَانَتِهِ
وَلُطْفِهِ، وَيُخْفِيهِ مَا أَمَّ مِنَ الْأُمُورِ فَكُنِيَ مَنْ لَمْ يَخْفِهِ .



وهذه نسخة توقيع بولاية الولاية بالشام المحروس لمن لقبه «عز الدين» من إنشاء
الشيخ جمال الدين بن تباتة أيضا ، وهي :

أَمَّا بِدَمِّ حَمْدِ اللَّهِ الَّذِي جَمَلَ لِلْوَلَاةِ فِي هَذِهِ الدَّوْلَةِ عِزًّا يَتَجَدَّدُ، وَعِزًّا يَنْشُدُّ،
وَعِلَالًا يَتَمَدَّدُ إِذَا حَكَمَ وَزِيدًا لَا يَتَمَدَّدُ ، وَكَافِيًّا وَلَاةٍ يَتَلَدَّدُ الْوَاصِفُ بِذِكْرِ
أَهْتَامِهِ الَّذِي إِذَا أَهَمَّ لَا يَتَلَدَّدُ، وَإِذَا أَعْتَبَرَ عِزُّهُ وَحَزْمُهُ فَهَذَا فَضْلُ يَتَجَدَّدُ، وَهَذَا
وَصَفٌ لَا يَتَجَدَّدُ . وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِ الْخَلْقِ مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ ذَوِي الْعِزِّ
الْمُؤَبَّدِ، وَالْعِزُّ الْمُؤَبَّدُ ، مَا كَتَبَ قَلَمُ الْفَيْثِ الْجَائِدِ عَلَى طَرَسِ الرُّوضِ بِقَوْدٍ - فَإِنَّهُ
لَمَّا كَانَتِ الْوَلَاةُ فِي خِدْمَةِ الْبِلَادِ جَيْشًا يَحُونُ سَرَحَهَا، وَيُصْمِرُونَ صَرَحَهَا، وَيُخَصِّصُونَ
بِالنَّدَلِ قَبْلَ الْعَارَةِ سَفَحَهَا، وَيَحْكُونُ فِي رَعَايَاهَا، وَيَمَكِّنُونَ فِي قَضَائِيهَا، وَيَقْرَعُونَ
ثُغُورَهَا وَيَفْرَعُونَ شَايَاهَا - تَعَيَّنَ أَنْ تَقْدَمَ عَلَى هَذَا الْجَيْشِ الْمَذْكُورِ أَمِيرًا يَقَرُّ
أَمْرَهَا، وَيُنَسَّقُ مِنْ مِمَّتِهِ وَمِيسَرَتِهِ يُمَتِّهَا وَيُسَرِّهَا ؛ وَيُجَرِّدُ مِنَ الرَّأْيِ سِلَاحَهُ ،
وَيُسَرِّ قَلْبَهُ بِالتَّنْذِيرِ وَيَرِيْشُ جَنَاحَهُ .

(١) كذا في الأصل بالاممال ولعل سوابه «وفضلا اذا حكم لا يتعدى ورأيا لا يتعد» .

وكان المجلس السامي هو الأمير الدال عليه هذه الإمارة ، المُنْتَهَى بِهَذِهِ الشَّارَةِ
والإشارة ؛ الْمُسْتَحَقُّ بِشَرِيف نَفْسِهِ مَذَارِجَ الْاِكْتِثَاءِ ، وَمَبَاهِجَ الْاِكْتِفَادِ وَالْاِكْتِفَاءِ ؛
الْمُسَيَّلِ اَذْيَالَ مَفَاخِرِهِ اَيَّ اِسْبَالِ ، الْمَرْقُومَ بِاسْمِهِ وَرَسَمِهِ عَلَى اَرْجَاءِ الْوِلَايَاتِ : «عِزُّ
يَدُومُ وَاقْبَالِ» ؛ الْمُقِيمِ مِنْ اَمَانَتِهِ وَمَهَابَتِهِ بَيْنَ حَرْزَيْنِ ، الشَّهْمَ الَّذِي لَا يَنْدُلُ وَهُوَ مِنْ
نَعْتِهِ وَمُسْتَسَيِّهِ بَيْنَ عِزِّينِ ؛ الصَّمْصَمَ الَّذِي تُسَرُّ [به] يَدُ مَنْ ارْتَضَاهُ وَارْتَضَاهُ ،
وَالْمَاشِيَّ عَلَى الْحَقِّ الظَّاهِرِ حَتَّى يَقَالَ : اَهَذَا وَاِلَى الْوَلَاةِ اَمْ قَاضِيَ الْقَضَاءِ ؟ .

فلذلك رُسم بالأمر الشريف - شرفه الله وعظمه - أن يستقر اعتماداً
على شهادته التي يمثّلها عهد البلاد ، وكفائه التي تُفصّل بالخبرات السنية السنية
الجماد ؛ وصرامته التي تشدُّ على أيدي الولاة فيردون الحقوق من أيدي الاغتصاب ،
وإدرايته التي ينسبون إليها فينشدون :

وَكَا كَالسَّهَامِ إِذَا أَصَابَتْ * مَرَامِيهَا قَرَامِيهَا أَصَابَ^(١).

فليأشُر هذه الرتبة بكفئتها : من العزم العالي ، والقدير الغالي ، والمُعْلِلَةِ الَّتِي تُمْسِكُ
مِنْهَا الْأَحْوَالُ بِأَوْتِقِ الْعُرَا ، وَتَتَلَوَّسُ بِأَرْتَاتِهَا الْمَرْفَقَةُ : ﴿ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى ﴾ .
مُراعياً لجميع الأحوال ، مُتَمَرِّداً لِمَرْبِيعِ الْأَمْوَالِ ؛ وَإِلَيْهَا عَلَى وَلَاةٍ إِنْ شَكُوا فِي صُنْعِ اللَّهِ
فَمَا لَهُمْ مِنْ اللَّهِ مِنْ وَآلٍ ، مَا شِئْنَا مِنْ تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى فِي كُلِّ أَمْرٍ عَلَى أَقْوَى وَأَقْوَمِ
مِنْوَالٍ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يُخَصِّبُ الْبِلَادَ بِغَنَامِ رَأْيِهِ الصَّيِّبِ ، وَيُطَيِّبُ الْأَمَاكِنَ الْمُنِيَّةِ
نَحْلِهِ : « وَكُلُّ مَكَانٍ يُنَيِّتُ الْعِزَّ طَيِّبٌ » .



وهذه نسخة توقيع بولاية البقاء والصَّلَت ، من إنشاء ابن نباته ، وهي :

(١) الرواية : أصابا يأنف الإطلاق ، وحذفت هنا لمرعاة الفاصلة .

أما بعد حمد الله مضاف النعمة ، ومُرَادِفُ رَبِّ الإحسان لمن أخلص في الخلد ، ومُجَدِّدِ منازل العز لمن طلعت كواكب أعتامه في آفاق الأمور المهمة ، ومؤكِّدِ سهام الخير المقتسمه ، لمن سَدَّدَ في شرف الأغراض رأيه بل سَهَمَهُ .
والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي الأمي هادي الأُمَمِ ، وعلى آله وصحبه حُماة الدِّين من العوارض للمِلَّةِ ، صلاة تكون بين أرواحهم الزكية مودةً ورَحْمَةً - فإنَّ أحقَّ الأولياءِ بمزيد الآلاء المتصلة ، وتجديد النعم المقيمة وتقديم المساعي التي لا تَبْهَسُ حُلَّ الفخار إلا مُكْتَمَلَةً - من وَهَّجَتْ في صفات الفضل آياته ، وتَقَابَلَتْ في حَاتِي التَّذِيرِ سَطَاهُ وَأَنَانُهُ ، وَرَوَى غُلَّةَ الْبَلَدِ الخائف ففاض على المُعْجِدِينَ جَدُولُ سيفه وَجَرَتْ بِالْدمِ قَنَاتُهُ ؛ وقام على قَدَمِ الاجتهاد ، وقَسَمَ بين جَفْنِهِ وَجَفْنِ سَيْفِهِ الشَّهَادَ .

ولما كان المجلس هو المقصود بهذه الكُتَّابِ ، والمشهود له في طَلْقِ هذه الْقَابِية ؛ والعالي يَهْمِيهِ على ذَوِي الأَرْقَاءِ ، والوالي الذي إذا رَكِبَ الْوَلَاةَ لاشْتِهَارِ ذِكْرِكَان من بينهم فَارِسَ الْبَلَاءِ ؛ وَالنَّاهِضَ بِتَمِيرِ الْأُمُوالِ عَمَامَ رَأْيِهِ الصَّيِّبِ ، وَالطَّيِّبِ بِسِيَاسَتِهِ حُلَّ الْوَلَايَةِ : « وَكُلُّ مَكَانٍ يُنْبِئُ الْعِزَّ طَيِّبٌ » - تَعِيْنُ أَنْ تَرِيدَ مَنَصِبَهُ إِذَا تَزَيَّدْتَ الْمُنَاصِبِ ، وَأَنْ تَسْتَمِرَّ مَرَبَّتُهُ إِذَا مَرَّتْ لَذَائِهَا الْمَرَاتِبُ ؛ وَأَنْ يَشْتَمَلَ فِي أَشْمَارِهَا عَلَيْهِ ، وَأَنْ يَكُونَ فِي إِعْرَابِ الدَّوْلَةِ الْقَاهِرَةِ مُضَافًا وَمُضَافًا إِلَيْهِ .

فلذلك رسم بالأمر الشريف - أعلى الله تعالى أبدًا عِمَادَهُ ، وجعل لَوَلَاةَ أَيْامِهِ الْحُسْنَى وَزِيَادَهُ - أَنْ يَسْتَمِرَّ على ولاية الْبَلَاءِ على عادته ، وَأَنْ تُضَافَ إِلَيْهِ وَلَايَةُ الصَّلَاتِ : ^(١) جَمْعًا لَهُ بَيْنَ الْأَخْتَيْنِ حَلَالًا ، وَالذَّوَتَيْنِ مَنَالًا ، وَالرَّائِثَيْنِ نَهْوضًا بَهِمَا

(١) لم يذرها القاموس ولا يافوت وفي تقويم البلدان هي بلدة وقلعة من جنه الأردن .

وَاسْتِغْلَالًا؛ وَعَلَمًا بِوَفَاءِ عَزْمِهِ الَّذِي أَمَرَ أَمْرَهُ، وَرَفْعًا لِقَدْرِهِ الَّذِي حَسُنَ أَنْ يَقُولَ لِمَنْ تَصِيبُ الْبَقَاءُ : «لَنَا الْأَبْلَقُ الْفَرْدُ الَّذِي سَارِذُ كُرْهُ» ، وَنِيْمَتًا بِغُرَّةِ الصَّلَاتِ فَإِنَّ الصَّلَاتَ هُوَ الْجَبِينُ الْوَاضِحُ بِشْرِهِ ؛ وَكَيْفَ لَا ؟ وَهُوَ الْكَافِي الَّذِي جَمَعَ مَالَ الْجِهَاتِ فَأَوْعَى ، وَقَسَمَ فُتُونِ الْمَصَالِحِ جِنْسًا وَنَوْا ، وَحَسَمَ أَدْوَاءَهَا بِجُسَامِ رِفْقِهِ كَرَمًا وَطَوْلًا .

فَلْيَاشِرْ الْعِزَّ وَالْإِثْنَ جِهَتَيْهِ ، وَلْيَأْخُذْهُمَا بِكَلْتَا يَدَيْهِ ، وَلْيَفُضْ وَجْهَ عَزْمِهِ فِي أَرْضِ الدُّوَلَةِ حَتَّى يَكُونَ شَبْهَ الْبَقَاءِ الْمَلاَزِمِ لِإِحْدَى وَلَايَتَيْهِ ؛ مُحَصَّنًا بِسِا كِي سَيْفِهِ وَقَلْبِهِ فَنِعْمَ الْبَلَدَتَانِ ، مُثَمَّرًا بِسَدَادِ قَوْلِهِ وَفِعْلِهِ وَمِنْ دُونِهِمَا جَتَانٌ ؛ مُؤَفِّيًا لِلْحَقُوقِ ، مُعْغِيًا لِاعْتِرَافِ النِّعْمَةِ مِنَ الْعَدُوِّ ، رَاقِيًا بِهَمَّتِهِ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى - إِلَى رُتَبٍ لَوْ رَامَهَا تَجَمُّ الْأَفْقِ لِعَاقَةِ الْعَبُوقِ ، عَامِلًا بِتَقْوَى اللَّهِ عِزَّ وَجَلَّ فِلَافُ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ بِتَقْوَى اللَّهِ مَعْدُوقِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يُوضِّحُ لِرَأْيِهِ أَجْمَلَ الطَّرَائِقِ ، وَيُجَيِّحُ عَلَى الْبَقَاءِ وَغَيْرِهَا سَعْيَهُ السَّابِقِ ، وَفِكَرَهُ السَّابِقِ ؛ بِمَنْه وَكْرَمِهِ ! .



وهذه نسخة توقيع بولاية نابلس، من إنشاء ابن نباتة أيضا، وهي :

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ عَلَى مَا هُنَا مِنَ الْمَوَاقِبِ ، وَهِيَ مِنْ عِلِّيِّ الْمَرَاتِبِ ، وَالْمُغْزَمِ مِنْ وُعودِ السُّعُودِ بَعْدَ مِطَالِ الْمَطَالِبِ ، وَزَيْنِ مِنْ سَمَاءِ الْوِظَانِفِ عِنْدَ إِزْهَاتِهَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ ، وَتَعَمَّرَ مِنْ صُدُورِ الْوَلَاءِ وَالْوَالَايَةِ بِمِلِّيَّ ثَنِيَّ عَلَيْهِ الرَّعِيَّةُ «وَلَوْ سَكَنُوا أَثْنَتَ عَلَيْهِ الْحَقَائِبِ» . وَالصَّلَاةُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ وَرَسُولِهِ الَّذِي جَرَّدَ لِنَصْرِ الْإِيمَانِ حَذَّ الْقَاضِبِ ، وَحِزْبِهِ الْغَالِبِ ، وَتَدَبُّ لِحَيَاءِ الْحَقِّ عَلَيْهِ بَعْدَ مَا هُنَا بِهِ الْنَوَادِبِ ؛ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ هُمْ فِي الْمَمَاتِ جَمَالُ الْكُتُبِ كَمَا كَانُوا فِي الْحَيَاةِ

جَمَالَ الْحَكَّابُ؛ صَلَاةً تَعَطَّرَ بِنَفْعَاتِهَا الصَّبَا وَتَقَطَّرَ مِنْ خَلْفِ سُرَاهَا الْجَنَائِبُ - فَإِنَّ عَقَائِلَ الْوِلَايَاتِ أَوَّلَى بِخُطْبَةِ أَكْفَانِهَا، وَرَغْبَةِ السَّرَاةِ مِنْ ذَوَى أَصْطِفَائِهَا، وَنِسْبَةِ مَنْ يَقُومُ لِلْأُمُورِ الْمُطْلَلَةِ بِقَانُونِهَا وَشِفَائِهَا .

ولما كانت بِلْدُ نَابُلُسَ المحروسة من أَعْلَى عَقَائِلِ الْبِلَادِ قَدْرًا، وَأَمْرًا الْجِهَاتِ أَهْرًا، وَأَسْرَى الْوِلَايَاتِ مَحَلًّا وَذِكْرًا، وَأَوْفَى التَّوَاحِي مِنْ زَمَانِ بَنَى أَيُّوبَ عَلَى تَكْلِيفِ الْمَلِكِ صَبْرًا، وَأَزْرَى الْفَجَاعِ الَّتِي لَوْ رَأَاهَا الْمَلِكُ الْمُعْزِرَى لَمَّا اسْتَعْلَى غُوطَةَ الشَّامِ بِشِيرَتَيْنِ مِنْ شِبْرًا؛ بِلْدُ أَعَارَتْهُ الْحَمَامَةُ طَوْقَهَا وَحَمَلَتِ الثَّنَاءَ فَوْقَ طَوْقِهِ، وَتَجَمَّ نَبَاتِ وَادِيهَا الزُّهْرَ حَتَّى تَسَاوَى النُّجُومَ مِنْ تَحْتِهِ وَمِنْ فَوْقِهِ - تَعَيَّنَ أَنْ يُخْتَارَ لَوَلَايَتِهَا مِنْ تَعَيَّنَ وَلَاؤُهُ، وَتَمَكَّنَ فِي الرُّتَبِ عِلَاؤُهُ، وَتَبَيَّنَ فِي مَصَالِحِ الْوِلَايَاتِ أَحْفَافُهُ وَأَخْفَافُهُ، وَتَشَبَّهَ وَفَاؤُهُ بِالْخُلْمَةِ فَلَا شَرَفَ بَسَى إِلَّا لَهُ مِنْهُ شَيْئُهُ وَرَأُوهُ وَفَاؤُهُ؛ مِنْ شَهِدَتْ السَّوَاكِلَ الشَّامِيَّةُ فِي مُبَاشَرَتِهِ أَنَّهُ أَجْرَى مِنْهَا الْمَالَ بَحْرًا، وَأَفَاضَ الْوَصْفَ دُرًّا، وَشَهِدَتْ الزَّرَاةُ - وَدِيُونُهَا الْمَادِحُ - أَنَّهُ أَفْلَحَ مِنْ زَكَاةِهَا خَيْرًا وَخُبْرًا .

فلذلك رُسمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ أَنْ يُرْتَبَ فَلَانٌ ... عِلْمًا بِأَنَّهُ الْأَوْحَدُ الَّذِي جَمَعَ الْأَوْصَافَ الْمُتَقَدِّمَةَ، وَاسْتَمَعَ مِنَ الْحَمَامِدِ تَدْبِجَةً لَهَا مِنْ كَلَامٍ قَوْلِهِ وَفَعَلَهُ مُقَدِّمَةً؛ وَأَطْلَعَ فِي أَفَاقِ الْوِظَانِيفِ كَنُجُومِ الْجُوزَاءِ الثَّلَاثَةِ رَأْيَهُ وَسَجَفَهُ وَقَلَمَهُ، وَأَطْلَعَ عَلَى مَحَاسِنِ التَّنْذِيرِ فَكَانَ فِي رَعَايَا بَلَدِهِ مِمَّنْ تَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالرَّحْمَةِ؛ وَأَنَّهُ الْكَافِي الَّذِي إِذَا وَلَّى تَمَرَّ، وَإِذَا صَالَ عَلَى الْمُفْسِدِينَ دَمَّرَ، وَإِذَا شَامَتِ الْمُهِمَّاتُ بَارِقَ عَزِيمِ، أَسْبَلَ وَإِذَا سَامَتْ قَوَاهُ تَمَرَّ، وَأَنَّهُ الْأَمِينُ إِذَا تَصَرَّفَ، وَالْمَأْمُونُ إِذَا تَعَرَّفَ، وَالشَّجَاعُ إِذَا تَحَصَّنَتِ الْبِلَادُ بِنَسَبِهِ الْحِصْنِي - فَسَوَاءٌ فِي شُمُولِ الْأَمْنِ مَا تَوَسَّطَ مِنْهَا وَمَا تَطَرَّفَ .

فَلْيُبَاشِرْهُدِ الْوَلَايَةَ الْمُبَارَكَةَ بِعَزْمِ يَوْضَعِ شِرْهَا، وَبِخُجِّ أَمْرِهَا، وَبِقِيَمِ خُطْبَةِ عُلَاهِ عُدْرَتِهَا؛ وَحَرِّمِ تَجَرُّمَ مَالِهَا وَغِلَافَهَا، وَبِقَعِّ غُلَّتِهَا وَبِقَعِّ أَغْلَافِهَا؛ وَبِأَسِّ يَدْعُ

المُفْسِدَ مِنْ سَفِيهِ أَوْ قَيْدِهِ فِي طَوْقٍ أَوْ جَنْجَلٍ ، وَبَذَرَ السَّارِقَ وَالسَّارِقَ يُسِيرُ بِلَا كَفٍّ
وَيَسْعَى بِلَا رَجُلٍ ، مُشِيدًا لِنَوَاجِيبِهَا بِالْتَّرْغِيبِ وَالتَّرْهيبِ عَلَى أَوْتَقِ الْمَسَافِرِ ، مُصْلِحًا
بَيْنَ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ حَتَّى لَا يَضُرَّ قَوْلُ الْقَاتِلِ : «رَفِيقُكَ قَبِيضِي وَأَنْتَ يَمَانِي» ؛ مُتَفَقِّدًا
مِنَ الْأَحْوَالِ كُلِّ جَلِيلٍ وَحَقِيرٍ ، نَاهِيضًا فِي تَلَقِّيِ الْمَهْمَاتِ عَلَى قَدَمِ التَّقَدُّمِ بِالْعَزْمِ
الْأَثِيرِ ، جَاعِلًا مِنْ لَدَى عَجْمَةٍ عَمَلِهِ لِمَصْلَاحِ الْعَشِيرَةِ نِعْمَ الْعَاشِرِ ، عَامِلًا بِتَقْوَى اللَّهِ
تَسَالَى فِي كُلِّ أَمْرٍ وَإِلَيْهَا بِالْحَدِيثِ يُسِيرُ .



وهذه نسخة توقيع بشد الدواوين بغزة ، من إنشاء ابن نباتة ، كُتِبَ بِهِ
لـ«علاء الدين بن الحصني» المُقَدِّمُ ذِكْرُهُ فِي التَّوْقِيعِ قَبْلَهُ ، وَهِيَ :

أَمَّا بَعْدُ حَمْدُ اللَّهِ عَلَى كُلِّ نِعْمَةٍ جَلَّتْ ، وَنِعْمَةٍ فِي أَهْلِهَا حَلَّتْ وَحَلَّتْ ، وَرَبَّةٍ
بِإِتْسَابِ كَافِيهَا وَبِاسْمِهِ تَحَصَّنَتْ عَلَى الْحَقِيقَةِ وَتَعَلَّتْ ؛ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا
مُحَمَّدٍ خَيْرٍ مِنْ سَلَمَتْ عَلَيْهِ الْأَنْسَانَةُ وَصَلَّتْ ، وَسَلَّتْ بِهِ سُيُوفُ النَّصْرِ وَصَلَّتْ ؛ صَلَاةٌ
دَائِمَةٌ مَا أُمْلِيتْ عَلَى الْأَسْمَاعِ قَلَّتْ ، وَلَا قَابَلَتْهَا وَجُوهُ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا تَهَلَّلَتْ وَلَا تُحِبُّ
الرِّضْوَانُ إِلَّا أَتَهَلَّلَتْ - فَإِنَّ مَنَازِلَ يُسْتَقَى [مِنْ] مُهْمَاتِ الدَّوْلَةِ خَيْرُهَا ، وَيُسْتَدْعَى مِنْ جَانِبِي
مِصْرَ وَالشَّامِ سَبْرُهَا ، وَيُحْمَدُ إِلَيْهَا مِنْ نَاحِيَّتِي السَّاحِلِ وَالْجَبَلِ سُرَاهَا وَسَيْرُهَا ؛ وَتِلْكَ
وُظِيفَةُ شَدِّ الدَّوَاوِينِ الْمَعْمُورَةِ بِغَزَّةِ الْمَحْرُوسَةِ الَّتِي تُتَلَقُّظُ مِنْ سَاحِلِ بَحْرِهَا دُرُّ الْخَلِيرِ
الْمُقْتَبَلِ ، وَتَقُولُ الْمِهْمَاتُ الشَّرِيفَةُ لَسْرَاةٍ أَسْتَهْنِضُهَا : بِإِسَارَةِ الْجَبَلِ - حَقِيقَةٌ
أَنْ يُنَجِّحَ لَهَا مِنَ الشَّاكِرِينَ مَنْ يُجِدُّ أَجْتِهَادَهُ وَجِدُّهُ ، وَمِنَ السَّابِقِينَ إِلَى الْمَقَاصِدِ مَنْ
يَحْسُنُ - كَمَا يُقَالُ - قَرِيبُهُ وَشَدُّهُ ؛ وَمَنْ شَكَّرَتْ فِي الْوِلَايَاتِ آلَاؤُهُ ، وَمَنْ إِذَا عَلَا
نَظَرُ رَأْيِهِ فِي الْمَصَالِحِ قِيلَ : قَامَ عِلَاؤُهُ ؛ وَمَنْ إِذَا دَبَّرَ جِهَةً قَالَتْ بِلِسَانِ الْحَالِ :
لَقَدْ زَادَ فِي الْمَصَالِحِ حُسْنًا ، وَلَقَدْ تَحَصَّنَتْ بِإِتْسَابٍ ذِكْرُهُ فَلَا عِدَمْتُ مِنْهُ حَصْنًا .

ولذلك رُسم بالأمر الشريف أن يستقر لما عُرف من حُرْمِهِ
وعَزْمِهِ ، ولما جُتِدَ في مقدمات القَدَرِ من رَفْعِهِ وفي إعلاء المِهْمَاتِ من جَزْمِهِ ؛
ولما عُهِدَ من هِمَمِهِ في جِهَاتِ دَبْرِهَا ، وفي وِلَايَاتِ تَمَرُّهَا ؛ وفي وَطَائِفِ شَدِّهَا :
أَمَّا عَلَى الْعَنَاءِ فَشَدَّدَهَا وَأَمَّا عَلَى الْمُسْتَحِقِّينَ فَيَسَّرَهَا ؛ وَلِمَا أَشْتَهَرَ مِنْ ذِكْرِهِ الَّذِي
لَا يَرِخُ عَلَيَّا ، وَلِمَا ظَهَرَ مِنْ دِرَآئَتِهِ الَّتِي جَعَلَتْ كَوَكَبَ سَعْدِهِ وَسَعْيِهِ دُرِّيًّا ، وَلِمَا
بَهَرَ مِنْ تَمَيُّزِهِ الَّذِي إِذَا هَزَّ عَصَاهُ بَيَّدَ تُسَاقِطَ عَلَى الْمَقَاصِدِ رُطْبًا جَنِيًّا .

فليأشُرْ هذه الوظيفة المباركة مباشرةً تَبَيُّضُ لَهَا وَجْهًا وَعِرْضًا ، وَإِذَا انْخَبَأَ عَلَيْهِ
الْمُنْثَى تَبَرُّطًا كَأَنَّهُ حَتَّى يَكُونَ قَرْضًا ؛ مَجْتَهِدًا فِي تَمَيُّزِ الْأُمُومِ وَالْغِلَالِ ، ضَاطِعًا لِأُمُورِ
الدُّبُونِ حَتَّى لَا يَنْشُكُو الْخَلَّةَ وَلَا الْأَخْتِلَالَ ؛ قَائِمًا بِمَحْقُوقِ الْخِدْمَةِ ، مُسْتَرِيدًا - بِشُكْرِ
الْأَنْوَالِ وَالْأَفْصَالِ - لِمَا يَرْجُحُ لَهُ مِنْ أَقْسَامِ النِّعَمِ ، عَلِيًّا عَلَى كُلِّ حَالٍ إِذَا وَقَّتَ
الْفِكْرَ قَدْرَهُ وَإِذَا ذَكَرَ اللِّسَانَ أَهْمَهُ .

المرتبة الثالثة

(من توابع أرباب السيوف بأعمال دِمَشْقَ مَا يَفْتَحُ : «رُسْمٌ» وفيها وظائف)

وهذه نسخ توابع من ذلك :

نسخة توقيع بناية قلعة القدس ، من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نباتة ، كُتِبَ
بها لشرف الدين «مُوسَى الرَّدَادِي» وهى :

رُسم ... - لا زالت وِلَاةُ أَيْمَامِهِ عَالِيَةِ الشَّرَفِ ، سَامِيَةِ الْمُسْتَشْرِفِ أَوِيَّةً مِنْ جَنَاتِ
خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ إِلَى عُزْرِفٍ مِنْ قَوْفِهَا عُزْرِفٌ - أَنْ يَسْتَقِرَّ الْمَجْلِسُ السَّامِيُّ ...
علماً باهتمامه الوَفَى ، وأَعْتَرَاهُ الْمُتَقَيِّظُ إِذَا نَامَ حُدَّ الْمَشْرِفِ ؛ وَأَسْتَنَادًا إِلَى رَأْيِهِ الَّذِي

يَقُولُ تَجْمَعُ الطَّالِمُ: «مَا أَبْعَدَ السَّبَبَ وَالْقَصَبَانَ مِنْ شَرْقِيَّ» !! ؛ وَإِرْشَادِ سَعِيهِ إِلَى أَنْ
أَتَّخِذَ مِنَ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ دَارًا ، وَمِنْ حَرَمِهِ الشَّرِيفِ جَارًا ، وَأَتَقَادَ ذِيهِهِ وَشِجَاعَتِهِ
الَّذِينَ آتَسَ بِهِمَا مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا ؛ وَكَيْفَ لَا ؟ وَقَدْ قَالَتْ هُمَةُ : يَا مُوسَى
أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ، وَأَخْرِجْ يَدَكَ الْبَيْضَاءَ فِي الثَّيَابَةِ تُكُنْ أَحَقُّ مِنْ اعْتَرَفَ بِهَا الْإِحْسَانُ
وَأَعْتَرَفَ .

فَلْيُإِشْرَ مَا قُوِّضَ إِلَيْهِ مُبَاشَرَةً يَعْلُو بِهَا شَرَفُ اسْمِهِ وَمُسَمَّاهُ ، وَيَسْتَدُو للاختيار
وَالْإِخْتِبَارَ فَضْلُ التَّقَدُّمِ الَّذِي إِذَا بَدَأَ لَهُ كِفَاهُ ؛ وَلِيُجَرِّبَ هَذِهِ الرِّبَّةَ رَأْيًا حَسَنَ الْإِحْكَامِ ،
وَلِيُؤَاطِبَ عَلَى حِفْظِ هَذِهِ الْقَلْعَةِ الَّتِي فَتَحَ بِهَا عَلَيْهِ فَلَانَهَا مِنْ أَعْظَمِ فُتُوحِ الْإِسْلَامِ ؛
وَلِيُثَبِّتَ عَلَيْهَا مِنْ كِفَايَتِهِ سُورًا حَوْلَ سُورِهَا ، وَلِيَتَفَقَّدَ رِجَالَهَا وَعُدَدَهَا تَفَقُّدَ الشُّبِّ
فِي دَيْمُورِهَا ، وَلِيَرُدَّ عَنْهَا بِعَزْمِهِ الرَّدَادِي عِيُونَ الْأَعْدَى الزُّرْقَ حَتَّى لَا يَرَاغَ فِي أَرْضِ
الْحَرَمِ وَلَا سَهَامَاتٍ طُيُورِهَا . وَلِيَشْكُرَ نِعْمَةَ أَوْتَهُ إِلَى هَذِهِ الْمَنَازِلِ الطَّاهِرَةِ ، وَلِيَقْرَبَ لِيَدِ
أَمَلِهِ طَلَبَ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ . وَلِيَقْدِّمَ مِنَ الْوَصَايَا تَقْوَى اللَّهِ الَّتِي عَنْ أَصْلَافِهَا تَفْرِغُ
نِعْمَةَ الْبَاطِنَةِ وَالظَّاهِرَةِ ، حَتَّى يَجْعَلَ لَهُ فِي الْوَادِي الْمُقَدَّسِ رَبْعًا مَأْنُوسًا ، وَجَمْعًا
مُحْرُوسًا ، وَأَحَادِيثَ حَسَنَةً تَقُولُ لِمُسْتَمِيعٍ مِثْلُهَا فِي الْأَفَاقِ : (هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى) .
وَاللَّهُ تَعَالَى يَمُدُّ بِإِعَانَتِهِ ، وَيُلْهِمُهُ شُكْرَ مَا رَزَقَ مِنْ فَضْلِ مَكَانِهِ وَمَكَانَتِهِ ؛ بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ !



وهذه نسخة توقع بنبأ قلع صرّحد لمن لقبه «جمال الدين» وهي :

رُسم بالأهرم - لا زال يَحْيِي قِلَاعَهُ الْبَائِبَ وَيَحْيِي مِنَ النَّائِبِ ، وَيُمِدُّهَا بِسَحَابٍ رِيَّةٍ
وَفِكَرِهِ الصَّائِبِ ، وَيَنْدُبُ تَلْخِمْهَا كُلَّ سَيْفٍ يُرِضِي النَّادِبَ وَيُهِيمُ عَلَى غَيْرِهَا النَّادِبَةِ -

أَنْ يُرَبِّبَ مَجْلِسُ الْأَمِيرِ ... لِأَنَّهُ الْكَافِي الَّذِي تُسَرُّ الْحُصُونُ بِأَمْنَالِهِ، وَتَبْتَغِي شُرَفَاتُ
الْفَلَاحِ لِإِفْقَالِهِ، وَتَتَشَرَّحُ مَنَازِلُهُا بِتَقَبُّلِ نَجْمِ الْهُدَايَةِ مِنْ أَعْمَالِهِ وَأَقْوَالِهِ، وَالْمَلِيَّ بِإِدَائِهِ
الْخُدْمَةَ، وَالْمَرْخَّحُ لِمَا هُوَ أَوْفَى وَأَوْفَرُ مِنَ الْأُمُورِ الْمُتَمِهُمَةِ .

فَلْيَبَاشِرْ نِيَابَةَ هَذِهِ الْقَلْعَةِ الْقَدِيمِ أَثَرُهَا، وَالشَّهِيرِ خَيْرِهَا وَخَبَرُهَا ؛ بِعَزْمَةِ سَيْفِ
قَاطِعِهِ، وَحِدَّةِ بَأْسِ ذَائِعِهِ، وَمَهَابَةِ ذِكْرِ لَشِيَّاطِينِ التَّفَاقُ عَنْهَا رَادِعِهِ ؛ فَلْيُنْهَ مِنْ بِنَاءِ
الْمَرَدَّةِ : فَلْيَرُدَّ عَنْهَا آفَةَ جَنْسِهَا، وَلْيَحْطُ بِرُقَى عَزَائِمِهِ حَوْلَ نَفَاسَتِهَا وَفَسْخِهَا، وَلْيَجْعِرْ
أُصْرَهَا عَلَى السَّدِّدِ، وَلْيَبْنِ بِزُومِهِ الْمُهْدَى أَوْتَقَى تَمَامِ بِنَاؤِهَا أَوْلَكِ بِالْصَّفَاحِ وَالْعَمَدِ ،
وَلْيَبْرِضِ الْآثَارَ السَّلْبَانِيَّةَ بِسَلْمَانِ بَيْتِ الْمَلَاذِمَةِ عَلَى طُولِ الْأَبَدِ ، وَلْيَجْتَهِدْ فِيهَا هُوَ
بَصَدِيدِهِ حَتَّى تَذْمُرَ بِتَذْمُرِ جَوَانِحِ الْحَسَدَةِ بِالْكَدِّ ؛ مَكْتَرًا بِذِكْرَى مَهَابَتِهِ لَعَدَدَهَا،
مُوقِرًا لِمُدَدَهَا، مُسْتَوْجِبًا لِمُسْتَجْلَابِ الْإِنْتَامِ عَلَيْهِ بِاسْتِجْلَابِ مَدَدِهَا .



وهذه نسخة توقيع بناية قلعة الصببية، وهي :

رُسم بالأمر العالى - لا زال إحسانه يُعِيدُ إِلَى الْحُصُونِ نَاصِرَهَا وَزِينَتَهَا، وَيُقْبِدُ
أَصْحَابَ الْهَيْمِ صَوْنَهَا، وَيَحْرُسُهَا بِنِ إِذَا نَظَرَ فِيهَا وَحَمَاهَا كَانَ عَوْنَهَا وَعَيْنَهَا - أَنْ يَسْتَقَرَّ
الْمَجْلِسُ السَّائِي الْأَمِيرِيُّ لِمَا أَلْفَتْهُ هَذِهِ الْقَلْعَةُ الْمَنْصُورَةُ مِنْ تَحْصِينِهِ
وَتَحْسِينِهِ، وَعِرْقَتِهِ مِنْ تَرْبِيهِ فِي عِمَارَتِهَا وَتَرْبِيئِهِ ؛ وَلِأَنَّهُ الْأَدْرَى بِالْمَصَالِحِ الْعَائِدَةِ نَفْعُهَا،
وَالْأَدْرَبُ بِمَنَاجِحِهَا الْحَمِيدِ وَقَعُهَا ؛ الَّذِي بَاشَرَهَا مِنْ قَبْلُ فَاحْشَنَ السُّلُوكَ ، وَنَصَحَ
هَذِهِ الدَّوْلَةَ الْقَاهِرَةَ فَاتْنَحَى عَلَى سِيرَتِهِ مُلُوكُ الْحُصُونِ وَحُصُونُ الْمُلُوكِ .

فَلْيُعِدْ إِلَى هَذَا الْمَعْقِلِ الْمَنِيحِ عَوَدَ الْمَاءِ إِلَى مَشَارِيهِ، وَلْيَسِرْ فِي أَرْجَاءِ أَرْجَائِهَا
مَسِيرَ الْقَمَرِ بَيْنَ كَوَاكِبِهِ ؛ وَلْيَتَفَقَّدْ أُمُورَ رَجَالِهَا الْمُسْتَخْدِمِينَ ، وَلْيَسْتَجْلِبْ قُلُوبَ

حَفَظَتِهَا الْأَقْدَمِينَ ، مُتَعَاشِيًا مِنْ رَأْيِ الْقَاصِرِ النَّبِيِّ ، قَائِمًا بِالْمِهْمَاتِ الَّتِي تَرَاخَمُ مِنْهُ
بَسِيخٌ لَا تَرَاخَمُ بَصِيٍّ ؛ مُقْبِيًا عَلَى رَفْعِ الْأُدْعِيَةِ لِهَذِهِ الدَّوْلَةِ الْقَاهِرَةِ ، مُسْتَرِيدًا بِالشُّكْرِ
لِنِعْمِ اللَّهِ الْبَاطِنَةِ وَالظَّاهِرَةِ ، مُجْتَهِدًا مُعْتَمِدًا عَلَى قُوَى اللَّهِ تَعَالَى الَّتِي جَعَلَتْ لَهُ مَكَانًا
مَكِينًا فِي الدُّنْيَا وَطَرِيقًا سَهْلًا إِلَى الْآخِرَةِ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يُجْحِصُ قَصْدَهُ ، وَيَتَقَبَّلُ جِهَادَهُ
وَجُهْدَهُ ؛ بِبَنَّةٍ وَكَرَمِهِ ! .

قُلْتُ : هَذَا كَانَ شَأْنَهَا حِينَ كَانَ يُوَلَّى بِهَا مَقْدَمُ حَقَّةٍ أَوْ جُنْدَى مِنَ الشَّامِ .
لَكِنْ قَدْ تَقَدَّمَ فِي الْكَلَامِ عَلَى تَرْتِيبِ الْمَالِكِ الشَّامِيَّةِ فِي الْمَقَالَةِ الثَّالِثَةِ أَنَّهَا اسْتَقَرَّتْ
فِي الدَّوْلَةِ النَّاصِرِيَّةِ «فَرَج» فِي سَنَةِ أَرْبَعِ عَشْرَةٍ وَثَمَانِمِائَةٍ ^(١) [وَلَايَةٍ] .

وَجِئْتُ ذِكْرُكَ وَلَايَتَهَا مِنَ الْأَبْوَابِ السُّلْطَانِيَّةِ . فَإِنْ عَادَتْ إِلَى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ
أَوَّلًا ، عَادَ الْحُكْمُ كَذَلِكَ .



وهذه نسخة توقيع بِنَابَةِ قَلْعَةِ حَمَصَ ، مِنْ إِنْشَاءِ الشَّيْخِ جَمَالِ الدِّينِ بْنِ ثُبَاتَةَ ،
وَهِيَ :

رَسَمَ بِالْأَمْرِ - لَا زَالَ يَنْدُبُ لِحُدُومَةِ قَلْعِهِ كُلِّ سَيْفٍ مُخْتَبَرٍ ، وَجُرَيْبٍ عَبْرَتْ عَلَيْهِ
الْعَبَرُ ، وَمُؤَدٍّ لِفَرَاغِ الْخِدْمَةِ : إِمَّا بِقِيَامٍ عِنْدَ الصَّبَا وَإِمَّا بِقُعُودٍ عِنْدَ الْكِبَرِ - أَنْ
يُرْتَبِ فَلَانٌ فِي نِبَابَةِ قَلْعَةِ حَمَصَ الْمَنْصُورَةِ إِبْجَابَةً لِسُؤَالِهِ فِيمَا سَأَلَهُ : مِنَ التَّوْفُرِ عَلَى
مَوَاصِلَةِ الصَّلَوَاتِ ، وَرَفْعِ الدَّعَوَاتِ ، وَجَمْعِ نَوَائِي الْجِهَادِ وَالْخُلُوتِ ، وَتَقْضَى بَاقِي
الْعُمُرِ وَادِمَا ، مَتَّفِسِكًا طَائِمًا ؛ إِذَا بَكَى بِجَوَارِهِ حَتَّى النَّهْرِ الْعَاصِي رَقَّ عَلَيْهِ فَمَا يَعْدَمُ
مِنْهُ بُكَاءٌ .

(١) يَبَاضُ بِالْأَصْلِ وَالصَّحِيحُ مِنْ بَقِيَةِ الْكَلَامِ وَمَا تَقَدَّمَ .

فليأشُر بِنِيبَةِ هذه القلعة العليّ خبرُها وخبرُها ، الميَّ سَمَاعُها وَمَنْظَرُها ، المِطْلَةُ
على مراكز الرَّماح المشهورة ، ومَهَابِّ الرياح : إِمَّا بَغِيثِ السَّهَامِ مُمِطَّةٌ وَإِمَّا بِسِهَامِ
الْفَيْثِ مَمْطُورَةٍ ، المُجَاوِرَةِ لِسَيْفِ الله «خالد» فهي بِأَعْرَابِ المُجَاوِرَةِ مَنْصُورَةٍ غَيْرِ
مُكْسُورَةٍ ، مُعْتَبَرًا لِأَحْوَالِهَا ، مُسْتَدْعِيًا لِمَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ عُدِّهَا وَعَدَدِ رِجَالِهَا ،
مُحَصَّنًا بِاسْتِدْعَاءِ السِّلَاحِ وَسِلَاحِ الْأُدْعِيَةِ الْحَدِيدَيْنِ بِأَمْنِهَا .



وهذه نسخةٌ تَوْفِيقِ بِنِيبَةِ قَلْعَةِ جَعْبَرٍ ، قَبْلَ أَنْ تُثَقَّلَ إِلَى حَلَبَ ، وَهِيَ :

رُسمُ بالأَمْرِ الشَّرِيفِ - أَعْلَى اللهُ تَعَالَى فِي سَمَاءِ الْمَلِكِ كَوَاكِبِهِ ، وَنَصَرَ فِي أَقْطَارِ
الْأَرْضِ كُتُبَهُ وَتَكَايِبِهِ ، وَصَرَفَ بِأَوَامِرِهِ الْعَالِيَةِ كُلَّ نَائِبٍ وَفَرَّقَ بِهَا كُلَّ نَائِبَةٍ -
أَنْ يُرْتَبَ مَلِكًا بِأَنَّهُ الْكَافِي الَّذِي تُعْقَدُ عَلَيْهِ هِمَّتُهُ الْخَنَاصِرُ ، وَيُنْتَبَى
عَلَى تَقْدِيمِ عَزَائِمِهِ الْقَدِيمِ وَالْمُعَاوِرِ ، وَتَقْوَى الْجِهَاتُ وَتُصَرِّبُ بِأَسْمِهِ بَعْدَ أَنْ كَانَتْ
بَغِيرَ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ، وَأَعْتَادًا عَلَى كِفَائِهِ النَّافِعِ ، وَشِهَامَتِهِ الرَّائِقَةِ الرَّائِعَةِ ، وَدِرَائَتِهِ
الَّتِي تُضِيءُ بِهَا الْقَلْعَةُ وَتُسَمَّوْحَى يَقُولُ الْأَسْتِيقَانُ : مَا هَذِهِ شَمْسٌ هَذِهِ شَمْسٌ^(١)
طَالَعَهُ .

فليأشُر هذه القلعة القديم أثرُها ، الْحَمِيدَ خُبْرُهَا وَخَبْرُهَا ، الْمُصَفَّرَ تَصْفِيرَ التَّحْيِيبِ
والتَّحْسِينِ أَسْمُهَا وَمَنْظَرُهَا ، الْمَفْرَدَ مَهْلُهَا بِذَيْلِ الْإِنَاقِ فَتَمَسُكُ بِسُجُوبِهَا الْمُنْشِدَةَ^(٢)
لَا رَيْقَابَ تَهْضَةُ حَالٍ مِنْ عِلْمِ أَبْنِ مَنْصُورِهَا ، رَاقِيًا صَرْحِهَا ، رَاقِيًا بِالْمَصَالِحِ

(١) كَذَا فِي الْأَصْلِ وَصَوَابُهُ شَمْسِيَّةٌ .

(٢) هَذَا الرَّصْفُ يَنَاسِبُ قَلْعَةَ الصَّبِيهِ فَإِنَّهَا هِيَ الْمُصَغَّرَةُ .

(٣) فِي الْأَصْلِ «مُشْكَا» .

سَرَحَهَا ، مُجْتَهِدًا فَمَا يَقْضَى لَقْدَرَهُ بِالرَّقْمِ ، وَلِرَائِدِ أَمَلِهِ بِخُصْبِ النُّجْمَةِ ، جَاعِلًا هَذِهِ
الْمُتَرَلِّةَ أَوَّلَ دَرَجَاتِهِ : وَحَسْبُهُ بِمُتَرَلِّةٍ يَكُونُ أَوَّلُ دَرَجَاتِهَا قِبَةَ قَلْعِهِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يُسَدِّدُ
عَزْمَهُ وَحَزْمَهُ ، وَيُجِئِدُ فِي الْكُفَاةِ خَبْرَهُ كَمَا أَحَدَ فَيَهْمِ أَسْمَهُ ، بِمَنْنَ وَكْرَمِهِ ! .



وهذه نسخة توقيع بنبابة مَفَارَةَ زَلَايَا ، من إنشاء ابن نباتة ، وهى :

رُسم بالأمر - لا زال يَزِيدُ قِلَاعَ الْإِسْلَامِ عِلَاءً فِي السَّيِّمَةِ وَالْأَمَمِ ، وَفِي الْقُوَّةِ
وَالْحُسْمِ ، وَفِي أَعْتِنَاءِ يَجْمَعُ لِعَقِيلَتِهَا بَيْنَ الْحُسْنِ وَالْفَيْسَمِ - أَنْ يُرْتَبَ مَجْلِسُ الْأَمِيرِ
لِقِيَامِهِ بِوَجَابِ انْخِلَافِهِ ، وَمُلَازِمَةِ قَرَائِصِهَا الْمُهِمَّةِ ، وَعَزْمَتِهِ الْوَفِيَّةِ فِي النَّفْسِ ، الزَّائِدِ
وَصَفُوحِهَا عَلَى الْأَمْسِ ، الْعَلَى نَسَبِهَا وَحَسَبِهَا : فَتَارَةً إِلَى الْمُلَى وَتَارَةً إِلَى الشَّمْسِ .

فَلْيَبْشِرْ هَذِهِ الْقَلْعَةَ الَّتِي عَلَتْ بِنَفْسِهَا مَحَلًّا وَسَكَا ، وَقَالَ سَاكِنُ مَقَارِهَا لِشَايِنِ
أَشْيَيْنِ مِنْ حَزْمِهِ وَعَزْمِهِ : (لَا حُزْنَ إِنْ اللَّهَ مَعَنَا) ؛ وَاسْتَعْلَى تَنْبِيْهَا فَأَنْشَدَ :
«أَنَا ابْنُ جَلَا وَطَلَّاحِ النَّبَايَا» ، وَنَادَى بُقْعَتَهَا : هَذَا عَزْمِي وَحَزْمِي لَا يُقَالُ وَلَا يَزَلَايَا ،
مُجْتَهِدًا فِي سِدَادِ أُمُورِهَا ، وَتَحْصِينِهَا بِالْمُهَابَةِ الْقَائِمَةِ مَقَامِ سُورِهَا ، مُسْتَجِلًّا مَا يَحْتَاجُ
إِلَيْهِ وَمَا يُرْتَبُ مِنْ عُودِهِ ، مُلَازِمًا لِرُؤْمِ النُّجْمِ لِأَوْقَاتِ مُبَاشَرَتِهَا لِأَيُوصَفُ بِالزُّوَالِ
بَلْ يَطُولُ الْمُدَّةُ .



وهذه نسخة توقيع بولاية القدس ، من إنشاء ابن نباتة ، وهى :

رُسم بالأمر لا زال يَسْمُلُ بِظِلِّهِ وَقَضَلِهِ ، وَيُجَمِّلُ بِإِحْسَانِهِ وَعَدْلِهِ ،
وَيَقْلُ شَمْسَ الْوَلَاةِ مِنَ الْبُرْجِ الظَّاهِرِ إِلَى مِثْلِهِ - أَنْ يُقْلَ فَلَانٌ مِنْ كَذَا إِلَى وَلايَةِ

القدس الشريف : علما يكفأيتہ التي تقدمت، وشهامتہ التي تحكمت، وإمامتہ التي سلمت فيما سلمت، ومهنتہ التي وهنت شمسًا فلا تُفسس، وقالت لقيامہ في المصالح: ﴿أخْلَقَ تَقْلِيكَ إِلَكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ﴾ .

فليأشر هذه الولاية مباشرةً تمحو بضياء شمسہ ظلمًا وظلامًا، وتقول لنار الحوادث في المشاهد الجلييلة : ﴿يَانَا كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا﴾ ؛ مجتهدًا فيما هو بصديده، عارفًا بوجوه المصالح حتى يكون السكُن أعرف بسميس بلده ؛ ناهضًا بأمر الديوان جليها وخفيها، وعبء المهمات حافلها وحفيها، مستريدًا بالشكر لمبادئ النعم، قائمًا في محل البلدین المبارکین : ماسرًا من حريم إلا إلى حرم .



وهذه نسخة توقيع بولاية غزوة، وهي :

رُسم بالأمر - لا زال يُنثى في رياض الإحسان غرسًا، ويُحقق في استحقاق الكفاية حدسًا، ويُقدّم من لا زال الولايات تتحد له يومًا وتدكر لقومه أمسا - أن يُرتب لما عُرف من عزمه الذي جرد منه الاختيار والاختبار جميلًا، وكال شخصه الذي آخذ التوفيق فلم يقل : ﴿لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فَلَانًا خَلِيلًا﴾ ؛ وأعتاده الذي يُصْبِح في المحامد ويمسى، وينافس مرياه فهذا يقول : تمرى وهذا يقول : غريسي .

فليأشر هذه الولاية بعزم مقتيل الشيبه، وحزم لا يُقعد الرأى المحيل بتجريدہ في المصالح وتجريسه؛ وقع في المهمات وردع للفسدين تُحمد موارده ومصادره، وذكر له حسن تنقظ من ساحل الشام جواهره؛ مستريدًا لما رشح له من درجات

الأُمُور المُهمَّة ، مُتَّزِعَ العِرْضِ عَن كُلِّ لَائِمَةٍ مُرَجَّحًا تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى فِي كُلِّ مَلْمَءٍ ،
وَاللَّهُ تَعَالَى يُنْجِدُ فِي الْخِلْمَةِ آثَارَهُ ، وَيُزَيِّدُ فِي وَلايَةِ حَرْبِهِ السَّاقَةَ إِذَا هَانَتِ الْحَرْبُ
عَلِ النَّظَّارَةِ .



وهذه نسخةُ تَوْقِيعِ بولايَةِ لَدَّ ، لِمَن أَسَمَهُ «نَجْمُ الدِّينِ أَيُّوبُ» وَهِيَ :

رُسمُ بالأَمْرِ - لَا زَالَتْ نُجُومُ أَوَامِرِهِ سَعِيدَةٍ ، وَظِلَالُ عَوَارِفِهِ مَدِيدَةٍ ، وَمَنَازِلُ
الْوَلَايَاتِ حَامِدَةٌ لِمَن يَقْدِمُهُ وَطَوَالِعُ أَفْقَاهَا حَمِيدَةٌ - أَنْ يُرْتَبَ أَعْتَادًا عَلَى
كَفَائَتِهِ الَّتِي تُشِيدُ لَهُ مَجْدًا ، وَتُعِيبُ مَسْعَاهُ حَمْدًا ، وَتَكْفِي مِنْ هَذِهِ الْجِهَةِ وَأَهْلِهَا بَلَدًا
وَقَوْمًا لَدَّا : لِمَا آخَتَوْنِي عَلَيْهِ مِنْ مُوجِبَاتِ الْأَصْطِنَاعِ وَدَوَائِعِهِ ، وَقَاتَ بِاسْتِقْلَالِهِ
أَمَدَ مُسَاجِلِهِ وَمُنَاوِيهِ ، وَأَشْتَمَلَ عَلَى الْخِلَالِ الَّتِي قَضَتْ بِتَقْدِيمِهِ ، وَالْأَفْعَالِ الَّتِي
أَسْتَدْعَتْ الْمِبَالِغَةَ فِي تَفْخِيمِهِ وَتَكْرِيمِهِ ؛ وَسَلَكَ مِنَ الْخَالِصَةِ مَا يُوجِبُ الْأَسْتِحْقَاقَ
وَالْأَسْتِجَابَ ، وَيُوصِلُ حَمِيدَ مَسْعَاهُ إِلَى بُلُوغِ الْأَمَالِ وَإِدْرَاكِ الْحَقَابِ .

فَلْيَبَاشِرْ هَذِهِ الْوَلَايَةَ : عَامِلًا بِتَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى فِيمَا يُسِرُّهُ وَيُعْلِنُهُ ، مُعْتَمِدًا فِيهَا
غَايَةً مَا يَسْتَطِيعُهُ الْمُكَلَّفُ وَنِهَايَةً مَا يُمْكِنُهُ ؛ وَلْيُسَوِّينِ الْقَوَى مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الْوَلَايَةِ
وَالضَّعِيفِ ، وَلَا يَجْعَلْ فِي الْحَقِّ قَرَقًا بَيْنَ الْمُشْرُوفِ وَالشَّرِيفِ ؛ وَيَسْتَد عَلَى كَاتِبَتِهِمْ
رِوَاقَ السُّكُونِ وَالْأَمْنَةِ ، وَلْيَجْرِهُمْ فِي الْمَعْلَةِ عَلَى الْعَادَةِ الْجَمِيلَةِ الْحَسَنَةِ ؛ وَلْيَأْخُذْ
فِي الْأُمُورِ الدِّيَوَانِيَةِ بِالْإِجْتِهَادِ مُرَاعِيًا فِي ذَلِكَ حَالَ الْعِيَارَةِ ، آتِيًا مِنَ الْإِحْسَانِ
إِلَى الرِّعْيَةِ مَا يَكُونُ لِلْعَدْلِ شَارَهُ ؛ وَاقِفًا فِي ذَلِكَ كُلِّهِ بِالْمَطْلُوبِ ، صَابِرًا عَلَى تَكْلِيفِ
الْمُهِمَّاتِ وَلَا يَنْكُرُ الصَّبْرَ لِأَيُّوبِ .



وهذه نسخة توقيع بولاية بيسان ، لمن لقبه « شهاب الدين » من إنشاء ابن
نبأته ، وهى :

رُسم بالأمر - لا زالت شُهْبُ أوقَاتِهِ سَعِيدِهِ ، وَتُحِبُّ هَبَاتِهِ سَاحِبَةَ الْجُودِ
مَدِيدِهِ ، وَبُحُورُ نَعْمَاتِهِ الْحَقِيقَةُ كُبُحُورِ الْأَعَارِضِ الْمَجَازِيَةِ : كَامِلَةٌ مُنْسِرِحَةٌ مَدِيدِهِ -
أَنْ يَسْتَقَرَّ أَعْتَادًا عَلَى عَزَمِهِ الْمُنِيرِ شَهَابِهِ ، الْكَثِيرِ تَوْقُفِهِ فِي أَوَاقَاتِ الْمَهْمَاتِ
وَالْتِهَابِهِ ، وَاسْتِنَادًا إِلَى كَفَائَتِهِ الَّتِي يَشْهَدُ بِهَا وَلَاؤُهُ فِي الْخِدْمَةِ وَوَلَايَتُهُ ، وَشَهَامَتِهِ
الَّتِي يُجْزِمُ بِهَا فِي الْأَمْرِ رَأْيَهُ وَتَرْفَعُ فِي الْخِدْمَةِ وَلَايَتُهُ وَمَهَابَتُهُ ، وَعِلْمًا بِسِيَاسَتِهِ
الَّتِي يَقْمَعُ بِهَا أَهْلَ الْفَسَادِ ، وَتَكَادُ تَفْخَرُ بِبِسَانٍ بِفَضْلِهَا كَمَا تَفْخَرُ بِ« فَاذِلِّهَا »
عَلَى الْبِلَادِ .

فَلْيَقُمْ فِي وَظِيفَتِهِ عَلَى قَدَمِ اجْتِهَادِهِ ، وَكَرَمِ ارْتِيَادِهِ وَأَعْيَادِهِ ، شَافِيًا لِأَحْوَالِ أَهْلِ
نَاحِيَتِهِ مِنَ الْوَصَبِ ، مُتَمَرِّدًا لِلْغَلَالِ وَالْأَمْوَالِ بِعَزْمٍ قَدْ أَرْتَفَعَ وَأَتَنَصَّبَ ؛ ظَاهِرًا
فِي الْخِدْمَةِ بِمُجْهُودِهِ ، مُلِمًّا لِحَدِيدٍ مِنْ عَصَى عَلَيْهِ فِي عَمَلِهِ كَمَا أَوْرَثَهُ دَاوُدُهُ ؛ وَاللهُ
تَعَالَى بِوَقْفِهِ .



وهذه نسخة توقيع بولاية صيدا ، لمن لقبه « شجاع الدين » بهما المجلس العالى
وهى :

رسم بالأمر العالى - أنفذ الله في الأفطار ، وتجم بولائه أيام الأوطان والأوطار ،
وأجرى بشكره سفن الركائب وركائب السفن إذا سف وإذا طار - ان يستقر
فلان : رُكُونًا إِلَى عَزَمِهِ وَعَزْمِهِ ، وَسُكُونًا إِلَى أَهْتَامِهِ الَّذِي حَكَمَ فِيهِ الْاِخْتِبَارِ

بِعَلْمِهِ؛ وَعَلَيْكَ أَنْ لَوْلَايَاتِ بِهِ الْإِنْتِفَاعَ، وَلِحُصُونِهَا الْإِمْتِنَاعَ وَالْإِرْتِفَاعَ؛ وَأَنَّهُ إِذَا
وَلَّى رَعَى^(١) وَإِذَا أَقْوَى كَانَ أَصْعَمَ رَاعَ، وَإِذَا فَكَّرَ فِي الرَّأْيِ وَقَبَّ فِي الْمُهْمِّ كَانَ
نِعَمَ الشُّجَاعَ.

فَلْيَايَسِّرْ وَلَايَةً عَمَلِهِ زَاهِضًا بِأَعْيَانِهِ، رَافِعًا بِالْعَدَلِ لِأَرْجَائِهِ وَرَجَائِهِ، حَرِيصًا عَلَى
طَيْبِ الْأَخْبَارِ الْمُنْتَشِرَةِ مِنْ كَأْفُورِ صُحْبِهِ وَمِسْكِ مَسَانِهِ. وَلْيَتَفَقَّدْ أَحْوَالَ بَرِّهِ وَبَحْرِهِ،
وَلْيَتَقَبَّضْ لِنَدَاكَ الْبَرِّ وَجْهَهُ، وَذَلِكَ الْبَحْرُ وَسِرُّهُ؛ حَتَّى يَتَحَدَّثَ الْبَحْرُ عَنْ عَزَمِهِ
وَلَا حَرَجَ، وَيَسِيرَ ذِكْرُهُ كَنَسِيمِ الرُّوْضِ لِضَائِعِ الصَّنْعِ وَلَكِنْ ضَائِعُ الْأَرْجِ؛ وَيَعْتَمِدَ
مَصَالِحَ الْإِنْسَانِ وَسُكُونِهَا، وَالْأَمْوَالِ وَدِيُونِهَا، وَالْجِهَاتِ وَضُرَائِهَا، وَتُجُومِ التَّقْسِيطَاتِ
فِي الْبَلَدَةِ وَتَحَوُّرِ مِيزَانِهَا، وَيَجْمَعَ بَيْنَ الدِّينِ وَالشَّيْئَةِ بِسِيَاسَةٍ لَا يَخْرُجُ بِهَا الرَّأْيُ عَنْ
إِبَانَتِهَا، وَتَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى هِيَ الْعِمْدَةُ فَعَلَيْهَا يَتَعَمَّدُ، وَعَلَى رُكْنَيْهَا يَسْتَنْدُ؛ حَتَّى تَجْعَلَ
لَهُ حُلَّ الْمَصَالِحِ أَبَدًا، وَحَتَّى تَنْثِي نَحْوَ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ عَمْرًا وَزَيْنًا، وَحَتَّى تَجْعَلَ لَهُ بَأْسًا
فِي الْأَعْدَاءِ يَكِيدُ كَيْدًا، وَحُسْنَ ذِكْرٍ فِي الْبَلَدِ يَصِيدُ «صَيْدًا».



وهذه نسخة توقيع بولاية قافون، من إنشاء ابن نباتة، وهي :

رُسم بالأمر - لا زال يندب لمصالح الولايات سُيُوفًا، وَيَقْدُمُ ظَنًا فِي الْكُفَاةِ
يَعْلَمُ أَنَّهُ سَيُوفِي، وَيُذِنِّي مِنْ تَمَرَاتِ الْإِنْسَامِ وَالْإِرْغَامِ لِأَيْدِي الْمُجْتَنِينَ قُطُوفًا - أَنْ
يَسْتَقِرَّ أَعْتَادًا عَلَى هِمَّتِهِ الثَّابِتَةِ، وَدِرَافَتِهِ السَّائِدَةِ، وَأَمَانَتِهِ الشَّاهِدَةِ،
وَصِفَاتِ عَزَمِهِ الَّتِي هِيَ فِي الْوِلَايَاتِ «مَعْنٌ» وَهِيَ «زَائِدَةٌ»؛ مُجْتَهِدًا عَلَى أَنْ يُتِمَّرَ عَمَلُ
وِلَايَتِهِ فَتَرَكُو أَعْمَالَهُ، وَتَرَدُّ عَلَيْهِ الْمِهْمَاتُ فَتَلْقَاهَا بِالْكَفَاءَةِ أَفْعَالُهُ الْمَعْرُوفَةُ وَأَقْوَالُهُ،
وَتَشْهَدُ مِنْهُ الْأَحْوَالُ مَعْنَى بَلِّ مَعَانِي يَثْبُتُ بِهَا فِي الْأَذْهَانِ قَبُولُهُ وَإِقْبَالُهُ.

(١) أقوى - نزل بالقرص أصعب - أصعب وأخفط ليعيه من الاغتيال.



وهذه نسخة توقيع بولاية صرخند، من إنشائه، لمن لقبه «جمال الدين» وهى :

رُسِمَ بالأمر أعلاه الله تعالى ، وبلغ بأيامه الرتب وأهلها آمالاً، وزان الولايات بما يُنتج من مُقدمة فعله وقوله جمالا - أن يُرتب مجلس الأمير... .. لأنه الكافي الذى عُرفت فى المهمات همته، وألفت عزمته، وأدبرت أوصافه عَقَارًا صَرَخَنَدِيَّةً ولا عجب أن سرت بالتواحي خدمته؛ والنَاهِضُ الذى وقى الولاية حقها، وأدى الأمانة وسلك طُرُقها، وأطلع فى سماء الولايات شهبَ رأيهِ لُفَى وزان أُنُقُها.

فليأشر هذه الولاية بعزم سنى، وحزم سرى، ومهابة تأخذ للضعيف من القوى، وديانة تمشى من الكفاءة والأمانة على صراط سوى، مُتمراً للمال والغلال، راقياً للحلل الذكور بحسن الحلال، مُحَسِّناً للذكور ولايته حتى يجمع لها الوصف والتعنى بين الحسن والجمال، وإياه والجُبن عن المهمات فإكل جُبن صَرَخَنَدِيَّ محمود العاقبة والمآل .



وهذه نسخة توقيع بولاية سَلَمِيَّة، من إنشائه، كُتِبَ به لـ«شهاب الدين المجازى» وهى :

رُسِمَ ... - لا زال يُطلَعُ شهبُ الولاية مُشرِّقه، ويُنبئُ مُحبَ الإحسان مُغلقه، ولا يَرِحُ أفلامُ علاميه كالتغصون بأحسن ثمرات النوح مُثمرة مُورقه - أن يُرتب علماً أنه الناهض الذى إذا ولي كفى، وإذا طلب الولاية المعتلة بتقديم المعرفة سنى، ورُحُونًا إلى عزمه الذى أبى لِسَهايه أن يجمد، وكفاءته التى

قَضَتْ لِاسْمِهِ بِالْعُودِ : فَإِنَّ الْوُدَّ أَحَدُهَا وَاعْتِمَادًا عَلَى سِيرَتِهِ الْحَسَنَةِ السَّمْعِ ، الْحَقِيقَةِ بِالرَّقْمِ ، وَدَلَّى سَطَوَاتِهِ بِالْمُفْسِدِينَ الَّتِي حَسَنَتْ أَنْ يُقَالَ فِيهِ : «لَقَدْ أَوْقَعَ الْخِجَافُ بِالْيَشِيرِ وَقَعَهُ» ^(١) .

فَلْيَا شِرْ هَذِهِ الْوَلَايَةُ بِعَزْمِهِ الْمُتَوَالِي ، وَاجْتِهَادِ رَأْيِهِ الَّذِي يُطْرِبُ بَارِقَهُ الْمُتَعَالِي ؛ جَارِيًا عَلَى عَادَةِ سَلَدِهِ ، مُجْتَهِدًا فِيهَا هُوَ بَصَدِّهِ ؛ مُسْتَدًّا - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ ، مَانِعًا لِنَاجِيَتِهِ الْأَعْرَاضِيَّةِ مِنْ تَطَرُّقِ الْخَلَلِ وَتَطَرُّفِ الْحَلَالِ ؛ مُصْلِحًا بِالنَّذِيرِ عَمَلِ مَا يَنْبَغُ بِعَزَائِمِهِ الْوَفِيِّهِ ، وَهَيْمِهِ الْجَلِيلَةِ الْجَلِيلَةِ ، وَإِذَا سَالَ عَنْ شِدَّةِ الْوَلَاةِ وَاحِدًا قَبْلَ : سَلَّ مِيَّةً عَنْ سَلَابِهِ .



وهذه نسخة توقيع بَسَدٍ مُحَصَّلٍ مُهَامَةٍ ، مِنْ إِنْشَاءِ ابْنِ ثُبَاتَةَ ، وَهِيَ :

رُسم بِالْأَمْرِ - بِسَطِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى الْأَثَمِ مَهَابَتِهِ وَظِلِّهِ ، وَبَاسِهِ وَفَضْلِهِ ، وَوَجْهِهِ إِلَيْهِ آمَالِ الْخَلْقِ مِنْ كُلِّ قِبَلِهِ ، وَأَعْلَى آرَائِهِ الَّتِي يُقَالُ لَعَدِهَا : «لَقَدْ جُدْتُ حَتَّى جُرْتُ فِي كُلِّ مِلَّةٍ» - أَنْ يُرْتَبَ مضافًا لما بَيَّنَّهُ ، وَأَسْتَفَادًا إِلَى مَحْجِجِ خَبَرِهِ فِي الْكَفَاءَةِ وَعُلُوِّ سَنَدِهِ ، وَأَرْتِيَادًا لِهَيْمِهِ الَّتِي إِنْ رَوَاهَا مُسْلِمٌ عَنْ طَوْعِهِ رَوَاهَا نَضْرَانِي عَنْ تَجْلِيدِهِ ؛ وَسُكُونًا إِلَى حَرَكَتِهِ الَّتِي تُحْصَلُ مَالًا ، وَيَصِلُ إِلَى مَالٍ ؛ وَتُسَخَّرُ الْوَفَرُ مِنْ مَكْمِهِ ، وَتَأْخُذُ الْحَقَّ [مَنْ] قَدَامَ يَدَيِ الْمَائِلِ وَمَنْ خَنَفَ أَذُنُهُ ؛ وَدَلِمَا أَنَّ الْمُلْتَخَصِلَ مُهَامَةً مِثْلَ عَزْمِهِ الْمُخْتَارِ ، وَرِفْقِهِ الَّذِي يَسْتَقِرُّ دَرُّ الْقَصْدِ الْمُنْدَرِّ ، وَاجْتِهَادِهِ الَّذِي زَرَعَهُ الْمُسْتَهْضُونَ فَاسْتَوَى عَلَى سَوْفِهِ يُجِيبُ الزَّرَاعَ لِيَنْظُرَ بِهِمُ الْكُفَّارُ .

فَلْيَا شِرْ هَذِهِ الْوَلَايَةَ بِسَلَدِهِ وَلِيْنٍ يَحْمِلُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا فِي مَوْضِعِهِ وَمَقَامِهِ ، وَحَقِّ مُتَرٍ يَحْمِلُ سَبْتَ نُورِ كُلِّ لِيَالِيهِ وَأَيَامِهِ ؛ وَأَمَانَةِ مُدْلِهِ ، وَكَفَاءَةِ مُظْلِهِ ؛ وَصِيَانَةِ

(١) مَدْرِيْتُ لِلْإِثْمِ وَتَقَامُ «إِلَى اللَّهِ مِنْهَا الْمَشْكُورُ وَالْمُتَرَلِّ» وَالْخِجَافُ أَسْمُ رَجُلٍ بِالْهَرَسِ جَمْلٌ ،

تُوجِبُ مَرِيدَ الْخَيْرِ إِذَا لَهَ، وَمَهَابَةً إِذَا أُدْخِلَتْ مُسْتَحَرَجٌ قُتَامَةً أَصْلَحَتْهُ وَجَعَلَتْ
أَعِزَّةً أَهْلِهَا أَذْلَهُ؛ لَا يَنْتَبِيهِ مِمَّهَ النَّفْسِ، وَلَا يَلْتَفِتُ - كَمَا يُقَالُ - لِتَبْخِيرِ الْكَنِيسَةِ؛
بَلْ يَسْتَعْمَلُ فِرَاسَةً تَرُوعُ مِنْ حَمَلٍ عَنْ آدَاءِ الْحَقِّ بُهَانًا، وَمُنَاقَشَةً تَكْشِفُ عَنْ
جِبَالِ التَّجَلُّدِ أَكْثَانًا، وَرَأْفَةً مَعَ ذَلِكَ بِالظَّاهِرِ الْعَجِزِ : ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قَسِيصِينَ
وَرُهْبَانًا، وَمَتَابَعَةً لِلضَّرَائِبِ الْقَدِيمَةِ لَا يُصْرَفُ عَنْهَا، وَاسْتِغْلَاصَ مَا عَلَى الرَّأْسِ حَتَّى
يُقَالَ : « لَيْسَ تَحْتَ الزَّرْقَاءِ أَخْضَعَ مِنْهَا »؛ عَامِلًا بِتَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى فَإِنَّ أَهْلَ مَعَامِلَتِهِ
أَهْلَ ذِمَّتِهِ، مُجْتَبَيْنَا فِي آسْتِحْقَاقِ مَا يَرْتَضِي لَهُ مِنْ وَلايَاتِ الْأُمُورِ الْمَهْمَةِ .

الصنف الثاني

(مما يكتب لأرباب الوظائف بدمشق - تواقع أرباب
الوظائف الدينية، وهي على ضربين)

الضرب الأول

(ما يكتب لمن هو بمحاضرة دمشق، وهو على ثلاث مراتب)

المرتبة الأولى

(ما يفتتح به «الحمد لله»)

وهذه نسخ تواقع من ذلك :

تَوَقَّعُ بِنَظَرِ الْحَسْبَةِ بِالشَّامِ، كُتِبَ بِهِ لِلْقَاضِي «نور الدين علي بن أبي الفرج»
بـ«الجناب الكريم» وهو :

الحمد لله الذي جعل مقام الأولياء علياً، ورفق بهم إلى طور العناية فأشرق نورهم سنيّاً، ووقفهم للأمر بالمعروف فلم يزل غيث الندى بهم وليّاً، وزند سبل الرّشاد والحكمة وريّاً .

نحمده حمداً كثيراً طيباً زكياً، ونشكره شكراً لا يزال غصنه بالزيادة جنيّاً؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تُكرّرها بكرة وعشيّاً، ونسلّك بها صراطاً سويّاً؛ ونشهد أن سيدنا محمداً عبده الذي اختاره صفيّاً، وقربه نبيّاً، ورسوله الذي قام به الحق وأصبح به الباطل خفيّاً؛ صلّى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة ينال بها المؤمن يوم العطش ريّاً، ويمحو بها في جنة المأوى حلالاً وحليّاً، وسلّم تسليماً كثيراً .

أما بعد، فإن أولى ما يلزم الفكر [فيه] وتبيين، ويتمّ التّجسّع بحسن النّظر فيه ويتبين - أمر الحسبة الشريفة : فإنها المنصب الذي به صلاح أحوال الرعية، وقوام إقامة الحدود الشرعية؛ تسلك العامة لمستوليه سبل صناعته ذللاً، وتكمّو بإتقانها أنواع بضائعها حلالاً؛ ويتفّع بمعرفته الأمر والمأمور، وتُحاط المعاش عن غشيان الفس من حرّمته بسور؛ وتطمئن القلوب بإصلاح المطامع وتنتهي، وتقول الألسنة : شكراً لمن سنّ هذه السنة الشريفة وسنّى، وردع ذوى الفس عن غوايتهم : فنّ غشنا ليس منّا؛ لاسيّما بدمشق فإنها شامة البلاد المحروسة، وموطن البركة الماثورة والبهجة الماثوسة؛ بلد شاع ذكرها في المغارب والمشارق، وإنّ محاسنها لن تُحاسن بغيرها : والجامع القاريّ .

وكان فلان ممن تحلّى من عقود المحامد بجواهرها، وأرتدى من حُلل المآثر بمفاتيحها؛ وعرف بالتهضة والعفاف، وأنصف بحيل المعرفة والإنصاف؛ وحسنت سيرته في أحكامه، وحسنت قواعد تعدده ونضارة نظامه .^(١)

فلذلك رُسم بالأمر العالى - لا زال يُولى بجيلا ، ويُولّى فى الوظائف السّنية جيلا - أن يستقرّ المشار إليه فى نظر الحسبة الشريفة بالشام المحروس ، على عادة من تقدّمه فى ذلك ، والقاعدة المستمرة ، بالمعلوم المستمرّ للوظيفة المذكورة ، إلى آخر وقت : وضعا للشئ فى محلّه ، وتفويضا لجيل النظر إلى أهله .

فليأشتر ذلك أمرا بالمعروف وناهيا عن المنكر ، سالكا من حُسن الطريقة ما يُحمد به ويُشكر ، ويُسرّه حين تُسلى سورّ محاسنه وتذكر ؛ متفقدّا أحوال العامة ومعايشها فى كلّ آن ، ملتفتا فى أمر ما يكال أو يُوزن إلى قوله تعالى : ﴿وَأَقِيمُوا الزَّوْزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ . مُشمرّا عن ساعده فى الإجراء على العوائد المُستحبة ، مُحترزا فيما يامر به : فإن الله تعالى لا يخفى عليه مثقال حبه ؛ ويُنظر فى الدقيق والجليل ، والكثير والقليل ؛ وليستكثر الأخبار ، وليستعلم الأسعار ، ولا يغفل عن تعاهد السوق آناء الليل وأطراف النهار ؛ وليلاحظ أمر السكّة السلطانية بإصلاح العيار ، وضبط أحوال النقود بمقدار ؛ وليقيم من خدمته رقيبا على من أتهم فى صنعته أو استرأب . وليبلغ فى النظر فى أمر المأكّل والمشارب فإن أكثر الداء من الطعام والشراب ؛ وليزجر بتأديبه من أقرئ ، أو تلقى الركان أو غدا فى الأقوات مُحكرا ؛ وليعلم أنه قد أمر هذه الوظيفة المباركة : فليختر من يستنب ، وليُصير كيف يسلك برطانيته من حكم عليه فما يلفظ من قوب إلا لديه رقيب ؛ والوصايا كثيرة وأصلها التقوى التى هى أجل ما يقتنى المؤمن ويكتسب ، وأجدر بالزيادة : ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ . والله تعالى يديم علاه ، ويتولاه فيما تولاّه .



وهذه نسخة توقيع بنظر الجامع الأموي، من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نباتة،
كُتِبَ به للقاضي «عماد الدين بن الشيرازي» في الدولة الصالحية «صالح بن الناصر
محمد» بدع الجناح الكريم» وهي :

الحمد لله الذي أَدِنَ لِيُوتِهِ أَنْ تُرَفَّعَ فِرْعَ عِمَادَهَا، وَأَعَادَ أَحْسَنَهَا إِلَى نَظَرٍ مِنْ صَرَفَ
أُمُورَهَا بِمَا حَسَنَ وَصَرَفَهَا عَمَّا دَهَى، وَأَحْيَا الْآثَارَ الْأُمُويَّةَ حَتَّى غَدَتْ كَالْهَاشِمِيَّةِ
تَدْعُو أَجْوَادَهَا وَيُحْيِيهَا، وَأُنْجِزَ وَعْدَ أَهْلِهَا بِمِنْ أَشَارَتْ إِلَى مُبَاشَرَتِهِ أَعْلَامُ أَعْلَامِ
الْمَنَابِرِ بِالْأَصَابِعِ وَنَصَّتِ الْمَازِدُ أَجْيَادَهَا .

نَحْمَدُهُ عَلَى مَا هَيَّا مِنْ الْفَوَائِدِ، وَهَيَّا مِنْ الْعَوَائِدِ؛ وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ
لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً يَقُومُ بِهَا الْخُطَّابُ شَاهِدًا وَيَقُومُ بِهَا الْخُطَّابُ فِي الْمَشَاهِدِ، وَنَشْهَدُ
أَنْ عِمَادًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي أَوْفَى الْجَوَامِعَ مِنَ الْكَلِمِ وَجُعِلَتْ لَهُ الْأَرْضُ مِنْ
الْمَسَاجِدِ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ عَمَّرُوا بُيُوتَ الْعِبَادَاتِ بِهَدَايَتِهِ،
وظَهَرُوا فِي جَمَالِ الْجَمْعِ وَبِجَالِ الْجُمُوعِ تَحْتَ رَأْيَتِهِ؛ صَلَاةً مُتَّصِلَةً السَّيْرِ كَالسَّيْلِ،
مُسْتَبَلَّةً الْغَامِ كَالذَّلِيلِ، وَاصِحَّةً كَرَدَجِ الْخُلُوقِ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ فَائِحَةً كَفَتَيْتِ الْمِسْكَ
إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ .

وبعد، فإن أولى الأمور الدينية بتقديم الأهِتَامِ، وتقرير الاعتناء إلى الاعتزام؛
وتشجيع سَاعِدِ الرَّأْيِ وَزَهْرَانِهِ عَلَى الْأَكْبَامِ - أَمْرٌ تَكُونُ إِقَامَةُ الصَّلَوَاتِ أَحَدَ
أَرْكَانِهِ، وَتَدْبِيرُ الْمَصَالِحِ مُشِيرًا إِلَى طُلُوشَانِهِ، وَأَرْزَاقِ الْعُلَمَاءِ وَالصُّلَحَاءِ تُسْتَدْرَمُ مِنْ
هَطَالِهِ وَهَتَانِهِ .

وكان الجامع الأموي يدمشق المحروسة لهذه الأركان بمنزلة الأسس الأربع تمكينه،
والفرج الشامخ في وجه السحاب عرينه ؛ وبنية زمان بنى أمية الذين عفا شرف
مفانيرهم وما عفا شرفه ونفوه، ووكر الإسلام الذي مضى بُد أمثاله وما بقي إلا نسر
السماء ونفسه ؛ ذو المرأى الشارح والفضل المشرّوح ، والحسن الذي إن تعالى
في وصف الجوامع قوم قيل : باب الزيادة مفتوح ؛ تفخر به دمشق وحق
لها على كل مضر أن تفخر ، وتبعث نظرات حسنه الفخر من حملة فصوص
الترخيم إلى الأسود والأحمر ؛ يحمّد المجاور به مفضاه وغناه ، ويسع أرباب العلم
والقاصد نأديه ونأده ، ويطلع المسك سطور مياهه المتجعدة فأول ما يقرأ من
تنبيه عزيمه باب المياه ؛ وقد عهد أن يتولى نظره كل سني المفانير، سرى
المائر ؛ كريم الفرع والأصل، ماضى العزم كالنصل، حائر من أعلامه أمد العلاء
وقصب الخصل .

ولذلك رسم بالأمير الشريف - لا زال وجه الفضل بدولته الشريفة وإحفاها،
وميزان العدل والإحسان راجحا ، ولا زال في كنف من من به على الدين والدنيا
وأنامها صالحا - أن يفوض إلى فلان نظر الجامع الأموي المذكور : لما عيرف
من أنه الرئيس الذي ماسد سدي، والكامل الذي إذا أنس [سار] نارفكرته وجد على
النار هدى ؛ وأنه باشر نظر هذا الجامع قديما بجملة ، ورصد سنه فكله ، وأشهد
في محضر ديوانه على التزاهة أعلامه المعدلة ، وتدبيره المدلة ؛ وكثر أوقافه وكانت
قد أضمحت ، وشيد عمائرهم وكانت قد استقلت ، وملا حواصله وكانت أعلام
المكتسبة تنشد : «أسائها أي المواطن حلت» ؛ ولما ألفت هذا الجامع المعمور من
عواطفه ، وعرف من عوارفه ، وشهد من جلوسه اصالح وفقه أحسن الله مكاناة
جاليه وواقفه ؛ فاقبت في صدر المحافل أن الله تعالى قد رزقه من الفضل جسيما ،

وَكَتَبَ لَهُ مِنْ شَرَفِ الْاِكْتِسَابِ وَالْاِكْتِسَابِ حَدِيثًا وَقَدِيمًا ؛ وَاتَّقَى إِلَى يَدِهِ قَلَمَ كِفَاءَةٍ وَأَمَانَةٍ كَانَ كَرْمُهَا لِلْأَمَلِينَ حَصِينًا وَكَانَ قَلَمُهَا لِلْحَاسِبِينَ خَصِيصًا ؛ ثُمَّ وَقَرَّ بِهِ الْمَصَالِحَ قَوِّيًا ، وَكَمْ جَمَعَ بِهَيْمَتِهِ الْمَحَاوِلَةَ مَالًا يَجْهَزُ بِهِ مَنْ جُنْدَ الدُّعَاءِ صَفًّا ؛ كَمْ سَرَّ بِمَنَافِقِهِ سَرَاةَ سَلَفٍ مَامْنِهِمْ إِلَّا جَوَادُ لَا يَرْضَى فِي سَبْقِ الْمَكَارِمِ بِحَاجَتِهِ ، وَكَاتِبٌ يَكْبُرُ عَنْ قَوْلِ الْوَاصِفِ : إِنَّ يَاقُوتَا فِي فَصِّ خَاتَمِهِ ؛ وَرَيْسٌ هُوَ أَجَلُ مَا أَهْدَتْ شِيرَازُ إِلَى دِمَشْقَ مِنْ عَلِي طراز الفضل وعالمه .

فَلْيَاسِرْ مَا فُوضَ إِلَيْهِ بِعَزْمٍ لَا تُهْلُ مَضَارِبُهُ ، وَرَأْيٍ لَا تُأْفَلُ كَوَاكِبُهُ ، وَمَعْدِنٍ وَقَاٍ بِالْمُنْصِبِ لَا تَبْجَحُ لُجْنَةُ الْخِيَانَةِ مَهَالِكُهُ وَلُجْنَةُ الْحَسَنِ مَطَالِبُهُ ؛ نَاطِرًا فِي حُسْنِ وَطِيقَتِهَا بِاجْتِهَادٍ لَا يَمُتُّ مِنَ النَّظَرِ ، مُتَمَرِّدًا لِأَوْقَافِهَا بِفَضْنِ قَلْبِهِ الَّذِي لَا يَنْكُرُ لِأَصْلِهِ الصَّائِبِ أَطَابِ الثَّرَى ؛ مُلَاحِظًا لِمَا بَيْنَ هَذَا الْجَامِعِ بِسَعَادَتِهِ : وَإِنَّ السَّعَادَةَ لِلْحَظِّ الْحَجَرِ ، صَارِنًا لِدَوَى الْأَسْتَحْقَاقِ مُسْتَحَقَّهُمْ كَمَا عَهَدُوا مِنْ إِمَامٍ بِرَاعِيَةِ الْمُتَنْظَرِ ؛ مُجْتَبِدًا عَلَى أَنْ يَرْضَى الْوُطِيفَةَ وَالْقَوْمَ ، مُعِينًا عَدُوَّ أَنْامِلِهِ الْخَمْسَ عَلَى عَدِّهَا مِنْ فَرِيضَةِ اللَّيْلِ وَالْيَوْمِ ؛ حَالِمًا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ أَحْيَا هَذَا الدِّيَّانَ فَإِنَّهُ كَمَا عَلِمَ أَصْلُ فِي بَابِهِ ، أَسْرًا بِمَا يَقْتَرِحُ لِنِظَامِ هَذَا الدِّيَّانِ وَكُنَايِهِ ، مُتَقَدِّدًا حَالٍ مِنْ إِذَا عَمَّرَ دَوَاةً فِي وَقْفٍ كَانَتْ سَبَبًا لِعُمُرَانِهِ أَوْ سَبَبًا - وَالْمَيَازِ بِاللَّهِ تَعَالَى - لِنُحْرَاقِهِ ، مُطَالِبًا مَنْ ظَنَّ أَنَّ حِسَابَهُ يُحْمَلُ فِي ذَهَبٍ هَذِهِ الْمُبَاشَرَةَ «فَكَانَ حِسَابُ الذَّهَبِ غَيْرَ حِسَابِهِ» ؛ مُتَخَيِّرًا مِنَ الْكُفَاةِ كُلِّ مَا ثَوَّرَ الْفَضِيلَةَ ، وَمِنَ الْأَمْنَاءِ كُلِّ مَا ثَوَّرَ الرِّذِيلَةَ ، وَمِنَ الْقَوَامِ كُلِّ مَنْ لَا يَقْعُدُ عَنِ الْوَاجِبِ ، وَمِنَ الْوَقَادِينَ كُلِّ مَنْ لَا يَعْابُ بِطُولِ الْفَتِيلَةِ ، جَاعِلًا قَوِّيًا لِلَّهِ تَعَالَى فِي كُلِّ مَا يَأْتِي وَيَذُرُّ سَاقَتَهُ إِلَى الْقَوْزِ وَدَلِيلِهِ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يُثِمُّهُ بِالسَّنَادِ ، وَيَصِلُ مَفَازَهُ بِالسَّنَدِ وَيَحْرُسُ شَرَفَ بَيْتِهِ مِنَ السَّنَادِ ، وَيَحْمِلُ كُلَّ مَنْصِبٍ كَرِيمٍ بِاسْمِهِ وَقَلْبِهِ كَمَا قَالَ الْأَوَّلُ : «رَفِيعَ الْعِمَادِ طَوِيلَ النَّجَادِ» .



وهذه نسخة توقيع بنظر مدرسة الشيخ أبى عمر، من إنشاء ابن نباتة، كُتب به للقاضى «تقى الدين» بالخطب العالى، وهى :

الحمد لله الذى عمّر عهد التّقى بِنَقِيّه ، وأقوّر نظره بمشاهدة أبيض العريض نَقِيّه ، وأخصب منازل الأولياء بمن يتوب تَتِمِيرُهُ وتَدِيرُهُ عن الفَيْث مناب وليّه ، ومن إذا شَهِد مقام الزّهاد بمُعرفه شَهِد سَدَاد العزم بِسِرِّهِ .

نَحْمَدُهُ عَلَى جَلِّ اللُّطْفِ وَخَفِيّه ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة وإِنِى الْحَقُّ وَفِيّه ؛ ونشهد أن سيدنا محمدا عبده أَكْرَمَ بَعْدَهُ وَنَبِيّه ، وَرَسُولِهِ وَصَفِيّه ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ صَلَاةً يَمْزُجُ أَرْجُهَا كَأَفْوَرِ صَبَاحِ النَّهَارِ بِمِسْكٍ عَسِيّه .

وبعد ، فغير النظر ما كان به الثّواب مأمولا ، والعمل مقبولا ، والآخرة للنّاهض فيه خيرا من الأولى ، وَتَحْيِرُ الْأَكْفَاءِ لِمَنَاصِبِهِ الدِّينِيَةِ سَبِيًّا لَخَيْرِ الدَّارَيْنِ مَوْصُولا .

ولما كانت المدرسة الصالحية بجبل الصالحية المعروفة بالشيخ العارف أبى عمر: رضى الله عنه وأرضاه، وسقى سبيل النيت آثاره الطاهرة وترآه، مما يتعين فى مصالحها حُسنُ النظر، ويتبين فى القيام بأمرها فضلُ الآراء والفكر؛ إذ هى زاوية الخير النافعه، ومدرسة الذكر الجامعة، وعُشُّ القرآن المترنمة أطياره بحَقَقَانِ القلوب الخاشعة؛ وصُفَّةُ الفقراء الذين لا يسألون الناس إلحافا، والأصفياء من الطمع الذين لا يتقاضون الدهر إنصافا وإن صافى؛ ومُرْتَكِضُ سوابق الأعمال والآقوال، ومَقَرُّ

الْقُرَاءَ وَالْقِرَاءَةَ عَلَى مَرِّ اللَّيَالِي الطَّوَالِ، وَمَعْدِنُ التَّلَاوَةِ الْمَأْتُورِ غَنَائُهَا فِي ذَلِكَ الْجَبَلِ
وَمَا كُلُّ الْمَعَادِنِ وَلَا كُلُّ الْجِبَالِ؛ وَالْبَيْتَةُ لَهُ وَتَحْتَاجُ مَنْ يَنْظُرُ بُرُوقَ اللَّهِ فِي وَقْفِهَا،
وَيَحْفَظُ مَسَالِكَ جَمْعِهَا وَصَرَفِهَا، وَيَتِمَّى حَالِ دِرْهَمِهَا بِتَنْدِيرِهِ الْوَاقِي: فَرُبَّمَا اخْتَبَتِهَا
الْأَحْوَالُ مِنْهُ عَلَى نِصْفِهَا.

وَكَانَ فَلَانٌ مِمَّنْ لَحِظَ أُمُورَهَا عَلَى بُعْدِ فَشَخَفِ الْمُحُوطِ بِاللَّاحِظِ، وَحَفِظَهَا عَلَى
نَأْيِ فَكُلَّهَا رَوَتْ بِالْإِجَازَةِ عَنِ الْحَافِظِ، وَأَدَارَ عَلَيْهَا مِنْ رَشَقَاتِ قَلَمِهِ نَتَبَةُ السَّاقِ،
وَأَتْنَهَلَهَا شَرْبَةً مَضَى بِهَا مَا مَضَى مِنْ تَعَدُّ الْمَسَالِ: وَفِي الْجَرَائِدِ بَاقِي يَطْلُبُ الْبَاقِي؛
وَسَالَ أَهْلُهَا بَعْدَ ذَلِكَ مَلَازِمَتَهُ لِلنَّظَرِ فَلَزِمُوا، وَرَفَعُوا قِصَصَهُمْ فِي طَلَبِهِ لِهَذِهِ الْوُظُفَةِ
بِجَزْمٍ، وَكَيْفَ لَا؟ وَهُوَ نِعَمُ النَّاطِرِ وَالْإِنْسَانِ، وَفِي مَصَالِحِ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ ذُو الْيَدَيْنِ
وَاللِّسَانِ، وَذُو الْعِزَائِمِ الَّتِي تَقِيدُ فِي حُبِّهِ الرُّتْبُ: «وَمَنْ وَجَدَ الْإِحْسَانَ»، وَالْمُتَقَدِّمُ
فِعْلُهُ وَرَأْيُهُ فِي الْعَاجِلِ وَالْآجِلِ، وَالْمَاءُ وَنَبْوِي الَّذِي يُعْزَى إِلَى عَقِيلَةٍ نَسَبَةُ الرَّشِيدِ
وَلَا عَجَبَ أَنْ يُعْزَى الْمَأْمُونُ إِلَى مَرَاجِلَ، كَمْ جَرَتْ أَلْسِنَةُ الْأَوْقَافِ بِأَوْصَافِهِ، وَكَمْ
رَوَى الْجَامِعُ الصَّحِيحُ خَبَرًا عَنْ مُسْلِمٍ عَفَافِهِ، وَكَمْ جَدَّدَ لِبَنَاتِهِ زُخْرُفًا بَعْدَ مَا كَادَ تَادِبُ
الرُّسُومِ يَقِفُ عَلَى أَحْقَافِهِ؛ كَمْ وَقَرَّ عَلَى الْإِيْتَامِ مِيرَاتُ وَقْرِهَا، وَكَمْ قَالَ اخْتِبَارُ الْمُلُوكِ
الْبَاقِيَةَ: «لَأَشْكُرَنَّكَ مَا حَيَّيْتُ» فَقَالَ مَاضِي الْمُلُوكِ ذَوِي الْأَوْقَافِ: «وَلَتَشْكُرَنَّكَ
أَعْظَمِي فِي قَبْرِهَا» - فَاقْتَضَى الرَّأْيُ أَنْ يُجَابَ فِي طَلَبِهِ الْمُهَيِّمِ سُؤَالَ الْقَوْمِ، وَأَنْ يَتَّصَلَ
أَمْسُ الْإِقْبَالِ بِالْيَوْمِ؛ وَأَنْ تَبْلُغَ هَذِهِ الْوُظُفَةُ أَمَلَهَا فِيهِ بَعْدَ مَا مَضَتْ عَلَيْهَا مِنَ الدَّهْرِ
مَلَاوَةً، وَهَذِهِ الْمَدْرَسَةُ الَّتِي لَوْلَا تَدَارُكُهَا لَكَانَتْ كَمَا قَالَ الْخُرَازِمِيُّ: «مَدَارِسُ آيَاتِ
خَلَّتْ مِنْ تِلَاوَةٍ».

(١) يشير إلى المأمون بن هرون الرشيد العباسي وأمه مراحيل.

ولذلك رُسم بالأمر الشريف - لا زال يُراعى مصالح المؤمنين - أن يفوض إليه النظر على هذه المدرسة المعمورة، وأوقافها المبرورة؛ إجابة لسؤال من فيها من جماعة الفقهاء ورغبتهم فيه، وأرتقايتهم لعزمه الذي إذا نظر حالها الأول تلا فيه تلافيه؛ على أن يتبع في آخرها شرط الواقف برأي غير قاعد، وإن كان لا يزيد فيها على أربعمائة نفر إلا أن يزيد ربع الوقف وهو - إن شاء الله - بركته وهيبته زائد.

فليأشرف ما فوض إليه مباشرة من إذا بدأ أعاد، وإذا دعي لمثل هذا الحال الضعيف طب وعاد؛ ثمرا لما - على عادة غضن قلبه الأخضر - أتمارا، مستخلصا للبواقي من أربابها التي تنهب العين وتدعي لفتراتها أنكسارا؛ قائلا في حال هذه المدرسة بالمطف، مساويا في المؤاساة بين فقرائها عند الميزان والصرف، نازلا بنور بشره وودّه بينهم منازل القلب والطرف؛ مجهزا لجيش عسرتهم فلهم جمع للتلاوة والصلوات، متطلعا لخبرهم فلهم أجناد صفوف الأخطار وسلاحهم الدعوات؛ وتقوى الله تعالى مشتق منها أسمه فتكن شقيقة نفسه في الخلوات؛ والله تعالى يحفظ عليه حظا نفيسا، وقدرا للنجوم جليسا، ويحيي به ميت الوطن حتى يقال: أسليان أنت أم عيسى؟



وهذه نسخة توقيع بخطابة الجامع الأموي، من إنشاء ابن ثبابة، كُتِب به باستقرار القاضي تاج الدين «الجناب العالي» وهي:

الحمد لله الذي رفع للناس رأسا باستقرار تاجها، وجمع لصُدُور المحاريب شملا بعوائد آتياها، وزين مواقع النعم بالتكرار كما تزان لآلئ النظام بازديادها، وبين مطالع الفرج بعد النعم؛ وما الدهر إلا ليل غمة ثم صبح أنفراجها.

نحمدُه على معاد الآمال ومعَاجِها ، ونشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تَمُنِّي البصائر إلى الحقِّ بِسراجها ، ونشهدُ أنَّ محمداً عبده ورسوله القائم على المنابر لمداداة الفُهوم وعِلاجِها ، ومُداراة الخُصوم وِجَاجِها ، القائلُ له تَأْدِيبُ رَبِّهِ : ﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِالْفَقْدِ﴾ آيَةُ تَسْرِي الْقَطْنِ عَلَى مِنْهَاجِها ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ بِحُورِ النِّعَمِ وَالنِّعَمِ عَذْبِها وَأُجَاجِها ، وَبُدُورِ مَسَاجِدِ التَّقَى وَمَشَاهِدِ الْوَعَى عِنْدَ حِجَاجِ لَيْلِها وَلَيْلِ عَجَاجِها ، صلاة كَصَلَاتِهِمْ أَمَنَةً مِنْ خِدَاجِها ، مَا مَدَّتْ فَحَاجَتْ الرُّوضِ إِلَى غَاطِطَةِ سَيْرِهِمْ يَدَ احْتِجَاجِها ، وَمَا زَجَّتْ مَعَالِيهِمُ التُّجُومَ خُفْسَ بَكَاسِ الثَّرَيَّا شَرَفَ امْتِزَاجِها .

وبعدُ ، فَإِنَّ أَوَّلَى النَّاسِ بِاسْتِقْرَارِ مَنَاصِبِ الدِّينِ الْعَرِيفَةَ ، وَاسْتِقْرَارِ عُلُوقِ الدَّرَجَاتِ : إِمَامًا مِنَ الْمَرَاتِبِ مَجَازًا وَإِمَامًا مِنَ الْمَنَابِرِ حَقِيقَةً ، وَاسْتِطَارِ الْوُطَائِفِ بِعِيَادَةِ فَضْلِهِ وَلَا سِمْيًا أَعْوَادُ الْخَطَايَةِ ، وَاسْتِصْبَارِهَا بِلَفْظِهِ وَلَا سِمْيًا إِذَا سُلِّمَتِ الرَّايَةُ الْعَبَاسِيَّةُ مِنْ نَفْطِهِ لِعَرَابِهِ - مَنْ دَرَجَ مِنْ عَشِّ فُرُوعِهَا خَافِقًا عَلَيْهِ جَنَاحًا عَلَمِيَّةً ، وَصَبَحَ إِلَى عَرَشِهَا مُقْبِلَةً بِنَفَرَاتِ الْخُفُونِ الْمَسَامِيَةِ آثَارَ قَدَمِيَّةٍ ، وَأَعْرَقَ نَسَبُهُ فِي مَوْطِنِ مَكَانِهَا الْمَكِينِ ، وَبَلَغَ مَقَامَهُ مَقَامَ سَلَفِهِ أَرْبَعِينَ سَنَةً فِي الطُّلُوعِ بِأَفْقِهَا الْمُبِينِ ، وَقَالَ اسْتِحْقَاقُ مِيرَاثِهِ : ”وَمَاذَا تَدْرِي الْخُطْبَاءُ مِنِّي“ * ”وَقَدْ جَاوَزْتُ“ بِمَقَامِ السَّلَفِ ”حَدَّ الْأَرْبَعِينَ“ ، وَمَنْ إِذَا سُمِعَتْ خُطَابَتُهُ قَالَ الْخَفْلُ : لَا فُضَّ فُوهُ ، وَلَا عُدِمَ الْبَيْتُ وَلَا بُنُوهُ ، وَمَنْ إِذَا طَلَعَ دَرَجَ الْمِئْبَرِ قَالَ الْمُسْتَجِلُّونَ لِسَنَاهُ : أَهْلُ الْبَدْرِ؟ قِيلَ لَهُمْ : أَخُوهُ ، وَمَنْ إِذَا قَامَ قَرِيدًا عَدَّ بِأَلْفٍ مِنْ فَرَائِدِ الرِّجَالِ تُنْقِطُ ، وَإِذَا أَقْبَلَ فِي سَوَادِ طَلَسَانِهِ وَاحِدًا قِيلَ : جَاءَ السَّوَادُ الْأَعْظَمُ .

ولما كان فلانٌ هو معنى هذه الإشارة ، وتحوى هذه العبارة ، وصدر هذا التصدير : ومن سواه أحق بصفات الصدارة ؟ ، ومن إذا ضرب المثل بالخطابة النبائية في حلب قال لخطابته بدمشق : «إياك أغني فاسمعي بإجاره» ؛ ومن أنشأ في محل غفار طيب المعاهد ، ومن وضع رجله على المنابر ومدّ عزمه إلى الفراقد ، ومن شمر في أوائل عمره إلى العلياء وحيدا وخلف دوتها من أنداده ألف راقد ؛ ومن إذا صعد لخطابة أنشد الحفدة :

ولما رأيت الناس دون محلّ • تيقنت أن الدهر للناس ناقد

وكانت خطابة الجامع الأموي المعمور بذكر الله تعالى بدمشق المحروسة هو الذي كلّ بنانٍ إلى حسنه يُشير ، وكلّ ذى مدحٍ إذا عاين تصنيفَ وضعه قال هذا لفقهِ المحاسن هو الجامع الكبير ؛ ميزابه (؟) المسلم لرشده ، المُعلم بطرازي تسميه ورشده ، المقدم ليد نصرته سيف خطابة لا يخرجُ بيد الاستحقاق عن حده ؛ تكاد المناير تعود للنشأة الأولى طرباً لسجع بيانه ، يُسهب ويقول الناس لئنه لا يختصر ، ويؤدون لو ليس كل يوم سواد أهنيه وزيد فيه منهم سواد القلب والبصر ؛ وعارضه من العظاء الكفاءة من قوى بدلاً فأبى حُسو الدولة إلا عطفها ، ونأزله وأرد من القضاء ولكن أنزل الله عليه مع القضاء لطفًا .

ولذلك رُسم بالأمر الشريف أن يستقر على عادته في خطابة الجامع المذكور ، وما يتعلق بذلك : من تدريس وتصدير ، وتقرير وتقدير ، وتأثيل وتأثير ؛ ومحكم بالفويض إليه ومحكم ، ومرسوم لا يُغير عليه ما رُسم به وما رُسم ؛ وأن يُمتنع دليل

(١) الكلام هنا غير مستقيم ولعل الصواب «ولما كان فلان هو معنى الخ وكان الجامع الأموي هو الذي الخ تمين أنه المسلم ليد» .

الاعتراض ويُدفع، ويُكفَّ حتى تتصل العناية بهذا البيت الذي هو من بُيوتِ اِذْنِ الله أَنْ تُرْفَعَ؛ وحتى يَلمَّ أَنْ قوماً أَحْسَنُوا حُجَّةَ الدُّوَلِ فَسَعِدُوا، وَتَبَّهُوا عَهودَ الخِدْمَةِ لِأَعْقَابِهِمْ وَهَمِدُوا، وحتى يَقُولَ هذا النَجَلُ الظَّافِرُ بعد آياته وأخيه: لَيْتَ أَشْيَانِي بَيِّدَ شَهِدُوا .

فليُعدَّ حديثَ مَنْصِبِهِ القديم، وليُقمَّ إلى تَشْيِيفِ الإسماعِ من تَبَرُّقِ لَفِظِهِ بأهْيَ من العقْدِ النَظِيمِ، وليُفَكَّ أَسْرَى القُلُوبِ برواتبِ إشارَتِهِ: فَإِنَّهُ «الفاضل عبدُ الرَّحِيمِ»؛ وليُفَكِّ السُّيُونَ بَوْعِظِهِ وَإِنْ أَقْرَأَ بِمُشَاهَدَتِهِ، وليُحَرِّضْ عَلَى تَغْرِ الدُّوَلَةِ الشَّرِيفَةِ بِهِ كَمَا تَغْرِ سَيْفُ الدُّوَلَةِ بِأَبْنِ نُبَاتَتِهِ .

ووصايا هذه الرُّبُوعِ مُتَشَعِّبَةٌ وهو على كُلِّ حَالٍ أَذْرُبُ وَأَذْرِي هُهَا، وما أَسْتَقَرَّتْ عَلَى قَبْضِ سَيُوفِهَا يَدُهُ إِلَّا وَرَجَعَتِ الحُقُوقُ إِلَى نِصَابِهَا؛ وكذلك ما هو مُعَدُّوقٌ بِوِظَانِهِ: من مَدَارِسِ عُلُومٍ، وَمَجَالِسِ نَظَرٍ طَالِبًا نَظَرَ فِي كُتُبِهَا وَهُوَ الصَّحِيحُ نَظَرَةٌ فِي النُجُومِ - لَا يَتَجَانُحُ فِيهَا إِلَى مُطَالَعَةِ الوَصَايَا فَإِنَّهُ مِنْ كُلِّ أَوْبَائِهَا دَخَلَ، وَلَا يَمُرُّ بِهَا عَلَى أَذُنِهِ فَمُ الْمُبْلَغُ فَلَهَا مِنْ فَمِهِ أَحْلَى وَمِنْ تَسْوِيعِهِ فَمِهِ أَحَلَّ؛ وَلَكِنَّ الذِّكْرَ بِتَقْوَى اللهِ تَعَالَى فِيمَا يَأْتِي وَيَذَرُّ أَسَّ جَلِيلٍ، وَوَجْهَهُ تَفَاضُلٌ وَجُوهُ الْإِلْفَاظِ مِنْ ذِكْرِهِ عَلَى لَفِظِ جَمِيلٍ، وَالْفَاظُ الخَطِيبُ الْمُتَّقِي إِذَا وَصَلَتْ مِنَ الْقَلْبِ إِلَى الْقَلْبِ وَفَتْ بَرَى الْقَلِيلِ، وَاللهُ تَعَالَى يُمَدُّهُ بِالْفَاظَةِ، وَيُجَرِّبُهُ عَلَى عَوَائِدِ إِسْمَاعِهِ وَإِسْعَافِهِ، وَيُرْوِي بِصَوَابِ كَلِمَةِ الإِسْمَاعِ وَيَصُوبُ النِّهَامَ عُهُودَ أَسْلَافِهِ .



وهذه نسخةُ تَوْقِيعِ بَتَدْرِيسِ المَدْرَسَةِ المَسْرُورِيَةِ بِدِمَشْقَ، مِنْ إِنْشَاءِ الشَّيْخِ صَلاحِ الدِّينِ الصَّفَدِيِّ، كُتِبَ بِهِ لِلشَّيْخِ «تَقِيَّ الدِّينِ السُّبْكِيِّ» ب. «المقرَّ الكريم» وَهِيَ:

الحمد لله الذى جعل نبيّ الدين علياً، وأوجده قوداً فى هذا الملال فكان بكلّ علمٍ ملياً، وأظهر فضله الجليل فكان كالصباح جلياً .

نحمده على نعمه التى تكاثرت فأشجلت النائم، وتوفرت الأيسنة على حمده فتعلّمت أنجاعتها الحمايم، وتأثرت بمواقفها الأحوال فأنحلت زهر الخمايل فى الكايم . ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة لا شبهة تُعكر ما صفاً من جُلتها، ولا رية تُوعر ما تسهل من محجّتها، ولا ظلمة باطل تُكدر ما أثار من مجّتها . ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذى جمعت فيه مكارم الأخلاق، وفردت بمزايا منها أنه حبيب الخلق، وشارك الأنبياء فى معجزاتهم وزاد عليهم بما أُتيح له من خميس لم يعطه غيرهم على الإطلاق . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين تفقّهوا فى الدين، وحازوا الأجور لما جروا إلى جزّ الفلاصم من المؤمنين، وأنزلوا لما نازلوا أبطال الباطل والممتلين من المعتدين ؛ صلاة يفوح نسيم رياها المتأرجح، ويلوح ويسم عجاها المتضرّج ؛ ما فرّج العلماء مضايق الجدال فى الدروس، وقبّلت نفور الأفلام وجنات الطروس ؛ وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين .

وبعد ، فإن المدارس - عمّرها الله تعالى بالعلماء - لو أقيمت شروط، ولأهلها هم أنزل بالنجوم منوط ؛ يفوضون بحور البحوث فى طلب الآلى ، ويقطعون ظلال الظلام بالسهر فى حبّ المعالى ؛ سيما المدرسة المشروعية : فإن واقفها - أتابه الله تعالى - شرط فى المدرّس بها شروطاً قلّ من يُقلّها ، أو يتخلّى بعقودها أو يحلّها ؛ وكان مفريقها قد تحلّى بتأجّج تجوهر ، ومغلّقها قد ضمّ منه فاضلاً تمهّلت به قواعد المنهج لما تمهر ؛ فأعرض عنها ، ونقض يده منها ؛ رغبة فى الإقبال على شأنه ، وأخطأنا إلى مالك الأمر وديّانه ؛ تخلّا ربّها من أنسيه ، وكادت تكون طلالاً بعد درسه .

وكان فلان - أسبغ الله ظله - قد وافق بعض ما فيه شرط الواقف ، وشهد بنشر علومه البادية والمأكف ، وطاف بكمبة فوائده كل طائف ، ينصرف عنه باللطائف ؛ أما "التفسير" فإنه فيه آية ، وأما "الحديث" فإنه الرحلة في الرواية والدراية ؛ وأما "الأصول" فإنه زار به الرأزي « حتى أخفى » ، وأما "الفقه" فلو شاء أملى في كل مسألة منه مصنفًا ؛ وأما "الخلاص" فقد وقع الاتفاق على أنه شيخ المذاهب ، وأما "العربية" « الفارسي » يعترف له فيها بالغرائب ؛ إلى غير ذلك من العلوم التي هو لها حامل الرأي ، وله بالتدقيق فيها أتم عنايه ، وإذا كان أهل كل علم في المبادئ كان هو في الناية .

فلذلك رُسم بالأمر العالي - أعلاه الله تعالى - أن يفوض إليه كذا وكذا : وضما للشئ في عمله ، ومنما لتاريخ ولاية غيره أن يفجأ في غير مسئلته ؛ فالآن أمتى الواقف مسرورا على الحقيقة ، والآن جرى الخلاف فيها على أحسن طريقه ؛ وهو - أسبغ الله تعالى ظله - أجل خطرا من أن يذكر بشيء من الوصايا ، وأعظم قدرا من أن تدل المعية على نكبتها الخلقا ؛ لأنه بركة الإسلام ، وعلامة الأعلام ، وأوحد المتبشرين والسلام ؛ والله تعالى يمتع المسلمين ببقائه ، ويعلو درجات أرتقاياه ؛ وانحطت الكرم أعلاه الله تعالى أعلاه ، حجة في ثبوت العمل بمقتضاه ؛ إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة توقيع بتدريس المدرسة الناصرية الجوانية ، من إنشاء الصلاح الصقدي أيضا ، كُتب به للقاضي ناصر الدين « محمد بن يعقوب » كاتب السريومند بالشام ، حين عاد إلى تدريسه بعد انفصاله عنه ، بـ «المقر الكريم» وهي :

الحمد لله الذى بدأ النعم وأعادها ، وأفاء المنّ وأفادها ، وزان المناصب السنية
 بمن يليها وزادها ، وشاد عماد المعالي بأربابها وصانها عمّا دعى .

نحمده على نعمة التى بدأت بالمعروف وتمّت ، وخصّصت بالإحسان وتمّت ،
 وبرأت من النقائص وسأمت ، وولّت بالألطاف الخفية صواريح الحوادث وتلّمت .
 ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة قضى بها الحناديس ، وتزكو
 بأوائها منابت الإيمان والمغارس ، وتسمو بأقتنائها إلى عليين النفوس الثفائس ،
 ويرغم المؤمنون بإعلائها من الكفار المعاطس ، ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله
 الذى تمّ للناس مكارم الأخلاق ، وأشجّل بمجود كفه القياض صوب النيت الدفاق ،
 وقضح البدر اللّياح فى الدجى بنور جبينه البراق ، وتقدّم النبين والمرسلين فى حلّة
 الشرف على جواد فضله السباق ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أعلّ من نصّبوا
 للهدى أضلّاماً ، وأرقى من أصبح العلم لمضليهم الباهر رقماً ، وأحلّ من كان الزمان
 بوجودهم وجودهم للعفاة أضلّاماً ، وأقوى من كان الإيمان بهم إذا استنجد على
 الكفر أقراماً ؛ صلاة لا ينقذ لها أمد ، ولا يفتى لها مدد ، ما شبّ بارئ ومعد ،
 وشفى التأم طرّف زهير من الرمد ؛ وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين .

وبعد ، فإنّ مدارس العلم الشريف لها الذكر الخالد ، والشرف الطارف والتألّد ؛
 بها تتيّن قواريص الجلال فى مضائق الحدال ، وتجيّئ بدور الكلام فى مطالع الكمال ،
 وتبدو شمس الجمال فيما لها من فيض المجال ؛ والمدرسة الناصرية - أتاب الله تعالى
 وأفقهها - هى الواسطة فى عقودها ، والدرة الثمينة بلا كفء لها بين قيم تقودها ؛
 قد تدبّج فيها البناء ، وتأرجح عليها البناء ، وتخرج عنها الحسن فإنّ له بها مزيد
 اعتناء .

وكان المقر الفلاني قد نَقَضَ يَدَهُ مِنْ عَيْنَانِهَا ، وَرَفَضَ عَنْ اخْتِيَارِهَا جَنَانِهَا ؛ وَفِي طَلَبَتِهِ عَنْ مُخَاوَرَتِهَا ، وَرَمَى أَمْنِيَّتَهُ مِنْ مُجَاوَرَتِهَا ؛ فَسَاءَ مَنْ بَهَا مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ فِرَاقُهُ ، وَأَوْحَشَنَّهُمْ وَجْهَهُ الَّذِي أَخْجَلَ الْبُذُورَ رَوْقَهُ وَالْبَحْرَ أَنْدِفَاقَهُ ، وَقَفَدُوا مَكَارِمَهُ الَّتِي مَأْسَمَعُ «السَّمْعَانِي» بِمَثَلِهَا وَلَا وَصَلَتْ إِلَى «الصُّوَلِيِّ» وَلَا صَحَّتْهَا أَوْ رَافَتُهُ .

فلذلك رُسم بالأمر العالي أن يُعاد إلى تَدْرِيسِهَا : لِأَنَّ الْعَوْدَ أَمْدَحُ وَأَخْشَدُ ، وَالرُّجُوعَ إِلَى الْحَقِّ أَسْعَفُ وَأَسْعَدُ .

فَلْيَأْشِرْ مَا فَوَّضَ إِلَيْهِ مَبَاشَرَةً أَلْفَتْ مِنْ كِلَالِ أَدَوَاتِهِ ، وَعُرِفَتْ مِنْ جَمَالِ ذَاتِهِ ؛ تَأْشِيرًا أَعْلَامَ عُلُومِهِ الْمُتَنَوِّعَةِ ، وَفَضَائِلِهِ الَّتِي تَقْصُرُ عَنِ الشَّاءِ عَلَيْهَا أَنْفَاسُ الرِّيَاضِ الْمُتَنَوِّعَةِ ؛ فَلَوْ عَاصَرَهُ «أَبْنُ عَطِيَّة» أَمْسَكَ عَنْهُ فِي تَقْصِيرِهِ ، أَوْ «صَاحِبُ الْكَشَافِ» لَنَطَقَ رَأْسُهُ مِنْ تَقْصِيرِهِ ؛ أَوْ «الزَّافِي» لَأَضْبَحَتْ رَايَةُ رَأْيِهِ فِي الْفِقْهِ خَافِضَةً رَافِعَهُ ، أَوْ «النَّوَوِي» رَحِمَهُ اللَّهُ لَأَسْتَعَارَ مِنْهُ زَهْرَاتِ رَوْضَتِهِ الْيَافِعَةِ ؛ أَوْ «الْأَمْدِي» لَمَا أَمْتَدَّتْ لَهُ مَعَهُ فِي أَصُولِهِ خُطْوَهُ ، أَوْ «أَبْنُ الْحَاجِبِ» لَمَا كَانَ لَهُ مَعَ أَبْنِ الْحَاجِبِ خُطْوَهُ ؛ أَوْ «أَبْنُ يَعِيَشَ» لَمَا ذِكُرَهُ فِي التَّحْوِيلِ فَكَانَ قَفِيدًا ، أَوْ «أَبْنُ مَالِكٍ» لَأَمْسَى «تَسْبِيلُهُ» قَفِيدًا ؛ أَوْ «الشَّيْبَانِي» لَعَلَّمَ أَنَّهُ مَا شَبَّ لَهُ فِي التَّصْرِيفِ مِثْلُ شَيْلِهِ ، أَوْ «أَبْنُ عَرَبِيٍّ» لَأَعْرَبَ عَنْ عَجْمَةٍ وَمَا تَمَسَّكَ صُوفِيٌّ بِجَبَلِهِ ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ إِنْشَاءٍ لِإِنْشَاءٍ سَادَ فِيهِ الْعَبْدَيْنِ : «عَبْدُ الْحَمِيدِ» وَ«عَبْدُ الرَّحِيمِ» ، وَظَلِمَ كُلًّا نَظْمًا إِلَى رَشْفِهِ طَافَتْ عَلَيْنَا قَوَافِيهِ بِكَائِسٍ مِرْاجُهَا مِنْ تَسْنِيمٍ ، وَعَلَى الْجُمْلَةِ فَتَفْصِيلُ مَعَارِفِهِ يَضِيقُ عَنْ قَضَا فِضَاءِ هَذَا التَّوْقِعِ الْبَكْرِمِ ، وَسَرْدُ حَاسِنِهِ لَا تَتَسَّعُ لَهُ حَوَاشِيهِ ، هَذَا الْبُرْدُ الرَّقِيمُ ؛ وَلَكِنْ أَشَارْتُ أُمْلَةً الْقَلَمِ مِنْهَا إِلَى بُدْنِهِ ، وَعَلِمْنَا أَنَّ الْقُلُوبَ تَسْتَأْتِي إِلَى أَوْصَافِهِ فَلَقَدْ تَنَا لَهَا مِنْ ذَلِكَ فَلِذِهِ .

وأما الوصايا فيستلّه لا يذكّر بنّي منها ، ولا يقال له : دَع هذه الودعة وهذه الدرّة صُنّها ؛ لأنّ الأمر والنهى له في ذلك ، وإذا أطلع بدور وصيّة ضوّا أحوال الديار إلى الحوَالِك ؛ ولكن تقوى الله عزّ وجلّ ذكّرها في كلّ توقيع طرازه المعلم ، ونكسته التي طودها لا يثُل وحدها لا يُثلم ، فليكنّ مُستصحب حالم الحالى ، مُستصعب فراقها الذى يهونه البالّ البالى ؛ والله تعالى لا يُجلى ربوع العلم من أنسه ، ويجعلُ سعته في غَد زائدا كما زاد في يومه على أنسه ، وانلخظ الكريم أعلاه ، حجة في ثبوت العمل بمقتضاه .



وهذه نسخة توقيع بتدريس المدرسة النورية ، من إنشاء الشيخ جمال الدين ابن نباتة ، كُتب به لقاضى القضاة «نجم الدين الحنفى» بترول والده عنها بـ«الجناب الكريم» وهى :

الحمد لله الذى أتمى أهلة العلم فأبدرت ، وفروعه فأمّرت ، ونجومه فاستقلت مطالعها النورية وتوّرت ، وآلائه في بحار اللفظ والفضل فتجوّهرت ، وأنهاره التى أخذت في المدّ ماخذ تلك البحار فاسترحبت وأستبحرت .

نحمده على نعمه التى قرّت وقرت ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة إذا حصلها اليقين وفرت ، وإذا تصلها الإخلاص مَصّت في أوداج الباطل وفرت ؛ ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الحاكِم في فصل الأفضية لمّا شجّرت ، والتأخيم دُرر الإيمان حتى زهت في أعناق العقائد وزهرت ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه فتّة الحق التى ظهرت وطهرت ، وعصابة الإسلام التى سرّت خلقها

(١) مستار من نصل السيف والرمح والمهم ركب فيه التصال وهو حديد .

سرايا الذين نهجرت في الله ونصرت، صلاة طيبة تحلو إذا تكررت، ونجبة باقية تُشرق شمسها إذا الشمس كورت، وتبقى نقعاتُ نثرها إذا الصحفُ نُشرت .

أما بعد، فإن منازل العلم من خير ما أتى الآباء للأعقاب، وأجلى ما ذُكر لنجاء الأبناء على مدى الأحقاب، وأعدل ما شهد لسان حاله المتمثل أن ذكر العقاب لابن العقاب ؛ وكانت المدرسة النورية الكبرى يمشق المحروسة هي الواسطة والمدارس دُرر، والصبح وأوطان العلم غرر؛ ومترلة الحكم الأمتع، ويث القضاء الذي أذن الله لقديره أن يرفع، ومكان ذى اليد الماضى سيف حكه إذا قرعت العصا لذي الإصبع؛ وذات العباد التي أدخرها لتجلىه، وأعدّ قضاها في العباد والبلاد لفضله، وكان ذلك قد نزل لولده فلان عن الحكم على هذا الحكم، ونطق بمزية الاستحقاق وقلوبُ بعض الأعداء صم بكم ؛ ورغب - أجله الله - فيما يرغب فيه من الانقطاع ذوالسن العالى، والقدر العالى، وأنظم تقليده الشريف فكان أجود حلية على أحسن جيد حالي ؛ ثم التوقيع بتدريس هذه المدرسة التي زكت في أهل الفضل شهيداً، ونظيرها الذى خلف في حكمه ولّى عهد من أبه: فله أمين هذه الخلافة ورشيدها .

ولذلك رُسم بالأمر الشريف أن يفوض إلى فلان تدريس المدرسة النورية ونظيرها : لاستحقاقه لها بشقعة متصب الحكم العزيز، وممثل الفضل الحرير، ووجيز التزول المكتتب، وقبول هبة والده الذى يعتاد أن يهب الجليل لمن يهب ؛ وتثريفه بإنعامها النفيس، وإجلال به على مرتبة حكم وبساط نظير وسجادة تدريس ؛ وعلماً بأن نجم ذلك النير أولى بهذه المنازل، وشبل ذلك الأسد أحق

(١) لعله «كان ذلك الامام الموصوف» أى والله نجم الدين .

(٢) نص أهل اللغة على أن السن بمعنى العمر مؤنث .

بهذا الغائب المائل؛ وأنه كوكب هذا المذهب المنير، وإمام جامعته المعروفين : كبير وصغير؛ وصاحب شبيبة العزم المقتبل، والرأي الموفى على قياس الأمل؛ وتجنيس الجود والإجادة، وتكيل بحري العلم والبر واجتهاد الزيادة؛ وأنه من آناه الله رفعة في القدر والأسم، وزاده بسطة في العلم والجسم؛ وأحكم بيته علمه فما تستوفى الاسماع رويته، وأعلاه وعظمه فما هو النجم الذي تستصغر الأبصار رؤيته .

فليأشر تدريس هذه المدرسة ونظرها بعزمه الباهر وصفا، التالي لسان الحد :
 ((وإبراهيم الذي وفي))؛ جاريا على أعراق نسبه المشهور، فائض اللفظ والفضل فإنه بحر من البحور؛ مظهر من مباحثه التي تقلد القول بأبيه مما تقلد البحور، مهديا من رأيه ومن بركة الواقف - رضى الله عنه - بؤر على نور، والله تعالى بزين بجمه أفق السيادة، ويزيد فيما وهبه من الفضل إن كان التمام يقبل زياده .



توقيع بتدريس المدرسة الريمانية الحنفية، من إنشاء ابن نباتة، كُتب به للفاضل «عماد الدين الحنفى» به الجواب الكريم وهو :

الحمد لله الذى جعل مدارس العلم بذات عمارها، وصاحب نقلاها واجتهادها؛ ومُنشِر عهدها ومُنشئ عمارها، وواصل مناسبتها التى لو أداها دونه زيد لكانت دعوى زيادها، ومُفَصِّح فتاويها على منير قلم أهدر عوده ونفح وأطرب : فتأهيك بسلامة أعوادها ! .

نحمده على نعمة التى قضى الحمد بأزديادها، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تليها النفس لمعادها، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله هادى الأمة

إلى سبيل رشادها ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه يحار العلم وأطوارها ، ما قامت
الطروس والسطور لميون الألفاظ مقام بياضها وسوادها .

أما بعد ، فإن لمذاهب العلم رجالاً يوحون طرقها ، ويمدون في المباحث طلقها ،
ويعمرون مدارسها : فيالها من ذات دروس يكون الثمران معتقها ومعتقها ! .

ولما كانت المدرسة الریحانية بدمشق في أيدي العلماء تحبة ریحانية ، وشقيقة
نفس نعيانية ، مأهولة المنازه والمنازل بكل ذي فضل جلي ، وعلم ملي ؛ ووصف
كريم ، ونفس نفيس يتلقاه منها روح وریحان وجنة نعيم ؛ وخلت الآن من إمام
كرمتم خلالها ، وعظمت خصاله ، ومضى وتمضى وما يبقى إلا الله جل عن الحوادث
جلاله - فتعين أن نختار لتدريس مكانها من يفتخر به المكان والزمان ، وينشيد
زيادة علمه لصاحب مذهبها أضعاف ما شاده زياد للنعمان ؛ من شيد الشريعة
الشريفة مقالها ومقامه ، وعلا عماره إلى عقود الشهب فنه مراده ومرامه ، من
لو عاصره « ابن الحسين » لحسن أن يعترف بقدره الجليل ، وقال عند محاضرة بجمته
كما قال « أبو يوسف » : فصبر جميل ؛ وأستزاد « شمس الشريعة » فكيف « السراج »
من لمع البريقه ، وقال « ابن الساعاتي » : ما رأيت أرفع من هذا القدر درجة
ولا أبدع من هذا النهن دقيقه . .

ولذلك رسم بالأمر الشريف - لازال عالياً بأمره كل عمار ، زاهياً بمحمد ملكه
كل ناطق وجماد ، أن يفوض لفلان لأنه المعنى بما تقدم من الأوصاف
الحلوة إذا تكررت ، والمقصود بالفاظها إذا تنونت الألفهام وتيسرت ، والمعودة فرائد
مباحثه المفترقة بـ « إذا الكواكب أنتثر وإذا البحار جحرت » ؛ وإمام المنهب
الحنفى والحكم الأحنفى ، وحصاة القلب التي تنسف بإشارتها جبال « السنى » ،
ولسان النظر الذى أشرف على بعده فأخفى في قرينه المشرقى ؛ وصاحب الثنون وما

وَسَقَتْ، وَأَفَانِ الْحُكْمَ وَالْحِكْمَ وَمَا بَسَقَتْ، وَنُعُوتِ الْفَضْلِ وَالْفَضَائِلِ وَمَا عَطَفَتْ
من البيان وَنَسَقَتْ .

فَلْيَتَوَلَّ تَدْرِيسَ هَذِهِ الْمَدْرَسَةِ الْمَعْمُورَةِ مُؤَيِّدَ الْوَلَايَةِ، مُجَدِّدَ الْبَدَايَةِ لِحَبِيبِيهَا
وَالنَّهَايَةِ، سَاجِدًا قَلَمُ الْفَتَاوَى وَالْفُتُوَى كُلِّهَا تَلَا كُرْمَهُ وَكَلِمَهُ آيَةً بَعْدَ آيَةٍ، مُنْفَعًا مِنْ
أَلْفَاظِهِ حَتَّى يَسْتَفْنِيَ عَنْ «الكَثَرِ» وَصَاحِبِهِ، وَيَرُدُّ قَرَعَ الْمَقَالِ عَلَى الْأَصْلِ وَطَالِبِهِ،
وَيُعْرِضُ عَنْ أَعَارِضِ «الْبَسِيطِ»، وَيُفَرِّقُ فِي أَفْكَارِ وَارِدِهِ «الْمُحِيطَ». وَيَمْدُ سِمَاطِ
الْعِلْمِ الَّذِي وَفَى بَعْدَ «الْقُدُورِيِّ» وَمَا خَانَ، وَتَفْخَرُ بِقَاضِيهَا أَعْظَمُ مَدِينَةٍ فَا يَضُرُّهَا
فَقْدُ «قَاضِي خَانَ»، وَتُنْذِرُ الْمَقْدَمِيَّةُ مِنْ طَلَبَتِهِ فَوَائِدَ الْحَلَقَةِ، وَيَنْتَقِلُ الْجَنَابُ
الْكَرِيمُ مِنْ قَدِيمَتِهَا إِلَى مَا هُوَ أَوْفَى فِي الْفَرَضِ وَأَوْفَرُ فِي النَّفَقَةِ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَزِيدُ رُتَبَ
الْعِلْمِ بِهِ سُرُورًا، وَيَجْعَلُ لَهُ بَاسْتِظْلَاعَهَا كِتَابَ حُكْمٍ وَحَكِيمٍ يَلْقَاهُ مَفْشُورًا .



وهذه نسخة توقيح بتصدير بالجامع الأموي، كُتِبَ بِهِ لِقَاضِي الْقَضَا «عَلِمَ الدِّينِ
أَبْنُ الْفَقْصَى» قَاضِي قَضَاةِ دِمَشْقَ بـ «الْمَقَرَّ الشَّرِيفِ» وَهُوَ مِنْ تَأْلِيفِ كُتَّابِ
الزَّمَانِ . عَلَى أَنَّهَا بِالْمَدْرَسِ أَلْبَقِيَ مِنْهَا بِالْمَصْدَرِ، وَهُوَ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَعْلَى عِلْمُ أَيْمَةِ الدِّينِ إِلَى أَعْلَى الْغُرَفِ، وَمِيزُهُم بِالْعِلْمِ الشَّرِيفِ الَّذِي
يَسْمُو شَرْفُهُ عَلَى كُلِّ شَرَفٍ، وَأَوْصَحَ بِهِمْ مَنَهِجَ الْحَقِّ الْقَوِيمِ نَعْلًا بِإِرْشَادِهِمْ سَبِيلُ
الْهُدَى وَأُنْكَشَفَ .

نَحْمَدُهُ عَلَى مَا أَفَاضَ مِنْ نِعَمِهِ الْمَتَوَاتِرَةِ كُلِّ حِينٍ، وَنُشْكِرُهُ عَلَى إِحْيَاءِ مَعَاهِدِ
الْمَعَايِدِ بَيْنَ حَدَا حَلَوِ الْأَوْلِيَاءِ الْمُتَّقِينَ، حَمْدًا يُظْهِرُ الْآيَاتِ الْحَمْدِيَّةِ وَالْبَرَاهِينَ،
وَيَسْطِ ظِلُّ مَنْ هُوَ عَنِ الْحَقِّ لَا يَمِينُ . وَنُشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ

رَبِّ الْعَالَمِينَ ، الَّذِي عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ وَهُوَ الْعَالِمُ بِمَا تُخْفِي الصُّدُورُ وَيَعْلَمُ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي أَوْتِيَ عِلْمَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ، وَكَانَ مِنْ دَعَائِهِ لَشَيْئَةٍ : « اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ » . صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَوَجَّهَ الَّذِينَ عَمِلُوا بِمَا عَلَّمُوا فَكَانُوا أُمَّةً مُسْلِمِينَ ، وَالْعَمَدَةُ عَلَى أَقْوَالِهِمُ الَّتِي قَالُوهَا عَنْ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ ، عَلَى تَوَالِي الْأَيَّامِ وَالْجَمْعِ وَالْأَشْهُرِ وَالسِّنِينَ ؛ وَمَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

أَمَّا بَعْدُ ، فَلَمَّا كَانَتْ أَعْلَامُ الْعُلَمَاءِ فِي الْآفَاقِ مَنَشُورَةً ، وَرُبُوعُ الْفَوَائِدِ بِطَرِيقَتِهِمُ الْمُثَلَّى مَعْمُورَةً ، وَصُدُورُ الْمَعَايِدِ الشَّرِيفَةِ حَاجَةً إِلَى صِلَتِهَا بِكُفَّهَا الْفَرْدِ مَسْرُورَةً ؛ وَكَانَ فَلَانٌ - أَسْبَغَ اللَّهُ تَعَالَى ظِلَالَهُ ، وَضَاعَفَ جَلَالَهُ - هُوَ الَّذِي مَلَأَتْ مُبَاشَرَتُهُ السُّيُوفَ وَالْأَسْمَاعَ ، وَأَصْقَدَتْ عَلَى تَفَرُّدِهِ فِي عَصَرِهِ كَلِمَةَ الْإِجْمَاعِ ، وَاشْتَهَرَ ذِكْرُهُ الْجَبِلَ بِأَنْوَاعِ الْمَكْرَمَاتِ وَأَطَاعَهُ مِنْ مُشْكَلِ الْمَذْهَبِ مَا هُوَ عَلَى غَيْرِهِ شَدِيدُ الْاِئْتِنَاعِ ؛ وَأَحْصَتْ فُضَائِلُهُ « الْمَدَوْنَةَ » وَلَفَعَهُ الْجَلَّابُ ، وَكَتَبَهُ « الْمَوْطَأَ » لِلطَّلَبَةِ يُنَبِّهُهُمْ عَنْ مَعَاهِدِ « عَبْدِ الْوَهَّابِ » ؛ وَعَزِمَتَهُ لَا يُلْحَقُ غُبَارُهَا فِي الْمَعَارِكِ ، وَلَا يَظُنُّ خُدَامُ الْعِلْمِ الشَّرِيعَةِ وَالْأَدَبِيَّةِ إِلَّا أُمَّ مَالِكٍ وَأَبْنَ مَالِكٍ .

فَلَذَلِكَ رُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لِأَزَالِ يَجْمَعُ لَمَنْ بَرَعَ فِي الْعُلُومِ مِنْ أُلُوَانِ الْمَنَاصِبِ الْمُخْتَلَفَةِ ، وَيَقِفُ قَدْرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ قُلُوبُهُمْ عَلَى التَّقْوَى مُؤْتَلِفَةٌ - أَنْ يَسْتَقِرَّ الْمَشَارُ إِلَىهِ فِي وَظَيفَةِ التَّصْدِيرِ بِالْجَامِعِ الْأُمَوِيِّ بِدِمَشْقِ الْمَحْرُوسَةِ - عَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِذِكْرِهِ - عَوَضًا عَنْ فَلَانٍ بِحُكْمِ تَزْوِلِهِ عَنْهُ بَرَضَاهُ ، حَمَلًا عَلَى مَا بِيَدِهِ مِنَ التَّزْوِيلِ الشَّرْعِيِّ ، بِالْمَعْلُومِ الَّذِي يَشْهَدُ بِهِ دِيْوَانُ الْوَقْفِ الْمَبْرُورِ ، عَلَى أَجْمَلِ عَادِهِ ، وَصَرَفَهُ إِلَيْهِ مَهْنَةً مَيَّسَرًا أَسْوَةً أَمَثَالَهُ .

فَلْيُبَاشِرْ هَذِهِ الْوِظَافَةَ عَلَى عَادَةِ مُبَاشَرَاتِهِ الَّتِي حُقِّقَتْ بِالْمَعْلُومِ ، وَأَتَقَنَرَتْ بِحُسْنِ الْمُنْطَوِقِ الدَّلَالِ عَلَى الْمَعْنَى الْمَفْهُومِ ؛ وَيُنَدِّ مَوَائِدَ عِلْمِهِ الْمُحْتَوِيَةِ عَلَى أَنْوَاعِ الْفَضَائِلِ ،

وَلْيَبَيِّنْ مَا يَتَخَيَّلُ عَلَى الطَّلَبَةِ بِأَوْضَحِ الدَّلَالِ ، وَلْيُؤَدِّ الْفَوَائِدَ الْوَاصِلَةَ إِلَى الْأَذْهَانِ عَلَى أَحْسَنِ أَسْلُوبٍ ، وَلْيَقَرِّرِ الْأُصُولَ الَّتِي آمَنَتْ قُرُوعُهَا بِقَوَاعِدِ السُّنَنِ الْمَحْمَدِيَّةِ وَفِي ثَمَرِهَا الْجَنَى تَقْوِيَةَ الْقُلُوبِ ، وَلْيُكْرِمْ مِنْهُمْ مَنْ يَضَعُ فَضْلَهُ لَدَيْهِ وَيَبِينُ ، وَلْيَنْسُطْ هَمَمَهُمْ بِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ» . وَلْيُوضِّحْ طَرِيقَ إِرْشَادِهِ لِيُسَهِّلَ سُلُوكَهَا عَلَيْهِمْ ، وَلْيَجْعَلْ وَقُودَ فَوَائِدِهِ فِي كُلِّ وَقْتٍ وَاصِلَةً إِلَيْهِمْ ، وَلْيَتَّبِعْ «إِمَامَ دَارِ الْهِجْرَةِ» فِي مَنَهِبِهِ الْمَذْهَبِ ، وَلْيَخُذْ مِنْ صِفَاتِهِ الْجَمِيلَةِ مَا يَذْهَبُ الزَّمَانُ وَلَا يَذْهَبُ ، وَلْيُسَمِّحْ لِلْفَقَهَاءِ بِوَاصِلَةِ فَضْلِهِ الْأَعْمِ ، فَإِنَّهُ أَنْ يَهْدِيَ بِهِ وَاحِدٌ خَيْرٌ مِنْ خُمُرِ النَّعَمِ .

وَالْوَصَايَا كَثِيرَةٌ وَمِنْهُ يُطَلَّبُ بَيَانُهَا ، وَبِهِ تَقْوَى أَسْبَابُهَا وَيَسْلُو بُيَانُهَا ، وَلَكِنْ الذِّكْرُ تَفْعُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَيُظْهِرُ [بِهَا] سِرَّ خَيْرِهِمْ وَيَسْتَبِينُ ، وَتَهْوَى إِلَهُ تَعَالَى هِيَ الْعُرْوَةُ الْوُثْقَى ، وَالنَّخْلَةُ الَّتِي بِهَا يَعْظُمُ كُلُّ وَاحِدٍ وَيَرْقَى ، فَلْيُؤَاطَبْ عَلَيْهَا ، وَلْيَصْرِفْ وَجْهَ الْعَايَةِ إِلَيْهَا ، وَاللَّهُ تَعَالَى الْمَسْئُولُ أَنْ يَجْعَلَ عِلْمَ عَلَيْهِ دَائِمًا فِي الْآفَاقِ مَنُشُورًا ، وَذِكْرُهُ الطَّيِّبَ عَلَى أَلْسِنَةِ اخِلَاقٍ كُلِّ أَوَانٍ مَذْكُورًا .

المرتبة الثانية

(من توافيق أرباب الوظائف الدينية بمحاضرة دمشق -

ما يفتتح بـ «أما بعد حمد الله» وفيها عدّة وظائف)

وهذه نسخ توافيق من ذلك .

توقيع بقضاء العسكر بدمشق ، كتب به للقاضي شمس الدين «محمد الإخواني»

الشافعي ، بـ «الجناب العالي» وهو :

أما بعد حمد الله تعالى مضاعف النعمة، ومُرَادِف رُبِّ الإحسان لمن أخلص في الخلد، ومُجَدِّد مَنَازِل السَّعْدِ لمن أطلعت كواكب أهتمامه في آفاق الأمور المهمة؛ والصلوة والسلام الأتمين الأتكين على سيدنا محمد وآله الذي بشر بنصر هذه الأمة، ووعد بأن سيكشف به غمام كل غم، وأنه يتجاوز عن أهلها بشفاعته وكيف لا؟ وقد أرسل للعالمين رحمته، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة تجزل لقائلها نصيبه من الأجر وتوفر قسمه - فإنَّ أحقَّ الأولياء من تأكدت له أسباب السعادة، وكافأناه بالحسنى وزيادته، وبلغناه من إقبالنا غاية مآربه ومطالبه؛ وعرفت منه العلوم التي لا يسك فيها، والنبأه التي لا يقدر أحد من أقرانه يوقها؛ والخبرة الوافية الوافرة، والديانة الباطنة والظاهرة؛ وسار معلومه المثل، وسلك مسلك الأولياء في العلم والعمل؛ وأعتبر أحواله التي توجب التقديم، وأختبر فعاله التي ضاعفت له مزيد التكريم .

وكان فلان - أدام الله تعالى نعمته - هو الذي أنقذ العلوم بحثاً وتهنياً، وبرهن عن المسائل الشرعية بأفهام تريدها إلى الطالبين تقريباً، وأوضح عيوض مشكلاتها، وصحح من ألسن العرب لغاتها .

فلذلك رسم بالأمر العالي - لا زالت تتمسه بالناية مثبته، وأنواء فضائل أوليائه مُقدِّقه - أن يستقر فلان في وظيفة قضاء العساكر المنصورة الشامية : حملاً على ما بيده من التزول الشرعي، على عادة من تقلَّص في ذلك وقاعدته، ومعلومه الذي يشهد به الديوان المعمور إلى آخر وقت . فهو الحاكم الذي لم يزل للعساكر المنصورة نعم الصاحب، والمورد على سمعهم من الأحكام الشرعية ما يقتضيه به الحاضر والغائب؛ والقائم بأعباء العساكر المنصورة، والحافظ لنظام الملك الشريف على أحسن صورة .

فليأشِرْ هذه الوظيفة المباركة وليحلّ في قضاء العساكر المنصورة بطلّته السّنية ،
وليفصل بينهم في الأسفار كلّ قضيه ، وليرفّعهم طُرُق القواعد الشرعيّه ؛ وليحتزّز
في كلّ ما يأتيه ويذرّه ، ويقصده ويحتذره ، ويورده ويصدّره .

والوصايا كثيرةٌ ومنه تُستفاد ، وإليه يرجع أمرها ويُعاد ، ولكن لا بُدَّ للقلم
من المرحّ في ميدان التّدكار ، والتّنبيه على منهاج التقوى التي هي أجلُّ شعار ،
والله تعالى يمنّهُ من إحساننا جزيل العطاء والإيثار ، ويُسمِعهُ من أنباء كرمنا كلّ
آونة أطيب الأخبار ؛ بمَنّه وكرمه ! .



تَوْفِيقٌ بَنَظَرُ جامع يلينا اليحايوى ، كُتِبَ به للامير جمال الدين «يوسف شاه»
العُمريّ الظاهريّ بـ «الجناب الكريم» وهو :

أما بعد حمد الله الذي أظهر جمال الأتقياء في كلّ مشهَدٍ وجامع ، وقَدّمه بما أوّلاه
على كلّ ساجدٍ وراكع ، وخصّه من فضله بما قصّرت عنه الآمالُ والمطامع ؛
والصلاة والسلام الأتمين الأكلين على سيدنا محمد عبده ورسوله مؤلي الخير الواسع ،
والإحسان المتنايع ، ومن أحيّا جودَ جوده النفوسَ وسرّ القلوبَ وأطربَ ذِكْرُ
عظاته المسامح ؛ وعلى آله وصحبه النجوم الطوالع ، والذين أودعهم العلم الذي آتاه
لإقامة دينه من لا ينجبُ لَدَيْهِ الودائع ؛ والتّشريف و [الإكرام] ، والتّجسّيل
والإعظام - فإنّ أوّل من رعيّنا له حقّ الخِدم ، ووقوفه في الطاعة الشريفة على
أثبّ قدم ؛ مَنْ قام بما لم يقم به غيره ، وحسنت سيرته وسيره .

وكان فلانٌ أدام الله تعالى نعمته ، وحرس من الغيرِ مُهجته ؛ مَن جمل المالِكَ
ودبرها ، وضبط أموال الأوقاف وحرّرها ؛ وأزفّع على الرؤوس ، وحصل أموال

الأوقاف التي فطر تحصيلها أيجاد الخيرية وسر من مستحقها النفوس - تين أن ترف له مقداره الذي لا يحصى، وتوفيه بمص حقه فإنه الذي بالإحسان قد أوفى .

فذلك رسم بالأمير الشريف - لا زال يقبل على فضل وليه ، ويضاعف له البر المستمطر من غير جوده ووليه - أن يستقر فلان في كذا ، على عادة من تقدمه في ذلك ومستقر قاعدته ، بالمعلوم الشاهد به ديوان الوقف المبرور إلى آخر وقت .

فليأشر هذه الأوقاف ، وليسلك فيها طرق العدل والإنصاف ، وليتبع شرط واقفها - رحمه الله تعالى - اجمع على صحته من غير خلاف ، وليحي ما تسمت وتغرب في الجامع المشار إليه وأوقافه بعين بصيرته ، وليقم بالمعروف من معرفته ؛ وهو اعزه الله تعالى أولى من باشره ، وعمر دائره ، وأخرى من تحرى مباره ومآثره ؛ وميز أوقافه ، وتدارك بتلافيه تلافه . وهو غني عن شرح الوصايا فإنها من آدابه تُعرف ، ومن بحر أدواته تُعرف ؛ وملاكها تقوى الله تعالى الرؤف ، فليكن على مستحق هذا الوقف عطوف ؛ والله تعالى يُزِلْ له أجرا ، ويعمل له ما يفعله من الخير دُورا .



توقيع بنظر تربة أرغون شاه ، كُتب به « لعجا السيفي بوطا ، به الجناح العالي »

وهو :

أما بعد حمد الله الذي بلغ الأولياء من مبراته الأمل والإرادة ، والنق مآلبد الأمور إلى من استحق بحسن مباشرته الزيادة ؛ والصلاة والسلام الأتمين الأكلين على سيدنا محمد عبده ورسوله صاحب إواء الحمد والتصر ، ومن جاءت آيات تفضيله كفلق الصبيح وجملت محاسنه كل عصر ؛ وعلى آله وصحبه الذين نصره فنصرهم

الله ، ومحبوه بأنفسهم عن البأس ولم يتجربوه عن الناس لخفيض جناحه لمولاه ،
والتشريف والتكريم ، والتبجيل والتعظيم .

ولما كان فلانٌ - أدام الله تعالى نعمته - هو المعروف بالأوصاف الجميلة ،
والمعنوت بالثبوت التي أتت في وصفه بكل فضيلة .

فلذلك رُسم بالأمر العالی - لازال إحسانه عمياً ، وفضله لذوى الاستحقاق أبداً
مُعياً - أن يستقر فلانٌ في كذا ، على عادة من تقدمه في ذلك ومُسْتَقَرَّ قَاعِدَتِهِ ،
بالمعلوم الذي يشهد به ديوان الوقف المبرور إلى آخر وقت .

فلما شر ذلك بهيته العلية ، وتيسره الأبيد ، والوصايا كثيرة وأمرها التفوي :
فلما لزم عليها فلانٌ تحفظه ، وبالسَّيَادَةِ تَحَفُّظُهُ ، والله تعالى يكمل وقفته ، ويسهل
إلى مُتَجِّعِ الْمَقْصِدِ طَرِيقَهُ ، بحمد وآله !



توقع بتدريس الجامع الأموي عوداً إليه ، من إنشاء جمال الدين بن نباتة ،
كُتِبَ بِهِ لِلْقَاضِي «نُفَرُ الدِّينِ الْمِصْرِيِّ» وَهُوَ :

أما بعد حمد الله مُعِيدِ الْحَقِّ إِلَى نِصَابِهِ ، وَالْقَيْثِ إِلَى مَصَابِهِ ، وَالْبَيْتِ - وإن
غَاب - إِلَى مُسْتَقَرِّ ظَاهِهِ ، وَشَرَفِ الْمَكَانِ إِلَى مَنْ هُوَ أَحَقُّ وَأَوْلَى بِهِ ، وَبِحَرَمِ الْعُلُومِ
إِلَى دَوَائِرِ عَمَائِهِ فِي الدُّرُوسِ وَالْإِقْوَى أَسْبَابِهِ ، وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ
الَّذِي هَاجَرَ فَرَجَ بَغْنَمَتِهِ وَإِبَائِهِ ، وَطَلَعَ مِنْ تَنَائِيَتِ الْوُدَاعِ طُلُوعَ الْبَدْرِ الْمُشْرِقِ
فِي أَنْشَاءِ سَحَابِهِ ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ السَّائِمِينَ سَبِيلَ صَوْبِهِ السَّالِكِينَ سَبِيلَ صَوَابِهِ ،
مَا قُطِفَ مِنْ غُصُونِ أَقْلَامِ الْعُلَمَاءِ مَحَرَّ «الْيَانِ وَالْيَيْنِ» مُقْشَاً وَغَيْرَ مُقْشَاً -

فَإِنَّ شَرَفَ الْكَوَاكِبِ فِي سِيرِهَا وَرُجُوعِهَا ، وَنَعْوَتِهَا مَا بَيْنَ قَتَرَةِ مَغِيرِهَا
وَطُلُوعِهَا ، لَا سِيَّامًا الْعُلَمَاءُ الَّذِينَ يُنْتَدَى بِأَنْوَارِهِمْ ، وَيُقْتَدَى بِأَنْوَارِهِمْ ، وَمَصَابِيحُ الْحَقِّ
الَّتِي تَهْدِي وَلَا يُقْدَحُ فِي أَزْنَدَةِ أَفْكَارِهِمْ .

وكان من قُصْدِ بهذا التلويح ذِكْرُهُ ، وَعُرِفَ من هذا المعنى المفهوم نَفَرُهُ ؛ قد
حُجِدَ بِمَجَالِسِ التَّصْدِيرِ بِالْجَامِعِ الْأُمَوِيِّ مَا ذَكَرَهُ من سَلَفِ أَعْيَانِهِ ، وَقَامَ بِوُجُودِ الدَّلِيلِ
عَلَى وُجُودِ مَا ضَيَّ بُرْهَانُهُ ، وَجَادَلَ لِسَانُهُ وَقَلَمُ يَدِهِ عَنِ الشَّرِيعَةِ ؛ وَغَيْرُهُ من الِشَّيْءِ
لَا مِنْ يَدِهِ وَلَا مِنْ لِسَانِهِ ؛ ثُمَّ هَجَرَ مَكَانَهُ هِجْرَةً عَلَى الْعُسْذِرِ تَحْوِيلَهُ ، وَهَاجَرَ إِلَى حَرَمِ اللَّهِ
تَعَالَى وَحَرَمِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هِجْرَةً مَقْبُولَةً ؛ وَرَأَى بَعْضُ الصَّبْيَانِ التَّقَدُّمَ إِلَى
رَبِّةِ الشَّيْخِ فَقَالَتْ : إِلَيْكَ عَنِّي ، فَأَنَا مِنْ مَخْطُوبَاتِ الْكَافِرِ أَنَا مِنْكَ وَلَا أَنْتَ
مَعِي ؛ ثُمَّ حَضَرَ إِلَى عَمَلِهِ الْكَرِيمِ مِنْ غَابٍ ، وَرَجَعَ إِلَى مُسْتَقَرِّهِ الْأَمْلِ بِه : وَمَا كُلُّ
حِزْمَةِ أَسَدٍ إِلَّا فَلْيَسْكُنْ فِي ذَلِكَ النَّابِ .

فلذلك رسم بالأمر الشريف - لا زالت صلاتُ مَرَامِيهِ جَمِيلَةً الْعَوَائِدِ ، جَلِيلَةً
الْفَوَائِدِ ؛ وَأَقْلَامُهَا أَغْصَانُهَا مَمْدُودٌ بِهَا الرِّزْقُ فَهِيَ عَلَى الْوَصْفَيْنِ مَوَائِدُ - أَنْ يَسْتَمَرَ
عَلَى عَادَتِهِ فِي كَذَا وَكَذَا ، وَإِبْطَالُ مَا كُتِبَ بِهِ لغيره : عَمَلًا بِاخْتِبَارِ الْحَاضِرِ ، وَاخْتِبَارِ
نَظَرِ النَّاطِرِ ؛ وَعِلْمًا أَنَّ هَذِهِ الْمُرْتَبَةَ لَنْ لَهُ لِثْقَانُ عَقْلُهَا وَثَقْلُهَا ، وَتَلَاوَةُ فِي مَوْضِعِ
الْوَقْفِ : (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا) .

فَقُولَا لِلْمُنَوَّعِ : مَا كُلُّ عِزٍّ بِدَائِمٍ ، وَلَا كُلُّ ذِي طَلَبٍ بِكَمَالِ الْوُجُوبِ قَائِمٌ ؛ وَمِنْ
أَيِّنْ لِهَذِهِ الرِّتَبَةِ مِثْلُ هَذَا الْكُفِّ الَّذِي أَشْتَهَرَ نَفَرُهُ ، وَزَهَتْ بِهِ عَلَى الْأَمْصَارِ شَامُهُ
وَمَصْرُهُ ؟ ؛ وَهَذَا الْإِمَامُ ، وَكُلُّ مُضَاهٍ مَأْمُومٍ ، وَهَذَا الْمِقْدَامُ ، تَحْتَ عِلْمِ الْعِلْمِ وَكُلِّ
مُبَاهٍ مَهْزُومٍ ؛ وَهَذَا الثَّابِتُ وَكُلُّ نَدٍّ مُشَرَّدٍ ، وَهَذَا الْكَامِلُ وَكُلُّ ضِدٍّ مُبَرَّدٍ .

فليستمر على عادته الجميلة مُجَلِّلاً لزمانه ومكانه ، مُكَمِّلاً في وشائع العلم ما يثني
« ابن الصَّبَّاح » من ألوانه ؛ ما لكَ لما حرَّره « الشَّافِعِي » ، جازما بفعل مانصبه
« الرَّافِعِي » ، سامياً عن وفاء الواصف : فسواء في ذكره إسرَافُ بيانٍ أو إسرَافُ عيٍّ ؛
شاملاً للطلبة المتادين ببطفه ، مُقَابِلاً للستتتين بطائفته وأطففه ؛ باحثاً عن دُرر
الجدال بفكره إذا بحثَ قلم بعض المجادلين عن حَقِّه بظلفه ، داعياً لهذا الملك
الصالحى فإنَّ دُعاء العالم الصالح سُورٌ من بين يديه ومن خلفه ؛ والله تعالى يُجِريه
على خير العوائد ، ويمدّه باقبال النعم الزوائد ؛ بمنه وكرمه ! .



توقيع بتدريس المدرسة الدماغية بِدَمَشَق ، من إنشاء ابن ثُبَّاتة ، كُتِبَ به للقاضى
جمال الدين « أبى الطَّيِّب » الحسن بن على « الشَّافِعِي » وهو :

أما بعد حمد الله رافع مُنادى العلم بِمُفَرِّدِهِ ، وبَلِّتِ الثَّقَى بِقَافِيَةِ سُودِهِ ، ونظم
المفاخر بمن إذا قيل : « أبى الطَّيِّب » أضنى الحقلُ لمَشِيدِهِ ، ومشهد الفضل بِإمامه ؛
وحَسْبُكَ من يكون « الحسن بن على » إمامَ مَشْهَدِهِ ؛ والصلاة والسلام على سيدنا
مُحَمَّدٍ عِيْدِهِ ورسوله سيد الخلقِ وَسَنَدِهِ ، وعلى آله وصحبه السَّائرين فى العِلْمِ والحِلْمِ على
جَدِّهِ ، ما حَبَّبَ نَسِيمُ الرُّوضِ بُرْدَهُ وأَقَرَّتْ لَعَسُ السَّحَابِ عن قَفْرِ بَرْدِهِ - فَإِنَّ لِلْعِلْمِ
أبناءً يَنْشُتُونَ فى ظِلَالِهِ ، ويسْكُنُونَ فى حِلَالِهِ ، ويفترقون لِمُتَاقِ بين حرامِ المُشْتَبِه
وحلالِهِ ، ويَجْلُونَ وَجْهَ الزَّمانِ : فلا عِدَمَ الزَّمانُ منهم جمالٌ وَجْهُهُ ولا وَجْهَ جَمالِهِ ؛
ترتَفِئُ شِفَاهُ المدارس من كَلِمَتِهِمْ كُلِّ عَذْبِ المَسَاغِ ، وتُشَاهِدُهُمُ منهم كُلُّ ذى قَبُولِ
ما هو عند البَلاغِ بِلَاغٌ ، وتُشَاهِدُ ما خُصُّوا به من الشَّرَفِ والرَّاسَةِ فلا عَجَبَ أَنْ
مَحَلَّهُمُ منها عِلْمُ الدماغِ ! .

وكانت المدرسة الشافعية الدماغية يَدْمَشْقُ المحروسة رَأْسًا في مدارس العِلْمِ،
وهامةٌ في أَعْضَاءِ منازل دَوَى الحُكْمِ والحِلْمِ؛ لا تَسْمُو هِمَّتُهَا إلا بكلِّ ساعى العِلْمِ،
هَامِي الفضل كالفهم، ساجِعُ اللَّفْظِ إلا أَنَّهُ أبهى وأزهى من طَوْنِ الحماسة، كائد
للمُلْعِدِ مُكرِّم للطالب ولا يَكِيدُ لابن الخطيب ولا كرامه - واسطةٌ بين العادلية
والأشرفية تليق بمن يكون عَقْدُ كلامه المثلَمَنَ، ونظامه الأَمَكُنَ، وبيانه المنشَدَ
”أجارة يَتَنَبَّأ“، يعنى بيت النسب وبيت المسكن .

فلذلك رُسم بالأمر الشريف - لازال يحدِّد لوجوه العِلْمِ جمالا، ولوجوب الحدِّ
نوالا، ولوجود الفضل كرما ما قال قط ولا نوى: لا - أن بقوض إلى فلان -
أيد الله بحمده، وحرس للسدين أباه وأعلى بالعادة حمده - تدريس المدرسة الدماغية
المذكورة: لأنَّه جمالُ العِلْمِ المعقودة على خِطْبَتِهِ الآمال، المعنونة بمقدمات فضله
وفضله نتائج الأحوال الصالحة والأعمال؛ المحبوبة إلى الله والخلق سميأة وشيمه
ولا نُكِر: فإنَّ الله جميلٌ يُحِبُّ الجمال؛ ولأنَّه العالمُ الذى إذا قال لم يترك مقالاً
لقائل، وإذا شرح على قِيَاسِهِ أتى بما لم تَسْتَطِعْهُ الأوائل؛ وإذا جارى العلماء كاد
«إمام الحرمين» يقول: أنا المصلى وأنت السابق، «والغزالي»: مَنْ لى أن أنسج
على منوال هذا اللفظ الرائق؟ «وأبن دقيق العيد»: لَيْتَ لى من هذه الدقائق
بُنْفَسَه؟ و«أبن الصَّبَّاح»: هذا الذى صَبَغَه الله من المهدِ عالماً! وَمَنْ أَحْسَنُ
من الله صَبْغَه؟ ولأنَّه العالم الذى أحيَا ذكر «أبن نقطة» بعد مادارت عليه الدوائر،
وأغنى وحده دِمَشْقَ عن أتى فى النسب «بمسايكر»، ولأنَّه فى البيان ذو الانتقاد
والانتقاء، والعربى الذى إن كانت لرقاب الفضلاء «أبن مالك» فإن قريته
«أبو البقاء»؛ والكامل حسباً، ومثل جِدِّه المقود لا يُبْهَرْج، والواصل نسباً،
ومثل قرَّه بعد أصله: «وقه أوس آخرون ونَزَرَج» .

فليأشِرْ هذا التَّدرِيسَ بِعِزَّتِهِ سِرِّيَّةً ، وَمَبَاحِثَ تُسْتَنَارُ مِنْهَا مَعَارِفُ الْقَوْلِ التَّجَرُّبِ ،
وَطَرَائِفُ لَا تُجْهِسُ بِدِمَشْقَ عَلَى قَدَاتِهَا الْمِصْرِيَّةِ ؛ وَلْيَنْصُرْ مَذْهَبَ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَإِنَّ قَوْمَهُ الْأَنْصَارَ ، وَلِيُخَفِّضَ جَنَاحَهُ لِلطَّلَبَةِ فَطَالَمَا خَفَضَتِ الْمَلَائِكَةُ
أَجْنِحَتَهَا لِيَصِيرَ فَلَا عَجَبَ أَنْ صَارَ ؛ وَلِيُقَدِّ وَأَفِيدِهِ وَهُوَ قَاعِدُ أَضْعَافٍ مَا أَفَادَهُمْ صَاحِبُ
الْمَكَانِ وَهُوَ وَأَقْفَ ، وَتَقْوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أُولَى مَا طَالَعَهُ فِي سِرِّهِ وَجْهَهُ مِنْ «عَوَارِفِ
المعارف» وَاللَّهُ تَعَالَى يُمِدُّهُ بِإِسْعَادِهِ وَلُطْفِهِ ، وَيُحَوِّطُهُ بِمَقَبَلَاتٍ مِنْ يَدَيْهِ وَمِنْ
خَلْفِهِ ؛ وَيُضَيِّقُ بَارِقَ كَلِمَةِ الصَّبِّ ، وَيُطْرِبُ أَسْمَاعَ الطَّلَبَةِ بِالطُّيْبِ مِنْ مَعَانِي
« أَبِي الطُّيْبِ » .



تَوَقَّعُ بِتَدْرِيسِ الْمَدْرَسَةِ الرُّكْنِيَّةِ الْحَفِيفَةِ بِظَاهِرِ دِمَشْقَ ، كُتِبَ بِهِ لِلْفَضَائِي
بَدْرِ الدِّينِ « مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الْمَنْصُورِ » الْحَفَنِيُّ بِ« الْمَقَرِّ الْعَالِي » وَهُوَ :

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ الَّذِي أَطْلَعَ بَدْرَ الدِّينِ مُشْرِقًا فِي مَنَازِلِ السُّعُودِ ، وَحَرَسَ سَمَاءَ
مَجْدِهِ فَلَا يُطِيقُ مَنْ رَامَ جَنَابَهَا الْأَسْطِرَاقُ إِلَيْهَا وَلَا الصُّعُودُ ؛ وَجَعَلَ رُكْنَهُ الشَّدِيدَ
فِي أَيْمَانِنَا الزَّاهِرَةِ الْمَشِيدِ وَظِلَّهُ الْمُدُودِ ؛ وَالصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ الْأَتَمِّينَ الْأَكْمَلَيْنِ عَلَى
سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ذِي الْخَوَاصِ الْمُرُودِ ، وَالكَرَمِ وَالْجُودِ ؛ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ نَجْمِ الْهُدَى
وَأَعْيَانِ الْوُجُودِ ، مَا أَوْزَقَ عُودَ ، وَحَدَّثَ عُقْبَى الصُّدُورِ وَالْوُرُودِ ؛ صَلَاةً دَائِمَةً
إِلَى الْيَوْمِ الْمَوْعُودِ - فَإِنَّ أَعْلَامَ الْهُدَى لَمْ تَزَلْ مَنشُورَةً بِعَالَمِ الْعُلَمَاءِ ، وَأَقْطَارِ الْأَرْضِ
مَا بَرَحَتْ مُشْرِقَةً بَيْنَ تَسْتَفْقِيرِهِمْ الْحِثَارُ فِي الْبَحْرِ وَالْمَلَائِكَةُ فِي السَّمَاءِ ، وَطُولُ
الْأَرْضِ إِلَى فُضَائِلِهِمْ أَشَدَّ أَضْطِرَارًا وَأَوْجَحَ إِلَى الْقَرَبِ إِلَيْهِمْ وَالْإِتْمَانِ ؛ وَكَانَ فَلَانُ -
أَدَامَ اللَّهُ تَعَالَى تَأْيِيدَهُ - مِنْ بَيْتٍ شَهِدَتْ الْأَيَّامُ مَفَاحِرَهُ ، وَحَمِدَ الْأَنَامُ أَوَائِلَهُ وَأَوَاخِرَهُ ،

وأُخِثَتْ عَيُونُ الزَّمانِ إلى ما ثَرَهُ نَظِيرُهُ ، وَغُصُونُ الفُتُونِ بِفَرَائِدِهِ نَاضِرُهُ ، وَأوصافُهُ
الْجَلِيلَةُ لِلأَبْصارِ وَالْبَصَائِرِ بَاهِرُهُ ، وَأَصْنافُ الفَضَائِلِ مِنْ إِمْلَائِهِ وَارِدَةٌ صَادِرُهُ .

فَلِذلِكَ رُسمَ بالأمرِ العَالِي - زاده اللهُ تَعَالَى عَلَى الْعُلَمَاءِ إِقبالًا ، وَضاعَفَ إِحسانَهُ
لِلْهِمِّ وَوَالَى - أَنْ يَسْتَمِرَّ الْمَشَارُّ إِلَيْهِ فِيما هُوَ مُسْتَمِرٌّ فِيهِ : مِنْ تَدْرِيسِ الْمَدْرَسَةِ
الرُّكْنِيَّةِ الْحَنْفِيَّةِ ، بِظَاهِرِ دِمَشْقِ الْمَحْرُوسَةِ ، حَمَلًا عَلَى ما بِيَدِهِ مِنَ الْوِلايَةِ الشَّرْعِيَّةِ
والتَّوَقُّعِ الشَّرِيفِ : رِعايَةِ لِحائِيهِ وَتَوْقِيرًا ، وَإِجابةً لِقَصْدِهِ الْجَمِيلِ وَتَوْقِيرًا ، وَاسْتِمْرَارًا
بِالْأَحَقِّ وَتَقْرِيرًا .

فَلْيَباشِرْ ذلِكَ مِباشَرَةً أُلِفَتْ مِنْهُ ، وَأَشْتَهَرَ وَصْفُها الرِّكْزُ عَنْهُ ؛ وَلْيُوقِّعْ لِلطَّلَبَةِ سُبُلَ
الْهُدَايَةِ ، وَلْيُوصِّلْهُمْ مِنْ مَقاصِدِهِمُ الْجَمِيلَةِ إِلَى الْغَايَةِ ؛ وَلْيَسَلِّكْ طَرِيقَةَ الْوِلْدَةِ ، فَإِنَّها
الطَّرِيقَةُ الْمُثَلَّى ، وَلْيَتَحَلَّ مِنْ جِوَاهِرِ فَرَائِدِهِ ، فَإِنَّها أَعْلَى قِيَمَةٍ وَأَعْلَى ؛ وَلْيُمَثِّلْ عَلَى
الْإِسْمَاعِ فَضائلَهُ الَّتِي لَا تُمَثَّلُ حِينَ تُثْمَلُ .



وَهذِهِ نَسْخَةُ تَوْقِيعِ بَتَدْرِيسِ الْمَدْرَسَةِ الْخاتُونِيَّةِ الْبَرَّانِيَّةِ الْحَنْفِيَّةِ بِدِمَشْقٍ ، كُتِبَ بِها
لِلشَّيْخِ صَدْرِ الدِّينِ «عَلِيِّ بْنِ الْأَدَمِيِّ» الْحَنْفِيِّ بِـ«الْجَنابِ الْكَرِيمِ» . وَكَانَتْ فِي الْأَصْلِ
لِمَنْ لَقِبَهُ بِـ«بَدْرِ الدِّينِ» لِأَنَّ الْبَذْرَ هُوَ الْمُناسِبُ لِهَذَا الْاِفْتِتَاحِ ؛ فَفَقَلَهُ بَعْضُ جَمَهَلَةٍ
الْكُتَّابِ إِلَى «صَدْرِ الدِّينِ» كَمَا تَرَاهُ . وَهَذِهِ نَسْخَتُهُ :

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ الَّذِي زَانَ أَهْلَ الْعِلْمِ الشَّرِيفِ بِصَدْرِ أَخِي نُورِ الشُّمُوسِ ،
وَأَعْلَاهُ - لِمَا حَازَهُ مِنَ الشَّرَفِ الْأَعْلَى - عَلَى الرُّعُوسِ ، وَجَعَلَ كُلَّ قَلْبٍ يَأْوِي إِلَى
تَيَّانِ بَيَانِهِ يَوْمَ الدَّرُوسِ ؛ وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ الْأَتَمِّينِ الْأَكْمَلِينَ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الَّذِي
أَنْهَبَ اللَّهُ بِرِصْكَتِهِ عَنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ كُلِّ مَكْرُوءٍ وَوُسْوسٍ ، وَخَصَّصَهُمْ فِي الدُّنْيَا بِطِيبِ

الحياة وفي الآخرة بسرور النفوس، وعلى آله وصحبه صلاة مُبْمَرَّة القُروس - فإنَّ أَوَّلِيَّ
من تَصَرَّفَ إليه الهمم، من تَبَدُّو دلائل علمه كنور لا نار على علم، وتَسِيرُ فضائله
في الآفاق سِرَّ الشُّموس والأفكار، وتَبَرُّز إذا يُبديها صدره من حُجُب وأستار.

وكان فلان - ضاعف الله تعالى نعمته، وحرس من الغير مُهَجَّته - هو الذي أُشِيرَ
إلى ما حواه صدره الكريم من الفضائل، وأشتهر في دُرُوسه بإقامة الحجج وإيضاح
الدلائل؛ وبرَّع في العلوم الدينيَّة، وفاق أبناء عصره في الصَّناعة الأدبيَّة؛ وأثَّق
كثرة على الطُّلاب، فأصبح "عمدة المحدثين" وأُسمي "مُختار الأصحاب"، «أبو علي»
ينزلُ بياحه، و«أبن عقيل» يرتدُّ على أعقابِه؛ و«أبن الحاجب» يرفعه على عينه،
و«الرازي» يتركَ سببه لوفاء دينه؛ و«أبن بطة» يطيرُ من مواقع سِهامه،
و«مُقَاتِل» مجروحٌ بحدِّ كلامه؛ و«أبن قُلامَة» متأخِّر عن مجاراته، و«الإثرم»
يَحْرُس عند سماع عباراته.

فلذلك رُسم بالأمر السَّالِي - لازال يجمع لمن برَّع في العلوم من ألوان المناصب
المُختلفة، ويرفع قدر القوم الذين قلوبهم على التقوى مُؤْتَلَفَة - أن يستمرَّ الجُنابُ الكريم
المشار إليه بالمدسة الخاتونية البرتانية الحفنيَّة، حَمَلًا على ما بيده من التَّزول الشرعي
والولاية الشرعيَّة: لأنَّه الخُلاصة التي صَفَّت من الأقدار، والعُدَّة ليوم الجِدال إذا
وَلَّى غيرُه الأُدبار، والمُختار الذي جَنَحَتِ المناصبُ السَّنية إلى اختياره دون من
سِواه، رَغْبَةً فيما آخَره من الفضائل وحوَاه؛ "بِدَائِيَّتِه" "نَهاية الطَّلاب"، وعلومه
"مُحَفَّةُ الأصحاب"، إن حَلَّتْ "قَابِنُ معني" بِصَحَّةِ قَلْبِه يَحْيَا، أو فَسَّرَ "قُجَاهُدُ"
عن مجاراته يَحْيَا؛ و«الزَّيْجُشْرِي» يَبعُدُ عن الحِوَارِ، و«البَغَوِيُّ» يَبْتَنِي الوقوف
على الآثَارِ؛ و«سَبِيوِيَه» عند ما يَتَحَوَّى بِقَصْدِ "التَّسْهِيل" من لَفْظِه المُغْرِبِ المُعْرَبِ،
و«أبن عَصْفُورٍ» يَكاد يَطِيرُ طَرَفًا لما يَسْدِيهِ مِنْ "المُرْقِصِ المُطْرِبِ"؛

و « أبو يوسف » أصبح بِصُحْبَتِهِ مَنْصُورًا ، و « محمد بن الحسن » أضحى بِرَفْعَتِهِ مَسْرُورًا ؛ هو في القَدَر « علي » وفي الطريقة « محمود » وفي العلوم « محمد » ، وفي النطق والحركة « سعيد » وفي النظر « أسعد » ؛ وفي النُضارة « النعمان » و « طائوس » يَقَعْلُ جزءًا من كَمَالِ خِصَالِهِ ، و « الحسن » يَقْتَدِي بِمَحْسَنِ فَعَالِهِ ؛ نَسَا فِي الْعِفَّةِ وَالصَّبِيَانَةِ ، وَكَفَّلَهُ التَّوْفِيقُ وَزَانَتْهُ الْأَمَانَةُ ؛ فَهُوَ بَحْرُ الْعُلُومِ ، وَمُسْتَخْلَصُ دُرِّهَا الْمَكْنُونِ وَمُظْهِرُ سِرِّهَا الْمَكْنُونِ ؛ لَوْ رَأَاهُ « الْإِمَامُ » لَنَاسَ عَلَيْهِ بِالشَّمْسِ الْمُنِيرَةِ ، وَلَوْ عَاصَرَ الْأَمْحَابَ لَنَدَّتْ أَعْيُنُهُمْ بِهِ قَرِيرَةً .

فَلْيَا شِرْهَاتَيْنِ الْوَظِيفَتَيْنِ اللَّتَيْنِ أَكْتَسَبَتْهُ بَعْدَ نُورِ الشَّمْسِ جَلَالًا ، وَلْيُلْقِ عُلُومَهُ الَّتِي يَقُولُ الْقَائِلُ عِنْدَ سَمَاعِهَا : هَكَذَا هَكَذَا وَإِلَّا فَلَا لَا ؛ وَلْيُعَلِّمِ الطَّلَبَةَ إِذَا أَدْهَمَتْهُمْ كَثْرَةُ عُلُومِهِ أَنْتَ فَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عِلِيمٌ ، وَلْيَتَكَرَّمْ عَلَيْهِمْ بِكَثْرَةِ الْإِفَادَةِ فَإِنَّ عَلَيْهِ هُوَ الْكَرِيمُ ، وَلْيُلْقِ فِي مَبَاشَرَةِ النَّظَرِ كُلِّ مَثِيلٍ وَنَظِيرٍ ، وَلَا يُنْبِتْكَ مِثْلُ خَيْرٍ ؛ وَلْيَجْعِدْ عَلَى عِمَارَةِ مَعَاهِدِهَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَأَدَاءِ الْوُظَائِفِ بِمَحْسَنٍ مُلَاحِظَةٍ ؛ لِزِدَادِ عِنْدَ الْخَلِيقَةِ جَلَالًا ؛ وَفِيهِ - بِحَمْدِ اللَّهِ - مَا يُغْنِي عَنْ تَأْكِيدِ الْوَصَايَا ، وَيُعِينُ عَلَى السَّدَادِ وَفَصْلِ الْقَضَايَا ؛ وَكَيْفَ لَا ؟ وَهُوَ الْخَيْرُ بِمَا يَأْتِي وَيَذَرُ ، وَالصَّدْرُ الَّذِي لَا يَسُدُّ الصَّوَابَ فِي وَرْدٍ وَلَا صَدْرٌ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يَسِّرُ الْقُلُوبَ بَعْلُو مَرَاتِيهِ ، وَيُقِرُّ الْعُيُونَ بِبُلُوغِ مَقَاصِيدِهِ وَمَا رَبَّهُ ؛ بِمَنْنَةٍ وَكَرَمِهِ !



تَوَقُّعٌ بِمُخَاطَبَةِ جَامِعِ جِرَاحٍ ، مِنْ إِنْشَاءِ ابْنِ نُبَاتَةَ ، كُتِبَ بِهِ لـ « شَرَفِ الدِّينِ بْنِ عَمْرُون » بِـ « الْمَجْلِسِ الْعَالِيِّ » وَهُوَ :

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ الَّذِي قَسَمَ لِلنَّابِرِ شَرَفًا يَجْعَدُ ، وَعَطَا مِنْ الْقَصَصَاءِ نَبَاتًا ؛ وَعَلَمًا مَرْفُوعًا لَا يَتَعَدَّى وَعَلَمًا مَنصُوبًا لَا يَتَعَلَّدُ ؛ وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامَ عَلَى سَيِّدِ الثَّقَلَيْنِ

وصاحب القبتين محمد ، وعلى آله وصحبه القانتين القانتين الرُكَّع السُّجَّد ، ما عَظُمَ
خَطِيبٌ ومُجَمَّد ، وبدا في حِلْيَةِ سيادة وأهبة خطابية وهو على الحالين مُسَوَّد - فَإِنَّ
لصَّهَوَاتِ المنابر فُرْسَانَا ، ولصُّدُورِ المحارِبِ أَعْيَانَا ، ولعُيُونِ المشاهدِ أَنَامِيَّ يَرَاغِي
منها الاستحقاقُ لكلِّ عَيْنٍ إِنْسَانَا .

ولمَّا كان جامعُ جراح المعمورُ يَذْكُرُ الله تعالى بما أُسِّسَ على التَّقْوَى ، ووسِّمَ
بَاهِلِ الرُّهْدِ سِمَةً إِذَا ضَعُفَتِ السَّمَاتُ تَهَوَّى ؛ يَجْمَعُ الصُّلَحَاءَ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ ، وَتُشْتَجَعُ
الْفُقَرَاءُ : فَنِعْمَ الْجَامِعُ لَمْ وَنِعْمَتِ الزَّائِرُ ! ؛ وَمَقَرَّعُ الْعُظَمَاءِ عِنْدَ اسْتِدْفَاعِ حَرْبٍ
وَكَرْبٍ ، وَمَطْلَعُ نُورِ الْمُدَاءِ الَّذِي أَغْرَبَ فَأَطْلَعَ بُحُومَهُمْ مِنَ الْقَرَبِ - تَعَيَّنَ أَنْتَ
نُخْتَارُ لَهُ الْخُطْبَاءُ وَالْأَيُّمَّةُ ، وَتَنْتَخِبُ لِمَنْصِبِهِ مِنْ أَفْضَلِ الْأَيُّمَةِ ؛ وَتَنْتَاسِبُ حُضَارَ مَنْبَرِهِ
بِصَاحِبِ عُلُومِهِمْ وَأَعْلَامِهِمْ وَإِمَامِهِمْ ، الْمُسْرُورِينَ بِهِ يَوْمَ يَأْتِي كُلُّ أَنَاسٍ بِأَمَامِهِمْ .
فَرُئِمَ بِالْأَمْرِ - لَا زَالَتْ أَعْوَادُ الْمَنَارِ يَذْكُرُهُ أَرْجَاهُ ، وَأَعْلَامُهَا كَالْأَلْسِنَةِ بِجَمْدِهِ
لَهْجَةٍ - أَنْ يَفُوضَ لِفُلَانٍ عَلِمْنَا بِاسْتِحْقَاقِ شَرْفِهِ لِهَذِهِ الرَّتَبَةِ ، وَصُعُودِ
هَذِهِ الذَّرْوَةِ وَالْمُضْطَبِّهِ ، وَلِأَنَّهُ الْأَوَّلَى بِدَرَجَاتِ الرَّتَبِ النَّفَاسِ ، وَالْأَجْدَرُ بِجَنَى فُرُوعِهَا
الْمَوَائِسِ ؛ وَالْإِمَامُ عَلَى الْحَالَتَيْنِ إِذَا قَامَتْ صُفُوفُ الْمَسَاجِدِ وَإِذَا قَمَعَتِ صُفُوفُ
الْمَدَارِسِ ، وَالْعَرِيَّ الَّذِي إِذَا رَقَى ذِرْوَةُ مَنِيرٍ أُطْلِقَتْ عَلَيْهِ لَفْظَةُ فَارِسٍ ؛ وَالْوَرَعُ
الَّذِي أَتَرَفَى مَنَاصِبِهِ الْبَاقِيَّةَ عَلَى الْفَانِيَةِ ، وَمَتَارِ الْحِكْمِ الْمُضَيِّقَةِ عَلَى مَرَاتِبِ الْحُكْمِ
الْمَاضِيَةِ ؛ وَعَلَى بَجَالِيسِ الدَّعَاوَى بِمَجَالِسِ الدَّعَوَاتِ ، وَعَلَى مَقَامِ الصَّلَاتِ مَقَامِ
الصلوات ؛ وَعَلَى الْقَضَاءِ الْقَرُضِ ، وَعَلَى الرَّجْعَةِ ^(١) وَلَوْ كَفَفِحِصِ الْقَطْعَةِ مِنَ الْأَرْضِ ؛
وَعَلَى عَرَضِ الدُّنْيَا الْقَلِيلِ جَوْهَرِ الْفَضْلِ الْكَثِيرِ ، وَعَلَى "كِتَابِ أَدَبِ الْقَاضِي"
"كِتَابِ الْجَامِعِ الصَّغِيرِ" .

فليأشِرْ هذه الوظيفة المباركة : خطيباً تدرأَ مواظمه الخطوب ، وأعطاً من قلب
تقى تصل هدايا ثقاه إلى القلوب ؛ قصيصاً تكاد المنازِهرُ طرباً بليانه ، ينجيها تكاد
أجنحة أعلامها تطيرُ قرحاً بمكانه ؛ شاملاً بنفحات فضله النوايسم ، كاملاً ! لو تقدم
زمانه لم يقل : « فلا الكرجُ الدنيا ولا الناسُ قاسم » ؛ والله تعالى يسدُّ أقواله
وأفعاله ، ويرفع على المنابر والرتب والمراتب مقامه ومقاله ، ويمتعه بهذه الرتبة التي
أشبهت معنى في الخلافة : « فلم يكن يصلحُ إلّا لها ولم تكن تصلحُ إلّا له » .

المرتبة الثالثة

(من تواقع أرباب الوظائف الدينية بمحاضرة دمشق -

مايفتح به « رسم بالأمر » وفيها وظائف)

وهذه نسخ تواقع من ذلك :

نسخة توقيع بالتدريس بالجامع الأموي والإفتاء به ، من إنشاء الشيخ جمال الدين
أبن نباتة ، كتب بها للشيخ « نحر الدين المصري » « استمراراً ، به « المجلس العالي » وهي :
رسم بالأمر الشريف - لا زال لتوليته الفخر على الإطلاق ، والمن على الأعناق ،
والكرم لطالبي الإرفاد والإرفاق ، والتكريم والتقديم لذوي التأهيل والاستحقاق ؛
ولا برحمة النعم الثابتة للساجدين بمدحه المطرب قائمة مقام الأطواق - أن يستقر
فلاّن نفع الله ببقائه ، ورفع عيون الأنجم لدرجات آفاقه ؛ : لفوائده
التي شملت الورى ، وعلت الأذرا ، وحيدت الأفهام عند صباحها السرى ، وقعد بها
مُسبِلُ ذيل الحياء وسار بذكره من لا يسير مُشمراً ؛ ومترليته التي نصبت للهدى
علماً ، وألفاظه التي أعربت عن بدائع بهرت فما فتح بمنيلها العلماء قساً ؛ وأسنيابطه

الذى يقول للأول : قال وقلتم ، وأقام وزُتُم ؛ وأحياطه الذى يقول للسائلين : أعطوا من أنتساب حلقته مضراً فإن لكم ما سألتم ؛ وأنه الفاضل الذى ما أستنار بعلمه فتى فتاه ، والنافع الذى ما أستطب بكلماته سقيم ذهن فلما تحركت شفتاه شفتاه ؛ ثم جلس للأشغال فتى أنفس المارة عن أشغالها ؛ ، ونصر العلم فى حلقته المجتدة فكان من أمراتها المنصور ولم يكن للأنداد من رجالها ؛ ، ثم سلم لبيان تجته الحقيقى والمجازى ؛ ، وكم سطررت لمناظرته المحمدية مع أهل الزئج سير ومغازى ؛ ، وكم خلص دينار فهمه المصرى على التقيد فهتات أن يروى مثله «الرازى» ؛ ، ثم تغرقت مضرباً بآنتسابه ؛ ، ودمشق بسقياً بآنتسابه ؛ ، وكم قال الرازى : لبت لى هذا الفخر فأروى فى الأول فتى خطيبه وفى الآخر فتى خطابه .

فليستعز - نفع الله به - على وظيفته المأثورة ، وحلقته التى نصبت على مصابيد كلماته المشهورة ، ومائدة علمه المنصوبة وذوئل منافعها فى الآفاق مجروره ؛ وليواطب على جلوسه بالجامع المنشرح المشروح ، ودرسه المتضمن فتح أبواب العلوم وغيره كما يقال : على المنفوح ؛ سالكا من نهج الإفادة مسالكة ، مكارياً بأجنحة فتاويه الطيارة ما يسطر لديه من أجنحة الملائكة ؛ متصرفاً على عادة عبادته فى مواطن العلم والعمل ، مستنداً فى جلسته إلى سارية يقول لها وقاره وحلته : يا سارية الجبل الجبل ، داعياً لهذه الدولة الشريفة : فإن دعاء العالم مثله طائر لآفاق القبول من أوكار القبل ؛ والله تعالى يمدّه بعونه ولطفه ، ويحوط مجالس علمه بالملائكة المقرئين من بين يديه ومن خلفه ؛ بمنه وكرمه ! .



وهذه نسخة توقيع بتدريس مدرسة القصاعين ، من إنشاء ابن نبأته ، كتب به لفخر الدين «أحمد بن الفصيح» الحنفى المقرئ بـ«المجلس السامى» وهى :

رُسِمَ بالأمر الشريف - لا زال يقدّم من العلماء أنقرم ذكراً، وأتخدم أمراً،
وأفصحهم نسب فضائل وفضائل نسب يقول الاستحقاق : كَلَامُهَا وَتَمَرَا - أَنْ
يَرْتَبَ فَلَانٌ ... : لما شُهر من علومه السنيّة، وفوائده السريّة ؛ ووجوه فضائله
الحسنة ، وعيون كَلَامِهِ المتيقظة إذا كانت بعض العيون مستوسنة ؛ ولأنّه غريب
في الوصف والمكان ، وصاحب عِلْمٍ لا يكاد يوجد له شقيق وإن كان منسوباً إلى
« النعمان » ؛ وإمام قراءات ثبتت له فيها على « أبي علي » المجته ، وتوضّحت بيانه
المجته ؛ وتعين محلّه الأثير ، وروى الطالب من عليه عن « نافع » ومن ذهنه
في الفوائد عن « ابن كثير » ؛ وأنه تفرّ الحنفية القائم في السّعة مقام « رازيها » ،
المطلّ بمنسّر قلبه على المعاني إطلال بآزيها ؛ « الأكل » الذي له من علوم صدره
خزانه ، « الصدر » الذي كل صدر يشهد له بعلو المكانة .

فليأثر تدريس هذه المدرسة المباركة : حقيقة يجلس صدرها ، خليفاً بتجديد
شرفها وذكراها ؛ مظهرًا لخبايا النكت في زواياها ، جديراً بأن يكون في خفايا
المسائل آبن جلاها وطلاع ثناياها ؛ يملأ بيان مجوّه فكر الواعي وسمعه ، ويُسِيرُ
بنان قلم فتياه ما يتجدّد له من رقه ، وينسط إدلّال الطلبة حتى يأكلوا في القصّابة
معه في القصّعة ؛ والله تعالى يسره من مدارس الحنفية بهذه البدايه ، ويقرّه بما
يتجدّد من وظائفها التالية : (وَمَا تُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ) بمنه وكرمه ! .



وهذه نسخة توقيع بتدريس المدرسة الطرخانية، من إنشاء آبن نبأته، كُتِبَ به
للقاضي جمال الدين «يوسف الحنفي» بترويه من والده ، وهي :

رسم بالأمر الشريف - لازالت مواطن العلم مكملة يذكره ، مبعلة بأمره ،
 مؤهلة لكل يوسفى الجمال يذكر عزيز شامه عزيز مضره - أن يستقر فلان فى كذا ،
 بحكم ما قرره مجلس الحكم العزيز الشافعى ، ونعم المالك المنهوب شافع ، وأتباع لما
 حرره الجناح الشريف التقوى ذو النسب الصحابى الذى كل أمر لأمره تابع ، وإذا
 عملاً بما رآه رأيه الكريم الذى إذا كان الجمال شافعاً كان هو للجمال شافع ، وإذا
 أنشأ من أبناء العلماء قروفاً [لا] تمل عليهم الأيام ميله ، وإذا وقفت فى طريقهم
 الأنداد قال أقصار نسبه الأنصارى : يا أبى الله ذاك وبنو قيلة ؛ وقبولا لتزول^(١)
 هذا الولد الذى أشرق فى آفاق العلم مطالعه ، وإقبالاً على هذا الولد الذى تجبحت
 فى استحقاق التقديم مطالعه ؛ وعلماً بنجاة هذا الفاضل الذى طاب أصلاً وقروفاً ،
 وقلم نفسه ووالده وترّاً وشقفاً ؛ وهذا البادى الشيبى الذى يأمر بفضائله على
 الشيب وينهى ، وهذا الواضح الدلالة على مفاهيم قومه : حبذا الدعوى وبيتها
 منها ؛ وهذا النجيب الذى قدّمه أبوه منجبا ، وذكاؤه معجبا ؛ وقلمه فى الأوراق
 معشبا ، وأشتغاله : إذ قال يوسف لا يسه يا أبت إني رأيت من محفوظات كُتبت
 ما يقارب أحد عشر كوكبا ؛ وإذا درس كان لطلبته ملاذا ، وإذا عانده معانداً قال
 برفع همته : يوسف أعرض عن هذا ؛ وإذا قرأ كتب فصاحت أذهل ذوى
 الأبواب ، وإذا فتح لتفسير كُتب الله فاتحة ، عود بفضل : (ألم ذلك الكتاب)
 وإذا روى الأحاديث أطرب حقيقته السماع ، وإذا أخذ فى دقائق الثقل والمقل
 علم وعقل أن الفكرة صناع .

(١) فى القاموس «أعله لذلك رآه له أهلا» .

(٢) هى قيلة بنت كاهل أم الأوس والخزرج .

فليأشِرْ هذه المدرسة المباركة بيان عَرَبِيٍّ وإن كان نَسَبُهَا طَرْخَانِيًّا، وعِلْمُ رَوْضِيٍّ لا يَعْرِفُ العلماءُ شَقِيقَهُ وإن كان مَذْهَبُهُ نَعْمَانِيًّا، وَمَبَاحِثُ تَذَكِّي نَارِ قَرَيْمِيَّةٍ : فَمَكَّم طَبِخَ لَانْدَادِهِ من أَصْحَابِ «الْقُدُورِيِّ» قَدْرًا ، وَلُزُومَ دَرَسِ يُسْرَ أَبَاهُ بِمَذْهَبِهِ : فَإِنَّهُ الْقَاضِي «أَبُو يُوسُفَ» خَبِيرًا فِي الْحَقِيقَةِ وَخُبْرًا ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يَصُونُ شَيْبَتَهُ الْمُقْبِلَةَ من طَوَارِقِ الْحَدَثَانِ ، وَيَنْقَعُ بَعْلُومُ بَيْتِهِ الَّتِي مِنْ شَكِّ مِنْهَا فِي الْحَقِّ فَكَأَنَّهُ مِنَ الْجَدُّثَانِ .



وهذه نسخة توقيع بتصدير بالجامع الأمويّ، من إنشاء ابن نباتة، كُتِبَ به
لـ«شمس الدين بن الخطيب» وهي :

رُسم بالأمر الشريف - لا زَالَتْ نَمُوهُ ظَاهِرَةُ الْفَضْلِ كَالشَّمْسِ ، طَاهِرَةُ الْوُضُوحِ من دَنَسِ اللَّبَسِ ، وَأَفَرَةُ الثَّمَوِيَّاتِ قَاصِرَةٌ عَنِ الْغَدِّ زَائِدَةٌ عَلَى الْأَمْسِ - أَنْ يَرْتَبَّ فَلَانٌ فِي كَذَا وَيَرْتَبَّ لَهُ كَذَا عَلَى الْمَصَالِحِ ، فَمَكَّمِ لِلْمُسْلِمِينَ فِي جَامِعِ عَلَيْهِ مَصَالِحُ ، وَفِي مَنَافِعِ قَصْدِهِ مَنَاحِحُ ؛ وَفِي فَوَائِدِهِ نَصِيبُ ، وَفِي طُرُقِ هُدَاهُ مَعَالِمُ : وَلَا تُشْكِرُ «الْمَعَالِمُ» لَأَبْنِ الْخَطِيبِ ؛ لِيَتَنَاوَلَ هَذَا الرَّأْيَ الْمُسْتَقَرَّ مِنْ أَحْلَلِ الْجِهَاتِ وَأَجَلَّهَا ، وَيَكُونَ شَمْسُهُ الْمُبَارَكَةُ خَيْرَ شَمْسٍ تَجْرِي لِمُسْتَقَرِّهَا ؛ عَوَضًا عَمَّا نَزَلَ عَنْهُ مِنْ تَدْرِيسِ الْحَلَقَةِ الْمَدْدُوقَةِ بِصَاحِبِ خَمْسٍ وَتَصْدِيرًا بِالْجَامِعِ الْأَمَوِيِّ يَسْطُرُ بِهِ أَنْوَارُ الشَّمْسِيَّةِ ، وَيَقْلُ أَسْمُهُ إِلَى إِحْرَةِ الْعِلْمِ يَدْمَشْقُ عَوَضًا عَنِ الْحَلَقَةِ الْحَصِيَّةِ ؛ فَلْيَعْتَمِدْ مَا رُسِمَ بِهِ ، وَلَا يَتَحَوَّلْ عَمَّا قَضَى الْعَدْلُ وَالْإِحْسَانُ بِمُوجِبِهِ .

الضرب الثاني

(من تواقيع أرباب الوظائف الدينية بالشام -
ما يكتب به لمن هو بأعمال دمشق ، وهو على مرتبتين)

المرتبة الأولى

(ما يُفتح بـ «أما بعد حمد الله» وفيها وظائف)

توقيع بتدريس المدرسة النورية بدمشق^(١) ، من إنشاء الشيخ جمال الدين بن ثبأته ،
كتب به للقاضي زين الدين «عمر البلقاني» بـ «المجلس العالي» وهو :

أما بعد حمد الله الذي جعل لوجوه العلم زيناً وأبى زين ، وأقر لأما كتبنا عينا
بمن يكون التثنية على فضل مكانته قرص عين ، ونشر أحاديثها بمن إذا حدث عن يد
تمكّنه في العقل والنقل قيل : صدق «ذواليدن» ، وأحيا مذهبها بمن إذا عقدت
الخصائص على أمثاله العلماء كان أول العقد وثاني الغيث وثالث «المعمرين» ،
والصلاة والسلام على سيدنا محمد عبده ورسوله الذي أخرج تبيين الهدى وسنه ،
وأرهم شبا الحق وسنه ، وعلى آله وصحبه الذين منهم «علي» مفتاح مدينة العلم
و«عمر» سراج أهل الجنة ، ما جرت أقلام العلم والجود في هذه الأيام الصالحة
طلقة العنان مطلقه الأعنة - فإن أولى العلماء بمدارس علم لا خلت ، ومجالس
فهم عزت بأهلها فلا تعزلت ، ومشاهد عقل وتقل لا عقلت أليستها بعد مستحقها
ولا أنتقلت - من أضاءت مشكلتها النورية بمصايح كليه ، وفحت كائنها النورية
عن زهرات الهدى بقطرات قلبه ، وتذكرت بأوقاته الأخيرة عهود أهلها من هداة
الاسلام وأوقات ذي سآله .

(١) موابه بمصر ، كما يؤخذ من التوقيع .

ولما كان فلان هو المقصود بجلالة هذا المعنى، والممدود إليه نظر هذا الوصف
الأسنى، والعالم الذي تسبث بأسباب محاسنه بلد «الحرمين»، والسابق وإن خلا
وقته الطاهر خلف وقت «إمام الحرمين»؛ كم آجئى ثمر الفوائد من أصل وفرع؛
وكم بات قلبه من ورق قناويه وإسكات مناويه بين وصل وقطع؛ كم صدق برق
بسيته الأفكار حين شامت؛ وكم تبهرت عند ليلى المشكلات «عمر» ثم نامت؛
وكم تهادت نظره كتب العلم حتى قال «كالب الأثم» : نعم الولد التجيب، وقال
«كالب الروضة» : نعم أخو الغائب الصائب على رياض القول المصيب؛ وقال
«الشامل» من فضله : هذا لطلبه «نهاية المطلب»، وقال «التبیه» على محاسنه :
لئت «النايفة» رآه فدرى أى الرجال «المهذب» وكانت المدرسة الشهدية النورية
بمحض المحروسة قد شهدت مع من شهد بفضله، وسعدت ببئله، ووهمت بصلم
عليه، وسمت سمو الشهباء : هذه بمقر تدرسه وهذه بمجلس حكمه؛ ثم زار دمشق
زورة تشوقت [إليه] بعدها تلك المشاهد، ونسوقت إلى العود هاتيك المعاهد؛ وقضى
الوفاء أن يماد إليها أحسن إعادته، وأن يرجع إلى الأمان الشهدية الشاهدة بيرة
فكون منه عادة ومنها شهادته، وأقتضى الاستحقاق أن يردّها بالمعلوم المستقر وزيادة
وأحسن ما ورد البحر فى الزيادة .

فلذلك رسم بالأمر الشريف - أعلاه الله وشرفه، وحلى بسيره الصالحة سمع
الدهر وشكفه - أن يستقر فلان فى تدريس المدرسة النورية بمحض المحروسة على

(١) بشيرالى يت بشار فى مدح عمر بن العلاء أحد عمال المهدي .

إذا أخطئك حروب المدا * فنبه لها عمراً ثم ن

طادته ، وعلى نهج إفاءته وإفادته ؛ بالمعلوم المقرّر له يجلس الحسك العزيز الشافعي
بدمشق المحروسة : رعاية تلك المعاهد النورية التي تتأرجح بها الأصال والبكر ، وأنوار
القبول القائلة لوفدها الطارق : «عليك سلام الله يا عمر» .

فليعد إلى هذه الوظيفة عود الحلي إلى العاقل ، وليقبل على رتبته المرتبة إقبال
الغيت على الماحل ، وليقبل بلسان تحديه لمعانيده : إن كان أعجبكم عامكم فعودوا إلى
خص في قابل ؛ ولينصّر بقاعها الحصية بجلاد جداله فلها من أول جند الإسلام ،
وليقيم الآن في هذه الأوقات الشامية فإنه بركة الوقت والبركة في الشام ؛ ثممراً من
أفلام علومه أركى الغروس ، مظهرًا من مباحثه النفائس مبهجًا من طلبته النفوس ،
عاصراً لمعاهدها بدروسه : وياغيباً لمعاهد تعمّر بالدروس ؛ ذاكرًا للوصايا الحسنة
التي لا تقص عليه فهو أخبر بها ، والتي من أولها وأولها تقوى الله تعالى وهي
بأفعالها أمسك من تفاعيل العروض بسببها ؛ والله تعالى يعضده في رحلته ومقامه ،
ويتمع الرتب تارة يجالس دروسه وتارة يجالس أحكامه ، ويروى صدق مصر
والشام من موارد علمه : هذه بأوفى من نيلها وهذا بأوفر من غمامه .

المرتبة الثانية

(من توقع أرباب الوظائف الدينية بأعمال دمشق -

ما يفتح به «رسم بالأمر» ، وفيها وظائف

وهذه نسخ توقع من ذلك :

نسخة توقيع بحسبة بلبك : من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نباتة ، شُكِب بها
لشهاب الدين بن أبي النور ، وهي :

رُسم بالأمر الشريف - لازالت تُهَبُّ أوامره عالية السَّنا والسَّناء، وَفِيَّةً لَدَوِي
الاستحقاق بِمَزِيدِ الْأَعْتَاءِ وَالْأَعْتَاءِ، جَلِيَّةَ الْبَرِّ بِنِ شَهْدِ بَحْسِنِ حِسْبَتِهِ حَتَّى لِسَانُ
الْمِيزَانِ وَفَمِ الْكَيْلِ وَشَفَّةِ الْإِنَاءِ - أَنْ يَسْتَمِرَّ فَلَانٌ ... لِمَا ذَكَرَ مِنْ أَوْصَافِهِ الَّتِي
ضَاعَفَتْ فِيهِ الرَّغْبَةَ، وَحَالَفَتْ بِهِ سُمُومَ الرُّتْبَةِ، وَشَهِدَتْ بِهَا حِسْبَتُهُ تِلْوَ الشُّهُودِ :
وَحَسْبُكَ مِنْ أَجْتَمَعَتْ عَلَى فَضْلِهِ شَهَادَةُ الْقَرْضِ وَشَهَادَةُ الْحِسْبَةِ؛ وَلِمَا مَجَّ مِنْ
كَفَافَتِهِ وَتَجَرُّبِهِ، وَوَسَّحَ فِي هَذِهِ الْوُظُفَةِ مِنْ تَدْرِيسِهِ الَّتِي تَدْرِي بِهِ ؛ وَلِمَا تَعَيَّنَ
مِنْ أَسْتِمْرَارِ شَهَابِهِ فِي الْمَنْزِلَةِ الَّتِي تَكْتَسِبِي مِنْ أَضْوَائِهِ وَتَكْتَسِبُ، وَهَذِهِ الرُّتْبَةِ الَّتِي
تَعْلُو بِمَعْرِفَتِهِ : وَكَفَاهُ أَنَّهُ يَرْزُقُ مِنْ حَيْثُ يَحْتَسِبُ وَمِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ! ؛ وَأَنَّهُ
فِيهَا ذُو الرَّأْيِ الرَّائِدِ، وَالنَّشِيعُ الْوَارِدِ، وَالشَّهَابُ الَّذِي تُورُّهُدَاهُ فِي وَجْهِ الْمَرِيدِ وَأَثَرُ
كَيْ حِسْبَتِهِ فِي وَجْهِ الْمَارِدِ ؛ وَأَنَّهُ وَلِيَّهَا وَلَايَةٌ لَا تَزَالُ تُذَكِّرُ وَتُشَكِّرُ، وَعُرِفَ بِوَفَاقِهَا
وَكَانَ أَوْفَى مِنْ أَمْرِ بِمَعْرُوفٍ أَوْ نَهَى عَنْ مُنْكَرٍ ؛ وَأَنَّهُ قَامَ حَقَّ الْقِيَامِ حَتَّى قَالَ
الْبَلَدُ : رَعَى اللَّهُ زَمَانَكَ، وَأَجْتَهَدَ حَتَّى قَالَ الْأَعْتَابُ لِلْمِيزَانِ : لَا تَذْكُرُ الرَّيْعَ
وَلَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ .

فَلَيْسَتْ تَمَّ فِي حِسْبَتِهِ الْمُبَارَكَةِ أَسْتِمْرَارًا يُسْتَحْلَى ذِكْرُهُ ؛ وَيُسْتَجْلَى فِي الْأَنْسِ شَهَابُهُ
وَفِي السَّعَةِ بَذَرُهُ، وَلِيَحْتَسِبَ فِي نَفْعِ الْمُسْلِمِينَ حِسْبَةً يَحْتَسِبُ بِهَا عِنْدَ الْمَلِكَةِ سَنَاءَهُ
وَعِنْدَ الْمَلَائِكَةِ أَجْرَهُ ؛ سَالِكًا عَلَى نَهْجِ الْعَزْمِ الْجَمِيلِ، جَاعِلًا أَوَّلَ نَظَرِهِ مِنْ أَقْوَاتِ
الرَّغِيَّةِ فِي الدَّقِيقِ وَالْجَلِيلِ ؛ مُسْتَبِينًا لِمَا أَكْبَسَ مِنْ غَشِّ الْمَطَاعِمِ وَالْمَشَارِبِ فَلَمْ يَسْتَبِينَ،
حَاكِمًا - وَلَا سِيمًا فِي قَاعَاتِ بَلْبِكَ - بِرَأْيٍ يُفَرِّقُ بَيْنَ الْمَاءِ وَاللَّهْنِ ؛ حَانًا عَلَى بَيْعِ
الْمَاكِلِ بِخَبْرَةٍ مِنْ مَلَأَ بَصَرَهُ، حَرِيصًا عَلَى أَنْ لَا يُنْشِدَ لِسَانُ الدَّخِيلِ فِيهِ « وَمَنْ لَمْ
يَمُتْ بِالسَّيْفِ مَاتَ بَغْيَرُهُ » ؛ دَافِعًا ضَرَرَ الْمُجْتَرِي الْيَائِعِ عَنِ الْمُشْتَرِي الْمُسْكِينِ، ذِكْيًا
فِيَا يَدِّي فَيَسْلُجُ بِسِكِّينٍ وَيَذْبَحُ مُتَنَاوِلَهُ بَغِيرِ سَكِّينَ ؛ قَاضِيًا بِالْحَقِّ فِي كُلِّ مَا يُشْتَرَى

وبيع ، متكلمًا في أنواع الملابس وغيرها بالباع والذراع ؛ وأزنا بالعدل في كلٍّ موزون ومكبول ، رادعًا لكلِّ عمالٍ مُداهِنٍ في كلِّ مَنهون ومعمول ، حامِلًا على الحال المستقيم كلَّ حَيٍّ لديه وكلَّ من هو على آلَةٍ حَذَاءَ تحول ؛ ومن زاد في الإضرار فليمنع زائده ، ومن زاد في الاشتطاط وتجيير الشراء فليقطع بالنكال زائده ؛ ومن دَسَّ في الأشرية فلا يلبث أن يُنلظَّ التأديب وأن يُرْفَقَ ، ومن سَقَى الضعفاء منها كما يقال : سقية فليسقه من السوط ما يكاد ينثر جسمه على الحقيقة ؛ ومن عَانَى صناعة ليس له فيها يدٌ فليزِمه بما بسط في إفساده اليدين ، ومن حَكَم في صناعة الطَّبِّ بما لم يَسُغ في المسائل فليضرفه منها بَحْثُ حَيٍّ ؛ ومن تَمَرَّد في معاملته فليرده بالقهر إلى صالح مرده ، ومن عَدَا وعَتَا فليعامله بما يخرج من الترح لا من الفرح من جلده ؛ مقدامًا في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا جَرَعَ ، مُسْتَعِينًا بالدِيوان فيما أَمَّ : فَإِنَّ اللَّهَ يَزَعُ بالسلطان ما لا يَزَعُ ، مجتهدًا فيما يزيد تَقَدُّمَ سَعْيِهِ المشكور ، وصُنْئِهِ المبرور ، مُنِيرًا لآفاقِ مَنْصِبِهِ وكيف لا وهو الشَّهاب بن أبي النُّور ؟ ؛ وَتَقْوَى الله تعالى هي السبيلُ الأقوم فليكن لها منهاجا ، وليواظب على طريقة الحقِّ : فَكَمْ شَرَّعَهَا حَادٍ وَكَمْ خَيْرٍ مِنْهَا جَا ! .



توقيع بنظر السبيل بدرج الحجاز ، بالركب الشامي ، من إنشاء ابن نباتة ، كُتِبَ به للقاضي «قطب الدين السبكي» وهو :

رُسم بالأمر - لا زال يَهْرُ بالوظائف الدينية من يُجِبُّها وَيُجِبُّه ، وَمَنْ يتوارد على ذِكْرِهِ بِإِدَى الشكر وَرَكْبِهِ ، وَمَنْ إِذَا بَدَتْ مَطَالِعُ الخَيْرِ فهو نَبِيَّهْ وَإِذَا دَارَ فَلَكُ الشَّاءُ فهو قُطْبُهُ - أَنْ يَسْتَقَرَّ ... : لما دُكِرَ من وصفه الجليل ، وأستحقاقه الذي دلَّ عليه

البرهانُ في تحفيله وبرهنَ في مؤكِّده الدليلُ ؛ وديانته التي هي لمباني الأوصاف الرفيعة
 أساس ، وكفائته التي لها من نفسه نصٌّ ومن نفس قومه قياس ؛ ومرباه في بيت
 تقيٍّ صحت تجاربُ معدنه على السبك ، و[دلت] مناقبه على استحقاق الرتب التي يقول
 بشيرها : **فَقَا نَبَسِمُ !** ويقولُ حاسدُها : **فَقَا نَبَكْ ؛** وليا هتَم من تشوقه لهذه
 العزمة الناجحة ، وتشوقه من هذه المبرة الشريفة الصالحية بسُلوِك تلك الفعلاج
 الصالحه ؛ ولأنَّ الضمف عاقه عن الماضي فاطْلَقْتَه الآنَ هذه القُوَّة ، وجعلت له
 بأوفى القادرين على الحسنات والإحسان أُسُوَه ، ومكَّنته في هذه الشُّقة الطويلة
 على سبب أذبال المعروف من منزل الكسوة إلى منازل ذات الكسوة .

فليأشِر هذه الوظيفة المبرورة بعزمٍ يُبَيِّر من الوجد ما كُنْته ، وحزمٍ يُبَيِّر من المدح
 المشكور كائنه ، وثمعة على ألسنة التذكار يمضي وتبقى حتى تكاد تكون للكواكب
 السبعة تامينه ؛ مُتَصَرِّفاً في الإِرْفَاد والإِرْفَاق ، بآراء يؤيد الله [بها] الذين هم رِفاقُ
 وأى رِفاق ؛ مُنْفِقاً في سبيل الله على يده أعدل إنفاق ، حامياً عدله من لُفْظَةِ إنفاق ؛
 مُحْصِياً بإنعام الدولة الشريفة في القفر الماحل ، حامِلاً للقطع على أنهض وأبرك
 الرواحل ؛ مُواصِلاً لنقل الأزواد إقامته ومسيره ، وبالماء والشراب الطيين الطهورين
 ضِعْفَه وَفَقِيرَه ، وأنواع الأدوية والعقاقير التي تُمُّ متابع الركب [و] عقيره ، وتُجَبِّر
 على الحالين كَسِيرَه ، وبوفاء جميع المستحقين تالياً عن لسان الدولة الشريفة :
(قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ) داعياً بتخلُّود مُلْكِها في تلك المشاهد
 التي هي قبُول مَصاعِد الدُّعوات وتُزُول مواعِد البركات جَدِيدَه ؛ والله تعالى يَقْبَلُ
 دُعاءه وسعيه ، ويُجَسِّن كَلَامَه وَرَعِيَه ، بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ ! .

الصف الثالث

(من التواقيع التي تكتب لأرباب الوظائف يَدْمَشَقْ - ما يكتب لأرباب
الوظائف الدِّيوانية، وهي على ضربين)

الضرب الأول

(ما يكتب لمن بمحاضرة دِمَشَقْ منهم ، وهو على ثلاث مراتب)

المرتبة الأولى

(ما يفتح به الحمد لله وفيها وظائف)

وهذه نسخ تواقيع من ذلك :

نسخة توقيع بكاتبه الدِّست يَدْمَشَقْ ، كُتِبَ به لشيخ الدين « عبد الوهاب »
ابن المنجا التنوخي، عوضاً عن شمس الدين « محمد بن حميد » بالوفاة، وهي :

الحمد لله الذي جعل تاج الأولياء أيما حلّ حلّ المراتب وزانها، وعدا على التحقيق
كفأها وزانها ، وألبسها من براعتيه وبراعته عقوداً تزدّ دُررها وُجْهاتها ، ومنح
دستها العلى من ألفاظها المجيدة بيانها ، وزادها بأصالة نخارها يستصحب وقتها
وزمانها، وأرتقى ذروتها التي طلك زاد بالمعالي أركانها، فتبوا بمزيد الحميد مكانها .

نعمه على نعمته التي أجزلت إحسانها، وأجملت آميناتها، ونشهد أن لا إله إلا الله
وحده لا شريك له شهادة تشهد القلوب لإيمانها ، ويدّخر القائل إلى يوم الخفاف
أمانها ، ويتبوأ بها في الدار الآخرة من يخلص فيها جَنّاته جنّاتها ، ونشهد أن سيدنا
محمداً عبده ورسوله الذي أظهر الله تعالى به الشريعة المطهرة وأبانها ، وشرف هذه
الأمة ورفع على جميع الأمم شأنها ، وبهته رحمة إلى كافة الخلق فأقام بمجزاته دليل

الميدانية وبرهانها ، وأطلقاً بنور إرشاده شرر الضلالة ونيرانها ، وأنعم بدينه القويم
وصراطه المستقيم مُتَقَدِّمَاتٍ [طوائف] الشُّرْكَ وأديانها ، صلى الله عليه وعلى آله
وصحبه الذين ما منهم إلا مَنْ زَهَّ نفسه النفيسة وصانها ، وسلك في خدمته ومُحِبِّته
الطريقة المثلى فأحسن أسرار أموره وإعلانها ، صلاةً دائمةً باقيةً تحمد بالأجور
أقربانها ، وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد ، فإنَّ أولى مَنْ جَدَدْنَا رِفْعَةَ تَاجِهِ ، وسَدَدْنَا قَوْلَهُ في مجلس صَدْلٍ ينشر فيه
بكلمة الحق ما أنطوى من أذريته ، وحدَدْنَا له محلَّ سفارةٍ يَحْفَظُ فيه حوائج السائل
فيغني عن إلحاحه وبلحاحه - مَنْ هو في السُّؤدد عَرِيقٌ ، ولسانُه في الفضائل
طليقٌ ، وقلمه حلٌّ للبروس بما يفوقُ زهر الرِّياض وهو لها شقيقٌ ، وكان فلانٌ
هو الذي علَّا تاجه مَقَرِّقَ الرأسه ، وجَلَّا وصفه صُورَ الحاسين والثَّغَامَةِ .

فُرم بالأمر العالي - لا زال يُولى جليلاً ، ويُوَلَّى المناصبَ الجليلةَ جليلاً - أن
يستقرَّ المشار إليه في وظيفة تَوقِيع الدَّمست الشرف بالشام المحروس ، عوضاً عن فلانٍ
بحكم وفاته إلى رحمة الله تعالى ، بالمعلوم الشاهد به الديوان المعمور إلى آخر وقت .
فليأشِرْ ذلك مباشرةً تُسَكِّر مَدَى الزمان ، ومُحَمَّدُ كُلِّ وَقْتٍ وأوان ، ولَمَلًا بالأجور
لنا مُصْحَفًا بما يُؤدِّيه عَنَّا من خير وإحسان ، والوصايا كثيرةٌ وأهمُّها التقوى ، فليلازم
عليها في السِّرِّ والنَّجْوَى ، والله تعالى يحرسه ويرعاه ، ويتولاه فيمن تولاه ،
والإعتاد



[وهذه نسخةٌ] تَوقِيع بَنَظَرِ النُحَاصِّ ، من إنشاء ابن ثُبَّاتة ، كتب به للقاضي

«بهاء الدين بن ريان» ، وهي :

المحمد لله مولى رُتبِ الأعيان ، ومبنى أعباء السيادة على ممر الأحيان ، ومبداً
”بهاء“ المناصب ، بمن فضله الواضح والصُّبحُ سيان ، ومُنشئ ثمرات المناقب ،
في منابت أهلها حيث الفرجُ باسق والأصل ”ريان“ .

نحمده على أن يسرَّ آياتِ المعلى بحسنه ، وأيقظ جفن الآمال من وسنه ؛ ونشهد
أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تجمع لنا من خيري الدنيا والآخرة كرم
المطلين ، وشرف النصين ، ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله المشرق فضله
على أهل المشرقين والمغربين ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين أصبح الثناء عليهم
وقفاً ، وأشتال الذكر عليهم عطفاً ، صلاة تضيء آفاق القبول بشمعة صُبح لا تقط
ولا تطفى ؛ وسلم .

أما بعد ، فإن للمناصب الدينية نسبةً بيوت أهل الديانة ، ولخاص الرتب تعلّقاً
بالخاص من ذوى الكفاءة والأمانة ؛ والمنازل بكواكبها المتألّفة ، والحدائق بمغارسها
المتألّفة ، ونفوس الديار بسكان معاهدها المتشوّقة المتشوّقة .

ولما كان الخالص الشريف والوقف المنصوري لوجه المناصب الشامية بمنزلة
حسن الشامتين ، ولزائد الحُصْب من جهتي الدنيا والآخرة بحمل نفع الغامتين ؛ هذا
على صنْع البر الممدود مقصور ، وهذا لسحاب الخير سَفَاحٌ لأهرجته لهـامنصور ؛
يعلمو هذا بالنظر في دقائقه إلى أعلى الدّرج ، ويتلو هذا بلسان ميزانه المتفق على
المارستان : (ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون
حرج) - ليليق الجمع بين رتبتهما إلا لمن يجمع بسعفه فضل الدارين ، ومن يبيد
بنان قلعه الحلبي حلب ضرعهما الدارين ؛ ومن نشأ في بيت سعادة أذن الله لقدره
أن يرفع ، وأقلام يته أن تنفع ، ولحاسن دويه أن تشفع بجالها إلى قلوب الأولياء
قشّفع ؛ ومن يسر رواية فضله وبرؤيته السمع والعين ، ومن يقرض شرفه وشرف

إِخَانُهُ حُبُّ «الْحَسَنِ» وَ «الْحُسَيْنِ» ؛ وَمَنْ تَتَّبِعُ جَوَانِحُ الْحَارِبِ بَعِيدُهُ ، وَتَلْهِجُ
أَلْسِنَةُ مَصَابِيحِ الْمَسَاجِدِ بِالنِّسَاءِ عَلَى تَرْدِيدِهِ وَتَوُدِّهِ ، وَتَسْتَقِي جِيَادُ عَزَمِهِ : فَيَدِينَا
الْكَيْتُ فِي الشُّبُهَاءِ تَابِعُ أَدَبِهِ إِذَا بَانَ أَدَمُ رَسِيلُ تَرْهِيهِ ؛ وَمَنْ تَقُولُ مَنَاصِبُ
حَلَبٍ : اللَّهُ دَرُّ بَهَائِهِ الْمُقْتَبِلُ ! ؛ وَمَنْ يَنْشُدُ ثَبَاتُ وَقَارِهِ مَعَ لَطَافَةِ خُلُقِهِ : «يَا حَبِذَا جَبَلُ
الرَّيَّانِ مِنْ جَبَلٍ» ! ؛ وَمَنْ تَنْفَعُ أَخْبَارُهُ مَتَاغِ الْأَزْهَارِ ، وَمَنْ يَشْهَدُ بِفَضْلِهِ جَيْشُ
الْمُحْرَابِ فِي اللَّيْلِ وَبِمِيشَرَتِهِ جَيْشُ الْحَرْبِ فِي النَّهَارِ ؛ وَمَنْ تَأْسَى بِلَدُهُ فَارَقَهَا فِرَاقَ الْعَيْنِ
لِلْوَسَنِ ، وَمَنْ يَرَوِي صَامِتُ دِمَشْقٍ وَغَيْرَهَا مِنْ تَدْوِيرِهِ عَنْ «طَامِرٍ» وَعَنْ «حَسَنِ» .

فَلَذَلِكَ رُسم بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لَا زَالَ مِنَ الْقَابِهِ الشَّرِيفَةِ صَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَعِمَادُ
الدَّاعِينَ لِدَوْلَتِهِ الْفَاهِرَةِ وَالْمُؤْمِنِينَ - أَنْ يَفُوضَ لِلْجَنَابِ الْعَالِي فَإِنَّهُ الْمَعْنَى بِهَذِهِ
الْأَوْصَافِ الْمُتَقَدِّمَةِ ، وَالْمَقْصُودُ بِإِفَاضَةِ حُلَاهَا الْمُعَلِّمَةِ ؛ وَالْمَوْصُوفُ الَّذِي يَحُلُو وَصْفُهُ
إِذَا كُرِّرَ ، وَيَسْتَعِيدُ الْأَوْصَافَ وَالْأَسْمَاعَ إِذَا حُرِّرَ ، وَالْأَحَقُّ بِرِثْيَةِ عِزِّ فِي النُّظَارِ
مَعْنَى وَأَنْبَى شَأْنِهِ ، وَمَكَانٍ نَظَرٍ إِنْ لَمْ يُقَلِّ الدَّعَاءُ الْيَوْمَ : أَدَامَ اللَّهُ عِزَّهُ ! قَالَ :
أَدَامَ اللَّهُ بَهَاءَهُ ، وَاللَّاتِقُ بِتَقْرِيرِ مَنْصِبٍ تَقْصُرُ دُونَهُ الْمَطَامِعُ ، وَتَصْدِيرُ دِيْوَانٍ إِنْ
أَقْطَعْتَ رِوَايَتَهُ عَنْ «حَمْزَةٍ» فَقَدْ أَتَّصَلَتْ رِوَايَتُهُ عَنْ «نَافِعٍ» .

فَلْيَا شَرُّ هَذَيْنِ الْمُنْصِبِينَ الْمُتَجَبِّينَ ، مَجْتَهِدًا فِي مَصَالِحِ الْخَاصِّ الشَّرِيفِ ، وَالْوَقْفِ
الَّذِي لَا تَحْتَاجُ هِمَّتُهُ فِيهِ إِلَى تَوْقِيفٍ ؛ حَتَّى يَكُونَ خَيْرُ الْخَاصِّ عَامًا ، وَأَمْرُ الْوَقْفِ
تَامًا ، وَرِيعُهُمَا بِالْبَرَكَاتِ خَيْرَ عَحْفُوفٍ ، وَالْمَنْصُورِيُّ مِنْ جِهَةِ الْمَاعُضَةِ قَدْ أَشْغَى وَهُوَ
بِالْعَصْدَيْنِ مَوْصُوفٌ .

وَالْوَصَايَا مُتَعَدِّدَةٌ وَهُوَ أَدْرَى وَأَدْرَبُ بِهَا ، وَتَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى أَوَّلَى وَصِيَّةٍ تَمْسُكُ
الْمَرْءَ بِسَبِيلِهَا ، وَشُكْرُ النِّعْمَةِ أَدْلُ عَلَى نِيَّهِ هِمَمِ الرِّجَالِ وَعَلَى فَضْلِ مُهْلِكِهَا ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى
يَسُدُّ قَلْبَهُ ، وَيَنْبِئُ فِي مَطَالِمِ الْعِزِّ قَلْمَهُ ؛ بِمَنْتِهِ وَكَرَمِهِ ! .



توقيع بنظر الخزانة العالسة، من إنشاء ابن ثبانة، كُتب به للقاضي «تقى الدين
ابن أبي الطيب» به الجنب العالى» وهو :

الحمد لله الذى له خزائن السموات والأرض، ويمكّنه سبب منها ما يشاء لمن يشاء
رضى الملائكة أم لم يرض، وبعثه فضلت مراتب أهل التقى على الرتب كما فضل على
النافلة القرض، وبعثته بنيت بيوت أهل السيادة على الطول وبقي صالح عملهم
إلى العرش، وهدأته سما إلى أعلى الخزائن من قرضها أوصاف قلبه وقلم أبيه
أحسن القرض .

نعمه على مامتح من خزائن فضله، ونشكره والشكر ضامن المزيّد لأهله؛ ونشهد
أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة يدخرها الإنسان لنته وقوله وفعله،
ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الذى جمع بينه وفرق بينه، وأعطى ما لم يتطو
ضمائر الأكياس فى صدور الخزائن على مثله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه
السالكين سنن فضيلته وفضله، التابعين فى الكرم والبأس قياس بيانه ونص نصليه؛
ما أطلعت خزانة الوسمى آثار قط النيث كالدراهم، وخلعت على الدنيا خلع الروض
مقلّسة بمستدير الظلال مزروعة بمقود الحكام؛ وسلم تسليما كثيرا .

وبعد، فإن الرتب ذخائر قويم فى خزائن الاختيار، وأخاير أهل تركو قدود شيعهم
على عكس الاعتناء والاعتبار، وفروع خلف تظهر مظاهر نصولها الركة سابعة الظل
رافعة الزهر فاتحة الثمار؛ إذا أحتجج منهم إلى ذخيرة نفعت، وإلى أخير وقت أربى
على عزائم الأول وما صنعت، وإلى فروع شجرة سرت حامدها الضائعة؛ لا مما
صاغت بل بما تصوغت .

ولما كانت رتبة نظير الخزانة العالية يمدش المحروسة أحق من هذا وصفه ، وهذا نعت في مقدمة الذكر الجليل وهذا إليه عطفه ؛ إذ هي مرتبة العلياء ومكانها ، وزهرة سماء المملكة وميزانها ؛ ومنشأ غيوت صلاحها الماسمرة ، ومنبت رياض خلعها الزاهره ؛ وأفق السعادة ومطلع نجمها المنير ، وجنة أولياء الدولة ولياسهم فيها حريز ؛ ومعنى شرف الاكتساء والاكتساب ، وماوى الفاضل - والحمد لله - الذى يحفظها التحصيل بحساب ويُعطيها الجود بغير حساب .

وكان الجنب ... (١) ... من تضم أعطافه أنوار السعادة ، وتحف أطرافه و ... (١) ...
السيادة ، وتتغل جلسته : إما من تنفيذ الديوان لمرتبة وإما من تدريس العلم لسجاده ؛ ذو الفضل والفضائل حسن التجنيس والتطيق ، والكتابة : من حساب وإنشاء زاكاة النثر على التعليق ؛ ونفحات البرمن نفحات العيش أجود ، والشبية فيها النهى فكانه كما قال البحرى : نسب أسود ؛ والهيم التي حاولت مثال الشهب المتتعة ولات حين مناص ، والكلمة التي لو عاين « البصرى » فرائد تحريها لقال : كل هذه ذرة القوام ، والعزائم التي رامت المناصب لما قيلت من خرايتها سوى الرفيع وما رضى من ديوانها سوى الخالص ؛ كم نهت منه المقاصد « عمر » ثم نامت ؛ ، وكم أجلسه كواكب اليمن في صدر يحفل ثم قامت ؛ ؛ كم حوى من الحمد سينا ؛ ، وملأ الرباع خيرا وقيا ؛ ، وقبض الله للفقراء والأيتام حنانا من لذه وزكاة وكان قويا .

(١) يياض بالأصل في الموضعين .

(٢) أخذه من بيت بشار :

إذا أظفلك حروب العدا * فبسه لها عماما ثم

يريد عمر بن العلاء أحد عمال المهدي وكان على طبرستان .

فذلك رُسم بالأمر الشريف - لا يَرَحَ صَالِحُ الدهر كالزهر ، مَالِكٌ نفوس
الأولياء والأعداء : هَاتِيكَ بِالْإِنْعَامِ وهَاتِيكَ بِالْقَهْرِ - أَنْ يَفُوضَ إِلَيْهِ نَظَرُ الْخِزَانَةِ
العالية مُضَافًا إِلَى مَا بِيَدِهِ مِنْ نَظَرِ الْخَاصِّ الشَّرِيفِ : لِأَنَّ مِثْلَهُ لَا يُصْرَفُ عَنْ وَطِيقَةِ
بِسْأَةِ مُعْتَرِفٍ ، وَمَنْ نَدَاهُ مُعْتَرِفٌ ، وَأَنْ أَجْتَمَعَ الْعَدْلُ وَالْمَعْرِفَةُ قَاضٍ بِأَنْ « تُعْمَرُ »
لَا يَنْصَرِفُ ؛ وَأَنْ الْخَاصَّ لِنَاصِّ الْأَوْلِيَاءِ أَمْسُ مَكَانِهِ ، وَأَنْ الْخِزَانَةَ أَنْسَبُ بَيْنَ
عُرِفٍ بِالصَّبَإَةِ ؛ وَأَنْ تَخَازِنَ الْأَرْضَ وَهِيَ يَصْرُوْ نَظَرُهَا لِقَالِ : لَيْسَ لِي مِثْلُ
هَذِهِ الْخِزَانَةِ ؛ وَأَنْ صِينَ الْأَعْيَانِ أَوْلَى بِالنَّظَرِ ، وَأَنْ الْأَنْظَارَ لَا بَلَّ الصَّحَابَةُ أَحَقُّ
بِ«عَمَرٍ» ؛ لِمَا عَلِمَ مِنْ سِيرَتِهِ النَّقِيَّةِ ، وَسِرَّتِهِ الثَّقِيَّةِ ، وَصِفَاتِهِ الَّتِي يَتَذَكَّرُ فِيهَا نَفْسُ
الْقَوْلِ حَتَّى يَقْطِعَ فِي الْأَوْصَافِ بَعْدَ بَقِيَّةٍ وَبَقِيَّةٍ .

فَلْيَا شَرَّ مَا فُوضَ إِلَيْهِ مِنْ أَعْلَى الْمَرَاتِبِ الْمُتَجَنِّبَاتِ ، وَالْوِظَائِفِ الْمُعْجَبَاتِ الْمُعْشَبَاتِ ،
وَالْجَهَاتِ الَّتِي مَالَهَا كَيْفَتُهُ الطَّيِّبِي : وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ ؛ مُسْتَجِدًّا مِنْ نَظَرِ هَذِهِ
الْخِزَانَةِ تَوْبَةً سَعْدِهِ الْجَدِيدِ ، مُعْمِلًا فِي مَصَارِفِ الثَّغَبِ وَالْفِضَّةِ بِصَرَارَاتِهِ الْحَدِيدِ ؛
مُنْبَهًا لَهَا عَزَمَهُ الْعُمَرَى وَنَعَمَ مِنْ يُنْبِيهِ ، مُشَبِّهًا فِي الْكَفَاءَةِ أَبَاهُ الْمَرْحُومَ وَمَا ظَلَمَ مِنْ
أَشْبَهَ ، مُقَرَّرًا مِنْ أَحْوَالِهَا أَحْسَنَ مُقَرَّرٍ ، مُحَرَّرًا مِنْ أُمُورِهَا أَوْلَى مَا أَعْتَمَدَ وَالْخِزَانَةُ
أَوْلَى بِالْمُحَرَّرِ ؛ حَافِظًا لِمَا لَهَا بِقَلَمِ التَّحْصِيلِ حَتَّى يَنْقُذَ قَلَمَ الْإِطْلَاقِ ، صَانِدًا لَوْفَرِهَا حَتَّى
يُنْفِقَهُ الْكَرْمَ خَشْيَةَ الْإِمْسَاكِ بَعْدَ مَا أَمْسَكَ الصَّوْنُ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ ؛ مُسْتَدْعِيًا مِنْ
أَصْنَافِهَا كُلِّ مَاتَوَعَ وَتَصَنَّفَ ، وَتَوَشَّعَ وَتَقَوَّفَ ، مُتَبِتًا كُلَّ مَا خَلَعَ مِنْ دِيَوَانِهَا الْعَزِيزِ
وَتَخَفَّ ؛ مُؤَلِّفًا لِلْكَسَاوَى فِي رِحْلَةِ كُلِّ صَبِيٍّ وَشَتَوَى ، مُوَاصِلًا لِلْأَحْمَالِ مِنْ دِمَشْقَ
عَلَى كُلِّ حَالٍ مِنْ جِهَةِ الْكُسُوفِ ؛ مُنْبِيًا لِإِنْعَامِهَا بِقَلَمِ الْإِطْلَاقِ التَّامِ ، مُتَقَفًّا بِعَصَا قَلَمِهِ
فِي يَدِهِ الْبَيْضَاءِ مَا تَأْكُلُ عَصَا الْأَقْلَامِ ، حَرِيصًا عَلَى أَنْ يَكُونَ بِأُهَا فِي الْكَرْمِ كَمَا يَقَالُ :

(١) لم يرد هذا الجمع في أيدينا من كتب اللغة . والظاهر أنه جاري العامة في استعماله .

«سَهْلُ الْحَبَابِ مُؤَدَّبُ الْخُدَامِ» ؛ عَامِلًا يَتَّقَى اللَّهَ تَعَالَى الَّتِي بِهَا يُبْدَأُ الذِّكْرُ الْجَمِيلُ وَيُنْتَهَى ، وَيُلْبَسُ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ رِدَاءُ الْخَيْرِ الْمُعْلَمِ ، غَنِيًّا عَنْ تَلْبِيسِ بَقَايَا الْوَصَايَا الَّتِي هُوَ فِيهَا بِحَيْرٍ ، وَأَبْنُ بَحْرِ بِحَابٍ «الْيَانِ وَالْتِبِيسِ» أَعْلَمُ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يَمْدُهُ بِفَضْلِهِ ، وَيَحْفَظُهُ عَلَيْهِ الْفَضْلُ الَّذِي هُوَ مِنْ أَهْلِهِ ؛ وَيَمْلَأُ أَمَالَهُ بِفَهَامِ الْخَيْرِ الصَّيِّبِ . وَيُؤَدِّمُ سَعَادَةً يَتَنَّهُ الَّذِي لَا يَرْفَعُ الشُّكْرَ لَطِيهِ إِلَّا الْكَلِمَ الطَّيِّبَ .

المرتبة الثانية

(من تَوَاقِعِ أَرْبَابِ الْوِظَانِ الْدِيَوَانِيَةِ بِمَحَاضِرَةِ دِمَشْقٍ - مَا يُفْتَحُ بِهِ «أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ»)

وهذه نسخ تَوَاقِعٍ مِنْ ذَلِكَ :

[نسخة] تَوَقِيعَ بَنَظَرِ الْأَمْرِى وَنَظَرِ الْأَسْوَارِ ، كُتِبَ بِهَا لِدَوَادَارِ الْأَمِيرِ «سُودُونَ الطَّرَنْطَايِ» كَافِلِ الشَّامِ ، وَإِنْ كَانَتْ هِيَ فِي الْأَصْلِ دِيَوَانِيَةً أَوْ دِينِيَّةً ، وَهِيَ :

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ الَّذِي خَصَّ أَوْلِيَائَهُ بِفَضْلِهِ الْوَافِرِ ، وَعَمَّهِمْ بِحُسْنِ نَظَرِهِ فَأَشْرَقَ صُبْحُ صَبَاحِهِمُ السَّافِرِ ، وَأَتَتْضَى مِنْ عَزَائِمِهِمْ لِنُصْرَةِ الدِّينِ سَيْفًا يُسِّرُ الْمُؤْمِنَ وَيَقْبِضُ الْكَافِرَ ، وَأَجْنَبِيٍّ مِنَ الْكُفَاةِ مِنْ يَسِيدٍ مَعَاقِلِ الْإِسْلَامِ بِفَضْلِهِ الْمُنْظَارِ ؛ وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ الْأَتَمِّينِ الْأَتَكِلِينَ عَلَى مَسِيدِنَا عَمِّهِ الَّذِي أَضَاءَ بَرَائِهِ الْوُجُودَ ، وَخَصَّهُ اللَّهُ تَعَالَى بِالْصِّفَاتِ الْفَائِزَةِ وَالْمَآثِرِ الْحَسَنَةِ وَالْجُودِ ؛ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ حَرَسُوا الْمِلَّةَ الْحَنِيفِيَّةَ مِنْ جِهَادِهِمْ بِأَمْنٍ سُورٍ ، وَأَوْهَنُوا جَانِبَ الْكُفْرِ وَأَقْدَمُوا الْأَمِيرَ وَجَبَرُوا الْمَكْسُورَ ؛ صَلَاةً دَائِمَةً مَدَى الْأَيَّامِ وَالشُّهُورِ ، مُعْلِيَةً لِلْأَوْلِيَاءِ عِلْمَ النُّصْرِ الْمُنْشُورِ - فَإِنَّ أَوْلَى مَنْ عَدَقْنَا بِهِ الْمَنَاصِبَ السَّيِّئَةَ ، وَفَوَضْنَا إِلَيْهِ جَلِيلَ الْوِظَانِ الدِّينِيَّةِ ؛

وَنُظُنَّا بِهِ فَكَ رَقَبَةِ الْمُسْلِمِ مِنْ أَسْرِهِ ، وَخَلَّصَهُ مِنْ عَدُوِّهِ الَّذِي لَا يَرِي لِمُسْكِنَتِهِ
وَلَا يَرِي لِكُنْهِرِهِ ، وَأَجْرَيْنَا قَلْبَهُ بِبَذْلِ الْفِدَاءِ ، وَجَعَلْنَا مِدَادَهُ دِرْيَاقًا لِمَرْضِ الْأَسِيرِ
الَّذِي يَعْدِلُ أَلْفَ دَاءٍ ، وَأَقْنَاهُ لِلْعَانِي مِنْ شَرِّكَ الشَّرِّكِ مُنْقِذًا ، وَلِلدَّافِعِ فِي بَيْدَاءِ الْعِيَا
بُحْسَنَ لِعَانَتِهِ مُنْجِدًا ، وَلَا أَسْوَارَ الْمُثَنَّةِ بِجَبِيلِ نَظَرِهِ مُتَفَقِّدًا - مِنْ أَحْسَنِ فَضْلِهِ
ظَاهِرًا ، وَجَلَالِهِ بَاهِرًا ، وَخِلَالِهِ مَوْصُوفَةً بِالْمَحَاسَنِ أَوَّلًا وَآخِرًا .

وَكَانَ فَلَانٌ هُوَ الَّذِي بَهَّرَتْ مَا يَرُهُ الْأَبْصَارَ وَمَلَكَتِ الْأَسْمَاعُ ، وَأَنْعَقِدَتْ عَلَى
تَقَرُّدِهِ فِي عَصْرِهِ بِالْمَفَاحِرِ كَلِمَةُ الْإِجْمَاعِ ، وَسَارَتِ الرُّكْبَانُ بِذِكْرِهِ الَّذِي طَلَبَ وَجُودِهِ
الَّذِي شَاعَ ، وَصَفَتْ سِرِّرُهُ ، فَاضْهَى بِجَبِيلِ الْإِعْلَانِ ، وَجِدَتْ سِفَارَتُهُ ، فَكَانَتْ
حَاقِبَةً كُلِّ صَغْبٍ يَرْكَبُهَا أَنْ لَانَ .

فَلَذَلِكَ رُسِمَ بِالْأَمْرِ الْعَالِي - لَا زَالَ يُؤَيِّ جَمِيلًا ، وَيُؤَيِّ فِي الْوُظَائِفِ جَلِيلًا -
أَنْ يَسْتَقَرَّ الْمَشَارُ إِلَيْهِ فِي وَظِيفَتَيْ نَظَرِ الْأَسْرَى وَالْأَسْوَارِ بِدِمَشْقَ الْمَحْرُوسَةِ ، عَلَى
أَجَلٍ عَادَةٍ ، وَأَكَلَ قَاعِدَةً ، بِالْمَعْلُومِ الشَّاهِدِ بِهِ دِيْوَانِ الْوَقْفِ الْمَبْرُورِ إِلَى آخِرِ
وَقْتٍ : وَضَعًا لِلشَّيْءِ فِي مَحَلِّهِ ، وَتَقْوِيضًا لِمَجْلِلِ النَّظَرِ إِلَى أَهْلِهِ .

فَلْيَا شَرَّ ذَلِكَ مَبَاشَرَةً تَسُرُّ النَّفُوسَ ، وَتَزِيدُهَا الْغَلَالَ وَتَرْكُوبًا الْقُرُوسَ ، وَلِيَجْزِيَ
أَحْوَالَ الْوَقْفِ الْمَبْرُورِ عَلَى مَقْتَضَى شَرْطِ الْوَاقِفِ وَالشَّرْعِ الشَّرِيفِ ، وَلِيَتَصَرَّفَ
فِي تَحْصِيلِ الْمَالِ وَإِنْفَاقِهِ أَحْسَنَ تَصْرِيفٍ ، وَلِيَجْتَهِدَ عَلَى تَخْلِيصِ الْمَأْسُورِ ، وَإِغَاثَةِ
مَنْ ضُرِبَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ بَسُورٌ ، وَيُسَارِعَ إِلَى تَشْيِيدِ الْأَسْوَارِ الْمُثَمَّةِ ، وَإِتْقَانِ تَحْصِينِهَا :
لِيَتَضَاعَفَ لِمَنْ حَوَّتْهُ مِنْ الْأَمْنِ وَالذِّعَةِ ، وَالْوَصَايَا كَثِيرَةٌ وَمِلَاكُهَا تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى
وَمُلُوكُ صِرَاطِ الْحَقِّ الْمُسْتَقِيمِ : فَلْيُؤَاظَبْ عَلَيْهَا ، وَلِيُصَرَفَ وَجْهَ عَنَايَتِهِ إِلَيْهَا ، وَاللَّهُ
تَعَالَى يُدِيمُ عِلَادَةً ، وَيَتَوَلَّاهُ فِيمَا تَوَلَّاهُ ، بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ .



تَوْقِعُ بِصَحَابَةِ دِيَوَانِ الْأَمْرِ، مِنْ إِنْشَاءِ ابْنِ نُبَيْتَةَ، كُتِبَ بِهِ لِلْقَاضِي شَرَفِ الدِّينِ «سَالِمِ بْنِ الْقَلَّاقِصِيِّ» ، وَهُوَ :

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ الَّذِي جَدَّدَ بَطَالِيعَ الشَّرَفِ قَوَاعِدَ بَيْتِ السِّيَادَةِ، وَمَشَاهِدَ حَوَالِ السَّعَادَةِ ، وَمَصَاعِدَ ذُرَا الْأَقْلَامِ الَّتِي قَسَمَتْ مَجَانِيَ قَصَبِهَا لِلْإِفَادَةِ وَالْإِفَادَةِ، وَمَعَاهِدَ الْقَوْمِ الَّذِينَ سَلَكَوا مَسَالِكَ سَلَفِهِمُ الْحَسَنِيِّ : وَلَوْ كَانَ التَّمَامُ يَقْبَلُ هَذَا مَزِيدًا قَبْلَ : وَزِيَادَهُ . وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الَّذِي شَدَّ اللَّهُ بِرِسَالَتِهِ أَزْرَ الْحَقِّ وَشَادَهُ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ ذَوِي الْأَقْدَارِ الْمُسْتَرَادَةِ الْمُسْتَعَادَةِ ، مَا أَتَّصَلَ بِمَحْدِثِ الْفَضْلِ سَنَدُهُ وَأَمِنْ بَيْتِ التَّقْوَى سِنَادُهُ - فَإِنَّ الْيُوتَ الْمُتَنَظِّمَ نَفَارُهَا، الْمَأْمُونِ مِنْ عَرَوْضِ الْأَيَّامِ زِيَادَتُهَا وَإِنْكَسَارُهَا ؛ أَوَّلَى أَنْ تَتَخَبَّ لَهُمُ الْمَنَاصِبُ كَمَا تُتَخَبُّ لِلْيُوتِ الْمَعَانِي ، وَتُسْتَقْرَى الْوِطَائِنُ الْعَلِيَّةُ كَمَا تُسْتَقْرَى لِمَوَاضِعِ كَلِمِهَا الْمَبَانِي ؛ وَتَحْتَارَ لِنَجْلِ الْأَصْحَابِ (؟) بَيْنَهُمْ كُلِّ جِهَةٍ مَأْمُونَةُ الصَّعَابَةِ ، مَوْفُورَةُ السَّعَابَةِ ، تَجْرُورَةُ ذَيْلِ الْخَيْرَاتِ السَّعَابَةِ ؛ مَصُونَةٍ عَنْ غَيْرِ الْأَكْفَاءِ كَمَا يُصَانُ لِلْجِهَاتِ مُجِيبًا ، لِاتِّمَامِ بِالْأَفْاضِلِ لِأَنَّ الْأَوْقَافِ الْأَمْرِي بِالْفَاضِلِ نَسَبًا .

فَلِذَلِكَ رُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ أَنْ يَرْتَبَّ فِي كَذَا : عَلَمًا بِأَنَّهُ الرَّئِيسُ الَّذِي إِذَا وَلَّى وَظِيفَةً كَقَافَا ، وَإِذَا وَعَدَهَا بِصِلَاحِ الثَّدِيرِ وَقَاهُ وَقَاهَا ، وَإِذَا وَصَلَ نَسَبَهَا بِنَسَبِهِ كَانَ مِنْ إِخْوَانِ صَفَاتِهَا لَا مِنْ إِخْوَانِ صِفَاتِهَا ؛ وَالْخَيْرُ الَّذِي آسَتْوَخُ بِعَيْنِ الرَّأْيِ مَدَاهِيهِ وَمَسَالِكِهِ ، وَالْعَالِمُ الَّذِي إِذَا مَشَى الْأُمُورَ بِسَطِّ جَنَاحِ الرِّفْقِ وَإِذَا مَشَى بِسَطِّ لَهْ أَجَحَّتْهَا الْمَلَائِكَةُ ؛ وَالْجَلِيلُ الَّذِي إِذَا نَظَرَ ذَهْنُهُ فِي الْمَشْكَلاتِ دَقَّقَ ، وَالْكَاتِبُ الَّذِي تَعَيَّنَتْ أَقْلَامُ عَلَيْهِ وَكَفَاهَهُ إِلَّا أَنْ كَلَّمَا فِي الْفَضْلِ مُحَقَّقٌ ، هَذَا وَحَطُّ عِزَّارِهِ مَا كُتِبَ فِي الْخَلْدِ حَوَاشِيهِ ، وَلَيْلُ صِبَاهُهُ مَا اكْتَمَلَ ! فَكَيْفَ إِذَا أَغْلَطْتَ كَوَاكِبَ

المُتَّيِب دَبَاجِيه ؛ وَكَيْفَ لَا ؟ وَأَبُوهُ - أَعْلَى اللَّهِ تَعَالَى جَدُّهُ - صَاحِبُ الْحَيْدِ الْأَيْمِيلِ ،
وَالْفَضْلُ الْأَيْمِيلُ ، وَوَكِيلُ السَّلْطَنَةِ الَّذِي إِذَا تَأَمَّلْتَ مَحَاسِنَهُ قَالَتْ : حَسْبُنَا اللَّهُ
وَنِعْمَ الْوَكِيلُ .

فَلْيَبْشُرْ هَذِهِ الْوُظَيْفَةَ بِرَأْيِ يُسَهِّلُ - بِمَشِيئَةِ اللَّهِ - صَيْرَهَا ، وَبُحْكُ - بَعْنُ اللَّهِ -
أَسِيرَهَا ؛ وَأَجْتَهِدِ سَنِيَّ يُحَسِّنُ قَلَمُهُ فِي الْأُمُورِ مَسْرِيَّ ، وَأَعْتَدِ مَسْرِيَّ لَا يَرَى دِيَوَانُ
أَمْرِي مِنْهُ أَمْرِي ؛ مُشَبِّهًا أَبَاهُ فِي عَدْلِهِ وَمِنْ أَشْبَهَ أَبَاهُ فَا ظَلَمَ ، وَتَوَقَّدَ رَأْيُهُ لَدَى
طَلُودِ حِلْمٍ وَعِلْمٍ «فِيَالِكَ مِنْ نَارٍ عَلَى عِلْمٍ !» ؛ حَتَّى يَأْمَنَ دِيَوَانُ مَبَاشَرَتِهِ مِنْ ظُلْمِ الظَّالِمِ ،
وَيُشْعِلَ ذَكَاءَهُ حَتَّى يَقَالَ : عَجِبًا لِلشَّعْلِ نَارًا وَهُوَ سَالِمٌ ! ؛ وَيُسْمَرُ مَالُ الْجُهْمَةِ بِتَدْيِيرِهِ ،
وَيُسْتَرَكُ لَفْظُ إِطْلَاقِ الدِّيَوَانِ فِي مَالِهِ وَأَسِيرِهِ ، وَتَنْتَقِلُ الْأَمْرِي مِنْ رُكُوبِ الْأَدْلَامِ
إِلَى رُكُوبِ الشُّهْبِ وَالْحَجَرِ مِنْ دَرَاهِمِهِ وَدَنَانِيرِهِ ؛ وَيُعْجَدُ عَلَى الْإِطْلَاقِ ، وَيَنْفُقُ خَشْيَةَ
الْإِمْسَاكِ إِذَا أَمْسَكَ [غَيْرُهُ] خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ ؛ وَيَمِشِي بِتَقْوَى اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - فِي الطَّرِيقِ
الْأَلَاحِبِّ ، وَيُنَسَّبُ إِلَى دِيَوَانِهِ وَقَوْمِهِ فَيَقَالَ : صَاحِبُ طَالَمًا أَنْتَسِبَ مِنْ سَلَفِهِ
لِصَاحِبٍ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يُنَجِّحُ لِكُلِّ رَأْيٍ مَسِيرًا ، وَيَجْبُرُ بِهِ مِنْ ضَعْفِ الْحَالِ كَيْسِيرًا ،
وَيُكَافِي سَادَاتِ بَيْتِهِ الَّذِينَ (يُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا) .

المرتبة الثالثة

(من تَوَاقِعِ أَرْبَابِ الْوُظَايِفِ الدِّيَوَانِيَةِ بِمَحَاضِرَةِ دِمَشْقَ -
مَا يُفْتَحُ بِهِ «رُؤُوسُ الْأَمْرِ الشَّرِيفِ»)

وهذه نسخ تواقيع من ذلك :

نسخة توقيع من إنشاء ابن بُنَاتَةَ ، كُتِبَ بِهِ لِلتَّعَاضِي
«علاء الدين بن شرف الدين بن الشهاب محمود» عند موت أبيه وهو صغير ، وهى :

(١) يباشر في الأصل ومله « توقيع بكتابة السر » .

رُئِمَ بالأمر الشريف - لا زال يَجْبُرُ بِهِ مُصَابَ الأبناءِ بآبائهم، وَيُسَرُّهم بما يَتَّحَدُّ من كواكب الشَّرَف من عَلائهم، وَيُعَيِّقُ قُلُوبهم من إِسَارِ الحُزْنِ حَتَّى يَنْشُؤُوا من الصَّغَرِ على أنساب عَفَّتهم وولائهم - أَنْ يَسْتَقِرُّ ... أَعْتَادًا على نَجَاتِهِ الشَّاهِدَةِ، وَتَحَايِلِ هِمَّتِهِ السَّائِدَةِ ؛ وَأَسْتَنَادًا إِلَى أَصَالَتِهِ الَّتِي لَا يُدَيُّ فَرْعُهَا إِلَّا زَكَى الثَّمَرُ، وَلَا يَهْدِي بِحَرْهَا إِلَّا أَنْفَسَ الدَّرَرُ، وَلَا يَخْلَفُ أَقْفُهَا إِلَّا كَبِيرًا تَسْتَصْغِرُ الأَبْصَارُ رُؤْيَتَهُ: وَالذَّنْبُ لِلطَّرْفِ لَا لِلْكَوَكِبِ فِي الصَّغَرِ؛ وَعَلِمًا أَنَّهُ مِنْ أَسْرَةِ شَهَابِيَّةٍ لَا يَهْدِي فِي الْإِنْسَاءِ إِلَّا بَنُورِهِمْ، وَلَا يَسْتَلُثُّ بِالْعَجَائِبِ إِلَّا عَنْ بُحُورِهِمْ، وَلَا يَنْبُتُ أَفْلامُ الْبَلَاغَةِ إِلَّا عُشْبُهُمْ، وَلَا تُعْسِبُ رَوْضَاتِ الصَّحَائِفِ إِلَّا مُجْبُّهُمْ، وَلَا تُثَبِّتُ أَفْلاكَ الْكَتَابَةِ إِلَّا كُنُوبُهُمْ ؛ صَغِيرُهُمْ فِي صَدُورِ الْإِنْسَاءِ كَبِيرٌ، وَمُلَقَّنُ آيَاتِ فَضَائِلِهِمْ يَرُوي أَعْدَادَ الْقَوَائِدِ عَنْ «أَبْنِ كَثِيرٍ»، وَعُلِيمُهُمْ بَعْدَ «أَبِي بَكْرٍ» يَقُولُ الْمُحَامِدُ لِسَلَفِهِ وَخَلْفِهِ: مَتَى أَمِيرٌ وَمَتَى أَمِيرٌ؛ وَأَنَّهُ الْيَوْمَ لَا سَيْفَ إِلَّا «ذُو الْفَقَارِ» مِنْ أَذْهَانِهِمْ، وَلَا قَتَى إِلَّا «عَلِيٌّ» مِنْ وَلَدَانِهِمْ، وَأَنْ فَرَّخَ الْبَطْ سَابِجٌ، وَسَعَدَ الْقَوْمَ لِلْأَنْدَادِ ذَائِجٌ؛ وَخَوَاتِمُ مُحُفِّ الْجَمْعِ الظَّاهِرِ أَشْبَهُ بِالْفَوَائِحِ، وَالْبَلَاغَةُ فِي الدُّنْيَا كَنُوزٌ وَالْأَفْلامُ فِي أَيْدِيهِمْ مَفَاتِيحٌ؛ وَأَبَتْ الْكَلَامَ حَلِيتُهُ وَسَمَّتُهُ ^(١)، وَأَنَّهُ إِذَا خَدَمَ دَوْلَةً بَعْدَ مُحَلَّفِهِ قَبْلَ لِلذَّاهِبِ: لَقَدْ أَوْحَشْنَا وَجْهَهُ وَلِلْقَادِمِ: لَقَدْ آذَنْتْنَا خِدْمَتَهُ .

فَلْيَأْخُذْ فِي هَذِهِ الْوِظِيفَةِ بِقُوَّةِ كِتَابِهِ، وَلِيَتَنَاوَلَ بِالْيَمِينِ وَالْيَمِينِ قَلَمَ جَدِّهِ كَمَا تَنَاوَلَ رَايَةَ مَجْدِهِ عَرَابَهُ؛ وَلِيَتَقَلَّدَ بِقَلَامِهِ هَذِهِ النِّعَمَ عَقِيبَ مَا تَزَعُ الْغِيَامُ، وَلِيَجْتَهِدَ فِي إِمْرَارِ كِتَابِهِ الْحُلُومَ الَّتِي أَوَّلَ سَمَائِهِ قَطَرُ نَمِ صَوْبِ الْغِيَامِ؛ مُجُودًا خَطَّهُ وَلَقَطَهُ حَتَّى تَنْتَاسِبَ عَقْدُهُ، نَاشِئًا عَلَى كَتَمِ السَّرْحِ حَتَّى كَانَتْ الْقَوَادِرُ قَبْرَهُ وَالْجَنَبُ لَحْدَهُ؛ مُهْتَدِيًا بِالْعِلْمِ الشَّهَابِيَّ فِي رِأْسِهِ الْأَكْبَرِ فَإِنَّهُ مِنْ بَوَارِقِ الْمَرْتَبِ، مُبْتَدِيًا مَعَ أَخِيهِ الْأَخْرِ السُّرُورِ إِذْ يَتَرَعُ

(١) فِي الْأَمَلِ هَكَذَا "وَأَنْ الْكَلَامَ عَلِيمٌ" .

عنهما لباسهما من الحزن ؛ والله تعالى يزيد في فضله ، ويتم عليه النعمة كما أتمها على
أبيه من قبله ، ويقفه في السيادة حتى يحسن في القمار رد القرع إلى أصله .



توقيع بنظر مطابخ السكر ، من إنشاء ابن نباتة ، كُتب به للقاضى « شرف الدين
ابن عمرون » وهو :

رُسم ... - لا زالت سمة المناصب في دولته الشريفة مشرفة ، وأعلام الكفاة
مُصرفة ، وألفاظ الشكر ثابتة عند ذوى الاستحقاق ومُصنفة ، والنماء المنصفة
لأمثالهم حلوة المذاقين من نوح ومن صفة - أن يستقر ... لما عُرف من
شيمه المستجادة ، وحميه المستراة ، وكفائه اللاتي بها حُسن النظر الثابت بفضائلها
رقم الشهادة ، وأصاليته التي نهض أولها بهجمات الدول فلوراه معاوية - رضى الله
عنه - لقال : يا عمرؤ أنت عمرؤ وزياده ؛ وليا ألف من مياشرته المتينة خبراً
وخبراً ، وأنظاره السامية إلى معالى الأمور نظراً ؛ ووظائفه التي لا يكاد يبلغ العشر
منها ذوو الهمم العليد ، وجهاته التي عُرف بها سلفه وخلفه فلا غرو أن ليس عمامة
مفاتيحه بيضاء وسكرية .

فلباشر هذه الوظيفة الحلو معنى ومذاقا ، الحلية عقدا ونطافا ، المحسوبة على
مطالع الشرف وفقاً وآفاقا ؛ جاعلاً شكر النعمة من أوفى وأوفر مزاياه ، وصَلَفِ الهمة
من أولى وأول وصاياه ؛ حافظاً للطابع وإن كان عادة آباؤه بئسها ، مَذْحِراً للجنان
وإن كانت سمة قراهم إزالاًها وتقلها ؛ حريصاً على أن لا يعمل لأيدى الأعلام الخائنة
مطمحاً ، وعلى أن يُنشد كل يوم للتدبير لا للتبذير .

* [لنا] الجففات الغريمتين فى الضحى *

مُحَرَّرًا لِحَسَابِ دِرْهَمِهَا وَتَحْمُولِهَا ، وَمَصْرُوفِهَا وَمَحْصُولِهَا ؛ مُحْتَرِّزًا عَلَى مُبَاشَرَتِهِ
 مِنَ الْخَطَلِ فِي هَذَيْنِ الْمَكَانَيْنِ ، حَذَرًا مِنْ كِفَّتِهَا وَقَبَانِهَا تَتَكَلَّمُ فِي الْحَمْدِ أَوْ فِي الذَّمِّ
 بِلِسَانَيْنِ ؛ بَلْ تُعَلِّقُ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - بِجَنَدِهِ الْمُقَرَّرِ ، وَتُكْرِّرُ الْأَحَادِيثَ الْحَلُوهَ عَنْهُ فَمِنْ
 عِنْدِهَا نَخْرُجُ حَدِيثُ الْحُلُوهِ الْمَكْرُورِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يُبَدِّدُ مَسَاعِيَهُ بِالنَّجْجِ الْوَقْفِيِّ ، وَيُلْهِمُ هِمَّتَهُ
 أَنْ تُنْشِدَ : « مَا أَبْعَدَ الْعَيْبَ وَالنَّقْصَانَ مِنْ شَرَفِي ! » .



تَوْقِيعُ بَنْظَرِ دَارِ الطَّرَازِ ، مِنْ إِنْشَاءِ آيَاتِ نُبَاتِهِ ، وَهُوَ :

رُسمُ بِالْأَمْرِ - لَا زَالَتْ سِيرُهُ بِمَرْقُومِ الْحَمَامِدِ مُطَرَّزَهُ ، وَدَوَّلَتُهُ بِمَحَاسِنِ التَّائِيدِ وَالتَّائِيدِ
 مُعَزَّزَهُ ، وَنِعْمُهُ وَرِقْمُهُ : هَذِهِ عَلَى الْأَعْدَاءِ مُجَهَّزَةٌ وَهَذِهِ إِلَى الْأَوْلِيَاءِ مُجَهَّزَةٌ - أَنْ يَرْتَبَّ
 فَلَانٌ : لِكِتَابَتِهِ الَّتِي رَقَّتِ الطُّرُوسُ ، وَطُرُزَتْ بِالظُّلُمَاءِ أُرْدِيَةِ الشُّمُوسِ ، وَأَثْمَرَتْ
 أَقْلَامُهُ بِمَحَاسِنِ التَّضْيِيرِ فَكَانَتْ فِي جِهَاتِ الدُّوَلِ نِعَمَ الْفُرُوسِ ؛ وَحِسَابِهِ الَّذِي نَاقَشَ
 وَنَقَشَ ، وَرَقَّمَ الْأَوْرَاقَ وَرَقَشَ ؛ وَأَعْتَزَّاهِ الَّذِي عَلَّمَ رَشْدًا ، وَسَلَّمَ طَرِيقًا إِلَى الْخِدْمَةِ
 جَدِّدًا ، وَقَوَّى آسَمَهُ وَتَكَاثَرَتْ أَوْصَافُهُ فَمَا كَانَ مِنْ أُنْدَادِهِ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقْلَ عَدَدًا ؛
 وَأَنَّهُ الْكَافِي الَّذِي إِذَا قُدِّمَ نَهَضَ ، وَإِذَا سُدَّ سَهْمَ قَلْبِهِ أَصَابَ الْفَرَسَ ؛ وَالسَّامِي
 إِلَى سَمَاءِ رُبِّيهِ بِالْقَلْبِ وَالطَّرْفِ ، وَالْمُتَزَّهِ لِقَلْبِهِ الْحُرِّ مِنْ أَنْ يَسْتَعْبِدَ عَلَى حَرْفٍ .

فَلْيَبَاشِرْ هَذِهِ الْوُظُفَةَ بِكَفَاءَةٍ عَلَيْهَا الْمُعَوَّلُ ، وَأَقْلَامِ إِذَا تَمَشَّتْ فِي دَارِ الطَّرَازِ عَلَى
 الْوَرَقِ قِيلَ : « شَمُّ الْأَنْوَفِ مِنَ الطَّرَازِ الْأَوَّلِ » ؛ مُسْتَدْعِيًا لِأَصْنَافِهَا وَمَالِهَا ، عَادِلًا
 فِي قِسْمَةِ رِجَالِهَا وَرِجَالِهَا ؛ مُعَيِّلًا رَاحَتَهُ بِالْقَلَمِ فَإِنَّ كِتَابَتَهَا مُتَعَبَةٌ ، مُهَنْدِيًا فِي طَرِيقِ
 حِسَابِهَا فَلْيَبَاشِرْ طَرِيقَ مُتَعَبَةٍ ؛ مَاشِيًا عَلَى نَهْجِ الْأَحْتِرَازِ ، سَاعِيًا إِلَى الرُّتَبِ بِإِرْهَافِ
 عِزِّهِمْ كَالسَّيْفِ الْجُرَّازِ ، سَعِيدَ السَّعْيِ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى - حَتَّى يَقُولَ سَيِّئُ الْمَلِكِ

المُسْتَبْصِرُ لَهُ : هَذَا الْقَاضِي السَّعِيدُ وَهَذِهِ دَارُ الطَّرَازِ ؛ وَاللهُ تَعَالَى يُوَفِّقُهُ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِ ، وَيُؤَيِّدُ مَسَاعِيَ قَلْبِهِ الَّذِي تَنْبِجُ أَقْلَامُ الْكُفَاةِ عَلَى مَنْوَالِهِ .



تَوْقِيعٌ بِنَظَرِ الرَّبَاعِ ، مِنْ إِنْشَاءِ الشَّيْخِ صَالِحِ الدِّينِ الصَّفَدِيِّ ، بِاسْمِ الْقَاضِي نَجْمِ الدِّينِ «أَحْمَدُ بْنُ نَجْمِ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الطَّيِّبِ» ، وَهُوَ :

رُسِمَ بِالْأَمْرِ الْعَالِي - لَا زَالَ تَجَمُّ أَوْلِيَائِهِ يَتَقَدُّ نُورًا ، وَخَاطِرُ أَوْلِيَائِهِ يَجْتَدُّ بِالْأَمَالِ سُورًا - أَنْ يَرْتَبِ الْمَجْلِسَ السَّامِيَ الْقَضَائِي - أَدَامَ اللهُ تَعَالَى مُلُوكَهُ - فِي نَظَرِ الرَّبَاعِ الدِّيَوَانِيَّةِ ، وَمِبَاشَرَةِ الْإِيْتَامِ - حَرَمَهُمُ اللهُ تَعَالَى - عَلَى عَادَةٍ مِنْ تَقَدُّمِهِ وَقَاعِدَتِهِ ، بِالْمَعْلُومِ الَّذِي يَشْهَدُ بِهِ الدِّيَوَانُ الْمَعْمُورُ إِلَى آخِرِ وَقْتٍ : لِأَنَّهُ التَّجَمُّ الَّذِي بَرَّغَ فِي أَفْقِ الرَّأْسِ ، وَجَمَلٌ مَا أَتَرَهُ قَبِيلُهُ وَأَنَاسُهُ ؛ وَالْأَصِيلُ الَّذِي شَادَ الْفَضْلُ بِجَدِّهِ ، وَأَحْكَمُ الْفَخْرُ عَقْدَهُ ؛ وَالرَّيْسُ الَّذِي يَصْلُقُ التَّفَرُّسُ فِي شِمَائِلِهِ ، وَيَحْكُمُ الظَّنَّ الصَّائِبَ فِي أَثْنَاءِ غَيَابِهِ .

فَلْيَبَاشِرْ ذَلِكَ مِبَاشَرَةً هِيَ مَعْرُوفَةٌ مِنْ هَذَا الْبَيْتِ ، مَأْلُوفَةٌ مِنْ كَبِيرِهِمْ وَصَغِيرِهِمْ : فَإِنَّهُمْ لَا تَوَفِيَهُمْ وَلَا يَتِ ؛ مُعْتَمِدًا عَلَى سُلُوكِ طَرِيقَةِ إِخِيهِ وَأَبِيهِ ، مُجْتَهِدًا عَلَى آتِبَاعِ اعْتِمَادِهِمَا فِي تَوْجِيهِ الصَّوَابِ أَوْ تَأْيِيهِ ؛ حَتَّى يَقَالَ : هَذَا صِنْتُ ذَلِكَ الْفَضْلِ النَّاصِرِ ، وَهَذَا شَبِيلُ ذَلِكَ اللَّيْلِ الْخَادِرِ ؛ وَتُصْبِحُ الرَّبَاعُ بِحُسْنِ نَظَرِهِ آهَلَةً بِالْأَهْلِ ، كَاسِلَةً بِالْحَاسَنِ الَّتِي تُنْمِي الْأَقْسَارَ مِنْهَا مُسْتَهْلَةً ؛ وَتَعُودُ الْإِيْتَامُ بِمِشَارِقَتِهِ كَأَنَّهُمْ لَمْ يَفْقِدُوا بِرَّ وَالِدِهِمْ ، وَلَمْ يَحْتَاجُوا مَعَ تَدْيِيرِهِ إِلَى مُسَاعِدِهِمْ . وَالْوَصَايَا كَثِيرَةٌ وَأَهْمُهَا تَقْوَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فَإِنَّهَا الْحِصْنُ الْأَوْقَى ، وَالْمَعْقِلُ الْمُنِيعُ الْمَرْقَى ؛ فَلْيَتَحَذَّهَا لِعَيْتِهِ نَصْبًا ، وَلْيَشْغَلْ

بها صَمِيرَهُ حَتَّى يَكُونَ بِهَا صَبَاً ، والله تعالى يُنَمِّي غُصْنَهُ النَّاصِرَ ، وَيُكْبِلُهُ الْقَلْبَ
وَالنَّاطِلَ ! وَالخَطُّ الْكَرِيمُ أَعْلَاهُ اللهُ تَعَالَى أَعْلَاهُ ، حُجَّةٌ فِي ثُبُوتِ الْعَمَلِ بِمَا اقْتَضَاهُ ؛
وَاللهُ الْمَوْفِقُ بِمَنْهَ وَكَرَمِهِ ! .



تَوَقَّعٌ بِاسْتِيفَاءِ الْمَقَابِلَةِ وَاسْتِيفَاءِ الْجَيْشِ ، وَهُوَ :

رُسْمٌ بِالْأَمْرِ - لِإِزَالَةِ الْمُنَاقَبِ فِي دَوَائِلِهِ الشَّرِيفَةِ شَمْسِيَّةِ الْأَنْوَارِ ، قُرْشِيَّةِ الْفَخَّارِ ،
مُشْتَقَّةِ الْحَامِدِ مِنَ الْأَسْمَاءِ وَالْآثَارِ ، مُحْصَلَةُ بِأَقْلَامِ الْيَمِينِ مَا يَسُدُّهُ الْكَرَمُ مِنْ أَفْسَامِ
الْيَسَارِ - أَنْ يَسْتَقَرَّ ... حَسَبَ الْأَسْتَحْقَاقِ الْمَقْتَضَى ، وَالِاخْتِيَارِ الْمُرْتَضَى ؛ وَعَيْنِ
الرَّأْيِ الَّذِي مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الرَّأْيِ حَاجِبٌ ، وَتَقَدُّمِ السَّنَةِ الْقَدِيمَةِ فَإِنَّ التَّقْدِيمَ لِقُرَيْشٍ
وَاجِبٌ ؛ وَلِأَنَّ الصِّفَاتِ الشَّمْسِيَّةَ أَوْلَى بِشَرَفِ آقَافِهَا ، وَمَنَازِلِ إِشْرَافِهَا وَإِشْرَافِهَا ،
وَمُطَالَعِ سَعِيدِهَا الْمُتَرَهَّةِ عَنِ اللَّبْسِ ، وَجَلَّالِ قَلَمِهَا الْعُطَارِدِيِّ فِي يَدِ الشَّمْسِ ؛
وَلِأَنَّ الْمَشَارِ إِلَيْهِ أَحَقُّ بِمَصَاعِدِ الْمُرْتَقِينَ ، وَلِأَنَّهُ تَرْتَبُ فِي بَيْتِ التَّقَى فَكَانَ اللهُ مَعَهُ
إِنَّ اللهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ .

فَلْيَبْأِشِرْهُمَا تَيْنِ الْوُظُفَتَيْنِ عَلَى الْعَادَةِ الْمَعْرُوفَةِ بِعَزَمِهِ السَّيِّدِ ، وَمَدَّتْ قَلَمَهُ الَّتِي
بَحَرَهَا فِي السَّبْعِ بَسِيطٌ وَظَلَّهَا فِي الْفَنَعِ مَدِيدٌ ؛ وَلِيَتَمَثَّلَ بِدِيَوَانِ مُقَابَلَةِ فَرِيدًا لَا يَرْهَبُ
مُثَالَمَتَهُ ، وَلِيَجْبُرَ أَحْوَالَهَا بِضَيْطِهِ حَتَّى يَجْمَعَ بَيْنَ الْجَبْرِ وَالْمُقَابَلَةِ ؛ وَلِيُجِدَّ الْجِيُوشَ الْمَنْصُورَةَ
مِنْ أَوْرَاقِهِ بِأَعْلَامِهِ ، وَمِنْ قَصَبَاتِ السَّبْقِ بِرِمَاجٍ تُعَرِّفُ بِأَقْلَامِهِ ، وَلِيَسْتَرْفِعَ مِنْ
الْحُسْبَانَاتِ مَا يَحْمُو بِإِيضَاحِهِ وَتَكْيِيلِهِ مِنْ مُقَدِّمَاتِ ظُلْمٍ وَإِظْلَامٍ ، وَلِيَجْمَعَ بَيْنَ ضَرْقِ
الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فِي شَرِيعَةِ الْإِسْلَامِ ؛ وَاللهُ تَعَالَى يُمِدُّ قُرَيْشَتَهُ بِأَنْصَارٍ مِنَ الْعَزَمِ ، وَتَابِعِينَ
بِإِحْسَانٍ مِنْ نَوَافِدِ نَوَافِلِ الْحَزْمِ .



تَوْفِيعُ بَصَحَابَةِ دِيَوَانِ الْأَسْوَاقِ ، مِنْ إِنْشَاءِ الشَّيْخِ جَمَالِ الدِّينِ بْنِ نُبَاتَةَ ، وَهُوَ :
رُسمُ بِالْأَمْرِ - لَا زَالَتْ أَسْوَاقُ نِعْمَةٍ قَائِمَةٍ ، وَأَجْلَابُ كَرَمٍ دَائِمَةٍ ، وَلَا بَرَحَتْ
الْمَنَاصِبُ مُكَلَّلَةً بِكُفَاةِ أَيَّامِهِ الَّذِينَ يُحَقِّقُونَ ظُنُونَهَا السَّامِيَةَ وَيَرْعَوْنَ أَحْوَالَهَا
السَّائِمَةَ - أَنْ يَرْتَبَ فَلَانٌ : عِلْمًا بِكَاتِبَتِهِ الَّتِي وَصَّيَتْ الدَّقَاتِرَ أَحْسَنَ سِمَةٍ ،
وَأَسْتَبَقَتْ إِلَى صُنْعِ الْخَيْرِ الْمُسَوِّمَةِ ، وَكُفَاةٍ الَّتِي لَا تَزَالُ تَمُولُهُ وَتَقْتَنِي ، وَرَاعَتِهِ
الَّتِي إِذَا سُئِلَ عَنْهَا السُّوقُ قَالَ : هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّلُ عَلَيْهَا وَأَهْشُ بِهَا عَلَى غَنِيِّ ، وَدِرَارَتِهِ
الَّتِي تُعِينُ الْمَلِكَةَ عَلَى الْمِيرَ ، وَيَتَمَدُّ يَمِينُهَا أَنَّ الْخَيْلَ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرَ ، وَتُحَقِّقُ فِيهِ
الظَّنَّ وَالْأَمَلَ ، وَتَحُوطُ السُّوقَ عَنِ الْخِلَاطِ حَتَّى يَقُولَ : لَا نَاقَةَ لِي فِي هَذَا وَلَا جَلَّ ؛
وَأَنَّهُ الْكَافِي الَّذِي إِنْ قَالَ أَوْفَلَ كَانَ مُسَدَّدًا ، وَإِنْ ضَبَطَ دِيَوَانَ الشَّدِّ السَّعِيدِ كَانَ
عَلَى الرَّائِبِينَ مِنَ الْكُتَيْبَةِ حَرَقًا مُشَدَّدًا .

فَلْيَبْشُرْ هَذِهِ الْوُظَيْفَةَ الْمُبَارَكَةَ مُتَمَكِّنَ الْأَسْبَابِ ، مَالِكِ الْحَزْمِ وَالرَّفْقِ حَتَّى تَنْكُرَ
لَدَيْهِ الْجُلَّابَ ، مُعِينًا لِبَيْتِ الْمَالِ عَلَى الْإِنْفَاقِ ، قَائِمًا بِمَحَقُوقِ دَوَى الْأَسَاحِقِ ،
عَالِمًا أَنَّهُ [مَتَوَلَّى] أَكْثَرُ جِهَاتِ الْخَيْرِ الْمُطْلَقِ فَلْيَكُنْ بِهَا مَشْكُورًا عَلَى الْإِطْلَاقِ ، مُجْتَهِدًا
فِي رِضَا الْمَطَالِينِ حَتَّى يَذْهَبُوا سَنَنَ الْمُرْسَلِينَ فِي هَذِهِ [الْصِنْفَةِ] بِأَكْثَرِ الْطَعَامِ وَيَمْشُونَ
فِي الْأَسْوَاقِ ، مُوَظَّابًا عَلَى الدِّيَوَانِ الَّذِي هُوَ بَصَحَاتِهِ مَعْدُوقٌ ، سَالِكًا سُبُلَ الصَّبَابَةِ
وَالْكَفَاءَةِ فَكَلَاهُمَا نِعَمَ السَّبِيلِ الْمَطْرُوقِ ، مُخْتَرِزًا مِنْ ذِي خِيَانَةٍ إِنْ غَفَلَ عَنْهُ طَلِيقٌ
مَسْحًا بِالسُّوقِ ، وَاقِعَةً تَعَالَى يُوفِّقُ عِزَائِمَهُ الَّتِي هِيَ أَشْهَرُ مِنْ عِلْمٍ ، وَهَمَّتْهُ الَّتِي قَاسَمَتْ .
« أَبَا الطَّيِّبِ » : « وَالْخَيْلُ تَشْهَدُ وَالْقُرْطَاسُ وَالْقَلَمُ » .



نسخة توقيع بشهادة الخزانة العالية ، من إنشاء آبن نبأته ، كُتِبَ به لجمال الدين
«عبد الله بن العاد الشيرازي» وهي :

رُئِسم بالأمر الشريف - لا زالت سِمةُ المناصب في دولته بأسماء الكفأة مجلّة ،
وخلعُ المفاز على يوت السيادة مُكلّة ، وترازنُ الملك بين قَبِضَيْنِ من جنس واحد :
فبينما هي بأقلام الكفأة مُحَفَظَةٌ إذا هي بأقلام الكفأة مُبِلَّة - أن يستقر المجلس
السامى ... : علما بحاسنه التي وَجَّعَ جَملُها ، وَفَسَّحَ في العِلاء جَملُها ، وَبَجَّعَ
في منابِ الفضل أصلُها ، وَشَرَّفَ بكواكبِ الثَّمنِ اتِّصالُها ، وَمَعَالِهِ التي تَهَلَّلَ بها
وَجْهَ الأَصْلَ ، وكل بيت الرأسة والجلالة ، وَمَساعِيهِ التي أَسْتَوْفَى بها أَجْناسُ
الفضل وتوريته فما أَخْذَها عن كَلالٍ ولا وَرَثَها عن كَلالَةٍ ، وَسِيرَتِهِ التي تَعْلَوِي
نَقَارَ الأَقْرانِ حينَ تَنْشُرُ ، وَهَمَّتِ التي أَشْدَتِ السَّعَادَةَ فَرَعَهَا الكَرِيمَ : «مباديك
في العِلاء غايةُ مَعَشَرٍ» ؛ وَمَكَاتِهِ من بَيْتِ السيادة الرِّفيعِ عِمادُهُ ، البَدِيعِ سَنَدُهُ المُنْبِيعِ
سِنادُهُ ، المَدِيدِ من تَلْقَاءِ الحِجْرَةِ طُنْبُهُ الثَّابِتَةِ من حِزِّ التَّجْوِمِ أَوْتادُهُ ، وَأَنَّهُ نَجْمُ السَّراةِ
الذين أَخْذُوا من الفضل في كُلِّ وادٍ ، وَأَسْتَشْهَدُوا على مَنابِقِهِم كُلِّ عَدُوٍّ كُلِّ وادٍ ؛
وَحَمَلُوا من صَناعتِهِم رَاياتِ عَبَّاسِيَّةٍ سارَتْ بها رِياحُ أَقلامِهِم تحت أَدْبَعِ سَوادٍ ،
وَمَلَكُوا قَدِيمَ الأوطانِ بِشَرَفِ الأخيرِ : فسواءُ على شيرازِ عَماَسُنُ « آبن العميد »
وعماَسُنُ « آبن العِلاء » ؛ وَتَيَقَّنَتْ مَنابِقُهُم بِهَذَا التَّجَلِّ السَّعِيدِ طُرُقُ المَراتِبِ كَيْفَ
تُسَلِّكُ ، وإِحْرازِ المناصب كَيْفَ يَكُونُ لها يَدُ أربابِ اليُوتِ أَمَلَكُ ، وَدَرَجَاتِ
الوظائف كَيْفَ تُسَرُّ الوالِدَ بالوالِدِ حَتَّى يَقُولَ : لا أَبالِي هي اليُومَ لِي أَمَ لَكَ ؟ ؛
تَمَّ اسْتَنْهَضَ والدُهُ لَجليلَ فَكَنَى ، وَجَمِيلَ قَصِيدَ فَوْفِي ؛ وَأَوَقَاتٍ عَلَتْ حَتَّى أَصْغَتْ

إلى علاه تنسب، ومناصب رزق - بتقواه فيها - من حيث يحتسب ومن حيث لا يحتسب؛ وجاء هذا الولد ذخيرة والده حسنت الخزانة الدخيرة، وعصدت الأولة من السيادة بالآخيرة .

فليأشر هذه الوظيفة مباشرة هي أعلى منها وأشرف سيرة؛ مجتهداً فيما يبيض وجهه عليه ونسبه، عارفاً قدر هذه الرتبة من أوائل رتبته، متيقظاً الأفكار والطرف، متأرجحاً العصية إذا ذكروا العرف، زائجاً يترشده على التعليق فلا يتقد عليه في متحصل ولا صرف؛ حتى تقول الخزانة: نعم العزم الشاهد! وحتى يشهد بوفاء فضله المضمون، وحتى يعلم بامانة أن عبد الله هو «المؤمن»؛ وتقوى الله تعالى في الوصايا أول وأولى ما تمسك به، وأستقام على شرف منهجه، والله تعالى يسر الإسلام بنبهه قدره ويقر الأوصاف بمهذه! .



توقيع بشهادة الأسوار، وهو :

رسم بالأمر - لا زال يمد على الإسلام من عنايته سورا، ويمد للأولياء راء ميسورا، ويسمعه بكل توقيع يكون بالحساب يوم القيامة كتاباً يلقاه منشورا - أن يرتب المجلس : علماً بزمه الساهد، وجزيه الشاهد؛ وكفاته وأمانته التي ما كان وصفها حديثاً يفتري، ونظراً لحاله وحال الأسوار: فإلما شهادة كان أصلها نظرا .

فليأشر هذه الرتبة المباركة كما عهد منه مباشرة حسنة الآثار، مشرقة الأنوار، جاعلة تلك العار حيلة ليدشق : فينا هي سور إذا هي سوار؛ ضابطاً لتحصيلها ومصرفها، محرراً لوقفها محترراً من وقوفها، جارياً على جميل عادته، زائجاً بكم الله

تعالى على التوفيق تبرئته ، حتى تشهد هذه الوظيفة بهيئته المتمكنة الأسباب ،
ويضرب بين المدينة وبين من كادها بسور باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ؛
والله تعالى يسدده في كل أمر ، ويحفظ همته وبركته «ليوم كريهه وسداد فقر» .



توقيع بمشارقة خزان السلاح ، لمن لقبه «جمال الدين إبراهيم» وهو :

رسم بالأمر العالي - أعلى الله تعالى أعلام حبه ، وجعل أحكام المقادير من
جنته ، ولا زالت أفلاك الشهب من خزان سلاح سعه - أن يرتب ... : حملا
على حكم التزول الشرعي ، والطلوع إلى رب الاستحقاق المرعي ؛ وعلما بكفائته
التي بلغت آمالا ، وجعلت للوظائف بذكره جمالا ، وثمرت بقلبه للبهات مالا ،
وأوصلته على رغم الأنداد لما لا ؛ وأعتادا على أماته التي أعدها ملاذا ، وأكتفى
بها سلاح عزمه نقادا ، وصيانتته التي طالك أعرض [لها] عرض الدنيا فقالت :
يا إبراهيم أعرض عن هذا ؛ واستنادا إلى تشاته في بيت علت في المناصب أعلامه ،
وصدقت في المراتب حلومه وأعلامه ، وتأسبت الآن تصرفاته السعيدة : فلما في تدبير
الجوش وإما في تغيير السلاح أعلامه .

فليأثر هذه الوظيفة المباركة بعزم بآدى النجا والنجاح ، وقلى على حاقى وظيفته
وهيته ماضى عزم السلاح ؛ مقررًا لعمليها ومعمولها ، ضابطًا لواصلها وتحملها ؛ حتى
يتهب لسان سيفها بشكره ، وتطلع أهله قسيها بيمين ذكره ، وتكون كعوب رماحها
كلها كعب مباركة بمشارته وبشيره ؛ والله تعالى يسد قلوبه في وظيفته تسديد
سهامها ، ويوفر له من أنصبا المرائد ومسامها .



قلتُ : وهذا تَوَقُّعٌ بوظيفةٍ بكاتبَةِ ديوانِيَةِ لِسَامِرِيٍّ ، من إنشاءِ الشيخ جمال الدين بن نُبَاتَةَ ، وهو :

رُئِسمَ بالأمر - لا زالَ قَلَمُ أُوامِرِهِ الفِضَى يُظهِرُ ثَمَرَهُ ، مُسَمِّعاً حَدِيثَ الإِنعامِ
الشامِلِ حَتَّى اسْمِهِ - أَنْ يَرْتَبَ فُلانٌ في كَذَا : عِلْماً بِكُفائَتِهِ الَّتِي يُعَدُّ بِهَا في قَوْمِهِ على
سُلُوكِ النَّبِيِّ ، وَحَدِيقِ حِسابِهِ الَّذِي هُوَ الَّذِي مِنَ السَّالَوِيِّ مُجْتَنِبُهُ وَمُجْتَنِبُهُ الَّتِي
إِذَا اخْتَارَهَا اخْتِيارَ قَوْمِ مُوسَى فَازَ مِنَ العَمَلِ بِمَطْلُوبِهِ ، وَإِذَا قِيلَ : يا سَامِرِيُّ
ما قَدَّمَكَ على القُرْباءِ في الحِسابِ ؟ قالَ : بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ ، وَأَمَانَتِهِ الَّتِي
حَاطَتْ حِياطَةَ الصَّعْدَةِ السَّمْراءِ ، وَرَفَعَتْ رَأْيَتَهُ على الأُنْدادِ قَائِلَةً : ما حَاطَ البَيْضَاءُ
والصُّفْرَاءُ كَصاحبِ الحِمْراءِ ! ، وَأَعْتادًا على كُتائِهِ الَّتِي شَهِدَتْ بِهَا مِنْ حُسبانَتِهِ
الأسْفارِ المُبَيَّنَةِ ، وإِقراءاً لصناعاتِهِ الَّتِي تَحَرَّتِ الفِكرَ حَتَّى قِيلَ : هَذَا مِنْ شَعْبِ
القُرَّايِينَ وَالكَهَنَةِ .

فَلْيُبَاشِرْ هَذَا الاسْتِيفاءَ لأَوْفَى مِنْهُ مُتَرَقِّياً ، وَلِكَلِمَاتِ الاختِيارِ مُتَلَقِّياً ناهِضاً
بِالْخِدمَةِ ، مَجْتَدِداً بِاعْتِزامِهِ الإِسْرائِيلِيَّ ذِكْرَ النِّعَمَةِ ، عارِفاً قَدْرَ الإِنعامِ الَّذِي رَعَى وَتَمَلَّ
كُلَّ ذِمَّةٍ ، سَالِكاً مِنَ الاجْتِهادِ في خِدمَةِ حِسابِهِ كُلِّ طَرِيقَةٍ ، غائِظاً لُحْسادَ مَنْ أَهْلَ
مِلَّتِهِ : فيُعْبِدُونَ العِجْلَ بِجَازٍ وَحَقِيقَةٍ ، مَجْتَهِداً في اسْتِئْزالِ المَنِّ لا المَنِّعِ ، مُؤَدِّداً آلافَ
الحِواصلِ بِعَشِيرِ كَلِمَاتٍ رَأْيَتِهِ مِنْهُ في السَّمْعِ ، مُعَلِّقاً على جَميعِها هَيْكَلًا مِنْ أَمَانَتِهِ فَهُوَ
أَذْرَى في الهَيْكَلِ بِشَرطِ الجَمْعِ ، صائِباً لِنَفْسِهِ مِنْ صُنُوفِ الخِليانةِ حَتَّى لا يَدَّوْ
في سَبْتٍ وَلَا في أَحَدٍ ، مُتَرَفِّهاً عَنِ أَكْلِ المَسالِ مع الخَوَنَةِ حَتَّى يَقَالَ : نِعَمَ السَّامِرِيُّ
الَّذِي لا يَأْكُلُ مع أَحَدٍ .

الضرب الثاني

(من الوظائف الديوانية بالشام - ما هو خارج عن حاضرة دمشق .
وغالب ما يكتب فيها من التواقيع مفتوح بـ «رُسم»)

وهذه نسخ تواقيع من ذلك :

نسخة توقيع بنظر غزّة ، وهي :

رُسم بالأمر - لازال النصر المكرر، يحلو بذكره، والسعد المقرّر، يحلو وبجوه الآمال
بدهره، ولا يرح سراج الخدم مضياً عند ليل إلى نيه الحالك وأمره - أن يستقر
فلا... .. : لِمَا عُرِف في المناصب من نُهوضه الذي راق وراج، وفي المهمات
من رأيه الذي يمتشي أحوال الجهات المستقيمة بسراج ؛ ولِمَا سُهرله في الأنتظار
المتعدّد من علو الهيم ، وفي الوظائف المترددة من العزّات التي يقول السداد :
نَبّه [لها] عمراً ثم تمّ ؛ ولِمَا وُصف من أمانته وِدْرائته وهما المراد [تان] من مثله ،
ورأسة خلقه وخلق المَشِيدِينَ عن حُسن الثناء وسهله ، وآثاره الحميدة المتبقّلات
وكيف لا ؟ وهو المنتسب إلى سلف يحمّد لسأن الإسلام أقرّ عقله ونقله .

فليأثر هذه الوظيفة المباركة على العادة مباشرة يحمّد أثرها ، ويُستد عن صحيح
عزيمه خَيْرها وخَيْرها ، ويورق بمُصنوع الأقلام ورَق حسابها ويورق قمرها ؛ مُجتهداً
فهو من تسَل الجتهدين في عوائد التحصيل والتحصين ، والتأثير والتأثير ، ملياً بما
يُبرّك كسر هذه البلاد بالصحة ويأسو جرحها بعد التعديل ، حريصاً على أن يُحيى -
بمشيئة الله تعالى وتديره - عملها الذي لم يبق الموت من ذمائه غير القليل ؛ سالكاً

من التَّزَاهِ والصَّيَانَةِ طَرِيقَتَهُ الْمُثُلُ، وَمِنَ الْكَفَاةِ وَالْأَمَانَةِ عَادَتُهُ الَّتِي تَرْفَعُ دَرَجَتَهُ -
إِنْ شَاءَ اللَّهُ - إِلَى مَا هُوَ أَعْلَى وَأَعْلَى؛ مُسْتَرَفًّا لِلْحَسَابِ وَلِقَدَرِهِ فِي الْخَلْقِ، شَاكِراً :
فَإِنَّ الشُّكْرَ صَمِيمٌ لَزْدِيَادِ النِّعْمَةِ بَعْدَ النِّعْمَةِ، سِرَاجاً وَهَّاجَ الذِّكْرِ عَلَى الْمَنَارِ وَلَا ظُلْمَ
مَعَ وُجُودِهِ وَلَا ظُلْمَهُ ؛ وَاللهُ تَعَالَى يُعَلِّمُ قَدْرَهُ ، وَلَا يُطِغِي ذِكْرَهُ .



تَوْقِيعُ بَصْحَاةِ دِيْوَانِ الْحَرَمَيْنِ ، مِنْ إِنْشَاءِ ابْنِ نُبَاتَةَ ، لِمَنْ لَقِبَهُ « شَمْسُ
الدِّينِ » وَهُوَ :

رُسِمَ بِالْأَمْرِ - لَا زَالَتْ أَوَامِرُهُ نَافِذَةً فِي الْآفَاقِ ، عَاطِفَةً عَطْفَ النَّسَقِ عَلَى ذَوِي
الِاسْتِحْقَاقِ ، مُطْلَعَةً تَمَسُّ النَّقْيَ وَالْعِلْمَ فِي مَنَازِلِ الْإِشْرَاقِ - أَنْ يَسْتَقِرَّ الْمَجْلِسُ ... :
عِلْماً بِاسْتِحْقَاقِهِ مَا هُوَ أَكْثَرُ وَأَكْبَرُ ، وَأَوْفَى وَأَوْفَرُ ، وَإِطْلَافاً لِنَسَمِهِ وَإِنْ أَعْتَرَضَهَا
غَمٌّ غَمٌّ فِي مَطَالَعِ شَرَفِهَا الْأَثَوْرِ ؛ وَإِعْلَاماً بِأَنَّهُ غَمٌّ يَزُورُ وَيَزُولُ ، وَنَقْصٌ لَا يُقِيمُ
إِلَّا كَمَا يَنْهَبُ عَارِضٌ مِنْ أَقْوَالٍ ؛ وَأَعْتَاداً عَلَى مَا عَرِفَ مِنْ وَفَاءِ صَحَابَتِهِ ، وَأَلْفَ مَنْ
سَنَاءَ دِرَاجَتِهِ وَدِرَاجَتِهِ ، وَوُصِفَ مِنْ أَيَّامِ دِيْوَانَتِهِ ^(١) بَعْدَ أَيَّامِ حُكْمِهِ بَعْدَ أَيَّامِ خَطَاتِهِ ؛
وَأَسْتِنَاداً إِلَى نَشَأَتِهِ فِي بَيْتِ الْعِلْمِ الْمُسْتَفَادِ ، وَالْحُكْمِ الْمُسْتَجَادِ ، وَالْفَضْلِ الْمُسْتَرَادِ ،
وَتَرْبِيَةِ الْوَالِدِ الَّذِي كَانَ الْإِخْتِيَارَ يَحْلِفُ بِالْفَخْرِ أَنَّهُ مَا يَرَى أَظْهَرَ مِنْ ذَاتِ الْعَادِ .

فَلْيُبَاشِرْ صَحَابَةَ دِيْوَانِ هَذَيْنِ الْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ بِأَمَلٍ مَبْسُوطٍ ، وَحَالٍ بَيْنَهُمَا هُوَ
مَنْحَوْسٌ حَقٌّ إِذَا هُوَ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - مَقْبُوطٌ ؛ وَأَجْتِهَادٍ مَضْمُونٍ لِحُدُودِ فَضْلٍ
الزِّيَادَةِ ، وَسَبِيلٍ لَا يَزَالُ بِسَمِيهِ حَتَّى تَجْرِيَ لِمُسْتَقَرِّهَا مِنْ مَنَازِلِ السَّعَادَةِ ، وَمُبَاشَرَةٍ
لِأَوْقَافِهَا ثَمَانٍ وَتُمَادٍ أَجْمَلَ إِعَانَةٍ وَكَلَّ إِعَادَةٍ ، وَصَحَابَةٍ يَنْتَوِعُ فِي نَعْمَتِهَا وَيَتَعَيَّنُ حَتَّى
تَكُونَ [مِنْهُ] عَادَةً وَمِنْهَا شَهَادَةٌ .

أَيَّامُ كَانَ دِيْوَانُهُ . وَهُوَ لَفْظٌ سَخِيفٌ لَيْسَ بِمَرْبِيٍّ .



تَوْقِعْ بنظر الشعرا وبانياس، من إنشاء ابن نباتة، لمن لقبه «صدر الدين» واسمه
«أحمد، بالعود، وهو :

رُسم بالأمر - لا زالت سُدُور الكُفَاة مُنْشِرحةً في أيامه ، مُنْشِرحةَ الآمال
في إنعامه ، ولا بَرِحَ عَوْدُهُ أحمدًا إلى المناصب في ظلال سُيوفه وأقلامه .

ومنه : فليأشِرْ هذه الوظيفة الشاكرة له أولاً وآخرًا ، وليجتهد فيما يزيد من
الاعتناء والاعتناء باطنًا وظاهرًا ، وليستدِرْ بِسُكْرِهِ من النعمة فإِخْلَفَ وَعْدَ الْمُرِيدِ
شاكرا ، وليُخْرِصْ على أن يُرى أبدأ في المراتب صدرا ولا يُرى عن ورود الإحسان
صادرا .



تَوْقِعْ بنظر شخص، من إنشاء ابن نباتة ، كُتِبَ به لابن البدر ناظرٍ شخص
بالتزول من أبيه عند ما أسنَّ ، وهو :

رُسم بالأمر - لا زال حسنُ النَّظَرِ من مواهبه ، ويُبْنِي الظَّفَرِ من مرآكه ، وسقُ
البلاد صَوَّبَ العَدْلَ من بهائيه ، ولا بَرِحَ سنا البدرِ من خَدَمِهِ فإذا أَحْسَ بالسرار
ألقى الخُدْمة إلى أزهر كواكه - أن يستقر المجلس ... : لِمَا عُلِمَ من رأيه الأسد ،
وعزَمَهُ الأسد ، ومرَّبِيْ والده حتى يبين عِظَمَ الهناء بالشبل عند ماوهن عِظَمُ الأسد ،
ورُكِنَا إلى تجابته التي سمت أصلًا وفرعًا ، وقُدِّمَتْ غناء وقفا ، وتَبَسَّمتْ كجائِمٍ
أصلها المستأنفة حيث كاد الزمانُ ينمى منه ينما ، واستنادًا إلى أن الصناعة شابه ،
وسبات التمكن هابه ، وإلى أن أغصان العزائم نضرة ، وإلى أن مع القدرة قدرة ،
وإلى أن كوكب العز في المترلة قد خلف بدرة ، واعتادًا على سهام تنقيده الصائبه ،

وأحكام همه الواجب ، وأقلام يده التي تحسن إخراج الأمل فيه وكيف لا ؟ وهي الحاسبة الكاتبة .

فليأثر هذا النظر المفوض إليه سامياً نظره ، زاكياً في الخدمة خبره وخبره ، شاكراً هذا الإنعام الذي برأياه وأوسع جده ومزيد الإنعام مضمون^(١) المزيدين شكره ؛ طاماً أن هذه الملكة الجنيصة من أقدم ذخائر الأيام ، وأكرم ما أنعم الله من غنيمتها وظلها على جند الإسلام ، وأنها من مراكز الرماح كما شبر فليحدها من تديره برماح الأقلام ؛ وليواطئ بحسن نظيره على تقرير أحوالها ، وتقريب آمالها ، وتأثير المصالح في أعمالها ، ولا يحص أمرها في التضييق فكفى ما حصصها الأيام على تعاقب أحوالها ؛ بل يمتد في إزاحة أضرارها بسداد الرأي الراجح ، وإشاعة الذكر الحسن مع كل غادر ورائع ، ورفق الأيدي بالأذعية الصالحة في تلك المشاهد للذك «الظاهر» في هذا الوقت والملك «الصالح» ؛ حتى ينهد سيف الله «خالد» بمضاء سيف حريمه وعزمه ، وحتى يتوفر من غرض الخير والحمد نصيب سهمه ، وتقوى الله تعالى أول الوصايا وآخرها فلتكن أبداً في همه فهمه .



توقيع بنظر الرجة ، من إنشاء ابن ثباته لمن لقبه «تاج الدين» وهو :

رسم بالأمر - لا زال ملي السحاب ، بسقى الآمال الوارده ، تملؤه الرحاب ، بكفاة الأعمال السائده ، تحوم الممالك والأيام بأقلام الدواوين الحاسبة وأقلام الدواوين الحامده - أن يستقر : لكفائه التي وافق خبرها الخبر ، ونشر ذكرها نشر الخير ، وصناعة حسابه التي لو عاش «أبو القاسم المعزى» لم يكن له فيها قسيما ،

(١) لعل هذه الكلمة زائدة من قلم الناصح .

ولو عاصرها «أَبْنُ الْجَرَّاحِ» بَدَسَمِهِ وإِقْدَامَهُ لَا قَلْبَ عَنْهَا جَرِجَ الْفِكْرَ هَزِيمًا ؛
بَلْ لَوْ تَأَوَّاهُ الشَّدِيدُ الْمَاعِزُ لَدَسَّجَ بَغِيرِ سَكِّينَ ، وَالتَّاجُ الطَّوِيلُ رُجِعَ عَنْ هَذَا التَّاجِ
الطَّائِلِ رُجُوعَ الْمُسْكِينِ .

فَلْيَبْشُرْ مَا فُوضَ مِنْ هَذِهِ الْوُظُفَةِ إِلَيْهِ ، وَتَبَّهِ الْأَخْبَارُ فِيهَا نَظَرَهُ الْجَمِيلَ وَنَاطِرِيهِ ؛
جَارِيًا عَلَى عَوَائِدِ هِمَمِهِ الْوُثِيقَةِ ، مَا شِئًا عَلَى أَنْجَحِ طَرِيقٍ مِنْ آرَائِهِ وَأَوْضَحِ طَرِيقِهِ ،
فَازِلًا مَتَزِلَةَ الْعَيْنِ مِنْ هَذِهِ الْجَهَةِ الَّتِي لَوْ صُوِّرَتْ بَشَرًا لَكَانَ نَاطِرُهَا عَلَى الْحَقِيقَةِ ؛
مُفَرِّجًا لِمَضَائِقِهَا حَتَّى تَكُونَ كَمَا يُقَالُ رَحْبَةً ، مُقْتَصِحًا مِنْ حُزُونِ أَحْوَالِ الْعَقَبَةِ
وَمَا أَذْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ؟ فَكَمْ مِنْ رِقَابِ السُّفَارِ الْمُعَوِّقِينَ رَقَبَهُ ، وَأَعْلَمُ أَرْبَابِ
الْاِسْتِحْقَاقَاتِ فِي يَوْمِ ذِي مَسْغَبِهِ ، وَسَاعَفَ بِتَسْيِيرِ الْمَعْلُومِ كُلِّ كَاتِبٍ ذِي مَتَرَبَةٍ ؛
حَرِيصًا عَلَى أَنْ يُبْنَى الدِّيْوَانُ بِوَفَرِهِ ، وَتُقَنَّى حُدَاةُ الثُّجَارِ بِسُكْرِهِ ، وَعَلَى أَنْ يَقُومَ
وَجَالَ الْاِسْتِغْدَامُ فِي الْمُهَيَّمَاتِ بِنَصْرِهِ ؛ وَعَلَى أَنْ تُسَاقَ فِضْيُ قَلْبِهِ الْأَمْوَالُ أَحْسَنَ
سَوَاقٍ ، وَعَلَى أَنْ يَكُونَ لِأَهْلِ الرَّحْبَةِ مِنْ إِحْسَانِهِ «مَالِكٌ» وَمِنْ جَدْوَى تَقْدِيرِهِ
«طَوَقٌ» ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يُوَسِّعُ فِي الْمَصَالِحِ مِنْهَاجَهُ ، وَيُعِيلُ عَلَى رُؤُوسِ الْأَوْصَافِ تَاجَهُ .



تَوَقَّعُ بِنَظَرِ جَعْبَرٍ قَبْلَ أَنْ تُثْقَلَ إِلَى عَمَلِ حَلَبَ ، مِنْ إِنْشَاءِ أَبْنِ ثُبَاتَةَ ، كُتِبَ بِهِ
«لَهْبَةُ اللَّهِ بْنِ النَّفِيسِ» ، وَهُوَ :

رُسِمَ بِالْأَمْرِ - لَا زَالَتِ الْمَنَاصِبُ فِي دَوْلَتِهِ الشَّرِيفَةِ تَسْتَقِيلُ هِبَةَ اللَّهِ بِسُكْرِهَا ،
وَتَنَاجِي الذِّكْرَ النَّفِيسَ بِمَقْدَمَاتِ تَنْشَرِهَا وَبُشْرَهَا - أَنْ يَرْتَبَ : لِكِفَائِهِ
الَّتِي أَشْتَهَرَتْ ، وَأَمَانَتِهِ الَّتِي طَهَّرَتْ فَظْهَرَتْ ، وَمِبَاشَرَتِهِ الَّتِي ضَاهَتْ نُجُومُ السَّمَاءِ
إِذَا زَهَرَتْ ، وَنُجُومَ الْأَرْضِ إِذَا أَزْهَرَتْ ؛ وَأَنَّهُ الَّذِي جُرِّبَ عَزَمُهُ فَزَكَ عَلَى

التجريب، ورقي في مطالع التدرج والتدريب، وقص حليته أجهاده المقرب فكان
مابقاً على النص والتفريب؛ وأن هذه البقعة المباركة من أطاب التاريخ خبرها،
وقص سيرها، وحمد صاحبها العقلي من قديم أثرها، وعرف بركتها لما استسقى بها
من السماء على لسان بعض الحيوان مطرها.

فليأشر هذا الثغر المحروس بكفاءة باسمه، وعزيمة كالحسام لأدواء الأمور حاسمه؛
ورأي للنجاح حسن الاستصحاب، وتخيير كما ملأ الرحبة فليملأ بمضاعفته الرحاب؛
موقراً العند الحواصيل وحواصيل المداد، فاتحاً لأفواه القُفول بذكره الجليل في التهام
والنجاد، ماشياً فيما يأتي ويدّر على سداد الطرُق وطرق السداد.



توقيع بنظر البقاع، من إنشاء ابن نباتة، وهو :

رسم بالأمر - لا زال ينيء للكفاة رزقا، ويهيئ لتجديد المناصب مستحقا،
ولا يرحح البقاع بأيامه الكريمة تسعد كما تسعد الرجال ولا تشقى - أن يرتب ...
حسب ما تضمنته مكتبة الجنب الفلاني: منها على قدر هذا الناظر المهذب وضفه،
المرتب على نحو الثناء نعمته وعطفه؛ المشهور بمباشرة انتفاع الوظائف وأزغاعها،
الشاهد بكفائه وأمانته مسالك الأعمال وبقاعها؛ وأعتادا على مباشرته الزكية،
وكتابت التي لا يذاهنها المداهون وهي نعم البعلبكي^(١).

فليأشر هذه الوظيفة المنيمة بمطالع رشده، ومطالب مدده، عالم أن البقاع
كل الرجال تسعد وتشقى: فليكن سعدا على قلبه ويده؛ مجتهدا فيما يديص وجه

(١) نسبة الى بطلك عدد من يجمله اسما واحدا ويمنه من الصرف فاما من يضيف الأول الى الثاني
ويجري الأول بوجوه الاعراب فالتسمية عنده بلي.

شَاكِه، حَرِيصًا عَلَى أَزْدِيَادِ الصِّفَاتِ الَّتِي كَانَتْ فِي عَقْدِ حَسَابِ الْعَمَلِ مَحَلَّ بَنَانِهِ
بِفَعْلِهِ الْآنَ مَحَلَّ نَظَرِهِ، مُتَمَرِّدًا لِأَمْوَالِ النَّوَاحِي وَغِلَالِهَا، وَاضِعًا عَنْ أَرْبَابِ
الْاِسْتِحْقَاقَاتِ مَا عَلَيْهَا مِنْ سُوءِ التَّدِيرِ : مَنْ أَصْرَهَا وَأَغْلَالِهَا، مَحْتَاطًا لِنَفْسِهِ
فِي الْحَوَاطِثِ حَتَّى لَا يُذَكَّرَ إِلَّا بِخَيْرٍ، وَلَا يُعْرِفَ قَلَمُهُ إِلَّا بِمَيْرٍ؛ نَاثِرًا حَبَّ حُبِّهِ حَتَّى
تَهْوِي إِلَيْهِ أَلْفَاظُ الثَّنَاءِ هَوَى الطَّيْرِ، جَاعِلًا قُفُوى اللَّهِ مَقْصِدَهُ : فَلَهَا السَّبِيلُ إِلَى فَوْزِ
الدَّارَيْنِ لَا فَيْرَ .

الصنف الرابع

(مِمَّا يُكْتَبُ لِأَرْبَابِ الْوُظَائِفِ بِالشَّامِ - تَوَاقِعُ مُشَايِخِ الْخَوَاتِقِ ،

وَهِيَ عَلَى ضَرِيرَيْنِ)

الضرب الأول

(مَا هُوَ بِمَحَاضِرَةِ دِمَشْقَ ، وَهُوَ عَلَى ثَلَاثِ مَرَاتِبٍ)

المرتبة الأولى

(مَا يَفْتَتَحُ بِ«الْحَمْدُ لِلَّهِ»)

وَهُوَ تَوْقِيعُ شَيْخِ الشُّيُوخِ بِدِمَشْقَ : وَهِيَ مَشَيْخَةُ الْخَلِيقَةِ الصَّلَاحِيَةِ الْمَعْرُوفَةِ
بِالشُّمَيْصِيَّاتِيَةِ . وَقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّهَا يَكْتَبُ بِهَا أَيْضًا مِنَ الْأَبْوَابِ السُّلْطَانِيَةِ . ثُمَّ هِيَ تُفْرَدُ
نَاثِرَةً عَنْ كِتَابَةِ السَّرِّ بِالشَّامِ ، وَنَاثِرَةً تُضَافُ إِلَيْهَا .

تَوْقِيعُ بِمَشَيْخَةِ الشُّيُوخِ بِالشَّامِ ، مِنْ إِنْشَاءِ الشَّيْخِ جَمَالِ الدِّينِ بْنِ نُبَاتَةَ ، كُتِبَ بِهِ
لِلشَّيْخِ «عَلَاءِ الدِّينِ عَلَى» مَفْرَدَةٌ عَنْ كِتَابَةِ السَّرِّ ، وَهُوَ :

الحمد لله الذى جعل شرف أوليائه عليا ، وقضه الجليل جليا ، وأتصال علائهم
كأتصال كوكب الشرف بيلاء الخيرات مليا ، وحاضر أفعيهم كغايه إذا سطرت
دعواته واستعطرت هباته كان على كلال الحالين وليا .

نحمده على توالى النعم الأنيقه ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له
شهادة تستمر بأصلها فروع الحقيقه ، ونشهد أن عينا عبده ورسوله أجدر الخلق
بكرم الخلقه ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين سلكوا بهداه أحسن طريق
وسلكوا فى أحسن طريقه ، صلاة دائمة لا تزال بها عقائد الإخلاص موقفة وألسنة
الذكر طليقة ، وتحيية إذا بدت فى حضرة الأذكار كانت للأعين من النور نهاره
وكانت للأعجم من القدر شقيقه .

أما بعد ، فإن أولى المراتب الدينية بتقديم المنايا ، وتخصيم الرعايا ، وتكريم التولية
ولا سيما إذا كانت منتسبة إلى أهل الولاية - مرتبة مشيخة الشيوخ التى يجمع عباد الله
الصالحين نطائفا ، ويضمهم رواقها ، وتطلعهم مطالع كواكب الهدى آفاقها الميرة
وأوقافها .

ولما خلت الآن هذه الزبنة بالشام المحروس من شيخ تدور هذه الطائفة على
قطبه ، وتجتمع على مائدة قرباته وقربه ، وتمشى على قدميه وتناجى صلاح أحوالها
عن قلبه - تمين أن نختار لها من كملت بالله أداته ، وصفت فى مشاهد الحق
ذاته ، وزكت فى علمي الإبانة والأمانة شهادته المفصحة ومشاهداته ، وأجمع الناس
على فوائد تسليكه واسلاك قلبه حيث بدت فى وجوه الحسن حسنة ، ووجوه
الشام شاماته ؛ لما شهر من معرفته وعرفانه ، ولما دعى له ببقاء نوح لما فاض

في العلم من طوافيه ، ولما قام في الأذعان من طبقة قدره الموصوف ، ولما سار من رسالة أخباره فإذا قالت الآثار : « هذا السرى » قال الإيثار : « وقضله معروف » .

فياشر هذه المشيخة المباركة بصنير للسالكين رحيب ، وير السالين مجيب ،
وفضيل يقول الرائد والمريد بدار إقامته : ففأ نيك من ذكرى متزل وحبيب ، ويشر
وبشرى يملآن عين المجتلي ويد المجتدي ، وعطيف ولطيف إذا قال الذّاكر لمن معنى :
راح مالى ! قال المعايين : وجاء سدى ، وليراج أمور الخوانى الشامية ما غاب منها
وما حضر ، وما سمع منها وما نظر ، ولئن قلب ساكنها حتى يعود كإخوان
الصفاء من المودة قوم كانوا إخوان الصفا من الحجر ، قائما بحقوق الرتبة قيام مثله
من أئمة العلم والعمل ، داعيا لهذه النولة العادلة فإنه أقصى دواعي الأمل ، مغربا -
لأن القرية من علومه - عن الإيضاح غنيا عن تفصيل الجمل ، وهو المسلك لما يحتاج
لتسليك درر الوصايا ، الخيرة لمثل هذه الروايات المبرورة : فنعلم الروايات المحبوبة بنعم
الخبايا ، والله تعالى يسيد على الأمة بركاته ، ويمتصهم باستسقاء الثبوت : إما بسطها
عند ربه ! وإما بسطها عند دعواته .



وهذه نسخة توقيع بمشيخة الشيخ بالشام أيضا ، مضافة إلى كتابة السرى به ، كتب
بها للقاضي ناصر الدين « محمد بن أبي الطيب » كاتب السرى بالشام بـ « المقر
الشريف » وهى :

الحمد لله الذى شرح صدور أوليائه بمعرفة الحق وأتباعه ، وجعلهم خواصه الذين
غدوا من أتباع الحبيب وأشياعه ، ورفع ذكرهم على رؤوس الأشهاد وآواهم إلى مقام
الأئس في محل القرب بالتسليك المحمدي الذى أوصل إليه مزيد به باقعا ، وخصهم

ببركات من حصّهم على الأعمال الصالحة بقصده الجميل وعليه الغزير وأنصاعه ،
ومتّهمهم بمن أوقع لهم الطريق المستقيم بإبدائه الحق وإبذار إبداعه ، وغذاهم بالحكمة
فنشّوا بالمعرفة وصار لهم النقل السليم بالتحفظ من الأهوية الرديّة فسلبت لهم الطيبة
على قانون الصّحة بحسن تركيه وأوضاعه ، وأفاض عليهم من بحر طمّه ما نالوا به الرشد
فصاروا أولياء بملزمة أوراذه ومتابعة أوزاعه .

نحمده على ما ألهنا من وضع التقوى في عملّه ، وإلصال الحق إلى أهله ، وإجابة
سؤال الفقراء وإعانتهم بمن أغانم عن السّؤال فضائله وقضيله ؛ حمداً بعيد كشاف
الكرب على مريديه وطلّيته ، ويرفع مقام من قام بشعار الدين بتعظيم قدره وعلوّ
درجته ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الذي من هرب منه ذرأاً ،
تقرب منه باماً ، ومن أتاه يمتنّى أتاه هزولة وإذا تقرب إليه عبده بالنوافل
أحبه ، (وعنده مفايح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من
ورقة إلا يعلمها ولا أحبه) . ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي أضاءت
الأكوان من نور هديه فأهتدت به أصحاب المعارف المسلمون لموجدهم الأمر
والإرادة ، ومن هو روح الوجود الذي أحيا كل موجود وسلك طريق سنيته
الموصلة إلى عالم الغيب والشهادة ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين صفت
قلوبهم من الأكدار وإلى التقوى سبّحوا ، وصدقوا في المحبة فاستحقوا ثناء مولاهم :
(مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا) ؛ فمنهم من ثبّت من فيه رائحة كيد مشويته من
خشية الله ، ومنهم من حلت بما شاهده ببصره وبصيرته على البعد ورآه ؛ ومنهم
من أحيا ليله واستحييت منه ملائكة السماء ، ومنهم من أخذوا أخوا إذ هو باب
مدينة العلم وركن العلماء ؛ صلاة دائمة طيّب أوقات الحيين ، وتطرب بسماعها
قلوب المتقين أهل القين ؛ وسلم تسلياً .

أما بعد، فإنَّ أَوْلَى مَنْ قَدَّمْنَاهُ، إِلَى أَهْلِ الصَّلَاحِ، وَرَفَعْنَاهُ، إِلَى عَمَلِ الْقُرْبِ وَرُوحِ
 الْأَرْوَاحِ؛ وَحَكَمْنَاهُ، عَلَى أَهْلِ الْخَيْرِ، وَمُكَّاهُ فِي حَرْبِ اللَّهِ الَّذِي ظَلَبَ لِمَا أَجْتَهَدُوا عَلَى
 إِخْرَاجِ حَرْبِ الشَّيْطَانِ مِنْ قُلُوبِهِمْ وَزَحَفُوا عَلَى قَرَارِهِ يَجْتَنِبُ التَّقْوَى وَيَسْتَمْتُمُ الزُّهْدُ
 وَحُسْنُ السَّيْرِ؛ وَوَلَّيْنَاهُ أَجَلَ الْمَنَاصِبِ الَّذِي يَجْتَمِعُ فِيهِ قُلُوبُ الْأَوْلِيَاءِ عَلَى الطَّاعَةِ،
 وَأَحْلَلْنَاهُ أَرْفَعَ الْمَرَاتِبِ الَّذِي خُطِبَ مِنْهُمْ خِيَارُ الْجَمْعِ بِخُلُوعِ عُرُوسِ الْجَمَالِ فِي الْخُلُوعِ
 بِسَقْدِ مِثْقَالِ سُنَّةِ الْحَبِيبَةِ وَشَهَادَةِ قُلُوبِ الْجَمَاعَةِ - مِنْ جَمَلَةِ صُورَةٍ وَمَعْنَى، وَأَفْتَحَرَبَهُ
 أَحَادَ وَمَتْنِي؛ وَبَاشَرَهُ عَلَى أَحْسَنِ الْوُجُوهِ، وَبَلَغَ كُلًّا مِنْ مُرِيدِيهِ وَطَلَبَتِهِ مِنْ فُضَائِلِهِ
 وَقَضَلَهُ مَا يُؤَمِّلُهُ وَيَرْجُوهُ؛ وَمَدَّ مَوَانِدَ عُلُومِهِ الْمُخْتَوِيَةِ عَلَى أَنْوَاعِ الْفَضَائِلِ الْمُفْضِيَةِ
 لِلْقُلُوبِ، وَجَلَسَ فِي حُلِيِّ الْأَرْضِ فَكَسَا الْقَوْمَ الَّذِينَ لَا يَشْقَى بِهِمُ الْجَلِيلُ مَلَائِسَ
 التَّقْوَى الْمُطَهَّرَةِ مِنَ الْعُيُوبِ؛ وَظَهَرَ فِي تَحْفِيلِهِمْ لِلْهُدَايَةِ كَالْبَدْرِ وَهُمْ حَوْلَهُ هَالَةٌ،
 وَكَانَ دَلِيلُهُمْ إِلَى الْحَقِّ فَفَسَدُوا بِتَسْلِيكِهِ مِنْ مَشَايِخِ الرِّسَالَةِ؛ وَجَاهَدَ فِي بَيَانِ مَعَانِي
 الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ حَتَّى قِيلَ لِمَا فَسَّرَهُ: هَذَا «مُجَاهِدٌ»، وَاسْتَدَلَّ عَلَى تَتَرُّبِهِ مِنْ تَكَلُّمِهِ بِهِ
 - سُبْحَانَهُ - عَنِ التَّشْبِيهِ وَالتَّعْلِيلِ «وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدٌ»؛ وَنَقَلَ
 الْحَدِيثَ الْمُحَمَّدِيُّ الَّذِي هُوَ «مَوْطَأٌ» لَتَفْهِيمِ «الْغَرِيبِ» مِنْهُ وَمِيزِ «مُحَيِّجِهِ» لِكُلِّ
 «مُسْلِمٍ» فَاطْرِبَ بِسَاعَةِ الْوُقُودِ، وَأَفَادَ الْعِبَادَ «بِتَبْيِيهِ الْفَائِظِينَ» فَضَامُوا فِي الْخِدْمَةِ
 فَأَصْبَحُوا تَعْرِفُهُمْ بِسَيَاسَتِهِمْ: (سَيَاسَتُهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ)؛ وَخَفَضَ جَنَاحَهُ
 الَّذِي صَبَّ بِهِ الشَّعْرَى الْبُورَ وَالنَّسْرَ الطَّائِرَ، وَسَارَ إِحْسَانُهُ إِلَى طَوَائِفِ الْفُقَرَاءِ فَصَارَ
 مَثَلًا خَفِيًّا «الْمَثَلُ السَّارُّ».

وَكَانَ فَلَانٌ - أَعَادَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ بَرَكَاتِهِ وَأَسْبَغَ ظِلَالَهُ - هُوَ الَّذِي أَقَامَهُ اللَّهُ تَعَالَى
 لِهَذِهِ الطَّائِفَةِ الْمُبَارَكَةِ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ، وَذُكِرَتْ صِفَاتُهُ الْجَمِيلَةُ فَكَانَ مِثْلَهُ الْعَيُونُ قُوَّةً؛

وأنصف هذه الصفات التي ملأت الأنواء والمسابع كما ملأت مرآة المقل، وحصل البشر بمعرفة الذى نبتعه المرى أبو يزيد بخرى على عادة القوم الكرام، ووصلت ونبتت عناصر فضائله فكانت شراب الذين صفت قلوبهم من كدرها، وأمطرت صحائب علومه الإلهية الدازة من سماء الحقيقة فسالأت أودية بقدرها، وظهرت لمعة أنوار شمس معارفه عند التجلى على المرید، وساق نفوس القائمين لما عز مطلبهم بأضله الذى شرح طلاسم قلب القانى بذكر الباقى ففرقوا فى بحار المحبة (وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد).

فلذلك رسم بالأمر العالى - لا زال يرفع أهل العلم والعمل إلى أعلى مقام، ويبنى لهم فى جنات القرب قصور الرضا: (لهم ما يشاءون فيها) ومنزيتهم الإكرام - أن تفوض إليه مشيخة الشيوخ بالشام المحروس: وظيفته التى خرجت عنه، المرسوم الآن إعادتها عليه، عوضاً عن كانت بيده، بمعاوني النظر والمشيخة الشاهد بهما ديوان الوقف المبرور إلى آخر وقت، على أجهل العوائد، وأكل القواعد، تفويضاً نظمت بالقبول عقود، ودامت فى دار السعادة سعوته، وفى درج المعالى صعوده.

فلتلق ذلك بالقبول، وليبلغ الفقراء من إقباله الخى الذى ألجم عدوه المنى والسول، وليعامل المریدين بالشفقة المعروفة من رحمة دينه وإفضاله، وليشمل كل منهم بنائته ولطفه فإن الخلق عيال الله وأحبهم إليه أشفقهم على عياله، وليأمرهم بملزمة إقامة الصلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل، وإذا مالوا - والعباد بالله تعالى - يوماً إلى منافسة بينهم فليقل: أتموا الله ما استعلمتم وكونوا عباد الله إخواناً ولا تميلوا كل الميل، وليفسح لهم حرم الخير الذى وقفوا فيه تجاه قصر تعبده الذى علا بالجوهر

الْقَرْدَ وَقُوَّةَ الْإِخْلَاصِ ، وَلِيُدْخِلَهُمْ مِنْ جَنَّةِ إِبْرَاهِيمَ الَّتِي فِيهَا مِنْ أَكْبَارِ مَعَانِيهِ
حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي خِيَامٍ أَهْلُهُنَّ لَمْ يَطْمِئُنَّ لَأَنَّهُنَّ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ وَأُنْجِزَ قَصْرُهُ الْعَالِي
وَجَوْهَرُهُ الْعَالِي كُلُّ بَنَاءٍ وَغَوَاصٍ ؛ وَلِيُجْعَلَهُمْ لَهُ عَلَى جَبَلٍ أَعْتَادِهِ وَمَرْوَةٍ مُرْوَتِهِ
إِخْوَانُ الصَّافَا ، وَلِيُقِيمَهُمْ فِي رُكْنٍ مَقَامِ الْمُنَاجَاةِ إِذَا زَمَزَمَ مُطْرِبُ حَيْثُمْ تَلْقَاءُ أَهْلُ
الْوَفَا ؛ وَلِيَقْدِمَ السَّاقِيَيْنَ بِمَعْرِفَةِ حَقِّهِمْ وَنِجَاسَتِهِمْ بِالْوَرَعِ الَّذِي يَنْفِلُونَ بِهِ الشَّيْطَانَ
فَإِنَّ حَرْبَ اللَّهِ هُمْ الْغَالِبُونَ ، وَلِيُدْأَوْ قُلُوبُهُمُ الْمَرْضَى بِشَرَابِ الْحُبِّ وَتَرْكِيبِ أَدْوِيَةِ
الْإِمْتِلَاءِ مِنَ الدُّنْيَا لِيَتَذَكَّرُوا وَقْتُ السَّحْرِ [بِحَدِيثِ] [هَلْ مِنْ تَائِبٍ] وَلَا يَسْقِطَهُمْ كَاسَاتُ
تَضَعْفُ عَنْهَا قُوَّتُهُمْ حَتَّى يُنْقَوُا مِنْ بَرْدَةِ الْهَوَى الْمُضِرَّةِ وَيَنْتَسِلُوا بِحَارٍ جَارِي دُمُوعِ
الْخُشُوعِ وَيَلْبَسُوا جَنِيدَ مَلَأْسِ الثَّقَى وَيَضَعُوا مِنَ الْحَبَائِبِ . وَمِنْهُ تُرْفُفُ الْوَصَايَا ،
وَعَنْهُ تُثْقَلُ الْمَزَايَا ، وَكُرِّمَ الْأَخْلَاقُ وَالسَّجَايَا ؛ وَلِيَأْمُرَ السَّالِكِينَ بِمَدَامَةِ الْأَعْمَالِ
الَّتِي قَامَتْ بِحُسْنِ الْعُقَايِدِ وَأَسْتَفْلَتْ ، وَلِيَحْضُضَ الْمُرِيدِينَ أَوَائِلَ التَّنْزِيلِ عَلَى ذَلِكَ
فَإِنَّ أَحَبَّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَدْوِيَّتُهَا وَإِنْ قَلَّتْ ؛ وَلِيَعْرِفَهُمُ الْحُبَّةَ بِذِكْرِ اللَّهِ لَثَلَا
يَقُومُوا عَلَى قَدَمِ الْهَيَامِ ، وَلِيَبَيِّنَ لَهُمُ الْمَعْنَى إِذَا لَمْ يَعْرِفُوا الْمَعْنَى لِيَقْطَعُوا الْمَوَاجِرَ فِي طَلَبِ
الصَّبَاحِ ؛ وَلِيَفَرِّقَ بَيْنَ الْوَارِدَاتِ بِعِلَازِمَةِ الْأَوْرَادِ لَثَلَا يَقَعُوا مِنَ الْإِسْتِثْنَاءِ فِي حَيْرَةٍ ،
وَلِيَأْمُرَهُمْ بِإِدْخَالِ الْعَمَلِ الصَّالِحِ لِيَكُونَ التَّقْوَى لِقُلُوبِهِمْ قُوَّةً وَالزُّهْدُ مِيرَةً ؛ وَلِيَقْمَعَ
أَهْلَ الْبِدْعِ ، وَلِيَرْتَقِ مَنْ أَنْتَضَعَ ؛ وَلِيَتَفَقَّدَ أَحْوَالَ أَوَاقِفِهِمْ بِجَمِيعِ الْخَوَاقِ وَالرُّطَبِ
وَالزَّوَايَا بِالْجَمَلِ مِنَ النَّظَرِ ، وَلِيَزِدَّ فِي الْأَجُورِ بِمَا يُؤَثِّرُ فِيهَا نَظَرُهُ الَّذِي مَازَالَ لَهُمْ مِنْهُ أَوْفَرُ
نَصِيبٍ خَبْدًا سَيْنَ وَالْآثَرِ وَالْوَصَايَا وَإِنْ كَثُرَتْ فَهِيَ مُعِيدُهَا وَعِنْدَهُ مَتَبِعُهَا ، وَتَقْوَى
اللَّهِ الَّذِي هُوَ شَيْخُهَا وَمُرِيدُهَا فِي يَسِّهِ الْمُبَارَكِ حَلَاوَةِ ذَوْقِهَا وَجَمْعُهَا ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى
يَكُونُهُ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ بَيِّنَاتٍ ، وَرِضْمُهُ بِهَا وَيُرْقِيهِ إِلَى أَعْلَى الدَّرَجَاتِ .

المرتبة الثانية

(من تواقع مشايخ الأمانة بحاضرة دمشق - ما يفتح به «أما بعد

حمد الله» وفيها وظائف)

نسخة توقيع بمشيخة إقراء القرآن ، من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نباتة ،
كُتب به للشيخ شهاب الدين «أحمد بن النقيب» بـ«المجلس العالى» وهى :

أما بعد حمد الله رافع شُهب الهدى أعلاما، وجاعل رتب أفضلها أعلى ما ، ومُحل
أحدها من مدارس الآيات منازل بذر إذا مح الحاق من هذا أسما أثبت من سمو هذا قرا
تماما، ومُسكنه من مواطن الذ كر جئات قوم بارتقائهم وبقاء ذكرم خالدين فيها
حسنت مستقرا ومقاما؛ والصلاة والسلام على سيدنا محمد أرفع من اتخذ القرآن إماما،
وانفع من عقد استحقاق النبوة على حمده خنصرًا وجلًا الحق بهذا إلهامًا؛ وعلى آله
وصحبه أُنعم من ليس بسرِد الآيات درعًا وأقسم من بركتها سهاما - فإن وظيفة
يكون القرآن الكريم، ربيع فصلها وفصلها، ورُتبة يكون الذكر الحكيم، مداوى قلوب
جفيلها، ومشيخة يكون مُريد الآيات البينات وَاِرد زوايا أهلها - لأحق أن تُفخّر لها
الأكفاء من ذوى الفضل الأثير، والأدلاء على أشرف نتائج الهداية من ذوى الحليم
الساكن والعزم المثير .

ولما كانت مشيخة إقراء القرآن بالترية المعروفة بأمر الصالح يدمشق المحروسة :
هى كما يقال : أم العلم وأبوه، وأخوه وحموه، وصاحبته وأهل الكتاب والسنة بنوه،
وخلت الآن من شيخ [كان] يحبها، وتقسّم الخلوات والآيات من بركتها وتلاوته
بـ«الشمس وشحاه والقمر إذا تلاها» وكان فلان هو الذخيرة المخبوءة لهذا الأمر ،
وذو السيرة المحبوبة بهذا الشرف القمر، وصاحب القراءة والبيان الذى لا يؤوز زمان

طَلَبْتَهُ [أبو] عُمَرُ وَلَا أَبُو عَمْرٍو، وَاجْتَمَعَ لَعُلَّوْمُ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى جَمَعَ سَلَامَةً فِي فَنِّهِ، وَصَحِيحَةً فِي شَرْفِ ذِعْنِهِ، وَجَوَازَ أَحْيٍ يَشْهَدُ أَنَّ الْبَحْرَ يَخْرُجُ [لَدَى] الْمَشْكَلَاتِ مِنْ صَدْرِهِ وَيَدْخُلُ عِنْدَ عَقْدِ الْحُبِّ فِي رُذْنِهِ، وَالْقَارِيُّ الَّذِي إِذَا قَالَ مُبَيَّنًا قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمُ الْكَلْبِ، وَالتَّالِي الَّذِي إِذَا قَصَرَ أَوْ مَدَّ، مَدَّ إِلَى سَمَوَاتِ الْعُلَى بِأَسْبَابِ، وَالْمُسِيرُ إِلَى عِلْمِهِ الْمَرْسُومِ بِمُصْحَفِهِ فَلَا عَدَمَ إِشَارَتِهِ وَمَرْسُومِهِ أَوَّلُ الْأَبْطَابِ، وَالْمُحَلِّي وَإِنْ سَمَّاهُ الْعُرْفُ تَالِيًا، وَالْمُتَقَبِّ عَنْ غَوَاضِ التَّفْسِيرِ : وَ «أَبْنُ التَّقِيبِ» أَوَّلَى بِسِنْدِ التَّفْسِيرِ عَلِيًّا، وَالْإِمَامُ السُّنِّي وَإِنْ سَمَّاهُ الشَّرْعُ الْإِمَامُ الْحَاكِمُ دَهْرًا وَأَقَامَ لَهُ فِي أَفْقِ كُلِّ فَضْلٍ دَاعِيًا، وَالسَّامِيُّ الَّذِي يَسَلُّكَ بِفَخْرِهِ عَلَى «الْعِرَاقِيِّ» أَوْضَحَ بَحْجَهُ، وَالْعَرَبِيُّ الَّذِي مَا «لِلْفَارِسِيِّ» دَخُولٌ فِي بَابِ تَيْقِنِهِ وَإِنْ جَاءَ بِحُجَّتِهِ، وَذُو الرِّوَايَاتِ الْمُرَوِّجَةِ بِحَاجَتِهِ، وَخَلَفَ الْعُلَمَاءُ الْأَبْيَضُ فَا «خَلَفَ الْأَحْمَرُ» مِمَّا يُقَارِبُهُ، وَلَا «تَعَلَّبَ» مِمَّا تَصْنَعُ لَدَيْهِ تَعَالِيَهُ، وَلَا «أَبْنُ خُرُوفٍ» مِمَّا يُدَانِيهِ وَهُوَ «الْبَلِيثُ» وَمِنْ الْأَقْلَامِ تَحَالِيَهُ، وَبَقِيَّةُ السَّادَةِ الْقُرَاءِ الْمُنْشِدُ قَوْلَ الْحَمَاسِيِّ .

وَأَيُّ مَنْ الْقَوْمَ الَّذِينَ هُمُ هُمْ * إِذَا مَاتَ مِنْهُمْ سَيِّدٌ قَامَ صَاحِبُهُ !
بُدُورُ سَمَاءٍ ، كَلَّمَا غَابَ كَوْكَبٌ ، * بَدَا كَوْكَبٌ ، تَأَوَّى إِلَهَ كَوَاكِبُهُ !

تَعَيَّنَ أَنْ يُخْطَبَ لَهُذِهِ الْمَشِيخَةُ خُطْبَةُ الْفَتَى لِاقْتِبَالِ مَجْدِهِ وَالشَّيْخِ لِتَوْقِيرِهِ، وَيُطْلَبُ لَهُذِهِ الرِّتْبَةُ طَلِبًا يَقْضِي الْأَمْلُ فِيهِ بَعْنَانُ تَيْسِيرِهِ .

فُرِّمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ أَنْ يَسْتَقَرَّ ... : وَضَمًّا لِلْأَشْيَاءِ فِي حَاجَلَهَا، وَرَفْعًا لِأَقْدَارِ الْأَفَاضِلِ إِلَى أَعْلَى رُتَبِ الْفَضْلِ وَأَجَلَهَا، وَعِلْمًا بِمَقْدَارِ هَذَا الْعَالَمِ السَّابِقِ فِي أَفْقِ الْهَدْيِ شِهَابًا، الْمُدَقِّقَ عَلَى رِيَاضِ الْعِلْمِ سَحَابًا، النَّاقِلَ إِلَى مَجَالِسِ الْاِسْتِفْهَالِ خُطًّا يَقُولُ لَهَا الْمُؤْمِنُ بِالْإِكْرَامِ وَالْكَافِرُ بِالْإِرْغَامِ : (يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا) .

فليأشرف هذه الوظيفة مباشرة مثله من دوى الأناة والإفاده ، وكفاة المناصب الذين على سعيهم الحسنى وعلى الدولة تصل الزيادة ، وليسلك فى الإشغال عادة نطقه الأحسن ، ولعامل طلبته فى المباحث بغير ما ألفوا من الخلق الأخصن ، ولعلم أنه قد جمع بين ربه وتربة الأم كى تقر عينها ولا تحزن ، فليسرها بنبيله ، وليبرها بفضله ، وليوقر السعى إليها كل وقت فى المسير ، وليفسر أحلام أمليها فيه فى مفردات علومه التفسير ، وليحسن لتلاميذه الجمع ، وليحمى حوى رواياتهم من الخطأ ولا تعجب أن يحمى حوى السبع ؛ نال كلام ربه كما أنزل وحسبه ، داعياً بنسب قراءته إلى ابن كعب فهذا نسبه المبارك وكعبه ؛ فاصباً بمنظر يخصه أشخاص أمثاله الأول بعد ما ضمه صفيح الخلد وتربة ، حتى يمس «الكسائي» فى برد مسرته الفاسر ، ويفتح عيون «حزمة» على زهرات روض عبق المباخر ، ويرتم ورشاً «وريش» فى الأوراق على بحره الزاهر ، ويظهر بفضله ذكر «الشاطبي» فيكون «القاضى الفاضل» رحمه الله قد أظهره فى الزمن الأول و«القاضى الفاضل» أجله الله قد أظهره فى الزمن الآخر ، وتقوى الله تعالى كما علم ختام الوصايا البيض فليتناول مسكها الذى هو بشدا المسك سائر ، والله تعالى ينفع بعلوم صدره الذى ما ضاق عن السؤال فله ، ويمتج بعلوم قدره الذى إن لم يكن هو لفضل الثناء فمن له .

المرتبة الثالثة

(من مواقع مشايخ الأماكن بمحاضرة دمشق - ما يفتح به «رسم بالأمر»)

توقيع بمشية الجوالقية ، من إنشاء الشيخ جمال الدين بن ثباته ؛ وهو :

رسم بالأمر - لا زال حسن اعتقاده يستترل النصر فينصر ، ويستبصر مطالع الفوز فيبصر ، ويستجلب الأدعية الصالحة من كل زاوية إذا حام فى أفق العبادة

حَقَّقَ وَمَا قَصَّرَ - أَنْ يَسْتَقَرَّ ... : حَمَلًا عَلَى الْوَصِيَّةِ الثَّامَةِ الْحَكْمِ وَالْأَسَاسِ ، وَعِلْمًا
بَأَنَّهُ مِمَّنْ حَلَّ فِي مَشِخْتِهِ لِبَاسُ بَلَّاسٍ ^(١) ، وَنَزَعَ فِي الزَّهْدِ عَمَّا عُدَّ زِينَةً فِي النَّاسِ ؛
وَسَرَّحَ شَعْرَهُ حَقِيقَةَ التَّمَرُّجِ فَأَطْلَقَهُ ، وَحَمَارَقَ مَوَادَّهُ وَبَيَاضَهُ فَأَعْتَقَهُ ؛ وَلَا زَمَ
طَرِيقَ مَنَابِغِهِ فَا ، وَشَكَرَ الْحَالَ بِفَعْلٍ فِي مَنِيَّتِ كُلِّ شَعْرَةٍ لِسَانًا لِلشُّكْرِ وَقَا ؛ وَسَرَّ
طَائِفَةً وَرَدُّوا عَلَى آثَارِهِ مَنَاهِلَ الْوَقَا ، وَصَفَّتْ قُلُوبُهُمْ وَوَجُوهُهُمْ فَدَارَتْ عَلَيْهِمُ
كُتُوبُ إِخْوَانِ الصَّفَا ؛ حَتَّى مَشَوْا إِلَى مَطَالِبِ الْخَيْرِ مَتْنِي الرِّخَاخِ ، وَكَانَرُوا أَقْوَامًا
دَسُّوا عِزَّةَ رُتَبِهِمْ فَلَوْلَا أَدْبُهُمْ لَا تَسْلُطُوهُمْ : « عُقُولُ مُرْدٍ وَلِحَى أَشْيَاخٍ » .

فَلَيْقُمْ فِي مَشِخْتِهِ قِيَامًا يُحْيِي الْقَوْمَ بِأَنْفَاسِهِ ، وَيُهِجُّهُمْ بِكَرَامَةِ الْكَشْفِ مِنْ قَلْبِهِ
وَتَكْرِيمِ الْكَشْفِ مِنْ رَأْسِهِ ؛ سَالِكًا بِهِمْ فِي طَرَائِقِ الْخَيْرِ مُسْتَبْشِرِينَ ، أَمْرًا بِتَقْصِيرِ
الْمَلَابِسِ وَرَعًا حَتَّى يَدْخُلَ بِهِمْ إِلَى النَّسْكِ مُحَلِّقِينَ وَمُقَصِّرِينَ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يَنْفَعُ بِهِ ،
وَيُغْنِيَ حَالَهُ بِمُنْهَبٍ مِنْهُ .

الضرب الثاني

(من مواقع مشيخة الأماكن - ماهو بأعمال دمشق ، وفيه مرتبة

واحدة ، وهي الاقتراح بـ «رسم»)

وهذه نسخ مواقع من ذلك :

نسخة توقيع بمشيخة الحرم الخليلي ، من إنشاء الشيخ جمال الدين بن بُنَاتة ،
كُتِبَ بِهِ لِلشَّيْخِ « شمس الدين بن البرهان » الجعبري بـ «المجلس» وهي :

رُسم بالأمر الشريف - أعلاه الله تعالى ، وبَسَطَ عَدْلَهُ الَّذِي لَا يَلِغُهُ الْوَاصِفُ
وَلَوْ تَعَالَى ، وَسَرَى لِأَوْلِيَاءِ بَنِي الْأَوْلِيَاءِ بِهِ الَّذِي تَسْتَنُّ بِسُنَّةِ النَّبِيِّ ثُمَّ تَوَالَى - أَنْ

(١) البلاس كسحاب المصح فاقوى ضرب .

يَسْتَقِرُّ ... - آدم الله تعالى ببركته الارتفاع، وباقتداء سلفه الارتفاع، وأعاد من
بركات بيته الذي قام البرهان بفضلله وقال بوضوح شمس الإجماع - في مشيخة حرم
سيدنا الخليل صلوات الله عليه وسلامه، على عادته القديمة المقدمة، ومستقر قاعدته
المعلومة المعلمة، بعد إبطال ما كُتِبَ به لغيره فإن هذا الوليُّ أولى، ولأن الحقَّ معه
وباع الحقَّ أطول على المعتنئين إطالة وطولاً، وضماً للتشبيح في عمله الفانح، وحلاً
على ما بيده من توافيق شريفة توارث بركتها ملوك البسيطة في الأول والآخِر، وحلماً
أنه بقية العلم المشيد، والزهد العتيق، وخليفة السلف الصالح وما منهم إلا من هو
«أمين» العزم «رشيد»، وأنه الشيخ وكل من عرفه في بقائه وإقامته مُريد، والقائم
بالمقام الخليلي - صلوات الله تعالى على سائرته - مقاماً مجتبي، والمنسب إلى خدمة
الحرم الإبراهيمي تحمداً صلى الله عليه ونسباً، والقديم الهجرة فلا تركه الأوطان
ولا تهجره، والمقيم بالبلد الخليلي على إقامة الخير: فما ضره أن العدو يسكوه إذا كان
«الخليل» يسكوه، وقد سبقت له مباشرات في هذا الحرم الشريف فكان عزها
تماماً، وشكرها لازماً، وكانت على الصادقين والواردين كتلك النار النبوية برداً وسلاماً.
فلعبد إلى مباشرة وظائفه المذكورة في التوافيق الشريفة التي بيده، وليكن يومه
في الفضل زائداً على أمسه مقصراً عن غده؛ بثناء يتلقى أضياف أبي الأضياف،
باليف أحوال الداخلين إليه شتاءً وصيفاً وإن لم تكن رحلة إيلاف، جارية في بركة
التدبير والتشجيع على عادته وعادة سلفه فتم انخلف ونعم الأسلاف؛ مؤابطاً على عادة
نقواه ورفع الأدعية لهذه الدولة الشريفة، جاعلاً ذلك منه أول وآخر كل
وظيفة، واهتد على ينفع ببركات سلفه وبه، ويكافئ عن الأضياف بسط راحته
بالخيرات وفضل نصيبه .



تَوْقِيعٌ بِمَشِيخَةِ الزَاوِيَةِ الْأَيْمَنِیَّةِ بِالْقُدْسِ وَنَظَرِهَا، كُتِبَ بِهِ لِلْقَاضِي «بِرْهَانِ الدِّينِ»
أَبْنِ الْمَوْصِلِيِّ بِ«الْجَنَابِ الْعَالِي» وَهُوَ :

رُسم ... - لا زال يُجْرَى الْأَوْلِيَاءُ فِي مَقَاصِدِهِمْ عَلَى أَجَلٍ عَادَةٍ، وَيَخْتَارُ مِنْهُمْ لِمَوَاطِنِ
الْخَيْرِ مَنْ يَرَعَاهَا بِنَظَرٍ يُجَرِّمُهَا السَّعَادَةُ - أَنْ يُجْعَلَ فَلَانٌ فِي وَظِيفَتَيِ النَّظَرِ وَالْمَشِيخَةِ
بِالزَاوِيَةِ الْأَيْمَنِیَّةِ بِالْقُدْسِ الشَّرِيفِ ، عَلَى حَكْمِ التَّزْوِلِ وَالتَّقْرِيرِ الشَّرْعِيِّ الْمُسْتَمَرِّ
حُكْمُهُمَا إِلَى آخِرِ وَقْتٍ ، وَاسْتِمْرَارِهِ فِي الْوُظُفَتَيْنِ الْمَذْكُورَتَيْنِ بِمُقْتَضَاهُمَا ، وَمَنْعِ
الْمُنَازَعِ بِغَيْرِ حَكْمِ الشَّرْعِ الشَّرِيفِ .

فَلْيَأْشَرْ ذَلِكَ بِمَا يُقْتَدَى بِهِ مِنْ تَسْلِيكِهِ وَتَأْدِيهِ ، وَتَسْرِعِ رَغْبَتُهُ فِي هَذَا الْمَقَامِ
وَمِنْ عَنَايَةِ تَهْنِئَةٍ ؛ وَالْوَصَايَا كَثِيرَةٌ وَلَكِنْ لَا تُقَالُ لِمَنْشِلِهِ إِذْ هُوَ مُعَلِّمٌ ، وَتَقْوَى اللَّهِ
سُبْحَانَهُ أَهْمٌ وَأَعْظَمُهَا ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى الْمُسْتَوْلُ أَنْ يَرْشِدَنَا إِلَيْهَا ، وَأَنْ يَجْعَلَ فِي كُلِّ
الْأُمُورِ أَعْتَادَنَا عَلَيْهَا ؛ بِمَنْنِهِ وَكَرَمِهِ ! .

الصنف الخامس

(مِمَّا يُكْتَبُ لِأَرْبَابِ الْوُظَائِفِ بِالشَّامِ - تَوَاقِيعُ الْعُرَبَانِ)

وَالَّذِي وَقَفَتْ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ مَرَسُومٌ مَكْتُوبٌ بِرُجْعِ تَقْدِيمَةِ بَنِي مَهْدَى بِ«الْمَجْلِسِ
السَّامِيِّ» بِغَيْرِ يَاءٍ، كُتِبَ بِهِ لـ«حُوسَى بْنِ حَنَاسٍ» مَفْتَحًا بِ«أَمَّا بَعْدُ» وَهُوَ :

أَمَّا بَعْدَ حَيْدِ اللَّهِ تَعَالَى الَّذِي جَمَعَ عَلَى الطَّاعَةِ الشَّرِيفَةِ كُلِّ قَبِيلَةٍ ، وَبَسَطَ عَلَى ذَوِي
الْإِخْلَاصِ ... (١) ... الظَّلِيلَةِ ؛ وَالشَّهَادَةِ بِأَنَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ

(١) يَبَاضُ فِي الْأَصْلِ وَلَعَلَهُ «ظِلَالُ نَمَةِ الظَّلِيلَةِ» .

شهادة أخذها للتوحيد دليلاً، والصلاة والسلام على سيدنا محمد عبده ورسوله الذي
أخذ الله تعالى حبيبه وخليفه، وآتاه الدرجة الرفيعة والوسيلة، وعلى آله وصحبه
صلاة مباركة أصيله - فإن الأولى لتركية القوم رُعي، وذو الإخلاص ينجح له
كل مسعى، والجدير بالنعم من يُجيب بالطاعة حين يُدعى، من سلك في الخدمة
الشريفة مسلك الأسلاف، وتجنب ما يُقضى إلى الشقاق والخلاف؛ فعند ذلك
رفعنا مراتبه، وضاعفنا مواهبه، وأزنا بالإقبال الشريف كواكبه، وأجملنا مكاسبه؛
وبسطنا في رُبْع تقديمه بنى مهدى كلامه، ونفّذنا أمره على طائفته: قوله وإبرامه من
أخفى مشكوراً من كل جانب، مُجتهداً في المصالح وبلوغ المآرب؛ من عُرف بالأمانة
فسلكها، وأشتهر بالصيانة فلكها؛ وحاز أوصافاً حسنة، وسيرة نطقت بها
الآلئسة، وكان فلانٌ هو الذي أخفى على عُربانه مقتماً، ومن أكارهم معظماً .
فلذلك رُسم بالأمر الشريف - لا زالت مراتبه الشريفة عالية نافذة، وأوامره
بصلة الأرزاق عائدة - أن يستقر ... على عادته وقاعدته : حملاً على ما بيده من
التوقيع الكريم .

فليباشر هذه الإمرة مع شركائه مباشرة حسنة، وليسرفها مسيراً تسكره عليه
الآلئسة؛ وليظهر السداد، وليبدل الطاعة والاجتهاد؛ وليسلك المسالك الحسنه،
والله تعالى يجعله من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، والوصايا كثيرة
وملاكمها تقوى الله تعالى، والله تعالى يعمل إحساناً إليه يتوالى .

قلت : وقد تقدم أنه يكتب بإمرة بنى مهدى من الأبواب السلطانية أيضاً .
على أن هذا التوقيع من التواقيع الملققة، ليس فيه مطابقة للتواقيع، وليس برائق
اللفظ، ولا مؤثق المعنى .

(١) هذا الكلام كانه عليه المؤلف يد غير منسجم بل غير مستقيم .

الصنف السادس

(مما يكتب لأرباب الوظائف بالشام - تواقع زعماء
أهل الذمة : من اليهود والنصارى)

وهذه نسخة توقيع لبطرك النصارى مفتتحاً بـ «أما بعد» كُتب به للبطرک
« ميخائيل » وهى :

أما بعد حمد الله الذى جعلنا نَشمَلُ كل طائفة بمزيد الإحسان، ونُقِضَ من
دولتنا الشريفة على كل بلا أطمئناناً لكل ملة وأمان، وقُرَّ عليهم من آخثاره
وتراعهم بمزايا الفضل والأمتان، والشهادة بأنه الله الذى لا إله إلا هو الواحد
الذى ليس فى وحدانيته قولان، والقرء المنزه عن الجواهر والأقنوم والوالد والولد
والحلول والحدثان، [شهادة] أظهر إقرارها اللسان، وعملت بها الجوارح والأركان؛
والصلاة والسلام على سيدنا محمد عبده ورسوله المبعوث إلى كافة الملل والإنس والجان،
الذى بشر به عيسى وآمن به موسى وأزل عموم رسالته فى التوراة والإنجيل والزبور
والفرقان، فصَحَّ الثقل بنبوته وآدم فى الماء والطين وأوضع ذلك البرهان، وعلى آله
وتحبه الذين سادوا بإخلاص الوجدانية، وشادوا أركان الملة المحمدية، وأعزوا
الإيمان وأذلوا الطغيان، صلاة ينفع طيها، ويُفصح خطيها، ويُفرج بها الرحمن -
فارت أولى من أقتناه بطريكا على طائفة النصارى الملكية، على ما يقتضيه دين
النصرانية والملة العيسوية؛ حاكماً لهم فى أمورهم، مُفصِّحاً عما كن فى صدورهم -
من هو أهل هذه البطريكية، وعارف بالملة المسيحية؛ أخذ لها أهل طائفته، لما
يعلمون من خبرته ومعرفته، وكفايته ودربته؛ ونُذِب إلى ولاية يستحقها
على أبناء جنسه، ورغب فى سلوكه لها مع إطابة نفسه، مع ماله من معرفة سرت

أخبارها ، وظهرت بين النصارى آثارها ؛ وكان فلان - أدام الله تعالى بهجته - هو من النصارى المكيّة بالمعرفة مذكور ، وسيره بينهم مشكور ، القائم فيهم بالسيرة الحسنه ، والسالك في مذهبهم سيرا تشكره عليها الألسنه .

فلذلك رسم بالأمر الشريف - لا زال إحسانه العميم لكل طائفة شاملا ، وبره الجسيم لساير الملك بالفضل متواصلا - أن يستقر بطركا على النصارى المكيّة بالشام وأعماله ، على عادة من تقدمه في ذلك ، وتقوية يده على أهل ملته ، من تقادم الستين بحكم رضاهم ، ومنع من يعارضه في ذلك : حملا على ما بيده من التوقيع الكريم المستقر حكمة إلى آخر وقت .

فليأثر هذه البطركية مباشرة بمجودة العواقب ، مشكورة لما تحلّت به من جميل المناقب ، وليحكم بينهم بمقتضى مذهبه ، وليسرّ فهم سيرا جيلا ليحصل لهم غاية قصده ومأربه ؛ ولينظر في أحوالهم بالرحمة ، ويعمل في تعلقاتهم بصنق القصد والمهمة ؛ وليسلك الطرق الواضحة الحليّة ، وليتخلّق بالأخلاق المرضيّة ، ليفصل بينهم بحكم مذهبه في موارثهم وأنكحتهم ، وليعتمد الزهد في أموالهم وامتعتهم ؛ حتى يكون كل كبير منهم وصغير ممثلا لأمره ، واقفا عندما يقدم به إليه في سرّه وجهه ؛ متصيين لإقامة حرّته ، وتنفيذ أمره وكتبه ؛ وليحسن النظر فيمن عنده من الرهبان ، وليرفق بذي الحاجات والضعفاء : من النساء والصبيان ، والأساقفة والمطارنة والقسيسين زيادة للإحسان ؛ إحسانا جاريا في المساء والصباح ، والنود والرواح .

فليمتثلوا أمره بالطاعة والإذعان ، وليجيئوا تيسه من غير خلاف ولا توان ؛ ولا يمتكن النصارى في الكائن من دقّ النافوس ، ورفع أصواتهم بالصّحيج ولا سيما عند أوقات الأذان لإقامة الناموس ؛ وليتقدّم إلى جميع النصارى بأن كلّا منهم يلزم

زِيَّةً، وما جاءت به الشروط العُمرِيَّةُ - عُرِّنَ الخطاب رضى الله عنه - لتكونَ أحوالهم في جميع البلاد مَرَّعِيَّةً، وَلِيَخْشَ عَالِمُ الْخَفِيَّاتِ، وَلِيَسْتَعْمِلَ الْإِنَاءَةَ وَالصَّبْرَ في جميع الحالات؛ والوصايا كثيرةٌ وهو بها عارف، والله تعالى يُلْهِمُهُ الرُّشْدَ والمعارف .

قلتُ : وهذا التوقيع فيه ألفاظٌ ومعاني غير مستَحْسَنَةٍ، وألفاظٌ ومعاني مُنكَرَةٌ، اغْتَنَبَهَا قَوْلُهُ : مُفْصَحًا عَمَّا كُنَّ في صُدُورِهِمْ . فَإِنَّهُ لَا يَعْلَمُ مَا تُخْفِي الصُّدُورُ وَتَكُنُّهُ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى .

واعلم أنه ربما أَفْتَحَ تَوْقِيعُ الْبَطْرِيرِكَ عندهم بـ «رُسم بالأمر» .



توقيع لبَطْرِيرِكَ النصارى بالشام أيضا، كُتِبَ به للبَطْرِيرِكَ «داود النحورى» بـ «البَطْرِيرِكَ المحتشم» وهو :

رُسم بالأمر - لازال يَبْزُ بِالْإِكْتِجَاءِ إِلَى حَرَمِهِ مِنْ يَأْوِي إِلَيْهِ، وَيَقْصِدُ عَدْلَهُ مِنْ أَهْلِ الْمَلِكِ وَيَعْتَمِدُ عَلَيْهِ - أَنْ يَسْتَقِرَّ فُلَانٌ - وَقَّهَ اللَّهُ تَعَالَى - بِطَرِيرِكَ الْمَلَكِيَّةِ، بِالْمُلْكَةِ الشَّرِيفَةِ الشَّامِيَةِ الْمَحْرُوسَةِ، حَسَبَ مَا آخَرَاهُ أَهْلُ مَلِكِيَّةِ الْمُقْبِعُونَ بِالشَّامِ الْمَحْرُوسِ وَرَغِبُوا فِيهِ، وَكَتَبُوا خَطُوطَهُمْ بِهِ ، وَسَأَلُوا تَقْرِيرَهُ فِي ذَلِكَ دُونَ غَيْرِهِ ؛ إِذْ هُوَ كَبِيرُ أَهْلِ مَلِكِيَّتِهِ، وَالْحَاكِمُ عَلَيْهِمْ مَا أَمَدَ فِي مَدَّتِهِ ، وَإِلَيْهِ مَرْجِعُهُمْ فِي التَّحْرِيمِ وَالتَّحْلِيلِ، وَفِي الْحُكْمِ بَيْنَهُمْ بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي التَّوْرَةِ وَلَمْ يُنْسخْ فِي الْإِنْجِيلِ؛ وَشِرْعَتِهِ مَبْنِيَّةٌ عَلَى الْمَسَاحَةِ وَالْإِحْتِمَالِ، وَالصَّبْرِ عَلَى الْأَذَى وَعَدَمِ الْإِكْتِرَافِ [بِهِ] وَالْإِحْتِفَالِ .

نَحْنُ نَحْذَرُ تَهْكَأَ فِي الْأَوَّلِ بِهَذِهِ الْآدَابِ ، وَأَعْلَمُ أَنَّ لَكَ فِي الْمَدْخَلِ إِلَى شَرِيعَتِكَ طَرِيقًا إِلَى الْبَابِ؛ فَتَخْلُقُ مِنَ الْأَخْلَاقِ بِكُلِّ جَمِيلٍ ، وَلَا تَسْتَكْثِرُ مِنْ مَتَاعِ الدُّنْيَا

فإنه قليل ؛ وقدم المصالحة بين المتحاكين إليك قبل الفصل البتَّ فإن الصلح كما قيل : سبب الأحكام ، وهو قاعدة دينك المينجي ولم تخالف فيه المحمدية الفراء دين الإسلام ، ونظف صدور إخوانك من الغل ولا تقنع بما ينظفه ماء المعمودية من الأجسام ، وإليك الأمر في البيع ، وأنت رأس جماعتك والكل لك تبع ، فإنك أن تفقد لها لك تجارة مريجه ، أو تقطع بها مال نصراني تقربه فإنه ما يكون قد قربه إلى المذبح وإنما ذبحه ، وكذلك الديار - والقلالي ، [يتعين عليه أن يتفقد فيها كل أمر في] الأيام والليالي ، وليجتهد في إجراء أمورها على ما فيه رفع الشبهات ، ولتعلم أنهم إنما اعتزلوا فيها للتمدد فلا يدعها تفقد متزهات ؛ فهم إنما أحدثوا هذه الزهانية للثقل في هذه الدنيا والتعفف عن الفروج ، وحسبوا فيها أنفسهم حتى إن أكثرهم إذا دخل إليها ما يعود بقي له خروج ؛ فليحذرهم من عملها مبيدة لئلا ، أو خلوة له ولكن بالنساء حراما ويكون إنما تزه عن الحلال ؛ وإياه ثم إياه أن يؤوى إليه من الغرباء القادمين عليه من ريب ، أو يكتم عن الإنهاء إلينا مشكل أمر ورد عليه من بعيد أو قريب ؛ ثم الحذر الحذر من إخفاء كتاب رد [إليه] من أحد من الملوك ، ثم الحذر الحذر من الكتابة إليهم أو المشي على مثل هذا السلوك ؛ وليتجنب البحر وإياه من أفتحامه فإنه يفرق ، أو تلقى ما يلقيه إليه جناح غراب منه فإنه بالبين يتفق ؛ والتفوى مأمور بها أهل كل مله ، وكل موافق وخالف في القبلة ؛ فليكن عمله بها وفي الكاية ما يقني عن التصريح ، وفيها رضا الله تعالى وبها أمر المسيح .



توقيع براسة اليهود بالشام ، مفتحا بـ « رسم » من إنشاء الشيخ جمال الدين ابن نباتة ، وهو :

رُسِمَ بالأمر - لا زال جُودُهُ في كُلِّ مِلَّةٍ ، وَعَسَامُ كَرَمُهُ عَلَى الْخَلْقِ كَأَنَّهُ طُلُوعُهُ ،
وَزِمَامُ نَعْمِهِ يُبَلِّغُ الْمُسْلِمَ وَالذَّمِّيَّ مِنَ الْأَسْتَحْقَاقِ مَحَلَّهُ ، أَنْ يَسْتَقِرَّ الْحَكِيمُ ... (١) ...

ومنه : - وَأَنْ يَمْلِكَهُمْ عَلَى مَا أَلْفَوْهُ مِنَ الْأَحْكَامِ ، وَيُنْصِفَ صَاحِبَ حَقِّهِمْ
مَنْ مُتَطَلِّبُهُمْ : حَتَّى لَا يَسْتَوْ أَحَدٌ فِي سَبْتٍ وَلَا فِي سَائِرِ الْأَيَّامِ ؛ وَيُهْدَبَ وَحْشِيٌّ
جَاهِلُهُمْ بِإِيْنَانِهِ ، وَيَعَالَجَ سَمَّ كَاهِلِهِمْ حَتَّى تَطْلُعَ الصُّفْرَاءُ مِنْ رَأْسِهِ .

فَلْيَقُمْ مَقَامًا فِي هَذِهِ الطَّائِفَةِ الْقَدِيمَةِ ، وَلْيَعْبَرْ مِنْ أَصْفَارِ عِبْرَانِيَّةٍ عَنْ عَوَائِدِ قَضَائِيَاهُمْ
النَّظِيمَةِ ؛ مُفَرَّحًا بِمَعْرِفَتِهِ كُلِّ حَزَّانٍ ، جَامِعًا كُلَّ شَعْبٍ عَلَى عَدْلٍ عِنْدَهُ وَإِحْسَانٍ ؛
شَاكِرًا لظُلَلِ النُّعْمَةِ ، عَارِفًا بِالْعَوَارِفِ الَّتِي تَرَعَى يَمِينَهَا كُلُّ ذِمَّةٍ .

النيابة الثانية

(من التبايات التي يكتب عن نوابها بالولايات - نيابة حلب)

وهي على نحو من نمط دِهَشَقٍ فيما يكتب عن نائبها . فيكتب عن نائبها أيضا
بالتواقيع لأرباب الوظائف بمحاضرة حلب وأعمالها : من أرباب السيوف ، وأرباب
الأقلام الدينية ، وأرباب الأقلام الدنيوية ، ومشايخ الأماكن وغيرهم ، مُرَتَّبَةً عَلَى
المراتب الثلاث : من الافتتاح بـ «الحمد لله» ، والافتتاح بـ «أما بعد حمد الله» ،
والافتتاح بـ «رُسِمَ بالأمر» .

وهذه نسخُ تَوَاقِيْعٍ مما كتب به لأرباب السيوف بمحاضرة حلب وأعمالها ،
يُستَضَاءُ بِهَا فِي ذَلِكَ :

تَوْقِيعٌ بِقَابَةِ الْأَشْرَافِ، كُتِبَ بِهِ لِلشَّرِيفِ عِمْرَ الدِّينِ «أَحْمَدُ بْنُ أَحْمَدَ الْحُسَيْنِي»
بِـ«الْمَقَرِّ الْعَالِي» وَهُوَ :

أَمَّا بِعَدِّ حَمْدِ اللَّهِ الَّذِي خَلَدَ السِّيَادَةَ فِي بَيْتِ الشَّرِيفِ أَحْمَدَ تَحْلِيدَ ، وَقَلَّدَ تَقَالِيدَ
السَّعَادَةِ ، لِأَهْلِ الْإِنْفَادَةِ ، أَسْعَدَ تَقْلِيدَ ، وَجَدَّدَ الْوِفَادَةَ ، حَلَّمَ الْعِبَادَةَ ، بَرَزَ الْعِصَابَةَ
الْمُحَمَّدِيَّةَ أَكَّدَ تَجْدِيدَ ، وَالصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ عَلَى سَيِّدِ الْخَلْقِ الَّذِي عَقَدَ الْعَهْدَيْنِ لِأُمَّتِهِ ،
بِالتَّقْلِيدِ : مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَفَرِيَّتِهِ ، وَسَرَّ النُّفُوسَ الْمُؤْمِنَةَ هُدَاهُ بِكُلِّ أُنْبَى مِنْ أَسْرِيَّتِهِ ، وَأَقَرَّ
الْعِيُونَ الْمُرَاقِبَةَ بِكُلِّ سِرٍّ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ تَبَرَّقَ أَنْوَارُ النُّبُوَّةِ مِنْ أَسْرِيَّتِهِ ، وَعَلَى آلِهِ حَبْلُ
النَّجَاةِ لَتَمَسَّكَ ، وَسُبُلُ الْمُهْدَاةِ لَتَنْسَكَ ، وَصَحْبِهِ نَجْمُ الْمُهْدَى ، وَرُجُومُ الْعِدَا ، وَأُمَمٌ
الْخَيْرِ لَمْ يَهْمُ أَقْتَدَى ؛ صَلَاةً وَسَلَامًا ، يَتَعَاقَبَانِ دَوَامًا ، وَيَتَلَاوِمانِ عَلَى الْإِلَهِيَّةِ مَدَى
الْمُهْدَى لِزَامَا ؛ مَا حَلَا بَعِينَ وَطَفَ ، وَمَا عَلَا عَلَوَى ذُرَا شَرَفَ - فَإِنَّ أَمَّ مَا أَنْغَى
بِهِ وُلاةَ أُمُورِ الْإِسْلَامِ ، وَأَمَّ مَا أَقْنَى مِنْهُ رُعاةَ أَجْوَرِ الْحُكَّامِ - رِطَابُهُ مِصَالِحُ أَهْلِ
الْبَيْتِ ، وَاتِّهَارُ الْفُرْصَةِ فِي مُوَالَاهِمِ حَتَّى لَا يَقَالَ لِقَوَاتِهَا : لَيْتَ ؛ وَتَعْظِيمُ مَا عَظَّمَ اللَّهُ
تَعَالَى مِنْ حُقُوقِهِمْ ، وَتَكْرِيمُ مَا كَرَّمَ رِسُولُهُ مِنْ رِثْمِمْ وَأَجْنَابِ عَقُوبِهِمْ ، وَتَقْدِيمُ
أَحَقِّهِمْ بِالتَّقْدِيمِ لِأَحَقِّ سَبَاقِهِمْ إِلَى غَايَاتِ الْغُلُوفَاتِ وَسَبُوقِهِمْ ، وَالتَّعَبُّدُ بِالتَّعَبِّ
وَالْاجْتِهَادُ فِي تَقْيِيمِهِمْ ، وَنَضْبُ النُّفُوسِ لِلنَّصَبِ لِتَجَرُّدِ بُولِ الْفَخْرِ بِمُوَالَاهِمِمْ ،
وِإِعْلَانُهُمْ عَلَى الرُّؤُوسِ وَرَفِيهِمْ ؛ اخْتِيَارًا لِرَأْيِ مَنْ زَادَ فِي الْعَنَاءِ بِالْعِتْرَةِ الطَّاهِرَةِ
وَأَرْبَى ، وَأَتَمَّارًا بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾
خُصُوصًا بِقَابَةِ الْأَشْرَافِ ، وَالنَّظَرُ فِيمَا لَمْ يَنْتَفِ مِنَ الْأَوْقَافِ ؛ فَهِيَ شَامِلَةٌ لِمَجْمُعِهِمْ ، وَجَامِعَةٌ
لِشَمْلِهِمْ ، وَوَاصِلَةٌ لِنَفْسِهِمْ ، وَنَافِعَةٌ لِكُلِّهِمْ ؛ وَبِفَضْلِ مَبَاشَرِهَا تُسَبِّحُ عَلَيْهِمُ النِّعَمُ ،
وَتُسْتَدْرُ بِرِكةِ إِجْمَاعِهِمْ عَلَيْهِ سُبْحُ الرَّحْمَةِ ؛ وَيَكْفِيَانِهِ تَجْمَعُ الْمِنَّةُ لِمَرَاتِبِهِمْ وَأَحْسَابِهِمْ ،
وَبَيِّنَاتُهُ تَدْفَعُ الظُّلْمَةَ عَنْ مَتَابِعِهِمْ وَأَنْسَابِهِمْ ؛ وَهُوَ الْقَائِمُ عَنْ وُلاةِ الْأُمُورِ مِنْ خَدَمِهِمْ

بفروض الكفاية، والدائم الدَّائِبُ لمرأة أدهم لتحسن لهم الرعايه، فوجب الاحتفال باختيار من يُحِلُّ هذا المنصب الشريف، وتعين الابتهاُل في امتياز من يُسبِّغ عليه هذا الظلُّ الوريث، فمن قَدِم في هذه السيادة بيته، وأرتفع بمخض العيش لقرايته بعَاقِفِهِ وِدَائِهِ صِبْنُهُ، وتَزَه عن كُلِّ ما يَتَسَيَّنُ وتَبَرًّا، واكتسب حُلَّ الفَخَارِ العلية ومن أعرِض الدنيا الدنيَّة تَعَزَّى .

وكان فلانُ بن فلان - أسبغ الله تعالى ظلاله، وضاعف بمعالى الشرف جلاله - ممن حاز في هذه الخلال المَنَازِع، وجاز نيابة هذه الخصال بلا مُنَازِع، وورد من حياض المناقب الجميلة أعذب المَنَازِع، ودرى المراقى إلى المجد ودرِب، وبلغت نفوس مُحِبِّهِ من محال سَعُودِهِ الأَرَب، وقَرَّتْ عيُونُ أَقارِبِهِ بما حصل له من القُرب؛ وثَنَّا في حِجْرِ السَّعَادَةِ، وأَرْتَضِع لِبَآنِ الإِفَادَةِ، وَلَحِقَ بالسَّاقِبِينَ الأَوَّلِينَ من أَهْلِ بَيْتِهِ في الرَّهَادَةِ، وتَبَدَّلَ بالإِخْلَاصِ فظهرت على وَجْهِهِ أنوارُ العِبَادَةِ؛ وأَقْطَعَ على العمل، وبلغ من السُّلُومِ الأَمَلُ: قُومٌ تَشَبَّهَ بِالمُجَرَّةِ وهو شامة في شامه المنسوب :

وَرِثَ السَّيَادَةَ كَارِعاً كَأَيِّرٍ ! * كالرَّيْحِ أَثْبُوبُ عَلَى أَثْبُوبِ .

أَصْلُ نَفَائِرِ سَمَاءٍ، وَفَرَعُ نِجَائِرِ سَمَاءٍ، وَصِيَتْ فَضِيلُ هَمِي؛ أَثْبَتَ فِي أَعْلَى المَالِي قَدَمًا، وَنَاسَبَ قَدْرَهُ سَعْيُهُ كَرَمًا؛ وَجَلَّتْ صِفَاتُ مُحَاسِنِهِ اللَّائِقَةِ، وَحَلَّتْ الأَنْوَاءُ مَدَائِحُ سِجْيَاهِ الرَّائِقَةِ، وَتَمَلَّتْ الأَلْسُنُ وما مَلَّتْ ما تَمَلَّى عنه بِالنَّحِيرِ كُلِّ نَاطِقَةٍ .

فلذلك رُسم بالأمير الشريف - لا زالت أوامرُهُ يَرِثُ آلَ مُوالاتِهِ مَاضِيَهُ، وَنَوَاهِيَهُ بِقَهْرِ أَهْلِ مُعَادَاتِهِ قَاضِيَهُ - أن يستقر ... استقراراً يَهْرُ عَيْنَ العُلَا، ويسرُّ نفوسَ أَهْلِ الوَلَا، وَيَضَعُ الأَشْيَاءَ فِي مَحَلِّهَا، وَيُسَيِّدُ الأُمُورَ إِلَى أَهْلِهَا؛ وَيَسْتَجِلِبُ الأَدْعِيَةَ،

ويحمل بالولاء الجميل أُلُوبِهِ ؛ ويشرح خواطر الأشراف ويطيب نفوسهم ، ويرفع
بعد سُجُود الشُّكْرِ بالدعاء رُغُومَهُمْ .

فليأشِرْ هذه الوظيفة مباشرة بِقُوِّهَا آثارَ بَيْتِهِ الطاهر ، بعِزِّ كَرِيمٍ : لكلِّ مُصلِح
بالخير غامر ، ولكلِّ مُفسِدٍ بالضرِّ قاهر ؛ وحرِّمِ حَلِيمٍ : لكلِّ حقٍّ ناصر ، ولكلِّ
كثير جابر ؛ وليُصلِّ بالبرِّ رحمة ، ولْيُنِّل للضعيف كَلِمَةً ؛ وليُقِم بأعباء هذه الوظيفة
قيامَ عمَّة الشَّريف وأيسه ، وليُصمِّ عن أموال الأوقاف صِيَامًا يُقَرِّبُهُ الله تعالى به
ويُجَنِّبُهُ ؛ ليَحْمَد ، هذا المنصبُ الجليل ، في بَيْتِهِ الأصيل ، عودَهُ على أحمد ؛
وليُفِضْ قَرَابَتَهُ بِتثمينِ أموالهم ، وليُشْفِعِ النهضة بالمعرفة في تغيُّرِ غلامهم ؛ : لِنُدِرَ بَرَكَتُهُ
أخلاقَ أرزاقهم ، وَتَقَرَّ خَوَاطِرُهُمْ بمضاعفةِ أرزاقهم وإطلاقهم ؛ ويُحْصِبَ
في جنبِهِ مَرَحَاهُمْ ، وَيُقَرِّبْ في بابِهِ مَسَاعِيَهُمْ ؛ وَتَنْطَلِقَ بِشكرِهِ أَلْسِنَتُهُم الشريفة ، وَتَنْطَلِقَ
على نُحَيْتِهِ ظِلَالُ بيوتهم الْوَرِيقَةِ ؛ وَلْيَعْتَبِرْ وَيَحْتَرِ أشغالهم وَيَتَمَتَّعْ شُبَّانُهُم من الاحتراف
بِحِرَفِ الأدنياء ، وليأْمُرِ الآباءَ بتعهدِ تربيةِ الأبناء ؛ وليأْمُرْهم من العملِ بما يناسب
مَعَالِيَهُمْ ، وَلْيَجْبِرْهم بتدبيره السَّيِّدِ جَبْرًا يُبَيِّزُهُم بِحُسْنِ السَّمتِ من أوليائهم : وكلُّنا
من مَوَالِيهِمْ .

والوصايا كثيرة ، وَعَيْنُ عُلُومِهِ بَعْدَادُهَا بِصِيرِهِ ؛ وَتَقْوَى الله تعالى لَا يُحْمَلُ النَّصْ
عليها ، والإشارة بِحُسْنِ اليان وحَسَنِ البَنانِ إليها ؛ فَلتَكُنْ رُكْنُ أَمْنَتَادِهِ ، ورَأْسُ
مالِ أَعْتَادِهِ ؛ والله تعالى يُدَبِّمُهُ في صُعودِ دَرَجِ السُّعُودِ مُدَّةَ حَيَاتِهِ ، ويجمع له خَيْرِ
الدنيا والآخرة بِرَفْعِ دَرَجَاتِهِ .



وهذه نسخةُ توقيعِ بقابةِ الجيوش بِحَلَبَ ، كُتِبَ به لـ «ناصر الدين بن أيتبك»

بِهـ «السامي» بغيرِ ياء ، وهى :

رُسم بالأمر الشريف - لا زال أمره الشريف يُعَصِّد الجيوش بأفْصَدِ ناصر،
وَيُرِيْدُ أولياء الخِلمة إلى أَرْتقاء رَبِّ المعالي فكلُّ إنسانٍ عن إدراك عَلمها قاصر -
أن يَسْتَقِرَّ فلانٌ - أدام الله تَوْفِيقَه ، وجعل الثَّمين والسَّعد قَرينَه وَرِيفَقَه - ... أَسْتَقَرَّ أَرَأَيْتَ
يُظْهَرُ ما لم يَخْفَ من نَهْضَتِه وَكِفَايَتِه ، ويُشْهَرُ مَعْلَن سرِّ قَظْمَتِه وَدِرَايَتِه ؛ لأنَّه الفَارِسُ
الذي أَعَزَّ كلَّ راجِلٍ بِشِجَاعَتِه ، وأُثْمَارُسُ الذي خَبَرَ الوَقائِعَ بِحُسْنِ دُرَيْتِه وَدِرَايَةِ
صِنَاعَتِه ؛ والعارِفُ الذي أَتَصَفَّ بِالْخِبرَةِ وَحُسْنِ الصِّفَةِ ، وعُرِفَ بِأُمُورِه بِالْعَدَلِ
والمَعْرِفَةِ ؛ والمُهَامُ الذي عَلَتْ هِمَّتُه فَوْقَ كُلِّ هِمَّةٍ ، وكَشَفَ بِمِزِيلِ مُرُوءَتِه مِنْ
الْكُرْبَاتِ كُلِّ عُمَةٍ ؛ وسارَ في الجيوش سِيرةَ والدِه ، فَشَهِدَ كُلُّ بِمَا حَوَاهِ مِنْ طَارِفِ
الْفَضْلِ وَتَأَلَّاهُ .

فَيُضَاهِرُ ذلكَ : سائرًا في الجنود أحسنَ سِيرِه ، مُراقِبًا الله تعالى فيما يُبْدِيهِ مِنَ التَّوَلُّ
وَالْفِعْلِ وَالْعَالِيَةِ وَالسَّرِيرَةِ ؛ مُلَازِمًا ما يُلْزِمُهُ مِنْ حُقُوقِ هَذِهِ الوَظِيفَةِ ، فَإِنَّمَا بِمَا يَجِبُ
مِنْ أَدَاءِ الخِلمَةِ الشَّرِيفَةِ ؛ وَلْيَتَّقِ ما يُؤَمِّرُ بِهِ مِنَ الْأَوَامِرِ ، عَلِيمًا بِمَا يَتَعَيَّنُ مِنْ
حُقُوقِ المَأْمُورِ وَالْأَمْرِ ؛ [وَلْيَجْتَهِدْ] فِي جَمْعِ المَسَاكِرِ وإِعْلَامِهِم بِالْمُهَمَّاتِ ، وَلْيَتَفَقَّدْ
أَحْوَالَ الْجُنُودِ فِي سَائِرِ الْأَوْقَاتِ ؛ وَلْيُسْفِرِ الثَّقَابَ عَنِ الْوُجُوهِ بِالْخِلمَةِ يَوْمَ الْعَرْضِ ،
وَلْيُسِيلِ حِجَابَ السَّيْرِ عَلَى مَنْ أَدْرَكَهُ الْعَجزُ عَنْ أَدَاءِ الْفَرَضِ ؛ وَالْوَصَايَا كَثِيرَةٌ لِمُحْتَاجِ
إِلَى التَّعَدَادِ ، وَتَقْوَى الله تعالى هِيَ الْمُعْتَمَدُ فِي كُلِّ الْأُمُورِ وَعَلَيْهَا الْأَعْتَادُ .



تَوْفِيقٌ بِالْمُهَنْدِسِيَّةِ بِحَلَبَ ، كُتِبَ بِهِ لـ «فَرَسُ الدِّينِ الطَّنَاحِي» بِـ «الْجَنَابِ
السَّالِي» وَهُوَ :

رُسم بالأمر الشريف - لا زالت عِزَائِمُهُ تَسُدُّ لِلْمُهَمَّاتِ مِنْ غَيْرِ سَتِّ بَرِياضٍ
وَلَيْلَةِ أَدْوَاخِ الْهَمِّ فَرَكَ غَرَسًا ، وَتَقَرَّرُ لَهَا مِنْ شَابِ قُوْدِهِ فِي إِفَادَةِ الْوُقُودِ فَاجَابَ

قَصْدًا وَأَطَابَ نَفْسًا، وَلَا بَرَحَتْ عَيْنُهُ تَشْمَلُ مِنْ أَوْلِيَاءِ يَنْدَمُهَا كُلَّ شَهْمٍ إِذَا سَلَ
عَضْبًا أَزَالَ نَفْسًا وَأَسَالَ نَفْسًا، وَتَعَيَّنَ مِنْ أَعْيَانِهِمْ كُلِّ جَبِيلٍ يَوْذُ الْمُنَافِسُ
لَوْ شَاهَدَهُ وَلَا يَخْشَى يَدَ الرَّثِيِّ مِنْهُ نَفْسًا - أَنْ يَسْتَقِرَّ لِأَنَّهُ ذُو الْهِمَمِ الَّتِي
لَا تُلْحَقُ جِبَادُهَا، وَلَا تُسْبِقُ جَوْدَةُ جِبَادُهَا^(١)؛ لَا مُنْتَهَى لِصَغَارِ هِمَمِهِ فَأَنَّى تَذْكُرُكَ
جِبَادُهَا، وَلَا تَذْكُرُكَ سِوَاهُ فَأَنَّى تُقْنِي أَتَارُهَا؛ لَهُ قَدَمٌ إِقْدَامٌ فِي الرَّثِيِّ لَا يَزَالُ رَاسِمًا،
وَهَامَةٌ هِمَّةٌ لَمْ يَزَلْ تَرْفُهَا عَلَى الثَّرِيَاءِ بَازِحًا؛ وَلِأَنَّهُ الْفَارِسُ الَّذِي تُفَرِّسُ فِي عَجَالِهِ
الشَّجَاعَةُ، وَتَبْضَعُ الشَّهَامَةَ فِي الْحُرُوبِ فَكَانَتْ أَرْبَعُ بَضَاعَةٍ كَمْ أَزْرَتْ سُمْرَ رِمَاحِهِ
يَهَيْفُ الْقُدُودَ، وَاتَّجَلَّتْ بَيْضُ صَفَاحِهِ كُلَّ خَوْذٍ أَمْلُودَ؛ وَكَمْ جُرِدَتْ مِنْ مُطَرِّبَاتِ
قِسِيَةِ الْأَوْتَارِ فَرَاقَصَتِ الرُّؤُوسَ، وَشَرِبَتْ الرِّمَاحُ تَحَرَّ الدِّمَاءَ فَعَرَبَتْ عَلَى النُّفُوسِ:
لَهُ هِمَمٌ تَعْلُو السَّعَابِثَ رِفْعَةً، * وَكَمْ جَادَ مِنْهَا بِالنَّفَاسِ وَالنَّفْسِ!
وَنُجْنِي ثَمَارَ الْفَضْلِ مِنْ دَوْحِ غَرْبِهِ! * وَلَا غُرُو أَنْ نُجْنِي الثَّمَارُ مِنَ الْغُرُوسِ!
فَلْيَا شَرَّ هَذِهِ الْوُظَيْفَةِ مَبَاشَرَةً تَحْمَدُ فِيهَا الْوَرَادَ، وَتَشْكُرُهُ بِالْقَصْدِ أَلْسِنَةُ الْقَصَادِ،
وَيَذْكُرُهُ الْبَرِيدِيَّةُ بِالْخَيْرِ فِي كُلِّ وَادٍ؛ وَلِيَهَيَّيْ لِمَنْ [مَنْ الْقُرَى مَا يَهَيَّيْ^(٢)] الْمَضِيفُ،
وَلِيَحْصُلْ لِمَنْ التَّالِدُ مِنْهُ وَالطَّرِيفُ، وَلِيَتْلَقَهُمْ بَوَاحُ الْإِقْبَالِ، وَلِيُبْدَأَهُمْ بِالْخَيْرِ لِيَحْسُنَ
لَهُ الْمَالُ، وَلِيَجْعَلَ التَّوَيُّ إِمَامَهُ فِي كُلِّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ، وَلِيَتَّصِفَ بِالْإِنْصَافِ فَهُوَ
أَحْمَدُ الْأَوْصَافِ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ.



تَوْقِيعٌ بِتَقْدِيمَةِ الْبَرِيدِيَّةِ بِحَلَبَ، كُتِبَ بِهِ لِعِمَادِ الدِّينِ «إِسْمَاعِيلُ» بِهِ الْمَجْلِسُ
الْعَالِيُّ وَهُوَ:

(١) كَذَا فِي الْأَسْلِ مَشْرًا إِلَيْهِ بِلَاةُ التَّوَقُّفِ وَلَا تَوْقُفٌ لِأَنَّ الْأَوَّلَ جَمْعُ جَيْدٍ قَبِيضُ الرَّدَى. وَالثَّانِيَةُ
جَمْعُ جَوَادٍ لِقَرَسِ الرَّائِعِ السَّابِقِ .
(٢) زِيَادَةُ تَطْلِيحِ صَحَّةِ الْمَعْنَى .
(٣) ذِكْرُ الْقَدَمِ وَمَعْنَى أَتَى بِجَارَةِ الْعَامَةِ .

رُسم بالأمر الشريف - لا زالت عَيْنَيْهِ الكريمةُ تقدَّم إلى الرَّبِّ الْعَلِيِّ مِنْ بَنَى
أُسْ إقْدَامِهِ مِنَ الْمَرْوَةِ عَلَى أَشْرَفِ عِمَادٍ ، وَتُعَيِّنُ لِلْمِهْمَاتِ الشَّرِيفَةِ مِنْ أَمْتَعَلَى مِنْ
جِيَادِ الْعَزْمِ أَسْبَقَ جَوَادٍ ، وَتَتَلَبَّ لها مِنْ أَوْلِيَاءِ خَدَمِهِ كُلِّ نَدَبٍ لَمْ يَزَلْ سَاعِدُ سَعْدِهِ
مَبْنِيًّا عَلَى السَّدَادِ ، وَتُضَعِّدُ إِلَى أَفْقِهَا مِنْ ذَوِي الشَّهَامَةِ مَنْ فَاقَتْ بِمِيقَانِهِ الصَّعَادَ -
أَنْ يَسْتَقَرَّ ... : لِأَنَّهُ ذُو الْمِهْمِ الَّتِي سَامَى بِهَا الْفَرَاقِدُ ، وَالْكَفُّ الَّذِي تَسِطُّ
إِلَى الْقِيَامِ بِالْعِزَائِمِ إِذَا قَعْدَ عَنْهَا مِنْ ذَوِي الْمِهْمِ أَنْفَ رَاقِدٍ ، وَالْمَقْدَمُ الَّذِي قَدَّمَهُ
إِلِلْقَادِمُ عَلَى قَضَاءِ الْأُمُورِ الْمُتَعَصِّلَاتِ ، وَحَلَّى أَجْيَادَ ذَوِي الْمَارَبِ إِذْ حَلَّ لَمْ مِنْهَا
بَيْنَ عَزَمِهِ الْمُشْكَلَاتِ ؛ مَا عَلَا جَوَادَ بَرِيدٍ إِلَّا وَمَسَابِقَ الطَّرْفِ بِلِ الطَّرْفِ إِلَى الْمَرَادِ ،
وَلَا نَدَبَ إِلَى مِوَهْمٍ لِلْحَكْمِ فِيهِ نَيْلًا لِأَمَلٍ إِلَّا قَدَحَ مِنْ رَأْيِهِ فِي فَضَائِهِ أَوْرَى زِنَادٍ ؛
وَالْفَارُوسُ الَّذِي تَمَالَيْتَ بِكَفِّهِ الْعَوَامِلُ عُجْبًا فَاتَحَجَلَّتِ الْأَفْصَانُ ، وَحَلَّتْ إِذْ حَلَّتْ
بِقُلُوبِ الْأَعْدَاءِ وَإِنْ كَانَتْ مِنَ الْمُرَانِ ؛ وَالشَّهْمُ الَّذِي سَبَقَ السَّهْمَ إِلَى الْفَرَضِ ،
وَالشَّجَاعُ الَّذِي مَا أَعْرَضَ عَنْ مُحَارَبَةِ الْأَقْرَانِ : فَصَوَّى جَوْهَرَ شَجَاعَتِهِ مِنَ الْعَرَضِ ؛
وَالْيَقِظُ الَّذِي لَمْ يَكُنْ يَنْظُرُهُ إِنْسَانٌ ، وَلَا أَنْطَبَقَ عَلَى أَسْيَانِهِ الْمُسَهَّدَةِ بَيْنَيْنِ أَجْفَانِ .

فَلْيَبْشِرْهُ هَذِهِ التَّقْدِيمَةَ مِبَاشَرَةً يَشْهَدُ الْحَاسِدُ لَهَا فِيهَا بِالتَّقْدِيمِ ، وَيُقِرُّ الْحَاجِدُ أَنَّهُ أَهْدَى
لِمَا أُسْدَى إِلَيْهِ إِلَى صِرَاطِ عَزْمٍ مُسْتَقِيمٍ ؛ وَلْيَطَّرْ إِلَى قَضَاءِ الْمِهْمَاتِ الشَّرِيفَةِ بِأَجْنَعَةِ
السَّدَادِ ، وَلْيَمْتِظْ مِنْ جَوَادِ الْجَوَادِ أَسْبَقَ جَوَادٍ ؛ وَلْيَسَوِّينَ الْبَرِيدِيَّةَ فِي الْأَشْغَالِ ، وَلْيُقْبِلْ
عَلَيْهِمْ فِيمَا يَرُومُونَهُ مِنْ حُسْنِ السَّفَارَةِ بِوَجْهِ الْإِقْبَالِ ؛ وَلْيَسْلُكْ سَنَنِ الصِّدْقِ وَالتَّقْوَى
وَلْيَجْعَلْهَا لَهُ أَحْسَنَ سُنَّةٍ ، وَلْيَلْبَسْ سَوَائِغَ الْإِنْصَافِ فَلَنَهَا مِنْ مِهَامِ الْخَلَالِ جَنَّةً .



نسخةُ توقيعِ بِنَايَةِ عَيْتَابٍ ، كُتِبَ بِهِ لِنَاصِرِ الدِّينِ «مُحَمَّدُ بْنُ شُعْبَانَ» بِ«الْمَجْلِسِ
الْعَالِي» عَوَضًا عَنْ كَانِ بِهَا ، وَهِيَ :

رُسم بالأمر الشريف - لا زال إحسانه العميم، يرفع لناصر الدين قدراً، وامتنانه الجسيم، ينقذ له في حفظ الممالك المنصورة أمراً، ويؤتي أمر الرعية من حسنت سيرته سرّاً وجهراً - أن يستقر... .. : لأنه شهم سهم عرفانه مُصيب، وفارس ربع خبره وخبره خصب؛ له مناقب جليله؛ وسيرة محمودة جميلة؛ تنقل في المراتب تنقل البدر في صعوده، وأرتقى ذروة السيادة أرتقاء الكوكب في منازل صعوده؛ مابشر مباشرة إلا ونشرت له بها أعلام شكره، ولا علا مثله إلا تليت بها سور حمده وذكره؛ لم يزل متبعاً للحق في أحكامه، سالكاً سبل الصواب في تقيضه وإبرامه؛ فتح له إقبالنا الكريم بابه، فذلك قدّم على غيره في هذه النباه .

فلباشرها مقتضياً آثار العفاف، مُرتدياً أروية العدل والإنصاف؛ مُقيماً مَنّار الشرع الشريف، مُنصفاً من القوى الضعيف؛ والله تعالى يوفقه للصواب فيما تولاّه، وانلطف الكريم شاهد أعلامه .

قلت : وعلى نيابة عيتاب هذه يُقاس مافي منها من نيايات العشرات، فيجري الحكم في تواقعها كذلك . أما الطلبخانات فقد تهتم أن الأصل أنه لا يؤلى فيها إلا من الأبواب السلطانية .



وهذه نسخة مرسوم بإمارة الركب الحليّ المتوجه إلى الحجاز الشريف، كُتب به لشهاب الدين « أحمد بن الطنبا » بـ « الجنب الكريم » . والياض فيه وصل واحد، وهي :

رُسم بالأمر العالي - لا زال يمنح وقد الله تعالى بمن لم يزل شهاب هيمه في أُنق الصيانة منيراً، ويُستند أمرهم إلى كل تدب لا يزال على الحق ظاهراً وعلى ذوى الباطل

ظهِرَا - أَنْ يَسْتَقِرَّ فُلَانٌ مِنْ أَهْلِ الْمَوَالِي الْأَمْرَاءِ الطَّبِيعَاتِ بِحَلَبِ الْمَحْرُوسَةِ -
 أَعَزَّ اللَّهُ تَعَالَى نُصْرَتَهُ - أَمِيرًا عَلَى رُكْبِ الْحَاجِّ الْحَلِيِّ فِي هَذَا الْعَامِ الْمَقْبُولِ ، عَلَى أَجْمَلِ
 الْمَوَائِدِ ، وَأَكْلِ الْقَوَاعِدِ ، حَسَبَ مَا رُسِمَ بِهِ ، أَسْتَقْرَارًا يَتَّخِذُ بِهِ الْوَفْدُ عِنْدَ صَبَاحِ هِمَمِهِ
 السُّرِيِّ ، وَيَبْلُغُ بِهِمْ قِرَى الْفُفْرَانِ بِأَمِّ الْقُرَى ، وَيَنَالُ بِهِ طَيْبَ الْعَيْشِ بِطَبِيعَةِ وَطْأَتِهِ ،
 وَيُدْرِكُ بِجِدَادِ قَضِيلِهِ آرَاءَهُ ، وَيَمْتَنِعُ بِهِ زِيَارَةَ سَيِّدِ الْبَشَرِ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ ،
 وَيُفَوِّقُ بِهِ سَهْمَ إِصَابَتِهِ مِنَ الْبَشَرِ إِلَى صَرَامِي الْمَرَامِ ، وَيُسَهِّدُ بِهِ بَيْنَ قَبْرِهِ وَمِنْهَرِهِ رَوْضَةً
 مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ ، وَيُلَاسُ بِهِ سَوَائِغَ الْقَبُولِ لَتَكُونَ لَهُ مِنْ سِهَامِ الذُّنُوبِ أَوْقَى جُنَّةٍ ،
 وَيَرْدِي [بِهِ] بُرُودَ الثِّيِّ حِينَ يَتَرَعُّ مُحْرَمَاتِ الْإِحْرَامِ ، وَيُقْبِلُ بِهِ عَلَى ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى
 فِي الْوَهَادِ وَالْيَقَاعِ وَالْآكَامِ ، وَيَسْتَقْبِلُ بِهِ حَرَمَ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ ، وَيَسْبُلُ لَهُ
 الْمُنَاحِينَ دَخُولَهُ الْمَسْجِدِ مِنْ بَابِ بَنِي شَيْبَةَ ، وَيَتَعَاطَى بِهِ أَسْبَابَ التَّوْبَةِ ، لِيَنَالَ
 مِنَ الْعَفْوِ مِنَ اللَّهِ الْكَرِيمِ سَيِّبَهُ ، وَلَا يَقْتَصِرَ بِهِ عَنِ الطَّوَالِ إِلَى الدَّعَاءِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى
 لِنِعْمَةِ الرَّحْمَةِ بِفَضْلِهِ وَطَوْلِهِ ، وَيَدْخُلُ بِهِ حَرَمًا آمِنًا يُحْتَظَفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِ ،
 وَيَفْتَحُ بِهِ إِلَى الْمَقَامِ بَابًا مِنَ الْأَمْنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مُقِيمٌ ، وَيَذْكُرُ بِوُقُوفِهِ بِعَرَفَاتٍ
 وَوُقُوفِهِ (يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) .

فَلْيَا شِرْ هَذِهِ الْإِمْرَةَ الْمُبَارَكَةَ بِتَقَطُّهَا مِنْهَا لَحْجَرِ الْمَنَامِ ، وَلِيَصْرِفَ وَجْهَ
 سَهَامِهِ إِلَيْهَا فِي الْمَسِيرِ وَالْمَقَامِ ، وَلِيُنْفِقَ عَلَى الْحَاجِّ مِنْ كُنُوزِ مَعْدِنَتِهِ ، وَلِيَجْعَلَ الْقِيَامَ
 بِمَصَالِحِهِمْ مِنْ أَكْبَرِ هِمَّتِهِ ، وَلِيَسْعَ بِالصَّفَا فِي حِرَاسَتِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْفَسَادِ ، وَلِيُعْتَبِدَ
 صَوْنَهُمْ مِنْ ذَوِي الْعِنَادِ ، وَلِيُعَايِنَهُم بِالْإِرْفَادِ وَالْإِرْفَاقِ ، وَلِيَقْطَعَ مِنْ بَيْنِهِمْ شُقَّةَ
 الشَّقَاقِ ، وَلِيَجْعَلَ تَهْوَى اللَّهِ إِمَامَهُ فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ .



وهذه نسخ تواقع لأرباب الوظائف الدينية بحلب :

توقيع قضاء القضاة، كُتب به لقاضى القضاة جمال الدين «إبراهيم بن أبى جرادة»^(١)
قاضى قضاء حلب المحروسة الشهير: «أبن العديم» من إنشاء ... الخنفي ... بالمقر
الكریم» وهو .

الحمد لله الذى رفع مراتب المناصب العلية وكساها من ملايس أهلها حلل الجمال،
وجمع تملها فأقرنت بآلفها أقران الثيرين: شمس الضحى وبيت الكمال، ورفع عنها
يد المتناول والمتناول فأصبح رقم طرازها الموشى متمسجا على أحسن منوال، وقطع
الأطامع عن إدراك شأوها فلا يصل إليها إلا كل يخل من الرجال .

ثمحمده على نعمة التى أعترف من أعترف من بجرها الوافر بالخير الكامل والفضيل
المديد، وأعترف من أقطف ثمار جودها جميل النوال المفيد، وجزيل الإحسان
العديد؛ حمدا يوافي نعمة ويكافى مزيده، ويعم بالإنعام الشامل نائله ومزيده،
ونسكرك على مننه التى يقصر لسان الإطنا ب عن حصنها وتعدادها، وتعجز بنات
الفكر عن إدراك وصفها وتردادها، شكرا ينال به العبد رضا المعبود، ويبلغ به من
مقاصد الكرم والجود غاية المقصود؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له
ولا ضد، ولا والد له ولا ولد ولا ند؛ شهادة تبص وجه قائلها عند العرض،
ويطبق بها لسان التوحيد يوم تبدل الأرض غير الأرض؛ ونشهد أن سيدنا محمدا
عبده ورسوله الذى أظهر الله به الحق وأعلنه، وبهر بمقائق معجزاته العقول فأعترف

كُلِّ يَصْحَةُ مَا عَرَفَهُ وَيَتَنَّهُ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الَّذِينَ تَصَرَّاهُ اللَّهُ بِهِمْ
الإِسْلَامَ وَأَبَدَ أَحْكَامَهُ، وَأَحْكَمَ بِهِمْ مَبَائِيءَ الْإِيمَانِ الْمُتَبَيَّنَةِ وَأَبَدَ إِحْكَامَهُ؛ صَلَاةً تَعَطَّرُ
بِنَفَحَاتِ عَرَفِهَا أَرْجَاءُ الْمَدَارِسِ، وَيُنَادِي لِسَانُ فَضْلِهَا لَزَائِدَ فَرَائِدِ الْمَعَالِي عَلَى طَوْلِ
الْمَدَامِ^(١) رِسْ؛ وَسَلِّمْ وَمَجْدٌ وَكَرَّمَ، وَشَرَفٌ وَيَجَلُّ وَعَظَمٌ.

وبعدُ : فإنَّ أَوَّلِيَّ مَنْ لَحَظْتَهُ عَيْنُ الْعِيَاةِ وَالْقَبُولِ ، وَأَجْدَرُ مَنْ يَلُغُ مِنْ مَقَاصِدِ
الْمُنَاصِبِ الْعَلِيَّةِ غَايَةَ الْقَصْدِ وَالسُّوْلِ ؛ وَأَعَزُّ مَنْ رَفَى ذُرَا الْمَعَالَى وَأَرْزَقَ ؛ وَأَجَلُّ مَنْ
وُصِفَ بِالْأَوْصَافِ الْجَمِيلَةِ وَنُتِبَ بِالذِّيَاةِ وَالثَّقَلَيْنِ مَنْ سَارَتْ سِيرَةُ فَضْلِهِ فِي الْأَفَاقِ ،
وَدَلَّ عَلَى صِفَاءِ السَّرِيرَةِ مِنْهُ حُسْنُ الْأَخْلَاقِ ؛ وَأَشْتَهَرَ بِالْعُلُومِ الْجَزِيلَةِ ، وَالْمُنَاقِبِ
الْجَلِيلَةِ ، وَعُرِفَ فِي الْإِنْصَافِ بِالْأَوْصَافِ الْمَحْمُودَةِ وَالْحِصَالِ الْجَمِيلَةِ ؛ وَأُظْهِرَ مِنْ
الْعُلُومِ الشَّرِيفَةِ ، مَا حَيَّرَ الْعُقُولَ ، وَحَقَّقَ مِنَ الْمَسَائِلِ اللَّطِيفَةِ ، مَا جَمَعَ فِيهِ بَيْنَ الْمُشْتَقُولِ
وَالْمَعْقُولِ ؛ وَوَدَّقَ الْمُبَاحِثَ حَتَّى اعْتَرَفَ بِفَضْلِهِ الْخَاصِّ وَالْعَامِ ، وَفَرَّقَ بَيْنَ الْحَقِيقَةِ
وَالْمَجَازِ فَلَا يَحْتَاجُ إِلَى اسْتِعَارَةٍ إِذَا تَنَسَّبَ الْأَخْصَامُ ؛ وَحَكَّمَ بِمَا أَرَاهُ اللَّهُ فَاحْكَامُهُ
مَرَضِيَّةً ، وَقَضَايَاهُ فِي الْجُمْلَةِ قَدْ أَتَتْهُ فَهِيَ مُقَدِّمَةٌ فِي كُلِّ قَضِيَّةٍ ؛ وَثَابَرَ عَلَى الْقَاءِ
الدُّرُوسِ فِي وَقْتِهَا وَأَوَانِهَا ، وَقَرَّرَ كُلَّ مَسْأَلَةٍ فِي مَحَلِّهَا وَمَكَانِهَا ؛ وَأَفَادَ طُلَّابَ الْعِلْمِ
الشَّرِيفِ مِنْ فَوَائِدِهِ الْجَمَّةِ ، وَكَشَفَ لَهُمْ عَنْ غَوَامِضِ الْمُبَاحِثِ بَجَلٍّ عَنِ الْقُلُوبِ
كُلِّ نَمَّةٍ ؛ وَجَالَ فِي مِيَادِينِ الدُّرُوسِ غَيْرَ الْأَبْطَالِ ، وَحَازَ قَصَبَ السَّبْقِ فِي حَلِّبَةِ
الْقَضَاءِ قَرْدًا مُتَأَسِّفًا كُلَّ بَطْلَانٍ ؛ وَنَظَرَ فِي أُمُورِ الْأَوْقَافِ بِمَا أَرَاهُ اللَّهُ فَأَتَمَّنَ بِحُسْنِ
النَّظَرِ وَجَعَهُ ضَبِطُهَا ، وَأَجْرَى أُمُورَ الْوَاقِعِينَ عَلَى الْقَوَاعِدِ الْمَرْضِيَّةِ فَوَافِقَ الْمَشْرُوطِ
فِي شَرْطِهَا ؛ وَجَمَعَ مَا تَهْرَقُ مِنْ شَتْلِهَا فَأَجْمَلَ وَقَصَّلَ ، وَحَفِظَ أُمُومَهَا فَخَصَّلَ .

وأصله ؛ فهو الحاكم المشهور بالعدل والمعرفة ، والناظر الذي حيدت الأمور
تصرفه ؛ والإمام الذي أتم الأنام بأقواله وأفعاله ، والعالم الذي يحد الطالب إليه
شد رحاله ؛ والمدرس الذي أفاد بفقهِه المفيد النافع ، وترفع في البداية والنهاية
فهو المختار في المنافع ؛ وسلك منهاج الهداية ، فنال من العلوم الغاية ؛ فبدائع
ألفاظه لعقائد الدين منظومه ، وكثر عرّفانه عزيز المطلب ومحاسنه المشتعلة على
الكال معلومه .

ولما كان فلانٌ - أعز الله تعالى أحكامه ، وقرن بالتوفيق والسداد نقضه
وأبرامه ؛ هو المشار إليه بالأوصاف والنعوت ، والمعول عليه إذا نطق بالفضائل
والحاضرون سكوت ؛ والمشكور أثر بيته المشهور ، والمنشور علم عليه من السنة
والشهور ؛ ياله من بيت لم يزل معموراً بالثقوى والصلاح ، نجياً بأنيحة أهله ؛ فين
أحكامهم السيوف ومن أقلامهم الرماح ؛ فهو العديم المثل وبيته العديم ، وحرّم
فضيل يحج إليه الراحل والمقيم ؛ فاستحق أن تقابل مقاصده بالإقبال ، وتقابل
بما يؤمله مقابلة مثله ولا كسائر الأمثال .

فلذلك رسم بالأمر الشريف - لازالت مراسمه المطاعة تقرأ الحق في يد مستحقه ،
وترد الأمر إلى وليه ومالك رقه ؛ وتسوق هدى الإحسان إلى محله ، وتنزع
الاستحقاق في يد مستحقه والحق وضع الشيء في محله - أن يستقر بحكم
ظهور الحق بيده المباركه ، وخفاء الباطل الذي ليس له في الحق مشاركة ؛ استقراراً
مباركاً متميزاً ، بالخير والسعد مقروناً ؛ لأنه الأحق بأمر وطاقفه ، والطائف حول
حرمها المنوع طائفه ؛ وأولى من عقلت عليه عقيلته ، وردت إليه قريدهته ؛ وبأثر
بنفسه الكريمة ما عهد إليه سلفه ، وأنفرد به فلا يناله - إن شاء الله - إلا خلفه ؛

طالب أَلَفَتْ منه الأوقاف من الشَّفقة والخير، وحَفِظَ جِهاَتِها المحمَّية عن تطاول يد الغير؛ وتَمَّ بحَسَنِ نَظَرِهِ من المدارس كُلِّ دَارِس، وفازَتْ منه الدُّروسُ بالعالم العارِف والبَطل المَارس .

فلْيَا شَرَّ ذلك على ما تَقَدَّم له من حُسْنِ المباشرة ، وَلِيَجْتَهِدْ - على عوائده - في تحصيل رَيعِه مُثَاراً على الأجور أَشدَّ مُثَابَرَه؛ وَلِيَصْرِفَ أموال الأوقاف في مَصَارِفِها، بعد العِارة والتَّشْمِيرِ المَبْدَأَيْنِ في شَرَطٍ وَأَقْفِها ؛ وَلِيَسُوِّ - على مُقْتَضَى مَعْدِلته - بين القَوِيِّ والضعيف ، والشابِّ الصَّغِيرِ والشَّيخِ النَّحِيفِ ، على قَدَرِ تَفَاوُثِهِم في العِلْمِ الشَّرِيف ؛ وَلِيُطْلِقَ لِسَانه في إلقاء الدُّروس على عادته ، وَلِيُمَهِّدَ لِلتَّغْلِبِ طَرِيقَ الفَهْمِ لِيَنَالُوا القَصْدَ من إفادته ؛ وهو بحمد الله تعالى أَوَّلُ من أَدَّى الأمور على الوَجْهِ المَسْتَقِيم ، وَوَقَّى المَنَاصِبَ حَقَّها فَإِنَّ الوَفَاءَ جَدِيدٌ بِ«إِبْرَاهِيم» .

والوصايا كَثِيرَةٌ وإِلَه مَرْجوعُها ، ومن بِحَارِ عِلْمِه وَدِينِه المتين يَبْذُوعُها ؛ والله تعالى يُؤَيِّدُ به المَنَاصِبَ ، ويرْفَعُ بعلو رُتَبته المَرَاتِبَ .



نسخةُ تَوْقيع بَحْطَابَةِ جامع ، كُتِبَ به لقاضي القضاة « كمال الدين عمر » أبْنِ قاضي القضاة جمال الدين إبراهيم بن أبي جرادة الحَنَفِيّ ، الشهير بابن العديم ؛ « بالمقرَّر الشريف » وهي :

رُسِمَ بالأمر الشريف - لا زالت عِنَايَتُهُ تَرَقَّى في مَنَازِلِ المَحِيدِ من سَأْئِلِ بَقْضِله بِهَجَةٍ وَكَلَالَا ، وَتَدَلَّلَ جِيَادُها لِقُرْسَانِ الفضائل فَتَجِدُ لَهُم في مِيدَانِ البلاغة مَجَالَا ،

(١) يُشِيرُ إلى قوله تعالى : (وإبراهيم الذي وفى) .

وَتُسَلِّمَ رَأْيَهَا [إلى من صدق بارق سمعه ، وُوهِبَ من العلم] ملكاً لا ينبغي لأحدٍ من بعده - أن يَسْتَقِرَّ ... لأنه الإمامُ الذي [لو] تَقَدَّمَ عَصْرُهُ لكانَ أَحَدَ أئِمَّةِ الاجتهاد ، والعارِفُ الذي بلغ بولايته مُرِيدُ الْفَضْلِ غَايَةَ الْمُرَادِ ، والعالمُ الذي وَجَدَتْ أَخْبَارُ عُلُومِهِ نِسْبَةً يَطَابِقُهَا فِي الْخَارِجِ صَالِحُ الْعَمَلِ ، وَأَتْبَعَ سَنَنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فَلَمْ يَخْطَلْ طَرِيقَتَهُ الْمُتْلَى خَلَلَ ؛ وَالْمُحَقِّقُ الذي وَجَدَ إِلَى كُنْهِهِ الْحَقِيقَةَ أَكْمَلَ جَهَازَ ، وَالْمُقَوِّهِ الذي بلغ من البلاغة في كلام الْبَشَرِ حَدَّ الْإِعْجَازِ ؛ إِنْ خُطِبَ شَفَّ بِدُرِّ مَوَاعِظِهِ الْأَسْمَاعَ ، وَشَرَّفَ بِفُرُرِ فَوَائِدِهِ الْأَنْجَاعَ ؛ وَأَهْتَرَّتْ أَعْوَادُ الْمُنَاسِبِ طَرَبًا لِكَلِمَةِ الطَّبِّ ، وَرَوَى أَوَامُ الْقُلُوبِ سَمْعَ فَضْلِهِ الصَّبِّ ؛ وَإِنْ قَرَأَ فِي عِجْرَاهِ أَقْوَرُ بِفَضْلِهِ الْجَمْعُ الْجَامِعَ ، وَاسْتَقَلَّ « أَبْنُ كَثِيرٍ » حِينَ وَجَدَ « الْكِسَايَ » عَارِيًا مِمَّا لَدَيْهِ وَقَضَلَهُ الْجَمُّ أَكْمَلَ « نَافِعَ » :

خَطِيبُ إِذَا الصَّادِي تَصَدَّى لِفَضْلِهِ : * لِيَرَوَى ، فَاَنْوَاءُ الْعُلُومِ تُفَيْثُهُ !

وَإِنْ يَرَوِ الْجُلَّاسُ أَخْبَارَ أَحْمَدٍ ، * نَخِيرُ جَلِيسٍ لَا يُمَلُّ حَدِيثُهُ !

وهو الكامل الذي أدرك دَرَجَاتِ الْكَمَالِ فِي الْبِدَايَةِ فَامِنَ فِي النَّهَايَةِ وَهُوَ قَاضٍ مِنَ النِّقْصِ ، وَسَارَتْ عَيْسُ الطُّلَّابِ إِلَى حَضْرَتِهِ الْكَرِيمَةِ وَاجِدَةً وَلَكِنْ بِالنِّصِّ ؛ وَالصَّاحِبُ الذي اسْتَصْحَبَ سِيَارَ الْعُقَاةِ بِالْيَمِينِ ، وَأَزَالَ ظَنَّنَ قَاصِدَهُ فِي رِيِّهِ الشَّامِلِ بِالْيَقِينِ ؛ كَمْ أَطْلَقَ بِأَفْلَامِهِ الْمُفِيدَةِ مَكْرَمَةَ بَصَلَةِ الْأَرْزَاقِ ، وَنَسَخَ بِمُحَقِّقِ فَضْلِهِ رِقَاعَ الْأَوَّلِ بِالْمَطَاءِ عَلَى الْإِطْلَاقِ ؛ وَلَوْ نَظَرَ الْمَلَكَيْنِ : هَارُوتُ وَمَارُوتُ مَا مَلَكَهُ مِنَ

(١) الزيادة يقتضيا المقام .

(٢) الأوام بالضم الطش .

كنايته السَّاحِرَةَ لِأَنَّهُ السَّحَرُ الحلال ، ولو قَابَلَهُ «أَبْنُ هَلَالٍ» لَانْتَفَسَفَ بِدَرِّ قَضَلِهِ
عند الكمال :

فَفِي كَفِّهِ الْإِقْلَامُ تَهَزُّ بِالْقَنَّا ، * وَتَحْشَى سَطَاها الْأَسَدُ فِي غَائِبِ غَلِيَّا !
يُرْوَعُ سُيُوفَ الْمُنِيدُورِيِّ بِرَاعِهِ ، * وَقَدْ طَارَ مِنْ خَوْفِ حَدِيدِ دُبَابِهَا !

فَلْيَا شِرْ هَذِهِ الْخَطَابَةَ مُبَاشِرَةً تَرْشَفُ مِنْهَا كُتُوسَ كَلِمَةِ الْإِسْتِمَاعِ ، وَلِيَكْشِفَ لَهَا
عَنْ وُجُوهِ فَضَائِلِهِ الْقِتَاعَ ؛ وَلِيَنْشُرْ عَلَيْهِمْ مِنْ دُرَرِ بِلَاغَتِهِ مَا تَلْقَطُهُ أَنْوَاهُ الْمَسَامِعِ ،
وَلِيَنْشُرْ مِنْ طَلَى لِسَانِهِ عِلْمَ عِلْمِهِ الَّذِي لَا يَقَاسُ عَلَيْهِ غَيْرُهُ أَبِي اللَّهِ وَالْقَارِئُ الْجَمَاعِ ؛
وَلِيُطْرِبَ بِمَوَاصِلِ أَنْجَاعِهِ الْقَاطِعَةِ بِفَضَائِلِهِ الْمَسْكَلَةِ ، وَلِيُظْهِرَ مَا جَمَعَهُ مِنْ مَحَاسِنِهِ الَّتِي
هِيَ الْجَمْعُ الَّذِي لَا تَغْيِيرَ لَهُ ؛ وَلِيُثَبِّتَ عَلَى الْجَمْعِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ كُنُوزِ
الْفَضَائِلِ ، وَلِيُثَبِّتَهُمْ مِنْ بِلَاغَتِهِ الَّتِي أَنْحَلَتْ ذِكْرَ «قُسٍّ» وَ«سَحْبَانٍ وَائِلٍ» ؛ وَأَنْتَ
- أَسْبَغَ اللَّهُ تَعَالَى ظِلَالَكَ - مَعْدِنُ الْفَضَائِلِ فَأَتَى تُهْدِي إِلَيْكَ الْوَصَايَا ؟ ، وَالْمُنْتَصِفُ
بِصِفَاتِ الْكَمَالِ فَكَيْفَ تُعَرِّضُ عَلَيْكَ الْمَزَايَا ؟ ؛ وَلَكِنَّ الْوَصِيَّةَ بِتَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى مِنْ
شُعَائِرِ الْإِسْلَامِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يُدِيمُكَ غُرَّةً فِي جَبْهَةِ الْأَيَّامِ .



وهذه نسخةٌ تَوْقِيعُ بَتَدْرِيسِ الْجَمَاعِ الْمَذْكُورِ ، كُتِبَ بِهِ لِلْقَاضِي علاء الدين
«عَلَى الصَّرْحَدِيِّ» الشافِي ، نَائِبِ الْحَكَمِ الْعَزِيزِ بِحَلَبَ بِ«الْمُقَرَّرِ الْعَالِي» وَهِيَ :

رُسم بِالْأَمْرِ - لَا زَالَتْ صَدَقَاتُهُ تَمْنَحُ دُرُوسَ الْعِلْمِ الشَّرِيفِ بَعْلَى الْعُلُومِ ، وَتَتَدَبَّرُ
لَهَا مِنْ ذَوَى الْكِبْتِهَادِ مِنْ سَائِرِ بَحَمِهِ الْبَرَقِ وَسَائِرِ النُّجُومِ ، وَتَهَرُّرُ الطَّلَبَةِ مِنْ

أولى العناية من حَقِّ الفضائل وأطلع على سِرِّها المكتوم، وتُدبر عليهم من مشرب فوائده ما يُحَالُ أَنَّهُ الرِّحْقُ المختوم - أن يستقر فلانٌ استقراراً تقرُّ به عينُ الطالب، وتُلمَحُ من صوبِ فضله عينُ الصواب؛ ويُشيدُ به دَارِسُ الدروس، ويُطلعُ به في سماء الفضائل أنورُ شمس؛ وتُشرِّبه أعلامُ العلوم من طَيِّ الألسنة، ويُذهبُ من كُلِّ الطُّلْبة في تحصيل العِلْمِ الشريفِ وسَنَه؛ لَأَنَّهُ الحَبْرُ الذي شَهِدَتْ بِفَضْلِهِ الأسفار، وَرَحَلَتْ إِلَى فوائده الجَمَّةِ السُّفَار، وَالْبَحْرُ الذي جَرَتْ سَفُنُ الْأَذْهَانِ به فلم تُدركْ غَايَةَ قَرَارِهِ، وَعَجَزَتْ الْأَمْثَالُ عَنْ خَوْضِ تَيَّارِهِ، وَالْعَالَمُ الذي أَقْرَبَ عِلْمَهُ الْأَعْلَام، وَشَهِدَتْ بِأَحْكَامِ أَحْكَامِهِ الْأَحْكَام، مَا بَرَزَ فِي مَوْطِنِ بَحْثٍ إِلَّا وَبَرَزَ عَلَى الْأَقْرَان، وَلَا جَارَاهُ مُجْتَبَهُ إِلَّا وَكَانَا كَفَرَتَيْنِ رَهَان، وَلَا تَقَى بِمَنْطِقِي إِلَّا وَانْتَجَتْ مُقَدِّمَاتُ حِمِيمَةِ الْعِلْمِيَّةِ وَاجْتِهَادِهِ عَلَى فَضْلِهِ أَكْمَلُ بُرْهَان، وَلَا أَجْرَى جِيَادِ عُلُومِهِ إِلَى غَايَةٍ إِلَّا مُطْلَقَةُ الْعِنَان، وَلَا رَأَاهُ مِنْ أَخْبَرِ عَنْ فَضْلِهِ إِلَّا تَمَثَّلَ لَهُ : لَيْسَ الْحَبْرُ كَالْبَيَان؛ إِنَّ تَصَدَّرَ لِلْفَوَائِدِ أَلْتَقَطْتَ الْإِسْمَاعُ دُرَّ عَلَيْهِ النَفِيس، وَإِنْ دُرِّسَ تَحَالُ الطُّلْبة أَنَّهُ «أَبْنُ إِدْرِيس»؛ فَهُوَ طَوْدُ فَضْلٍ لَا يُسَامَى عُلُوًّا وَرِفْعَةً، وَلَا يُنَوَّى مُنَاوَاتُهُ مُنَاوِيٌّ وَلَوْ كَانَ «أَبْنُ رِفْعَةٍ» :

إِمَامٌ غَدَا لِّلْأَلْبَيْنِ مُسَلِّكًا * عَليمٌ، وَكَمْ أَوَّلَى الْفَضَائِلِ مِنْ وَلِي!

عَلَا فَاسَالِ الْبَحْرَ مِنْ فَيْضِ عِلْمِهِ ! * وَذَلِكَ سَبِيلُ جَاءَ بِالْفَضْلِ مِنْ عَلِي!

فليأشُرْ هذا التَّدْرِيسَ الْمُبَارَكَ مُبَاشَرَةً يُثَبِّتُ بِهَا فَوَائِدَهُ، وَيَنْتَرْجِمُهَا فَرَائِدَهُ؛ وَيُطَرِّبُ الطُّلَابَ بِطَرِيفِ الْعِلْمِ وَتَالِيهِ، وَيَجْمَعُ لَهُمْ مِنْ صَلَةِ الْفَضْلِ وَعَائِدِهِ؛ وَلِيَأْزِمَ الْمُبَاشَرَةَ مِلَازِمَةً لَا يَنْفَكُ عَنْهَا أَيَّامُ الدُّرُوس، وَلِيُزِيلَ الْقُلُوبَ بِمَصَابِيحِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَيُسِّرَ النُّفُوسَ .

وأنت - أمتنع الله بفوائدهك - من نُورِكَ الوصايا تُقتبس، ولم آتس الطالبُ نَارَ
فَضْلًا فأتى منها بأنورِ قَبَسٍ، والله تعالى يُبقيك للعلوم كثرًا لاتنفى مواهبه، ويديمك
للطلاب بحرًا لاتتقضى عجائبه .



وهذه نسخة توفيق بتدريس بالجامع المذكور لحنفي، كُتِبَ به للشيخ شمس الدين
«محمد القرني» الحنفي، به «الكتاب العالي»، وهي :

رُسم بالأمر - لازالت عنايته الكريمة تُطالعُ شمس الدين للهداية في أفق المدارس،
وتُسبِّدُ بالعلماء الأعلام من رُبوعها كلِّ دارِسٍ، وتمنحُ المقهاء بَنَ إِذَا تصَدَّى
للإفادة جادتْ نَفْسُهُ بالدررِ الثَّغَانِيسِ، وتَنُدُّبُ لَهَا من أُولَى البلاغة مَنْ إِذَا أَلْفَ
فَضْلًا وُجِدَتْ غُصُونُ أَقْلَامِهِ في رَوَاضَاتِ الطُّرُوسِ أَحْسَنَ مَوَانِسِ - أن يستقرَّ
فَلَانٌ : أَسْتَقَرَّارًا تُجْمَلُ به الدُّرُوسُ بالفوائد، وتمنحُ الطَّلِبَةَ منها بالصَّلَةِ والعائدُ، ويمدُّ
لهم من مَوَادِّ العلوم أَشْرَفَ مَوَانِدَ، ويورِدُهم من مَنَاهِلِهَا أعذبَ مَوَارِدَ؛ لِأَنَّهُ شَمْسُ
العلومِ ومُضْبِحُهَا، وقَرَّرَ لَيْلَ المُشْكَلَاتِ وصَبَّاحُهَا؛ وسَاعَدُ الفَتَاوَى الطَّائِرَةَ بفضائله
في الآفاق وجَنَاحُهَا، وروحُ كُتُوسِ العلوم وَرَاحُهَا، وطَلِيعَةُ الحَقَائِقِ وعُونُهَا،
وعَيْنُ الدَّقَائِقِ وإِنْسَانُهَا؛ والإمامُ الذي أُنِّمَ به الطُّلَابُ فاستحقَّ الإمامَ، والعالمُ
الذي أَجْتَهَدَ على فَضْلِ العلوم فاستوجبَ أَنْ يُنْعَتَ بِالْعَلَمَاءِ؛ والفاضِلُ الذي
ضُيِّطَتْ أَقْوَالُهُ : لِأَعْلَاقِ على سِرِّهَا المَكْتُومِ، فَأَخْتَصَّ فِعْلٌ عَلَيْهِ المُتَعَدِّي بِالزُّرُومِ
لِإِصْبَافِهِ بِالْعُمُومِ؛ كَمِ التَّقِطُ من دُرُوسِهِ الجَوَاهِرِ، وتمثَّلَ لأَبْكَارِ فَوَائِدِهِ : كَمِ تَرَكَ
الأَوَّلَ لِلاَّتَحَرِّ؛ قَابِلَتَهُ الأَسْفَارُ عن وَجْهِهِ فَوَائِدُهَا بِالإِسْفَارِ، وأَظْهَرَتْ لَدُكَّاهُ ذَكَانَهُ
مَا صَحَّتْ أَحْسَاؤُهَا من الإِضْمَارِ؛ فَهُوَ الْمُخْتَارُ لِهَذَا التَّدْرِيسِ : إِذْ دُرِّرُ فَوَائِدُهُ مَنَظُومَةً،
وَالْمُجْتَبَى لِلإِفَادَةِ بِسُلُوكِهِ طُرُقَ الْهُدَايَةِ إِلَى دَقَائِقِهَا المَكْتُومَةِ؛ وَكَمِ اسْتَنَارَتِ الطَّلِبَةَ

من تَمَرِّ فَضْلِهِ حَتَّى كَادَ أَنْ يَكُونَ ثَالِثَ الْقَمَرَيْنِ، وَجَمَعَ فِي صَدْرِهِ بَحْرَى الْمُتَقُولِ
وَالْمُتَقُولِ حَتَّى قِيلَ : هَذَا «تَجَمُّعُ الْبَحْرَيْنِ» :

هُوَ الْبَحْرُ، إِلَّا أَنْ فِيهِ عَجَائِبًا ، * وَوَافَرَ فَضْلُ لَيْسَ يُوجَدُ فِي الْبَحْرِ !
بَلَغَتْهُ السَّحَرُ الْحَلَالُ، وَإِنَّمَا * بَدِيعُ مَعَانِيهَا يَجِلُّ عَنِ السَّحْرِ !

فَلْيَا شَرُّ هَذَا التَّنْذِيرِ نَائِرًا دُرَّرَ قَرَائِدُهُ، نَاشِرًا غُرَرُ فَوَائِدِهِ، جَائِدًا بِمِيَادِ فَضَائِلِهِ
السَّابِقَةِ إِلَى الْغَايَاتِ، عَائِدًا بِصَلَاتِ حَقَائِقِهِ تَحْكَلُ لِلطَّلِبَةِ بِهِ الْمَسْرَاتِ؛ وَلِيَلْزِمَ أَيَّامَ
الدُّرُوسِ مَا أُسْدِيَ إِلَيْهِ مِنْ هَذِهِ الْوُظُفِيَّةِ، وَلِيَرْتَقِيَ مِنْ دَرَجِ التَّقْوَى لِنُفُورِ الْمَارِافِ
الشَّرِيفَةِ .



وهذه نسخة توقيع بإمامية وتصدير بجامع منكلي بقا الشمسي بحلب، كُتِبَ بِهِ
للشيخ شمس الدين «محمد الإمام»، بـ«الجناب العالي»، وهى :

رُسِمَ بِالْأَمْرِ - لَا زَالَتْ صِدْقَاتُهُ الْمُحِيْمَةُ تُطْلِعُ شَمْسَ الدِّينِ فِي أَفْقِ الْمَالِي، وَتَرْفَعُ
مِنْ أَوْلِيَائِهِ خِدْمَةً مِنْ جِيدِهِ بِالْفَضْلِ حَالِي، وَتَمْنَحُ رِبًّا مَنْ أَعْرَبَتْ عَنْ لَحْنِهِ الطَّيِّبِ
وَتَسْتَنْفِتُ مِنْ فِيهِ بِاللَّالِي، وَتَسْفَحُ غَيْثَ جُودِهَا عَلَى مَنْ أَجْمَعَ عَلَى طِيبِ مُسَامَرَتِهِ
وَرَفَعَ أَدْعِيَتِهِ الْأَشْمَاعُ وَاللَّيَالِي - أَنْ يَسْتَقَرَّ فَلَانْ - أَدَامَ اللَّهُ تَعَالَى ضِيَاءَ تَنَمُّسِهِ، وَبَنَى لَهُ
رَجْعَ السَّعْدِ مِنْ جُودِهِ عَلَى أَسْهٍ - ... لِأَنَّهُ الْإِمَامُ الَّذِي شَهِدَتْ بِمُحْسِنِ قِرَاءَتِهِ
الْحَارِيبُ، وَالْآتِي مِنْ فَضْلِ فَضَائِلِهِ بِالْأَغَارِيبِ؛ وَالْفَاضِلُ الَّذِي سَلَكَ طُرُقَ الْفَضَائِلِ
أَحْسَنَ سُلُوكٍ، وَشَهِدَ بِسَبْقِ جِيَادِ جُودِهِ فِي حَلْبَةِ الْأَخْبَارِ كُلِّ حَتَّى الْمُلُوكِ؛ وَالْكَامِلُ
الَّذِي بَلَغَتْ أَوْصَافُهُ الْمَحْمُودَةُ فَا مَنِ النَّقَائِصِ، وَأَخْتَصَّ بِجَمِيلِ الشِّمِّ وَحُسْنِ الْخِصَائِصِ؛
مَا أَمَّ إِلَّا وَشَهِدَ بِفَضْلِهِ كُلِّ مَأْمُومٍ، وَأَقْرَأُوا أَنَّ أَسْمَاعَهُمْ أَرْتَشَقَتْ رَحِيقَ فَضَائِلِهِ مِنْ

كأسيها المختوم ؛ وما سآمر الخواص إلا وشهد العوائم بحسن صفاته ، ولا حثت إلا
وكانت الملوك من روائه .

فليأثر هذه الوظائف المباركة مباشرة تقرأ بها النواظر ، وتجتمع الأئمة على أنه
أكرم إنسان وخير ناظر ؛ وليتصدّر لإلقاء الفوائد ، وليكسب الأسماع من علمه
بالطريف والتألد ؛ ولتناول معلومه أوان الوجود والاستحقاق ، هنيئاً مبسراً من غير
تقييد على الإطلاق ؛ ولتبق الله قياً أسدي إله من ذلك ، وليسلك من سنن التقوى
- بقدّم الصدق - أحسن المسالك .



وهذه نسخ تواقع لأرباب الأقلام الديوانية بحلب وما معها :

توقيع بكابة الدست بحلب ، كتب به له بهاء الدين بن الفرفور « ونظر بيت
المال بحلب ، بهالحناب العالي » ، وهو :

رسم بالأمر - لا زال ينظم عقود الإحسان في أجياد أوليائه ، ويؤزل لهم بوافر
نظيره وأق عطائه ، ويؤجى بهاء الدين على أحسن نظام فينجز له عدة وفائه - أن
يستقر استقراراً يبلغ به وجوه الآمال ، ويكسو النواوين ملايس البهاء
والكمال ، ويزيدها رفة بما يفعله من ذلك الجمال ؛ لأنه الفاضل الذي إذا
قصد المعاني أصاب ، وإذا سئل عن كل معنى لطيف أجاب وأجاب ؛ والقصيص
الذي إذا تكلم أجزل وأوجز ، وأسكت كل ذي لسن بفصاحته وأغجز ؛ والبلغ الذي
أبداع في مكتباته بثوره ومنظومه ، والديب الذي أطلع من أظهار كلمه المسموعة
في رياض الطروس ما يجمل الروض إذا أفخرت بشموه ؛ والكاتب الذي قطعت
بمعرفة الأقلام ، والحاسب الذي عقدت على خبرته خناصر الأنام ؛ والأديب الذي

جمع بين قلم الإنشاء الشريف (٩)، وحاز مافي ذلك من تآليد وطريف؛ ففقه دهره من
كاتب زين الطروس بحسن كتابته، وجل الألفاظ والمعاني بجميل درايته وفصاحته.
فنياسير ما علق به من ذلك مباشرة مقرونة بالسداد، مشكورة المساعي
والاعتقاد؛ مظهرًا براعة براعه، بإسطايد إبداعه الجليل وإبداعه؛ موقوفًا حواشي
القصص بتوقيعاته، مؤشيًا برود الطروس بترصيعاته وتوشيعاته؛ ناظرًا على اعتماد
مصالح بيت المال المعمور، وتحصيل حواصله على الوجه المشهور والطريق
المشكور؛ عالمًا بتقوى الله عز وجل في ضبط مصالح ديوان الجيوش المنصورة،
سالكًا من حسن الاعتماد طرقًا على السداد والتوفيق مقصوره، والوصايا كثيرة
وتقوى الله تعالى عيادها، فليجعلها عُمدته فيما يتم به للنفس المطمئنة مُرادها،
وليتناول معلومه المستقر لذلك أوان وجوبه، والله تعالى يُلغنه غاية قصيده ومطلوبه.



توقيع بصحابة ديوان الأموال بحلب، من إنشاء ابن الشهاب محمود، كتب به
للقاضى شمس الدين «محمد بن محمد»، أحد كتّاب الدست بحلب، ب«المجلس
العالى»، وهو:

رسم بالأمر - لازالت صدقاته العيمة تُسرّهُوسا، وتُطْلِعُ في هالات الوظائف
السنية عَوْض الشمس شُموسا؛ وتُسْقِي غَرْس نعلها الهبات الهنية قُترعى أغصانها
يانعة وغُروسا - أن يستقر ... : لأنه الأُوحدُ الكامل، والرئيس الفاضل؛ ولأنه
حاز قصب السبق في المباشرات، والمناصب الجليلة والمرتبات السنية؛ طامًا
بذل جهده في خدمة اللول، وسلوك بجميل مباشرته طريق السلف وسبيل الأول؛
فادرك بحسن سيرته ويُنِّي طريقته نهاية السؤل وغاية الأمل، وأتى الأمور على

قَدِيرٌ وَلَا يُقَالُ : عَلَى عَجَلٍ ؛ وَلَئِنَّهُ الْأَمِينُ فِي صَنْعَةِ الْإِنْشَاءِ ، وَالتَّابِعُ فِي فَتْنَةِ فُتُونِ الْأَدْبَاءِ ؛ إِنَّ رَقْمَ الطُّرُوسِ طَرُزٌ ، وَإِنْ بَارَزَ الْأَقْرَانُ فِي مَوَاطِنِ الْاِقْتِضَارِ بَرَزَ ؛ وَإِنْ بَسَطَ الْجَرَائِدَ ، تَفَارُ مِنْ حُسْنِ الْخَرَائِدِ ؛ طَالَمَا تَطْلُقَ بِالْحُكْمِ ، وَأَشْتَهَرَ بِأَصْحَابِهِ مِثْلَ أَشْتِهَارِ النَّارِ عَلَى عِلْمٍ ؛ نَظَمَ الْحَاسِنَ فِي ثَرَّةِ الْبَدِيعِ ، وَجَمَعَ بَيْنَ الْأَضْدَادِ فِيمَا يُبِيدُهُ مِنَ الْإِنْشَاءِ وَيُجَلِّيه مِنَ التَّصْرِيعِ ؛ قَدِّمْتَ فِجْرَتَهُ فِي الْخِدْمَةِ الشَّرِيفَةِ ، وَأَقْنَطْتَ مِنْ زَهْرِ الصَّدَقَاتِ الشَّرِيفَةِ أَحْسَنَ مَنْصِبٍ وَأَجْمَلَ وَظِيفَةٍ ؛ وَتَحَلَّى جِيدَهُ بِالْقَلَامِ ، وَحَصَلَ بِسَعْيِهِ بِمَجْمُوعِ الْفَرَائِدِ ، فَعَادَتْ عَلَيْهِ الصَّدَقَاتُ الشَّرِيفَةُ بِأَجْمَلِ الْعَوَائِدِ ؛ قَدْ اسْتَحَقَّ التَّقْدِيمَ ، وَاسْتَوْجَبَ مِنَ الصَّدَقَاتِ الْعَمِيمَةِ نِهَايَةَ التَّكْرِيمِ .

فَلْيَا شَرَّ هَذِهِ الْوُظُفَةِ مَبَاشَرَةً حَسَنَةَ الْآثَارِ ، بِجَمِيلَةِ الْإِرَادِ وَالْإِصْدَارِ ؛ نَاطِلًا بِقَلَمِهِ الْحِسَابَ عَلَى أَنْوَاعِهِ ، مُحْكِمًا لَهُ عَلَى سِدَادِ أَوْضَاعِهِ ؛ وَلِيُطْلِعَ شَمْسَهُ فِي سَمَاءِ هَذِهِ الْوُظُفَةِ ، وَلِيَجْنِيَ مِنْ رَوْضِهَا الْأَرِيضِ كُلَّ يَانِعَةٍ لَطِيفَةٍ ؛ وَلِيَعْلَمَ أَنَّ هَذِهِ بَوَادِرُ خَيْرٍ سَرَتْ إِلَيْهِ ، وَسَوَائِغُ نِعَمٍ خَلَعَتْ عَلَيْهِ ؛ وَأَنَّ الصَّدَقَاتِ الْعَمِيمَةَ لَا بُدَّ أَنْ تُؤَلِّيهَ بَعْدَ ذَلِكَ بِرَأْيٍ ، وَتَرَادَفَ عَلَيْهِ تَرَى ؛ وَتُعْمَلُ لَهُ بَيْنَ رِفَاقِهِ الْمَرْفُوقِينَ قَدْرًا ؛ وَمِثْلُهُ لَا يُبْنَى عَلَى وَصِيَّةٍ ، لَا دَانِيَةٍ وَلَا قَصْبَةٍ ؛ لَكِنِ التَّقْوَى لَا بُدَّ مِنْهَا ، وَلَا يَحْوزُ أَنْ يُنْفَلَ عَنْهَا ؛ فَلْيُجْعَلْهَا أَعْمَادَهُ فِي كُلِّ الْأُمُورِ ، وَلِيَتَنَاوَلَ مَعْلُومَةَ الْمَقْصُورِ لَهُ عَلَى الْوُظُفَةِ الْمَذْكُورَةِ فِي غُرَرِ الشُّهُورِ ؛ وَاقِهِ تَعَالَى يَضَاعِفُ لَهُ بِمِضَاعِفَةِ الصَّدَقَاتِ عَلَيْهِ أَوْقَاتَ السُّرُورِ ، وَيَقْبِهِ بِلُطْفِهِ كُلَّ مَحْزُورٍ .



تَوَقَّعْ بِنَظَرٍ يَهْتَفِي ، مِنْ عَمَلٍ حَلَبَ ، كُتِبَ بِهِ لِفَتْحِ الدِّينِ «صَدَقَةُ بْنُ زَيْنِ الدِّينِ ، عَبْدَ الرَّحْمَنِ الْمَصْرِيِّ» ، بِهِ الْمَجْلِسُ السَّامِيُّ ، وَهُوَ :

رُسم بالأمر - لازالت صدقائه المميعةُ تفتح لأولياء خدمته أبواب الخيرات ، ولا بَرَحَتْ تُهْدِي إليهم أنواع المَسَرَّات - أن يستقرّ في وظيفة النظر بمدينة بهسنى المحروسة عوضاً عن بها ، بالمعلوم الذى يشهد به الديوان المعمور إلى آخر وقت ، على العادة في ذلك والقاعدة ، استقراراً يسرّ خاطره ، ويُقرّ ناظره ؛ لأنّه الماهرُ في صناعته ، والرائجُ في مَنَاجِرِ بضاعته .

فليأشِرْ هذه الوظيفة مباشرةً حسنه ، لتُصبح الأئسنة بُسْكُها مُعلنه ؛ ويُصَرَّفَ قَلَمه فيما يعود نفعه عليه ، وليجتهد فيما يستجلب الأثنية إليه ؛ وليقيض معلومه أوان وجوبه هنياً ، ولتناوله بيد استحقاقه مرياً ؛ والوصايا كثيرةٌ وهو - بحمد الله تعالى - غير محتاج إليها ، لأنّه الفاعل لها والدالّ عليها ؛ وتقوى الله تعالى عبادها ، وبه قوامها وسادها ؛ فليتمسك بسبيلها في الحركات والسكنات ، والله تعالى يُهيئُ له أسباب المَسَرَّات .



توقيع بكتابة الإنشاء ونظر الجيش بدربكى ، كتب به للقاضى شهاب الدين «أحمد ابن أبى الطيب الممرى العثمانى» ، بـ «الجناب الكريم» ، وهو :

رُسم بالأمر - لازال يجلّ النور بمن ترهو برحيق كلمه الطيب [المناصب] ، ويُكَلِّ محاسنها بمن لم تزل الصُحف تقود من جياذ فضله أجمل جنائب ، وحباها بِنِهاپ يُبتدى إلى المقاصيد بتجم رأيه الناقب ؛ وسرها بكلّ ندب لم تزل كُتبه تزد من الدُعار الكاتب - أن يستقرّ في وظيفتى كتابة الإنشاء الشريف والجيش المنصور بدوركى المحروسة ، عوضاً عن فلان ، بالمعلوم الشاهد به الديوان المعمور إلى آخر

(١) لغة في دربكى كاسلف قريبا وتقدم في ج ٤ ص ١٣٢ من هذا المطبوع .

وقيت . لأنه من يت رُفِعَ عِلْمُ قَدْرِهِ عَلَى السَّعَائِبِ ، وَأَتَّصَبَتْ رَأْيُهُ أَرَائِهِمْ بِالْتِمِيزِ
فِي مَوَازِيِ الْعِزَّةِ عَنِ الْمَوَاقِبِ ، وَأُضِيفَ إِلَى مَجْدِهِمْ شَرَفُ الْكَمَالِ فَانْتَجَرَ بِالإِضَافَةِ
ذَيْلُ مَجْدِهِمْ عَلَى الْكَوَاكِبِ ، وَجَزَمَ أَوَّلُو الْفَضْلِ بِنَسَبِهِمْ إِلَى الْمَعَالِي غَازَوْا قَصَبَهَا
أَسْتَحْقَاقًا وَمَا زَاخَمُوا عَلَيْهَا بِالْمَنَاقِبِ ؛ وَأُسِّسَ أَصْلُهُ عَلَى عِمَادِ شَرَفِ «الْفَارُوقِ»
و«ذِي النُّوَرَيْنِ» فَتَفَرَّقَ عَلَى أَكْلِ تَسَاسُلٍ بِتَنَاسُبٍ .

النيابة الثالثة

(مما يكتب من التواقيع بالولايات عن نواب السلطنة بها - نيابة طرابلس)

وهي على ما تقدم في دمشق : من تقسيمها إلى تواقع أرباب السيوف ، وتواقع
وظائف أرباب الأعلام الدينية ، وتواقع أرباب الوظائف الديوانية ، وأرباب
الوظائف بمشيخة الأماكن وغيرهم ، وتقسم ذلك إلى ما يفتح به «الحمد لله» ، وما يفتح
به «أما بعد حمد الله» ، وما يفتح به «رسم بالأمر» .

وهذه نسخ تواقع من ذلك :

نسخة توقيع بشد الدواوين بطرابلس ، كتب به لصالح الدين «صالح الحافظي» ،
ب«الجناب الكريم» ، وهي :

الحمد لله الذي أيد هذه الدولة وسددها بأنواع الصلاح ، وعمر العالم بعنل سلطانها
وجعل أيامه مقرونة بالنجاح ، وأقام لتدبير المملكة [كل] كُفٍّ ، كيف مشهور باليمن
والفلاح .

نحمده على نعمه الغامرة في المساء والصباح ، ونشكره على آلائه في كل غنوة ورواح ،
ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة خالصة ضوئية كالمصباح ،

وَأَنْ سَيِّدَنَا مَجْدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَشْرَفُ مِنْ أَصْطَفَاهُ وَأَرْسَلَهُ بِالْدينِ الْحَنِيفِيِّ فَبَشَّرَ
وَأَنْذَرَ وَحَلَّلَ وَحَرَّمَ ... (١) ... وَأَبَاحَ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ صَلَاةً دَائِمَةً
مُسْتَمِرَّةً مَا حَيَّلَ الدَّاعِي إِلَى الْفَلَاحِ .

وبعد ، فَإِنَّ أَوْلَى الْأَوْلِيَاءِ بِمُضَاعَفَةِ الْإِحْسَانِ ، وَأَنْ يَعْلَى لَهُ فِي الْمَكَانِ وَالْإِمْكَانِ -
مَنْ عُرِفَ بِأَجَلِ الْمُبَاشَرَاتِ فِي الْفُتُوحَاتِ ، وَأَشْتَهَرَ فِيهَا بِالْكَفَايَةِ وَالصَّيَانَةِ وَبِجَمِيلِ
التَّذْيِيرِ وَحُسْنِ الصِّفَاتِ .

وَلَمَّا كَانَ فَلَانٌ هُوَ الْمُتَفَرِّدُ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ الْحَسَنَةِ ، وَأَتَقَفَتْ عَلَى نُفُوتِهِ الْجَمِيلَةِ
الْأَلْيَسَةِ ، وَالْوَحِيدِ بِهَذِهِ السَّجَايَا ، الْفَرِيدِ بِشَرَفِ الْمَزَايَا ، عُقِدَتِ الْخَنَاصِرُ عَلَيْهِ ،
وَأَقْتَضَتْ الْآرَاءُ أَنْ يَسْنَدَ تَذْيِيرُ الْمَمْلُوكَةِ إِلَيْهِ : فَإِنَّهَا لَمْ تَجِدْ لَهَا كُفًّا غَيْرَهُ ، وَلَا مَنْ
يَجْمَعُ تَمَثُّلَ شَتَائِ أَقْوَالِهَا وَلَمْ يَفْزُطْ مِتْقَالَ ذَرَّةٍ .

فَلَذَلِكَ رُسِمَ بِالْأَمْرِ - لِأَزَالِ يَنْدُبُ لِتَذْيِيرِ الْمَمَالِكِ كُلِّ كُفٍّ كَافٍ ، وَيُورِدُ أَوْلِيَاءَهُ
مِنْ مَوَارِدِ إِحْسَانِهِ مَوْرِدًا عَذْبًا صَافٍ - أَنْ يَفُوضَ إِلَى الْجَنَابِ الْكَرِيمِ - أَدَامَ اللَّهُ
عُلُوَّ قَدْرِهِ ، وَأَيْدِيَهُ بِالْمُعُونَةِ فِي أَمْرِهِ - شَدُّ الدُّوَاوِينِ الْمَعْمُورَةِ بِالْمَمْلُوكَةِ الطَّرَابُلسِيَّةِ ،
بِالْمَعْلُومِ الْمُسْتَقْتَرِ ، الشَّاهِدِ بِهِ الدِّيَوَانُ الْمَعْمُورُ إِلَى آخِرِ وَقْتِ ، عَلَى عَادَةٍ مِنْ تَقَدُّمِهِ .



وهذه نسخة توقيع بالاستقرار في شَدِّ الدُّوَاوِينِ :

الحمد لله الذي قَرَنَ الشَّدَّةَ بِالْفَرَجِ وَجَبَرَ بَعْدَ الْإِنْكَسَارِ ، وَأَمْتَحَنَ عِبَادَهُ بِأَنْوَاعِ
مِنَ الْحَيْنِ لِيَعْلَمَ الصَّادِقِينَ فِي الْأَصْطِطْبَارِ ، وَأُطْلِعَ فِي أَفْقِ الْعُلَا سَعْدَ السُّعُودِ سَاطِعًا

بالتور بعد ما غار ، وجمع لمن أنقطع به حبلى الرجاء من الخلق فتوكل عليه بين نيل
المطلوب وتمحيص الأوزار .

نعمه وفي حميده تطيب الآثار ، ونسكه على ما أسبل من النعم الغزار ؛ ونشهد
أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إله كشف الغم بعد ما غم القلوب وغطى على
الأبصار ، وفرج الهم ، وقد كان أدلهم ، وأظلمت منه النواحي والأقطار ؛ ونشهد
أن محمدا عبده ورسوله المصطفى المختار ، سيد ولد آدم في الدنيا وسيدهم في دار
القرار ، صلى الله عليه وعلى آله الأطهار ، وصحابة الأخيار ، ما أظلم ليل وأضاء نهار .

وبعد ، فإن الله تعالى لطف بهذه الدولة المعظمة في المقام والسير ، فما مضى
لأحيد معها يوم سرور إلا والذي من بعده خير ؛ ونصب خيام عدلها على الخلق
وشرح أطناها ، ورغب العباد في فضلها المميم وقبح لهم بآبها ؛ وجعلها كاشفة
للكرób الموجبة للقرن والضيق ، رآشفة من خزائن ملكه ومعادن نصره كأس
رحيق ؛ تصل بقوة وتقطع ، وتفرق بارادته وتجمع ؛ ثم جعل المال نظام ملكها
القويم ، وقوام سلكها النظيم ؛ به تمضى أوامره وتواحيه ، ويمجرى على السداد بما
يحبه ويرضيه ؛ فدين إعداد من يقيم بعزمه عمده ، ويقعد من أخذ منه بغير استحقاق
من أقعد الدين زنده ؛ وقدّر الله تعالى في هذا الوقت ما قضاه ، ونفذ حكمه فيمن
خرج عن طاعته وأمضاه ؛ فلم تبقى مملكة إلا ومسا أهلها الإضرار ، ولا بقعة
إلا ولحق أهلها بأس أولئك الفجار ؛ فادرك الأطف الإلهى ممالك الإسلام ، وحل
الركاب الشريف بأرض الشام ، فكان برّدا وسلام ، ونجما المخلص وهلك الناكث
الناكل بقدوم سلطان الإسلام ؛ خلد الله ملكه [ليقذف] بالحق على الباطل ، وأيد
الله دولته الشريفة بعونه المتو

وكان فلان لهُ مباشراتٌ عديده ، وتأثيراتٌ حميده ؛ وآخر ما كان في وظيفة شد الدواوين بطرابلس : فباشرها مباشرةً بحيلة الأثر، مشكورة السير عند من ورد وصدر ، ودرر مهماتٍ يتعجز عن حصرها أولو العقول والفكر ؛ وحصل للديوان المعمور أموالاً كالطوفان ولكن بلا غرق ، واستُجيب منها كيف حصرتها الأقلامُ أو وسعها الورق ! ؟ ؛ والذي كان بوظيفة الشد الآن زاهدٌ عنها ، ليس له رغبةٌ فيها ولا في شيء منها .

فتعين إعادة الجتاب الفلاني إليها . ورسم بالأمر - لا زالت أيام دولته الشريفة تُصلح الشأن ، ويُعيد الخير إلى ما كان - أن يستقر

فلُعبد إليها عود الحسام إلى غنمه ، والماء إلى منهل وزده ؛ وليباشرها بمباشرة المعروف ، وعزائمه المألوفة ، وهيمته الموصوفة ، مُسترفياً المتحصل وصروفه ؛ ويُحقق أن الله تعالى سيصل رزقه فلا يوجس في نفسه خيفه ، ويُجعل تقوى الله تعالى دأبه في كل قضية ثقيلة كانت أو خفيفة ، والله تعالى يُمده بالطافه المطيفة ؛ بمنه وكرمه .



وهذه نسخة توقيع بنقابة العساكر بطرابلس :

الحمد لله الأول بلا آخر ، الفنى في ملكه عن الناصر ، المترّ في سلطانه عن المؤازر ، المتوحد بعدم الأنشابه والنظائر ، المبيد لكل مظاهر البناد مجاهر ، العليم بما تكتنه الأفكار ويُجئنه الضمائر ، الرقيب على كل ما تردد من الأحوال بين سوادى القلب والناظر .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة خالصة يُرغم بها كل جامد وكافر ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المبعوث والشرك مدتهم الديار ، والرشد

قد خيم عليه الضلالُ فما له من قُوَّة ولا ناصر، فأقام به الدِّينَ الحَنِيفِيَّ النَّبِيَّ الرَّاهِرَ،
ورَفَعَ ذِكْرَهُ في سائر الأقطار والأمصاِر على رُؤوس المنابر، صلى الله عليه وعلى آله أهل
المكارم والمآثر، ما حَمِدَ الشُّرَى عند الصُّبْح سائِر، وتَمَدَّ شَرُّ الشَّرِّ بِكُلِّ مُنَاضِلٍ
ومناظرٍ، وسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وبعدُ ، فَإِنَّ أَوَّلَى مَنْ سَيِّتَ إِلَيْهِ وَوُودَ النِّعَمَ ، وَمُنَحَّ مِنْ انْخِرَاتِ أَجْرَلِ الْقِسَمِ ؛
وَعُدَّتْ الْأُمُورُ بِعِزِّهِ ، وَأَعْتَمِدَ عَلَى هِمَّتِهِ الَّتِي هِيَ فِي الْمَضَاءِ كَأَسِنَّةِ وَصَاوِرِهِ ؛
وَرُعِيَتْ عُهودُ وَلايَتِهِ الَّتِي لَا تُشْكَرُ ، وَوُصِفَتْ مَسَاعِيِهِ الَّتِي آسَتْحَقُّ أَنْ يُحْمَدَ بِهَا
وَيُشْكِرَ - مَنْ إِذَا عَوَّلَ عَلَيْهِ فِي الْمُهْمَاتِ كَفَّاهَا ، وَإِذَا اسْتَطْبَطَتِ الْمُعْضَلَاتُ بِهِ
شَفَاهَا ، وَسَارَتْ أَنْبَاءُ مَهَابَتِهِ غَوْرًا وَنَجْدًا ، وَأَتَصَفَّ بِمُحْسِنِ التَّدِيرِ الَّذِي عَلَيْهِ مِنَ
الْإِقْبَالِ أَكْثَلُ إِجْدَا .

وَلَمَّا كَانَ فَلَانٌ هُوَ الَّذِي تَنَاقَلَتْ تَبَاشِيرُ أَخْبَارِهِ الرُّبَّكَانَ ، وَاتَّخَذَ عَلَى شَهَامَتِهِ السَّيْفُ
وَالسَّانَ ، وَشَرَفَتْ بِمُحَاسِنِهِ الْأَقْلَامُ ، وَأَرْتَفَعَ ذِكْرُهُ بِالشَّجَاعَةِ عَلَى رُؤُوسِ الْأَعْلَامِ .

فَلَذَلِكَ رُسم - لَا زَالَ لِلدِّينِ الْحَنِيفِيِّ نَاصِرًا ، وَلِلْأَعْدَاءِ قَامِعًا فَاهِرًا ، وَلِلْحَقِّ
مُؤَيَّدًا بَاطِنًا وَظَاهِرًا - أَنْ يَسْتَقِرَّ الْجَنَابُ الْعَالِي الْمَشَارُ إِلَيْهِ أَمِيرُ تَقَبَّاءِ الْعَسَاكِرِ الْمَنْصُورَةِ
الطَّرَائِيسِيَّةِ ، عِوَضًا عَنْ مَنْ كَانَ بِهَا ، عَلَى عَادَتِهِ وَقَاعِدَتِهِ : لِأَنَّهُ الْخَبَرُ الَّذِي صُقِدَتْ عَلَى
خِبْرَتِهِ الْخَنَاصِرُ ، وَوَرِثَ الشَّهَامَةَ كَارِبًا عَنْ كَارِبٍ ، وَأَضْحَى بِتَدْيِيرِهِ وَاضِحَ الْفَرَرِ ، شَاهِدًا
لَهُ بِهِ الْمَيَّنُّ وَالْبَصَرُ ، إِنَّ جَالَ بَيْنَ صُقُوفِ الْعَسَاكِرِ كَانَ أَسَدًا ، وَإِنْ رَتَبَ جُيُوشَهَا
أَحْصَاهَا حِلَّةً وَعَدَدًا .

فَلْيَبَاشِرْ هَذِهِ الْوُظَيْفَةَ مُحَرَّرًا أَحْوَالَ الْعَسَاكِرِ الْمَنْصُورَةِ ، مَقَرَّرًا لَهَا مِنْ مَنَازِلِهِمْ عَلَى
أَكْثَلِ عَادَةٍ وَأَجْمَلِ صُورَةٍ ؛ بِمُنَاصَحَةٍ صُحِّحَ بِمُسْكُهَا ، وَمُخَالَصَةٍ قَامَ مَقَامَ وَاسِطَةِ جَوْهَرِ

سَلِكُمَا ؛ وَمُلَازِمَةَ خِدْمَةِ تَأَزَّرَتْ بِهَا أَعْطَاهُ ، وَصَفَاءِ طَوِيلَةٍ شَرَفَتْ بِهَا أَوْصَانَهُ ؛ وَحُجَّةٍ عَدِلَ جَمْعُهَا بَيْنَ قَوْلِهِ وَفِعْلِهِ ، وَإِخْلَاصٍ يَحْسَنُ بِالْمَرْءِ أَنْ يَكُونَ مُلْتَحِفًا بِظِلِّهِ : لَيْكِنْ يُنِمْ اللَّهُ النَّعَمَ عَلَيْهِ كَمَا أُنْمَتْ عَلَى أَبِيهِ مِنْ قَبْلِهِ ؛ وَلَقَيْصِدُ رِضَا اللَّهِ تَعَالَى فِي هَذَا الْأَمْرِ ، لَا رِضًا زَيْدٌ وَلَا عَمْرُو ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يَتَوَلَّاهُ فِيمَا تَوَلَّاهُ ، وَالْإِعْتَادُ فِي ذَلِكَ عَلَى الْخَلَطِ الْكَرِيمِ أَعْلَاهُ ، حُجَّةٌ بِمُقْتَضَاهُ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



وهذه نسخة توقيع بنقابة الأشراف بطرابلس بـ «المجلس السامي» بالياء ، وكُتِبَ فيه «القضائي» على خلاف الأصل ، وهي :

رُسم بالأمر - لا زال يرفعُ لَدَوَى الْأَصَالَةِ الشَّرِيفَةِ قَدَرًا ، وَيُنْقَلِبُ إِلَى الرُّتَبِ السَّنِيَّةِ وَيُنْطَلِجُ لَهَا ذِكْرًا ، وَيُسْمَلِّمُ مِنْ إِحْسَانِهِ بِمَا يَسُرُّهُمْ قَلْبًا وَيُشْرَحُ صَدْرًا ؛ وَيُسَلِّمُهُمْ مِنَ الْمَارِبِ أَوْفَاهَا ، وَمِنْ مَلَابِسِ الْقَبُولِ أَجْمَلَهَا وَأَسْنَاهَا - أَنْ يَسْتَقِرَّ فُلَانٌ - أَدَامَ اللَّهُ نِعْمَتَهُ - فِي تَقَابَةِ السَّادَةِ الْأَشْرَافِ بِالْمُلْكَةِ الطَّرَابُلسِيَّةِ ، عَلَى مَا تَقَدَّمَ مِنْ عَادَتِهِ فِي ذَلِكَ : اسْتِقْرَارًا جَارِيًا فِيهِ عَلَى أَجْمَلِ الْعَادَاتِ ، وَاعْتِدَادًا عَلَى مَا عُمِدَ مِنْ سَلَفِهِ الشَّرِيفِ الذَّاتِ ؛ وَرِعَايَةً لَهُ فِي تَجْدِيدِ الْمَسَارِ ، وَتَرْجِيحًا لِمَا أَشْتَمَلَ عَلَيْهِ مِنْ حُسْنِ الْكِفَايَةِ فِي كُلِّ إِبْرَادٍ وَإِصْدَارٍ ؛ وَرِفْعَةً لِيَدِهِ الْبَاسِطَةِ عَلَى أُنْيَاءِ جِنْسِهِ ، وَتَقْوِيَةً يَجِدُ اثْرَهَا فِي مَعْنَاهُ وَحُصْنَهُ ؛ رَسْمًا يَسْتَوْجِبُ بِهِ النَّعْمَ الْجَزِيلَةَ ، وَوَلَايَةً تُؤَلِّسُهُ مِنَ الْكَرَمِ سُؤْلَهُ ، وَعِنَايَةً تُصَبِّحُ بِهَا رُبُوعُ أُنْسِهِ مَاهُولَهُ ؛ لِأَنَّهُ أَوَّلَى أَنْ يُقَرَّرَ فِي هَذِهِ الْوِظِيفَةِ وَيُزَادَ ، وَأَحَقُّ أَنْ يُرْعَى لِمَا سَبَقَ لَهُ مِنَ السَّدَادِ ، وَأَجْدَرُ أَنْ لَا يُضَاعَ حَقُّهُ حَيْثُ لَهُ إِلَى رُكْنِي الشَّرَفِ الْمُتَيْنِفِ اسْتِنَادٌ .

فليباشر هذه الوظيفة المباركة مبسوطًا أملُهُ فِي الْمَزِيدِ ، مَنُوطًا رَجَائُهُ فِي نَعْمَتِنَا بِاسْتِنَافٍ وَتَجْمِيدٍ ، مَحُوطًا مَا بِيَدِهِ مِنْ كَرَمِنَا الْعَلِيدِ ؛ وَهُوَ غَنَى أَنْ تُثْنَى لَهُ الْوَصَايَا

وَيُعِيد، مَلِيٍّ بِحَسَنِ السَّجَايَا الَّتِي جُبِلَتْ عَلَى التَّحْقِيقِ وَالْوُفُوقِ وَالتَّسْدِيدِ؛ وَاللهُ تَعَالَى يُطَوِّقُ بِمَنِّ جُودِنَا مِنْهُ الْخَلِيدَ، وَيُنْفِقُ لَهُ صَحَابَ رِفْدِنَا الَّتِي تُجْرِيهِ عَلَى مَا أَلْفَ مِنْ فَضْلِهَا الْعَدِيدِ؛ وَالْعَلَامَةُ الشَّرِيفَةُ - أَعْلَاهَا اللهُ تَعَالَى - أَعْلَاهُ، حُجَّةٌ بِمَقْتَضَاهُ .



وهذه نسخةُ تَوْقِيعِ بَشَدَّ الشَّوَانِي بِطَرَابِلُسَ، كُتِبَ بِهِ لِعَلَاءِ الدِّينِ «أَيْدِ غَمَش» وَهِيَ:
رُسِمَ ... - لَا زَالَتْ أَيَّامُهُ، قَائِمَةٌ بِالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَعْلَامُهُ، حَائِمَةٌ عَلَى أَلْتِقَاطِ مُهْجِ الْعِدَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا يُقَرِّبُ لَهُمُ الْأَجَلَ - أَنْ يَسْتَقَرَّ فُلَانٌ فِي شَدِّ الشَّوَانِي الْمَعْمُورَةِ الْمَنْصُورَةِ عَلَى الْعَادَةِ فِي ذَلِكَ، بِهَيْمَتِهِ الْعَالِيَةِ، وَعَزَمَتِهِ الَّتِي هِيَ يَبْلُوغُ الْمَقَاصِدَ مِلَّيَّةً؛ وَشَهَامَتِهِ الَّتِي تُرْهِبُ الْعِدَا، وَتُجَاعِبُهُ الَّتِي تُلِيسُهُمْ أَرْضِيَّةَ الرَّدَى؛ وَبَسَائِلِهِ الَّتِي تُيَسِّلُهُمْ فِي الْبَحْرِ فَتَصِيرُهُمْ كَالْأَسْمَاكِ لَا يُسَامُ لَهُمْ صَدَى .

فَلْيَجْتَهِدْ فِي ذَلِكَ جِدَّةَ الْأَجْتِهَادِ، وَلْيُعِمِدْ فِيهِ السَّدَادَ وَالسَّدَادَ؛ وَلْيُوقِفْ أَجْفَانَهُ سَيُوفَهُ مِنَ الْغَمَضِ، وَلْيُرْهِبِ الْعِدَا بِشِدَّةِ وَطْأَتِهِ الَّتِي لَهَا الثَّبَاتُ فِي الْأَرْضِ؛ وَلْيُلَازِمَ مُوَاطَبَةَ الشَّوَانِي لَيْلًا وَنَهَارًا، وَلْيَكُنْ هُوَ وَمَنْ حَوْلَهُ لَهَا أَنْصَارًا؛ وَاللهُ تَعَالَى يُجْزِلُ لَهُ مَبَارَا، وَيَرْفَعُ لَهُ مَقْدَارَا، بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ .



وهذه نسخةُ تَوْقِيعِ بَشَدَّ دَارِ الضَّرْبِ، كُتِبَ بِهِ لـ«عَلَاءِ الدِّينِ الدَّوَادَارِ»، وَهِيَ:
رُسِمَ ... - لَا زَالَتْ إِحْسَانُهُ يَجُودُ عَمَامَا، وَقَضَلُهُ الشَّامِلُ عَلَى الْأَوْلِيَاءِ الْمُتَّقِينَ إِمَامَا، وَصَحَابِ رِكَزِمِهِ هَامِيَّةً عَلَى أَوْلِيَائِهِ، هَامِلَةً عَلَى أَصْفِيَائِهِ، قَتَرَاهُمْ يَحْرُونَ لِلْأَذْقَانِ مُجْبَدَا وَيَنْتَصِبُونَ قِيَامَا - أَنْ يَسْتَقَرَّ الْمَشَارُ إِلَيْهِ فِي شَدِّ دَارِ الضَّرْبِ : إِعَانَةٌ لَهُ عَلَى الْخِدْمَةِ الشَّرِيفَةِ، وَإِرْفَادًا لَهُ بِمَعْلُومِهَا إِذْ هِيَ لَيْسَتْ لَهُ بِوُظُفِيهِ؛ لِأَنَّهُ أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ قَدْرًا،

وأحقُّ بكلِّ منزلةٍ عليَّةٍ وأخرى ؛ وليكن هذه الجهة هي قانونُ المعاملة ، وسيكتُمها بشعارُ الملكِ مُتَّصِلَةٌ وبين الحقِّ والباطلِ فاصلُهُ ؛ ومنها الثَّقُوشُ التي هي رُستاقُ الأرزاقِ ، وصَدْرُ كُلِّ إطلاقٍ وقنْدَاقٍ ؛ حَكِيمٌ ما أُرسلَ في حاجَةٍ إلَّا وأُذِنَ لها بالتَّجَاحِ ، ولا أَسْتَوْنُ عليه أمرٌ بآذنِ الإمامِ إلَّا وحقُّ له [الاتصافُ] بالصلاحِ والفلاحِ ؛ وهذا وهو في الأصلِ منمومٌ ، وطالبه محرومٌ : لأنه مقسومٌ ، والأجلُ محتومٌ ؛ ولكن تطهيره من الدنسِ واجبٌ ، والحسبةُ في عيَّاره حتى يغدو وبودقُ صفائه من الفُشِّ ناضبٌ .

فليَعْتَمِدِ المشارُ إليه في شَدِّ هذه الجهةِ حُسْنَ التقوى ويُلَاحِظْ بعزمه أمورَها لتكونَ على السَّدادِ ، ويعْتَمِدِ على السَّيدِ النَّاطِرِ فَإِنَّهُ نِعَمَ العِيَادِ ، وَيُفَوِّضْ إليه كَشَفَ الرُّبُوبِاصِ وَحَكَّ العِيَّارِ فهو به أدْرَى وأخْرَى وأدْرُبْ بِأدْخَاصِ غَشِّ الفسادِ ، وليتناوَلْ معلومه المُقَرَّرَ له عندَ الوجوبِ والاستِحْضَاقِ ، هَنِيئًا مُبَسَّرًا خَالِصًا مِنَ التَّنَازُجِ والشَّقَاقِ ، ومِثْلُهُ فلا يَدُلُّ على [صواب] : إِذْ تَقْوَى اللهُ تَعَالَى كَلِمَةُ الفَصْلِ وفَصْلُ الخُطَابِ ، واللهُ تَعَالَى يَجْعَلُهَا لنا وله زَادًا وَحِرْزًا ، وَذُنْخًا يَوْمَ المَعَادِ وَرِزْقًا .



وهذه نسخةُ توقيعِ بَشَدِّ البَحْرِ بِمِنَا طَرِائِلُسَ ، وهي :

رُسمُ بالأمر - لا زال سيفُهُ قاطعًا من الأعداءِ نَحْرًا ، وأمرُهُ نافذًا بَرًّا وَبَحْرًا ، وفِئْلُهُ صالحًا دُنْيَا وأخْرَى - أَنْ يَسْتَقَرَّ الجَنَابُ المشارُ إليه في شَدِّ مِينَا البَحْرِ بِطَرِائِلُسَ .

فليُبَيِّنْ هذه الوظيفةَ شَارِحًا لها صَدْرًا ، فَاتِّحَا لها بِحُسْنِ مُبَاشَرَتِهِ الجميلةِ بَصَرًا وَفُكْرًا ؛ بِاعْتِنَا لها في الآفاقِ بِمُباشَرَتِهِ ذِكْرًا جَمِيلًا ، بِاحْتِنَا عَمَّا يَتَعَلَّقُ بِمَحْصِلِ المِينَا

المعمورة بركة وأصيلا؛ مَسَوِيًّا بين الناس فيما رَزَقَ اللهُ وقَعَ، وبَعَثَ من فَضْلِهِ .
ومَنَحَ ؛ بحيث لا يقدّم عزيزًا ولا يُؤخّر ذليلًا ، ولا يراعى في ذلك صديقًا
ولا خَلِيلًا .

ولَيَقْدَمُ خَوْفَ الله تعالى على خَوْفِ خَلْقِهِ ، وَلَيَسُوِيْنَ الضَّعِيفَ والقَوِيَّ فيما
بَسَطَ اللهُ من رِزْقِهِ ؛ وأَكْدُ ما نُوصِيهِ به تَقْوَى الله تعالى فيما هو بَصَدِّهِ ، فليَجْمَعْها
في أُمُورِهِ الباطِنَةِ والظَاهِرَةِ من عُدَدِهِ ؛ والله تعالى يقدّمه في مباشرته لأقتناء عَاصِنِ
المعروف وزُيْدِهِ ، ورَزُقَهُ من الأجر على ما يعملُه من الخير مع تُجَّارِ هذا البحر بما هو
أَكْثَرُ من زَيْدِهِ .



توقيع كريم بناية اللاذقية، من إنشاء القاضي تاج الدين بن البارباري، كتب به
لـ «شمس الدين» آبن القاضي، بـ «الجناب العالي»، وهو :

الحمد لله الذي زاد «شمس» الأولياء إشرافا، ومنحه في هذه الدولة الشريفة إرفادا
وإرفاقا، وصان الثغور المحروسة بعزائمه التي سرت قلوبا وأقرت أحداقا، وجددت
لأولياتها من مواهبها عطاءً وفاقا .

نحمدُه على حُجَّتِهِ وقِيَّتِهِ ، ونشهدُ أن لا إله إلا اللهُ وحده لا شريك له شهادة تمنح
قائلها مَزِيدَ فَضْلِهِ ؛ ونشهدُ أنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ ورسولُهُ الذي أيده اللهُ بعلامته
المُقرَّين ، وشَدَّ أزرَهُ من أصحابه بالآباءِ والبنين ؛ صَلَّى اللهُ عليه وعلى آله وصحبه
أئمةِ الدِّينِ، صلاةَ تمنحُ قائلها عُرْفَ الحِنَانِ (وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقِيْنَ) وسلمَ تسليماً كثيراً .
وبعدُ ، فإنَّ من شيمِ هذه الدولة إذا بدأت تُتَوَدُّ ، وإذا نظرتُ بُجُودَ ، وإذا
قَدِّمْتُ وَلِيَّ لحظته بأعين السُّعُودِ .

وكان الجانب العالى - أدام الله نعمته - عين القلادة ، وبنت السيادة ، ومعدن السعادة ؛ وأهلاً أن يدبر الأمور ، ويسد الثغور ؛ ونيابة اللاذقية مجاورة البحور ، وجزيرة العدو بينها وبينها نهار فهي في أمرها له قاعدة في الثغور ، وقد رأينا أهلاً أن يصون تحرها ، ويتقلد أمرها ؛ ويحفظ برها ، ويدفع شرها .
فلذلك رسم بالامر - أعلى الله تعالى شرفه - أن تفض إليه نيابة اللاذقية المحروسة ، على عادة من تقدمه .

فليسر إليها سير الشمس في أبراج شرفها ، ولتقبل عليها إقبال الدرة على التراب بعد مفارقة صدقها ؛ وأول ما تأمره [به] : إزهاب العدو بالعدة والعيد ، وإظهار المهابة في القريب والبعيد ، وتفقد الأيالك بنفسه من غير أنكال على سواه كما يفعل البطل الصندي ، ولتخلع عنه ملابس الوشي ويلبس الحديد ، ولتجبر المضاجع وتتخذ ظهر جواده مستقره العيد ، حتى ينتشر له صيت بين أهل التثليث كما أنتشر صيته بين أهل التوحيد .

وأبسط بساط العدل ليطأه الموالى والعيد ، وأحكم بالحق فالحق مفيد والباطل مبيد ، ومتى تسمع التجار بعدلك جاءوا بالأصناف والمتجر الحديد ، وأركن إلى حكم الشرع الشريف فإنه يأوى إلى ركني شديد ، وأتق الله تحمده أمامك فيما تروم وتريد ، وتمسك بالسيرة الحسنة يزذك الله رفعة وأنت أحق بالزيد ، وعقبها تستعجز لك شريفاً شريعاً مقروناً بتقليد أعظم من هذا التقليد ؛ وانلظ الكريم أعلاه حجة به ، إن شاء الله تعالى .



توقيع بناية قلعة حصن الأكراد ، كتبت به لشهاب الدين «أحمد الناصري» ،

وهو :

الحمد لله الذي أطلع في سماء الدين شيها ، وفتح لمن خافه وأتقاه إلى الخيرات
أبويا ، وجآه من إفضاله وألّسه من حلال إنعامه ونعمائه أنوياً .

نحمد على نعمه التي أبزل لنا بيزيد حميدها أنمياً ونوياً ، ونشهد أن لا إله إلا الله
وحده لا شريك له شهادة تتخذها من النار حجاباً ، وتعدّها بها في الآخرة مقاراً حدائق
وأعناناً ، وكواكب أنرباً ، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي شرفه على الأنبياء
متصّباً ونصّاباً ، وسبى بطلّته وطلّيته قلوباً وأحزباً ، وقربه إلى أن كان قاب قوسين
وأسمعه من لذيذ كلامه خطاباً ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه : اكرّم به ويهم
آلا وأصحاباً ! ؛ وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد ، فإنّ أولى من أن تدب ، لحفظ المعامل الإسلامية وأتخّيب ، وأخرى من
لحقته عين عانيتنا فكان إليها من العين أقرب ، وأحقّ من أعتمد على بسائيه
وإياليه بما ستر من الأثام والأيام وجرب - من عرف بشجاعة أين منها عمرو بن
معدى ، وأمانة كفت حين كفت كف التمدي ، وعفة جعلها في أحواله كلها نصّب
العين ، وسياسة ما زال يصلح بها بين ذوي المشاققة ذات البين ؛ وكان فلان هو
الموصول المقدم ، الموصوف بهذه الصفات التي سر السائل بها قبسم .

فلذلك رُسم بالأمر - لا زال يطّلع في آفاق الحصون المصونة شيها ، ويرفع
الأولياء بإحسانه الذي يؤكّد لهم في جوده أسباباً - أن يستقر ^(١) نائباً بقلعة
حصن الأكراد المحروس وأعمالها ، على عادة من تقدمه ومستقر قاعدته .

فليأثر ما وليناه وأولينا : مباشرة تُسفر عن حسن فطنته وذكائه ، وتضيء
الآفاق بنور شهابها وسنائه ، وتظهر معروفها المعروف بعدم غيبتها وخفائها ؛ معتمداً

على الله تعالى في إيدائه وإنهائه ، شارحاً لكل قلب أَلَانَهُ إِحْسَانُهُ بعد غِلَظَتِهِ
وَجَفَانِهِ ، مَاتِحاً من بَحْرِ جُودِهِ وَعَدْلِهِ بِالذَّرِّ لَا يُجْفَاهُ ، مُكْرِمًا لمن بهذا المَعْقِل : من
أُمَرَائِهِ وَأَجْنَادِهِ وَأَغْنِيَائِهِ وَقُرَّائِهِ ، مُقِيًّا لِمَنَارِ الشَّرْعِ الشَّرِيفِ الذِي لَا تَسْتَقِيمُ
الْأُمُورُ إِلَّا بِتَابِعَتِهِ وَإِبْدَانِهِ ؛ وَلِيُظْهِرَ من شَجَاعَتِهِ وَبَسَالَتِهِ مَا لَا فَائِدَةَ فِي خَفَائِهِ ،
وَلِيُشَهِّرَ سَيْفَهُ ، فِي وَجْهِ من أَظْهَرَ حَيْفَهُ ، وَعَدِمَ خَوْفَهُ ، من سَطَوَةِ رَبِّهِ وَكُرَمَائِهِ .

وأعظمُ ما نُوصِيهِ به التَّقْوَى ، فَإِنَّهُ بِمَلَاذِمَتِهَا يَقْوَى ، عَلَى دَفْعِ الشَّرِّ وَفِعْلِ الْخَيْرِ
وإِسْدَانِهِ ، وَالْوَصَايَا كَثِيرَةٌ وَهُوَ الْمُحْتَزَّبُ بِالْعَمَلِ بِهَا لِمَنْ يَرْغَبُ فِي أَسَدِيْلَتِهِ ، وَاللَّهُ
تَعَالَى يُحْرِقُ شِهَابَ عَدْلِهِ كُلَّ مُتَمَرِّدٍ



وَأَعْلَمُ أَنَّهُ رُبَّمَا كُتِبَ تَوْقِيعُ نَائِبِ حِصْنِ الْأَكْرَادِ مَفْتَحًا بِ«أَمَّا بعد حمد الله» .
وهذه نسخة تَوْقِيعِ بِنَابَةِ حِصْنِ الْأَكْرَادِ ، كُتِبَ بِهِ بِاسْمِ «شِهَابِ الدِّينِ الْجَلَاكِيِّ»
بـ«الجناب العالي» ، وهى :

أَمَّا بعد حمد الله الذى جعل شِهَابَ الدِّينِ يَنْقَلُ فى مَطَالِعِ سَعِيدِهِ ، وَجَدَّ
أَبْوَابَ النِّعَمِ لِمَنْ قَدِمَتْ هِجْرَتُهُ وَظَهَرَ خَيْرُهُ فَأَنْجَزَ لَهُ الْإِقْبَالَ صَادِقَ وَعْدِهِ ؛ وَأَشْهَدُ أَنَّ
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَاشْرِكَ لَهُ شَهَادَةٌ تُبَلِّغُ قَائِلَهَا إِثَالَهَ قَصْدِهِ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ
وَرَسُولُهُ الَّذِى أَيْدَى اللَّهُ بَصِيرَ مَنْ عِنْدَهُ ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ كَانُوا
مِنْ أَنْصَارِهِ وَجُنْدِهِ ، صَلَاةً دَائِمَةً يَلِغُ الْمُؤْمِنُ بِهَا غَايَةَ رُشْدِهِ ؛ وَسَلَامٌ تَسْلِيماً كَثِيراً - فَإِنَّ
أَوَّلَى مَنْ شَمِلَهُ إِحْسَانُ هَذِهِ الدَّوْلَةِ الشَّرِيفَةِ وَتَوَلَّاهُ مُرَادَهُ ، وَأَنْجَزَ عَلَيْهِ النِّعَمَ فَكَانَ
أَحَقَّ بِهَا لِحُسْنِ طَوْبِهِ فَاجْرَاهُ اللَّهُ عَلَى أَحْسَنِ عَادِهِ ، وَبَلَّغَهُ غَايَةَ الْقَصْدِ وَمَعْدِنِ
السَّعَادَةِ - مِنْ سَلَكِ مَسَالِكِ الْأَمْنَاءِ النَّصَاتِ ، وَأَشْتَهَرَتْ عَنْهُ الْعِفَّةُ وَحُسْنُ الصِّفَاتِ ،
فَتَعَيَّنَ تَقْدِيمُهُ وَتَقْرِيبُهُ إِلَى أَجَلٍ وَلَايَاتِ الْفُتُوحَاتِ .

ولما كان فلان - أدام الله عزّه ، وأُنجح قصده - هو المنصوب بصفات السداد ، المشهور بالثبوت والشجاعة في هذه البلاد ، الذي حوى المكارم والإفضال ، ووافق خبره خبره في سائر الأحوال .

فلذلك رُسم بالأمر - لا زال شهاب فضله ساطعاً ، ونور إحسانه لأمياً - أن يستقر المجلس العالى الشهابي المشار إليه في ولاية الأعمال الحصينة والمناصف عوضاً عن بها ، على عادته وقاعدته : لأننا وجدناه تَمَسُّ أعيان الأُمائل ، وألغيت أَعْيُنُ قَلِيلِ الظَّيْرِ والمُضَاهِي والمُئَاثِل ، وعليه عُقِدَتِ الخُتَاصِر ، وأُتِّفِقَتِ الآراءُ النَّاقِبَةُ في الباطن والظاهر ؛ ولما جَمَعَ من كَرَمِ الشِّيمِ وَجَمِيلِ الخِلَالِ ، وحاز من النَّبَاهَةِ الرِّفِيعَةِ الثَّرَا المَدِيدَةَ الخِلَالِ .

فليتوجه إلى عمل ولايته ، وليُظهر ما أكتنه من العدل والإنصاف في ضمائره بحسن سياسته ؛ وليُنصِفِ المظلومَ مَن جَارَ عليه وأَعْتَدَى ، وليَبْعَ في ذلك ما يُوصَحُّ له من طريق منار الهدى ؛ وليَبْسُطِ المَعْدِلَةَ ويُمَدِّدَ بَاعَهُ ، وليُبدِ الظُّلْمَ بِقَعْمِ ذِرَاعِهِ ، وليُصِرِفَ هِمَّتَهُ في عِمَارَةِ البلاد ، وتَأْمِينَ المِبَادِ ، وسُلوِكِ سُبُلِ الرِّشَادِ ؛ وليَجْتَهِدْ في سَدِّ الخِلَالِ ، وإصلاح ما قَسَدَ بَقِيَرُهُ من الأحوال ؛ وليَجْعَلِ تَقْوَى اللَّهِ حَاجَتَهُ ، وَأَتْبَاعَ العَدْلِ حُجَّتَهُ ، وسُلوِكِ الحَقِّ عُدَّتَهُ ؛ فقد جَاءَتِ التَّقْوَى في التَّزْيِيلِ مُؤَكَّدَةً ، ووردت في كثير من السُّور مُرَدَّدَةً ؛ والله تعالى يُعِينُهُ على ما وُلَّاهُ ، وَيُحَرِّسُهُ وَيَتَوَلَّاهُ ، بعد الخطأ الكريم أعلاه .



وهذه نسخة توقيع بناية قلعة المرقب والولاية بها ، كُتِبَ به لصالح الدين « خليل » ، بـ « الجنب العالى » ، وهى :

الحمد لله الذى جعل هذه الدولة الشريفة مقرونة بالتأييد والنجاح، ووفق أوليائها إلى سلوك سبيل السعادة وشيئها بالصلاح، وحوّلهم فى أيامها المراتب العلية ليتهلوا بأدعيتهم وبدوامها فى المساء والصباح .

نحمده على نعمه التى لا يبرح مخلّصها فى ازدياد وأرتياح، ونشكره على آلائه شكرًا نستحق به المزيد كما أوضح فى القرآن أكل إيصاح؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة معلّنة بالصلاح، وأنّ عهدا عبده ورسوله الذى أنزل عليه فى محكم كتابه العزيز : (الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح) صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الغر الكرام الأنبياء، ما ترث طائر على غصن وجعل الداعي إلى الفلاح؛ وسلم تسليما كثيرا .

وبعد، فإن أولى من عُدّت به نيابة أجل المعاقيل والثغور وفوضت إليه، وعول فى حفظها ومباشرتها الحسنة الجميلة عليه - من عُدّت على حزمه الخناصر، وورث الشجاعة والشهامة كبرا عن كابر؛ وهو الذى تمّا قرعًا وزكا [أصلا]، وفاق فى المكارم على نظرائه قولًا وفعلًا؛ فامضى وإفر الثناء واضح الغرر، شاهدًا له به العين والبصر .

ولما كان فلان هو المنموت بهذه الصفات، والموصوف فى مواقف الحروب بما لديه من الثبات والوثبات؛ المشكورة خدمته، شامًا ومصرًا، المشهورة بين المهيم همته، براً وبحراً .

فلذلك رُسم - لازالت مراسيمه الشريفة مبثوثة بالعدل والإحسان، ومعدّته تستدعى بدوام دولته الشريفة لسان كل إنسان - أن نفوض إليه نيابة قلعة المرقب المحروس، والولاية بالأعمال الشرقيّة، وما هو منسوب إليها، على العادة فى ذلك ومستقر القاعدة: إذ هو أحق بها وأهلها، وأكل [من] يجمع شتات شملها .

فَلْيَبَاشِرْ مَا يُدْبِإِلَيْهِ مِنْ هَذِهِ الْجِهَاتِ مُبَاشَرَةً تَقْصُرُ الْأَفْكَارُ عَنْ تَوْهْمِهَا ،
وَالْأَبْصَارُ عَنْ تَوَسُّمِهَا ؛ وَالتَّخَوُّطُ عَنْ تَحْيِيلِ مَبْنَاهَا ، وَ [الْأَذْهَانُ] عَنْ تَمَثُّلِ صُورَتِهَا
وَمَعْنَاهَا ؛ وَلَيْكِنْ لِمَصَالِحِهَا مُتَلَمَّحًا ، وَلِأَحْوَالِ رَجَالِهَا مُتَنَصِّفًا ، وَلِأَقْدَارِ جِهَاتِهَا مُرَبِّحًا ،
وَلِتَخَوُّطِهَا بِإِدَاءِ أَحْوَالِهَا عَلَى السَّدَادِ مُرَبِّحًا ؛ وَلَوْظَائِفِهَا مُقْبِيًا ، وَلِلنَّظَرِ فِي الْكَبِيرِ وَالصَّغِيرِ
مِنْ مَصَالِحِهَا مُدْبِيًا ؛ وَلِحُرْمَتِهَا مُضَاعِفًا ، وَعَلَى كُلِّ مَا يَتَعَيَّنُ الْإِحْتِفَالُ بِهِ مِنْ مُهِمَّاتِهَا
وَاقْفَا ؛ وَيُعَدُّ لِلْعَدُوِّ الْمُخَذُولِ عِنْدَ تَحْرُكِهِ الْعَزَمَ الشَّدِيدَ ، وَيَهْجُرُ لَيْسَ الْوَشْيَ وَيَتَأَلَّفُ
لَيْسَ الْحَدِيدَ ، وَيَتَّخِذُ ظَهْرَ جَوَادِهِ مُسْتَقَرَّهُ الْعَيْدَ ؛ وَيَسْتَعْرِجُ لِلْجِهَادِ ذَيْلًا ، وَمَعَاذَ اللَّهِ
أَنْ يَمِيلَ عَنْهُ مَيْلًا ؛ وَيَسْطِطُ الْعَدْلُ لِلرَّعْبَةِ ، وَيُعَامِلُهُمُ الْمَعَامِلَةَ الْمَرْضِيَّةَ ، وَيُحْسِنُ
إِلَى الْأَمْرَاءِ الْبَحْرِيَّةِ ، وَيُلَاحِظُ مَصَالِحَهُمْ فِي كُلِّ قَضِيَّةٍ ؛ وَيَتَفَقَّدُ الرِّجَالَ ، وَأَرْبَابَ
الْأَدْرَاكِ وَالشَّوَانِي وَيُحَذِّرُهُمْ مِنَ الْإِفْهَالِ ، وَيَأْمُرُهُمُ بِالْقَبْضَةِ وَالْإِحْتِرَازِ فِي اللَّيْلِ
وَالنَّهَارِ وَسَائِرِ الْأَحْوَالِ ؛ وَلِيَعْمَلَ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ آلَاتِ الْجِهَادِ وَلِيَكُنَّ عَلَى حَذَرٍ
مِمَّا يَتَّخِذُ كُلُّ يَوْمٍ ، وَلِيُوقِعَ الرَّهْبَةَ فِي قُلُوبِ الْأَعْدَاءِ بِحَيْلِهِ فِي الْبَقْظَةِ وَخِيَالِهِ فِي النَّوْمِ ؛
وَيَتَفَقَّدُ الْمَوَانِي فِي سَائِرِ الْأَوْقَاتِ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَلِيُعَدِّدَ أَمْرَاءَ الْأَيْزَاكِ مِنَ الْغَفْلَةِ
فَإِنَّ الْغَافِلَ لَا يَزَالُ عَلَى شَفَا جُرْفٍ هَارٍ .

وَلْيَتَّقِ اللَّهَ فِي أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ . وَالْوَصَايَا كَثِيرَةٌ وَهُوَ أَذْرَبُ بِهَا وَأَذْرَى ، وَأَبْوَابُ
الْخَيْرَاتِ وَاسِعَةٌ وَهُوَ إِلَيْهَا أَسْرَعُ وَأَجْرَى ؛ وَلْيُشْكِرِ اللَّهَ تَعَالَى عَلَى مَا وَلَّاهُ ، وَالْإِعْتِمَادَ
عَلَى الْخَطِّ الْكَرِيمِ أَصْلَاهُ .



وهذه نسخة توقيع بنابة حصن عكار ، كتب به لـ «ناصر الدين الكردي» ،
بهـ الجنتاب العالي» ، وهي :

الحمد لله الذى نصر هذا الدين الحنيفى بسيد البشر، وخص هذه الدولة الشريفة بالتأييد والظفر، ووافق الأولياء بيودها الذى لم يزل من ذمة الوفاء يُنظر .

نحمده على منتهى الذى طالب بدا فى جبهات الأولياء بشره وظهره، ونشكره على جوده الذى أغنى عن التحجيل والفرد، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تُحصى قائلها يوم الفرع الأكبر، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذى أقام الله بسيفه الإيمان فأشهره، وكف به يد الطغيان وزجر، صلى الله عليه وعلى آله ما اتصلت عين ينظر وأذن بجر، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد، فإن أولى من رعيته له خلد عبيده، وعرفت له فى أجل الثغور مباشرة سعيده، وأشهرت شهادته وكفايته فى الآفاق، وظهرت أمانته ظهور الشمس فى الإشراق، وتقدم بذلك على نظرائه وفاق .

ولما كان الجنب العالى هو المنعوت بهذه الصفات الجميلة، والمحتوى على هذه المزايا الخلية، الذى شاعت شجاعته مع طهارة يد، ولا عجب فإن هذا الشبل من ذاك الأسد؛ وسارت الركن فى الممالك بنهضتهما فى المباشرات، وسد الخلل فى المهمات المضلات .

فلذلك رُسم ... - لازالت أيامه ماثوثة بالعارف والإحسان، ومعدلة تستدعى بدوام دولته الشريفة لسان كل إنسان - أن تفوض إليه نيابة قلعة حصن عكار المحروس، على عادة من تقدمه وقاعدته، بالمرتب الشاهد به الديوان المعمور .

فلقدّم خيرة الله تعالى وتوجه إليها، وبصرف وجه الإقبال عليها، وينظر فى عمارتها ومصلحتها، ويستدرك ما أسبغهم من بيوت حواصليها، ليصبح وجه هذا الثغر

(١) لعل الصواب «فإن أول الأولياء بالمناصب من رعيته» انظر لستيم الكلام .

بَعُولِهِ بِبَاسِمَا، وَيُنْشَرُّ لَهُ مِنْ حُسْنِ تَدْيِيرِهِ وَجَمِيلِ تَأْيِيدِهِ عِلْمًا، وَلِيُحَسِّنَ إِلَى الْأُمَرَاءِ
الْبَحْرِيَّةِ، وَيُزِيلَ عَنْهُمْ مَنَازِلَهُمْ عَلَى الْعَادَاتِ الْمَرْضِيَّةِ، وَلِيَعْدِلَ فِي الرِّعَايَةِ، وَيُصَيِّفَ
الْمَظْلُومَ مِنَ الظَّالِمِ فِي كُلِّ قَضِيَّةٍ، وَيُزَيِّمَ أَرْبَابَ الْوُظَايِفِ مِنَ الْمُقْسِمِينَ وَالرَّجَالَةَ
بِالْخِدْمَةِ بِالنُّوْبَةِ عَلَى الْعَادَةِ، وَيُوصِّلَ إِلَيْهِمْ مَعْلُومَتَهُمْ مِنْ جِهَاتِهِمُ الْمُنَادِيَةِ، وَيَقْبِضَ
الْحَقَّ الْخَصَّ فِي كُلِّ أَمْرٍ، لَا يَقْتَدِي بِرَأْيِ زَيْدٍ وَلَا عَمْرٍو، وَلِيَعْلَمَ أَنَّهُ مُطَالَبٌ بِالْعَدْلِ
فِي وَظِيفَتِهِ، فَإِنَّ كُلَّ رَاجِعٍ مَسْئُولٌ عَنْ رِعَايَتِهِ، وَالْوَصَايَا كَثِيرَةٌ وَمُعْظَمُهَا تَهْوَى اللَّهُ
فِي سَائِرِ الْأُمُورِ: فَلْيَتَمَسَّكْ بِهَا يَقْوَى، فَإِنَّهَا السَّبَبُ الْأَقْوَى، وَاللَّهُ تَعَالَى يَتَوَلَّاهُ فِي السَّرِّ
وَالنَّجْوَى، بَعْدَ الْخَطِّ الْكَرِيمِ أَعْلَاهُ.



وهذه نسخة تَوْقِيعِ بَيَانَةِ بَلَاطُنُسَ بِـ«الجناب العالي»، وهي :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَسْبَغَ نِعَمَهُ عَلَيَّ أَوْلِيَائِهِ، وَأَجَزَلَ كَرَمَهُ عَلَيَّ أَصْغِيَاءِهِ، وَنَشَهُدُ أَنَّ
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً تُخَيِّقُ قَائِلَهَا مِنْ وَبِيلِ الْعَذَابِ، وَتُجَدِّدُ لَهُ
أَسْبَابَ السَّعَادَةِ فِي الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْحِسَابِ، وَنَشَهُدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْمُبْعُوثُ
بِالنُّورِ الْمُتَيْنِ، الْمَخْصُوصُ بِالَّذِينَ الْمُتَيْنِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَأَهْلِهِ
وَأَصْغِيَاءِهِ وَأَتْرَائِهِ.

وبعدُ، فَإِنَّ الْفِلَاحَ الْمَنْصُورَةَ مِمَّا يَتَعَيَّنُ الْإِحْتِفَالُ بِأَمْرِهَا، وَالْإِهْتِمَامُ بِحِفْظِ
رِجَالِهَا فِي سِرِّهَا وَجَهْرِهَا، وَمِنْ أَجْلِ فِلَاحِ السَّاحِلِ الْمَحْرُوسِ، وَأَجْمَلِ مَسَاكِنِ الْبَحْرِ
الْمَأْنُوسِ، قَلْعَةُ بَلَاطُنُسَ.

فلذلك رُسم ... - لَزَلْتُ صَدَقَاتِهِ تَشْمَلُ كُلَّ وَاحِدٍ، وَتَجِبُ كُلُّ وَلِيٍّ أَجْدُ - أَنَّ
يَسْتَقَرُّ إِذْ هُوَ الْخَيْرُ، الَّذِي لَيْسَ لِمَعْرِفَتِهِ تَغْيِيرٌ، وَالضَّاهِكُ الَّذِي يُحَاقِقُ عَلَى

الليل والحقير، والفقير والقطمير، والشجاع الذى هو فى يوم النضال على أخذ العدو
لقدير، والضرغام الذى أعطاه الله القوة والمعرفة التامة فهو بهما جدير .
فليسير إلى الثغر المحروس، ويعتمد فى أموره ما هو فيه من الخبرة مفروس .



وهذه نسخة توفيق بتقدمة السكر ببجيلة ، كتب به لـ «صالح الدين الحافظى» ،
بـ «الجناب العالى» ، وهى :

الحمد لله الذى جعل هذه الدولة الشرففة تتقل كل ولي إلى درجات سعده ،
وتؤكد أسباب الارتقاء لمن حمت أثره وحسنت سيرته فى اليوم والذى من بعده ،
وتجند أواب السماء لمن ظهر خيره وخبرته فأنجز له الإقبال صادق وعده .

نحمده على نعمه التى أجزلت لمستحقها مواهب رفده ، ونشكره على منته التى
خصت كل كافر بتأثيل مجده ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة
يلغ بها قائلها غاية قصده ، ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الذى أيدته الله تعالى
بتصير من عنده ، وآمنه على وحي الرسالة فنصح الأئمة غاية جهده ، صلى الله عليه
وعلى آله وصحبه الذين كانوا من أنصاره وجنده ، صلاة دائمة باقية يلغ بها المؤمنين
غاية رثده ، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإن الجناب العالى لما تفتت له مباشرات ، فى أجل الولايات وأحسن
النيابات ؛ وهو يسير فى كل منها أجمل سير ، ويحسن إلى رعيته فلا غرو أن يذكره
بكل خير ؛ كم قام بمهمات من غير عسف أهل البلاد ، وكم أعان الديوان المعمور
من غير ضرر للعباد ؛ وكم ميز أموالا فكانت أيام مباشراته أعياد ، وكم له من خديم
سار بها الركاب وبلغ بها المراد ، وكم اتقى عليه لسان القلم حتى قد المداد ،

وَكَمْ وُصِفَتْ هِمَمُهُ وَحُسْنُ تَأْتِيهِ فِي كُلِّ تَوْقِيعٍ وَتَقْلِيدٍ عَلَى أَنَّ الْكَاتِبَ مَا زَاغَ عَنِ الْحَقِّ وَلَا مَالَ عَنِ الصَّدَقِ فِيهَا وَلَا حَادَ .

فاقتضى محمود رأيًا الذي ما برح يهون الله يصيب ، وجميل فكرًا الذي ما دعونه لأمرٍ إلا وبالإصابة بحمد الله يجيب ، أن نعين له وظيفة تريحه فيها من التعب ، ونوفره من تبعات الطلب ؛ وكان من في مقدمة العسكر بحيلة يعثره ألم يعوقه عن الركوب في الخلد الشريفة والزلزل ، سيما في هذا الوقت الذي فيه يتحرك العدو المخنول .

فلذلك رسم ... - لا زالت أيامه الشريفة تيسر أسباب النجاح ، وعوارفه تطوى لها أرض البعد عن أولياتها كما تطوى لدى الصلاح - أن يستقر الحجاب في مقدمة العسكر المنصور بحيلة ، على عادة من تقدمه وقاعدته .

فليأشرها مباشرة تلقى بسباجته ، وتعهده من حسن سياسته ؛ وليكرم الشرع الشريف ، وليردع من يحمي عن الحق أو يخيّف ؛ وليجمع الأمراء المقدمين والحلقة المنصورة على الركوب في الخدمة الشريفة ، وليشكر نعمة الله تعالى المطيفة ؛ وليتقظ لردع العدو المخنول ، وليعلم أننا أسترعيته أمر ذلك وكل راجع مسئول ؛ وليتحقق أن العدو المخنول طالب للهالكين منهم بالثار ، وهم قاصدون جبلة فلنكن عنده يقظة واستبصار ؛ وليرتب الأيزاك ويعمر الموانئ بالرجال ، ويتفقدنهم في الليل أكثر من النهار ؛ ولينجز النوم في طلب الظفر والمثني فمن سهر لذلك ما خاب ، ولا يأمن مكيدتهم ويعترب بهم فيقول : قد ضرب بينهم وبينها بسور له باب ؛ وباقي الوصايا فهو بها أعلم ، ولم يبرح متلفعا بثوبها المعلم ؛ وملاكها تقوى الله تعالى فمن لم يعمل بها يأنثم ، ومن تركها ينثم ، ومن لزمها فهو في الدارين مقدم ؛ والله تعالى يتولاه ، والاعتماد على الخط الكرم أعلاه ؛ إن شاء الله تعالى .

وأعلم أنه ربما أفتح توقيع مقدم العسكر بجيلة بـ «أما بعد حمد الله» .

توقيع بتقدمة العسكر بجيلة ، مما كتب به لحسام الدين العلائي بـ «الجناب العالي» وهو ::

أما بعد حمد الله على نعمه التي تفيض لكل ولي من موائد فضائلها إنعاماً ، وتمنح من عوارفها أفضالاً ؛ وتبلغ من النجى لذوى الاستحقاق آمالاً وتكمل في شعور الباغين حساماً ؛ والشهادة له بالوحدانية التي لم تزل للأولياء المتقين لزماً ، وترفع لهم في الجنات مقاماً ؛ والصلاة على سيدنا محمد الذي عمّا الله بنبوته عن الأمة المحمدية آثاماً ، وشرقه على سائر خلقه وجعله للأبناء ختاماً ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين ظافروه وبأبوابه دهوراً وأعواماً ، صلاة دائمة تزيد مريدتها عزاً وإكراماً - فإن الأهتمام بكل جهة هو على قدرها ، والعناية بقطرها .

ولما كانت مدينة جبلّة المحروسة مخصوصة بمقام بر^(١) السند ، الزاهد الذي ترك الدنيا والأهل والولد ، والولي المبرز في عبادة الخالق ، والمتوكل الذي لم يذخر قوت ساعة لساعة اعتماداً على الرأق - تعين النظر في أمرها وحفظها من العدو المخدول ، وإن كان بهذا السيد السند قد تين حفظها ؛ وكان فلان ممن باشرها فأحسن فيها المباشرة ، وكلا حفظها بيقظته وعيته الساهرة - أقضى رأينا أن نعيده إليها ، ونسبح ظله عليها .

فلذلك رسم بالأمر - لا زال حسامه قاطعاً من الأعداء نحراً ، وفعله صالحاً دنياً وأخرى - أن يعاد المشار إليه إلى مقدمة العسكر المنصور بجيلة المحروسة ، عوضاً عن بها ، وعلى عادته وقاعدته .

(١) يياض بالأصول وله بركات السيد السند .

فَلْيَعُدَّ إِلَيْهَا عَوْدَ الْحُسَامِ إِلَى غَنِيْدِهِ ، وَالْمَاءِ إِلَى مَنَهْلِ وَرِيْدِهِ ؛ وَلْيُقَدِّمْ خَيْرَةَ اللَّهِ فِي الْمَسِيرِ إِلَيْهَا ، وَلْيَسُدِّطِ الْعَدْلَ لِأَيِّمَنَ أَهْلُهَا بِقُدُومِهِ عَلَيْهَا ؛ وَلْيُكْرِمَنَّ مِنْ بَهَا مِنَ الْعَسْكَرِ الْمَنْصُورِ ، وَيُخَيِّنَنَّ إِلَى الرَّجْعَةِ بِهَا لِيُصْبِحَ خَيْرَ مَشْكُورٍ ؛ وَلْيُنْصِفِ الْمَظْلُومَ مِنْ ظَلَمِهِ ، وَيَنْشُرْ لِلشَّرْعِ الشَّرِيفِ عَافِيَةً ؛ وَلْيُخَلِّصَ الْحَقَّ مِنَ الْقَوِيِّ وَالضَّعِيفِ ، وَالذِّقِّ وَالشَّرِيفِ ؛ وَلْيُزَيِّمَنَّ مِنْ بَهَذَا التَّفَرُّعِ بِعَمَلِ الْبِرِّكَ الْمَعْتَادِ ، وَالتَّيَقُّظِ لِأَمْرِ الْعَدُوِّ الْمَخْذُولِ وَمُضَاعَفَةِ الْاجْتِهَادِ ، وَلْيَلْزِمَنَّ تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى فِي الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَمُنُّهُ مِنْ فَضْلِهِ مَا يَرْجُو مِنَ الْأَمَالِ .



وهذه نسحُ تَوَاقِيْعٍ لِأَرْبَابِ الْوِظَائِفِ الدِّينِيَّةِ بِطَرَابُلُسَ .
تَوَفِّيقُ بِنُظَرِ الْحِسْبَةِ بِطَرَابُلُسَ ، كَتَبَ بِهِ لِلْقَاضِي « نَاصِرِ الدِّينِ بْنِ شَيْبَةَ » وَهُوَ :
الْحَمْدُ لِلَّهِ مُبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ، وَمَوْصِلِ الْأَرْزَاقِ عَلَى يَدِ أَصْفِيَائِهِ مِنَ الْعَالَمِينَ ، وَمُعِيدِ كُلِّ وَلِيٍّ إِلَى مَنَاصِبِهِ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ .

نَحْمَدُهُ عَلَى فَضْلِهِ الْكَبِيرِ ، وَنَشْكُرُهُ عَلَى أَنْفِ جَعَلَنَا مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً نَدِينُهَا لِيَوْمِ الدِّينِ ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الصَّادِقُ الْوَدِيدُ الْأَمِينُ ، الَّذِي أَرْسَلَهُ بِوَاضِعِ الْمُنَجِّجِ وَمُحَكِّمِ الْبَرَاهِينِ ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ كِتَابًا عَرَبِيًّا مُبِينًا ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَتَمَّ الصَّلَاةِ الْمَحْمُودِ ، صَلَاةَ مُسْتَمِرَّةٍ عَلَى مِثْرِ الْأَيَّامِ وَالشُّهُورِ وَالسِّنِّينِ ؛ وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وَبَعْدُ ، فَإِنَّ أَوَّلَى مَنْ غَزَرْنَا مَوَادِّ رِفْدِهِ ، وَأَجَزْنَا لَهُ حُظُوظَ سَعْدِهِ ، وَلَبَّغْنَا مِنْ إِقْبَالِنَا غَايَةَ قَصْدِهِ ، وَحَدَّثْنَا تَصَرُّفَهُ مِنْ قَبْلِ عِنْدِ مَا رَمَمَ لِمَا جُدِّدَ [مِنْ] بَعْدِهِ ؛ وَأَعْدَدْنَا لِمَا رُبِّبْنَا إِلَيْهِ مِنْ حُسْنِ السِّيَاسَةِ وَالتَّنْذِيرِ ، وَعُرِفَ فِيهَا بِالْكَفَايَةِ وَالصِّيَانَةِ

وَيُبْنِي النَّائِمَ - مَنْ لَهُ وَلِلْفَهْ فِي الْمَبَاشِرَاتِ الْجَلِيلَةِ يَدٌ طَوِيلٌ ، فَكَانَ بِوُظُفَيْتِهِ
أَحَقُّ وَأَوَّلَى .

ولما كان المجلس العالى هو الْمُتَّصِفُ بصفات الكمال ، الْمَشْكُورُ فِي سائر الأحوال ؛
فَلَذَلِكَ رُسم بِالْأَمْرِ - أَنْفَذَهُ اللهُ فِي الْآفَاقِ ، وَأَجْرَاهُ بِصِلَةِ الْأَرْزَاقِ - أَنْ يُعَادَ فَلَانٌ
- أَدَامَ اللهُ نِعْمَتَهُ - إِلَى نَظَرِ الْحِسْبَةِ الشَّرِيفَةِ بِالْمَمْلَكَةِ الطَّرَائِيسِيَّةِ عَلَى عَادَتِهِ وَقَاعِدَتِهِ ،
مُضْطَبَّحًا إِلَى مَا بِيَدِهِ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ الْمَعْمُورِ : لِأَنَّهُ الْفَاضِلُ الَّذِي لَا يُجَارَى ، وَالْعَالِمُ
بِأَحْوَالِ الرِّعْيَةِ فَلَا يُنَاطَرُ فِي ذَلِكَ وَلَا يُمَارَى ؛ وَالْفَيْلَسُوفُ الَّذِي يُظْهِرُ زَيْفَ كُلِّ
مُرِيبٍ ، وَالتَّحْرِيرُ الَّذِي يُخَيِّرُهُ لَيْسَ كُلِّ حَيِّبٍ وَلَيْبٍ .

فَيَنْظُرُ فِي الدَّقِيقِ وَالْجَلِيلِ ، وَالكَثِيرِ وَالْقَلِيلِ ؛ وَمَا يُتَحَصَّرُ بِالْمَقَادِيرِ وَمَا لَا يُتَحَصَّرُ ،
وَمَا يُؤْمَرُ فِيهِ بِمَعْرُوفٍ أَوْ يُنْهَى عَنْ مُنْكَرٍ ؛ وَمَا يُسْتَرَى وَيُسَاعَ ، وَمَا يُقَرَّبُ بِتَحْرِيرِهِ إِلَى
الْحِنَةِ وَيُتَعَدَّى عَنْ النَّارِ وَلَوْ لَمْ يَكُنْ قَدِ بَقِيَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا قَدْرُ بَاعٍ أَوْ ذِرَاعٍ ؛ وَكُلُّ
مَا يُعْمَلُ مِنَ الْمَعَايِشِ فِي نَهَارٍ أَوْ لَيْلٍ ، وَمَا لَا يَعْرِفُ قَدْرَهُ إِلَّا إِذَا نَطَقَ لِسَانُ الْمِيزَانِ
أَوْ تَكَلَّمَ فَمِ الْكَيْلِ ؛ وَلِيَعْمَلَ لَدَيْهِ مُعَدَّلًا لِكُلِّ عَمَلٍ ، وَعِيَارًا إِذَا عُرِضَتْ عَلَيْهِ الْمَعَايِرُ
يَعْرِفُ مِنْ جَارٍ وَمِنْ عَدَلٍ ، وَلِيَتَفَقَّدَ أَكْثَرَ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ ، وَيُجَدِّدَ مِنَ الْفَشْلِ : فَإِنَّ الدَّاءَ
أَكْثَرُهُ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ ؛ وَلِيَتَعَرَّفَ الْأَسْعَارَ ، وَيَسْتَعْلِمَ الْأَخْبَارَ مِنْ كُلِّ سُوقٍ
مِنْ غَيْرِ إِعْلَامٍ لِأَهْلِهِ وَلَا إِشْعَارٍ ؛ وَلِيَقِيمَ عَلَيْهِمُ مِنَ الْأَمْنَاءِ مِنْ يَتُوبُ عَنْهُ فِي النَّظَرِ ،
وَيَقْطَعُ بِهِ إِنْ غَابَ أَوْ حَضَرَ ، وَدَارَ التَّقْوَدِ وَالضَّرْبِ الَّتِي مِنْهَا تَنْبَتُ ، وَقَدْ يَكُونُ
فِيهَا مِنَ الزَّيْفِ مَا لَا يَظْهَرُ إِلَّا بَعْدَ طَوِيلِ الْبَيْتِ ؛ فَلْيَتَصَدَّقْ لِمُحَمَّا بِصَدْرِهِ الَّذِي لَا يَخْرُجُ ،
وَلْيَعْرِضْ مِنْهَا عَلَى الْحَكِّ [مِنْ رَأْيِهِ] مَا لَا يَجُوزُ عَلَيْهِ بَهْرَجٌ ، وَمَا يَلْمُقُ مِنَ الذَّهَبِ
الْمَكْسُورِ وَيَرْوِصُ مِنَ الْفُضَّةِ وَيَخْرُجُ ، وَلِيَقِيمَ الضَّمَانَ عَلَى الْعَطَّارِينَ وَالطَّرِيقَةِ

في بيع غرائب العقاقير إلا ممن لا يُستَراب فيه وهو معروف ، ويحفظ طيب ما هير
لمريض معين في دواء موصوف ، والطريقة وأهل التجارة وسائر الطوائف المنسوبة
إلى ساسان ، ومن يأخذ أموال الرجال بالحيلة ويأكلهم باللسان ، وكل إنسان سوء
من هذا القبيل هو في الحقيقة شيطان لا إنسان ؛ فامنعهم كل المنع ، وأصدعهم مثل
الرجاح حتى لا يغير لهم صدع ، وصب عليهم النكال وألأف مجدى في تأديبهم
ذات التأديب والصنع ، ومن وجدته قد غش مسلماً ، أو أكل ياطل درهما ،
أو أخبر مشتراً بزياد ، أو أخرج عن معهود العوائد ، أشهره بالبلد ، وأركب تلك
الآلة قفاه حتى يضعف منه الجسد ، وغير هؤلاء [من فقهاء المكاتب ، وطلحات
النساء وغيرهما من الأنواع ^(١)] ممن يخاف من ذنبه العائث في سرب الظباء والحداد ،
ومن يقدم على ذلك أو يشله وما يحاذر ، أرشقهم بيهامك ، وزلزل أقدامهم
بأقدامك ، ولا تدع منهم إلا من آخرت أمانته ، وأخبرت صيائته ، والثواب
لا ترص منهم إلا من يحسن نقاداً ، ويحسب لك أبر أسيئاته إذا قيل لك : من
استنبت ؟ قلت : هنا ؛ وتقوى الله هي نهم المسالك ، وما لك في كل ما ذكرناه
بل أكثره إلا إذا عملت فيه بمنهج مالك ، والله تعالى يسدك ويرشدك ويوفقك
إلى أحسن المسالك .



توقيع بخطابة والإمامة بالجامع المنصوري بطرابلس ، كُتِبَ به الخطيب
« جمال الدين إبراهيم » ، بـ « المجلس السامى » بغيراء ، وهو :

رسم بالأمر الشريف - لا زال عود منابر الإسلام بماء إحسانه رطياً ، وورد
شعائر الدين الحنيفي في أيامه الزاهرة قشياً ، ومواهبه ومتاقبه هيم تماديه في كل

(١) الزيادة من « التريف صفحة ١٢٦ » وهي لازمة لاستقامة الكلام .

وَأَدِ شَاعِرًا وَلِحَايِدِهِ فِي كُلِّ نَادٍ خَطِيئًا - أَنْ يُرْتَبَ الْمَجْلِسُ السَّامِيُّ، الْإِمَامُ، الْعَامِلُ :
- رَحِمَ اللَّهُ تَعَالَى السَّلَفَ ، وَزَادَ تَجَدُّدَ الْخَلْفَ - خَطِيئًا وَإِمَامًا بِالسَّجْدِ الْجَامِعِ الْمَعْمُورِ
الْمُنْتَصَرِي بِطَرَالِسِ الْمَحْرُوسَةِ ، عَوَضًا عَنْ فُلَانٍ ، وَعَلَى عَادَتِهِ وَقَاعِدَتِهِ ، وَيَمْلُومُهُ
الشَّاهِدُ بِهِ الدِّيَوَانُ الْمَعْمُورُ الْمُسْتَقَرَّ بِأَسْمَةِ ، إِلَى آخِرِ وَقْتٍ : رِعَايَةِ لِأَهْلِيَّتِهِ الْوَاحِدَةِ
الدَّلَائِلِ ، وَفَضِيلَتِهِ النَّاطِقَةِ الشَّوَاهِدِ الصَّادِقَةِ الْخَائِلِ ، وَأَوْصَافِهِ الْجَمِيلَةِ الَّتِي بِهَا تُعْرَفُ
مِنْ أَبِيهِ الشَّمَائِلِ ؛ وَلِأَنَّهُ الصَّدْرُ ابْنُ الصَّدْرِ النَّجِيبِ ، وَالْخَطِيبُ الْإِمَامُ ابْنُ الْإِمَامِ
الْخَطِيبِ ؛ وَالْوَلَدُ النَّجِيبُ الَّذِي حَدَا حَلْوُ وَالِدِهِ فِي الصَّلَاحِ مَا خَافَ وَلَا يَجِيبُ ،
وَالْتَجَلَّ النَّبِيُّ الْمُهْدَبُ الَّذِي أَشْبَهَ أَبَاهُ فِي الدِّيزِ وَالْوَرَعِ : وَمَنْ أَشْبَهَ أَبَاهُ فَمَا ظَلَمَ
فِي النَّبَاهَةِ وَالْتِهَانِ .

فَلْيَا شَرِّ هَذِهِ الْخَطَابَةِ وَالْإِمَامَةِ الَّتِي هُوَ ابْنُ جَلَالِهَا ، وَطَلَّاعُ شَتَائِهَا ؛ زَانِثًا حِلَالِهَا ،
زَانِثًا عَلَاهَا ؛ وَلَيَرَقُ ذُرَّةَ هَذَا الْمَنْصِبِ الَّذِي هُوَ أَعْلَى الْمَنَاصِبِ الدِّينِيَّةِ ، وَلَيَتَأَقَّ
يَعْنِي اللَّهُ عَنْهُ وَجَلَّ بِالشُّكْرِ الَّذِي يُوجِبُ الْمَزِيدَ وَيُكْسِبُ الْمَزِيدَ ؛ وَلَيَقُمْ مَقَامَ وَالِدِهِ
فِي هَذِهِ الرَّثْبَةِ السَّيِّئَةِ ، بِإِخْلَاصِ الْعَمَلِ وَصَدْقِ النَّبِيِّ ؛ مُحَلِّيًا فِي مِضْهَارِ الْيَانِ الَّذِي
سَلَّمَتْ إِلَيْهِ أَعْتَهُ ، وَأُلْقِيَتْ إِلَيْهِ أَرْزَمَتْهُ ؛ مُحَلِّيًا بِقَلَائِدِ الْمَوَاعِظِ وَفَرَائِدِ الْأَمْثَالِ أَعْوَادَ
الْمِثْبَرِ الَّذِي لَوْ أَمَكَّنَهُ لَسَعَى إِلَيْهِ ، مُشْتَقًّا الْأَسْمَاعَ بِجَوَاهِرِ الْأَوَامِرِ وَزَوَاهِرِ الزُّوَامِرِ
الَّتِي يَصْدَعُ بِهَا عَلَيْهِ .

وَلَيْسَ كَسِيرَةً وَالِدَهُ فِي الطَّرِيقَةِ الْمُتَلَّى وَمُلُوكِ الْمَنْهَجِ الْأَسَدِ ، وَلَيَجْتَهِدُ فِي إِخْبَاءِ
رُسُومِهِ فِي الْعِبَادَةِ وَأَقْفَاءِ آثَارِهِ فِي الْعِلْمِ وَالرَّهَادَةِ حَتَّى يَقُولَ النَّاسُ : هَذَا الشَّبْلُ
مِنْ فَالِكَ الْأَسَدِ جَارِيًا عَلَى أَفْضَلِ الْمَوَائِدِ فِي دِيَارَتِهِ ، سَارِيًا بِأَجْمَلِ الْقَوَاعِدِ مِنْ
صِيَابَتِهِ ، وَلْيُوصَلْ إِلَيْهِ مَعْلُومُهُ الشَّاهِدُ بِهِ الدِّيَوَانُ الْمَعْمُورُ الْمُسْتَقَرُّ إِلَى آخِرِ وَقْتٍ ، عَلَى
عَادَةٍ مِنْ تَقْدِمْهِ وَقَاعِدَتِهِ : لَا يَسْتَقْبَلُ مُبَاشَرَتَهُ أَحْيَانًا الْوُجُوبَ وَأَزْمَانَ الْاسْتِخْفَاقِ ،

رُزْقًا دَارًا ، سَازًا ، هَيَا ، مَرَضِيًّا ، من غير تَنَفِيس ، ولا تَنَقِيس ، والاعتماد على
العلامة الكريمة أعلاه ، وثبوته إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخةٌ تَوْقيع بخطابته ، كُتِبَ به للشيخ «صدر الدين الخطابوري» ، بهـ بالمجلس
الساميء بالياء ، وهي :

رُسم ... - لا زالت أيامه الشريفة تَضَعُ الأشياءَ في محلّها ، وتُقَوِّضُ المناصبَ
الْمُنِيفَةَ إلى أهلها ، وتُسَرِّفُ صُدُورَ المحافل بصُدُورِ العلماء في حَزْنِهَا وسَهْلِهَا - أن تُقَوِّضَ
إلى فلان الخطابة بالجامع الناصري المعروف «بجامع التوبة» بهـ بالبُلس المهروسة
وَجُوبًا وَتَيْبًا ، أَقْضَى في تَقَدُّمِ الفاضل على المفضول تَيْقَنًا وَتَيْبًا ، لِأَنَّهُ الْحَبْرُ الَّذِي
لَا يُجَارَى في فضائله ، وَالْبَحْرُ الَّذِي يَجُودُ فَيُجِيدُ بفواضله ، وَالصَّدْرُ الَّذِي مُلِئَتْ
بِقَوَائِدِهِ وَقَوَائِدِهِ بِزَمَانِهِ حَافِلٌ صُدُورِهِ وَصُدُورُ حَافِلِهِ ؛ كَمْ نَطَقَتْ أَلْسُنُ الْأَقْلَامِ
بِأَفْوَاهِ الْحَاوِرِ بِفَضْلِهِ فِي الْأَقَالِمِ وَالْآفَاقِ ، وَكَمْ مِنْ عِبَارَةٍ بِفَصَاحَةٍ وَبِلَاغَةٍ حَقَّقَتْ أَنَّهُ
بِهَا فَاتَ الْفُصَحَاءَ وَالْبُلَهَاءَ وَقَاق ؛ لَقَدْ أَصْبَحَ شَمْلُ هَذَا الْجَامِعِ بِهَذَا الْفَاضِلِ الَّذِي
طَالَ أَرْتِقَابُهُ لَهُ جَامِعًا ، وَأَمْسَى وَقَدْ ظَفِرَتْ يَمَانُهُ مِنَ الْيَمِينِ بِهِ وَالْبَرَكَةُ بِمَا لَمْ يَكُنْ
بَنِيءٍ مِنْهُ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْأَيَّامِ طَامِعًا ، فَلِذَلِكَ بَادَرْتُهُ الْمُنِيفَ وَحَلَّ لَهُ حَقُّوَتُهُ
مُسَارِعًا وَوُطْأً - لَأَمْنُطَانِهِ إِيَّاهُ بِصَهْوَتِهِ ، وَغَفَرٍ لِلدَّهْرِ بِهَذِهِ الْحَسَنَةِ الْجَمِيلَةِ فِيمَا
سَلَفَ مِنْهُ حَقُّوَتُهُ ؛ وَعَلِمَ أَنَّهُ الْخَطِيبُ الَّذِي اسْتَقَرَّ يُطَالَعُ الْمَنَارِ مِنْ خُطْبَتِهِ بِمَا يُفَجِّرُ
مِنَ الْعُيُونِ مَنَاجِيحَ الْمَدَامِيعِ ، وَيُسَوِّقُ إِلَى الْآخِرَةِ : مِنْ أَتْفَافٍ يُسَفِّهُ بِهَا الْمَسَامِيعَ ؛
وَأَنْ تَمَّا لَا يُتَأَسَّرُ بِهِ فِي خُطْبِهِ وَعِظَاتِهِ ، وَأَنْ سَحَابَانَ يَوَدُّ مِنْ تَجَمُّلِهِ أَنْ يَسَحَّبَ ذَيْلَهُ
عَلَى مَآثِرِهِ الْمَأْثُورَةِ عَنْهُ لِيُعَيَّ آثَارَ فَلَتَاتِ كَلِمَاتِهِ وَلَقَاتِ لَفْظَاتِهِ .

فليأشُر هذه الوظيفة المباركة بالله تعالى مُدَّكراً، وليأمر عبادَه ونَهْأهم عنه على اسمائِهِمْ مُكرِّراً ؛ وبِعَلْم أَنَّهُ في المِخْرَابِ مَنَاجِ لربه ، وَأَقْفُ بين يَدَي من يَحُولُ بين المرءِ وَقَلْبِهِ ؛ فليَعْتَصِم بالله عزَّ وجلَّ في قَوْلِهِ وفِعْلِهِ ، وَيَتَقَنَّ أَنَّ الكَلِمَةَ إِذَا خَرَجَتْ من قَلْبٍ لَا تَقَعُ إِلَّا في مِثْلِهِ .

وفي إحاطة عِلْمِهِ المَشْهُور ، وَفَضْلِهِ المَشْهُود المَشْكُور ؛ مَا يُغْنِي عن وَصِيَّةِهَا يَتَذَكَّرُ ، وَتَذَكُّرُهُ في صَحِيفَةِ فِكْرِهِ تُرْقَمُ وَتُسَطَّرُ ؛ وَلْيُوَصَّلْ إِلَيْهِ مَعْلُومُهُ على هذه الرِّبَاطَةِ الشَّاهِدُ به الدِّيَانُ المَعْمُورُ . وَلْيَوْقُرْ خَاطِرُهُ من التَّبَدُّلِ في تَحْصِيلِ مَعْلُومِهِ الجَارِي له وَطَلَبِهِ ، وَلْيَعَامَلْ بِمَا يَلِيقُ مِنَ الإِجْلَالِ والإِعْظَامِ بِوِطْئِهِ الشَّرِيفَةِ وَالمَحَلِّ العَالِي الرَّفِيعِ من مَنَصِبِهِ ؛ وَالْعَلَامَةِ الكَرِيمَةِ أَغْلَاهُ ، حُجَّةً بِمَقْتَضَاهُ ؛ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى .



وهذه نسخُ تَوَاقِيعَ لِأَرْبَابِ الوِظَائِفِ الدِّيَوَانِيَةِ بِطَرَابُلُسَ :

نُسخَةُ تَوْقِيعِ بِشَادَةِ الجِيُوشِ بِطَرَابُلُسَ ، كُتِبَ به للقَاضِي بَدْرُ الدِّينِ «مُحَمَّدُ بْنُ الفَرَفُورِ» ، وَوالِدُهُ يَوْمئِذٍ نَاطِرُ الجِيُوشِ بِهَا ، بـ«المَجْلِسِ العَالِي» ، وَهِيَ :

أَمَّا بَعْدُ حَمْدُ اللهِ الذِي زَيَّنَ سَمَاءَ المَعَالِي بِبَدْرِهَا ، وَأَنْبَتَ في رِيَاضِ السَّعَادَةِ بِأَنْبَعِ زَهْرِهَا ، وَرَفَعَ المَنَاصِبَ السَّيِّئَةَ إِلَى شَرَفِ مَحَلِّهَا وَعَمَلِ شَرَفِهَا ، وَنَشَهدُ أَنَّ لَإِلَهِ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهادَةً خَالِصَةً في قَوْلِهَا وفِعْلِهَا ، وَأَنَّ عَمَّا عِندَهُ وَرَسُولُهُ أَرْسَلَهُ بِالمِلَّةِ الحَنِيفِيَّةِ نَائِمًا بِفَرْضِهَا وَنَقْلِهَا ، آمَرًا بِالمَعْرُوفِ نَاهِيًا عَنِ المُنْكَرِ مُبَلِّغًا لِرِسَالَاتِ رَبِّهِ كُلِّهَا ؛ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ صَلَاةً لَا يَنْخِصِرُ عَدَدُهَا ، وَلَا يَنْقُضِي أَمَدُهَا ، وَسَلَّمُ تَسْلِيمًا كَثِيرًا - فَإِنَّ أَوَّلَى من خَطَبَتِهِ المَنَاصِبُ من هُوَ أَحَقُّ بِهَا وَأَهْلُهَا ^(١) فيها

(١) يَياضُ بِالأَصْلِ وَلَعَلَهُ : وَهِيَ ، الخ .

نِسْبَةً لَا يُنْكِرُ فَضْلُهَا ، وَمُبَاشَرَاتٌ فِي الْمَمَالِكِ الْإِسْلَامِيَّةِ مَشْهُورَاتٌ بِالْكَفَايَةِ وَالْعَمَّةِ فِي بَرِّهَا وَبَحْرِهَا .

وَلَمَّا كَانَ فَلَانٌ - حَرَسَ اللَّهُ جَنَابَهُ وَأَسْبَغَ ظِلُّ وَالِدِهِ - هُوَ الْمَعْنَى بِهَذِهِ الْإِشَارَةِ ، وَتَمَسَّ هَذِهِ الْحَالَةَ وَبَدَّرَ هَذِهِ النَّارَ .

فَلِذَلِكَ رَمَعَ زَادَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَظَمَةً وَشَرَفًا ، وَمَنَعَهُ فِي الْحَنَانِ قُصُورًا وَغُرَفًا - أَنْ يَسْتَقَرَّ ... : اِقْرَارًا لِمَتَيْنِ وَالِدِهِ ، وَجَمْعًا لَهُ بَيْنَ طَرِيفِ السَّعْدِ وَتَالِدِهِ ؛ لِأَنَّهُ التَّبَعَةُ الَّتِي نَشَأَتْ فِي رِيَاسِ السِّيَادَةِ ، وَالزُّهْرَةُ الَّتِي بَرَزَتْ فِي كَيْلَمِ السَّعَادَةِ ؛ فَلَا يَزَالُ فَرْعُهُ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - بِسَعَادَةِ هَذِهِ الدَّوْلَةِ الشَّرِيفَةِ يَتِمُّ إِلَى أَنْ يَتَأَصَّلَ ، وَزَهْرَتُهُ تُزْهِىَ إِلَى أَنْ تَبْلُغَ الْإِنْمَارَ وَتَتَوَصَّلَ .

فَلْيُبَاشِرْ هَذِهِ الْوُظَيْفَةَ الْمُبَارَكَةَ مُبَاشَرَةً تَظْهَرُ فِيهَا كِفَايَتُهُ عِنْدَ الْاِسْتِقَادِ ، وَتُحْمَدُ فِيهَا حَقُّهُ الْاِخْتِيَارِ وَالْاِخْتِبَارِ وَالرَّشَادِ ؛ وَلْيَسْلُكْ فِي أَمَانَتِهِ سُنَنَ أَبِيهِ - أَسْبَغَ اللَّهُ ظِلَّهُ - الَّتِي أَحْكَمَهَا فِي كُلِّ مَا أَبْدَأَ وَأَعَادَ ، وَيَنْبَغُ طَرُقَهُ الْمَهَادِيَّةَ إِلَى سَبِيلِ السَّعَادَةِ وَالْإِرْشَادِ ؛ وَيُسَيِّدُ مَا آكْتَسَبَهُ مِنَ وَالِدِهِ عَنْ سَلَفِهِ مِنْ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ وَهُوَ أَحَقُّ بِهَذَا السُّنْدِ ، وَلَا يَخْرُجُ عَنْ رَأْيِ أَبِيهِ - أَيْدَهُ اللَّهُ - حَتَّى يَقُولَ النَّاسُ : هَذَا الشَّجَلُ مِنْ ذَاكَ الْأَسَدِ ؛ وَلْيُشَمِّرْ فِي تَحْصِيلِ الْفَضَائِلِ الَّتِي تَبْلُغُ بِهَا الْأَمَالُ ، وَتَصْلُحُ الْأَحْوَالُ ؛ وَلْيَتَلَقَّ هَذِهِ الْمُبَاشَرَةَ بِزَمِهِ الشَّدِيدِ ، بِنَفْسِهِ لَا بِالتَّقْلِيدِ ، فَإِنَّهُ شَاهِدٌ وَمَسْئُولٌ ، بِقَوْلِهِ يَوْفَى فِي الْأَسْتَحْقَاقِ وَفِي التَّقْوَدِ وَالْكَيْوَلِ ؛ وَتَقْوَى اللَّهِ هِيَ السَّبَبُ الْأَقْوَى ، فَلْيَتَمَسَّكْ بِحَبْلِهَا يَقْوَى ، وَالْوَصَايَا كَثِيرَةٌ فِي ذَلِكَ وَوَالِدُهُ بِهَا أَعْلَمُ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يُسَلِّكُهُ سَبِيلَ الْمَهْدَى فَإِنَّهُ انْجَمُ الطَّرِيقِ وَأَسْلَمُ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يَتَوَلَّى عَوْنَهُ ، وَيُدِيمُ صَوْنَهُ ؛ وَالْاِعْتِدَادُ



توقيع بكاتبه الدرج بطرابلس، كُتب به بـ «المجلس السامى» بالياء، وهو :

رُسم بالأمر الشريف - لا زالت مَراسمه العالِيَّة تُطْلِع في أفلاك المعالى بَدْرًا مِنيرًا
هاديًا إلى الفضائل مأمونًا من السَّرار، ومكارمه الوافِيَّة تُرْفَع من أعلام المعاني صَدْرًا
كبيرًا رَشِيدًا في البيان أَمِينًا على الأسرار، ومَراجمه الكافية تُقَرِّع عيون الأعيان
والأخبار - أن يُرتَّب فلانٌ - ضاعف الله تعالى أنوار فضائله التى يَأْتُم بها المُستغنى،
والمُتهندى، وَيَسْهُو إلى قِراها المُستعين والمُقتدى - في كتابة الدرج السعيد بطرابلس
المحروسة بما قُرِّر له من المعلوم الوارد فى الاستِثَار الشريف على ما يَتَعَيَّن بِقَلَم الاستِفاء
جِهته، وَيُبينُ تفصيله وجملة، نظرًا إلى استحقاقه الظاهر، وفضله الباهر،
وبلاغته التى أَفْصَحَتْ عن بيان البليغ القادر، وقصاحته التى بلغت الكمال بَعَوْنَ
الملك القادر، وإطرائه، فى إطنابه، وإعْجازه، فى إيجازه، فله فى الدلائل قُدْرَة
«المتصور» وفى الفضائل قُوَّة «الناصر» طالما أزهى بقلمه «المهتدى» للصواب،
«السَّفَّاح» كالسحاب، رَوَّضُ العلوم والآداب، وأظهر بيبانه «المُتَبَصِّر»
فى الخطاب، «المُقْتَدِر» على الاتِّضاب، طُرُقَ الفنون، وأَمَحَّه العيون، مُحْكَمَة
الأسباب، وَبَيَّلَ الحِكَمَ مُفْتَحَةً الأبواب، فهو بالسَّ والسَّاء بَدْر «المُسْتَشَد»
وبالجدا والجِداء «مُعِزُّ» «المُسْتَعِج» وبفَرَطِ الحياء والحياء صَحَابُ المُسْتَظَر
و«المُسْتَظَر»، وبفَرَبِ الذِّكَا والذِّكَا بَرَق «المُسْتَبِير» و«المُسْتَبِير» .

فلْيَاشِرْ هذه الوظيفة المباركة «مُعْتَصِمًا» بِجَلِّ التَّقْوَى، «مُسْتَعِصِمًا» من المُراقِبة
بالسَّبِّ الأقوم الأحمق، مُجَدِّدًا رُسُومَ هذه الصناعة التى رَبَّيْنا قَدْ دَرَسَ وَمَحَلَّها
قد أقوى، فإن «المتقى لله» «الراضى» به هو «الراشد» «القائِر» بالسَّعاده،

و«المُؤكَّل» عليه «المُطِيع» له هو «الوَائِقُ» ببلوغ القصد الحائز للإرادة؛ ولْيَطْرُقَ
حُلُّ البَيَانِ بوثني بَنَانِهِ الذي أصبح دِيَاجُ الطُّرْسِ به «مُعْتَرَاً»، وليَقُومَ مَعَانِي البَدِيعِ
بمامل قَلْبِهِ الخَطِيطِ الذي أَمَسَى الفَضْلُ به كَالْمَهْرَى قَائِمًا مُهَيَّزًا؛ «مُسْتَكْفِيًا»
بِمَا يَصْرَعُهُ وَرُصْعُهُ نَفْلاً وَتَرَا من البدائع، «مُسْتَعْلِيًا» لما يَرْفَعُهُ وَيَقْرَعُهُ من غُرَرِ
الفَقْرِ، وَدَرِّ الفِكْرِ، بِخَاطِرِهِ الوَقَادِ التَّقَادِ المُنَادِ الطَائِعِ؛ «مُقْتَفِيًا» فِيمَا يَنْشِئُهُ آثَارُ
مَا يَصْدُرُّ عن «الحَاكِمِ» و«الْأَمْرِ»، «مَكْتَفِيًا» فِيمَا يُبْدِيهِ بِمَقْدَارِ مَا تَبَرَّزَ به المَرَاثِمُ
وَالْأَوَامِرُ، «حَافِظًا» لِلسَّرِّ «الْمَزِيَّ» كَاتِبًا كَاتِمًا فَلَا يَمُضِدُهُ فِيهِ «عَاضِدٌ» وَلَا
يُظْفَرُهُ «ظَافِرٌ»؛ «مَعْتَمِدًا» عَلَى الْكِتْمَانِ فِي جَمِيعِ مَا يُورِدُهُ وَيُصْدِرُهُ، مَقْتَصِدًا
بِالتَّوْفِيقِ فِي سَائِرِ مَا يُخْفِيهِ وَيُظْهِرُهُ .

وَالْوَصَايَا فَنِ آدَابِهِ تُسْتَفَادُ، وَالنَّصَائِحُ فَلَهَا مِنْهُ الْمَبْدَأُ وَإِلَيْهِ الْمَعَادُ؛ فَلْيَنْسَمِ ذُرُورَةُ
أَعْلَاهَا، وَلْيَتَنَمَّ نَفْعَةُ رِيَاسَتِهِ



تَوْقِيعُ بَشَادَةِ دَارِ الضَّرْبِ بِطَرَابُلسَ، وَهُوَ :

رُسِمَ بِالْأَمْرِ - لَا زَالَ رَأْيُهُ الشَّرِيفُ يَقْرُبُ مِنَ الْأُمُورِ صَوَابًا، وَلَا بَرَحَ أَفْقُ سَمَاءِ
تَمْلِكُهُ الشَّرِيفَةُ يُطْلِعُ بِفَلَاحِهِ بَذْرًا مُبِيرًا وَشِبَابًا - أَنْ يُرَبِّبَ فُلَانٌ ... : لِأَنَّهُ الْعَدْلُ
الَّذِي أَشْهَرَتْ عَدَالَتُهُ، وَالْأَيْمَنُ الَّذِي بَهَرَتْ فَظْهَرَتْ أَمَانَتُهُ؛ وَالرَّئِيسُ الَّذِي مَا بَرَحَ
صَدَرَ الْحَافِلُ، وَالْمُتَاضِلُ الَّذِي فَاقَ بِفَضْلِهِ عَلَى الْأَقْرَانِ وَالْأَمَائِلِ، وَشَهِدَتْ بِتَرَاهُتِهِ
الْمَشْهُورَةُ الْأَوَانِيرُ وَالْأَوَائِلُ .

فَلْيَا شَرُّهُ هَذِهِ الْوُضُفَةُ مَبَاشَرَةً مُطَاقَةً لِمَدَالِيهِ الْمَشْهُورَةِ، مُعْرِيةً عَنْ أَصَالَتِهِ الْمُخْجُورَةِ،
مَوْصَحَةً عَنْ دِيَانَتِهِ الَّتِي عَدَتْ فِي الْعَالَمِينَ مَعْرُوفَةً غَيْرَ مَنكُورَةٍ؛ لِيُصْبِحَ هَذَا الْمُنْتَصِبُ

مُشْرِقًا بَنُورَهُ ، سَنَى الْأَرْجَاءِ بِسَاطِعِ ضِيَاءِ شِهَابِهِ وَنُورِ بُدُورِهِ ، وَهُوَ - أَعَزُّهُ اللَّهُ -
غَنَى عَنْ وَصِيَّةٍ مِنْهُ تُسْتَفَادُ ، أَوْ تَتَّبَعُ عَلَى أَمْرٍ مِنْهُ يُبْدَأُ وَإِلَيْهِ يُعَادُ ، وَلِيَتَأَوَّلَ مَعْلُومَهُ
الشَّاهِدَ بِهِ الدِّيَوَانُ الْمَعْمُورُ هَنِيئًا مُبَسَّرًا ، وَلَا يَقِفُ أَمَلُهُ عِنْدَهُ : فَإِنَّا لَنَرَجُو فَوْقَ
ذَلِكَ مَظْهَرًا .



تَوْفِيقٌ بِنَظَرِ الْأَلَذِّيَّةِ ، كُتِبَ بِهِ لِلْقَاضِي «بُرْهَانَ الدِّينِ» الْأَنْدَرُمِيّ ، وَهُوَ :

رُسِمَ بِالْأَمْرِ - أَنْفَذَهُ اللَّهُ فِي الْأَفَاقِ ، وَطَوَّقَ بِمَنِّهِ وَقَوَاضِلِ رِزْقِهِ الْأَعْنَاقَ - أَنْ
يَسْتَقِرَّ الْمَجْلِسُ السَّامِيُّ - حَرَسَ اللَّهُ مُهَجَّتَهُ ، وَأَهْلَكَ حَسَدَتَهُ - فِي نَظَرِ الْأَلَذِّيَّةِ
الْمَحْرُوسَةِ ، عَلَى عَادَةٍ مِنْ تَقَدَّمَهِ وَقَاعِدَتِهِ ، بِالْمَعْلُومِ الشَّاهِدِ بِهِ الدِّيَوَانُ الْمَعْمُورُ إِلَى
آخِرِ وَقْتٍ : عَلِمًا بِأَمَانَتِهِ الْمَشْهُورَةِ ، وَكَلَامِهِ الَّتِي هِيَ بَيْنَ أَهْلِ الصَّنَاعَةِ مَشْكُورِهِ ،
وَحَبِيبَتِهِ الَّتِي هِيَ فِي الْمُبَاشَرَاتِ مَعْرُوفَةٌ غَيْرُ مَنكُورَةٍ ، وَكِفَايَتِهِ الْمَالُوفَةُ الْمُؤَفَّرَةُ ؛ فَإِنَّهُ
بَاشَرَ الْحِسْبَةَ الشَّرِيفَةَ وَتَهَيَّأَ وَأَمَرَ ، وَأَتَّبَعَ فِي أَحْكَامِهِ مَا أَمَرَ بِهِ «أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرُ» ؛
وَضَبَطَ أَمْوَالَ بَيْتِ الْمَالِ بِحَسَنِ نَظَرِهِ وَمِعَزِّ وَفَرِّهِ .

فَلْيَبَاشِرْ هَذِهِ الْوُظَيْفَةَ الْمُبَارَكَةَ مُبَاشَرَةً عَلَى أَجْمَلِ الْعَادَاتِ ، وَيَسْتَرْفِعْ مَا لَهَا مِنْ
الْحُسْبَانَاتِ ، وَيُوصِلْ إِلَى أَرْبَابِ الْأَسْتَحْقَاقِ مَا لَهُمْ مِنَ الْحَقُوقَاتِ ، عَلَى مَا يَشْهَدُ بِهِ
الدِّيَوَانُ الْمَعْمُورُ فِي سَائِرِ الْأَوْقَاتِ ؛ فَإِنَّ هَذِهِ الْوُظَيْفَةَ مِنْ أَجَلِّ الْمُبَاشَرَاتِ ، وَلِيَتَأَوَّلَ
مَعْلُومَهُ الشَّاهِدَ بِهِ الدِّيَوَانُ الْمَعْمُورُ هَنِيئًا مُبَسَّرًا عَلَى جَارِيِ الْعَادَةِ لِمَنْ تَقَدَّمَ فِي الْفُرُوعِ
وَسَائِرِ الْجِهَاتِ ، وَلِيَعْتَمِدَ عَلَى تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى فِي سَائِرِ الْحَرَكَاتِ وَالسَّكِّنَاتِ ؛ وَانْتَهِ
تَعَالَى يَتَوَلَّاهُ ، وَالْإِعْتِمَادُ عَلَى الْخَطِّ الْكَرِيمِ أَعْلَاهُ .



توقيع أيضا في المعنى .

لا زالت صدقاته الشريفة تُهمُّ لأتباع الحقِّ برُحمانا، وتُسدي إلى كلِّ أحدٍ خيرا وإحسانا - أن يرتب فلانٌ ناظرًا بالأذقية المحروسة وما هو مضاف إليها، على عادة من تقدّمه وقاعدته ومعلومه الشاهد به الديوانُ المعمور : لأنه طالما باشرَ نظرَ بيت المال فوقّر الأموال ، وأصلح ما قسد من الأحوال ، وسدّد بحسنيّ تدبيره الأفعال والأفعال ؛ وأظهر من الأمانة ما يميّز به في مباشراته، وفاق به على قرّانه وأهل زمانه وأوقاته ؛ ثم باشر الحسبة فسلك فيها مسلك السرّ والجهر وصدق الخبر ، وسلك مسلك أمير المؤمنين عمر .

فباشر هذا النظر قلب مفسّح ، وأمل مُتّسع ؛ وليظهر فيه ما جرب به من الأمانة ، وتجنّب الخيانة ؛ وليجتهد في تحصيل أموال الديوان المعمور ، ويسيطر قلبه في إصلاح الأمور؛ وليوصل إلى أرباب المرتبات ما هو لهم مستحق ، فانهم به أولى وأحق ؛ وليوصل إليه معلومه أوّان وجوبه واستحقاقه



توقيع بمشارفة حصن الأكراد ، كتب به للقاضي « بدر الدين » بد المجلس العالي ، وهو :

رُسم بالأمر الشريف - لا زالت مراسمه العالية تولى الأنام برا ، وتجدد بإمساغ الإنعام بشرا ، وتضوّع في كلّ نادر من أندية التناء والدعاء نشرا ؛ وتطّلع في كلّ أفق من آفاق السيادة من صدور الأعيان وأعيان الصدور بدرا - أن يرتب فلانٌ في مشارفة حصن الأكراد المحروس : لما هو عليه من العفة والصلف ، والتزاهة

التي عُرف بها وأتصف ؛ والرأية التي أنتقلت إلى الخلف عن السلف ، والمدالة التي لا يتكلف لسلوك نهجها : ومن العجب خلو البدر عن الكلف ؛ كم حفظت مباشرة الأموال ، وصلحت بملاحظته الأحوال ؛ وعقدت الخناصر على سيرته وحسن سيره ، واشتهر بحيل تدبير أوجب تقديته على غيره .

فليأشر هذه الوظيفة التي هي من أجل الوظائف ، وليشكر ما أولي من المعروف وأُسدي إليه من الموارف ؛ وليبذل جهده في صلاح الأحوال ، وتخير الأموال ، وتقرير القواعد على السداد ، وإجراء العوائد على وفق المراد ؛ فانه من دلت خبرته على بحيل آثاره ، ولاحت النقطة في اختياره الذي أغنى عن تقديم اختياره ؛ كيف لا ؟ وهو ممن نسا في خدور فنون الكعبة ، واشتهر في مواطن النضال مع وفور الانتفال بحسن الإصا به ؛ فهو إن شاء الإنشاء بلغ منه المرام ، وإن بسط الجرائد للتصرف قيل : هذا الكتاب النظام ؛ كم له من يد بيضاء في التبييض والتسويد ، وهمة عالية بلغ بها من السيادة ما كان يريد .

فليقدم خيرة الله تعالى في هذا الأمر ويعدلها لإمامه ، وليتمسك بها مقتدياً بمن قدمها أمامه ، وليكن عند حسن الظن به ليلتح من سعادة الدارين مرامه .
والوصايا التي يعم نعمها ، ويتعين على تناسب الأعمال جمعها ؛ به تُسلك سبلها ، وعنه تؤخذ تقاصيلها ومجملها ؛ فليسلك منها الأقوم الأرشد ، وليتمسك بالأقود الأحمدة ؛ بحزم وافر ، وعزم غير قاصر ؛ وليتناول معلومه الشاهد به الديوان المعمور أحيان الوجوب والاستحقاق رزقاً دازاً ، هنياً ميسراً ساراً ؛ من غير تقدير ولا تكدير ، ولا تنقيص ولا تأخير .



تَوْجِعُ بِمَشِخَةِ الْمَقَامِ الْأَذْمِيِّ، كُتِبَ بِهِ بِاسْمِ الشَّيْخِ «عَبْدِ اللَّهِ السُّطُوحِ»
بِ«الْمَجْلِسِ الْعَالِيِّ»، وَهُوَ :

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ الَّذِي سَقَى عَلَنًا بِرَأْيَاهِ، وَأَنْبَتَ عُشْبَنَا بِسَعَادِهِ، وَأَقْرَأَنَا كِتَابَ
وَجْهِهِ وَأَغْنَانَا مِنْ وَجْهِ تَابِهِ؛ وَجَمَّلَ لِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالًا مِنْ صِدْقِ أَوْلِيَانِهِ، وَمَنْحَهُمْ
بِمَا أَخَارَ لَهُمْ مِنْ سِرِّرِهِ وَأَهْبَسَهُ وَعَطَانِهِ، وَجَمَعَ قُلُوبَ الْفُقَرَاءِ عَلَى الْعِبَادَةِ وَالِدُّعَاءِ
بِوَسْطَةِ مَنْ أَحْبَبَهُ وَأَخْصَاهُ نُجْبَانِيهِ، وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ تَجَمُّعِ السُّرَى،
وَلَيْثِ الثَّرَى، وَسَيِّدِ مَنْ وَعَلَى الثَّرَى، وَعَلَى آلِهِ وَتَحِبِّهِ الَّذِينَ مِنْهُمْ مَنْ لَوْ أَقْسَمُ لِأَبْرَ
قَسَمِهِ رَبُّ السَّمَاءِ، وَسَلَّمُ تَسْلِيمًا كَثِيرًا - فَلَمَّا كَانَتْ الْأَعْيُنُ بِالْأُمُورِ الدُّنْيَا مِنْ
الْوَأْجِبَاتِ، وَالْحَافِظَةُ عَلَيْهَا [مِمَّا] تُبَادِرُ إِلَيْهِ مِنَ النُّفُوسِ الرَّغْبَاتِ، وَبُيُوتِ اللَّهِ تَعَالَى
فَهِيَ قِيَامُ الَّذِينَ لِلْمَعِينِ، وَلَا يَهْضُ بِمَارَتِهَا إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَآمَنُوا رَبَّ الْعَالَمِينَ،
فَطُوبَى لَهُمْ وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ .

وَمِنْ الْبُيُوتِ الْعَامِرَةِ، وَالسَّرَاةِ الظَّاهِرَةِ، وَالْمَقَامَاتِ الَّتِي إِذَا حُلَّ بِسَاحَتِهَا
أَكْبَهُ الْعَيْنُ بَصَرَتَهُ نُجُومًا زَاهِرَةً - مَقَامُ مَنْ ذِكْرُ كَرَامَتِهِ أَشَامُ فِي أَقْطَارِ الْأَرْضِ
وَأُيُنِ وَأُنْجِدَ وَأَنْتَهُمُ، السَّيِّدِ الْجَلِيلِ وَلَّى اللَّهُ «إِبْرَاهِيمَ بْنَ أَدْنَمَ»؛ سَيِّدِ الْأَوْلِيَاءِ،
وَسُلْطَانِ الْأَنْقِيَاءِ؛ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ مَا سَارَ عَلَى الطَّرِيقِ سَائِرٌ، وَمَا أَمْتَقَى ظَهَرَ قُلُوبِ
مُسَافِرٍ مَقَامُ الْإِزْهَادِ مَوْصُوفٍ، وَبِالْبَرَكَاتِ مَعْرُوفٍ؛ وَلَهُ الْإِمْلَاقَاتُ الْمَشْهُورَةُ،
وَالْمُنَاهِلُ الْمَأْمُورَةُ، فِي وَرْدِهَا الْمَبْرُورَةُ؛ قَدْ أَسْتَوَلَتْ عَلَيْهِ يَدُ التَّبْذِيرِ، وَعَادَ بَعْدَ طَوْلُ
يَسْمَاطِهِ فِي تَقْصِيرِ، وَأَخْلَفَ فِيهِ النَّيَّاتُ فَكَانَ فِي كَيْسِ الْفَقِيرِ؛ فَكَشَفَ اللَّهُ
هَذِهِ التَّقَمَّةَ، وَأَدَامَ سَوَائِغَ النِّعَمَةِ؛ وَأَسْبَلَ عَلَى هَذَا الْمَقَامِ ظِلَالَ الْحُرْمَةِ؛

(١) لَمَّا الْعَوَابِ «فَكَانَ فِي كَيْسِ الْفَقِيرِ يَدُ أَنْ كَانَ فِي كَيْسٍ» الخ .

وَأَرْسَلَ اللَّهُ عَلَىٰ عِبَادِهِ الْمُنْتَقِينَ بَاعِثًا مِنْ عِنْدِهِ ، وَأَيُّظْهَرُ لِعَالِمِهِ بِأَن كَلَّا وَأَقِفَ عِنْدَ أَمْرِهِ وَحَدِّهِ ؛ وَأَنْطَقَ لِسَانٌ مِنْ لَا رَادَّ لِأَمْرِهِ ، فَكَشَفَ غُمَّةَ هَذَا الْمَقَامِ وَعَزَّلَ مِنْ يُخَافُ عَلَيْهِ مِنْ سُوءِ تَدْيِيرِهِ وَشَرِّهِ .

فلذلك رُسم - أن تفوّضَ مشيخةَ المقام الجليل الأدهمى بشعرِ جبلة المحروس - على ساكنه الرحمة والرضوان - إلى فلان - تقع الله بركاته ، وأعاد على المسلمين من صالح دعواته - عِوَضًا عَنْ كَانَ بِهَا بِحَكْمِ أَنْفَصَالِهِ حَسَبَ مَا وَرَدَتْ المراسم الشريفة - شرفها الله تعالى وعظمها - عند اتصال العلوم الشريفة - زادها الله تعظيما - بأمر المقام المشار إليه وأعتاد المتصرفين فيه : إِذْ وُضِعَتْ الْآنَ الْأَشْيَاءُ فِي مَحَلِّهَا ، وَأُسْتَدْتُ الْأُمُورُ إِلَى أَهْلِهَا ، وَقُلِدَتْ هَذِهِ الْمُتَوَكِّلَةُ إِلَى مَنْ يُظْهِرُ سَرَائِرَ قَضَائِهَا ؛ وَلَحِظَتْ الْآرَاءُ حَجَرَ هَذَا الْمَقَامِ وَالْأَمْرُ ، وَلَا شَكَّ أَنَّ السَّعَادَةَ تَلَحَّظُ الْخَيْرَ ؛ كَمَا لَهُ مِنْ آيَاتٍ مَشْهُورَةٍ ، وَكَرَامَاتٍ بِلِسَانِ الْحَمْدِ مَذْكُورَةٍ ، وَمَسَاجِدَ فِي الْخَلِيَّاتِ مَبْرُورَةٍ ؛ وَقَدْ مَمَّ الزَّوَايَا بِأَجْنَاسِ الْمَكَارِمِ ، وَبَسَطَ لِلزَّائِرِينَ مِنْ إِكْرَامِهِ سِمَاطًا يَقُولُ الزَّائِرُ : هَذَا وَلَا حَاتِمٌ :

تَزُورُ دِيَارًا زَارَهَا جُودُكَ كَفِّهِ ، * وَمِنْ دُونِهَا لِلزَّائِرِينَ مَرَايِلُ ،
وَنَزِيْعٌ عَنْهَا بِالْخُفُوفِ قَرِيرَةٌ : * كَمَا رَاجَعَتْ مَاوَى الْخُفُوفِ الْمَسَاحِلُ !

فليتلقى - أعاد الله من بركاته - هذه الولاية ، وليجمل للمقام المشار إليه من خاطره الكريم أَوْقَرِ عَيْنَيْهِ ، وَيَسْتَخْلِفَ عَنْهُ إِذَا تَوَجَّهَ إِلَى ^(١) بَيْحِضِ الْأَكْرَادِ فَإِنَّهَا مُسْتَمِرَّةٌ بِيَدِهِ وَوَلَايَتِهَا بَاقِيَةٌ عَلَيْهِ ؛ وَأَمْرُهَا فِي إِبْدَائِهِ وَإِعَادَتِهِ عَلَيْهِ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يَتَوَلَّاهُ ، فَمَا وَلَّاهُ ؛ وَالْإِعْتَادُ

(١) يياض بالأصل ومراده إلى مشيخة ... بحسن الأكراذ .

قُلْتُ : وقد آتيتُ على بُحَلَةٍ من تواقع أرباب الوظائف : بدمشق و حلب
وطرابلس وأعمال كلِّ منها، يستغني بها الماهر عما سواها، ويقيس عليها ما عداها،
إذ لا سبيلَ إلى استيفاء جميعها ، والإتيانِ على بجلتها .

وفيا ذكر من هذه الممالك الثلاث نبيهٌ على ما يكتب بحمّة وصفد اللّتين هما
في رتبة طرابلس ، وتلويحٌ إلى ما عداها، مما هو دونها كقرّة إذا كانت نيابة ،
والكرّك التي هي دون ذلك .

والله تعالى هو الهادي إلى التوفيق، والمرشدُ للسداد ، بمنّه وكرمه .

تم الجزء الثاني عشر . يتلوّه إن شاء الله تعالى الجزء الثالث عشر

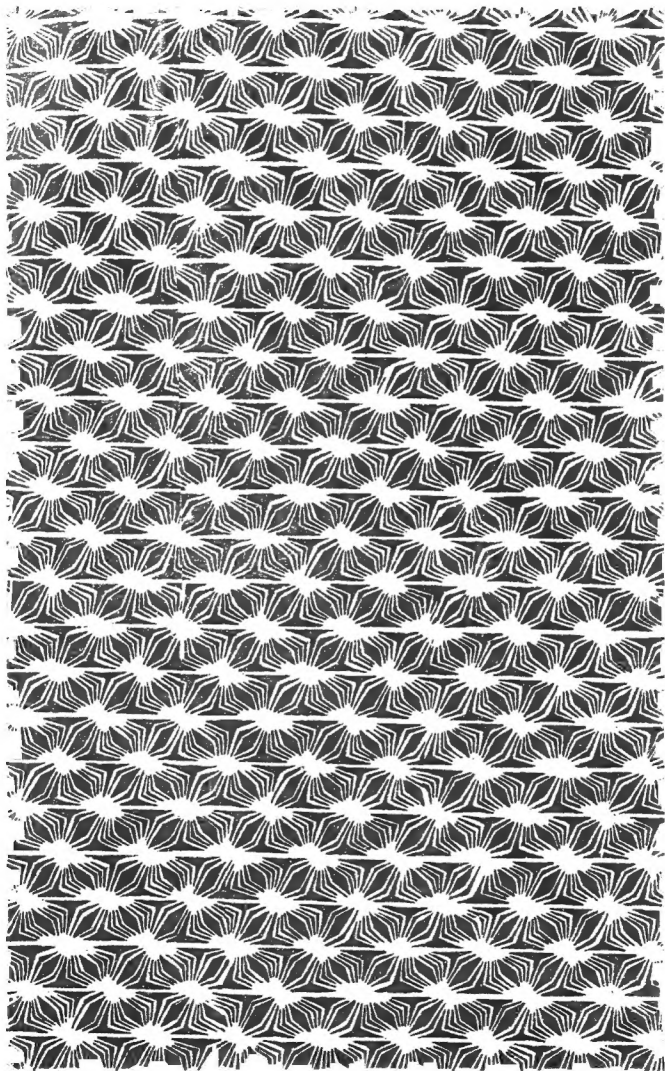
مائة المقالة السادسة

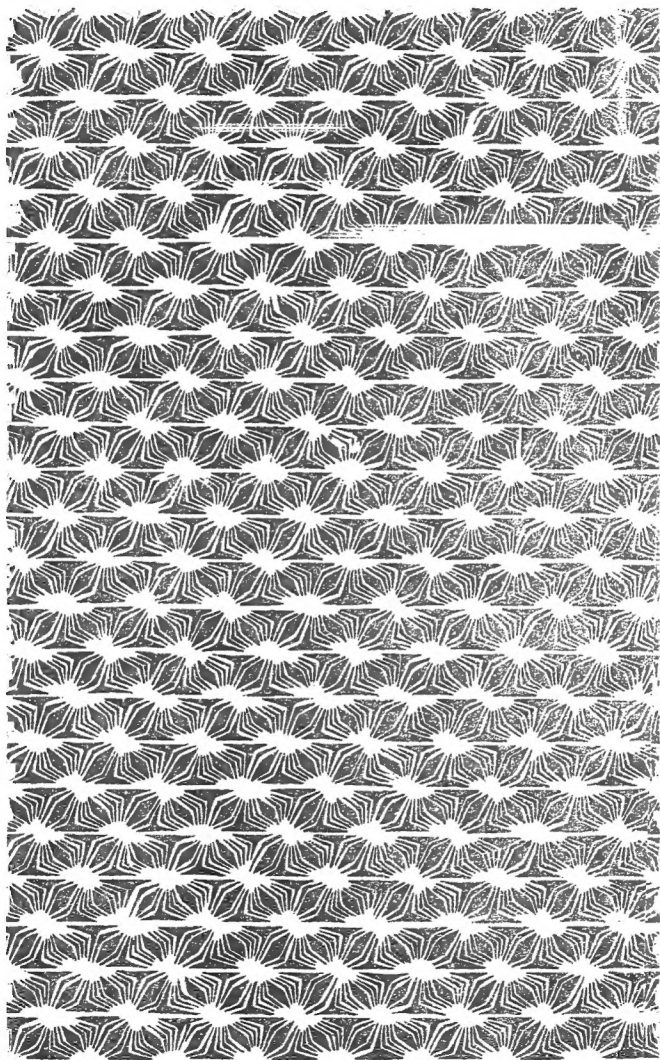
(فيما يكتب في المسامحات، والاحلاقات السلطانية، والطُرُخانيات
وتحويل الستين والتذاكر، وفيها أربعة أبواب)


والحمد لله رب العالمين . وصلاته على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين

وآله وصحبه والتابعين ، وسلامه

وحسبنا الله ونعم الوكيل





 Bibliotheca Alexandrina



0698746